شعراء
بني كلب بن وبرة

أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام

صنعة

الدكتور محمد شفيق البيطار

دار صادر
بيروت

شعراء
بني كلب بن وبرة

أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام

شعراء
بني كلب بن وبرة

أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام

صنعة

الدكتور محمد شفيق البيطار

الدراسة

دار صادر
بيروت

الطبعَة الأولى
2002

دار صادر
تأسست سنة ١٨٦٣

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان
© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

Šu'arā' Banī Kalb (al-dirasat) 1vol.
Diwan Šu'arā' Banī Kalb 1/2
(Al-Bītār)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الّذي لم يتّخذ صاحبةً وَلا وَلَداً ، وصلّى اللهُ علىٰ مُحَمَّد وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين ، وبعد :

فهذا البحث قائمٌ حول شعراء قبيلة من كُبْريات قبائل العرب ، وهي كلب بن وَبْرة ، وكان شِعْر هذه القبيلة قد جُمِع في القرون الأولى للهجرة فيما جَمَعَهُ علماءُ هذه الأمّة من أشعار قبائلها ، غير أنّ عواديَ الدهر ذهبت بمجموع شعرهم كما ذهبَتْ بمجاميع أشعار القبائل الأخرى إلاّ هُذَيلاً .

وقد اتّجه عددٌ من الباحثين العرب في هذا الربع الأخير من القرن الميلاديّ العشرين إلىٰ إعادة جَمْعِ أشعار القبائل العربيّة ، فأظهرت المطابعُ إلى اليوم أشعار عددٍ من القبائل ، منها قُشَير وعُقَيْلٍ وكلاب وعامر بن صعصعةَ وهَمْدان وذُبيان وأسد ، ولا ريبَ أنّ إعادةَ جمع أشعار القبائل العربيّة وتَحقيقَها ودراستَها من أهمّ ما ينبغي أن يقومَ به دارسو الأدب العربيّ القديم ، لأنّ الأحكامَ العامّةَ الّتي تُبنى على الشّعر العربيّ قبلَ جَمْعِهِ وتحقيقه يُحْوِجُها الأساسُ المتينُ من تَقَصّي أشعار العرب ، وإنّما يكون التَّقصّي بعدَ جمع أشعارها ؛ ولذلك كان ممّا قامَ به الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السَّطلي ـ حفظه الله ـ أن وجَّهَ عدداً من طلبة الدكتوراه إلىٰ القيام بجمع أشعارِ عدد من القبائل وتحقيقها تحقيقاً علميّاً ، منها بنو تغلب وبنو أسد وطيّئ ، وإيماناً منّي بأهميّة ذلك الاتجاه وهذا التَّوْجيه ذهبتُ أبحثُ عن قبيلةٍ من تلك القبائل التي لم يُجْمَعْ شعرها أو لم يَشْرَع أحدٌ من الباحثين بجمعِه ، فوقع الاختيارُ علىٰ كلب بن وَبرة من بين قبائل عِدَّة ، فكان (شعراء بني كلب بن وبرة أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية والإسلام) موضوعاً لهذا البحث .

وقد فرضَتْ طبيعة البحث أن يُقْسَمَ إلىٰ قسمين اثنين : دراسة وديوان .

فأمّا قسم الدراسة فإنَّه يتألّف من أربعة فصول ، يتناول الفصل الأوّل قبيلة كلب بن وبرة من حيث النَّسب والبلاد والعلاقات والعقيدة ، ويُلْحَقُ بهذا الفَصْل في آخر الدراسة شجرة نسب القبيلة ، ومعجم بلاد بني كلب ، وخريطةٌ تحدّد مواضع أشهر بلدانهم .

وكنتُ قد جعلتُ بعدَ هذا الفصل فصلاً ترجمت فيه للشعراء ، غير أنّي رأيت عند الطباعة أن أنقلَ هذا الفصل إلىٰ الديوان ، وأوزّعَهُ فأضَعَ ترجمة كلّ شاعر قبلَ شعره .

ويتناولُ الفصل الثاني مصادر أشعارهم وتوثيقه ، وقد تحدّثتُ فيه عن أشعارهم قبل التّدوين إلىٰ أنْ دُوِّنَ في كتابٍ خاصّ في القرون الأُولى للهجرةِ ثم انقطعَتْ أخبارُهُ بعد القرن الرابع الهجريّ ؛ ووقفتُ عند مصادر الشعر الذي قمتُ بجمعهِ من مصادر شتّىٰ ، ثم عندَ توثيق هذا الشّعر ، فَدَرَسْتُ ظاهرةَ الاضطرابِ في نسبة أشعارهم مُبَيِّناً ما استطعتُ الصّوابَ في نسبة ما وقع فيه الاضطراب ، ثم وقفتُ عند ظاهرة النَّحْلِ في شعرهم .

وبالانتهاء من هذا الفصل أضحىٰ السبيل إلىٰ دراسة موضوعات شعرهم وخصائصِهِ الفنيّة آمناً من الاستشهاد بما أكّدت الأدلّة أنّه ليس لهم أو رجّحت ذلك ، فجعلتُ الفصل الثالث خاصّاً بموضوعات شعرهم من حماسة ، وفخر ، وهجاء ، ورثاء ، ومدح ، وغزل ، ووصف ، وحكمة ، وشكوى من الهرم ؛ فتناولتُ في كل موضوع معانيَهُمْ في العصر الجاهليّ ، ثمّ فيما بعد الإسلام ، راصداً ما وقع بينهما من اختلاف أو اتفاق ، ثم مقارناً ذلك ببعض أشعار العرب .

وجاءَ الفصلُ الرابع آخِراً ليتحدّث عن الخصائص الفنّيّة لأشعارهم ، من حيث الخصائصُ المعنويّة والخصائص اللّفظيّة ؛ فتناوَلتُ في الحديث عن الخصائص المعنويّة قضيّة الغموض والوضوح في معانيهم ، والأساليب التي أسهمَتْ في توضيح معانيهم من صور بيانيّة ومحسّنات معنويّة ، كما تناولت مصادر معانيهم المختلفة والمعاني التي أُخِذَت عنهم ؛ وفي الحديث عن الخصائص اللّفظيّة وقفتُ عند ثلاثة جوانب : أوّلها المنهج الذي اتّبعوه في إنشاء الشعر ، وثانيها مقوّمات موسيقى شعرهم الداخلية والخارجيّة ، وثالثها قضايا اللّغة والنحو ؛ ولَمْ أُخْلِ هذا الفصل من

المقارنة بين شعرهم وشعرِ بعضِ قبائلِ العربِ أو بعضِ الفئات من الشّعراءِ عند الحاجةِ إلى ذلك ، ومن التنبيه على أنّ هٰذه القضيّة أو تلك ممّا يشترك به شعراء العرب عامّةً .

وجعلتُ لهذا الدراسة خاتمةً لَخَّصْتُ فيها ما جاءَ في فصولها من نتائج وأحكام ؛ وألحقتُ بالدّراسة شجرةً لنسب القبيلة تضمُّ أسماء أهمّ البطون والأعلام وأنساب الشعراء الذين عرفت أنسابهم ، كما ألحقتُ بها معجم بلدان بني كلب ، وخريطةً تحدِّد مواقعَ أهم تلك البلدان ، وفهرساً تفصيلياً لمحتويات الدراسة ؛ وبذلك انتهى القسم الأوّل من البحث .

وأمّا القسم الثاني ، وهو الديوان ، فقد ضمَّنْتُه مجموعَ ما وقفتُ عليه من أشعارهم منذ الجاهليّة إلىٰ آخر عصر بني أميّة ، كما ضمّنتُه أشعار عدد من الشعراء الذين لم تسعف المصادر في تحديد عُصورهم خشيةَ أن يكونوا أو يكون بعضهم ممَّن عاش في مدّة ما بين الجاهليّة وآخر عصر بني أميّة ، ريثما يظهر من الأَدِلّة ما يحدّد عصورهم ؛ وعَمِلْتُ علىٰ تحقيق ما اجتمع لديَّ من أشعار بني كلب تحقيقاً علميّاً ، وشرحه شرحاً وافياً ، باذلاً في ذلك ما استطعت ، وراعيتُ في ذلك عدداً من الأمور ، أوّلها أنّني قسمتُ الديوان إلى أربعة أقسام ، يضمُّ القسم الأوّل شعر الجاهليّين ، وخَصَصْتُ آخِرَهُ لأشعار المجهولين من شعرائهم في الجاهليّة ، ويضمُّ الثاني شعر المخضرمين وشعراء صدر الإسلام ، وفي آخرِه أشعار المجهولين من هؤلاء ، ويضمُّ الثالث شعر الأمويّين منهم ، وفي آخره أشعار مجهولي الأمويّين ، ويضم الرّابع أشعار مجهولي العصور ، وفي آخرِه أشعار مجهولي الأسماء والعصور .

وثانيها أنّني رتّبْتُ أشعار الشعراء في كل قسم بحسب عدد ما اجتمع من شعر كلّ واحد ، المكثر فالمُقِل ، ورتّبتُ شعرَ كلّ شاعر بحسب الرويّ هجائياً ، وقَدّمتُ الرّويّ المكسورَ فالمضموم فالمفتوح فالمقيَّد ، ورتّبتُ القصائدَ ضمنَ الرَّويّ الواحد والحركة الواحدةِ على دوائر العروض ، ورتّبتُ أشعار المجهولين في كلّ قسم بحسب عدد الأبيات في كل قطعة .

وثالِثُها أنّني ضبطتُ الشّعر ضبطاً كاملاً .

ورابعُها أنّني علّقتُ علىٰ الأبيات ، فجعلت في التّعليقِ : مناسبات النُّصوص إنْ وُجِدَتْ ، والإشارة إلىٰ الاختلاف في نسبةِ الشّعرِ إنْ وُجِدَتْ ، واختلاف الرّواية ، مع التنبيه علىٰ مواضع التحريف والتصحيف ، وشرح معاني المفردات الغريبة ، وترجمة البلدان والأعلام ، والضرائر الشعريّة ، ولم أشرح شيئاً من المعاني إلاّ عند الغموض ، أو عندما أجد شرحاً لأسلافنا ، فلم أكن لأُهْمِلَه .

وخامسها أنّني ألحقتُ بالديوان تخريجاً لقصائده ومُقَطّعاتِهِ وأبياتِه المفردة ، ثم صنعْتُ له فهارسَ عدّةً ، تسهيلاً للرّجوع إليه .

هٰذا . . .

وإنّ لشيخي الأستاذ الدكتور عَبْد الحَفِيظِ السَّطلي فضلاً على هذا البحث وصاحبهِ لا يُحَدُّ :

كَـــرِيـــم لا يُغَيِّـــرُهُ صَبَـــاحٌ عَـنِ الخُلُـقِ السَّنِـيِّ وَلا مَسَـاءُ

إذْ رعى البحثَ وصاحبَه ، فحدّدَ المنهج وبيّن السَّبيل ، وسهَّل الصَّعْبَ ، وأقالَ العَثْرَة ؛ فجزاه الله عن العلم وطلاّبه خيرَ الجزاء .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ .

دمشق في : يوم الخميس ٢٧ رجب ١٤١٥هـ

٢٩/ كانون الأول/ ١٩٩٤م

الدراسة

الفَصْلُ الأَوّلُ

القَبِيْلَةُ

(نَسَبُها - مَنازِلُها - علاقاتُها وأيّامُها - عَقيدتُها)

أولاً - نَسَبُ بَنِي كَلْبٍ

يجد الناظر في أنساب العرب عدداً من البطون التي ينتهي نسبُها إلى رجلٍ يقال له : كلب[1] ، والكلبُ في لغة العرب : كلُّ سَبُعٍ عَقُور ، مِن أسدٍ وفهدٍ وذئب وغير ذلك ، ثمّ غلب اللّفظُ على ذلك الجنس المعروف حتىٰ صار حقيقةً لغويةً عليه[2] ؛ والمقصود في هذا البحث هو ، كلبُ بن وَبْرَةَ بن تَغْلِب بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قضاعة[3] ، وهو أشهَرُ تلك البطون ، فإذا أُطلِقَ لفظُ (الكلبيّ) كانَ المقصودَ بالنسبة إليه[4] ؛ ولا خلافَ في أنَّ كلباً مِن قُضاعَةَ ، وأنه : كلب بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ولكنّ الخلافَ واقِعٌ في نَسَبِ قُضَاعَةَ - واسمُهُ عمرو[5] - : أَمِنْ مَعَدٍّ هو أم مِن حِمْيَر؟ وهذه قضيّةٌ مهمّةٌ في نَسَبِ

(١) النسب الكبير ١ : ١٩، ٣١٧، ٤١٥، و٣: ٤٢، وجمهرة النسب ١ : ١٩٣، ١٩٥، ١٩٨، ٣١٩، ٣٨٧، و٢: ١٦٧، ٢٥٠، ومختلف القبائل ومؤتلفها: ٦٠، وأنساب السمعاني ١٠ : ٤٥١ـ٤٥٥، والإيناس: ١٧٢، واللّباب في تهذيب الأنساب ٣: ١٠٤ـ١٠٦، ونهاية الأرب للقلقشندي: ٤٠٨، ومعجم قبائل العرب: ٩٩٠ـ٩٩٢.

(٢) اللسان والقاموس والتاج (كلب).

(٣) النسب الكبير ٢: ٢٩٩ـ٣٠٠، والمحبر: ٢٣٤، وأنساب السمعاني ١٠: ٤٥١، وجمهرة أنساب العرب: ٤٥٥، والإنباه: ١٣٦، واللّباب ٣: ١٠٤.

(٤) نهاية الأرب ـ للنويري ٢ : ٢٩٥، والتاج (كلب).

(٥) النسب الكبير ٢ : ٢٩٩، والطبقات الكبرىٰ ٣: ٤٠، ومعجم ما استعجم: ١٧ (المقدمة)، ومعجم البلدان (جدّة).

بني كلب وسائرِ قبائل قضاعة ، ويحسُنُ أن يتناوَلَها الحديثُ عن نسبهم ؛ لأنَّ بني كلب هم أكبر قبائل قضاعةَ ، ولأنّ هذه القضيّةَ تركت أثراً في شعر بني كلب وشعر غيرهم من العرب ؛ ويتناول الحديثُ عن نسبهم إلىٰ جانبِ هذه القضيّة قضايا أخرى ، من حيثُ بطون بني كلب ، ونَواقِلُهم ، والمصاهرة بينهم وبين غيرهم .

١ ـ الخِلافُ حَوْلَ نَسَبِ قُضَاعَةَ :

إنَّ الأدلَّةَ تبيّن أنّ الخلافَ حول نسب قضاعةَ لم يقع إلاّ بعد الإسلام بزمن ، ولكي نقف على حقيقة هذا الخلاف سوف ننظر في أخبار العرب وأشعارهم ممّا يتعلّق بهذا الأمر في الجاهليّة ، وفي صدر الإسلامِ ، وعصرِ الخلفاء الرّاشدين ، وعصرِ بني أميّة ، ثمّ ننظر في سبب هذا الخلاف ، وفي الأمور التي أثَارته ، ومن ثَمّ ننتقل إلىٰ أقوال العلماء وآرائهم .

فأمّا في الجاهلية فإنَّ الأدلّة مِن أخبارها وأشعارها تؤكّد أنّ قضاعةَ كانت معدودةً في قبائل مَعَدّ ، فمن الأَخبار أنَّ حرباً وقعت بين بني كلب وبني عبد مَناة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ وبين حِمْيَر ، والنظر في سبب تلك الحرب يدلّ على أنّهم كانوا معدودينّ في مَعَدّ ، وذلك أنَّ بلادَ مَعَدٍّ أَجْدَبَتْ فانتجع عدد من قبائلها صحراءَ صنعاء ، ومنهم صُحارُ وكَلْب ، وكلتاهما مِن قضاعة ، فوقعت حربٌ بين صُحار وبينَ حِمْيَرَ فَقتلت صحار ملكَهم ذا ثات ، فجمعت حمير لهم فارتحلوا ولحقوا ببلاد معدّ ، فثارت حِمْيَرُ إلىٰ كلبٍ تطالبهم بدمِ ذي ثات ، فاستنجدت كلبٌ بني تيم بن عبد مناة بن أُدّ ، فأنجدوهم ووقعت الحرب فظهروا على حمير ، وقد ذكر ذلك اليومَ بعضُ شعراءِ بني عبد مناة وبعض شعراء حمير من الجاهليّين[(١)] .

ومنها أنّ قضاعةَ شارَكَتْ في يوم السُّلاَّن ، وهو يومٌ بين مَعَدّ وَمَذْحِج ، وكانَ قائدَ مَعَدّ ذلك اليوم ربيعةُ بنُ مرّة بن الحارث التغلبيّ والد كليب ومهلهل ، فقاد ربيعةَ

---

(١) يأتي الحديث عن هذا اليوم في الصفحة : ١١٤ من هذا البحث .

ومُضَرَ وقُضاعةَ إلى أهل اليمن ، وشَهِد ذلكَ اليوم زهير بن جناب الكلبيّ وعَميرةُ بنُ أوس الكلبيّ ، وكانَ عَميرةُ على إحدىٰ المَجْنَبَتَيْن ذلك اليوم(١) .

ومنها أنَّ قضاعةَ شارَكت أيضاً في يوم خَزازىٰ ، وهو يومٌ بين اليمن وبينَ مُضَر وربيعة وقضاعة ، وكان قائد الناس ذلكَ اليوم كُليب بن ربيعة بن مرّة ، وقيل غيرُه(٢) .

ومنها أنَّ حنظلةَ بنَ نَهْدٍ النهديّ القضاعيّ ـ وكان مِن أشراف العرب ، وله منزلةٌ بعكاظ في مواسمهم ، وبتهامةَ ، والحجاز ، فكانت تتحاكمُ إليه العربُ ـ كانَ يُقالُ له : « حنظلةُ بنُ نَهْد ، خيرُ ناشٍ في مَعَدّ »(٣) .

وممّا قد يُستأنَس به من الأخبار قولُ ابن الكلبيّ حين ذَكَرَ الصَّقْعَبَ ، وهو خُشَيْمُ بنُ عمرو بن سعدِ بنِ صُرَيمٍ النَّهديّ القُضاعيّ : « وقد رَأَسَ ، ولَهُ يقولُ النُّعمانُ بنُ المنذر : لأَنْ تَسْمَعَ بالمُعَيْديّ خيرٌ من أن تراه »(٤) ، والمُعَيْديّ تصغيرُ مَعَدِّيٍّ نسبةً إلىٰ مَعَدّ ، فَحُذِفَتِ الدالُ الأولى استثقالاً أن تجتمع وهي ساكنةٌ معَ الياءِ الساكنة .

ومن ذلك أنَّ ميّاد بن حُنّ بن ربيعة بن حرام العذريّ ، من قضاعة ، « نافَرَ رجلاً من أهل اليمن إلى حَكَمِ عُكاظ في الشهر الحرام ، فأقبل ميّاد بن حُنّ علىٰ فرسه وعليه سلاحُه ، فقال : أنا ميّاد بن حُنّ ، أنا ابنُ حبّاسِ الظُّعُن ؛ وأقبل اليمانيُّ عليه حُلّةٌ يمانية ، فقال ميّاد بن حُنّ : احكم بيننا أيُّها الحكم ؛ فقال الحكم : ازْلأَمَّ المَعَدِّيُّ ونَفَرَ ـ نَفَر : غلب ، وازلأمَّ : سَبَقَ وأسرع ـ فذهب قولُه مَثَلاً ، وقضىٰ لميّاد بن حُنّ على صاحبه »(٥) ؛ فَوصفَ حُنّاً ـ وهو قُضَاعيّ ـ بأنّه « مَعَدِّيّ » ، فجعل قضاعة مِن مَعَدّ .

---

(١) يأتي الحديث عن هذا اليوم في الصفحة : ١١٦ .

(٢) يأتي الحديث عن هذا اليوم في الصفحة : ١١٩ .

(٣) النسب الكبير ٣ : ٤٨ ، ومثله في أنساب الأشراف ١ : ١٩ ، ومعجم ما استعجم : ٣٤ و٥٠ (المقدّمة) ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٤٦ .

(٤) النسب الكبير ٣ : ٥١ ، ونحو منه في المستقصى ١ : ٣٧٠ـ٣٧١ ، وتمثال الأمثال : ٣٩٦ ؛ وذكر المفضَّل الضبيّ في أمثال العرب : ٥٢ـ٥٥ والمفضّل بن سلمة في الفاخر : ٥٣ـ٥٤ أنّ المنذر بن ماء السماء قال ذلك لضمرة بن ضمرة النهشلي التميميّ ، وتميمٌ مِن معدّ ، ونقل ذلك الميداني في مجمع الأمثال ١ : ١٢٩ـ١٣١ ؛ وجاءَ في الشعر والشعراء : ٣٦٧ أن النعمان بن المنذر قاله لضمرة بن ضمرة .

(٥) أمثال العرب للمفضل : ١٤٠ ، ومجمع الأمثال ١ : ٣٢٠ .

ومما يُسْتَأنَسُ به أيضاً المُصاهرةُ التي نجدها بين أبناء قضاعة وسائر أبناء مَعَدّ في عهدٍ قريب من زمن قضاعة ، إذ كانت أمُّ الأَسْبُعِ بنتُ الحافِ بن قُضاعةَ عندَ ربيعة بن نزار بن مَعَدّ ، وكانت أختها ليلىٰ بنت الحاف بن قضاعة عند إياس بن نزار[١] ، وكانت خِنْدِفُ ـ وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف ـ عند الياس بن مُضَر بن نزار[٢] ، وكانت مُرَيْهَةُ بنتُ عمران بن الحاف عندَ أَسد بن ربيعة بن نزار[٣] ، وكانت سلمىٰ بنت أَسْلُم بن الحاف وابنةُ عمّها ليلى بنت السِّيد بن الحاف عندَ مُدْرِكة بن الياس بن مُضر[٤] ، وكانت فَكْهَةُ بنت هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف عند كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس[٥] .

ونجد بالمقابل أنَّ ضَرِيَّةَ بنت ربيعة بن نزار كانت عند عمران بن الحاف[٦] ، وكانت الرَّيْراء بنت شَنّ من رَبيعة بن نزار عندَ تغلب بن حُلوان بن عمران فولدت له وبرة بن تغلب أبا كلب بن وبرة[٧] ؛ كما تزوّج عدد من رجال بني كلب مِن نساءِ مَعَدّ قديماً ، وسيأتي ذكرُهم في الحديث عن المصاهرة بين بني كلب وغيرهم[٨] .

ومن ذلك أيضاً ما نقل لويس شيخو عن المؤرّخين السّريانيّين أنّهم « كانوا يَدْعونَ بني كَلْبِ النصارىٰ بالمَعَدِّيّين »[٩] .

فهذه هي الأدلّةُ مِن أخبار الجاهلية ، وهي تبيّن أنّ قُضاعَةَ كانت تُعَدُّ في مَعَدّ .

ومن الأشعار الجاهليّة التي تبيّن ذلك وتؤكّد ما جاءَ في تلك الأخبار قول

---

(١) جمهرة النسب ٢ : ٣٤٨ .
(٢) جمهرة النسب ١ : ٥ .
(٣) جمهرة النسب ٢ : ١٩٢ ، والنسب الكبير ١ : ١ .
(٤) جمهرة النسب ١ : ٦ .
(٥) جمهرة النسب ١ : ٧ .
(٦) النسب الكبير ١ : ٢٩٩ .
(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٠٠ .
(٨) انظر الصفحة : ٤٤ من هذا القسم من هذا البحث .
(٩) النصرانية وآدابها ١ : ١٤٠ .

زهير بن جَناب الكلبيّ يذكر تفرُّقَ بني نهدٍ القضاعِيّين[1] :

ولم أر حيّاً مِن مَعَدٍّ تفرَّقوا   تَفَرُّقَ مِعْزَىٰ الفِزْرِ غَيْرَ بَني نَهْدِ

ومنها ما أنشده البكريّ وياقوت للمثلَّم بن قُرط البَلويّ القُضاعيّ يذكر فيه حرباً وقعت بين قبائل من قُضاعة كانت خرجت مِن تهامةَ بعدَ حربٍ بينهم وبين بني نزار بن مَعَدّ ونزلت مأربَ ، فقال البلويّ في آخر تلك الأبيات[2] :

فَلَم أَرَ حَيّاً مِنْ مَعَدٍّ عِمارةً   أَجلَّ بِدَارِ العِزِّ مِنّا وَأَمْنَعَا

وقال ياقوت بعد الأبيات : « وهذا أيضاً دليلُ على أنّ قضاعةَ مِن مَعَدّ ، واللهُ أعلم »[3] .

ومنها قول الحارث بن قُراد البَهرانيّ القضاعيّ يذكر حرباً بينهم وبين العجم ، في أبيات[4] :

صَفَفْنا للأعاجِمِ مِن مَعَدٍّ   صُفوفاً بالجزيرة كالسَّعيرِ

ولم يكن معهم في تلك الحرب أحد من غير قضاعة .

ومنها قولُ الحارث بن قيس التغلبيّ ، وكانَ حارثةُ بنُ عديّ بن كعب بن عُلَيْمٍ الكلبيّ المُلَقَّب برأس الطين قد أَسَرَهُ ثمّ أطلقَهُ ، فقال[5] :

أَلا إنِّي لَعَبْدُ بني عُلَيْمٍ   وَلَسْتُ لسائرِ الأَقوامِ عَبْدا
وَلَوْ أَنِّي أُخَيَّرُ في مَعَدٍّ   لأَخْلُدَ فيهِمُ لاخْتَرْتُ زَيْدا

وزيدٌ هي أُمّ عديٍّ بنِ كعب بن عُلَيْم وأَشِقّائِه ، إليها يُنْسَبُون ، فيقال لهم : بنو زَيْدٍ[6] ؛ ورأسُ الطِّين شاعرٌ جاهليّ[7] .

---

(١) انظر القسم الثاني من هذا البحث (الديوان) : ٣٨ .
(٢) معجم ما استعجم : ٢٧ (المقدمة) ، ومعجم البلدان (مأرب) .
(٣) معجم البلدان (مأرب) ، وفيه : (من سعد) بدلاً من (مِن مَعَدّ) وهو تحريف واضح .
(٤) انظر الأغاني ١٣ : ٨٢ ، ومعجم ما استعجم : ٢٣ (المقدمة) .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٣٦ .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٢٩ .
(٧) انظر ترجمته وشعره في الديوان .

ومنها قولُ زهير بن أبي سلمىٰ من قصيدة[1] :

إذا لَقِحَتْ حَرْبٌ عَوانٌ مُضِرَّةٌ ضَروسٌ تُهِرُّ الناسَ أَنيابُها عُصْلُ
قُضاعيّةٌ أَو أُخْتُها مُضَرِيَّةٌ يُحَرَّقُ في حافاتِها الحَطَبُ الجَزْلُ

فقال أبو العباس ثعلب شارحاً : « وإنَّما ذكر قضاعةَ لأنَّه يُقال : قُضاعةُ بنُ مَعَدّ ، ومُضَر بن نِزار بن مَعَدّ » .

ومنها قولُ لبيدٍ من قصيدة[2] :

فَلا تسألينا واسألي عَنْ بلائنا إيـاداً وكَلْباً مِـنْ مَعَـدٍّ ووائـلا

فصرّحَ بأنَّ كلباً مِن مَعَدّ ، وهم مِن قضاعة .

ومنها قولُ مالك بن نُوَيرة اليَرْبوعيّ التميميّ يمدح الأحوَصَ بنَ عمرو الكلبيَّ أَحدَ بني عديّ بن جَناب ، أو ابنَهُ الفَرافِصةَ بنَ الأحوص ، وكانت فرسُ مالكٍ قد عُقِرَت تَحْتَهُ ، فَحَمَلَهُ أَحدُهما علىٰ فَرَسٍ له ، فقال مالك مِن أبيات يمدحُه[3] :

سَـأُهـدي مِـدْحتي لبني عَـدِيٍّ أَخـصُّ بهـا عـدِيَّ بـن جَنـابِ
أَتَيْنَـا حَـيَّ خيـرِ بـن مَعَـدٍّ هـمُ أَهـلُ المَـرابِـعِ والقِبـابِ
شُـرَيـح والفَـرافصـة بـن عَمْـرٍو وإخـوتـه الأصـاغـر للـرَّبـابِ

فوصفهم بأنّهم خير بني مَعَدٍّ .

ومنها قول العباس بن مرداس السُّلَميّ يخاطب عمرو بن معدي كرب الزبيديّ[4] :

وإن تَـكُ مِـن سعـدِ العشيـرةِ تلقَنِـي إلى الفَرْعِ من قيسِ بنِ عيلانَ مَوْلدي
إلـىٰ مُضَـرَ الحمـراءِ تنمِـي جـدودُنـا وأحســابُنــا ومَجْـدُنـا غيـرُ قُعْـدُدِ

---

(١) ديوانه، بشرح ثعلب: ٨٨.
(٢) ديوانه: ٢٥٠.
(٣) انظر الشعر والشعراء: ٣٤٠، وأسماء خيل العرب وأنسابها: ٢٤٧ـ٢٤٨ و٢٥٣، وحلية الفرسان: ١٦٢، وأسماء خيل العرب وفرسانها: ٦٤.
(٤) ديوانه: ٦١.

فَسـائـل بِنـا عُلْيـا ربيعـةَ إنَّهـا   أَخونا وإنْ نُقْصَرْ عنِ المجدِ نَزْدَدِ
وَإنْ أَدْعُ يَوْماً في قُضاعَةَ تأتِني   شَآبيبُ بَحْرٍ ذي غواربَ مُزْبِدِ

فهو يُفاخِرُهُ بإخوتِهِ من مُضَرَ وربيعةَ وقضاعةَ التي ستلبيه إن دعاها لنجدته ، فجعل مُضَرَ وربيعة وقضاعة إخوةً .

ومنها قول النابغة الذبيانيّ يمدح النعمان بن جبلة الجُلاحيَّ الكلبيّ ، وكان سَبَى ابنتَهُ في خبر له مع بني مرّة بن عوف مِن ذُبيان ، فلما علم أنها ابنة النابغة أطلقها وأطلق السبيَ والأسرى ، فقال النابغة يمدحه مِن قصيدة[1] :

سَبقتَ الرِّجالَ الباهِشينَ إلىٰ العُلا   كَسَبْقِ الجوادِ اصطادَ قبلَ الطَّوارِدِ
عَلَـوْتَ مَعَـدّاً نـائِـلاً ونِكـايـةً   فَـأَنـتَ لغيـثِ الحمـدِ أوَّلُ رائِـدِ

ونجد في شعر خُثَيْم بن عَدِيّ الملقّب بالرّقّاص الكلبيّ بيتاً يقول فيه[2] :

سِنانُ مَعَدٍّ في الحروبِ أَداتُها   وقد طاعَ منهم سادةٌ ودعائمُ

وهو بيتُ مدحٍ ، وفي شعره أبياتٌ على القافية والوزن نفسه مدح بها مسعودَبن بَحر الكلبيّ ، فإذا كان هذا البيت من القصيدة نفسها فإنه يكون من الأدلّة الشعريّة الجاهلية علىٰ أنَّ قضاعة كانت تُعَدُّ من قبائل معدّ في الجاهلية .

وإذا نظرنا إلى أصحاب هذه الأشعار وجَدْنا أنَّ منهم شاعرين من قيس عيلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ وهما النابغة ولبيد ، وشاعراً من تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر ، وهو مالك بن نُوَيرة ، وشاعراً مِنْ مُزَينة ـ وهم بنو عمرو بن أُدّ بن طابخة ـ وهو زهير بن أبي سلمى ، وشاعراً من ربيعةَ بنِ مُضَر ، وهو الحارث بن قيس التغلبيّ ، وشاعرَيْنِ مِن قضاعَةَ ، وهما المثلَّم البَلَويّ والرّقّاص الكلبيّ ؛ ويُستَدَلّ بذلك على أنَّ الجاهليّين كانوا مُجْمِعينَ علىٰ أنّ قضاعةَ مَعَدّيون ، في حين لم نقف علىٰ شيء من أخبارهم أو أشعارِهم يدلّ على أنَّه كان فيهم مَن يقول بأنّهم من حمير .

---

(١) ديوانه : ١٣٧ .
(٢) انظر شعره ، ص٩٩ من هذا البحث .

وأمّا في صدر الإسلام فَنَجِدُ حديثَيْنِ يُرْوَيان عن رسول الله ﷺ حول نسب قضاعة ، رُوِيَ أوّلُهما عن هشام بن عروةَ بن الزبير عن عائشةَ رضي اللهُ عنها قالت : « قُلتُ : يا رسول الله ، قضاعةُ ابنُ مَنْ؟ قال : ابن مَعَدٍّ » ، وفي روايةٍ أنّها قالت : « سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : قُضاعَةُ مِن مَعَدّ ، كانَ بِكْرَ وَلَدِه وأكبَرَهُم ، وبه كانَ يُكْنَىٰ »[١] ، وعلّق ابنُ عبدِ البَرِّ على هذا الحديث بقوله : « وليسَ دونَ هشام بن عروة مَنْ يُحْتَجُّ بهِ في هذا الحديث »[٢] ، ولم أقف علىٰ أسماءِ رُواتِه بعدَ هشام ، ولكنْ تكفي شهادةُ ابنِ عبدِ البَرّ بأنّه ممّن لا يُحْتَجُّ بهم ، إذ كان عالماً بالرّجال ؛ وبذلك يسقط الاحتجاج بهذا الحديث .

ورُوي الحديثُ الثاني بطريقَيْن ، أوّلهما عن طريق عمرو بن مرّة الجهنيّ القُضاعيّ الصّحابيّ ، فقد روى ابن عساكر بسندٍ له إلى عبد الرحمن بن محمّد بن منصور ، قال : « حدّثنا مُوسى بن داود ، قال : حدّثنا ابنُ لَهيعةَ ، عنِ الرَّبيعِ بنِ سَبُرَةَ ، عن عمرو بن مُرّةَ » فذكر له خبراً ، وفيه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له : « أَنْتُم مِن قُضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حمير بن سبأ »[٣] ؛ وثاني طريقَيْ هذا الحديث عن عُقبةَ بن عامرٍ الجهنيّ الصّحابيّ ، قال ابن عبد البرّ : « رواهُ جريرُ بنُ حازمٍ ، عن ابن لَهيعةَ ، عن معروف بن سُوَيد ، عن أبي عُشَانَةَ المَعافريّ ، عن عقبة بن عامر الجهنيّ ، في حديثٍ ذَكَرَهُ ، قال : قلتُ يا رسولَ الله ، أما نحنُ مِن مَعَدّ؟ قال : لا ؛ قلتُ : مَنْ نحنُ؟ قال : أنتم قضاعةُ بنُ مالك بن حمير »[٤] ، ورواهُ ابنُ عساكر في ترجمة عقبةَ

---

(١) أنساب الأشراف ١ : ١٦ ، والإنباه : ٣١ ، والروض الأُنُف ١ : ٢٣ عن الإنباه ، والجوهرة ١ : ٤٦٤ عن الإنباه وعن كتاب الرياضة لأبي نُعَيْم الأصبهاني ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٤ عن الإنباه ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٥ عن الإنباه .

(٢) الإنباه : ٣١ ، وعنه في الروض الأُنُف ١ : ٢٣ ، والجوهرة ١ : ٤٦٤ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٤٦٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٥ .

(٣) تاريخ دمشق ٦ : ٤٥٦ ، ومختصره ١٩ : ٢٨٩ ، في ترجمة زهير بن عمرو بن مرّة ؛ ورواهُ دونَ سندٍ في التاريخ ١٣ : ٦٠٥ في ترجمة عمرو بن مرّة ؛ ورواهُ خليفة بن خياط في طبقاته : ٢٦٤ دون سند ، وأشار ابن عبد البرّ إلىٰ هذا الحديث مجرّد إشارة في الإنباه : ٣٢ .

(٤) الإنباه : ٣٢ ، وعنه في الروض الأنف ١ : ٢٣ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٦ ؛=

ابن عامر الجهنيّ بسندٍ له إلى عبد الله بن لهيعةَ ، بسنده الذي ذكره ابن عبد البَرّ إلى عقبة بن عامر[1] .

والنّظر في رجال هذا الحديث بكلا طريقَيْه يُسْقِط الاحتجاجَ به ، وذلك أنَّ في كلا الطريقين عبدَ الله بنَ لَهيعةَ ، وهو حَضْرَميٌّ يمنيٌّ مِنْ أَنْفُسِهم لا وَلاءً ، وكانَ ضعيفاً ليسَ ممّن يُحْتَجُّ بِحديثه[2] ؛ وفي أَوّلهما عبد الرحمن بن محمد بن منصور وهو ممَّنْ تُكُلِّمَ فيه[3] .

وهكذا رأينا أنَّ كلا الحديثين المَرْوِيَّيْنِ عن رسول الله ﷺ لا يُحتجُّ بهما ، ولا شكّ في أنَّ أَحَدَهُما موضوعٌ ، وذلك لتناقضهما ، إن لم يكن كلاهما .

وإذا وقفنا عندَ **أقوال الصّحابة** وَجَدْنا أنّه نُقِلَ عَنْ عدد منهم أنّ قضاعةَ مِن مَعَدّ ، إذ قال ابن عبد البرّ بعد الحديث الأوّل المرويّ عن عائشةَ ، وفيه أنّ قضاعة من معدّ : « وقد رُوِي عَن عُمَرَ بن الخَطّاب وعبدِ الله ِبنِ عبّاس وجُبَيْر بنِ مُطْعِم مثلُ ذلك »[4] ؛ وكان جُبَيْرٌ رضي اللهُ عنه قد أخذ علم النسب عن أبي بكر الصدّيق ، وكانا مِن أعلم العرب بأنسابها ، وكان عُمَر بن الخطّاب به عالماً[5] . وقد روىٰ ابنُ عبّاس خَبَرَ افتراقِ وَلَدِ مَعَدّ وأسبابَه ، وساق البكريُّ هذا الخَبَرَ عن طريقين ، أحدهما عن ابن الكلبيّ بسنده إلى ابن عبّاس ، والثاني عن عُمَرَ بنِ شبّةَ بسندٍ آخر إلى ابن عبّاس[6] ، فذكر في هذا الخبر أنّ قضاعةَ هُوَ عمرو بن مَعَدّ بن عدنان .

= ورواه القلقشندي في نهاية الأرب : ٤٠٠ عَنِ العِبَرِ ؛ وفي ألفاظهم اختلاف بسيط .

(١) تاريخ دمشق ١١ : ٦٩٨ .

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٧ : ٥١٦ ، والجرح والتعديل ٥ : ١٤٧ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٤١ .

(٣) الجرح والتعديل ٥ : ٢٨٣ .

(٤) الإنباه : ٣١ و٣٥ ، وعنه في الجوهرة ١ : ٤٦٤ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٤ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٥ ، غير أنه جاء في السيرة والبداية : (ابن عمر) بَدَلَ (عُمَر) .

(٥) انظر : السيرة ـ لابن هشام ١ : ١٢ ، وجمهرة أنساب العرب : ٥ ، والإنباه : ١٢ـ١٣ .

(٦) انظر : معجم ما استعجم : ٥ و١٧ وما بعدها (المقدّمة) . وروىٰ أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ١٣ : ٧٨ وما بعدها طَرَفاً من هذا الخبر بسنده إلىٰ الزّهريّ ، والزهريّ واحدٌ مِن رجال سَنَدِ عُمَر بن شبّة ؛ وكذلك روىٰ ياقوت في معجم البلدان (جدّة) طرفاً منه عن أبي المنذر دون سند ، وأبو المنذر هو ابن=

ونجد في خلافة عمر بن الخطّاب ما يدلّ على أنّهم لم يكونوا يرونَ قضاعةَ مِن حمير ، إذ وُزِّعت القبائلُ في الكوفة على سبعةِ أسباع ، وكان اتّخاذُها مِصراً في خلافة عمر ، فجُعِلَ في كلِّ سُبعٍ عَدد من القبائل ، فكان من هذه الأسباع سبعٌ ضَمَّ حِمْيَرَ ومَذْحجَ وهمدانَ وحُلَفاءَهم ، وسبعٌ آخر ضَمَّ قُضاعةَ وبَجيلة وخثعم وكندة وحضرَموت والأزد[1] ، فلو أنهم كانوا يرون قضاعة من حمير لجعلوهما في سبعٍ واحد .

ثمّ تأتي **خلافة معاوية** بعد خلافتي عثمان وعليّ اللتين لم أقف فيهما على ما يخصّ هذا الشأن ، فنجد في خلافته بدايةَ القولِ بأنَّهم مِن حِمْيَر ، ونجد إنكار ذلك القول أيضاً ؛ فقد ذكر عدد مِن علماء النسب وغيرهم أنَّ عَمْرَو بنَ مُرَّةَ الجُهَنيَّ الصّحابيّ كان أوّلَ مَن أَلحقَ قضاعةَ بحمير ، فقال بعضُ البَلَويّين[2] :

أيا إخوتي لا ترغبوا عن أبيكمُ ولا تهلِكو في لَجَّةٍ قالَها عَمْرُو

كما رُوِيَ عنه أنّ النبيّ عليه السلام قالَ له : « أنتم مِن قُضاعةَ بنِ مالك بن حمير »[3] ، وذلكَ في خَبَرٍ له رواهُ ابنُ عساكِر بسنده إليه ، وفيه أنّ عَمْراً قال : « فكتمتُ هذا الحديثَ حتىٰ كانَ أيّام معاوية بن أبي سفيان ، فبعثَ إليَّ فقال : يا عمرو ، هَلْ لكَ أن ترقىٰ المنبر وتقولَ : إنّ قضاعةَ ابنُ معدّ بن عدنان ، إلىٰ أن أُطعِمَكَ خَراجَ عِرَاقَيْنِ ؛ فقلتُ له : نعم ؛ فنادىٰ ، فاجتمع الناسُ ، فجاء حتى صَعِدَ المنبرَ فقال : أيُّها الناسُ ، مَن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا عمرو بن مرّةَ الجهنيّ ، وإنَّ معاويةَ دعاني إلىٰ أن أَقولَ إنَّ قُضاعةَ ابنُ معدّ بن عدنان ؛ ألا إنَّ قُضاعةَ ابنُ مالكِ بنِ حمير ، النسب المعروف غير المنكر ، ثمّ نزلَ ؛ فقال له مُعاويةُ : إيهِ عنكَ يا غُدَرُ ، إيهِ عنكَ يا غُدَر ؛ فقال عمرو : هُوَ ما رأيتَ يا أميرَ

= الكلبيّ ، وكان له كتاب اسمه (افتراقُ وَلَد مَعَدّ) ذكره ابن النديم في الفهرست : ١٩٠ .

(١) انظر : تاريخ الطبري ٤ : ٤٨ .

(٢) انظر : النسب الكبير ٣ : ٤٦ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٥ـ١٦ ، والإنباه : ٣٢ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٤٥ ، وتاريخ دمشق ١٣ : ٦٠٦ ، ومختصره ١٩ : ٢٨٩ـ٢٩١ .

(٣) سبق تخريجه والحكم عليه فيما سبق ، ص ١٨ ـ ١٩ .

المؤمنين ، قال : فجاءَ زُهيرُ بنُ عمرو بن مرّةَ فقال : يا أَبَهْ ، ما كانَ عليكَ لو أطعتَ أميرَ المؤمنينَ وأطعَمَكَ خَراجَ العِراقينِ؟ فأنشأ عمرو يقول :

لَوْ أَنْ أطعتُكَ يا زُهَيرُ كَسَوْتَني في الناسِ ضاحيةً رداءَ شَنارِ
قحطانُ والدُنا الذي نُدعى لَهُ وأبو خُزَيمةَ خِنْدِفُ بنُ نِزارِ

. . . . . . (الأبيات)[١] » ، وروىٰ ابنُ عساكِر في موضعٍ آخر بسندٍ له إلىٰ يوسف بن عطيّة ـ وهو معدود في الضُّعفاء[٢] ـ عن كلثوم بن جَبْر ـ وهو ليسَ بالقويّ عندَ النَّسائيّ[٣] ـ قال : « قال معاويةُ يوماً لعمرو بن مرّةَ الجهنيّ : هل لكَ أنْ تقومَ مقامَاً تقول : إنّ قضاعةَ مِن مَعَدّ وأُطعِمك مصرَ والعراق سنةً ؛ قالَ : إذا شئتَ ، فتقدّمَ معاويةُ إلىٰ أصحابِهِ أن يكونوا حولَ المِنبَرَ ، وجاءَ عمرو بنُ مرّة يَرْفُلُ في حُلَلِه حتّىٰ صَعِدَ المنبر ، فحمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه ، وقال :

يـا أيُّهـا السـائِـلُ يـومَ المَعْجَـرِ حيثُ الْتقينا في العَجاجِ الأَكْبَرِ
قُضـاعـةُ بـنُ مـالـكِ بـنِ حِمْيَـرِ النّسـبُ المعـروفُ غيـرُ المُنْكَـرِ

فقال معاوية : مالكَ قَطَعَ اللهُ لسانَك . . . (الخبر) »[٤] فذكر أنّ ابنَهُ لامَهُ فأنشأ عمرو يقولُ ذلك الشعرَ المذكور في الرواية السابقة ، ولَمْ يَذْكُر في هذا الخَبَرِ الحديثَ عن النبيّ عليه السلام ، ثمّ نقل ابنُ عساكر بسنده إلى الزبير بن بكار قولَهُ عن الشّعر الذي فيه (قُضاعَةُ بنُ مالك بن حميرٍ) : « وحدّثني عُمَر بن أبي بكر المُؤَمِّليّ أنَّ ابنَ مزروعٍ الكلبيّ قال : هذا الشعر لأفلج بن يَعبوب المَشْجَعيّ ؛ قال : وقال أبو عبيدةَ : قائلُهُ عمرو بن مرّة الجُهَنيّ ؛ قال : ولا أحسبه إلاّ كما قالَ ابنُ مَزروع ، وذلكَ أنّي لَقيتُ وَلَدَ عمرو بن مرّةَ بدمشقَ ، فأنكروا هذا الشعرَ ،

---

(١) تاريخ دمشق ٦ : ٤٥٦ .
(٢) الجرح والتعديل ٩ : ٢٢٦ـ٢٢٧ .
(٣) ووَثّقه غيرُ النّسائي ؛ انظر الجرح والتعديل ٧ : ١٦٤ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٤١٣ .
(٤) تاريخ دمشق ١٣ : ٦١٠ .

وجحدوا أن يكونَ عمرو بن مرّة انتسب هذا النَّسَب ، وهم مُقيمونَ على نسبهم في مَعَدّ »[1] .

وفي هذا الخبر المرويّ عن عمرو أمورٌ تستوقفُ الباحثَ وتثيرُ الشكّ في صحّته مِن أوّله إلىٰ آخره ؛ فمنها ما سبق بيانُه مِن أنَّ رجالَ سنده وسند الحديث النبويّ المرويّ فيه ضُعَفاءُ لا يُحتَجّ بهم ؛ ومنها قولُ عمرٍو ـ بحسب ما نُسِبَ إليه في الرواية ـ : « فكتمتُ هذا الحديثَ حتىٰ كانَ أيّام معاوية » فهذا قول رجلٍ بقي حيّاً إلى ما بعد خلافة معاوية فجلس يحدّث بما جرىٰ أيامَ معاوية ، في حين أنَّ عَمْراً تُوُفِّيَ في خلافةِ معاويةَ[2] ؛ ومنها الأمرُ الذي دعاه إليه معاوية ، وهو أن يقول : إنّ قضاعةَ ابن معدّ ، فكيف يدعوه معاويةُ إلىٰ أمرٍ عَلِمنا مِنْ أخبار الجاهلية وأشعارها وما بعدَها إلىٰ زمان معاويةَ أنّه ما مِن أحدٍ قالَ بخِلافِه؟! ؛ ومنها هذان الشِّعران اللّذان نُسِبا إلىٰ عَمْرو ، فقد رأينا أنَّ وَلَدَ عمرو أنكروا أن يكون الشعر له ، ويؤكّد ما ذهبوا إليه أنَّ هذين الشّعرين نُسِبا إلىٰ غيرِه ؛ فأما الذي جاءَ فيه (قضاعة بن مالك ابن حِمْيَر) فإنَّ أقدم المصادر نسبته إلى أفلج بن يَعبوب المشجعيّ[3] ، ونبّه الزُّبير بن بكّار فيما نقل عن المؤمّليّ أنَّ الشعر لأفلج ، في حين لم يُنْسَب في المصادر القديمة إلى عمرو إلاّ عندَ ابن هشام[4] ، وعنهُ أَخَذ هذه النسبة ابنُ كثير[5] ، ونسبه إليه أيضاً بعض المصادر المتأخّرة[6] ، فدلّ إنكارُ وَلَدِ عمرو أن يكون له ونسبتُه في أقدم

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الاستيعاب ٣: ١٢٠٠ ، والإصابة ٤ : ٤٨١ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٤٤٨ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٨ ، والإنباه: ٣٣، والروض الأنف ١ : ٢٣ والجوهرة ١ : ٤٦٦ ؛ وجاءَ اسم الشاعر في جميع هذه المصادر (أفلح) بالحاء، وهو تصحيف، والصواب بالجيم كما ضبطه الآمديّ في المؤتلف والمختلف: ٦٧ و٢٤٩، والأفلج لقبٌ، واسمه سَلامة؛ وحُرِّفَ اسمُ أبيه في الإنباهِ إلى (يعقوب).

(٤) السيرة ـ لابن هشام ١ : ١١ .

(٥) السيرة ـ لابن كثير ١ : ٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٦ .

(٦) نهاية الأرب ـ للقلقشندي: ٤٠٠ ، والإصابة ٤ : ٤٨١ ، وجاء الشعر دون نسبة في: نسب قريش: ٥ ، والأغاني ٨: ٩١ ، والاكتفاء ١ : ١٢ ، ونشوة الطرب: ١٧١ .

المصادر لأفلج علىٰ أنه ليس لعمرو ، بل لأفلج ، وهو أحدُ بني مشجَعَةَ بن التَّيم بن النَّمِر بن وبرة أخي كلب بن وبرة ، وكان في زمن معاوية بن أبي سفيان[1] ؛ وأمّا الشعر الذي جاءَ فيه :

قَحطانُ والدُنا الذي نُدْعىٰ لَهُ وأبو خُزَيمةَ خِنْدِفُ بنُ نِزارِ

فإنَّ أوّلَ ما يستوقِفُ المَرْءَ فيهِ هو قوله (وأبو خزيمة خندف بن نزار) ، فما الذي دعا الشاعرَ إلىٰ ذِكْرِ خُزَيمةَ وخندِفَ ونزارٍ مع أنَّ أحداً لم ينسب قضاعةَ إلىٰ خزيمة ولا إلىٰ خندف ولا إلىٰ نزار بن معدّ ، وإنّما الخلافُ حدثَ حولَ كونِهِ ابن معدّ بن عدنان أو مِن وَلَدِ حِمْيَرَ مِن قَحطان؟ إنَّ ذلك يتبيّنُ حين نعرف صاحِبَ الأبيات والسبب الذي دعاه إلىٰ قول هذا الشعر ، فقد روى محمد بن سلّام عن أبيه[2] ، وأبو الفرج الأصفهانيّ بسنده إلىٰ محمد بن حبيب عن أبي عبيدة[3] أَنَّ رَوْحَ بنَ زِنباع الجُذاميّ قالَ ليزيد بن معاويةَ في يوم جمعةٍ لمّا فَصَلَ بين الخطبتين : يا أمير المؤمنين ، أَلحقنا بإخوانِنا مِن مَعَدّ ، فإنّا معدّيُّون ؛ فقال يزيد : إن أَجْمَعَ قومُكَ علىٰ ذلك جعلناك حيث شئتَ ؛ فبلغ ذلك عديّ بنَ الرِّقَاع العامليّ ، فقال في شعرٍ له :

إنّا رَضينا وإن غابت جَماعَتُنا ما قالَ سيّدنا رَوْحُ بنُ زِنْباعِ

فبلغ ذلكَ ناتِلَ بنَ قيس الجُذاميَّ فجاءَ في الجمعة الثانيةِ ، فلما قام يزيد علىٰ المنبر وَثَبَ فقال : أينَ الغادِرُ الكاذِبُ رَوْحُ بنُ زنْباع؟ فأشاروا إلىٰ مجلسه ، فأقبل عليه وعلىٰ يزيد ثمّ قال : يا أميرَ المؤمنينَ ، قد بلغني ما قالَ لكَ هذا ، وما نَعْرِفُ شيئاً منه ولا نُقِرُّ به ، ولكنّا قومٌ مِن قحطان يَسَعُنا ما يسعُهم ويعجِزُ عنّا ما يعجِزُ عنهُم ؛ فأَمْسَكَ رَوْحٌ ورَجَع عن رأيِه ، فقال عديّ بن الرقاع في شعرٍ له ، بحسب رواية ابن سلّام :

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٤٤٨ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٨ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٧٠٠ـ٧٠٣ وذكر محققه أنّ الخبرَ في الإكليل ١ : ١٥٩ـ١٦٠ ؛ ورواهُ عبد الكريم النهشليّ عن محمّد بن سلّام في الممتع في صنعة الشعر : ١٤٦ـ١٤٧ .

(٣) الأغاني ٩ : ٣١٤ـ٣١٥ .

لـو أَنْ أَطَعْتُكَ يـا غِـرارُ كَسَـوْتَنِي فـي كـلِّ مَجْمَعـةٍ ثيـابَ صَغـارِ

وفيه :

قحطانُ والِدُنا الذي نُدْعَىٰ لَهُ وأَبو. خُزَيمَةَ خِنْدِفُ بنُ نِزارِ

فقال له يزيد : غَيَّرْتَ يا بن الرّقاع ؛ قال : إنّ ناتلاً ـ واللهِ ـ أعزُّهما سُخْطاً ، وأنصحهما لي ولعشيرتي . ولم يروِ الأصفهانيّ البيتَ الأوّل ؛ وذكر الأستاذ محمود شاكر في حواشيه علىٰ طبقات فحول الشعراء لابن سلاّم أنَّ الهَمْدانيَّ رَوَىٰ هذا الخَبَرَ مَرَّتَيْن ، ونَسَبَ الشعرَ لعديّ بن الرقاع ، فأنشد البيت الأوّل في الرواية الأُولىٰ هكذا :

أَزُهيرُ إنِّي إنْ أطعتُ كَسَوْتَني في الناسِ ضاحيةً رداءَ صَغارِ

وذكر أنَّه يُخاطب به زهيراً العذريَّ ، وأنشده في المرّة الثانية هكذا :

لو أَنْ أَطعتُكَ يا عِرارُ كَسَوْتَنِي . . . . . . (البيت) .

وقال : « عِرار : لقب روح بن زنباع »[1] ونبّه الأستاذ شاكر علىٰ الخلاف بين رواية الهمداني ورواية ابن سلاّم في كلمة (عِرار) أو (غرار) ولم يُرَجّح إحداهما علىٰ الأخرىٰ ؛ وثمّة رواية أخرىٰ رواها ابن عبدِ البَرّ في مناقشته الخلافَ حولَ نَسَبِ عاملة ، قال : « وقد قيل : عاملة بن عامر بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، فأنكر ذلك عديّ بن الرقاع وتبرّأ منه ، فقال يخاطب الرَّاعيَ :

وإذا أطعتُكَ يا عُبَيْدُ كَسَوْتَني في النَّاسِ مَجْمَعةً رداءَ صَغارِ

. . . . . (الأبيات) »[2] .

فهؤلاءِ العلماء مُجمعون علىٰ رواية الشعر لعديّ بن الرقاع .

وقد روى ابنُ الكلبيّ خَبَرَ روحِ بنِ زنباع وناتل بن قيس مختَصَراً دونَ الشعر ، ولكنّ في روايته ما يبيّن السَّبب الذي دعا عديّاً إلىٰ ذكرِ خزيمةَ وخندِف ونزار ، إذ قالَ

---

(١) الإكليل : ١ : ١٥٩ ، نقلاً عن طبقات فحول الشعراء : ٧٠١ .

(٢) الإنباه : ٩٦؛ وكانت بين عديّ بن الرقاع وبين الراعي النميريّ ـ واسمه عُبَيْد ـ مهاجاة؛ انظر ديوان عديّ بن الرقاع : ١٧٥ ، وديوان الرّاعي النميري : ٧٨ .

ابن الكلبيّ عن ناتل : « كان سيّد جُذام بالشام ، وهو الذي رَدَّ علىٰ روح بن زنباع حين انتسب إلىٰ بني أَسَدَةَ بنِ خُزَيمةَ ، فجاء ناتل فقال : أين قام هذا الغادِر الفاجِر روح؟ قيل : ها هنا ؛ وكان شيخاً يومئذٍ وروحٌ شاباً ، فقال : ما نعرف هذا النسب ، نحن بنو قحطان »[1] . وقد انتسب روح إلى بني أَسَدَةَ لأنّه يُقال : إنَّ لَخْماً وجُذامَ وعاملةَ هم بنو أَسدةَ بنِ خُزَيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ ، والمشهور أنهم بنو عديّ بن الحارث بن مرّةَ بن أُدَد بن زيد بن يشجُب مِن وَلَدِ قَحطان ، وفي نسبهم خلاف[2] ؛ ومِن ثَمَّ كانَ ذِكرُ عديّ بن الرقاع لخزيمة وخندف ونزار ، وخندف هي أمّ مدركةَ بن الياس وسائر إخوته فعُرِفوا بها وقيل لهم : خندِف[3] .

وبذلك يتبيّن لنا أنَّ الأبيات ليست لعمرو بن مرّةَ يخاطب بها ابنه زهيراً ، بل هي لعديّ بن الرِّقاع العامليّ قالها في أمرٍ يخصّ الخلاف في نسب جُذام وعاملةَ قبيلتِه زمنَ يزيد بن معاوية .

فهذه الأمور التي تستوقف الباحثَ في الخبرِ المرويّ عن عمرو بن مرّةَ تدلّ علىٰ أَنَّهُ خبرٌ لا رَيْبَ موضوع عليه .

وقد لاحظنا أنَّ أبناءَ عمرو جحدوا أنْ يكون انتسب إلى حمير ، وأنّهم مُقيمونَ علىٰ نسبهم في مَعَدّ ، في حين لاحظنا أيضاً أنَّ عدداً من علماء النسب وغيرهم ذكروا أنَّ عمراً كانَ أوّل مَن ألحقَ قضاعةَ بحمير ، وأنشدوا قولَ البَلَويّ :

أيا إِخوتي لا ترغبوا عن أبيكُمُ ... ولا تهلكوا في لَجّةٍ قالَها عَمْرُو

وهذا يجعلنا أمام أمرين مُحْتَمَلَيْن : فإمّا أن يكونَ الرَّجُلُ انتسب إلىٰ حمير حَقّاً دون أن يرويَ ذلك عن رسولِ اللهِ ودونَ أن يَطْلُبَ معاويةُ ذلكَ إليه ، ولكنَّ أبناءَهُ رأوا الإقامةَ علىٰ الانتسابِ إلىٰ معدّ ، إذ لو صحّ عندهم وعند غيرهم أنّ النبيّ عليه السلام

---

(١) النسب الكبير ١ : ١٥٠ ، وفيه (أسد بن خزيمة)، والصواب ما أثبتُّه عن جمهرة النسب ١ : ٦، ونسب قريش : ٨ـ٩ ، وجمهرة أنساب العرب : ١١ ، والإنباه : ٩٩ .

(٢) جمهرة النسب ١ : ٦ ، ونسب قريش : ٨ـ٩ ، وجمهرة أنساب العرب : ١١ ، والإنباه : ٩٦ـ٩٩ .

(٣) جمهرة النسب ١ : ٥ ، وجمهرة أنساب العرب : ١٠ـ١١ .

نَسَبهم إلى حمير لما خالفوه إلى غيره ، فيكون (عمرو) في قول البَلَويّ هو عمرو بن مرّة ، ويكون قول العلماء إنَّه أوّل مَنْ ألحق قضاعة مبنيٌّ علىٰ ذلك ؛ وإمّا أنَّ عَمْراً لم ينتسب إلىٰ حمير واستمرّ أبناؤُه بعدَه علىٰ نسبهم إلىٰ معدّ ، فيكون مُرادُ البلوي بعمرٍو رَجُلاً غيره ، أو يكون البَلَويُّ متأخِّراً عن زمن عمرو وبلغَه الخبر الموضوع عليهِ فظنَّه صحيحاً فقال شِعْرَه ينكر الانتساب إلى حمير ، ويكون قولُ العلماءِ مبنيّاً علىٰ هذا الخبر الموضوع ؛ وهذا الاحتمالُ الأخيرُ أقوىٰ من الأوّل ، لأنّه لم يكن في زمن معاوية أسباب وَجيهة تدعو هذه القبائل من قضاعة إلىٰ الانتفاء من معدّ والانتساب إلى اليمن ، على خلاف ما نجد في الأزمنة التالية من عصر بني أميّة ، إذ جَرَت بين كلبٍ ـ وهي سيّدة قضاعة ـ وبين قيس عيلان حروب دعتهم إلى محالفة قبائل اليمن المقيمة في الشام ، ثمّ ادّعاء الانتساب إلى اليمن .

ويؤكّد ذلك ما ذُكِرَ عن **الأسباب التي دعت قضاعةَ وهيّجتها حتّىٰ انتَسَبَ مَنِ انتسب منهم إلى حمير بعدما كانوا مَعَدِّيّين** ؛ نجد ذلك فيما نَقَلَهُ ابنُ عبد البَرّ عن الشرقيّ بن القطاميّ الكلبيّ وعن محمّد بن حبيب، فقال: «قال الشرقيّ بن القُطاميّ : لم تَزَل قُضاعَةُ علىٰ نسبها في معدّ في الجاهلية وأوّل الإسلام إلىٰ أن أَحدَثَتْ حِلْفاً بينَها وبينَ أهل اليمن أيّامَ ابنِ الزبير وبَني مروان ، وذلكَ في غارات عُمَيْرِ بنِ الحُباب السُّلَمِيّ علىٰ كلب وغارات حميد بن حريث بن بحدَل الكلبيّ على فزارةَ ، فلم تزل كلب واليمن يَشُدّونَ ذلكَ الحِلْفَ ويحتجّونَ بحديثِ عمرو بن مرّةَ الجُهَنِيِّ ، وكانت له صحبة وسابقةٌ في الإسلام وطاعة في قومه ، فمالوا إلىٰ قوله . . . . . . قال الشرقيّ : فإن يكُنْ رسولُ اللهِ ﷺ قالَ فقد صدق رسولُ الله ﷺ . قال الشرقيّ : ومالأهم على ذَلكَ خالدُ بنُ يزيد بن معاويةَ ؛ خِلافاً على بني مروان[1]، ثمَّ استحكَمَ ذلكَ، فلم تزل قُضاعةُ في اليمنِ إلىٰ اليوم مختلفينَ في أنسابهم.

---

(١) كان سبب خلاف خالد علىٰ بني مروان أنَّ مروان بن الحكم حين بُويع بالخلافة جُعِلَتِ الخلافةُ مِن بعدِه لخالد، فصَرَفَها عنه فيما بعد وجعلها في وَلَدِه، فأحفظه ذلك؛ انظر نقائض جرير والأخطل: ١٧، وتاريخ الطبري ٥: ٥٣٠ـ٥٤٠، وتاريخ دمشق: ٥: ٥٧٩ـ٥٨٧، ومختصره ٨: ٣٣ـ٣٧.

وقال محمّد بنُ حبيب : إنَّما فَسَدَ نَسَبُ قضاعةَ بالحرب التي كانت بالشام أيامَ حميد بن حريث وعمير بن الحباب ، وذلكَ أنَّ خَالدَ بنَ يزيد قالَ لأَخواله مِن كلب ـ وكانَ مُطاعاً فيهم ـ وهم سادةُ قُضاعةَ : أَطيعوني وحالفوا اليمن وانتسبوا إليها ، فإنكم تُذِلّونَ بذلكَ بني مروانَ ومَنِ انحطَّ في أَهوائهم مِن قيس وغيرها ؛ فأطاعَهُ بعضُهم وعصاهُ آخرون ، فكان بعضُهم يقول : حَالَفْنا اليمن ، وبعضُهم يقول : بل نحنُ منهم »[1] .

وقد ذكر علماءُ النسب **سبب هذا الاختلاف في نَسَبِ قضاعة** ، إذ روىٰ البلاذريّ عن ابن الكلبيّ أنَّ أُمّ قُضاعةَ اسْمُها مُعانةُ بنت جَوْشَم بن جَلْهَمَة مِن جُرْهُم ، وذكر البلاذريّ الاختلافَ في اسمها ثمّ قال : « قال هشام بن محمّد : يُقالُ إنَّ مُعانَةَ كانت عندَ مالكِ بنِ عمرو بن مرَّةَ بن مالك بن حمير ، ثمّ خَلَفَ عليها بعدَه معدّ بن عدنان ، فجاءَت معها بقضاعةَ بن مالك بن عمرو ، فكان يُقالُ لَهُ قضاعةُ بن مَعَدّ ، فوَلَدت . قال : ويُقال إنَّ مُعانَةَ كانت بَدِيّاً عِنْدَ مَعَدّ ، فولدت لهُ قضاعةَ ، ثمّ خَلَفَ عليها مالك بن عمرو وتبنّىٰ قضاعةَ فَنُسِبَ إليه ، وإنَّ قضاعة كان يسمّى عمراً ، فلمّا تَقَضَّع عن قومِهِ ـ أي بَعُدَ ـ سُمِّيَ قضاعةَ ؛ واللهُ أعلم »[2] ، فهذا قولُ ابن الكلبيّ .

وذكرَ علماءُ غير ابن الكلبيّ هذا الخلافَ ، وهم مُتفاوِتُونَ في ذلك ، فكانَ البلاذريّ أَكثرهم اتّساعاً ، إذ نقل قولَ ابن الكلبيّ ، ثمّ نقل بسنده إلىٰ أبي عمرو بن العلاء أنّه قال : « لم تَزَل قضاعةُ مَعَدِّيَّةً في الجاهلية ، وتحوّلوا فقالوا : قضاعة بن مالك بن عمرو ، وذلك لأنّ بني مالك بن عمرو إخوتُهم لأُمّهم »[3] ، ثم ذكر أنَّ عمر بن عبد العزيز ـ وكانت أمّ أبيه كلبيّةً ـ لامَ بعضَ أخوالِ أبيه علىٰ انتمائهم إلى حمير وقال لهم : « إنّ عليّ منكم لَغَضاضَةً ؛ عَضّتكم حَرْبُ قومٍ فابتغيتم عن أبيكم وانتميتم إلى غيره ، وكنتم إخوة قومٍ لأمّهم فصيّرتم أَنفُسَكم إخوتَهم لأبيهم

---

(١) الإنباه : ٣٢ـ٣٣ ، ونقل صاحب الجوهرة ١ : ٤٦٤ نصّ محمد بن حبيب عن الإنباه .
(٢) أنساب الأشراف ١ : ١٥ وهشام بن محمّد هو ابن الكلبيّ .
(٣) المصدر نفسه ١ : ١٦ .

وأمّهم »[1] ، ثمَّ ذكر عن عدد من العلماءِ القولَ بأنَّ عمرو بن مرّة هو أوّل مَنْ ألحق قضاعة بحمير ، ولَمْ يَرْو حديثَهُ عن النبي ﷺ ، وروىٰ حديثَ عائشةَ ، وأَنشد أشعاراً في هذه القضيّة .

ومِن أولئك العلماء من توسّعوا في ذلك بعض التوسّع ، فذكروا أنّ قضاعةَ هو ابن مَعَدّ وأنّهم انتسبوا إلى حمير ، وسوّغوا ذلك الانتساب بأنَّ أمّ أبيهم كانت عندَ مالك ثمّ خلف عليها معدّ وهي حاملٌ فولدت قضاعةَ علىٰ فراشِه ، أو أنّه كان صغيراً فاحتملته معها ، فنُسِبَ إلىٰ مَعَدّ إذ كانت العرب تنسب الرَّجُل إلىٰ زوج أمِّه الذي يربّيه ؛ ونبّه أولئك العلماء علىٰ أنَّ أشعارهم وأشعار غيرهم في الجاهلية وصدر الإسلام تدلّ على أنهم معدّيون ، واستشهدوا بشعرٍ لجميل بن معمر العذريّ القُضاعيّ وزيادةَ بنِ زيد العذريّ ولبيدٍ وزُهير[2] .

ومنهم مَنِ اكتفىٰ بعدِّهم مِن وَلَدِ معدّ وبالإشارة إلىٰ أنّهم انتسبوا إلىٰ حمير[3] . ومنهم مَن نقل القولَ بأنّهم مِن معدّ والقولَ الآخَر بأنّهم مِن حمير ، دونَ مُنَاقشةٍ لهٰذين القولين[4] .

وكما اختلفت قضاعةُ في نسبها منذ خلافة معاوية ، **اختلفَ العلماءُ نتيجةً لذلك** ؛ فذهب قومٌ إلىٰ أنّهم مِن معدّ بن عدنان ، قال ابن عبد البَرّ : « فأمّا قضاعةُ

---

(١) المصدر نفسه ١ : ١٦ ؛ وقوله : (فابتغيتم عن أبيكم) أي ابتغيتم سواهُ ، ولعلّه تصحيف صوابُه : (فانتفيتم مِن أبيكم) . وأرادَ بقوله : (عضّتكم حربُ قوم) ما كانَ بينهم وبين قيس عيلان أيامَ الفتنة بين عبد الملك وعبد الله بن الزبير ؛ انظر الحديث عن ذلكَ فيما يأتي ، ص٩١ ـ ٩٥ .

(٢) نسب قريش : ٥ـ٦ ، والأغاني ٨ : ٩٠ـ٩١ ، والإنباه : ٣١ـ٣٥ ، والروض الأنف ١ : ٢٣ـ٢٤ ، والجوهرة ١ : ٤٦٤ـ٤٦٧ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٤ـ٦ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٥ـ١٤٦ .

(٣) السيرة ـ لابن هشام ١ : ١١ ، والمعارف : ٦٣ ، والاكتفاء : ١ : ١٢ ، ونهاية الأرب ـ للنويريّ ٢ : ٢٨٣ .

(٤) الكامل لِلمبرّد : ٥٨٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٨٢ ، وجمهرة أنساب العرب : ٨ و٤٤٠ ، وشروح سقط الزند : ١٠٨٧ ، ونهاية الأرب ـ للنويري ٢ : ٢٩٤ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٤٠٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٣١٥ ؛ ورجَّح المبرِّدُالقولَ الثاني ، ونقل ذلك عنه عبد الكريم النهشليّ في الممتع : ٢٤٨ .

فالاختلافُ فيه كثير ، والأكثرُ علىٰ أنّهم مِن معدّ بن عدنان »[١] ، وهؤلاءِ متّفقون علىٰ أنَّ نَسَبَ معدّ بن عدنان ينتهي إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السَّلام ، غير أنَّ ما بينَ عدنان وإسماعيل غيرُ مُتَّفَق عليه ، ولا يقطع به أَحَد ، وقد روىٰ ابن الكلبيّ بسنده إلىٰ ابنِ عَبّاس أنَّه قال : « كانَ رسولُ الله ﷺ إذا انتهىٰ في النسب إلىٰ معدّ بن عدنان أَمسَكَ ، ثمّ قال : كذب النّسّابونَ ، قالَ اللهُ جلَّ ثناؤه : ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلكَ كَثيراً﴾ ، قال ابن عَبَّاس : ولو شاء رسولُ اللهِ ﷺ أن يعلمه لَعَلِمَه ؛ وقال : بين معدّ ابن عدنان وبين إسماعيل ثلاثون أباً »[٢] ؛ فَمِنْ هؤلاء القوم : الشّرقيّ بن القُطاميّ ، وأبو عمرو بن العلاء ، وابنُ إسحاق في روايةِ ابن هشام ، ومصعب بن عبد الله الزّبيريّ ، وابن أخيه الزبير بن بكّار ، ومحمَد بن حبيب ، ومحمّد بن سلاّم ، وابن الأعرابيّ ، والمفضّل الضّبي ، والقاسم بن معن ، ومؤرّج بن عمرو السدوسي ، وأبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسيّ[٣] .

وذهب قوم آخرون إلىٰ أنّهم مِن حمير مِن اليمن ، واختُلِفَ فِيمَنْ بين قضاعة وحمير من الرجال ، فقيل : هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير ، وهو قول ابن الكلبيّ ، وقيل : هو قضاعةُ بن مالك بن حمير ، وهو قول ابن إسحاق[٤] ، وقولُ ابنِ الكلبيّ أَثبت ، لِعِلْمِهِ بالنَّسَبِ ولأنّهم قومُه ، في حين أنَّ ممّا

---

(١) الإنباه : ٣١ .

(٢) جمهرة النسب ١ : ١ ، وجاء الحديث في : طبقات ابن سعد ١ : ٢٨ ، والمعارف : ٦٣ ، وتفسير الطبريّ ٨ : ١٨٧ ، والإنباه : ١٩ و٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ : ٣٤٤ـ٣٤٥ ، والدر المنثور ـ للسيوطي ٥ : ٩ـ١٠ ، وكنز العمّال ٧ : ١٤٩ و١٠ : ٢١٨ .

(٣) انظر : السيرة ـ لابن هشام ١ : ١١ ، ونسب قريش : ٥ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٦ ، والأغاني ٨ : ٩٠ـ٩١ ، والإنباه : ٣١ـ٣٥ ، وشروح سقط الزند : ١٠٨٧ ، والروض الأنف ١ : ٢٣ ، والجوهرة ١ : ٤٦٤ـ٤٦٦ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٤ـ٦ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٥ـ١٤٦ .

(٤) انظر : النسب الكبير ٢ : ٢٩٩ ، والسيرة ـ لابن هشام ١ : ١١ ، ونسب قريش : ٥ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٥ ، والأغاني ٨ : ٩٠ ، وجمهرة أنساب العرب : ٨ و٤٤٠ ، والإنباه : ٣٣ ، والروض الأنف ١ : ٢٣ـ٢٤ ، والجوهرة ١ : ٤٦٥ ، وتاريخ أبي الفداء ١ : ١٢٦ ، ونهاية الأرب ـ للنويري ٢ : ٢٩٣ ، وتاريخ ابن الوردي ١ : ١٤٠ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٦ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٤٠٠ ، وصبح الأعشى ١ : ٣١٥ .

أُخِذَ علىٰ ابنِ إسحاقَ أنَّهُ كان يُخْطىء في النسب الذي أورده في كتابه في السيرة[1] .

ومِن هؤلاء القوم ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام ، وأبو عبيدة ، والمبرّد ، وأبو أحمد العسكريّ[2] ، ورُويَ أنَّ ابن الكلبيّ كان يذهب هذا المذهب[3] ، غير أنَّ أقوالَهُ تدلّ علىٰ أنّه لم يكن يقطع برأي في هٰذا الأمر ، فقد سَبَقَ قولُه الذي نقله البلاذريّ عنه في سبب الخلاف حَول نسب قضاعة ، فرأينا أنّه نقل القول بأنَّ معدّاً خلف علىٰ أمّ قضاعةَ بعد مالك ، والقول الآخر بأنّ مالكاً خلف عليها بعد معدّ ، وختم ذلك بالقول : « والله أعلم » ، وهذا يدلّ على أنَّ الرَّجُل لا يقطعُ برأيٍ في ذلك ، ومِنْ ثمَّ نجده يقول في بعض كتبه حيناً : « فولد معدّ بن عدنان : نزاراً ، و . . . . ، وقضاعَة . . . . وقد انتسبوا في حمير »[4] ، ويقول حيناً آخر : « واسمُ قُضاعةَ : عمرو ، وإنَّما سُمِّيَ قُضاعةُ لانقضاعه عن قومه ، وهو ابتعاده ، ؛ وإخوته لأمّه : نزار و . . . ، بنو مَعَدّ بن عدنان »[5] ، ثمَّ قال : « فَوَلَدَ مالكُ بنُ عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك بن حمير : قضاعةَ ، أُمُّهُ مُعانَةُ بِنتُ جَوْشَم . . . . . »[6] ، ويذكر بسنده إلىٰ ابن عَبّاس فيما نقل البكريُّ عنه سَبَبَ افتراقِ وَلَدِ مَعَدّ ، فيسمّي قُضاعةَ عمرَو بنَ معدّ بن عدنان[7] ؛ وبذلك يَصْعُبُ أن نَقْبَلَ قولَ

---

(١) الفهرست : ١٨٣ .

(٢) انظر : الكامل ـ للمبرد : ٥٨٠ ، ومقاييس اللغة ١ : ٤٢١ ، وتصحيفات المحدّثين : ٣١٣، والممتع في صنعة الشعر : ١٤٨ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٤٠ ، والإنباه : ٣٣ ، والروض الأنف ١ : ٤٣ ، والجوهرة ١ : ٤٦٥ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٦ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٤٠٠ .

(٣) انظر : الإنباه : ٣٣ ، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٥ ، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٦ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٤٠٠ .

(٤) جمهرة النسب ١ : ٢ـ٣ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٢٩٩ ، وفيه (لانقضاعه عن قومه ، وهو انقضاعُه) تحريفٌ واضح ، والانقضاع : الابتعاد .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٢٩٩ .

(٧) نقل البكريّ الخبرَ عن ابن الكلبيّ بسنده إلىٰ ابن عبّاس في معجم ما استعجم : ٥ و١٧ (المقدمة) ، ونقل ياقوت طَرَفاً منه عن أبي المنذر ـ وهو ابن الكلبيّ ـ في معجم البلدان (جدّة) .

مَنْ نَسَبَ إليه أنَّه كانَ يذهب إلىٰ أنّ قضاعةَ مِن حمير ، وإنّما كانَ الرَّجُل ينقُلُ أقوال العُلَماءِ ويرويها ، فلمّا لم يجد مُرَجِّحاً نَقَلَ قولَ كلٍّ فِرْقةٍ .

والرّأي الذي أَميل إليه هو ما ذهب إليه أكثر القوم مِن أنَّ قضاعةَ مَعَدِّيّون ، وذلك لأنَّ الأدِلّةَ بيّنت أنَّهم كانوا كذلك منذ قديم الجاهلية ، ولأنَّ انتساب مَن انتسب منهم إلى حمير لم يكن إلاّ في عصر بني أميّة وعلّلوا ذلكَ بما علّلوهُ مِن أنَّ قضاعةَ كان في بطنِ أمِّه حينَ خَلَفَ عليها مَعَدّ ، ولو أنَّ الأمرَ كان كما زعموا لوصل إلينا مِن الأخبار ما يدلّ علىٰ أنَّ بعضهم انتسب إلىٰ حمير في الجاهلية ، ولَوَجَدوا في ذلكَ دليلاً يعتمدونَ عليه ، فلمّا لم يجدوا ذلك ذهبوا إلىٰ وضع الخَبَر على لسان بعض الصحابة والحديث علىٰ لسانِ النبيّ عليه السّلام ليكون لهم بذلك حُجّة لا تُعارَض ، وقد بيّنتُ فيما سَبَقَ الأمور التي تؤكّد ذلكَ الوَضعَ والاختلاق .

وقد **تركت هذه القضيّةُ أثراً بيّناً في شعر العصر الأمويّ** زمن ظهورها ، فنجد في أشعار بني كلب ما يدلّ على أنَّ من شعرائهم مَنْ كان يؤيّد الانتماء إلى حمير[١] ، ومنهم مَنْ وَقَفَ موقف الغاضب المستنكر[٢] ؛ ونجد صدىً قويّاً لذلك عند شعراء معدّ ، إذ أنكروا ذلك ا لمنتمىٰ وعابوه علىٰ قضاعة ودعوها للعودة إلىٰ نسبها في معد ، ولا سيّما الكميت بن زيد الأسديّ الذي أكثر مِن ذكر هذه القضيّة في شعره ، وجرير ، والقُطاميّ التغلبيّ الذي أَنشأ قصيدة تزيد على مئة بيت خصّ قسماً كبيراً منها بهذه القضيّة ، وغير هؤلاء من الشعراء[٣] .

---

(١) انظر القطعة ١٢ من شعر مجاهيل الأمويّين من شعراء كلب، وشعر حكيم بن عيّاش، ص٤٩٣ من الديوان، والقطعة ١ من شعر عمران بن هلباء، ص٤٩٨، وشعر كلثوم بن وائل الكلبي، ص٥٩٨ ـ ٥٩٩ من الديوان.

(٢) انظر شعر المُثَلَّم الكلبي، ص ٦٧٥ من الديوان، والقطعة١٢ من شعر مجاهيل الأُمويين، ص ٧٤٠.

(٣) انظر: ديوان الكميت ١ : ٢٣٦ و٢ : ٤٨، ٥١، ٥٧، ٥٨، ٦٤، ٦٧، ٧١، ١٠٦، ١١٦، وديوان القطامي: ١٣٧ـ١٤٩، وديوان جرير: ٤٦١، ٤٧١ـ٤٧٢، والحيوان ٤ : ٣٢٥ـ٣٢٦، والبيان والتبيين ٢ : ١٨٤، وربيع الأبرار ٤ : ٢٦، والإنباه: ٣٤ـ٣٥، والروض الأنف ١ : ٢٤، والجوهرة ١ : ٤٦٦ـ٤٦٧، ونهاية الأرب للنويري ٢ : ٢٩٤، والسيرة ـ لابن كثير ١ : ٥، والبداية والنهاية ٢ : ١٤٥ .

٢ـ بُطُونُ بَنِي كَلْب :

إن من حُسْن الطّالع أن يَصِلَ إلينا نسبُ بني كلب مُدَوّناً في كتابٍ لعالمٍ من علماءِ النّسبِ الذين ينتسبون إلى القبيلة نفسها ، وهو أبوْ المنذر هشام بن محمَّد بن السائب الكلبي المتوفّى سنة ٢٠٤هـ ، وقد أخذ عِلْمَهُ بالنسب عن أبيه الذي كان يروي عن مشايخهم من الكلبيّين ، وعن غيرهم ، ويُعَدّ ابن الكلبي من أعلم الناس بأنساب العرب ، وكتُبُه في الأنْسَابِ من الفرائِدِ في هذا الفن ، والناسُ في أنساب العرب عالةٌ عليه[١] .

وقد دوّن ابن الكلبيّ نسبَ قومِهِ في كتابِهِ (النّسب الكبير) فاستأثر نسبُهم بما يزيد على مئة صفحةٍ من صفحاتِهِ[٢] ، وما يهمّنا هنا هو الوقوف عند البطون المشهورة التي يَرِدُ لها ذِكرٌ مهمٌّ في أشعار القوم وأخبارهم وتراجم شعرائهم ، دون غيرها من بطونهم ، ذلك أنّ بني كلب قبيلة كبيرةٌ ، وبطونٌ كثيرة ، إذْ عَدَّ محمد بن حبيب أباهم كلْبَ بن وَبرة من حمقى العرب المنجبين[٣] ، كما عدَّ بني كلبٍ من جماجم العرب[٤] ، وقال ابن فارس : « وجماجم العرب : التي تجمَعُ البطون فيُنْسَبُ إليها دونَهُم ، نحو كلب بن وبرة ، إذا قلتَ : كلبيٌّ واستغنيْتَ أن تَنْسُبَ إلى

---

(١) انظر ترجمته في : الفهرست : ١٨٩ـ١٩٤ ، وتاريخ بغداد : ١٤ : ٤٥ ، ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٩١ ووفْيات الأعيان ٦ : ٨٢ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٠٠ـ٤٠٣ ، وقد قام الأستاذ محمود فردوس العظم بتحقيق هذا الكتاب لكن هذا التحقيق لم يسلم من كثرة التصحيف والتحريف والغلط في الضّبط وإفساد الشعر ، وغير ذلك ممّا أفسد الكتاب ، وقد سَجَّلْتُ المواضِعَ التي وقع فيها هذا الإفساد في نسب بني كلب وحدَهم ، مع الإشارة إلى الأدلّة على ذلك الإفساد ، فبلغ ما يزيدُ على خمسَ عَشْرة صفحة ؛ والأمر الذي أدّىٰ إلى ذلك أنّ المحقّق صَرَف اهتمامَهُ إلى المصادر الأدبية والتاريخية التي وَجَد فيها أخباراً عن الأعلام المذكورين في كتاب ابن الكلبي فَجَعَل ينقل تلك الأخبار في حواشِيهِ ، فكان من تلك الحواشي ما بلغ عشر صفحاتٍ ومنها ما بلغ أكثر من ذلك ، في حين أنّه صَرَفَ النّظر عن كتب النَّسَبِ والرّجال التي ينبغي أن تكون أهمّ عُدَّةٍ لمحقّق كتاب هو أهمّ كتب النّسب العربية .

(٣) المحبّر : ٣٨٠ .

(٤) المحبر : ٢٣٤ ، ومثله في جمهرة أنساب العرب : ٤٨٦ ، ثمّ قال ابن حزم : «والجماجم عن ابن الكلبي : كنانة ، وتميم . . . . ، وقضاعة» فذكرهُنّ عشر قبائل .

شيء من بطونها »[1] ، ونقل عبد الكريم النهشلي عن نَسَّابي مُضَر قولهم : « إنّ قُضاعة بنَ مُعدّ أكبر من ربيعة ومُضَر عدداً ، وإنّ كلبَ بن وبرة بسَماوةِ كلب تُرْبي على قيسٍ وخِنْدِفَ في البَدْو والحَضَر »[2] ؛ ومِنْ ثَمَّ كانَ لاسْتِئْثَارِ بني كلبٍ بتلك الصفحات من كتاب ابن الكلبي ما يُسوِّغُهُ غير حُبّ الرَّجُلِ عشيرَتَهُ .

فذكر ابن الكلبي أنّ كَلْباً وَلَدَ : ثَوْراً ، وكَلَداً ، وأبا حُباحب[3] ، فأمّا أبو حُباحِب فلم يذكر أنَّهُ وُلِدَ له ؛ وأمّا كَلَد فوَلَدَ : أهْيَبَ ، وهو بطنٌ مع بني معاوية بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف ، من ولد أخيه ثور ؛ وأمّا ثور فعنده يلتقي نسبُ جميعِ بطونِ كَلْبٍ ما خلا أهْيَب .

فقد وَلَدَ ثورٌ : رُفَيْدة ، وهو بطن ؛ وعُرَينة ، بطن ، وصُحْباً ، بطن[4] . فأمّا عُرَيْنَةُ فمن وَلَدِه بنو مُسْلِم بن شَكَل بن يَرْبوع بن الحارث بن عرينة ، دخلوا في بني العُبَيْد بن عامر من وَلَدِ رُفيدة[5] ؛ وأمّا صُحْبٌ فذكر ابنُ الكلبي وغيره أنه بطنٌ ، ولم يزيدوا على ذلك شيئاً[6] . وأمّا رفيدة ففي وَلَدِهِ العَدَدُ .

فَوَلَد رفيدةُ تسعةَ أبناءٍ كلُّهم أُضيفَتْ أسماؤهم إلى اللاّت ، فالّذين ذُكِرَ أبناؤُهم خمسة : زيد اللاّت ، وتيم اللاّت ، ووَهْب اللاّت ، وأوس اللاّت ، وسَعْد اللاّت[7] .

---

(١) مقاييس اللغة ١ : ٤٢١ ، ومثله في اللسان والقاموس (جمم) .

(٢) الممتع : ١٤٧ ؛ والسَّماوة : هي بادية كلب ، انظر الحديث عن منازلهم ، ص : ٥٩ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٠٢ ، ومثله في جمهرة أنساب العرب : ٤٥٥ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٠٤ ، ومثله في جمهرة أنساب العرب : ٤٥٥ ، وذكر ابن الكلبيّ أخاً رابعاً لهم اسمُه : صُبْح ، ولم يُنْجب سوى امرأة ؛ وجاء ذِكْرُ صُحْب أيضاً في جمهرة اللغة ١ : ٢٢٤ ، والإيناس : ١٣٤ ، والتكملة ـ للصغاني (صحب) ، ونهاية الأرب للقلقشندي : ٣١٣ غير أنّه ضُبط في الجمهرة بفتح الصاد ، وهو غلط مطبعيّ ، إذْ صرَّح الصَّغاني بالنقل عن ابن دُرَيد صاحب الجَمْهَرة ، وأنّه بالضَّمّ ؛ كما جاء ذِكْرُ رُفَيْدة وعُرَيْنَة في : الاشتقاق : ٥٣٧ـ٥٣٨ ؛ وجاء ذكر رفيدة وحدَه في المعارف : ١٠٤ ، ونهاية الأرب للقلقشندي : ٢٦٤ ؛ وجاء ذكرُ عُرَيْنة في الإيناس : ١٥٦ ، ونهاية الأرب ـ للنويري ٢ : ٢٩٥ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٠٥ ، وجاء ذكر بني شَكَلٍ في المحبّر : ٢٥٦ .

(٦) انظر المصادر التي ذكرَتْهُ في الحاشية : ١ .

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٠٦ ، وذكر ابن دريد في الاشتقاق : ٥٣٨ هؤلاء ما خلا أوس اللاّت ، وذكر معهم اثنين آخرين ممّن لم يُذكَر له ولد ؛ وجاء ذِكْرُ تيم اللات في التكملة للصغاني (شعش) ، وذكرهم أيضاً القلقشندي في نهاية الأرب : ١٩٢ ، كما ذكر بني زيد اللات في الصفحة : ٢٨٠ .

فأمّا سعد اللاّت وأوس اللاّت فدخل بنوهما في بطونٍ من بني زيد اللات[1] ، وأمّا وَهْب اللات فَوَلَدَ عدداً من الأبناء ، ومنهم بطون ، ويَهُمُّنا من هذه البطون بنو وَدْم بن وَهْب اللاّت ، إذ إنّ من وَلَدِه الحارثَ بن زهير بن تيم اللاّت بن وَدْم بن وَهْب اللاّت الشاعر ، وقد دخل بنوه في بني تغلب[2] ؛ وأما تيم اللاّت فولَدَ عدداً من الأبناء ، ومنهم عدد من البطون منها بنو أَسْلُم بن تدول بن تيم اللاّت[3] ؛ وأما زيد اللاّت فإنّ العدد في وَلَدِه .

فقد وَلد زيد اللاّت عدداً من الأبناء ، وهم بطونٌ ، ويهمّنا منهم : عُذْرَةُ ، والخَزْرَجُ ، وأبو سُود ، واسمه عمرو[4] ؛ فأمّا الخزرج فهُمْ بطنٌ واحدٌ مع بني كنانة ابن عوف بن عذرة أخيهِ ومنهم عَمِيرة بن أوس بن ثعلبة بن عوف بن كعب بن ذُهْل بن الخزرج وكان يُقال له الملك ، وكان على إحدى المَجْنَبَتَيْنِ يومَ السُّلاّن[5] ؛ وأمّا أبو سُود فمن وَلَدِه عددٌ من البطون التي لا داعي إلى ذكرها[6] ؛ وأمّا عُذْرة ففي وَلَدِه : العددُ والبطون الكثيرة .

فمن بطون بني عُذْرة بن زيد اللاّت : بنو بكر بن عوف بن عذرة ، وبنو كنانة ابن عوف بن عذرة وهم **كنانةُ كلبٍ** ، وفي كليهما بطون كثيرة[7] ، وفيما يلي تفصيلُ ذِكْرِها :

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٠٦ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٩٧ـ٣٩٨ ، وذكرهم ابنُ دريد في الاشتقاق : ٥٤٢ ، غير أنّ عنده «بنو وَذَم» بفتح الواو والذال؛ كما ذكرهم الوزير المغربي في الإيناس : ١٩٧ والصَّغاني في التكملة (ودم) والفيروز أبادي والزَّبيدي في القاموس والتاج (ودم) ، وفيها كلها (وَدْم) كما هو في النسب الكبير ، وهذا يرجّح كون (وَذَم) عند ابن دريد وهماً منه ، ذلك أنّه فسَّرَ معناه بناءً على ذلك .

(٣) انظر تفصيل نسب بني تيم اللات في النسب الكبير ٢ : ٣٩٨ـ٤٠٢ ؛ وجاء ذكْرُ أَسْلُم بن تدول في الإيناس : ١٩ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٠٦ ؛ وجاء ذكر عذرة والخزرج ٱبْنَيْ زيد اللات في : نهاية الأرب للقلقشندي : ٥٣ ، وجاء ذكر بني عذرة بن زيد اللات في : الاشتقاق : ٥٣٨ ، والإيناس : ١٤١ ، ونهاية الأرب للقلقشندي : ٣٨٩ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٠٦ .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٩٦ .

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٠٨ ، وذكر ابنُ الكلبي بطونَ بني بكر بن عوف في الصفحات ٣٠٩ـ٣٧٥ وبطونَ بني كنانة بن عوف في الصفحات : ٣٧٥ـ٣٩٥ .

ـ بطون بكر بن عوف بن عذرة :

وَلَد بكر بن عوف بن عذرة عدداً من الأبناء ، منهم : كنانة بن بكر بن عوف ؛ وعوفُ بن بكر بن عوف ، وفي وَلَدِهِ بطون أيضاً[١] .

فولَدَ كنانةُ بن بكر بن عوف : عبدَ اللهِ ، يقال لوَلَدِه : **بنو عبد الله** ؛ وعوفاً وهو العُنْظُوان ، بطنان ؛ فأما العنظوان فدخلوا في بني عبد الله ، منهم الرّأساء بن نهار الشاعر[٢] ؛ وأمّا عبد الله بن كنانة فوَلَدَ : هُبَل ، وغيره[٣] ، ويُقال لولد هُبَل : الهُبَلات[٤] ، وكان هُبَل شاعراً ، وهو أقدم مَنْ وصل إلينا شعره من بني كلب[٥] ، فَولَدَ هُبَلُ بن عبد الله : **جَنَاباً** إليه العددُ والبيت ، وعُبَيْدة بن هُبَل ، بطن ، وغيرهما بطون ؛ وقد وَلد جناب بن هُبَل : **زهير بن جناب** الشاعر ، وهم بطنٌ ؛ **وعَديّ بن جناب** ، بطنٌ ، وكان عديّ يُحَمَّق ؛ **وعُلَيم بن جناب** ، بطن ؛ **وحارثة بن جناب** ، بطن ؛ ومالك بن جناب ، كان شاعراً ، وهو الأصمُّ الكلبيّ[٦] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٠٩ ، وذُكِر بنو كنانة بن بكر في : الاشتقاق : ٥٤٠ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٥ ، ٤٧٩ ، ونهاية الأرب للنويري ٢ : ٢٩٥ ؛ كما ذُكِر عوف بن بكر بن عوف في : نهاية الأرب للقلقشندي : ٣٨٣ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٠٩ و٣٥٧ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٠٩ ، وذُكِر عبد الله بن كنانة في : نهاية الأرب للقلقشندي : ٣٨٣ ؛ وذُكِر العنظوان في : الاشتقاق : ٥٤٠ ؛ وذُكِر هُبَل في : جمهرة أنساب العرب : ٤٧٩ .

(٤) التكملة للصغاني (هبل) ، والقاموس والتاج (هبل) .

(٥) انظر ترجمته وشعره في الديوان .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣١٠ـ٣١٢ ؛ وجاء ذِكْرُ بني عُبَيْدَة بن هُبَل وبني جناب بن هُبَل : زهيرٍ وأخوته في : جمهرة أنساب العرب : ٤٥٥ـ٤٥٦ ؛ وجاء في المصدر نفسِهِ : ٤٧٩ ذِكْرُ بني زهير وعديّ وعليم بني جناب ؛ وجاء في الاشتقاق : ٥٤٠ـ٥٤١ ذكرُ بني جناب وبني عُلَيْم بن جناب ؛ وجاء في نهاية الأرب ـ للنويري ٢ : ٢٩٣ ذِكْرُ بني عليم وبني زهير ابني جناب ؛ وجاء في التاج (هبل) ذكرُ بني زهير بن جناب ؛ كما جاء ذِكْرُ بني عبيدة بن هبل في التاج (هبل) ؛ وعديّ بن جناب في : المحبّر : ٣٨٠ ؛ وزهير وعديّ وعليم وحارثة ومالك في : المؤتلف والمختلف ـ للدارقطني ١ : ٤٦٧ـ٤٦٨ ، والإكمال ٢ : ١٣٥ـ١٣٦ ، والروض الأنف ١ : ١١٠ ؛ وجاء ذِكْرُ بني جناب بن هُبَل في : نهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٢١٩ ، وذكر القلقشندي في الصفحة ٢٧٥ بني زهير بن جناب ، وفي الصفحة : ٣٥٧ بني عديّ ، وفي=

وفي كلّ بطنٍ من بطون بني جناب بطونٌ أصغر ، فمن بطون بني عديّ بن جناب : بنو نهشل بن عديّ ، وبنو هُذَيم بن عديّ ، وبنو تُوَيْل بن عديّ ، وبنو حِصْن بن ضمضم بن عديّ ؛ ومن بني حصنٍ بنو الرَّباب ، وهي الرَّباب بنت أُنَيْف بن حارثة بن لأمِ بن عمرو بن طَرِيف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذُهل بن رومان ، من طيّء ؛ كانت عند عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم ، فولدَتْ له الأصبغ وجُزَيّاً وعروة ، ثم خلف عليها الأحوص بن عمرو بعد أبيه نكاحَ مَقْتٍ فولدَتْ له : الفَرافِصةَ وعُمَيْراً وعوفاً ؛ فَيُقال لبنيها من عمرو ومن الأحوص : بنو الرباب(١) .

ومن بطون بني عُلَيْم بن جَناب : بنو عبد الله بن عليم ؛ وبنو حصن بن كعب بن عليم ، وبنو مَصَاد بن كعب بن عليم ، وبنو مالك بن كعب بن عليم ، وبنو مَعقِل بن كعب بن عليم ، وبنو أبي حُجَيَّةَ بن كعب بن عَلَيْم ، ويُقال لهؤلاء البطون من أبناء كعب ابن عليم : بنو نَتْلَة نسبةً إلى أمّهم : نتلة بنت مالك بن عمرو بن ثُمالةَ من طيّء ؛ وإخوتهم لأبيهم : بنو جابر بن كعب بن عليم ، وبنو عديّ بن كعب بن عُلَيْم ، وبنو قيس بن كعب بن عليم ، ويُقال لهؤلاء : **بَنُو زَيْد** ، نسبةً إلى أمّهم : وهي زيد بنت مالك بن عِمِّيت بن عديّ بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت من كلب(٢) .

= الصفحة ٢٢٤ بني حارثة ، وفي الصفحة ٣٦٩ بني عُلَيْم ؛ كما جاء ذِكْرُ بني زهير في أنساب السمعاني ٦ : ٣٣١ ، واللّباب ٢ : ٣٢ ، ولب اللّباب ١ : ٣٨٧ وذِكْرُ بني عليم في أنساب السمعاني ٩ : ٤٥ ، واللباب ٢ : ٣٥٥ ، ولب اللُّبَاب ٢ : ١٢١ ؛ وذِكْرُ بني عديّ في : أنساب السمعاني ٨ : ٤١٠ ، واللّباب ٢ : ٣٣٠ ، ولب اللّباب ٢ : ١١٠ .

(١) النسب الكبير ٢ : ٣١٣ـ٣٢٨ ، وجاء ذكر بني تُوَيْل وبني نهشل وبني هُذَيم وبني حصن بن ضمضم بن عديّ في جمهرة أنساب العرب : ٤٥٦ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٢٩ـ٣٤١ ، غير أنّه جاء فيه (بنو زَبْد) بالباء ، وهو من تصحيفات الناسخ ، ذٰلك أنّها جاءت بالياء في المؤتلف والمختلف ـ للدارقطني : ٤٦٨ و١١٣٧ ، والإكمال ٢ : ١٣٥ ، والروض الأنف ١ : ١١٠ ، وجاء ذِكْرُ بني مصاد وبني حصن وبني معقل وبني أبي حُجَيَّة في : الاشتقاق : ٥٤١ غير أنه قال (حُجيَّة) بدل (أَبي حُجَيَّة) ؛ وجاء ذِكْرُ بني زيد في : نهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٢٧٩ غير أنّ في كلامه خَلْطاً واضطراباً ، إذ قال : «بنو زيد أيضاً : بطن من كنانةِ عذرةَ مِنْ كلبٍ من القحطانية ، وهم بنو جابر وقيس وعديّ وعليم بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة . . . أمّهم الرّباب ، عُرِفُوا بها ، وهي=

ومن بطون بني زهير بن جناب : بنو أبي جابر بن زهير ، وبنو أبي النعمان بن زهير ، وبنو عامر بن زهير ، وكان عامر شاعراً ، وبنو بحر بن الحارث بن امرىء القيس ، وكان بحر شاعراً ؛ وغيرهم(١) .

ومن بطون بني حارثة بن جناب : بنو قُنَافة بن عديّ بن زهير بن حَارثة بن جناب ، وغيرهم(٢) .

فأولئك أهم بطون بني كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة .

ووَلد عَوْفُ بنُ بكر بن عوف بن عذرة : عامراً **الأكبر** بطنٌ عظيمٌ ، وهو أخو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، لأمّه ، وأمُّهما : عمرة بنت عامر بن ظَرِب العدوانيّ ، وليس في العرب أكثر منهما عدداً ، كان عدد بني عامر الأكبر في الدّيوان حين مات هشام بن عبد الملك أربعين ألفاً(٣) ؛ فوَلَدَ عامر الأكبر : بكراً ، وعَوْفاً ، ومالكاً ، وربيعةَ ، وثعلبةَ الفاتك ، فيُقال لبني ثعلبة ومالك وربيعة : بنو رقاشِ ، نسبةً إلى أمّهم رقاشِ بنت كعب مِنْ بَهْراء ، ولا يُقال ذلك لبني بكر وعوف ، وهي أمّهما أيضاً(٤) .

فأمّا ربيعة بن عامر الأكبر ، فإنّ ابن الكلبيّ أهمل ذِكْرَ وَلَدِهِ .

وأمّا عوف بن عامر الأكبر فمن ولَدِهِ : كعب وبكر والعُكامِسُ والحارث وحُجْر بنو عوف ، يُقال لهم : بنو سَحْمَة نسبةً إلىٰ أمّهم ، وهي سحمة بنت كعب بن خَيْليل ، من غسان ، ومن ولدِهِ : الخزرجُ وعامر المُذَمَّم وامرؤ القيس بنو عوف ، يقال لهم : بنو

= الرَّباب بنت مالك بن كلب . . » والصواب أنهم أبناء جابر وقيس وعديّ بن كعب بن عليم بن جناب ، أمُّهم زيد بنت مالك مِنْ كلبٍ .

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٤٢ـ٣٤٧ .

(٢) النسب الكبير : ٣٤٧ـ٣٥٢ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٥٧ـ٣٥٨، وجاء ذِكْرُ بني عامر الأكبر بن عوف في جمهرة أنساب العرب : ٤٥٨ و٤٧٩ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٣٣١ و٣٨٣ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٥٧ـ٣٥٨ .

ماويّة ، نسبةً إلىٰ أمّهم ، وهي ماويّة بنت أبي جُشَم بن كعب ، بن بَهْراء[1] .

فمن بطون بني سَحْمَةَ : **بنو الجُلاح** ، وهو عامر بن عوف بن بكر بن عوف بن عامر الأكبر[2] . ومن بطون بني ماوية : **بنو عَدَسَةَ** ، وهم أولاد مالكٍ الرَّمّاح وعوفٍ المِشَظّ ابنَيْ عامر المُذَمَّم بن عوف بن عامر الأكبر ، نُسِبوا إلى أمّهم عَدَسَةَ بنت مالك بن عامر بن عَوف ؛ **وبنو مَدَرَة** ، وهم أولاد أبي عامر والحارث ابْنَي عامر المُذَمَّم ، نُسِبوا إلىٰ أمّهم مَدَرَةَ بنت مالك أُخْتِ عَدَسَةَ[3] .

وأمّا بكر بن عامر الأكبر فمن وَلَدِه : عامر ، ومعاوية الجَوْشَن بطنٌ ، وجُشم ، والحارث بنو بكر ، فيقال لأولاد جُشَم والحارث : بنو الحُذاقية ، نسبةً إلى أمهم الحُذاقيّةِ ، وهي هند بنت أَنْمار بن عمرو بن حُذاقة من إياد ؛ وفي وَلَدِ عامر بن بكر ابن عامر الأكبر عددٌ من البطون ، وهم : بنو العُبَيْد بن عامر ـ كان العبيد شاعراً[4] ـ وبنو الخَزْج بن عامر ، واسم الخَزْج عبد مَناة ، فَسُمِّي الخَزْج لكثرة لحمِهِ ، وبنو عَمِيرةَ بن عامر ، وبنو النَّعَامة ، واسم النَّعامة ثعلبة[5] .

وأمّا مالك بن عامر الأكبر فلم يُذْكَر في وَلدِهِ بطون[6] .

وأمّا ثعلبة الفاتك بن عامر الأكبر فكان شاعراً ، ولم يُذْكَرْ في وَلَدِهِ بطون أيضاً[7] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٥٨ ، وجاء ذكر بني سَحْمة في : الإيناس : ١٢٦ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٢٨٢ ؛ وجاء ذِكْرُ بني عامر المذمّم في : الإيناس : ١٤٢ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٧٢ و١٥٩ ، غير أنّه جاء عند القلقشندي : ٧٢ : «المُرَمَّم» تحريف ، وعنده : ١٥٩ : «المزمّم» تحريف أيضاً .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٥٨ـ٣٦٣ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٦٣ـ٣٦٥ ، وجاء ذِكْر بني الجُلاح في الإيناس : ٤٣ ، وذكْرُ ابنَي عَدَسَةَ : مالكٍ الرَّمَّاح وعوفٍ المِشَظّ في الإيناس : ١٤٢ .

(٤) انظر ، ترجمته وشعرَه في الديوان .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٦٥ـ٣٧٣ .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٧٤ .

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٧٥ .

ـ **بطون كنانة بن عوف بن عذرة ، وهم كنانةُ كَلْبٍ :**

ولَدَ كنانةُ بن عوفِ بن عذرة عدداً من الأولاد ، وأهمّ وَلَدِه : عوف بن كنانة ، وهو أوّلُ مَنْ ضُرِبَتْ عليه القُبّةُ ، ودُفِع إليه صنمهم (وَدّ) ، وله وصيّةٌ مذكورةٌ لبنيه[1] ؛ فولَد عَوْفُ بن كنانة بن عوف بن عذرة : **عَبْد وَدٍّ** ، **وعامرَ الأجدار** ، وعَمْراً ، وذُهلاً ، وهم بطون[2] .

فأمّا ذُهْل بن عوف فليس فيهم ما يدعو إلى ذكرِهم .

وأمّا عَبْدُ وَدّ بن عوف فولَدَ : عوفاً الشّجْبَ ، بطنٌ ؛ وعامراً ؛ وعمراً[3] ؛ وكان في بني عمرو بن عبد ودّ : بنو الوِكاءِ ، واسمُ الوِكاء : عامر بن عمرو بن عبد وَدّ ، وبنو مُحَاسِن ، واسمه زيْدُ مناة بن عمرو بن عَبْد وَدّ ، وبنو العُشْبَةِ ، واسم العشبة عوف بن عمرو بن عبد وَدّ ، وكان كالعُشْب لقومِهِ ، وغير هؤلاء البطون[4] ؛ ومن بني عامر بن عبد وَدّ : بنو المَدِينَةِ ، وهي حَبَشيّةٌ حَضَنَتْ عَبْدَ العزّى وكعباً وعمراً أبناء امرىء القيس بن عامر بن النّعمان بن عامر بن عبد وَدّ فغلبَتْ عليهم[5] .

وأمّا عامر الأجدار بن عوف فَوَلَدَ عدداً من الأولاد ، وهم بطونٌ وأهمهم : تيم الله بن عامر الأجدار[6] .

وأما عمرو بن عوف فولد عدداً من الأبناء ، منهم : حَجَلُ بن عمرو بن عوف ذكَرَهُ هُبَل بن عبد الله الكلبي في شعرٍ له ، وهم بطن ، وعامرُ بن عمرو بن عوف ، بطن أيضاً[7] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٧٥ ، وانظر الحديث عن عقيدتهم ، ص : ١٧٠ وانظر وصيّته في كتاب المعمّرين والوصايا : ١٣٥ـ١٣٧ ؛ وجاء ذِكر عوف بن كنانة بن عوف في : نهاية الأرب للقلقشندي : ٣٨٣ ، غير أنّ فيه (. . . بن عَوْض) تحريف .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٧٥ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٧٦ ، وذُكِرَ الشَّجْبُ في الإيناس : ١٢٩ ، والقاموس والتاج (شجب) .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٧٦ـ٣٧٩ ، وجاء ذِكْرُ بني مُحَاسِن في : الإيناس : ١٧٨ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٨١ـ٣٩٠ .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٩٠ـ٣٩٢ ، وجاء ذِكر عامر الأجدار في : الاشتقاق : ٥٤١ .

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٩٢ـ٣٩٤ .

وهؤلاء آخرُ البطون المشهورة التي لها ذِكْرٌ مُهِمٌّ في أشعار بني كلب وأخبارهم وتراجم شعرائهم ؛ ولكنْ ثمة بطونٌ غير هٰذه ، خَرَجَتْ من بني كلبٍ ودخلَتْ في قبائل أُخرىٰ فانتسبت إليها ، وبطونٌ من قبائل أُخرىٰ دخلَتْ في بني كلبٍ وليسوا منهم أصلاً ، ويُقال لهذه البطون النّواقِل ، وهي ما سيتناوَلُه الحديثُ فيما يأتي .

٣ـ نَواقِلُ بني كَلْب :

عرّف علماءُ العربِ النّواقِلَ بأنَّها البُطون أو القبائل التي تنتقل من قومٍ إلى قومٍ فتنتسبُ إليهم ، والواحدَة منها : ناقِلَةٌ ، وهنّ نواقِلُ العرب[١] ؛ وموضوعُ النَّواقل موضوعٌ مُهِمٌّ في دراسة أنساب العرب وفي دراسة أشعارهم أيضاً ، ذلك أنّ الشاعِرَ يكون من بطنٍ من تلك البطون التي دخلَتْ في قبيلةٍ غيرِ قبيلته الأُمّ ، فإلىٰ أي القبيلتين يُنْسَب وفي شعر أيّهما يُسْلَكُ شعرُه؟ وقد تناول القَلْقَشنديُّ هذا الأمر فَقال يذكر الأمور التي يحتاج الناظر في الأنساب إليها ، وهي عشرة أمور ، منها : « إذا كان الرجلُ من قبيلةٍ ثم دخل في قبيلةٍ أُخرىٰ جاز أن ينتسب إلى القبيلة الأولىٰ ، وأن ينتسب إلى القبيلة التي دخل فيها ، وأن ينتسب إلى القبيلتين جميعاً ، مثل أنْ يُقال : التميميّ ثمّ الوائليّ ، والوائليّ ثم التميمي ، وما أشبه ذلك »[٢] ، وقد رأيتُ أنْ أسْلُكَ مَنْ وجدت له شعراً من أبناء البطون التي دخَلَتْ في بني كلب ضمن شعراء كلب ، لأنّ الشّعْرَ ابنُ بيئته ، وهو على كلّ حال شاعرٌ واحدٌ يقال له : الكَذَّاب الطَّابِخيّ ؛ ومِنْ ثَمَّ تركت مَنْ وَجَدْتُ له ذِكراً من شعراء بطون كلب التي قيل إنها منهم وانتسبت إلىٰ غيرهم ، وهم : السَّفّاح التغلبيّ وَمَن كان شاعراً مِن وَلَدِه ، وهم : قُرْط بن السُّفَيْح بن السَّفَّاح ، وسَلَمَةُ بن قرط بن السُّفَيْح ، والنعمان بن زُرعة ابن هَرْميّ بن السفّاح[٣] .

---

(١) انظر الصّحاح (نقل) وجمهرة اللغة ٣ : ١٦٤ ، واللسان والقاموس والتاج (نقل) .

(٢) نهاية الأرب : ٢١ .

(٣) وشجّعني على ترك دراسة هؤلاء الشعراء أيضاً أنّ حَيَواتهم وأشعارَهم لا يَمُتّان إلى بني كلب بأيّة صلة ، =

ولو لم تكُن النواقل موضوعاً مُهِمّاً لما أفْرَدَ له عَدَدٌ مِنْ عُلَماءِ النسب كتباً ، ومن أولئك العلماء : ابن الكلبيّ هشام بن محمد ، له كتاب (النّواقل) يحتوي على نواقل قريش ، ونواقل كنانة ، ونواقل أسد ، ونواقل تميم ، ونواقل قيس ، ونواقل إياد[1] ؛ والهيثم بن عديّ له كتاب (النَّواقل)[2] ، وابنُ أَبي مريم ، له كتاب (نواقل العرب)[3] .

ويُمْكِنُنا تقسيم نَواقِل بَني كَلْبٍ إلىٰ ثلاثة أَضْرُب : فضربٌ من بطون بني كلب دخل في بطونٍ أُخْرىٰ من أنفسهم ؛ وضَرْبٌ انتقل من بني كلبٍ إلى غيرهم ، وضرب انتقل من غيرهم وانتسب إليهم .

فأمّا الضّرب الأوّل ، وهي بطون بني كلب التي دخلت في بطونٍ أُخرى منهم ، فقد نبّه ابن الكلبي على أحد عشر بطناً منها[4] ، والمُلاحَظُ على هذه البطون أنّها لم يُذْكَر فيها مَنْ له نباهة أو ذِكر في شعر أو فروسية أو غير ذلك إلاّ بطنَيْن اثنين ، الأوّل : بنو العُنْظُوان ، واسم العنظوان عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ، دخلوا في بني أخيه عبد الله بن كنانة[5] ، ومنهم شاعرٌ يُقال له : الرَّأْساء ابن نهار[6] ، والثاني : بنو الجُمَيْم ، واسم الجُمَيْم : عوف بن عامر بن عمرو بن

= وأنّ حَيواتِهم وأشعارهم دُرِسَتْ مَرَّتين: الأولىٰ في بحث (شعراء بني تغلب وأخبارهم في العصر الجاهليّ) للدكتور علي أبو زيد، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السطلي، والثانية في بحث (شعراء تغلب في الجاهلية) للدتور أيمن علي ميدان بإشراف الأستاذ الدكتور علي الجندي؛ ولم أقف علىٰ دراسة الدكتور ميدان، في حين ترجم الدكتور أبو زيد لأولئك الشعراء في القسم الأول من دراسته، ص: ١٧٥، ١٨٣، ١٩٨، ١٩٩.

(١) الفهرست: ١٨٩ـ١٩٠، وفيه (نوافل) في كل موضع من تلك المواضع، وهو تصحيف؛ وذكر ابن الكلبي كتاب (النواقل) في جمهرة النسب ٢: ٣٧، ونُقِلَ عنه في مواضع كثيرة من حَواشي مخطوط كتاب النسب الكبير، انظر فهرس الكتب والرسائل من فهارس النسب الكبير ٣: ٨٠٩.

(٢) الفهرست: ١٩٨، وفيه (النوافل) تصحيف.

(٣) الفهرست: ١٨٨ وفيه (نوافل) تصحيف.

(٤) انظر: النسب الكبير ٢: ٣٠٥ و٣٠٦ و٣٠٧ و٣٠٩ و٣١٠ و٣٩٢ و٣٩٣.

(٥) النسب الكبير ٢: ٣٠٩.

(٦) انظر: ترجمته في الديوان.

عوف بن كنانة بن عَوف بن عذرة بن زيد اللاّت ، عِدادُهم في بني عبد مناة بن جُبَيْل ابن عامر بن عمرو[1] ، وقد ذكر ابن الكلبي أنّ ابناً للحارث بن جبلة الغسّاني قُتِل فيهم ، فأرادَ من عبد العزّى بن امرىء القيس الشاعر الكلبي أن يأتِيَهُ بهم ، فاعتلَّ ولم يفعَلْ وأرسل إليهم يُنْذِرهم ، فقتله[2] .

وأمّا الضرب الثاني ، وهي بطون بني كلب التي دخلت في غيرهم من القبائل ، فقد نبّه ابنُ الكلبي على اثني عشر بطناً منها[3] ، ويُلاحظ على هذه البطون أنّها مثل بطون الضرب الأوّل ، إذ لم نقف فيها على مَنْ له نباهة أو ذكرٌ في فروسة أو شعر أو غير ذلك ، إلاّ السفّاح التغلبيّ الشاعر الفارس ، ومَنْ كان شاعراً مِنْ وَلَدِه ؛ ذلكَ أنّ اسمَهُ بحسب ما ذكر ابن الكلبيّ هو : سلمة بن عامرٍ المتمنّي الشاعرِ بن عبد الله بن الشَّجْبِ بنِ عبد وَدّ ، قال ابنُ الكلبي : « دخل في بني تغلب ، فقالوا : السفّاح بن خالد بن بُرَةِ القُنْفُذِ بن زهير بن تَيْم بن أُسامة من بني تغلب »[4] ، وللسفّاح نَسْلٌ في بني تغلب[5] .

كما أنَّ ضَرورةَ البَحث والشرط الذي اشترطته من الوقوف عندَ مَنْ له ذكرٌ مهمّ في أشعار القبيلة وأخبارها وتراجم شعرائها تدعونا إلى الوقوف عند ثلاثة بطون من تلك الاثني عشر بطناً ، أوّلها : بنو عديّ بن عَصَبَة بن هُصَيْص بن حُيَيّ بن وائل بن جُشَم بن مالك بن كعب بن القين بن جَسْر ، فقد قال ابن الكلبي : « وهم من بني عُلَيْم بن جناب مِن كلب ، وأمّ عديّ بن عَصَبَة وحْدَهُ : كُعانَة بِنْتُ شُيَيْم بن زيد بن عوف بن وائل ، وكانت عند كعب بن عُلَيْم بن جناب فقتَلَتْهُ بنو عُذْرَة وهي حُبْلىٰ ، فخَلَف عليها عَصَبَةُ بن هُصَيص ، فولدت على فرَاشه »[6] ؛ وثانيها : بنو سعد بن

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٩٣ .

(٢) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٨٢ـ٣٨٣ ، وترجمة عبد العزّى في الديوان .

(٣) انظر ، النسب الكبير ١ : ١٤٥ و٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣٤٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٤١١ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٧٩ .

(٥) انظر النسب الكبير ١ : ٣٧ ، وجمهرة النسب ٢ : ٣١١ .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٤١١ ، وانظر ما سيأتي في الحديث عن علاقات كلبٍ وأيامهم ، ص : ٧٤ .

زهير الشاعر بن جَنَاب بن هُبَل ، دخلوا في عامِلَةَ ، فقالوا : بو سعد بن لِحْيَوْن بن طَمْثان بن أبي عَزْم بن عَوْكلان بن الزُّهْد بن عاملة[1] ؛ والثالث : أولاد هَنِيّة وعَبْد بكر ابنَي الحارثِ الشاعر بن زهير بن وَدْم بن وَهْبِ اللاّت بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب ، دخلوا في بني تغلب ، وذلك أنّ أمَّهم هند بنت مُسْلِم بن شَكَل بن يَرْبوع بن الحارث ابن عُرَيْنة بن ثور بن كلب كانت عند الحارث بن زهير بن وَدْم ، فطلّقها وقد وَلَدَتْ هنيّة وعبدَ بكر ، ثم خلف عليها الحارث بن زهير بن تيم بن أُسامة بن مالك بن بكر ابن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تَغلب فحملَتْهُما معها ، فانتسبوا إلىٰ الحارث التغلبي ، قال ابن الكلبي : « فهم يُعرفون في تغلب إلى اليوم »[2] .

وأمّا الضّرب الثالث ، وهي البطون التي انتقلت من قبائل أخرىٰ ودخَلَتْ في بني كلب ، فقد وقَفْتُ على اثنين منها ، وهما : بنو الذِّئب بن وبرة بن تغلب أخي كلب بن وبرة ، دخلوا في بني العُبَيْد بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر[3] ؛ وعامرُ بن ثعلب بن وبرة ابنُ أخي كلب بن وبرة ، ولم يُذْكَر لثعلب وَلَدٌ سِوَاه ، دخلوا في بني كلب ، فيقال لهم: طابخة كلب، نسبةً إلى أمّ عامر، وهي طابخة بنت كعب بن عُلَةَ بن مَذْحج[4] .

---

(١) النسب الكبير ١ : ١٤٥ و٢ : ٣٤٢.

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٠٥، وانظر النسب الكبير ١ : ٣٧، و٢ : ٣٩٨، وجمهرة النسب ٢ : ٣١١ والاشتقاق : ٥٤٢ ، وجمهرة أنساب العرب: ٤٥٥ـ٤٥٦ ، والإيناس : ١٣١ـ١٣٢ ، ١٩٧ والتكملة ـ للصَّغاني (ودم)، غير أن ابن الكلبي لم ينبّه في جمهرة النسب على أنّهم من كلب؛ كما أنّ ابن حزم قال في جمهرة أنساب العرب: «وقد قيل إنّ الحارث بن زهير بن تيم بن أسامة من بني تغلب، إنّما هوَ من كلب» وهو وهم، لأنّ القولَ في هنيّة وعبد بكر ابني الحارث لا في الحارثِ نفسه؛ وضَبَط الوزيرُ المغربي (هنيّة) على شكلين ، ففي الصفحة : (١٣٢) جَعَلَهُ (هَنِيّة) وفي الصفحة : (١٩٧) قال: «هنيئة، مثل هنيعة» .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٠٠، وجمهرة أنساب العرب: ٤٥٢ وفيه (عبيد بن عامر بن كلب) وفيه اختصارٌ للنّسَب أو تحريفٌ صوابه (مِنْ كلب).

(٤) النسب الكبير ٢ : ٤٠٢ ، وجمهرة أنساب العرب: ٤٥٣ ، غير أنّه جاء في النسب الكبير : «أمّه ظاعنة بنت كعب بن عُلّة بن مَذْحج، وإخوته لأمّه: بنو الهُون بن سُود بن جُشَم بن جُذام، طابخة، وحَراماً، وعامراً ابن عبد بن عَرَة بن دُهَا، طابخة دُها» وهو تحريف شديد شنيع؛ وقد نبّه صاحب التعليقات والحواشي علىٰ أنَّ في الأصل: «أمُّه طابخة»، وهو الصّواب، فتركه المحقّق ولحق التحريف، والصّواب: «أمُّه=

ولم أقف علىٰ أحدٍ له ذِكرٌ ونَباهَة ينتسب إلىٰ هذه البطون إلاّ شاعراً واحداً يقال له : الكذّاب الطابخيّ ، من طابخةِ كَلْبٍ .

وهكذا رأينا أنّ أَمْراً واحداً يجمَعُ تلك الأَضْرُبَ الثلاثة من النَّواقل ، وهو خلوّها ممّن له أثرٌ أو ذِكر إلاّ قليلاً ؛ وفي ذلك دلالة على أنّ هذه النواقِل كانت قليلة العَدَدِ ضعيفة ، وفيها خُمولٌ ، وقد دعاها إلىٰ الانتقال إلىٰ غيرها من البطون لتَتَقَوّى ، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد للانتقال ، إذ ربّما كان انتقال بعض تلك البطون ناتجاً عن قرابةٍ من جهةِ المصاهرة أو غيرها كما رأينا في انتقال عبد بكر وهَنِيّة ابني الحارث بن زهير بن وَدْم إلىٰ تغلب ، ولا ريب أنَ هناكَ أسباباً أخرى كالحلف والجوار وغير ذلك ، وهي أسباب تُعْرَف من خِلال البحث والتقصّي في أخبار نواقِلِ العرب .

٤ـ المُصَاهَرَة بَيْنَهُمْ وبَيْنَ غَيْرِهِمْ :

إن بني كلب بن وبرة كغيرهم من قبائل العرب ، لم يكونوا منعزلين عن سواهم من القبائل ، وقد رأينا في الحديث عن النّواقِلِ أنّ بعض تلك البطون انتقلَت في نسبها إلى غير بني كلب بسبب زواج الأمّهات في قبائل أُخرى ، وللزَّواج أسبابٌ ودوافع مختلفة إلى جانب السّبب الفِطريّ الذي فُطِر عليه الناس ، فقد يكون نتيجة قرابةٍ قديمة أو سعياً إلى شرفٍ أو جاهٍ أو مالٍ أو مكسب سياسي ، سواءٌ ذلك من جهة المتزوّجِ أو المُزَوِّج . وأيّاً كانت الأسباب فإنّ الرغبة في الزّواج من نساء كلبٍ كانت ظَاهرةً واضحةً دَعَتْ أبا الحسن عليّ بن محمد المدائني إلى تأليف كتابين ، الأوّل (كتاب مَنْ تزوّج من الأشراف في كلب) والثاني (كتاب الكَلْبيات)[1] .

= طابخةُ . . . ، وإخوته لأمّه : بنو الهُون بن سُود بن جُشَم بن جُذام ، طابخةُ جُذام ، وعامرُ بن عبد الله بن رُهاء ، طابخة رُهاء» انظر المصدر نفسه ١ : ٣٠٤ـ٣٠٥ و٢ : ١٧٨ .

(١) الفهرست : ١٩٩ ، ومعجم الأدباء ١٤ : ١٣٣ ، وجاء اسم الكتاب الأوّل فيه هكذا : (من تزوّج من الأشراف في كلف) وهو تحريف ، وذكر حاجي خليفة ثاني الكتابين في كشف الظنون ٥ : ٦٧١ ، وفيه (كتاب الكليّات) تصحيف ، ويبدو أنّهما ممّا فُقِد من كتب التراث العربي ، إذ أشار الدكتور فؤاد سيزكين إلى ثانيهما دون الإشارة إلى أية نسخةٍ منه ، تاريخ التراث مجلد ٢/ جزء/ ١ : ٩٨ .

ويجد الناظر في هذه الظاهرة أنّه كان لكلب مُصَاهرة مع عددٍ كبير من القبائل ، ففي **قبائل قضاعة** نجد أنّ بنتاً لكلب بن وبرة لم يُذْكر اسمُها كانت عند التَّيم بن **النّمر بن وبرة** ابن أخي كلب بن وبرة ، فكان ابناها مَشْجعة والغوث ـ وهما بطنان عظيمان ـ مع بني كلب حِلْفاً ونُصْرةً ويداً[١] .

ونجد في بني **ثعلب بن وبرة** أخي كلب أنّ هند بنت أهْيَب بن كلب بن وبرة كانت عند معاوية بن عامر بن ثعلب بن وبرة[٢] ؛ وكانت ماويّة بنت رُفَيْدَة بن ثور بن كلب عند عمرو بن عامر بن ثعلب بن وبرة[٣] ، وكان يُقال لبني عامر بن ثعلب طابخة كلب وعدادُهم في بني كلب[٤] ، وهذا يرجّح أن يكون انتقالُ بني عامر بن ثعلب بن وبرة إلى كلب بسبب تلك القرابة ، إذ لم يكن لعامر بن ثعلب ولد سوى معاويةَ وعمرو وكانا متزوّجين في كلب ، فحالفَ أبناؤُهما أخوالَهما ثم دخلوا فيهم .

وفي **بني القَين بن جَسْر** بن شيع اللات بن أسد بن وَبرة نجد أنّ أسماءَ بنت كلب بن وبرة كانت عند كنانة بن القين[٥] ، وأنّ رقاشِ بنت الحارث بن صُحْب بن ثور بن كلب بن وبرة كانت عند وائل بن جُشَم بن مالك بن كعب بن القين[٦] ؛ وأنّ سلولَ بنتَ زَبّان من بني كنانة بن القين بن جَسْر كانت عند حارثة بن عمرو بن عبد وَدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات[٧] ، وأنّ مُحَيّاة بنت كعب ابن مُضاض ، من بلقين ، كانت عند عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات[٨] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٤٤٧ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٤٠٢ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٤٠٣ .
(٤) انظر ، ما سبق في الصفحة : ٤٣ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٤٤٤ .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٤١٠ .
(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٧٩ .
(٨) النسب الكبير ٢ : ٣٠٩ .

وفي **بني بَلِيّ** بن عمرو بن الحاف بن قضاعة نجد أنّ امرأةً من بني عَوْص بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت لم يُذْكَرِ اسمُها كانت عند حَرَام بن جُعَل البَلَويّ ، فولدت له عدداً من الأبناء ، منهم ضُبَيْعة بن حَرام ، من وَلدِهِ ثابت بن أقرم الصّحابي البَدْريّ ، قتله طلحة بن خويلد الأسدي في الرِّدّة(١) .

وفي **بهراء** بن عمرو بن الحاف بن قضاعة نجد أنّ هُدَيْلَةَ بنت الثُّعَيل بن أبي جُشَم بن كعب بن عمرو بن يَحْيُون بن يام مناةَ بن شَبيب بن دُرَيْم بن القين بن أَهْوَدَ بن بهراء كانت عند حَوْط بن عامر بن عبد وَدّ(٢) ؛ وأن رَقَاش بنت كعب البَهْرَانيّة كانت عند عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات(٣) ؛ وأنّ ماويّة بنت أبي جُشَم بن كعب البهرانيّة كانت عند عوف بن عامر الأكبر ، فولَدَتْ له ، ثم خَلَفَ عليها ابنُه كعب نِكاحَ مقت فولدَتْ له أيضاً(٤) .

وفي **جُهَينة** بن زيد بن ليث بن سُود بن أَسْلُم بن الحاف بن قُضاعة نجد أنّ مَرْبَعَةَ بنت كَلْب بن وبرة كانت عند رَشْدان بن قيس بن جهينة(٥) .

وفي **بني كنانة بن خزيمة** بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ نجد أنَّ عَذِيرة بنت بكر بن عبد مناة بن كِنانة بن خزيمة كانت عند كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّتِ بن رُفَيْدة(٦) .

وفي **قريش** ، وهم من وَلدِ كنانة بن خزيمة ، نجد أنّ رسول الله ﷺ خَطَبَ شَرافِ بنت خليفة بن فروة أختَ دِحيةَ الكلبي الصحابيّ ، فَحُمِلَتْ إليه فماتت في الطريق(٧) ، وتزوَّج عليّ بن أبي طالب امرأتين من كلب : زَبْراء بنت مَصاد بن عديّ

---

(١) النسب الكبير ٣ : ١١٠ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٨٩ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٥٧ـ٣٥٨ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٥٨ .

(٥) النسب الكبير ٣ : ٤٤ .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٠٨ ، والإيناس : ١٩ ، غير أنّه جاء في الإيناس : (عذريّة) بدل (عَذِيرة) .

(٧) انظر ترجمة دحية في القسم الثاني (الديوان) ، ومصارد الخبر ثمّة .

ابن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيْم ، فولدت له غلاماً هلك[١] ، ومُحَيّاة بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم ، فولدت له جاريةً هلكت وهي صغيرة ، فكانت تخرج إلى المسجد فيُقال لها : من أخوالُكِ؟ فتقول : (وَهْ وَهْ) ، تعني كلباً![٢] كما تزوّج الحسن بن عليّ سلمى بنت امرىء القيس ، وتزوّج الحسين بن علي الرّباب بنت امرىء القيس وكانت شاعرة[٣] . وكانت نائلة بنت الفَرافِصة الكلبية عند عثمان بن عفّان ، وكانت شاعرة[٤] ، وكانت أختُها هند بنت الفرافصة عند سعيد بن العاص[٥] . وكانت مَيْسون بنت بحدل عند معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس ، وهي أُمُّ وَلَدِهِ يزيد ، وكانت شاعرةً[٦] ؛ كما أن معاوية تزوّج نائلة بنت عُمارة بن حسّان بن جبّار بن قُرط بن حارثة بن عامر المذمَّم ، فقال لميسون : انطلقي فانظري إلى ابنة عمّك ، فنظرت إليها فقال : كيف رأيتِ؟ فقالت : جميلةٌ كاملة ، ولكن رأيتُ تحت سُرَّتِها خالاً ، ليُوضَعَنَّ رأسُ زوجها في حِجْرِها ، فطلّقها معاوية ، فتزوّجها حَبيبُ بنُ مَسْلَمَة الفِهْري القُرَشي ، ثم خلف عليها بعده النعمان بن بَشير الأنصاري ، فقُتِل عنها ووُضِع رأسُه في حِجْرها[٧]! وكانت عند يزيد بن معاوية امرأة من كلب ، وهي أمّ ولده معاوية[٨] ؛ وتزوّج خالد ابن يزيد بن معاوية امرأةً شاعرةً من كلب[٩] ، وتزوّج مروان بن الحكم ليلىٰ بنت زبّان

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٣٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ١٥٥ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٩٨؛ وانظر ترجمة امرىء القيس بن عديّ في الديوان ، ومصادر الخبر ثمة .

(٣) انظر ترجمة امرىء القيس بن عديّ ، وترجمة الرباب بنت امرىء القيس في الديوان ، ومصادر الخبر في ترجمة الرباب .

(٤) انظر ترجمتها في الديوان .

(٥) انظر ترجمة نائلة في الديوان ، وثمة مصادر الخبر .

(٦) انظر ترجمتها في الديوان .

(٧) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٦٣ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٣٢٩ ، وتاريخ دمشق ١٩ : ٥٥١ . ومختصره ٢٦ : ٢٢٨ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٠ ، والبداية والنّهاية ٨ : ١٤٧ ، ونهاية الأرب ـ للنويري ٢٠ : ٣٧٥ .

(٨) انظر شرح ديوان الحماسة ـ للمرزوقي : ٦٥٠ .

(٩) تاريخ دمشق ١٩ : ٦٣٢ـ٦٣٣ ، وانظر شعرها في الديوان ص ٥٦٨ .

ابن الأصبغ الشاعر بن عمرو بن عديّ بن جناب ، وهي أمُّ عبد العزيز بن مروان[١] ؛ وكان عند عمرو الأشدق بن سعيد بن العاصي بن أبي أُحيحة سعيدِ بن العاصي بن أمية امرأةٌ من كلب ، وكان مرشحاً للخلافة[٢] ؛ وتزوّج هشامُ بن عبد الملك في كلب[٣] ؛ وتزوّج عَنْبَسة بن عبد الملك أمَّ عثمان بنت مرداس بن حصين بن عِذار الكلبيّة ، وكانت قبلَهُ عند عباس بن عبد الرحمٰن بن الضحّاك بن قيس الفهريّ القرشيّ ، ثم خلف عليها بعدَ عَنْبَسةَ يعقوبُ بنُ عبد الرحمن بن الضحّاك[٤] ؛ وكانت ابنةُ حَضْرَمَةَ بن الأصبغ بن زَبّان العُلَيْميّ الكلبيّ عند يزيد بن الوليد بن عبد الملك[٥] ؛ وكانت ابنةُ أبي البَطريق يزيدَ العليميِّ عند الحكم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٦] ؛ كما كانت ابنة الأبرش الكلبي سعيدِ بن الوليد عندَ معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[٧] ؛ وتزوّجَ عبدُ الرحمن بن عوف رضي اللهُ عنه تماضر بنت الأصبغ الشاعر بن عمرو الكلبي ، وهي أمّ ولَدِهِ أبي سلمة الفقيه[٨] ؛ وتزوّج الزبير بن العوّام الرَّباب بنت أُنيف بن عُبَيْد بن مَصاد بن حصن بن كعب بن عليم ، وهي أمّ مُصْعَب بن الزبير ورملةَ بنتِ الزُّبير ، وكانَتْ رملةُ عِنْدَ خالد بن يزيد ابن معاوية فكان يتعصّب لقومها على قيس عيلان في الحرب التي كانت بينهم[٩] ،

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٢٢ ، وجمهرة النسب ١ : ٢٩ و٢ : ١٥٦ ، والإيناس : ٩٩ ، وجمهرة أنساب العرب : ٨٧ ، وانظر ديوان عبيد الله بن قيس الرّقيّات : ١٥٣ ، وديوان جرير : ٧٠٩ .

(٢) انظر : تاريخ الطبري ٦ : ١٤٠ـ١٤١ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٢٩٧ـ٢٩٨ .

(٣) انظر عيون الأخبار ٤ : ١٠٠ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢ و٦ : ١٤٢ .

(٤) المحبّر : ٤٤٦ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٣١ .

(٦) تاريخ الطبري ٧ : ٢٥٠ .

(٧) تاريخ الطبري ٧ : ٣١٥ .

(٨) انظر ترجمة الأصبغ بن عمرو في الديوان ، ومصادره ثمة .

(٩) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٣١ ، ٣٤١ ، ونسب قريش : ٢٣٦ ، وجمهرة نسب قريش : ٣٣٧ ، وأنساب الأشراف : قسم ٤ ، جزء ١ : ٣٦٣ ، والأغاني ١٧ : ٣٤٩ـ٣٥٠ وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٧ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٢٦ .

وتزوّج مصعب بن الزبير فُلانَةَ بنت زبّان بن أُنَيف[١] ، فهي ابنةُ خالِهِ . وقدْ تزوّج زيدُ ابن حارثة الصحابيّ الكلبي أمَّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أميّة[٢] .

وفي بني **أسد** بن **خزيمة** بن مدركة نجد أنّ هند بنت ثعلبة بن دُودان بن أسد كانت عند زيد اللاّت بن رفيدة[٣] ؛ وأنّ سلمىٰ بنت قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد كانت عند كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت بن رفيدة[٤] ، وأنّ زينب بنت جحش بن رئاب من بني غَنْم بن دُودان بن أسد كانت عند زيد بن حارثة الكلبي رضي اللهُ عنه ، ثم طلّقها فتزوّجها رسول الله ﷺ ، وكان النّبيّ عليه السَّلام تَبَنّى زيداً من قبلُ ، فطعنَ المشركون عليه في ذلك ، والخبر مشهور[٥] .

وفي قبائل **طابخة بن الياس** بن مُضَر بن نزار بن معدّ نجد في بني عمرو بن أُدّ بن طابخة أنَّ مُزَينة بنت كلب بن وبرة كانت عند عمرو بن أُدّ ، فعُرِف أبناءُ عمرٍو بها ، فقيل لهممُزَينة[٦] . وفي **بني الغَوْث بن مُرّ** بن أُدّ بن طابخة ، **وهم صُوفَةُ** ، نجد أنّ الحَوْءَبَ بنت كلب بن وبرة كانت عند الغَوْثِ ، فولدت له أبناءَه جميعاً[٧] ؛ وفي **تميم بن مرّ بن أُدّ** نجد أنّ رُهم بنت الخزرج بن زيد اللاّت بن رفيدة كانت عند سعد بن زيد مناة بن تميم[٨] ، كما أنّ ماريّة بنت حَبيب بن عمرو بن كاهل بن أَسْلُم بن تَدُول ابن تيم اللاّت بن رُفَيْدة كانت عند عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة[٩] ، وأبوها

---

(١) لطائف المعارف : ٧٩ .

(٢) المحبّر : ٤٤٦ ، وجمهرة أنساب العرب : ١١٥ ، وأحكام القرآن : ١٥٢٧ ، وانظر ترجمة زيد في الديوان .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٠٦ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٧٥ .

(٥) انظر صحيح البخاري ٤ :١٧٩٧ ، وأحكام القرآن: ١٥٢٧ـ١٥٣٣ ، وتنزيه الأنبياء ـ لابن حُمَيّر : ٥٠ـ٦٣ ، وانظر أيضاً ترجمة زيد بن حارثة ومصادرها في الديوان .

(٦) جمهرة النسب ١ : ٤٠١ ، وجمهرة أنساب العرب : ٢٠١ .

(٧) جمهرة النسب ١ : ٢٧٠ـ٢٧١ .

(٨) جمهرة النسب ١ : ٣٣٤ـ٣٣٥ .

(٩) جمهرة النسب ١ : ٣٤٨ ؛ و(ماريّة) بتشديد الياء عَرَبيٌّ ، معناه : البقرة الوحشية ، والبَرّاقَةُ اللَّوْن ؛ أمّا (مارِيَةُ) بتخفيف الراء فَغَيْرُ عَرَبيّ من أسماء نصارىٰ العرب ؛ ولم تكن ماريّة نصرانيَّةً لأنّ مِنْ وَلَدِ أبيها : =

حبيب هو الذي شدَّ حِلْف كلب وتميم في الجاهلية[١] .

وفي **قبائل قيس عيلان** بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ ، نجد في بني **عَدوان** بن عمرو بن قيس عيلان أنَّ عَمْرَةَ بنت عامر بن ظَرِب بن عمرو بن عِياذ بن يَشْكُر بن عدوان كانت عند عَوْف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت بن رُفَيْدة ، وهي أمّ وَلَدِهِ عامر الأكبر ، وأمّ أخيهِ لأمّه عامر بن صعصعة بن معاوية من قيس عيلان ، وليس في العرب أكثر منهما عَدَدَ وَلَدٍ ، وكان لأمّهما في ذلك خبرٌ مع إحدىٰ الكاهنات[٢] ؛ وأنّ آمنة بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة كانت عندَ هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ، وهي أمّ ابنِهِ جَناب[٣] ؛ وفي **بني سُلَيْم** بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان نجد أنّ الرَّباب بنت زيد اللاّت بن رُفَيْدة كانت عند الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيْم[٤] ؛ وكانت أمّ السِّمْط بنت عامر بن رِفاعة بن الحارث بن بُهْثَةَ بن سليم عند عبد وَدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذْرة بن زيد اللاّت[٥] ؛ وفي **بني أنْمار** بن بغيض بن الرَّيث بن غطفان بن معدّ بن قيس عيلان نجد أنّ هند بنت أنمار كانت عند عذرة بن زيد اللاّت بن رفيدة[٦] .

وفي **قبائل ربيعة** بن نزار بن معدّ نجد في **بني عبد القيس** بن أَفْصَىٰ بن دُعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة أنّ هند بنت أنمار بن وَديعة بن لُكَيز بن أَفْصَىٰ بن عبد القيس كانت عند عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات[٧] ؛ ونجد في **النَّمِر** بن

= عبد رُضى بن خَلاوة بن أبَان بن جَذِيمة بن حبيب بن عمرو، وهذا يعني أنّ الوثنية كانت ما تزال فيهم إلى عهد (عبد رُضى) و(رُضى) صنم؛ انظر الحديث عن عقيدتهم، ص: ١٧٨ .

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٩٩، وانظر الحديث عن هذا الحلف، ص: ٧٧ .

(٢) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٥٧، وجمهرة النسب ٢ : ٢، وجمهرة أنساب العرب: ٤٥٨ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣١٠.

(٤) جمهرة النسب ٢ : ٩٧ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٧٦.

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٠٧.

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٧٥.

قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة أنّ سَوْدة بنت تيم اللات بن رفيدة كانت عند النَّمِر بن قاسط ، فولدت له تيم اللات[1] ؛ ونجد في **تغلب بن وائل** بن قاسط بن هِنْب أنّ هند بنت مُسْلِم بن شَكَل بن يربوع بن الحارث بن عُرَينة بن ثور بن كلب كانت عند الحارث بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر ابن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب ، خلف عليها بعد الحارثِ الشاعر بن زهير بن وَدْم الكلبي وكان طلّقها بعدما وَلَدَتْ له عبد بَكر وهُنَيّة فحملتهما معها فانتسبوا إلىٰ الحارث بن زهير بن تيم ودخلوا في تغلب[2] ؛ وكانت خِرْنِق بنت خليفة بن فروة أخت دحية بن خليفة الصّحابيّ عند الهُذَيل بن هُبَيْرة بن قبيصة التغلبي ، وخطب النَّبيُّ عليه السلام ابنتها خولةَ بنت الهذيل فَهَلَكَتْ في الطريق قبل أن تصِل إلى المدينةِ ، فخطب خالتها شَرَافِ بنت خليفة[3] ، وفي **بكر بن وائل** بن قاسط نجد أنّ رَقَاشِ بنت جناب بن هُبَل أخت زهير بن جناب كانت عند الحارث بن هَمّام بن مرّة بن ذُهل بن شيبان ، وشيبان من بكر[4] ، وأنّ ابنةَ أخيه خُماعة بنت ثعلبة بن هَمَّام تزوّجَتْ ووَلَدَتْ في كلب[5] ، ولم يُذْكَر عند مَنْ كانت ، وكانت ليلىٰ بنت الأحوص الشاعرة الكلبيّة عند قيس بن مسعود الشَّيبانيّ البكريّ من وَلَدِ الحارث بن هَمَّام[6] ؛ كما كانت عند عَمْرٍو المُزْدَلِف بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان امرأةٌ من كلب فولدت له ابنَهُ مالكاً[7] ، ولم يُذْكَر اسم تلك المرأة ، وكانت خولةُ بنت حُصَيْن بن جندل بن نهشل بن عديّ بن جناب عند خالد بن محمود بن عمرو بن مَرْثِدِ مِنْ بني ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، وهي التي يُشبّب بها

---

(١) جمهرة النسب ٢ : ٣١٨ ، والنسب الكبير ١ : ٤٠ .

(٢) انظر النسب الكبير ١ : ٣٧ و٢ : ٣٠٥ و٢ : ٣٩٨ ، وجمهرة النسب ٢ : ٣١١ ، والإيناس : ١٣١ .

(٣) انظر ترجمة دحية بن خليفة في الديوان ، ومصادر الخبر ثمة .

(٤) جمهرة النسب ٢ : ٢١٩ ، والنسب الكبير ١ : ٩ .

(٥) جمهرة النسب ٢ : ٢٢٢ ، والنسب الكبير ١ : ١١ .

(٦) جمهرة النسب ٢ : ٢١٩ـ٢٢١ ، والنسب الكبير ١ : ٩ ، وانظر ترجمة ليلى في الديوان .

(٧) جمهرة النسب : ١٩٨ـ٢٠٠ ، والنسب الكبير ١ : ٣ .

طرفة بن العبد[1] ، وكانت كَبْشَةُ ـ وهي الجَذَعةُ ـ بنت مَجْذَعة بن حَبْجاء بن عوف بن ذُهل بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت ، وابنةُ أخيها طَيْبَة بنت سُوَيد بن مَجْذَعة ، في بني تيم الله بن ثعلبة بن عكابة فولدتا فيهم[2] .

وفي **إياد بن نزار بن معدّ** ؛ نجد أنّ هند بنت أَنْمار بن عمرو بن حُذاقة بن زُهر ابن إياد كانت عند بكر بن عامر الأكبر الكلبي فولدَتْ له جُشَم والحارث فيُقال لهما : بنو الحُذاقيّة[3] .

وفي **قبائل اليمن** : نجد في **غسّان** أنّ حُبّى بنت هِرٍّ وهو ذو الشُّفْر بن عمرو بن عوف بن عَمْرو مُزَيْقِياء كانت عند عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت ، وهي أمُّ هُبَل الشاعر[4] ، وكانت أختُها هند بنت ذي الشُّفر عند بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت[5] ، وكانت لَميسُ بنت عامر الغَسَّانيّة عند عامر بن بكر بن عامر الأكبر[6] ، وكانت عند حَبيب بن عمرو بن كاهل ابن أَسْلُم بن تَدُول بن تيم اللاّت بن رُفَيْدة امرأةٌ من غسّان[7] ، وأنَّ سَحْمةَ بنت كعب ابن عمرو الغسّانيّة كانت عند عوف بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة ابن زيد اللاّت بن رُفَيْدة ، فولدت له عدداً من الأَبْناء فنُسبوا إليها ، فقيل لهم :

---

(١) جمهرة النسب ٢ : ٢٥٨ ، والنسب الكبير ٢ : ٣٢٥ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٧٦ و٣٩٥ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٦٥ ، والإيناس : ٧٤ ، غير أنّه جاء في النسب الكبير : «حُذاقة بن زهير بن أبان من إياد» فأثبتُّ ما جاءَ في الإيناس لأنّه يوافقُ ما جاء في جمهرة النسَب : ٤٨ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣٢٧ ، حيث ذكر ابن الكلبي وابن حزم نسبَ إياد ، على أنّه جاء في جمهرة النسب (حُذَافة) ، وهو من تصحيفات النّاسخ .

(٤) انظر ترجمة هُبَل في الديوان .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٦٥ ، وفيه « . . . بنت ذي الشقراء» تصحيف ، وراجع ترجمة هبل بن عبد الله ، في الديوان .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٦٦ .

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٩٩ .

بنو سَحْمَةَ[١] ؛ وفي الخَزْرجِ بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مُزَيْقِياء من الأنصار كانت نائلةُ بنتُ عُمارة الكلبيّة عند النعمان بن بشير الأنصاري ، فقُتِل عنها وأُلْقِيَ رأسُه في حِجْرها ، وكان معاوية تزوَّجها من قبلُ[٢] .

ونجد في طَيِّئ بن أُدَد أنّ ليلىٰ بنت زيد بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّئ كانت عند كلب بن وبرة[٣] ، وأنّ هند بنت يزيد بن الغوث بن طيّئ كانت عند ثور بن كلب بن وبرة[٤] وأنّ نَتْلَةَ بنت مالك بن عمرو بن ثُمالة الطائية كانت عند كعب بن عُلَيْم فأَنجَبَتْ له عدداً من الأبناء فنُسبوا إليها ، فقيل لهم : بنو نتلة[٥] ، وأنّ مُصْعَبَةَ بنت عُبَيْدِ بن طَريف بن مالك بن جدعاء بن ذُهل بن ثعلبة بن رومان الطائية كانت عند أُبيّ بن امرىء القيس بن زهير بن جناب[٦] ، وأنّ سُعْدىٰ بنت ثعلبة بن عبد عمرو بن أَفْلَت بن سِلْسِلَة الطائيّة ، كانت عند حارثة الشاعر بن شراحيل الكلبيّ ، وهي أمُّ وَلَدِهِ زيد بن حارثة وغيرِه من وَلدِهِ[٧] ، وأنّ بنتَ عُبَيْدِ بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثُمامة بن مالك بن جدعاء الطائيّة كانت عند جَبَلَة بن وائل الجُلاحيّ أبي عَبْدِ عَمْرٍو الصَّحابيّ الشاعر[٨] ؛ وكانت ابنةُ عمّها الرَّباب بنت حارثة بن لأم عند الأحوص ابن عمرو بن ثعلبة مِنْ بني عديّ بن جَنَاب ، وهي أمّ ليلىٰ الشاعرة بنت الأحوص[٩] ، كما كانت الرَّباب بنت أُنَيْف بن حارثة بن لأُم الطائيّة ابنةُ أخي الرَّباب بنت حارثة عند الأحوص بن عمرو أيضاً ، وكانت قَبْلَهُ عند أبيه عمرو بن ثعلبة فخلف عليها الأحوصُ

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٥٩، والإيناس : ١٢٦ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٢٨٢ .
(٢) انظر ما سبق، ص : ٤٧ والمصادر ثمة .
(٣) انظر النسب الكبير ٢ : ٤٤٤ .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٠٥.
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٢٩.
(٦) انظر المحبّر : ٢١ ، وتاريخ دمشق ١٩ : ٥٥٠ .
(٧) انظر ترجمة حارثة وابنه زيد في الديوان ، وثمة المصادر .
(٨) انظر النسب الكبير ١ : ١٨٤ـ١٨٥ ، وخزانة الأدب ٤ : ٤٤٥ وترجمة عبد عمرو بن جبلة في الديوان .
(٩) النسب الكبير ٢ : ٣١٩.

نكاحَ مَقْتٍ ، فيُقال لبنيها مِنْهُما : بنو الرَّباب ، وكان يُقال للرَّباب هذه رباب الشَّرِّ ، ويقال للرَّباب بنت حارثة : رباب الخَيْر[١] ، وذُكر أنَّ أمَّ زيد الخيل بن مهلهل الطائي الشاعر المخضرم كانت من كلب واسمها قوسة بنت الأثرم[٢] .

وفي **مُرَاد** بن مالك بن أُدَد نجد أنَّ أُمَّ الشاعر الكلبيّ الأخنس بن نعجة كانت من بني عَوْثَبان بن مُراد[٣] .

وفي **عاملةَ** ـ وهم عند ابن الكلبي : بنو الحارث بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدد[٤] ـ نجد أنّ حُبَّىٰ بنت أبي عَزْم بن عَوْكَلان بن الزُّهْد بن عاملة كانت عند كلب بن وبرة ، وكان أبوها حالَفَ كلباً وزوّجه إيّاها[٥] ؛ وكانت عند حَبيب بن عمرو بن كاهل بن أَسْلُم بن تَدُول بن تيم اللاّت بن رُفَيْدة امرأةٌ من عاملة[٦] .

وفي **جُذام** ـ وهم عند ابن الكلبيّ : بنو عمرو بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أُدَد[٧] ـ نجد أنَّ زهير بن جناب الكلبيّ كانت عنده امرأة من عَتِيبٍ فولدَتْ له سَعْداً ، وهُوَ الّذي دخلَ في عاملة[٨] ، وعَتيب بطنٌ من جُذام[٩] .

وفي **لَخْم** ـ وهم عند ابن الكلبيّ : بنو مالك بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدد ـ[١٠] نجد أنَّ المتجرِّدة الكلبيّة ، وهي ماويّة ـ أو هند ـ بنت المنذر بن الأسود ،

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣١٨ـ٣١٩.
(٢) الإصابة ٢ : ٦٢٢ .
(٣) انظر ترجمة الأخنس في الديوان .
(٤) النسب الكبير ١ : ١٤٤ .
(٥) النسب الكبير ١ : ١٤٤ و٢ : ٣٠٢، غير أنّه جاء في الموضع الثاني «. . . بنت أبي عَرَم بن كوكلان بن الزّهر» تحريف، انظر جمهرة أنساب العرب : ٤١٩ .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٩٩.
(٧) النسب الكبير ١ : ١٤٩ .
(٨) النسب الكبير ٢ : ٣٤٢، وانظر ما سبق، ص: ٤٢ .
(٩) انظر النسب الكبير ٢ : ١٤٩ .
(١٠) النسب الكبير ١ : ١٥٧ .

كانت عند مَلِك الحيرَةِ المُنْذِر بن المنذر اللَّخميّ ، ثمّ خَلَفَ عليها ابنَهُ النّعمان بن المنذر نِكاحَ مَقْتٍ ، وكانت قَبْلَ المُنْذِرِ بن المنذِر اللّخميّ عِنْدَ ابنِ عمٍّ لها يُقال له جَلَم ، وكان لذلك خبرٌ طويلٌ[(١)] .

وفي **كِنْدة** ـ وهو عند ابن الكلبي : ثور بن عُفَيْرِ بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدد ـ[(٢)] نجد أنّ أُمّ أُكَيْدر بن عبد الملك السَّكوني الكنديّ مَلِك دومةِ الجندل كانت مِنْ كلبٍ[(٣)] ، وأنّ حُرَيث بن عبد الملك أخا أُكَيْدِر كان شريفاً ، وقد صاهر إليه أشرافُ كلب[(٤)] .

فهذه هي القبائل التي كان لبني كلب علاقاتُ مصاهرةٍ معها ، والنَّظَرُ في هٰذه المصاهرات يدلّنا على أمورٍ ، منها أنّ أكثر مصاهراتهم ـ بناءً على الذي وصل إلينا ـ كانت مع قريش ، غير أنَّ ذلك كان بعد الإسلام ، وهذا يرجّح أن يكون موضوعُ كتاب المدائني (مَنْ تزوَّج من الأشراف في كلب) الأشرافَ في الإسلام لا في الجاهلية ، إذ لا نَجِدُ أيّة مصاهرة بينهما في الجاهلية ؛ ومنها أنَّ هذه الظاهرة كانت واضحة في الجاهليّة بينهم وبين سائر قبائل قُضاعة ، وبين قبائل عدّة من مَعَدّ ، كما كانت واضحة في قبيلتين أصلُهما من اليمن وهما طيّئ وغسان ، فأمّا قبائل قضاعة فهو أمرٌ متوقَّعٌ غيرُ غريب ، وأمّا قبائل معدّ فإنّ ذلك مما يؤكّد ما سبقَ في الحديث عن نسب قُضاعة وأنّهم كانوا معدّيّين في الجاهلية لا شكَّ في ذٰلك ، وأمّا طيّئ وغسّان فإنّ ذلك يرجع إلى قرب ديار هاتين القبيلتين مِنْ ديار بني كَلْب ، وهو ما سيتّضح لنا من خلال الحديث عن منازل بني كلب وديارهم .

---

(١) انظر : شرح ديوان النابغة ـ رواية ابن السكيت : ٢٧ و١٩٤ ، والمحبّر : ٤٣٧ ، والأغاني ٢١ : ١ـ٢ ، وتمثال الأمثال : ٤١٩ .

(٢) النسب الكبير ١ : ٦٣ .

(٣) فتوح البلدان : ٧٣ ، ومعجم البلدان (دومة الجندل) ، والمغانم المطابة : ١٤١ .

(٤) النسب الكبير ١ : ١٣٦ .

ثانياً ـ مَنازِلُ بَنِيْ كَلْبٍ

إن من المشكلات التي يتعرّض لها الباحث حولَ قبيلةٍ ما من قبائل العرب القديمة تحديدَ منازل تلك القبيلة ، ولا سيما قبائل البادية ، إذ لا يجد المرءُ اليومَ كتاباً جامعاً يتحدّث عن منازل كل قبيلة على حِدَة ، وعن مواطنها التي كانت فيها والتي انتقلت إليها واستقرّتْ فيها ، وإنّما يجد ذلك مبثوثاً في المصادر عامة وكتب البلدان خاصة ؛ وعندما يجمع المرء ما تفرّق من أسماء بلدان هذه القبيلة أو تلك تعترضه مشكلة أُخرى ، وهي تحديد مكان كثير منها ، إذ يكتفي المصدرُ بالإشارة إلى أنّه من بلاد القبيلة ، أو أنّه بالقرب من بلادها بالقرب من مكان كذا من الأماكن التي تحتاج إلى تحديد أيضاً ، كما أَنَّنا ربّما وجدنا تضارباً في الآراء حول أصحابها ، وهي مشكلة ناتجة عن حلول بعض القبائل مكان بعضها الآخر ، إلى غير ذلك من المشكلات .

على أنه كان للعلماء العرب جهودٌ حول هذا الأمر ، إذ ألّف أبو الوزير عُمَر بن مُطرِّف الكاتب ، وهو من قبيلة عبد القيس ، كتاباً عنوانه (منازل العرب وحدودُها ، وأين كانت محلّةُ كل قوم وإلى أين انتقل منها)[١] ؛ وألّف الهيثم بن عدي كتاب (هبوط آدم وافتراق العرب ونزولها منازلها)[٢] ؛ وألف ابن الكلبي عدداً من الكتب عن تفرّق قبائل العرب ، فسمّى ابنُ النديم له ثلاثة كتب : (كتاب افتراق ولد معدّ) و(كتاب تفرّق الأزد) و(كتاب تفرّق ولد نزار)[٣] ونقل ياقوت عن ابن النديم

---

(١) الفهرست : ٢٤٨ـ٢٤٩ .

(٢) الفهرست : ١٩٨ .

(٣) الفهرست : ١٩٠ ، وأشارت الدكتورة ناهد عباس عثمان إلى أنّ في إيران نسخة من كتاب تفرّق ولد نزار ، فقالت : «مخطُوط ، مشكاه ، طهران ، ٧٧٩١٩ رقم ١٢١٤١» .

أسماء هذه الكتب في معجم الأدباء[١] ، ونقل عن كتابٍ لابن الكلبي في معجم البلدان ، فسمّاه مرة (كتاب الافتراق)[٢] ، وسماه مرة (كتاب افتراق العرب)[٣] ؛ ونقل البكريّ خبرَ افتراق ولد معدّ عن ابن الكلبيّ بسنده إلى ابن عبّاس ، وهو ينقل ـ فيما يظهر ـ عن كتاب (افتراق ولد معدّ) ، وفي نُقولِه ذكر لمنازل بني معدّ القديمة ، ثم تنقُّل قبائل معد في جزيرة العرب بسبب الحروب فيما بينها ، وفيما بينها وبين غيرها ، ومنها بنو كلب وسائر قبائل قضاعة .

كما أنّ جهودَ الباحثين المعاصرين في الجزيرة العربية لتأليف معجم جغرافيٍّ لبلادهم يساعد كثيراً علىٰ حلّ عدد من المشكلات التي تعترض الباحث ؛ ففيما يخصّ هذا البحث عن بني كلب نجد للشيخ حمد الجاسر كتاب (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية . شمال المملكة) في مجلّداتٍ ثلاثة ، حاولَ فيه تحديدَ عددٍ كبير من الأماكن القديمة إذا كان اسمُها قد ذهب وامّحىٰ ، كما نبّه على التبديل في أسماء بعض الأماكن من اللفظ القديم إلى لفظ مُقارب ، ونبّه على أسماء الأماكن التي ما تزال محتفظة بأسمائها القديمة إلى يوم الناس هذا ، وهذا الكتاب مهمٌّ جداً في تحديد منازل قبائل أخرى مثل قبائل غطفان كذبيان وعبس ، وبعض منازل بني بكر ، ومنازل طيّئ ، وعذرة ، وأسد ، وغيرها .

وقد صنعتُ ممّا اجتمع لديّ من أسماء بلدان بني كلب في كتب البلدان وغيرها معجماً أثبتّه في آخر هذه الدّراسة ، فذكرتُ في كلّ مادّةٍ ما قيلَ فيها قديماً من مصادرها ، وما جاء من ذكرها في أشعار بني كلب إن وُجد ذلك ، ثم ما قاله الشيخ الجاسر إذا كان له قول فيها ؛ لذلك سوف أكتفي في هذا الحديث عن منازلهم بالإشارة إلى المادة ومكانها من هذا المعجم حين تكون هذه الإشارة كافية .

ويتناول الحديث عن منازل بني كلب مواطنَهم القديمة ، وانتقالَهم عنها لأسباب

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ٢٨٨ـ٢٩١ .
(٢) معجم البلدان (حضن) .
(٣) معجم البلدان (أجأ) .

مختلفة إلى مواطن أُخرى ، ثم الوقوفَ عند أشهر منازلهم وبلدانهم ، والحدودَ التي تمتدّ إليها ، ومَنْ كان مجاوراً لهم من القبائل الأخرى ، ثمّ أهمّ البلدان التي نزلوها بعد الإسلام .

فمنازلهم القديمة التي انتقلوا منها إلى غيرها كانت في تهامة مع سائر قبائل عمرو بن معدّ ـ وهو قضاعة ـ أيّام كان أولادُ معدّ مقيمين فيها جميعاً كأنّهم قبيلة واحدة ، في اجتماع كلمتهم وائتلافهم ، فذكر البكريُّ فيما نقل عن ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس أنّ ولد معدّ اقتسموا تلك البلاد ، قال : « فصار لعمرو بن معدّ بن عدنان ، وهو قضاعةُ ، لِمَساكنهم ومراعي أنعامهم : جُدّةُ مِن شاطىء البحر وما دونها ، إلى منتهى ذات عرق ، إلى حيِّز الحَرَم ، من السهل والجبل ، وبها موضعٌ لكلب يُدْعى الجَديرَ جَديرَ كَلب ، وهو معروف هنالك »[1] .

ثم إنّ حَزِيمةَ بن نَهْدٍ القُضاعيّ قتل يَذْكُرَ بنَ عَنَزَة أحد بني ربيعة بن نزار بن معدّ في خبر لهم ، فكانت بينهم أوّل حربٍ وقعتْ بين بني معدّ ، فقُهِرَتْ قُضاعةُ ، وأجلوا عن منازلهم فمالَتْ كلب بن وبرة إلى حَضَنٍ والسِّيِّ وما صاقبهما من البلاد غَيرَ بني شُكم اللاّت بن رُفَيْدَة بن ثور بن كلب ، فإنهم انضمّوا إلى بني فهم بن تيم اللاّت بن أسد بن وبرة ، وساروا نحو البحرَين وتَنَخُوا بها معهم ، ثم انتقلوا معهم فنزلوا الحيرة ؛ ولحق ببني كلب قبائلُ من جَرْم ومن النَّمِرِ بن وبرة من قضاعة ، فثبتوا معهم بحَضَنٍ ، وانتشر سائر قضاعة في البلاد[2] .

فما زالت كلب بنُ وبرة ومن معها بمنازلها في حضنٍ وما وَالاها مِن ظواهِرِ أرضِ نجدٍ حتى انتشرتْ قبائلُ نزار وخرجتْ من تهامةَ إلىٰ ما يليها من نجدٍ والحجاز ، فأزالوهم عن منازلهم ، فانحازَتْ كلبٌ إلى ناحية الرَّبَذَة وما خلفها إلى جبل طميَّة ، وقد أَدْرَكَ ذلكَ زهيرُ بن جنابٍ الكلبيّ ، فقال يذكر منزلَهُ طميّةَ في وصيّته لبنيه :

ولقــد شهــدتُ النــارَ لِلسْـ . . . ـسُـلاَّفِ تُـوقَـدُ فـي طمِيَّـةْ

---

(١) معجم ما استعجم : ١٧ (المقدمة) ، ومثله في معجم البلدان (جدّة) عن أبي المنذر ابن الكلبيّ .

(٢) انظر معجم ما استعجم ١٩ـ٢٥ ، والأغاني ١٣ : ٧٨ـ٨٣ ، ومعجم البلدان (حضن) .

يعني يومَ خزازٍ حين أوقدوا النَّارَ على جَبَلِ خزاز ، وكان زهير وقومُه شهدوا ذلك اليوم مع قبائل معدّ[١] .

ثم إنَّ الحربَ وقعت بين قبائل كلب في الجاهليّة ، بين بني عامرِ بنِ عوف بن بكر بن عوف بن عُذْرة وبني عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة وأحلافِهم ، وبين بني كنانة بن عوف بن عذرة وأحلافها ، فظهرت كنانةُ عليهم ، فافترقوا : « فظعنت قبائلَ من بني عامر بن عوف بن بكر إلى أطراف الشام وناحية تيماء ، فيمن لحق بهم وكان معهم ، وليست لعامرٍ بادية ؛ ونزلت كنانةُ ومَنْ حالفهم وصار معهم من قبائل كلب بِخَبْتِ دومةَ ، إلى ناحية بلاد طيّئ من الجَبَلَيْنِ وحيّزهما ، إلى طريق تيماء ، وبدُومَةَ غلبهم بنو عُلَيْم بن جناب »[٢] .

وهذا الانتقالُ هو آخر انتقال لبني كلب في الجاهلية ، فما زالوا مقيمين في هذه البلاد حتى أرسل الله تعالى نبيّه محمّداً ﷺ ، وهي بلاد واسعة جدّاً فيها بوادٍ ورمالٌ شاسعةٌ وأودية كثيرة ، فمن ذلك **باديةُ السَّماوَةِ** ، ويُقالُ لها : **سماوَةُ كَلْبٍ** ، وهي مفازةٌ واسعة ما بين الكوفة والشام ، وهي لبني كلب خاصّةً ، لا يُشاركهم فيها أحد ، يدخل فيها عدد كبيرٌ من أعلام بلاد كلب ، فمن تلك الأعلام : الأجدادُ مِياهٌ لهم فيها ، والإلاهة : قارةٌ لا تزال تُعرف إلى هذا اليوم ، والأوعار : اسم أرضٍ ، وبناتُ قين : مياه لهم ، وصَوْءَر : أرضٌ لهم من طرف السماوة من جهة الكوفة ، والغُوَير : ماءٌ لَهُم بين العراق والشام ، وقُراقِر : ماءٌ لهم من ناحية العراق ، وكَبِدُ الوِهاد : موضع ، ولؤلؤة : ماءٌ فيها ؛ ويتّصل بالسَّماوة وادي تُبَل منْ أعلاه . وذُكِرَ عددٌ من المواضع التي تفصل بين السماوة وبين الشام ، منها : تُرْبان : صَقْع ، والحَدَالىٰ : وهو موضع معروف إلى اليوم ، ونِجال : موضع ، ويقع بينها وبين تيماء ماءٌ لبني كلب يُقال له : سُمُك[٣] . كما يقع في بلاد كلب التي استوطنتها بعد آخر

(١) انظر معجم ما استعجم : ٤٥ و٤٩ (المقدمة) .

(٢) معجم ما استعجم ٤٩ـ٥٠ (المقدمة)، وانظر رسم (دومة الجندل) من معجم بلاد بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٣) انظر ترجمة كل موضع من هذه المواضع بترتيبه في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

انتقال لها مجموعةٌ من الأودية تُسَمّى : **الأَوْداة** ، وتُضاف إليهم فيُقال لها : **أوداة كلبٍ** ، وهي أودية تنحدر من المرتفعات الواقعة شرق الحماد ، وتُعْرَف تلك المرتفعات قديماً باسم المَلْحاء ، والحمادُ باسم البَيَاض ؛ وتتجه تلك الأودية نحو الشَّرْق حتى تصل إلى سهول العراق الغربيّة ، ومن أشهرها : ذُو القور ، وحامِرٌ ، وعَرْعَر ، وأُبْلِيّ ، وتُبَل ، وبطن ظبي ، ولا تزال معظم هذه الأودية تُعرف بأسمائها القديمة .

ويقع فيها أيضاً **حَزْنُ كَلْبٍ** ، وهو أحد الحُزون المَعدودة في جزيرة العرب ، وهي قِفافٌ مَرِيئةُ الكَلأ ، ويقع حَزْنُ كلب إلى الجنوب مِنَ الأوداة ، وفيه مياهٌ عِذابٌ لبني كلب ، وهي : الأَوْقَةُ ، والهُبَكات ، وهن ثلاثُ آبار مُتجاورات ، ولا تزال هذه المياه معروفةً إلى اليوم ، ويُعرف حزنُ كلب اليوم باسم الحُزول ، وتكثُرُ الرِّياض في حَزْنِ كلبٍ هذا ، وبلغ مجموع ما وصل إلينا اسمُه منها عشر رياض ، ومن ثَمَّ كَثُر ذكرُها في أشعارهم(١) .

وفي بلادهم **دُومة الجَنْدَل** ، وهي مدينة قديمة عليها سورٌ ، وفيها حصنٌ مَنيع ، وللعرب فيه سوقٌ سنويّةٌ عظيمةٌ ، ولم يكن بنو كلب وحدَهم في دُومة ، بل كان معهم قومٌ مِنَ السَّكون ، فكان المُلْكُ في دُومةَ دُولةً بين كلب وبين السَّكون ، وكان من بني كلب قومٌ يحفظون سوقَ دومة ويَمنعونَ أهلَ السوق من أن يُعتدىٰ عليهم ، وفي دومة كان صنمُ بني كلب الذي يُقال له : (وَدّ) .

كما أن قوماً منهم نَزَلُوا **الحيرةَ** ، منهم بنو شُكْم اللاَّت بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب الذين انضمّوا إلى بني فَهْم بن تيم اللاّت بن أسد بن وبرة أخي كلب بن وبرة ، ومنهم بنو عمّار بن عبد المسيح من بني الرَّمَّاح بن عامر المُذَمَّم ، ولهم قصرُ العَدَسيّين فيها ، وهم من بني عَدَسَةَ أمِّ الرَّمَّاح بن عامر الذمَّم ، إضافةً إلى أناس آخَرين من بطون بني كلب(٢) .

---

(١) انظر تراجم هذه المواضع كلاًّ بترتيبه في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٢) انظر رسم (الحيرة) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

وبذلك يتبيّن لنا أنّ بلاد بني كلب في الجاهلية كانت بلاداً واسعة جداً تمتدّ ما بين غَرْبيِّ الفُرات إلى الشام ، إلى دُومة الجندل ونواحي تَيْماء ، إلى جَبَلَيْ طيّئ ، إلى أَوداةِ كلبٍ ؛ ومن ثَمَّ فلا عَجَبَ أنْ يُعَدَّ بنو كلب من أرحاءِ العرب ، قال التبريزي : « أرحاءُ العرب : شُبِّهوا بأرحاءِ الطّحْنِ ، وهم قبائل تكون لكل قبيلةٍ منهم أرضٌ تحلُّها وتحميها ، ومياهٌ ترِدها ، تستدير بتلك الأرض ولا تظعَنُ عنها في شتاءٍ ولا صيفٍ ؛ والأرحاء ـ فيما ذكر أبو عُبيدة ـ ستٌّ : اثنتان في مُضَر ، وهما كنانة بن خزيمة وتميم بن مُرّ ، واثنتان في اليمن ، وهما : طيّئ بن أُدد ، وكلب بن وبرة »[1] ، وسبق في البحث عن الاختلاف في نسب قضاعة ومنهم بنو كلب أنّ أبا عبيدة كان يعدّهم من حِمْير من اليمن[2] ، كما عدَّهم ابن حزم وابن سعيد المغربي من أرحاء العرب المذكورة[3] .

ولمّا جاء الإسلامُ وفتحت بلاد الشام وغيرُها انتقل كثير من بني كلب من ديارهم فسكن عددٌ كبير منهم في **مدينة دمشق**[4] ؛ واتّخذ آخرون المِزّة بالقرب من دمشق قريةً لهم حتى قيل لها : **مِزّة كلب**[5] ؛ وسكن آخرون البقاع ، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق مِنها قرى كثيرة ومياه غزيرة ، وكثروا فيه حتى قيل له : « **بقاع كلب** »[6] ؛ وسكن قومٌ من بني عامر الأكبر منهم في **حُوّارين** ، وهي قرية قديمة تابعة لمدينة حمص بالقرب من القريتين ، فكانوا أكثر أهلها[7] ؛ كما أقام في مدينة **تدمر** بطون منهم ، وسكن حولها بطونُ بني عديّ بن جناب وبني زهير بن

(١) ديوان أبي تمّام ٣ : ٤٧ .
(٢) انظر ما سبق ص : ٣٠ .
(٣) انظر جمهرة أنساب العرب : ٤٨٧ ، ونشوة الطرب ١ : ١٧٢ .
(٤) انظر رسم (دمشق) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .
(٥) انظر رسم (المزة) . . .
(٦) انظر رسم (البقاع) . . .
(٧) انظر رسم (حَوّارِين) . . .

جناب منهم[١] ؛ وكان في مدينة حمص أناسٌ من بني كلب[٢] .

فهذه أهم المواضع التي نزلوها بعد الإسلام من بلاد الشام ؛ ونجد أنه كان قومٌ منهم في العراق في مدينة الكوفة التي اتُّخِذَت مصراً في زمن عمر بن الخطاب[٣] ، كما كان قومٌ في الأنبار ينتسبون إلى العَيّار من بَني عَامرٍ المُذَمَّم[٤] .

ويظهر أنَّ كثيراً منهم هجروا الباديةَ واستوطنوا القرىٰ فيما بعد ، فنجد الهمدانيَّ يعدّد ما وقع في ديار كلب من القرى في زمانه فيقول : « تدمر ، وسلمية ، والعاصميّة ، وحمص وهي حميريّة ؛ وما خلفها مما يلي العراق : حماة ، وشيزَر ، وكفرطاب ، لكنانةَ من كَلْب ؛ ثم ترجع بكنانةِ كلبٍ من دارها هذه إلى ناحية السَّماوة والفرات من المُدُن : تلّ مَنَّس ، وحَرْض ، وزَاعرايا ، ومَنْبِج ، وَمَنْبِج مشتركةٌ بينهم وبين بني كلاب إلى حدود وادي بُطنان ؛ ثم تأتي الفراتَ من بلد الروم شاقّاً في طريق الشأم على الْتِواء إلى العراق ؛ فغربِيّهُ ديارُ كلب ، وشرقيّه ديار مضر »[٥] . وهذه القرى معظمها واقعٌ في بلاد الشام . وينقل القلقشندي من علماء القرنين الثامن والتاسع (٨٢١ هـ) عن ابن فضل الله العُمَريّ (٧٤٩ هـ) في مَسَالك الأبصار أنّ بشَيْزَرَ وحلب وبلادِها وتدمر والمَناظر أقواماً منهم[٦] ، ثم قال القلقشندي : «قلت: وببلادِ مَنْفَلُوط من صعيد الديار المصرية قومٌ من كلب يُحْتَمَلُ أنّهم منهم»[٧] .

ثم ذكر بني كنانة من عذرة بن زيد اللات منهم فقال : « قال الحَمْداني : ومن كنانةِ عذرة هذه قومٌ بالدَّقَهْليّة والمُرتاحيَّة ، ويُعرَفون بالحَمارِسَة . . . ومن كنانةِ

---

(١) انظر رسم (تدمر) . . .

(٢) انظر رسم (حمص) . . .

(٣) انظر رسم (الكوفة) . . .

(٤) انظر رسم (الأنبار) . . .

(٥) صفة جزيرة العرب : ٢٤٦ .

(٦) صبح الأعشى ١ : ٣١٦، ومثله في قلائد الجمان : ٤٧ ، غير أنّه جاء فيه (وبشيراز . . . وبيدوم) وهو تحريف .

(٧) قلائد الجمان : ٤٨ .

عذرة هذه أيضاً قومٌ ببلاد الشَّرقية بضفة النِّيل . . . »[١] وذكَرَ أسماءَ القُرىٰ التي يسْكنونها .

وذكر المرزبانيّ أنّ أعرابَ بني كلبٍ هم الذين قتلوا عليَّ بن الجهم الشاعرَ العباسي سنة تسعٍ وأربعين ومئتين بناحية حلب ، وكان متوجّهاً للغزو والجهاد[٢] .

وقد رأينا فيما سبق أنّ ديار بني كلب كانت واسعة منذ الجاهلية ، وسعةُ بلادها هذه جعلتها **تُجاورُ عدداً من القبائل** وهي : طيّئ ، وغطفان ومنهم بنو فزارة من ذبيان ، ونُمَيْرُ بنُ عامر ، وعُذْرَة ، وبَليّ ، وبَنُو القين بن جَسْر ، وبكر بن وائل ، وتميم وبنو يَرْبوع منهم ، والسَّكون من كِنْدة ، وجُذام ، وبَهْراء .

فأمّا طيّئ ، فنجد أنَّ جبل (أُبْليّ) لبني كلبٍ يقع عند جبلَيْ أجأ وسلمى لطيّئ[٣] ، وأنَّ ديار كلب تمتدّ إلى جبل الرّيّان أطولِ جبالِ أجأ[٤] ، وذُكر أنَّ جَدِيْلَةَ طيّئ وبني كلب كانوا جيران سوق دومة الجندل[٥] ؛ كما أنّ عالجاً رمالٌ واسعةٌ بين طيّئ وبني فزارة ، ولبني كلبٍ شيءٌ من أعجازه[٦] ؛ **وأما غطفان** : فَرِمالُ عالج هذه لبني فزارة من ذبيان منهم ، وأُديَّات موضعٌ بين ديار فزارة وديار كلب[٧] ، وعُراعِر : ماءٌ لبني كلب شاركهم فيه بنو ذبيان[٨] ، والمَراوِد : موضعٌ بين ديار ذبيان وديار كلب[٩] ، والجِناب : أرضٌ واسعة تتّصل ببلاد فزارة وكلب وعُذرة وبَليّ[١٠] ؛ فهو مكانُ جوارِ كلبٍ **لعذرة وبليّ** أيضاً ؛ **وأمّا نُمير** فكانوا يجاورونَ بني عديّ بن جناب

---

(١) قلائد الجمان : ٤٨ـ٤٩ .
(٢) معجم الشعراء : ١٤٠ـ١٤١ .
(٣) انظر رسم (أبْليّ) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .
(٤) انظر رسم (الرّيّان) . . .
(٥) المحبّر : ٢٦٣ .
(٦) انظر رسم (عالج) . . .
(٧) انظر رسم (أديات) . . .
(٨) انظر رسم (عراعر) . . .
(٩) انظر رسم (المراود) . . .
(١٠) انظر رسم (الجناب) . . .

وبني زهير بن جناب بالقرب من تدمر[١] ؛ **وأمّا بنو القين** فمن بلادِهم جَوْش ، وهي أرضٌ لهم يفصل بينها وبين الجِنَاب جَبَلُ حَدَد لبني كلب[٢] ؛ وكان بنو القين خاصموا بني كلب في ماء (قُراقِر) كلٌّ يدّعيه فحكم عبد الملك بن مروان لبني كلب ببيتِ شعرٍ للنَّابِغَة[٣] ؛ **وأمّا بكر بن وائل** فإنّهم انتشروا بعد حربهم مع تغلب في اليمامة وفيما بينها وبين البحرينِ إلى أطراف سواد العراق ومَناظِرها وناحيةِ الأُبُلّة إلى هِيْت وما وَالاها مِن البلاد[٤] ، وتقع هذه الديار شرقَ ديار كلب ، ومن منازلهم وادي مُسْحُلان فكانوا ينزلونه حيناً وينزله بنو كلب حيناً[٥] ؛ **وأمّا تميم** فإنّهم انتجعوا صَوْءَر من بلاد بني كلب في سنةِ جدبٍ أصابتهم[٦] ، وثمَّةَ موضع بالبادية يقال له (الدَّنا) قيل إنه لهم ، وقيل إنه لبني كلب[٧] ، ولبني يَربوع منهم حَزْنٌ مشهور واسعٌ يقع إلى شماله حَزْنُ كلب[٨] ؛ **وأمّا السَّكون** فكان قومٌ منهم يسكنون دومة الجندلِ مع بني كلب[٩] ؛ **وأمّا جُذام** فإنّ بينهم وبين بني كلب بلداً يُقال له (الذِّهْيَوْط)[١٠] ؛ **وأمّا بَهْرَاء** فإن قوماً منهم كانوا مع بني كلب على ماء سُوَى ، حينَ شخص خالدُ بن الوليد من العراقِ إلى الشام فأغار عليهم[١١] .

وذكر الدّكتور جَواد علي حدودَ ديار كلب وما يجاورها فقال : « وتتصل بديار كلب من الشرق أرضُ الحيرةِ وديارُ بني بكرٍ ، ومن الجنوب ديارُ طيّئ ، ومن الغَرْبِ

---

(١) انظر رسم (تدمر) . . .
(٢) انظر رسم (جَوْش) و(حَدَد) . . .
(٣) انظر رسم (قراقر) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .
(٤) معجم ما استعجم : ١٨٥ (المقدّمة) .
(٥) انظر رسم (مُسْحلان) . . .
(٦) انظر رسم (صَوْءَر) . . .
(٧) انظر رسم (الدَّنا) . . .
(٨) انظر رسم (حَزْن كلب) .
(٩) انظر رسم (دومة الجندل) . . .
(١٠) انظر رسم (الذّهيوط) . . .
(١١) انظر رسم (سُوى) . . .

ديارُ بني بَليٍّ وجُذام ، ومن الشَّمال بنو بَهراء وقبائلُ غسان »[1] .

وهكذا رأينا أنّ بني كلب كان أوّلهم في الجاهليّة يسكنون تِهامةَ هُمْ وبقيّةُ قبائل قضاعة ، مع سائر قبائل معدّ بن عدنان ، ثم أدّت بهم الأحداث إلى أن تَنَقّلوا في جزيرة العرب عدّة مرّاتٍ حتى استقرّوا في شمال الجزيرة العربيّة في بادية السَّماوة وما حولَها من البلاد ، فكانوا يحتلّون بقعةً واسعةً من جزيرة العرب ؛ فلمّا بعث الله رسولَه بالهدى ، وانتشر دينُ الإسلام فَفُتِحَتِ البلادُ ، سكن كثير منهم مواطن جديدة ، ولا سيّما في الشام ؛ وقد أدّتْ سعةُ بلادِهم إلى أن كان لها اتّصال ببلاد عددٍ كبيرٍ من قبائل العرب ، ومِنْ ثَمَّ يُفَسَّرُ ما سبق أنْ مرَّ بنا في الحدِيثِ عَنْ المُصاهرة بينهم وبين غيرهم ولا سيما هذه القبائل التي كانت بجوارهم ؛ كما أنّه كان لهذا الجوار الّذي جعلهم يُواصلونَ غيرهم بالمصاهرةِ نتائجُ أُخرىٰ مِن حروبٍ وأحلافٍ وغير ذلك من العلاقات بينهم وبين غيرهم ، وهذا ما سيتناولُه الحديث فيما يأتي .

* * *

(١) المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤ : ٢٤٩ .

ثالثاً ـ علاقاتُ بَني كَلْبٍ وأيَّامُهم

إن ما سبق في الحديث عن نسب بني كلب تحت عنوان (المُصاهرة بينهم وبين غيرهم) يمثّل جانباً من جوانب العلاقات التي كانت بينهم وبين قبائل العرب الأخرى ، وهي علاقة مهمّة لأنّها أدّت إلى سواها ، كالانتقال في النّسب ـ وقد مرّ بنا شيءٌ من ذٰلك في الحديث عن نواقل بني كلب ـ والجِوار ، وعقد الأحلاف ، وما إلىٰ ذلك ؛ وسبق أن رأينا في الحديث عن منازل بني كلب أنّ القوم كانوا بادىء الأمر في تهامة مع سائر ولد معدّ ، ثم تنقلوا في البلاد حتى استقرّوا في شماليّ جزيرة العرب وحدثَتْ لهم في أثناء ذلك أحداث مختلفة فكانت لهم علاقات متنوّعة من حروبٍ وأحلاف وغير ذلك ؛ وقد اجتمع لديّ أَخبارٌ ومعلومات كثيرة جدّاً ، فهي تحدّثنا عن العلاقة بين بطون كلب ، وبينهم وبين القبائل الأخرى ، وعلاقتهم بملوك الشام ، وبملوك الحيرة ، وبمملكتي الفرس والروم ، ثم علاقتهم بمن كان يجاورهم من يهود ؛ كما تُحدِّثنا عن علاقة بني كلب بالدولة الإسلامية التي أنشأنها رسول الله ﷺ ، ثم علاقتهم بها في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي عصر بني أمية .

١ ـ العِلاقَةُ بيْنَ بُطونِ كَلْبٍ :

إن الوضع السليم لأي قبيلة من القبائل أن تكون بعضُ بطونِها سِلْماً لبعض حَرْباً على أعدائها ، ولكنّ النظر في أخبار قبائل العرب يدلّ على أنّ الوضع لم يكن كذٰلك دائماً ، إذْ ربّما قامت الحرب بين هٰذا البطن وذاك من القبيلة نفسها ، كما كان مِنْ حَرْبِ الفساد بين بني جديلة وبني غوث من قبائل طيّئ[١] ؛ وكما كانت وقعة بالقرب

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ١ : ٦٣٥ـ٦٣٦ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ : ٣٣٦ـ٣٤٠ .

من الطائف بين بني هلال بن عامر بن عصعة وبني معاوية بن كلاب ، وهم الضِّبابُ من بني عامر بن صعصعة[١] ؛ وكذلك كان الأمر في بني كلب ، إذ نجد أربع إشارات إلى بعض الحروب والغارات التي وقعت بين بطونهم ، وأوّلها ما ذكره ابنُ الكلبي من أنّ الحَسَنَ بنَ داسٍ بن مُرّة بن حاميةَ بن غَنْمِ بن أَسْلُم بن تَدُول بن تيم اللاَّت بن رُفَيْدة قَتَلَ غَنَمةَ بن ثعلبة بن تيم اللاَّت بن عامر الأجدار بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت بن رُفَيْدة ، وكان غَنَمَةُ أمنع كلبيٍّ في زمانه ، ولم يكن يَرِدُ حوضَ كلبيٍّ فيمنعه ، ولا يُقْطَع أمرٌ دونه ، فجرَّ قَتْلُهُ حلفَ كلب وتميم[٢] ، وساق الوزير المغربيُّ هذا الخبر مفصّلاً فقال فيه بعدما ذكر قتل الحَسَنِ غَنَمةَ : « وكان غنمةُ سيّد كلبٍ في دهرِه ، وكان لا تُمْنَعُ إبِلُهُ عن وُرودِ أيّ حوضٍ أرادته ، فأقبل ذات يومٍ يطرُد إبِلَهُ إلى حياض بني تيم اللاَّت بن رفيدة ، فدافعه الحسنُ بن داس ، فلمّا بَصُرَ بهِ غلامُ الحسن أعلم مولاه ، وكان في القليب ، أَفْعَمَها سَلْحُها (كذا) ؛ فقال : ارْفَعْني إليك ؛ فرفعه ، فأخذ سيفَهُ فقتل غنمة ، وخرج هو وقومُه هُرَّاباً ، حتى وردوا على بني كنانة بن خُزَيمة ، فسار بنو كنانة بن عوف إلى بني كنانة بن خُزيمة ، وكانت أمُّ كنانةَ بنِ عوف عُذريّةَ بِنْتَ بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزَيمة ، فناشدوهم بالرّحِمِ إلاّ أخرجتم لنا قَتَلَتَنا ، فأخرجوهم على ألا يَضُرُّوهم إلى أن يبلغوا حيث أحبّوا في الأرض ، فخرجوا إلى بني تميم ، فاستعاذوا بعوف بن كعب بن سعد بن زيدِ مناةَ بن تميم ، وكانت أمّه قُضاعيّةً مِن نَهْد ، فأجارهم ، وعقد من أجلهم حِلْف بني تميم وكلب ثم أقرّه في الإسلام مُحَمَّد بن عُمَيْر بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدُس ، وجَبَلَةُ بن الخِمَّةِ بن إياس بن عبد الأَعلَم بن بُرْشم بن الأَسْعَد بن حَبيب بن عَمْرو بن كاهِل بن أَسْلُم »[٣] .

---

(١) انظر معجم ما استعجم (ضرية).

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٩٠ و٣٩٩، وجاء نصّ ابن الكلبي محرّفاً مصحفاً، وقد أشرت إلى ذلك في ترجمة عمرو بن عروة الغدّاء الأجداريّ الشاعر مِن وَلدِ غَنَمة، في الديوان.

(٣) الإيناس : ١٩-٢٠، قولُه : (فدافعه الحَسَنُ بن داس)، ثم قوله (وكان في القليب، أفعمها سَلْحُها) هكذا وردا، ولعل في ذلك تحريفاً ونقصاً والصواب : (فوافق الحسنَ بنَ داس) أي صادفه (وكان في القليب، =

وثاني تلك الحروب والغارات أنّ عِقال بنَ سلاَمة بن رَبيعة بن جَناب بن معاوية الجَوْشَنِ بن بكر بن عامرٍ الأكْبَر وبَلْجَ بن جُشَم بن بكر بن عامر الأكبر كانا يُغيران على بني عبد الله بن كنانة بن بكر بنْ عوف بن عُذرة كثيراً ، فيأكُلان أموالهم[١] .

وثالثها أشار إليه أبو تمّام في قصيدة مدح فيها أحمد بن أبي دُؤاد واعتذر إليه فقال[٢] :

تَثَبَّتْ إنَّ قولاً كان زُوراً ... أتى النعمانَ قبلَك عن زيادِ
وأرَّثَ بين حيٍّ بني جُلاحٍ ... سنا حربٍ وحيٍّ بني مَصَادِ

وبنو الجلاح : من بني عامر بن عوف من كلب ، وبنو مصاد : من بني عليم ابن جناب[٣] .

ورابعها ، وهو أهمُّها ، يُقالُ له يوم نُهَادَة ، فقد جاء في خبر افتراق ولد معدّ الذي نقله البكريُّ عن هشام ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس أنّ حرباً وقعت بين قبائل كلب حين كانوا في ناحية الرَّبَذَةِ وما خلفها إلى جبل طَمِيّة ، قال : « فكانت كلبٌ كلُّها يداً على بني كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللآت بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب ؛ فظهرت بنو كنانة ، قال هشام : الصحّة من ذلك أنّ عامر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة وعَبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف وأحلافَهم كانوا يداً على بني كنانة وأحلافِها ، فظهرت بنو كنانة على هاتين العِمارَتَيْن : بني عامر وبني عبد الله . وفي ذلك اليوم تحالفت أحلافُ كلبٍ كلّها ، فتفرّقت كلبٌ كلّها ، وتَبَايَنَتْ في ديارها ومَنَازِلها »[٤] ، ثم ذكر ما سبق في الحديث عن ديارهم ومنازلهم وإلى أين ظَعَنَتْ

= وأفعَمَها سلحُها) أي أفْعَمَ الحياضَ وملأها سلحُ الإبل؛ وقوله (عُذْرِيَّة بنت بكر) هكذا جاء اسمها عند الوزير، وجاء عند ابن الكلبي (عَذِيرة) في النسب الكبير ٢ : ٣٠٨ .

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٧١ .

(٢) ديوانه ١ : ٣٧٨، وزياد: هو النابغة الذبيان، وأرّث الحرب: أوقد نارها .

(٣) انظر الحديث عن نسبهم ص: ٣٦ ، ٣٨ .

(٤) معجم ما استعجم: ٤٩ـ٥٠ (المقدمة) .

تلك القبائل . وقد أشار ابن الكلبي إلى هذا اليوم في مواضعَ مختلِفةٍ من كتابه « النسب الكبير » وأسماه يوم نُهادَة ، فذكر أنّ المُسَكِّرَ بن عمرو بن الحارث بن كعب ابن الوِكاء ـ واسمُه عَمْرو ـ بن عبد وَدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة « قُتِلَ يومَ نُهادة ، يومَ كان بين بني عبد الله وبني عامر بن عوف وبين بني كنانة بن عوف حَرْبٌ[1] » ، وبيّن أنّ جعفر بن أبي خَلاَّس الشاعر الجاهليَّ[2] « كان على بني عبد الله يوم نُهادة »[3] ، فَقَتَلَهُ القُذَعْمِلُ بنُ الرَّبيع بن حارثة بن كعب بن عبد رُضىً بن جُبَيْل بن عامر بن عمرو بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة ، « وكانَ القُذَعْمِلُ من فُرْسانِ كلبٍ في الجاهليّة ، وقد رَأَسَ »[4] ؛ كما بيّن أنّه كان على بني كنانة بن عوف يومَ نهادةَ ثعلبةُ بن خَيْبريّ بن سَلَمة بن عمرو بن النّعمان بن عامر بن عبد وَدّ بن عوف ابن كنانة بن عوف بن عذرة[5] ، ولم يذكر اسمَ قائد بني عامر بن عوف ذلك اليوم .

وقد ذكر ابن الكلبي أنّ حلفاً كان بين بني كنانة وبين بني عَبْد الله ، وأن حَرْمَلَة بنَ أَصْرَم بنَ الحارث بن كعب بن الوِكاء ابن عمِّ المُسَكِّر بن عمرو المقتول يوم نُهادة هو الذي عقد ذلك الحلف يوم زُمٍّ[6] . فهذا يدلّ على أن تلك الحرب كانت قريبةً مِنْ

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٧٦، وفي : (بين عبد الله بن عامر بن عوف، وبين بني كنانة) تحريف، وقد نقل المحقّق حاشيةً من مختصر كتاب ابن الكلبي جاء فيها : «هذا يكون من غَلَط النُّسَّاخ، فما فيمَنْ ذكر من بطون كلبٍ : عبدُ الله بن عامر بن عوف، وإنما عبدُ الله البطنُ ابن كنانة بن بكر بْنُ عوف، في نسله جعفر بن أبي خلاّس كان على بني عبد الله يوم نهادة، فيكون اليوم بين بني عبد الله بن كنانة بن بكر وبين بني عم أبيه كنانة بن عمرو بن عوف» وقول صاحب الحاشية (كنانة بن عمرو بن عوف) تحريف صوابه : كنانة بن عوف بن عذرة؛ ولم يتنبّه صاحب الحاشية على أن سبب هذا الغلط هو تحريف كلمة (وبني) إلى (بن) في قول ابن الكلبي : (بين بني عبد الله وبني عامر بن عوف)، وانظر ما سبق من نصّ البكريّ في المتن .

(٢) انظر ترجمته، في الديوان .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٥٦ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٩٣ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٨١ـ٣٨٢، والذي جاء فيه : «ومن بَني خيبريّ بن سلمة . . . : خيبريُّ بنُ سَلَمة بن عمرو، كان رئيس بني كنانة يوم نهادة»، ثم قال : «وولد خيبريّ بن سلمة : ثعلبةَ المذكورُ سابقاً . . . » فدلّ ذلك على أن القول الأول فيه نقص صوابه : «ومن بني خيبريّ بن سلمة . . . ثعلبة بن خيبري بن سلمة» .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٧٧ .

عَقْد الحلْفِ ، وليس بين أيدينا ما يقطع بالسابق منهما ؛ غير أنّه كان يسكُنُ دومةَ الجندلِ ـ وهي المكانُ الذي انتقل إليه بنو كنانة بعد يوم نهادة ـ قومٌ من بني عُلَيْم وغيرهم من بني عبد الله[١] ، وهذا يجعلنا نظنّ أن القومَ اصطلحوا وعقدوا بينهم ذلك الحلف .

ولم يكن هذا الحلف وحيداً بين بطون بني كلْب ، فقد أَحْلَفَ هُدْبَةُ بن حارثة بن مخزوم بن سفيان بن المِشَظّ بن عامر المُذَمَّم من بني عامر بن عوف أحلافاً بين بني ماويّة ، وهم أبناءُ عامرٍ المذمّمِ والخزرجِ وامرىءِ القيس أبناءِ عوف بن عامر بن عوف[٢] ؛ كما أنّ مُطرِّفَ بْنَ وَهْب بن مالك بن عبد مناة ، من بني عُلَيْم بن جناب عقد حلفاً بين بطون بني عبد الله ، وهم بطونٌ كثيرة منهم بنو جناب بن هبل : زهيرٌ وعليمٌ وعديٌّ وحارثةُ ، وبنو عُبَيْدَةَ بنِ هُبَل ، وغيرُهم[٣] .

فهذه هي الأخبار التي وقفت عليها ممّا يتّصل بالعلاقات بين بطون بني كلب .

٢ ـ علاقاتهم مع القبائل الأخرى :

أ ـ مع قبائل قضاعة :

من قبائل قُضاعة التي وقفتُ على علاقات لهم مع بني كلب : **بنو النَّمِر بن وَبرة** ، فقد ذكر ابن الكلبي وابنُ حزمٍ أنَّ بني مَشْجَعَةَ والغَوْثِ ابني التّيْمِ بْنِ النّمر كانوا مع بني كلب بن وبرة عمِّهم[٤] ، وهذا الأمْرُ يفسِّرُ لنا اشتراكَ ثعلبةَ الفاتكِ بن عامر بن عوف الشّاعر الكلبي ومعاويةَ بنِ حُجَيْرٍ المَشْجَعيّ في قتل داوود اللَّثِقِ بن هَبَالَةَ السَّليحيّ من ملوك الشام قبلَ الغساسنة[٥] .

ومنها **بنو القَيْنِ بن جَسْر** بن شَيْع اللاّت بن أَسَد بن وبرة : وكان لهم مع بني كلب

---

(١) انظر رسم (دومة الجندل) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٦٥ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٤٠ .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٤٤٧ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٥ .
(٥) انظر ترجمة ثعلبة في الديوان .

علاقات مختلفة ، فقد قال ابن حزم : « وكان للقين جمعٌ عظيمٌ وثروةٌ في أكناف الشام ، فكانوا يناهضونَ كلب بن وبرة ، ثم ضَعُفوا ووَهَنَ أمرُهم ، حتى ما يكاد أنْ يُعْرَفوا »[1] ، فمن مُناهَضَة بني القين بن جسر كلباً ما روى الأصفهانيُّ عن أبي عمرو الشيباني أنّه قال : « كان الجُلاح بن عَوْفٍ السَّحْميّ قد وَطَّأَ لزهير بن جناب وأنزله معه ، فلم يزل في جناحه حتى كَثُر مالُه ووَلَدُه ، وكانت أختُ زهيرٍ متزوّجةً في بني القين بن جَسْر ، فجاء رسولُها إلى زهيرٍ ومعه بُرْدٌ فيه صِرَارُ رَمْلٍ وشوكةُ قَتَادٍ ؛ فقال زهير لأصحابه : أتتكم شوكةٌ شديدة ، وعددٌ كثيرٌ ، فاحْتَمِلوا ؛ فَقال له الجُلاح : أَنَحْتَمِلُ لقول امرأة؟! واللهِ لا نفعل! فقال زهير :

أمّـا الجُـلاحُ فـإنّـي فـارقْتُـهُ ... لا عن قِلىً ، ولقد تَشِطُّ بنا النَّوىٰ
فَلئِـن ظعنـتُ لأُصْبحَـنَّ مُخَيِّمـاً ... ولَئِنْ أَقَمْتُ لأَظْعَنَنَّ عَلَىٰ هَوَىٰ

قال : فأقامَ الجُلاحُ ، وظعن زهير ، وصَبَّحَهُمُ الجيشُ فقتلَ عامةَ قوم الجُلاح وذهبوا بماله .

قال : واسم الجُلاحِ : عامرُ بن عوف بن بكر بن عوف بن عامر بن عوف [بن بكر بن عوف] بن عذرة .

ومضى زهيرٌ لِوَجْهِهِ حتى اجتمع مع عشيرته من بني جناب ، وبلغَ الجيشَ خَبَرُهُ فقصدوه ، فحارَبَهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيساً منهم ، فانصرفوا عنه خائبين ؛ فقال زهير :

أمِنْ آلِ سَلمى ذا الخيالُ المؤرِّقُ ... وقَدْ يَمِقَ الطيفَ الغريبُ المُشَوِّقُ

. . . . (القصيدة) .

وقال زهير في ذلك أيضاً :

سائل أميمةَ عني هل وَفَيْتُ لها ... أم هل منعتُ مِنَ المَخزاةِ جيرانا

---

(١) جمهرة أنساب العرب : ٤٥٤ .

. . . . (القصيدة)[1] » .

والجُلاحُ من بني كلب ، إذ إن عذرة الذي ساق أبو عمرو نسبَة إليه هو ابنُ زيد اللاّت بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب بن وبرة[2] . وكان زهير بن جناب أراد غَزْوَ غطفان حين بَنَتْ بُسّاً واتخذته حرماً مثل حَرَم مكة ، فاستمدّ بني القين فأبَوْا أنْ يغزُوا معهم ، فسار إليهم في قومه فهدم حَرَمهم ؛ وقال في ذلك شعراً عرّض فيه ببني القين ولامَهُم .

وأنشد البكريُّ قولَ دريد بن الصِّمّة الجُشَميّ[3] :

ويومَ شباكِ الدَّوْمِ دانَتْ لدِيننا قضاعةُ لو يُنْجي الذّليلَ التَّحَوُّبُ
أُقيمَ لهم بالقاعِ قاع بَلاكِثٍ إلى ذَنَبِ الجَزْلاءِ يومٌ عَصَبْصَبُ

فذكر أنَّ بَلْقين بن جَسْر وكلباً أغاروا على بني جُشَم ، فأدركتهم جُشَمٌ بشَبَكةِ الدَّوم ، فارتجَعوا ما بأيديهم ، وقتلوا فيهم .

وَجَاء في شعر لشَراحيل بن عبد العزّى الكلبي قوله[4] :

صَبَرْتُ لهم حُدَيرةَ يومَ مَثْرٍ وقد حَشَدَتْ بنو القينِ بنِ جَسْرِ

وحُدَيرة : فرسُه ، ومَثْر : من ديار بني القين بن جسر ، ويقول في هذه القصيدة :

---

(١) الأغاني ١٩ : ٢٤ـ٢٦ ، وما بين معقوفتين ساقط منه ، فأثبتُّه عن النسب الكبير ٢ : ٣٦٠ ، حيث ذكر الجلاح ونسبه ، ومختار الأغاني ٤ : ١٧٨ ، وفيه : «الجلاح بن عوف السَّحِيْمي أحد بني سَحِيمة» تصحيف ، والصواب : (السَّحْمِيّ أحد بني سَحْمَة) ، وهي سَحْمَةُ بنت كعب بن عمرو بن خَيْليل من غسان ، وهي أم بكر بن عوف بن عامر بن عوف وبعض أخوتِهِ ، وبها يُعْرَفون ؛ النسب الكبير ٢ : ٣٥٨ . وجاء الخبر في الكامل في التاريخ ١ : ٥٠٥ـ٥٠٦ غير أنّه لم ينشِد الشعر ، وفيه (السُّحَمي) بضم السين وفتح الحاء ، والصواب : فتح السين وسكون الحاء ؛ وأُشير إلى الخبر في تاريخ أبي الفداء ١ : ٩٥ ، وتاريخ ابن الوردي : ١ : ١٠٥ ، وفي إشارتهما وَهْمٌ ، إذ قالا : «غزَا بني القينَ» ، والخبر يدلُّ على أنّهم هم الذين غزوا بني كلب فثبت بنو كلب وهزموهم .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٠٧ و٣٥٧ و٣٦٠ .

(٣) معجم ما استعجم (بلاكث) ، والبيتان في ديوانه (٤٠) عن معجم ما استعجم .

(٤) انظر شعره في الديوان .

ولـولا رَكْـضُ أبْهَـرَ قـاظَ فينـا أبـو حَكَـمٍ يُـؤمِّـلُ أَوْبَ صَخْـرِ

وأبْهَرُ : فرس لأبي حَكمٍ القيني ؛ فهذا يومٌ من أيامهم .

وقد غزا جُزيُّ بن عمرو بن ثعلبة ، من بني عَديّ بن جناب بني القين بن جَسْر ورئيسُهم هلالٌ القيني ، فقتله ربيع بن زياد الشاعر الكلبي من بني عَديّ أيضاً ، ويُسمّى هذا اليوم بيوم الحَجْر ، وقد افتخر به جوّاس بن القعطل الكلبي في شعره[1] .

ووصل إلينا أسماء ثلاثة رجال قَتَلَهم بنو القين ، فذكر ابن الكلبي أنّ صالحَ بن لأْم بن حِصْن بن كعبٍ بنَ عُلَيم بن جناب وأخاه جَبَلَةَ بن لأم ، وكانا قد رأسا : « قُتِلا في حرب كانت بينهم وبين بَلْقين ؛ وصالحٌ : الذي قامَرَ طريفاً خالَ زهير بن أبي سُلمىٰ وفي ذلك يقول زهير :

فـأبلـغ صـالحـاً عنّـي ابْـنَ لأمٍ وبعضُ القولِ ليس به خفاءُ »[2]

علىٰ أنّ ابن الكلبي قال في موضع آخر ، وذكر رجالاً من بني فزارة : « وشَرِيْك بن حُذَيفة ، الذي قتلَ صالحَ بن لأمٍ الكلبيَّ ، فقال له الشاعر :

وصالحاً كفاكَهُ شَرِيكْ بصارمٍ ذي رَوْنق بَتِيكْ »[3]

فإمّا أن شَرِيْكاً وبعضَ بني فزارة دخلوا مع بني القين بن جَسْر في حربهم مع كلب ، فَقَتَلَ شريكٌ صالحاً في حربهم تلك ؛ وإمّا أنْ يكونَ في الأمر وهمٌ .

والرجل الثالث هو الأشْهَبُ بن مَسْروق بن حُجْنَةَ من بني كعب بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة ، ذكر ابن الكلبي أنَّ القين بن جسر قتلته[4] .

وقد جاور في بني كلب قومٌ من بلقين ، وهم بنو القُمَيْر ـ واسمه عَلْقَمَةُ ـ بن

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣١٨ ، وترجمة الربيع بن زياد ، وشعر جواس في الديوان .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٣٠ .
(٣) جمهرة النسب ٢ : ١٤٠ .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٥٥ .

سُوَيْد بن شَديد بن أَنَس بن مالك بن كعب بن القين ، « أصابتهم نعمةٌ من الفَرَافِصة ابنِ الأَحْوص الكلبي ، فهم معهم ، يقول بنو الفرافصة : هُم مَوالٍ لنا »[1] .

ومن قبائل قضاعة تلك : **سَعْدُ هُذَيم بن زيد بن ليث بن سُود** بن أَسْلم بن الحاف بن قضاعة ، **وبنو عذرة بن سعد هُذَيم** الذين يُنْسب إليهم الحبّ العُذْريّ ؛ فقد ذكر ابن الكلبي أنّ كعبَ بن عُلَيْم بن جناب كانت عندَه كُعانَةُ بنت شُيَيْم بن زيد بن عوف بن وائل : « فقتلته بنو عذرة ، وهي حبلى »[2] ، وقال في موضع آخر ذكر فيه أولادَ عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سعد هذيم : « فولد عبد الله بن ذُبيان . . . وشِقّاً ، وهو مِداشٌ الذي قَتَلَ كَعْبَ بنَ عليم بن جناب »[3] ، وهذا يدل على أنّ قاتِلَه ليس من عُذْرة بن سعد هذيم ، بل من بني أخيه الحارث بن سعد هذيم ، ولم يَقُل ابن الكلبي إنّ بني عذرة قتلت كعباً نتيجة وهْمٍ لأنّه ذكر هو وابنُ حزم أنّ بني الحارث دخلوا في بني عذرة[4] ، وبيّن ابنُ الكلبي أنّ بني كلب ثأروا من بني سعد هذيم ، فقال : « ووَلَدَ عبدُ الله بن عُلَيْم بن جناب . . . وثعلبةَ ، وهو الأعرج ، كان فارساً ، وهو الذي طَلَبَ بدَمِ كعب بن عُلَيْم ، وقَتَلَتْهُ بنو سعد هُذَيم ، فقتل به منهم ثمانية »[5] وأشار إلى قتلِ كعبٍ في موضع آخر فقال : « وولد عليم بن جناب : كعباً ، وفيه العدد والشرف قتله بنو سعد هُذَيم »[6] .

وآخر تلك القبائل بنو **نهد بن زيد بن ليث** أخي سعد هذيم بن زيد ، فقد ذكر ابنُ الكلبيّ أنّ بني عامر بن نهد « حالفوا عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم »[7] ،

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٤٠٨ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٤١١ .
(٣) النسب الكبير ٣ : ٣٣.
(٤) انظر النسب الكبير ٣ : ١٥ و٣٣، وجمهرة أنساب العرب : ٤٤٧ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٣٨.
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٢٩، وفيه (بنو سعدىٰ) وهو تحريف يدلّ عليه ما سبق من كلام ابن الكلبي .
(٧) النسب الكبير ٣ : ٤٨ .

وعَدِيٌّ هو أبو امرىء القيس بن عديّ الشاعر[١] ، وذكر البلاذري أنّ بني عامر بن نهد جاؤوا إلى الشام بعد خروجهم عن معدّ « وهم في كلب بن وبرة »[٢] ؛ كما ذُكِرَ أنَّ بني عمرو بن نَهْدٍ حالفوا بني عديّ بن جناب ، وبني إساف بن هُذَيم بن عدي بن جناب خاصة منهم ، وهم رَهطُ سويد بن مشنوء النهديّ الشاعر[٣] .

ب ـ مع سائر قبائل مَعَدّ :

في قبائل معدّ بن عدنان كُتَلٌ قَبَلِيّة كثيرة ، وأكبر تلك الكُتَل : المُضَريّةُ ، نسبةً إلى مُضَر بن نزار بن معدّ ، وفي هؤلاء أيضاً تكتُّلاتٌ قبليّة أَشهرُها قبائل قيس عيلان ابن مضر بن نزار ، والرَّبَعيّة ، نسبةً إلى ربيعة بن نزار بن معدّ ، ومنها بنو إياد بن نزار ابن معدّ ؛ وقد قدّمت المصادرُ أخباراً كثيرةً تبيّن العلاقة بين بني كلب وبين عدد من تلك القبائل التي ينتهي نسبها إلى معدّ بن عدنان .

فمِن أقدم تلك الأخبار خَبَرُ الحرب التي وقعت بين **قبائل نزار بن معدّ** وبين قبائل قضاعة بن مَعَدّ ـ ومنهم بنو كلب ـ أيّام كانوا مجتمعين في ديارهم بتهامة ، وديار نزار وقضاعة متجاورة حينذاك ؛ وقد أثار تلكَ الحربَ قتلُ حَزِيْمَةَ بن نهدٍ القضاعيّ يَذْكُرَ ابنَ عَنَزَةَ من مُضَر حينما أبىٰ أن يزوّجه ابنته فاطمة بنت يذكر في خبرٍ طويلٍ مشهور ، فاجتمعت نزار بن معدّ على قضاعةَ ، وأعانتهم كندةُ ، واجتمعت قُضاعةُ وأعانتهم عَكٌّ والأشعرونَ ، فاقتتل الفريقان ، فقُهِرت قضاعة ، وأجلَوا عن منازلهم ، وظعنوا مُنْجِدين ، فقال عامرُ بن الظَّرِب بن عِيَاذ بن بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان في ذلك :

قُضاعةَ أجلينا مِنَ الغَوْرِ كُلِّهِ إلى فَلَجاتِ الشّامِ تُزْجي المواشيا

في أبيات له ؛ فكان بسبب ذلك انتقالُ بني كلبٍ إلى حَضَنٍ والسِّيِّ وما صاقبهما[٤] ،

---

(١) انظر ترجمته في الديوان .

(٢) أنساب الأشراف ١ : ١٩ .

(٣) انظر النسب الكبير ٣ : ٤٨ـ٤٩ و٥٦ ، وأنساب الأشراف : ١ : ١٩ ، والأغاني ١٧ : ٢٢٧ .

(٤) انظر معجم ما استعجم ١٩ـ٢١ و٢٥ ، والأغاني ١٣ : ٧٨ـ٨٣ ، ومجمع الأمثال ١ : ٧٥ .

وعلى أنّ عامر بن الظَّرِب العدواني كان قبل ذلك قد قاد ربيعةَ ومُضَرَ وقضاعة يوم البَيْداء لنُصرةِ كلبٍ وبني عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر حين حاربتهم حِمْيَرُ ـ وسيأتي الكلام علىٰ ذلك في الحديث عن علاقة بني كلب بحمير[1] ـ فدلّ ذلك على أنّ يومَ البَيْداء كانَ قبلَ أن تقعَ الحربُ بين قضاعة ونزار .

فهذان الخبران يدلاّن على العلاقة بين بني كلب وإخوتهم من قُضاعة وبين بني نزار بن معدّ عامّةً ، والذي يهمّنا أكثر هو ما كان بين بني كلب خاصّة وبين تلك القبائل المتفرّعة من مَعَدّ ولنبدأ أولاً بالقبائل المُضَريّة :

فقد كان لبني **كنانة بن خُزَيمة** بن مدركة بن الياس بن مُضَر يومٌ على بني كلب ، إذْ أغار علقمةُ جِذْلُ الطِّعانِ بنُ فِراس بن غَنْمِ بن ثعلبة بن مالك بن كنانة على بني عبد الله بن كنانة بن بكر من كلب ، وهم مُقيمونَ بعُسْفانَ ، فقُتِلَ في تلك الوقعة عبد الله بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة ، وأخوه عُبيدة ، ومالكُ بن عبيدة بن هبل ، وصُرَيم ابن قيس بن هُبَل ، . . . وأُسِرَ مالكُ بنُ عبد الله بن هبل الذي يُقال له : الوَحيد ، أَسَرَهُ جِذْلُ الطِّعان ، فافتده أمُّه بأُختِه رُهْمٍ ، فولدت له جميع أولاده ؛ ولم يشهد زهير بن جناب بن هُبَل تلك الغارة ، وكان له حديثٌ مع فتياتٍ ممّن شهدها آباؤُهن ، وفي حديثه ذلك قال : لا تُعلِّمِ اليتيمَ البكاءَ ، فذهبت مثلاً[2] .

ومن قبائل مضر **بنو ضَبّة بن أُدّ** بن طابخة بن إلياس بن مُضَر ، فكانت لضرار بن عمرو الضبّي إغارة في جمعٍ من قومه على بني عديّ بن جناب من كلب ، فأصابَ ضرارٌ فيما أصابَ يومئذٍ أهلَ عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضَمْضَم بن عديّ بن جناب ، وكان صديقاً لضرار ، وفيمن أخذ ضرارٌ منهم : سلمى بنت وائلٍ الصائغِ ـ وكانت أَمَةً له ـ وأمُّها وأُختانِ لها ، وسلمى هي أمّ النعمان بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، ولم يشهد عمرٌو القومَ ، فلمّا جاءه الخبرُ تَبِعَ ضِراراً ، وقال

---

(١) انظر الصفحة : ١١٤ ـ ١١٦ .

(٢) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٥٣ ، وجمهرة النسب ١ : ٢٣٠ ، والفاخر : ١٧١ـ١٧٢ ، والوسيط في الأمثال : ١٩٢ـ١٩٣ ، ومجمع الأمثال ٢ : ٢٣٦ ، والتاج (ريش) ، وانظر ترجمة زهير في الديوان .

له : أَنْشُدُك المودّةَ والإخاءَ ، فإنك قد أصبْتَ أهلي فارددهم عليّ ؛ فجعل ضرار يردّهم شيئاً فشيئاً ، حتى بقيت سلمى وأُختاها ، وكانت سلمى قد أعجبت ضراراً فسأله ردّهنّ ، فردّ أُختيها وأبقاها ؛ فقال عمرو : يا ضرار! أتبع الفَرَسَ لجامَها ، والناقةَ زمامَها ، أو قال : والدَّلْوَ رشاءها ؛ فذهبتَ مثلاً[1] .

وذكر ابنُ الأعرابي الدَّخيلَ فرسَ الكَلَجِ الضبيّ فقال : « فرسُ الكَلَجِ : الدخيلُ ؛ قال يوم كلب :

أبْـــدَلْتُكُـــمْ مِنْـــهُ الـــدّخيـ ـــلَ يَكُوسُ فاخْتَلُّوا حِبالَهُ

يكوس ، يمشـي على ثلاثٍ . وكان قَتَلَ فُضالةَ ، وعقروا فَرَسَهُ ؛ وفُضَالةُ : أبو دحية الكلبي »[2] .

وكانت علاقات بني كلب ببني **تميم بن مر بن أُدّ** ابنِ أخي ضبّة بن أدّ أوْسَع من علاقاتهم بضبّة ، فقد مرّ بنا في الحديث عن العلاقة بين بطون بني كلب ما ذكره الوزير المغربي من أنّ الحسن بن داس أحد بني تيم اللات بن رفيدة قتَلَ غَنَمةَ بن ثعلبة الأجداريّ من بني زيد اللاّت بن رفيدة ، وما كان من استجارة قوم الحسن بن داس بعوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فَعُقِدَ من أجلهم حِلْفُ بني تميم وكلب في الجاهلية ، ثمّ أقرّهُ في الإسلام محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدُس ، وجَبَلَةُ بن الخِمَّةِ بن إياس بن عبد الأعلم بن بُرْشُم بن الأسعد بن حبيب بن عمرو بن كاهل بن أَسْلُم بن تَدُول بن تيم اللات[3] ؛ وقد ذكر ابنُ الكلبي تشديد جَبَلَة ومحمد بن عمير هذا الحِلْفَ في الإسلام[4] ، وأنّ تجديد ذلك الحلف كان على عهد

---

(١) انظر أمثال العرب للمفضّل : ٥٠ ، وجمهرة الأمثال ١ : ٩٢ ، ومجمع الأمثال ١ : ١٣٤ ، والمستقصىٰ ١ : ٥ ، وذكر البكريّ المثلَ في فَصْل المقال : ٣٤٥ دون القصة .

(٢) أسماء خيل العرب وفرسانها : ٩٦ ، وفيه (الكَلْح) بسكون اللام وبالحاء المهملة ، تصحيف ، وأثبتُّ الصواب عن التكملة للصغاني ، والقاموس والتاج (كلج) و(دخل) ؛ ودحية هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ، انظر ترجمته في الديوان .

(٣) انظر ص : ٧٧ ـ ٧٨ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٤٠١ ، ووقع فيه تحريف في اسم جبلة ، فذكر أنه جبلة بن أحمد بن أياس بن بَرْسم ، =

علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1] ؛ وذهب أبو عبيدة إلى أنّ تميماً حالفت كلباً بعد مقتل عثمان رضي الله عنه في الفتنة ، فكَفِلَ على بني تميم أحدُ بني دَيْسَق اليربوعي ، وعلى كلب رجلٌ من بني عليم[2] ؛ ولا شك في أنّ الحِلْفَ أوّل ما عُقِد لم يكن بعد قتل عثمان ، وإنما كان في الجاهلية ثم جُدِّدَ فيْ الإسلام على عهد عليّ بعد مقتل عثمان كما سبق من قول ابن الكلبي والوزير المغربيّ ، ويؤكّد ذلك أنّ بني تميمٍ أجاروا كلباً في عَهْدِ أبي بكرٍ عندما اجتمع المرتدّون إلى حصْنِ دومة فلم يحملهم ، فنادىٰ عاصم بن عمرو التّميميّ : يا بني تميم، حلفاؤكم كلب ، آسوهم وأجيروهم ، فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ، فكان ذلك سبب نجاتهم يومئذ[3] .

وأنشد محمّد بن سلام الجمحيّ أبياتاً للفرزدق مدح فيها الأبرش الكلبي ، وقال فيها :

أبىٰ حِلْفُ كلْبٍ في تميمٍ وعَقْدُها ـ كما سنّتِ الآباءُ ـ أن يتغيّرا

ثم أنشد قوله :

أشدُّ حبالٍ بين حَيَّيْنِ مِرَّةٍ حبالٌ أُمِرَّتْ من تميمٍ ومن كَلْبِ

كما أنشد قول جرير :

تميمٌ إلى كلب ، وكلبٌ إليهم أحقُّ وأولىٰ من صُداءَ وحِمْيرا

وقال : « وكان حلفٌ قديمٌ بين كلب وتميم في الجاهلية »[4] ؛ وذكر ابن النديم أنّ

= والصواب أن اسم أبيه هو الخِمَّةُ كما ورد في الإيناس : ٢٠، ويؤكد ذلك قول الغندجاني، وذكر فرساً اسمه الكميت : «لابن الخِمّةِ الكلبي من بني تيم اللات من رفيدة» أسماء خيل العرب : ٢٠٩ .

(١) النسب الكبير ١ : ٨٤ .

(٢) النقائض : ٢٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٣ : ٣٧٧ـ٣٧٩، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ـ٣٩٦، والبداية والنهاية ٦ : ٣٥٤ـ٣٥٥، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٢ .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٣٥٠ـ٣٥١ . ولم أقف على البيت الأول للفرزدق في ديوانه، في حين جاء الثاني فيه : ١٤، وبيتُ جرير في ديوانه : ٤٧٢ .

ابن الكلبي ألّف عدداً من الكُتُب في الأحلاف بين القبائل ، ومنها (كتاب حِلْف كلب وتميم)[١] ، كما ذكر أن الهيثم بْنَ عديّ كان له عدد من الكتب في هذا الموضوع ، منها (كتاب حلف كلب وتميم)[٢] .

علىٰ أنّ هذا الحِلْف لم يكن يحولُ دون وقوع الغارات بين القبيلتين أو بين بطونهما ، فقد عدَّ ابنُ رشيق بني كلب من القبائل التي قاتلتها بنو تميم حين أرادت أن تأتيَ بلادَ تميم[٣] . وذكر ابن الكلبي والمرزبانيّ أنّ كلباً قتلت هوذَةَ بن جَرْول بن نهشل بن دارم التميمي الشاعر[٤] ، كما ذكر ابن الكلبي أنّ صُرَيم بن حارثة الكلبي من بني رَقاشِ ثم من بني مالك بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة كان قد أسر سلمىٰ بنَ جَنْدل بن نهشل بن دارم التميمي[٥] ، وهو عم هوذة بن جرول . وقال ياقوت الحموي : « يوم المِعا : مِنْ أيّام العرب ، قُتِل فيه عبد الله بن الرائش الكلبيّ ، فقال بدرُ بن امرىء القيس بن خَلَف بن بَهْدَلَة :

ولقد رحلْتُ على المكارِهِ واحداً ... بالصّيفِ تَنْبحُني الكِلابُ الحُصَّرُ
وطعنْتُ عبدَ اللهِ طعنةَ ثائرٍ ... وبأيِّكم يومَ المِعَا لَمْ أثأَرِ
فطعنتُهُ نَجْلاءَ يهدُرُ فرعُها ... سَنَنَ الفروعِ من الرباط الأشقر »[٦]

وبدرٌ هذا هو أبو الزّبرقان بن بدر بن امرىء القيس التميمي الصّحابيّ الشاعر[٧] .

وجاء في شعرِ لِمِخْلَبٍ المُجَاشعيّ ـ ومُجاشع من تميم ـ أنشده أبو تمّام[٨] :

---

(١) الفهرست : ١٨٩ ، ومثله في معجم الأدباء ١٩ : ٢٨٨ .
(٢) الفهرست : ١٩٦ ، ومثله في معجم الأدباء ١٩ : ٣٠٩ ، وكشف الظنون ٦ : ٥١١ .
(٣) العمدة : ٩٢١ .
(٤) جمهرة النسب ١ : ٣٠٠ ، ومعجم الشعراء : ٤٦٠ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٧٤ .
(٦) معجم البلدان (المعا) .
(٧) انظر جمهرة النسب ١ : ٣٤٨ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣١٨ .
(٨) الوحشيات : ٩٥ .

أفائتتي كلبٌ ولم أحْوِ سَرْحَها عَلامَ إذاً في الحرب سُمِّيتُ مِخْلَبا
جَلَبْتُ إليها الخيلَ حتى شلَلْتُها بحَوْمَلَ فالمِقراةِ شَلاًّ عَصَبْصَبا

وذُكِر أنّ زرارة بن عُدُس الدّارميّ التميميّ أصابَ سبيّةً اسمُها رُشَيَّةَ من الرُّفَيْداتِ وهم بنو رُفيدة بن ثور بن كلب ، فَعارضَها كُبَيْسُ بن جابر الدارميّ فولدت له بَنينَ ، وكان لبني تميمٍ فيهم خبرٌ مذكور[١] .

كما ذُكِر أن الدَّرْماءَ أمّ مِحْصَن بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي كانت سبيّة من تميمٍ ، وقد عُرِف بها القعقاع بن حُرَيث بن حكيم بن سلامة بن مِحْصَن الشاعر ، فقيل : القعقاع بن درماء[٢] .

وكان بين بني يَربوعٍ من تميم وبين بني عبد ودّ بن عوف بن كنانة من كلب يومٌ يقال له يوم عُذْر ، فهزمتهم فيه بنو يربوع ، فقال حارثة بن أوس من عبد ودّ بن عوف بن كنانة ، وذَكَرَ فرسَهُ حَوْمَل[٣] :

ولولا جَرْيُ حَوْمَلَ يومَ عُذْرٍ لَمَـزّقَنـي وإيّـاهـا السـلاحُ

فكلّ هذه الإشارات تؤكّد ما سبق من أنّ ذلك الحِلْف لم يكن مانعاً للتغاور بين أحياء القبيلتين ، ومع ذلك لم تؤدِّ هذه الغارات إلى حلِّهِ والتَّخَلّي عنه ، إذْ رأينا أنّ تميماً أجارَتْ كلباً في دومة الجندل ، كما ذُكِرَ أنَّ مالكَ بن نُوَيْرَةَ اليَربوعيّ انكسرَتْ فرسُهُ نِصاب فحملَهُ الفَرافصةُ بنُ الأحوص الكلبي ، أو أبوهُ الأحوصُ بن عمرو على فَرَس له يقال لها الوَريعةُ ووهَبَهُ إيّاها ، فمدحه مالكٌ ومدح قومَه[٤] .

وكان لبني كلب مع **قبائل قيس عيلان** بن مُضَر علاقات يغلبُ عليها التَّنافُر منذُ

---

(١) انظر أمثال العرب ـ للمفضّل : ٥٢ ، ومجمع الأمثال ١ : ١٢٩ .
(٢) انظر ترجمته في الديوان .
(٣) انظر ترجمة حارثة بن أوس وشعره في الديوان .
(٤) انظر أنساب الخيل : ١٠٣ ، وأسماء خيل العرب وفرسانها : ٦٣ـ٦٤ ، وأسماء خيل العرب وأنسابها : ٢٤٧ و٢٥٣ . والعمدة ٢ : ٢٣٥ ، والمخصّص ٢ : ١٩٥ ، وحلية الفرسان : ١٦٢ ، والقاموس والتاج (ورع) .

الجاهليّة ، ولا سيّما غطفانَ ، ثُم ذُبيانَ منهم خاصّةً ؛ وما زال ذٰلك التّنافر بينهم حتى كانت العصبيّةُ بين قيس وكلب أيّام بني أميّة .

فمن ذلك أنّ زهير بن جَناب غزا غطفانَ في قومه ، إذ روىٰ الأصفهانيّ عن ابن الأعرابيّ أنّه قال : « كان سببُ غزوةِ زهير بن جنابٍ غطفانَ أنّ بني بَغيضٍ حين خرجوا مِن تِهامةَ ساروا بأجمعهم فتعرّضَتْ لهم صُداء ، وهي قبيلةٌ مِنْ مَذْحِج ، فقاتلوهم ، وبنو بغيضٍ سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم ، فقاتلوا عن حريمهم ، فظفِروا على صُداء ، فأوجعوا فيهم ونكؤوا ، وعزّت بغيضٌ بذلك وأثرَتْ وأصابتْ غنائم ؛ فلمّا رأَوْا ذلك قالوا : أما والله لنتّخِذَنّ حرماً مِثْلَ حَرَمِ مكّةَ ، لا يُقْتَلُ صيدُه ولا يُعْضَدُ شَجَرُه ، ولا يُهاج عائذه ؛ فَوَلِيَتْ ذلك بنو مُرّة بن عوف ، ثم كانَ القائمُ علىٰ أمرِ الحرمِ وبناءِ حائطِهِ رياحُ بن ظالم ، ففعلوا ذلك وهم على ماءٍ لهم يُقال له : بُسّ ؛ وبلغ فِعْلُهم وما أجمعوا عليه زُهيرَ بن جناب وهو يومئذٍ سيّد بني كلب ، فقال : والله لا يكونُ ذلك أبداً وأنا حيّ ، ولا أُخلّي غطفانَ تتَّخِذُ حرماً أبداً ، فنادى في قومِه فاجتمعوا إليه فقام فيهم ، فذكر حال غطفان وما بلغه عنها ، وأنّ أكرم مأثُرةٍ يعتقدها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك ، ويحولوا بينهم وبينه ، فأجابوه ، واستمدّ بني القين بن جسر[1] فأبوا أن يغزوا معه ، فسار في قومه حتى غزا غطفان ، فقاتلهم ، فظفر بهم زهير وأصابَ حاجَتَهُ فيهم ، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حَرَمهم الذي بَنَوْهُ ، فقال لبعض أصحابه : اضْربْ رقبتَهُ ، فقال : إنّه بَسْلٌ ، فقال زهير : وأبيكَ ما بَسْلٌ عليّ بحرامٍ ، ثم قام إليه فضرب عنقه وعطّل ذلك الحَرَم ، ثم مَنَّ على غطفان وردَّ النساءَ ، واستاق الأموال ؛ وقال زهير في ذلك :

ولم تصبر لنا غطفانُ لمّا تلاقينا وأُحْرِزت النّساءُ

. . . . (الأبيات)[2] » .

---

(١) في الأغاني (دار الكتب) : «القين من جُشَم» تحريف ، وأثبتّ الصواب عن طبعة الأبياري ٢١ : ٧٢٤٢ .

(٢) الأغاني ١٩ : ١٥ـ١٧ ، ومختاره ٤ : ١٧٣ـ١٧٤ ، ومثله في الكامل في التاريخ ١ : ٥٠٢ـ٥٠٤ ، وتكاد تكون رواية الكامل تطابق رواية الأغاني تماماً إلاّ في بعض العبارات التي أسقطها صاحب الكامل .=

وروى ابن الكلبي والهمداني وغيرهما هذا الخبر مختصراً ؛ فذكروا أنّ الذي بنى بُسّاً هو ظالم بن أسعد لا ولدُه رياح بن ظالم[1] ، وزاد ابنُ الكلبي والهمدانيّ أنّ النَّبي ﷺ بلغه ذلك فقال : « لم يكن شيءٌ من أمرِ الجاهليّة وافقَ الإسلامَ إلاّ ما صنع زهير بن جناب »[2] .

وظالم هو ابنُ أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان[3] ، وبغيضٌ هو أبو ذبيان وعبس اللّذين دارت حرب داحس والغبراء بينهما وبقيت أربعين سنة[4] .

وتدلّ القرائن على أنّ غزوة زهير هٰذه كانت في النصف الأوّل من القرن السادس الميلادي ، ذٰلك أنّ مصادر الخبر ذكرت أنّ بُسّاً كان لغطفان كلِّها ، وأنّ زهيراً غزا غطفان ، ومِنْ ثمَّ كانت الغزوة قبل أن تقع الحرب بين عبس وذبيان ، وقد قدّر المؤرّخون المعاصرون أنّ تلك الحرب كانت بين سنتي ٥٦٨ و٦٠٨ للميلاد[5] ؛ ويؤكد ذلك أمران ، الأوّلُ : أنّ المُثلَّم بن رياح بن ظالم بن أَسْعد حفيد ظالم كانت تحته ابنةُ النابغة الذبياني عَقْرَبُ ، فأسرها النعمان بن جبلة الجُلاحيّ في جيشٍ للنعمان بن الحارث الغسّاني[6] ، وكانَ حُكْمُ النّعمان بن الحارث بعد سنة (٥٨٠م)[7] .

والأمر الثاني : هو النظر في نسب ظالم ونسب بعض الأعلام المذكورين في حرب داحس والغبراء وغيرهم ، فمن هؤلاء الأعلام : هَرِمُ بنُ سنان بن أبي حارثة

= وبنو بغيض : هما عبس وذبيان . ويُعضَد : يُقْطَع . ويُهاج : يُثار ويُرَوَّع . والبَسْلُ : الحرام .

(١) جمهرة النسب ٢ : ١٢٢ و١٩٠ ، والإكليل ٨ : ٨٤ ، والعباب والقاموس والتاج (بسس) ، وورد الخبرُ مختصراً دون ذكر اسم الذي بنى بساً في : تاريخ أبي الفداء ١ : ٩٥ ، وتاريخ ابن الوردي ١ : ١٠٥ .

(٢) جمهرة النسب : ١٩٠ ، والإكليل ٨ : ٨٤ .

(٣) جمهرة النسب ٢ : ١١٦ و١٢٢ وما قبله .

(٤) جمهرة النسب ٢ : ١٠٧ .

(٥) انظر تَاريخ الجاهليّة : ١٢٧ .

(٦) انظر شرح ديوان النابغة ـ لابن السكّيت : ١٦٧ ، ومعجم البلدان (أُقُر) .

(٧) انظر المفصّل ٣ : ٤١٢ـ٤١٦ و٤٢١ .

ابن مرّة بن نُشْبَة بن غيظ بن مرّة بن عوف ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نُشبة صاحبا الحَمالة في تلك الحرب واللّذان مَدَحَهُما زُهَيْر بن أبي سلمى[1] ، وحُصَيْن بن ضمضم بن ضَباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرّة ، وأخوه هرِم بن ضمضم الذي قتله وردُ بن حابس العبسي قبل الصُّلح ، وابن عمّهما النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضِباب بن جابر[2] ؛ فنلاحظ أنّ بين هؤلاء الأعلام وبين مرّة بن عوف خمسة آباء ، في حين أنّ بين ظالم وبين مرّة أربعة آباء ، وهذا يعني أنّه من أبناء سنِّ آبائهم ، ولا نجد لآبائهم ذكراً في تلك الحرب وهذا يدلّ على أنّهم ماتوا قبل نشوبها .

ونجد في شعر زهير بن جناب قوله يذكر أعداءه المبغضين :

فــــي آلِ مُــــرَّة شُنّــــأٌ   لــي قــد علمــتُ وآلِ مُـرَّةْ

قال السكّري شارحاً : « مرّة الأوّلُ من قيس ، ثم من غطفان ، ومرّة الثاني : ابن ذهل بنُ شيبان »[3] ؛ ومرّة غطفان هم بنو مرّة بن عوف ، فدلّ هذا على أنه يشير إلى عداوتهم له بسبب غزوه إيّاهم وهدمه حَرَمَهم .

ومن ذلك أنّ رجلاً من بني عبد الله بن غطفان كان سبباً في هجاء زهير بن أبي سُلمى المُزَني بني عُلَيْم بن جنابٍ ظُلْماً ، وكان زهير وأبوه وولده في بني عبد الله بن غَطَفان حلفاءَ لهم ؛ فقد روىٰ أبو العبّاس ثعلب خبر ذلك فقال : « وكان رجلٌ من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عُلَيْمٍ فنزل بهم ، فأكرموه ، وأحسنوا جِوارَهُ ووَاسَوْه ؛ وكان رجلاً مُولَعاً بالقِمار ، فنَهَوْهُ عنه فأبى إلاّ المقامرة ، فقُمِر مرّة فردّوا عليه ، ثم قُمِرَ أُخرىٰ فردّوا عليه ، ثم قُمِرَ الثالثة فلم يردّوا عليه ؛ فرحل من عندهم ، وشكا ما صُنِع به إلى زهير ، والعرب إذ ذاك يتّقون الشعراء اتقاءً شديداً ؛

---

(١) جمهرة النسب ٢ : ١٠٩ و١١٣ ، شرح شعر زهير : ١٥ .
(٢) جمهرة النسب ٢ : ١١٦ ، شرح شعر زهير : ١٥ .
(٣) شرح أشعار الهذليين ٢ : ٥٧٣ .

فقال يهجو عليماً ـ وقال : ما خرجتُ في ليلة ظلماء إلاّ خشيتُ أنْ يُصيبَني الله بعقوبة ، لهجائي قوماً ظلمْتُهم ـ :

عَفا مِنْ آلِ فاطمةَ الجِواءُ فَيَمْنٌ فالقوادِمُ فالحِساءُ »[1]

وفيها يقول ويخصّ بني حصن بن كعب بن عليم :

وما أدري وسوف إخال أدري أقــومٌ آلُ حِصْــنٍ أم نســاءُ

فذكر ثعلب أنّه لما بلغ القومَ هجاءُ زهير بعثوا بالإبل إليه ، وأخبروهُ خبرَ صاحبه ، ولاموهُ على ما فَرَط منه ؛ فأرسل إليهم : إني والله لقد عجلْتُ إذ فعلْتُ ، وآيمُ الله لا أهجو أهلَ بيتٍ من العرب أبداً .

وقد روىٰ ابنُ الكلبي طَرَفاً من خبرهم ، فقال حين ذكر صالحَ بنَ لأْم بن حصن بن كعب بن عليم وأخاه جبلة : « وصالحٌ : الذي قامَرَ طَرِيفاً خالَ زُهَيْرِ بن أبي سُلمىٰ ، وفي ذلك يقول زهير :

فـأبلـغْ صَـالِحـاً عنّـي ابـنَ لأْمٍ وبعضُ القولِ ليس به خفاءُ »[2]

وذكر ابن الكلبي أنّ بني ذبيان قتلوا مالك بن حصن بن ضمضم بن عَديّ بن جَناب أخا الحارث بن حصن الشاعر ، وأمهما هِرّ بنت سَلامة من بني عُلَيْم بن جناب ، وهي التي كان يشبّب بها امرؤ القيس بن حُجْر الكندي[3] .

كما ذكر أنّ بني فزارة بن ذبيان قتلوا عَرْفَجَةَ بن مَصَاد بن حصن بن كعب بن عليم الكلبي أخا مسعود بن مصاد الشاعر الجاهليّ ، قتله حسّان بن حصن بن حُذَيْفة بن بدر الفزاريّ ، فقال الفزاريُّ[4] :

ضَرباً بذي السَّيفين وَسْطَ الرَّهَجَةْ كَضَرْبِ حسّانَ بنِ حصنٍ عَرْفَجَةْ

---

(١) شرح شعر زهير : ٥٢ـ٥٣ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٣٠ ، ولم يرد هذا البيت في قصيدة زهير .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣١٣ .
(٤) جمهرة النسب ٢ : ٣٣٠ و١٤٠ ، وانظر ترجمة مسعود بن مصاد في الديوان .

وأنَّ شَرِيكَ بن حُذَيفة بن بدر عَمَّ حسّانٍ قتل صالح بن لأم بن حصن بن كعب بن عُلَيْم ، ابنَ عمٍّ عرفجة بن مصاد ، فقال له الشاعر[١] :

وصــالحــاً كَفــاكَــهُ شَــرِيــكْ بِصَــــارِمٍ ذِيْ رَوْنَــــقٍ بَتِيـــكْ

لكنّه ذكر في موضع آخر أنّ صالحاً وأخاه جبلة « قُتِلا في حَرْبٍ كانت بينهم وبين بَلْقَيْن[٢] » ، وقد سبق ذلك والتعليق عليه في الحديث عن علاقة بني كلبٍ ببني القَيْن ؛ وقد أنشد ابن الكلبي قولَ النابغة :

يا لهف أُمِّي بعد شُرْبَةِ جَعْوَلٍ ألا أُلاقِيَهــــا ورَهْــــطَ عــــرارِ

فذكر أنَّ عراراً هذا هو ابن عرفجة بن مَصاد المقتول ، وأن جَعْولاً هو ابن ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب وكان فارساً[٣] ؛ كما أنشد قولَ ابن أدهم النعاميّ في أبيات[٤] :

يا لهف أُمِّكَ لا تلهَّفَ غيرها تلك التي هلكت ببطن حمارِ

وذكر أنه يردّ فيها على النابغة ؛ فلعلّ هذا الشّعر كان في أعقاب مقتل عرفجة .

في حين أنّ بني كلب قتلت يزيد بن هاشم بن حَرْمَلَة بن الأشعرِ بن إياس بن صِرْمَـة بن صِرْمَة بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، قتله الكَنَفُ بنُ المِحْرانِ ابن جَنْدَل وحُرْقةُ بن أوس بن عبد رُضىً ، من بني كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات[٥] .

ومن أشهر الأخبار المتّصلة بعلاقة بني كلبٍ ببني ذبيان خبرُ إغارةِ النّعمان بن

---

(١) جمهرة النسب ٢ : ١٤٠ ، وسيف بتيك : قاطع .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٣٠ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٢٤ و٣٣٠ .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٦٦ ، وانظر شعر مسروح بن أدهم في الديوان .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٩٤ ، وفيه (. . . إياس بن صرمة بن مرة) ، وقال صاحبُ التَّعليقات علىٰ الكتاب : «في الأصل (بن صرمة بن صرمة بن مرة)» ، وما جاء في الأصل هو الصواب كما جاء في جمهرة النَّسَب ٢ : ٩١ و١٢٣ ، فحذف المحقق ما كان صحيحاً في الأصل !! .

جبلةَ بن وائل بن قيس بن بكر بن الجُلاح الكلبي من بني الجلاح على بني ذبيان ، وأُرَجّح أنَّه أغار عليهم مرّتين ؛ إذ ساق ابنُ السِّكِّيت خبراً مُفَادُه أنّ حصن بن حذيفة بن بدر وزَبَّانَ بن سيّار الفزاريّيْنِ أغارا مراراً على ما في يد غَسّان ، فجمعت لهم جموعاً كثيرة ، فجاءَ النابغة فحذّرهم ونصْحهم أن يرتحلوا إلى مكان بعيدٍ يأمنون فيه فأبَوا ، فقال النابغة :

لقد نهيتُ بني ذبيان عن أُقُرٍ   وعن تربُّعِهم في كلِّ أصفارِ

ثم قال ابن السكيت في شرح هذا البيت : « أقر : جَبَلٌ ، وذو أقر : وادٍ لبني مرّة إلى جنب أُقُرٍ . . . وكان من حديث النّابغة أنّ النعمان بنَ الحارث الأصغر بن الحارث الأَوْسَط ـ وهو الأعرج ـ بن الحارث الأكبر بن أبي شمّر الغسّاني ، أتى ذا أُقُر ـ وهو وادٍ مملوء حمضاً ومياهاً ـ فاحتماه الناسَ ، فتربَّعَهُ بنو ذبيان ، فنهاهم النابغة وخوّفهم إغارةَ الملك ، فعيّروه خَوْفَهُ النعمان ، وأتوا فتربّعوه ؛ وكان منقطعاً إليه ، فلمّا مات النعمان بن الحارث رثاه النابغة ، وانقطع إلى أخيه عمرو بن الحارث فوجّه إليهم خيلاً فأصابوهم ، وفي ذلك يقول : (القصيدة) »[(١)] .

وقال بعدَما أنشد قول النابغة :

ساق الرُّفيداتِ مِنْ جَوْشٍ ومن حَدَدٍ   ومـاشَ مِـنْ رَهْـطِ رِبعـيٍّ وحَجّـارِ

« الرُّفَيْدَات : هم بنو رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة . . . وربعيٍّ وحَجّار : من بني الحارث بن سعد هذيم بن زيد بن عمرو بن أَسلُم بن الحاف بن قضاعة ، وهم في إخوتهم عُذرة بن سعد ، فلمّا قُدِم بالسَّبي أطلقهم للنابغة »[(٢)] .

ونقل ياقوت هذا الخبر عن ابن السكِّيت ، غير أنّه قال في آخره : « فعيّروه خوفه من النعمان وأبوا وتربّعوه ، فبعث النعمانُ بن الحارث إليهم جيشاً ، وعليه ابن

---

(١) ديوان النابغة بشرح ابن السكيت : ٨٠ـ٨١ .
(٢) المصدر نفسه : ٨٢، وجوش وحدد : موضعان . وماشَ : خلط ؛ ومثله في ديوان النابغة بشرح الأعلم : ٧٥ .

الجُلاح الكلبيّ ، فأغار عليهم بذي أُقُر ، فقتل وسبى ستين أسيراً ، وأهداهم إلى قيصر الروم ، فقال النابغة (وأنشد بيتين) »[١] .

في حين قال الجواليقي، ومحمّد بن أَيْدَمِرَ، والبغداديُّ فيما نقل عن أبي عمرو: « أغار حصن بن حذيفة في بني أسد وغطفان علىٰ بعض أهل الشّام ، ثمّ نزلوا ذا أُقُرٍ ، فنهاهم النابغة عن ذلك وحذّرهم إغارةَ المَلِكِ فَعَصَوْهُ ، فبعث إليهم النعمان ابن الحارث الغسّاني جيشاً عليهم ابن الجلاح الكلبي ، فأغار عليهم بذي أُقُرٍ »[٢] .

فهذه هي الإغارة الأولى ، ويتّضح مما سَبَق أنّ النعمان بن جبلة أغار عليهم بجمعٍ من قبائل قضاعة بأمرٍ من النعمان بن الحارث الغسّاني أو أخيه عمرو بن الحارث ، فأصاب منهم قتلىٰ وأسرىٰ وسَبْياً وقَدِم بهم على الملك الغسّاني فتصرّف الملك بهم .

وأمّا الإغارة الثانية فيدلّ عليها قول ابنِ السكّيت في مناسبة بعض قصائد النابغة وذَكَرَ هُروبَه إلى بني جفنة من غسان : « فأغار رجلٌ من كلب يُقال له النعمان بن جبلة بن وائل بن الجُلاح الكلبيّ على بني مرّة بن [عوف بن] سعد بن ذبيان ، فأخذوا سباءً نسوةً من غطفان ، منهنّ عقربُ بنت النابغة ، وكانت تحت المُثَلَّم بن رياح المُرّي ، فلما بلغ بهنّ أرضَهُ عرض النسوة فأعجبهُ جمالُ بنتِ النابغة ، وكانت أحسنَ نساء زمانها ، فسألها : مِمَّنْ أنتِ؟ فقالت : أنا ابنة النابغة ؛ فقال : والله ما أحدٌ أكرم من أبيك ولا أنفعُ لنا منه عند المَلِك ، فجهّزها وأعطاها رِفْداً وخلّاها ، ثم قال : والله ما أرىٰ النابغة يرضى منّا بهذا ، فأطلق كل أسيرٍ من بني مرَّةَ من أجله وردّ سباءهم ، فقال النابغة يمدحه :

أهاجَكَ من سُعَداك مَغْنَى المَعاهد ... بِرَوضَةِ نُعمِيٍّ ، فذاتِ الأساوِدِ
لعمري لِنِعْمَ الحيُّ صَبَّحَ سِرْبَنا ... وأبْيَاتَنا يوماً بذات المَرابِدِ

---

(١) معجم البلدان (أُقُر)، ومثله في شرح أبيات المغني ٥ : ٣ نقلاً عن «شارح ديوان النابغة».
(٢) شرح أدب الكاتب: ٣٥٠، والدر الفريد ٤ : ٣٠٧، وشرح أبيات المغني ٥ : ٣.

. . . .

يَقودُهم النعمانُ منه بمُحْصَفٍ وكَيْدٍ يَغُمُّ الخارجيَّ مُناجِدِ

. . . .

فآب بأبكارٍ وعُونٍ عقائلٍ ... ... (الأبيـــات) »[1]

فقول ابن السكيت فيه ما يدُلّ على أنّ هذه الإغارة غير تلك ، ذٰلك أنَّ النعمان ابن جَبَلة هو الذي أطلق السَّبْيَ في هذا الخبر ، في حين أنّه قَدِم به على الملك في ذلك الخبر ، ولو أنّ إغارته هذ كانت بأمرٍ مِنَ الملك لَما أطلَقهنّ مِن ذاتِ نفسِهِ ؛ ويؤكّدُ هذا الرأيَ شِعْرُ النابغة ذاتُه ، فهو يقول : إنّ القوم صَبَّحوهم بِذَاتِ المَرابد ، في حين أنّ تلك الغارة كانت بذي أُقُر[2] ، وقد حفِظ النابغة للنعمان جميلَ فِعْلِهِ ، فمدحَهُ بقصيدتين أُخريين[3] .

ويُلاحَظ ممَّا سبق كثرة الغارات بين كلب وذبيان ، ويرجع ذلك إلى ما سبق من أنّ ديار القبيلتين كانت متجاورة ، وقد يكون في كثرة هذه الغارات تفسيرٌ لِعَدَم وجُودِ أيّة مصاهرة بين بني كلب وذبيان ، بل يمكن القول إنّ فقدان المصاهرةِ بينهما كان ممّا يَسْمَح بكثرة الغارات إلى جانب الجوار بين ديارهما .

ولم يكن بين بني كلب وبين عبس بن بغيض ما كان بينهم وبين إخوتهم ذبيان بن بغيض ، إلاّ ما كان في يوم عُراعر وقيل : (يوم قراقر) ، وفي أخباره بعض الاختلاف ، فَذُكِرَ مِنْ ناحية أَنَّ بني عَبْسٍ ظعنوا عن ديارهم وجعلوا يتنقّلون في ديار العرب بعدما كان بينهم وبين ذبيان بسبب داحس والغبراء ، فنزلوا في أثناء ذلك بماءٍ

---

(١) ديوان النابغة ـ شرح ابن السكيت : ١٣٧ ، وفيه (. . الجلاح الكلابي) تحريف ، وفيه أيضاً (المُلَثَّم بن رَباح) تحريف وتصحيف ، انظر جمهرة النسب ٢ : ١١٦ ، والأغاني ١٩ : ١٥ ، وجمهرة أنساب العرب : ٢٥٤ ، وقوله (وائل بن الجلاح) هذا من باب الحذف في النسب ، ذلك أنّ بين وائل وبين الجلاح عدداً من الأعلام ؛ انظر ترجمة عبد عمرو بن جبلةَ أخي النعمان في الديوان ، وورد هذا الخبر أيضاً في ديوان النابغة بشرح الأعلم : ١٣٧ـ١٣٨ ، وجاء مختصراً في الاشتقاق : ٥٤١ ، وديوان أبي تمام ١ : ٣٧٨ .

(٢) انظر ما جاء في رسم (المَراود) من معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٣) انظر ديوانه بشرح ابن السكيت : ١٧٣ و٢٤٦ ، وبشرح الأعلم : ١٧٥ و٢١٢ .

يُقال له (عُراعِر) وعليه حيٌّ من بني كلب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتِلَ مسعود بن مصاد العليميّ الكلبي الشاعر ، وكان رئيس القوم ـ قتله رجلٌ من بني عبد الله بن غطفان يُقال له جحش بن نُصَيب ، وكانت بنو عبس وبنو عبد الله يومئذٍ جميعاً ـ فانهزم بنو كلب وغنمتهم بنو عبس ؛ وفي ذلك يقول عنترة[1] :

ألا هـل أتـاهـا أنَّ يـومَ عُـراعِـرٍ شفىٰ سَقَماً لو كانت النفس تشتفي

وممّن قُتِل في هذا اليوم من بني عبس الحارث بن زهير العبسي أخا قيس بن زهير صاحب داحس والغبراء[2] . ذكر ابنُ الكلبي أنّ بني حارثة بن جناب يزعُمون أنَّ دُلْجَةَ بن قُنَافَةَ بن عديّ بن زهير بن حارثة بن جناب هو الذي قتله[3] .

وذكر ابن قتيبة أنّ الربيع بن مسعود بن مصاد الكلبيّ « فدى نفسَه بخمس مئة بعير ، وكان الحارث بن زهير بن جذيمة العبسيّ أَسَرَهُ »[4] ؛ ولم يذكر اسم اليوم الذي أُسِر فيه ، فإمّا أن يكون الحارث أسَره في بعض حروبهم قبلَ عراعر ، أو أنه أسره يوم عُراعر وفدى نفسه قبل أنْ يُقْتَل الحارِث .

وذكر الهمدانيُّ مِن ناحيةٍ أُخرى بسنده إلىٰ أبان بن ميمون بن حريز الحميريّ أنه دخلَ مع أبيه علىٰ الربيع بن عقيل بن مسعود الكلبي « فسأله عن ابن عمِّه عروة بن معاذ بن مسعود ، فقال : التقت بنو عبس وبنو كلب بن وبرة على ماءِ قراقر ، فبرز بعضهم لبعض ، فقال رجل من كلب لبني عبس : يبرز سيدنا لسيدكم ، فأيهما غلبَ فالماءُ لأصحابه ، فبرز الربيع بن زياد العبسي ، وبرز إليه عروة بن معاذ بن مسعود

---

(١) عن ديوان عنترة : ٢٢٨ ، والنسب بالكبير ٢ : ٣٣٠ ، وجمهرة النسب ٢ : ١٦٧ ، وأمثال العرب للمفضّل الضبّي : ٩٨ ، وأيـام العرب قبل الإسلام : ٢٣٠ ، والنقائض : ٩٨ ، وصفة جزيرة العرب : ٢٤٣ ، ومعجم ما استعجم (عُراعر) ، والعمدة : ٩٠٣ ، والكامل في التاريخ ١ : ٥٨٠ـ٥٨١ . وانظر إتماماً للكلام ترجمة مسعود بن مصاد في الديوان ، وقد تفرّد صاحب العمدة بالقول إنّ يومَ عُراعر لعبس على كلب وذبيان .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٣٠ ، وجمهرة النسب ٢ : ١٤٨ ، وجمهرة أنساب العرب : ٢٥١ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٥٢ .

(٤) المعارف : ٥٥٥ .

الكلبي ، وكان جسيماً وسيماً تاماً شديد البطش ، فبرزا بين الصفّين ، وكلاهما مكبّ في لأُمَتِهِ ، فتطاعَنَا حتىٰ ذهبت رماحهما ، ثم انتضيا سيفيهما فاجتلدا ساعة ، ثم اعتنقا ، حتى سقطا إلىٰ الأرض ، فوقع عروة بن معاذ بن مسعود على صدر الربيع ، فلمّا أكبّ لينزع رأسَهُ بَدَا من عنق عروة بْن معاذ مثل الدرهم ، فلما نظر إليه قيس بن زهير [العبسي] طعنه في الموضع الذي بدا فقتله غدراً ؛ وتواثبَ الفريقانِ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً سقط بينهم بشر كثير ؛ وكانت الدائرةُ على عبسٍ . . . . ومِنْ وَجْهٍ آخر أنَّهُ مسعود بنُ معاذ أخو عروة ؛ وقال عنترة في ذلك اليوم :

أَلا هـل أتـاهـا أنَّ يـومَ قُـراقـرٍ ... شفى سَقَمي لو كانتِ النفسُ تشتفي

. . . . »[1] .

ومن قبائل قيس عيلان التي وجدتُ لبني كلب علاقات بهم : بنو عَدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان[2] ، إذ ذكر ابنُ الكلبي أنّ بني مرّةَ بن عامر الأجدار من كلب « قتلوا بني وابِشِ بن زيد بن عَدوان ، في وقعة كانت بينهم ، وفيها يقول القائل :

يـا مـرّةَ بـن عـامـرٍ يـا مـرّةْ
كـلُّ قتيـلٍ وابشـيٍّ غُـرّةْ »[3]

وأنشد البكري قولَ تأبّط شرّاً يخاطب بني عَدوان ، واستدلّ به علىٰ أنّ (مُرامِر) موضعٌ في ديار كلب[4] :

لقـدْ أطلقَـتْ كلـبٌ إليكـم عُهـودَكُـمْ ... ولَسْتُـم إلـى إلٍّ بـأفْقَـرَ مـن كلـبِ
وهُـمْ أسْلمُـوكُـم يَـوْمَ نَعْـفِ مُـرامِـرٍ ... وقد شمّرتْ عن ساقِها جمهرةُ الحربِ

---

(١) شرح قصيدة الدامغة : ٢٨٢ .
(٢) جمهرة النسب ٢ : ١٨٢ ، وجمهرة أنساب العرب : ٢٤٣ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٩٠ .
(٤) معجم ما استعجم (مرامِر) ، وهما في ديوان تأبط شراً : ٦٦ .

وقال : « وكانت عَدوان حالفت رَهْطاً من كلبٍ ، فأَخْفَرَتها وقاتَلَتْها » ، وشعر تأبّط شرّاً يدلُّ على أنّ كلباً هم الذين أخفروا عدوان لأنّهم هم الذين أطلقوا إلى عَدوان عهودَهم ؛ وتأبّط شراً من بني فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان أخي عَدوان[1] .

وفي قيس عيلان هَوازنُ بنُ منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان . وهم كُتْلَةٌ قَبَليّةٌ ضخمة في العرب ، فيها قبائل عدّة ، وهم الذين جمعوا للنّبي ﷺ يوم حُنَيْنٍ وكانت منازلهم في الحِجاز وما داناها من نجدٍ وتهامة ، وهي بعيدة عن ديار بني كلب ؛ ولذلك لم أجد سوى خبرٍ واحد مما يخصّ العلاقة بينهم ، وذلك أنّ بني كلب وبني القين بن جَسْر أغاروا على بني جُشَمِ بن معاوية بن بكر بن هَوازن قوم دُرَيْد ابن الصّمة الجُشَميّ فأدركوهم بموضعٍ يُقال له شبكةَ الدُّوْم ، فارتجعوا ما بأيديهم وقتلوا منهم ، ولدُرَيد شعرٌ يذكر هذا اليوم ، وقد سبق ذلك في الحديث عن العلاقة بين كلب وبلقين[2] .

وفي عصر بني أمية كانت وقعة مَرْج راهِط بين مروان بن الحكم ومَنْ معه من بني أمية وكلب وغيرهم وبين الضحّاك بن قيس الفهريّ ومَنْ كان معه من قبائل قيس عيلان وكانوا يريدون البيعة لعبد الله بن الزبير فدارت الدائرةُ على الضحّاك ومَنْ معه من قبائل قيس عيلان وقُتِل منهم مقتلة عظيمة[3] ؛ فكان من نتائج تلك الوقعة أنْ توقّدت نار العصبيّة القبلية بين كلب وقيس ، فكانت بينهم غاراتٌ وأيّام كثيرة ، وقد أطنب عدد من المصادر في ذكر أخبار تلك العصبية ، ولا سيما الأغاني نقلاً عن عدد من الرُّواة[4] ، وأنساب الأشراف نقلاً عن ابن الكلبي وغيره[5] ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي نقلاً عن أبي رِياش[6] ، وروىٰ عددٌ من المصادر أطرافاً من أخبار

---

(١) جمهرة أنساب العرب : ٣٤٣ .

(٢) انظر ما سبق ، ص : ٧٢ .

(٣) انظر الحديث عن يوم مرج راهط فيما يأتي ، ص ١٤٧ ـ ١٤٩ ، في الكلام على علاقة كلب في عصر خلفاء بني أميّة .

(٤) الأغاني ١٩ : ١٩٥ـ٢٠٧ .

(٥) أنساب الأشراف ٥ : ٣٠٨ـ٣١٤ .

(٦) شرح ديوان الحماسة ٢ : ٩٥ـ١٠٢ .

تلك العصبية[1] ؛ وهذا مختصر ما ذُكِر من أخبار تلك العصبية :

فقد أقبل زُفَرُ بن الحارث الكلابيّ القيسيّ بعدَ مرج راهط هارباً حتى دخل قرقيسياء عند الْتِقاءِ نهر الخابور بنهر الفرات[2] ، فاجتمعت إليه جموعٌ من قيس عيلان ورأّسوه ، وأقام عُمَيْرُ بن الحُباب السُّلمِيّ القيسيّ شيئاً على طاعة مروان ثمّ أقبل حتى دخل قرقيسياء على زُفَرَ فأقام معه ، فجعلا يطلُبان كَلْباً بمَنْ قَتَلُوا مِنْ قيسٍ يوم المرج ، فأمّا زُفَر بن الحارث فإنّه غزا تَدْمُرَ وعليها عامر بن الأسود الكلبي فقتل مَنْ حاربه جميعاً ، وَأغار على ماءٍ يُقال له حَصْف ـ أو خصيف ـ فأصاب فيه سيّد بني الجُلاح الكلبيّين مَصاد بن المغيرة بن أبي جبلة ، فقتل عفيفَ بن حسان بن حصين الجُلاحيّ ، وأسر سيّدهم وأتى به قرقيسياء فمنَّ عليه ؛ ثم أغار على المُصَيَّخِ ، وبه جماعةٌ من بني الجُلاح وغيرهم فاجتمعوا إلى عمير بن حَسّان بن عمرو الجُلاحي ، فقاتلوه فَقَتَلَ منهم ثمانية عشر رجلاً ورجُلَيْنِ من تغلب كانا معهم ، فدفنَ النساءُ قتلاهُنّ في بئرٍ يُقال له : كَوْكَب .

وكانت كلْبُ الحاضرةِ لمّا رأت ما لقيته كلبُ البوادي مِنْ قيس عيلان أمّروا عليهم حميد بن حريث بن بحدل الكلبيّ الشاعر ، فخرج حتى نزل بتدمر ؛ وكانَ مَنْ شَهِدَ المَرْجَ من بني نُمير بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان بناحيةِ تَدْمُر ببطن الجَبَل ، وبينهم وبين أهل تدمر عهد وعقد ، فلمّا رأوه يتهيّأ للغارة جاؤوا وقالوا : إن شئت أن تبقى على ما بيننا أقمنا ، وإن كنت تتخوّف علينا من قومِكَ شيئاً لحقنا

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٤٧ـ٣٤٨، ٣٧١، ٣٨١، ٣٨٩، وجمهرة النسب ٢ : ١٣٥، ١٣٩ـ١٤٠، ١٤٤، والمحبّر: ١٩١، ونقائض جرير والأخطل: ٢٦ـ٢٧، وفصل المقال: ٤٩٨ـ٤٩٩، ومعجم ما استعجم ومعجم البلدان: (بنات قين) و(العاه)، والتعازي والمراثي: ٢٤٨ـ٢٤٩، والإنباه: ٣٢، ومجمع الأمثال ١ : ٤٠٨ـ٤١٠ و٢: ٤٤٢، وجمهرة أنساب العرب: ٢٥٦ـ٢٥٨، ٤٥٩ـ٤٦٠، وأساس البلاغة (فخر)، والجوهرة ١ : ٤٦٥ وديوان الأخطل: ٢٣٧، والكامل للمبرّد: ١٤٥٠ـ١٤٥١، والتذكرة الحمدونية ٢ : ٤٨٦، والكامل في التاريخ ٤ : ٣٠٩ـ٣١٠، وزهر الأكم ٣: ٢٤٧ـ٢٤٨، وتمثال الأمثال: ١٩٤ـ١٩٦، وخزانة الأدب ٥ : ٢٤٤؛ وانظر تراجم: عمرو بن مخلاة الكلبي، وحميد بن حريث بن بحدل، والقطامي الكلبي، وشُبَيْل بن الجِنبّار في الديوان.

(٢) وتُعرف اليوم باسم (البَصيرة) بحسب ما ذكر المرحوم أحمد وصفي زكريا في (عشائر الشام): ٢٤.

بقومِنا ، فأبى أن يلحقوا بقومهم كَيْلا يكونوا أدِلاّءَهم ، فاحْتَسَبَهُمْ ؛ وكان رتّب خليفةً له بتدمر يُقال له مَطَر بن عَوْص وكان فاتكاً ، فأراد حميداً على قَتلهم ، فأبى وَكَرِهَ الدّماء ، وبلَغَه أنّ زُفَرَ عادَ مغيراً فخرج ليردَّه ، وسار معه مطرٌ مشيّعاً حتّى نزل قريةً له ، فلمّا فعل زُفَرُ بأهل المصيّخ ما فعل قال مطر : ما أصنع بهؤلاء الأُسارىٰ وقد قُتِلَ أهلُ المصيّخ ؛ فقال : اقتلهم ، وهو لا يعقل من الغَيْظ ، فعاد مسرعاً فقتلهم ، وانتبه حميد بعد ساعةٍ فسأل عن مطر فأخبروه بأنه انصرف ، فبعث مَنْ يدركُه ، فأتاه وقد قتلهم جميعاً إلاّ رجلين ، وكانوا ستين رجلاً ، فبلّغه وصيّةَ حميدٍ ، فما التفت إليها وقتل الرجلين ، فلما بلغ زُفَرَ قَتْلُهُم بسط يَدَهُ على مَنْ أدرك من كلب ، وأخذ في وادٍ يقال له وادي الجيوش وقد انتشروا فيه للصيد فقتل منهم أكثر من خمس مئةٍ ثم انصرف إلى قرقيسياء .

وذُكر أنّ زُفر أغار على كلبٍ : يوم حَفير ، ويوم المصيّخ[١] ، ويوم الفَرْس ، فَقتل منهم في هذه الأيام أكثر من ألف رجل ، وأغار عليهم يومَ الإكليل فقتل منهم مقتلةً عظيمةً ، وذكر الأصفهانيّ عن عُرَام بن حازم الكلبيّ أسماء عددٍ منهم ، وهم من بني الجُلاح[٢] .

وأمّا عُمَير بن الحُبَاب السلميّ فذُكِر أنه أغار على كلب يومَ الغُوَيْر ، ويوم الهُبَل[٣] ، ويوم كابة ، ويوم الإكليل ، ويوم دُهمان[٤] .

ففي يوم الغُوَير أوقع عُمير بحميد وبمن معه ، فقتلوا من كلب مقتلة عظيمة ، وقيل إنّه لم يُفْلِت من خيلِ حُميد يومذاك إلاّ حميد وشُبَيْل بن الجِنبّار الكلبي الشاعر ، وقد ذكر شبيل فرارَ حميد في شعره[٥] .

---

(١) في شعر الأخطل : ٢٣٧ (يوم مُضَحٍّ) تحريف .
(٢) انظر الأغاني ٢٤ : ٢٤ .
(٣) هكذا ورد في الأغاني ٢٤ : ٢٤ ، وجاء في نقائض جرير والأخطل : ٢٦ «الهَيْل» .
(٤) هكذا ورد في الأغاني : ٢٤ : ٢٨ ؛ وجاء في شعر الأخطل : ٢٣٧ : «يوم زهامان» .
(٥) انظر القطعة (١) من شعر شبيل في الديوان .

وفي يوم الإكليل لقي جمعاً منهم فقتل منهم وأكْثَرَ ، فقالت هند الجلاحية شعراً تحرّض قومها على الثأر[1] ، فاجتمعوا فقاتلهم ، ثم أغار فلقي جمعاً منهم بالجَوْف فقتلهم ، ثمّ أغار عليهم بالسماوة فقتل منهم مقتلة عظيمة . وكان عُمَيْر أتى دُهمانَ ، فاستباح في بني كلب ، وخلّف عسكره ، وخرج في خيلٍ يطلب قوماً من بني زهير بن جناب ، فعلم حُمَيْدٌ بذلك فبيّتَ عسكَرَ عُمَيْر فقتّلهم ، وانقلب عُمَيْر صباحاً إلى عسكره ، فأنكر مَنْ هنالك ، فحمل حُميد ومَنْ معه عليهم ، فانهزم عُميرٌ فطُعِنَ وهرب حتى دخل قرقيسياء على زُفَر ، فكانت وقعةً عظيمة ؛ وبلغ الخبرُ عبدَ الملك ابن مروان وعنده حسان بن مالك بن بحدل الكلبي وعبدُ الله بن مَسْعَدة بن حَكَمَة الفزاريّ[2] ، وجيء بالطعام ، فلم يَدْنُ ابنُ مَسعدة ، وقال : لا والله ، لقد أوقع حميد بسُلَيْمٍ وعامرٍ وقعةً لا ينفعُني بعدها طعامٌ حتى يكونَ لها غِيَرٌ ، فكلّمه حسّان كلاماً بيّن فيه عُذْرَ حميد ؛ وبلغ حميداً قولُ ابن مسعدة فقال : والله لأُشغِلَنَّهُ بمَنْ هو أقرب إليه من سليم وعامر ، فخرج في نحو مئتي فارس ومعه دليلان من كلب : العكبش بنُ خيْطلة ـ أو خيلطة ـ بن رَوَّاد ، والمأموم بن زيد بن مضرّس ، وكلاهما من بني عبد وَدّ ، فاصطنع كتاباً على لسان عبد الملك بأنه بعثه مُصَدِّقاً ، فأتى بني فزارةَ بالعاه[3] ، وهم متفرّقون لِلنُّجعَة ، فقتلوا كثيراً منهم ؛ فذلك يومُ العاه .

وقد كان كلُّ ما سبقَ من الأحداث أيّام الفتنة بين ابن الزبير وعبد الملك ، فلما انصرف عبدُ الملك من لقاءِ مُصْعَب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين ، كلّمته فزارةُ بما صنع حُميد ، وطلبوا القَوَدَ ، فأبى ، وقال : كنتم في فتنةٍ ، والفتنة كالجاهلية ؛ وحُميدٌ يجحد ما قالوا وليست لهم بيّنة ، ونظر عبد الملك في أمرهم فرأى أن يؤدّيَ إليهم دِيةَ قتلاهم من أُعطيات قضاعة فعيّرهم بذلك عمرو بن مخلاة الكلبي[4] ،

---

(١) انظر شعر هند في الديوان.

(٢) في الأغاني ١٩ : ٢٠٢ : «عبد الله بن مسعود بن حكم» والصواب ما أثبتّه نقلاً عن جمهرة النسب ٢ : ١٣٩ـ١٤٠ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٣٠٩.

(٣) جاء في الأغاني « العَمود » تحريف ، إذ جاء في سائر المصادر التي ذكرته : (العاه).

(٤) انظر شعره في الديوان.

وأخذوا الدية فانطلقوا بها واشتروا سلاحاً واستتبَعُوا قبائل قيس ثم أغاروا على ماءٍ لبني كلب يقال له : بنات قَيْن يَجْمَعُ بطوناً كثيرةً منهم ، وعلى قيسٍ سعيدُ بن عُيَيْنَةَ وحَلْحَلَةُ بنُ قيس الفزاريان ، فأوقعوا بكلب . وبلغ عبدَ الملك أنّ كلباً جمعت لتُغيرَ على قيس وفزارة خاصةً ، فكتب إليهم يُقْسمُ بالله لئن قتلوا من بني فزارة رجلاً ليُقيدَنَّهم به ، فكفّوا ؛ وكتب إلى الحجاج ـ وهو عامله يومئذٍ على الحجاز ـ يأمره بأن يحمل إليه سعيد بن عُيَيْنة وحَلْحَلة بن قيس فبعث بهما إليه ، وقَدِم على عبد الملك وفدُ كلبٍ فعرض عليهم الدِّياتِ فأَبَوْها ، فأقادَهم منهما ، وأطفأ تلك النار .

وهو آخر ما وقفت عليه من أخبار تبيّن الصّلة بين بني كلب وقبائل مُضَر بن نزار بن مَعَدّ .

ومن ثمّ ننتقل للوقوف عند الأخبار التي تبيّن العلاقات بين بني كلب وبين قبائل **ربيعة بن نزار بن معدّ** ؛ فمنها بنو ضُبيعة بن ربيعة بن نزار ، قوم المسيّب والمتلمّس الشاعِرَين ، فقد ذكر ابن الكلبيّ أنّ بني يَعْمَرَ بن مالك بن بُهْثَةَ بن حرب بن وَهب بن جُلَيّ بن أحمس بن ضُبَيْعَةَ كانوا مجاورين في بني كلب دَهْراً ، ثم رَجَعوا بَعْدُ إلى قومهم ، وأنشد قول امرىء القيس بن حجر الكندي[1] :

مُجَاوِرةً غسّان والحيَّ يَعْمَرَا

يريد بذلك سلمى بنت العُبَيْد الكنانيّة الكلبيّة أمّ جعفر بن أبي خَلّاس الشاعر[2] .

ومن قبائل ربيعة : بكرٌ وتغلبُ ابنا وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفْصَىٰ بن دُعْميّ ابن جديلة بن أسد بن ربيعة ، فكانت لبني كلب علاقة معهما جميعاً قبل أن تقع بينهما حربُ البَسوس ، ثم كانت لهم علاقة بكل قبيلة وَحدَها .

فأمّا ما كان من علاقتهم بهما جميعاً فمنه أنّ بني كلبٍ وأخوتهم من قضاعة ساروا مع ربيعة بن مرّة بن الحارث بن زهير بن جُشَم التغلبيّ سيدِ وائلٍ ، ووالدِ

(١) جمهرة النسب ٢ : ٣٤٦ ، وبيت امرىء القيس في ديوانه : ٥٦ ، وصدره : كنانيّة بانَتْ وفي الصَّدْر وُدُّها .
(٢) انظر ترجمته في الديوان .

كُلَيْب ومُهَلْهِل ، يومَ السُّلاَّن ، يوم قاد ربيعةَ ومُضَرَ وقُضاعة لمحاربة مَذْحِج ، وكان عَمِيْرة بن أوس بن ثعلبة الكلبيّ الذي يُقال له الملك على إحدى المَجْنَبَتَيْنِ يومذاك[١] ؛ كما أنهم ساروا مع إخوتهم من قضاعة مع كُلَيْب بن ربيعة سيِّد وائل بعد أبيه يومَ خزاز ، يومَ قاد ربيعةَ ومضرَ وقضاعةَ لمحاربةِ مذحج أيضاً[٢] ؛ ومن أخبارهم مع ابني وائل قبل تفرّقهما أنّ بني كلب غَزَوْهُما بقيادة زهير بن جناب فأُسِرَ في تلك الغزاةِ كُلَيْب ومُهَلْهِل ابنا ربيعة ، وكان لهم في ذلك خبرٌ طويل رواه الأصفهانيُّ عن أبي عمرو الشيباني ، قال : « كان أَبرهةُ حين طلع نَجْداً أتاه زهير بن جناب ، فأكرمه أبرهة وفضّله على مَنْ أتاه من العرب ، ثم أمّره على ابنَيْ وائل : تغلب وبكر ، فَوَلِيَهُمْ حتى أصابتهم سنةٌ شديدة ، فاشتدّ عليهم ما يطلب زهيرٌ من الخراج ، فأقام بهم زهير في الجدْب ومَنَعَهُمْ مِنَ النُّجْعَةِ ، حتى يُؤدّوا ما عليهم فكادت مواشيهم تهلك ، فلمّا رأى ذلك ابنَ زيّابَة أحدُ بني تَيم الله بن ثعلبة ـ وكان رجلاً فاتكاً ـ بيّتَ زهيراً ، وكان نائماً في قُبّة له من أَدَمٍ ، فدخل عليه ، فألفى زهيراً نائماً ، وكان زهير رجلاً عظيمَ البطن ، فاعتمد التَّيْميُّ بالسيف على بطن زهير حتىٰ أخرجه من ظهره مارقاً بين الصّفاق ، وسَلِمَتْ أَعْفَاجُ بطنه ، وظنَّ التيميُّ أنّه قد قتله ؛ وعَلِمَ زهيرٌ أنّه قد سَلِم ، فتخوّف أنْ يتحرّك فيُجْهِزَ عليه ، فسكت! وانصرف ابنُ زيّابة إلى قومه ، فقال لهم : قد ـ واللهِ ـ قتلتُ زهيراً وكَفَيْتُكُمُوه ، فسرّهم ذلك ؛ ولمّا علم زهير أنّه لم يُقدِم عليه إلاّ على مَلإٍ من بكر وتغلب ، وإنما مع زهير نفرٌ من قومِهِ بمنزلة الشُّرَط ، فأمر زهيرٌ قومَهُ فغيَّبوه بينَ عَمُودَيْنِ في ثيابٍ ، ثم أَتَوُا القومَ فقالوا : إنكم قد فعلتم بصاحبنا ما فعلتم ، فأْذَنوا لنا بدفنه ، ففعلوا ، فحملوا زهيراً ملفوفاً في عمودين والثّيابُ عليه ، حتى إذا بعدوا عن القوم أخرجوه فلفّفوه في ثيابهم ، ثم حفروا حَفيرةً وعمّقوها ودفنوا فيها العمودَيْن ، ثم ساروا ومعهم زهير ؛ فلمّا بلغ زهير أرضَ قومه جمع لبكر وتغلب الجموع ،

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا اليوم فيما يأتي ، ص : ١١٦ـ١١٩ .

(٢) سيأتي الحديث عن هذا اليوم فيما يأتي ، ص : ١١٩ـ ١٢٠ .

وبلغهم أنّ زهيراً حيٌّ ، فقال ابن زيّابة :

طَعْنَةً ما طَعَنْتُ في غَبَشِ اللَّيْـ ـلِ زهيراً وقد توافىٰ الخُصومُ
حينَ تجبي لهُ المواسمَ بكرٌ أينَ بكرٌ وأينَ منها الحلومُ؟!
خانني السّيفُ إذ طَعَنْتُ زهيراً وَهْـوَ سيـفٌ مضلَّـلٌ مَشْـؤومُ

قال : وجمع زهيرٌ بني كلب ، ومَنْ تجمّع له من شذاذ العرب والقبائل ، ومَنْ أطاعه من أهل اليمن ، فغزا بكراً وتغلبَ ابني وائل ، وهم على ماء لهم يُقال له (الحُبَيّ) ، وقد كانوا نَذِروا به ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، ثم انهزمَتْ بكرٌ وأسلمَتْ بني تغلب ، فقاتلت شيئاً من قتالٍ ثمّ انهزمت ، وأُسِرَ كُلَيب ومُهَلْهِلٌ ابنا ربيعة ، واستِيْقَتِ الأموال ، وقَتَلَتْ كلبٌ في تغلب قتلى كثيرةً ، وأسَروا جماعةً من فرسانهم ووُجوهِهم ، وقال زهير بن جناب في ذلك :

تَبّاً لتغلِبَ إذْ تُساق نسَاؤهـم سَوْقَ الإماءِ إلىٰ المواسم عُطَّلا
لَحِقَتْ أوائِلُ خيلِنا سَرَعَانَهُم حتى أسَرْنَ على الحُبَيِّ مُهَلْهِلا
. . . . (الأبيـــات)

وقال أيضاً يُعَيّر بني تغلب بهذه الوَقْعة ، في قصيدة أوّلها :

حـيِّ داراً تغيـرت بـالجِنـابِ أقْفَـرَتْ مـن كـواعِـبٍ أتـرابِ

يقول فيها :

أين أين الفرار . . . . . (الأبيات)[1] » ، فذكر في كلا القصيدتين مهلهلاً وأسْرَهُ .

---

(١) الأغاني ١٩ : ١٧ـ٢٠ ، ومثله في مختاره ٤ : ١٧٤ـ١٧٦ ، والكامل في التاريخ ١ : ٥٠٤ـ٥٠٥ ؛ والصِّفاق : ما بينَ الجلد والمُصران أو جلد البطن كلُّه . وأعفاجُ البطن : ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة . واختصر هذا الخَبَرَ أشدَّ اختصار كلٌّ من أبي الفداء في تاريخه ١ : ٩٥ ، وابن الوردي في تاريخه ١ : ١٠٥ ؛ وأشار أبو حاتم السجستاني إليه فقال : «وكان زهير على عهد كليب وائل وقد كان أسر مهلهلاً» المعمرون : ٣٥ ، ومثله في تاريخ دمشق ٦ : ٤٥٢ ، ومختصره ٩ : ٦٠ .

وقد ترك أبرهةُ نصّاً منقوشاً على صخرةٍ في اليمن ذكر فيه أنّه غزا قبائل معدّ ـ وهم سكان نجد[١] ـ وهَزَمها وأخضعها ، وذكر فيه أنّ ذلك كان في سنة اثنتين وستين وستّ مئةٍ حمْيَرِيَّة ، وهي تعادل سنة (٥٤٧ للميلاد)[٢] .

وقد اختلف المؤرّخون في غزوة أبرهة هذه ، فذهب بعضُهم إلى أنّها حملةُ الفيل المُشارُ إليها في القرآن الكريم ، وهذا المذهب يتّفق مع مَنْ قال من المؤرِّخينَ القدماء إنّ ولادة الرسول ﷺ كانت بعد ثلاث وعشرين سنة من عام الفيل ، لأنّ ولادته عليه السلام كانت سنة (٥٧٠ للميلاد) ، وذهب بعضهم إلى أنّ هذه الحملة أسبقُ من حملة الفيل ، وأنّ حملةَ الفيل كانت سنة (٥٧٠ للميلاد)[٣] .

وروى ابنُ قتيبة خبرَ زهير مع أبرهة مختَصَراً ، ولكنَّ في روايته أَمْرَيْنِ يُنَبّه عليهما ، قالَ : « ولمّا قدمت الحبشةُ تريد هدْم البيت خرج زهيرٌ فلقي ملكهم ، فأكْرَمَهُ ووَجَّههُ إلى ناحية العراق يدعُوهم إلى الدخول في طاعته ، فلمّا صار إلى أرض بكر بن وائل لقيه رجلٌ منهم فطعنه طعنةً أشْوَتْهُ ، فنجا وخرج هارباً ، فقال الذي طعنه :

طعنـــةً مـــا طعنـــتُ .... (البيـــت)
خـــاننـــي الـــرمـــح .... (البيت) »[٤]

فأما الأمر الأول الذي يُنبّه عليه فهو قوله : « لما قدمت الحبشة تريد هدم البيت » إذ يدلّ على أنَّ ابن قتيبة ممّن يرى أنّ عام الفيل كان قبل ولادة النَّبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة ؛ وأما الأمر الثاني فقوله : « فلمّا صار إلى أرض بكر بن وائل

---

(١) انظر ما نقله البكريّ في معجم ما استعجم : ٥ـ٥٣ وما بعدها عن ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس عن أسباب تفرّق ولد معدّ وانتقال كثير منهم إلى نجد .

(٢) وذهب بعضهم إلى أنها تعادل سنة ٥٣٥ للميلاد ، وذلكَ تبعاً لاختلاف المؤرخين المعاصرين حول بداية التاريخ الحميري ؛ انظر المفصَّل ٣ : ٤٩٣ـ٤٩٥ .

(٣) انظر المفصّل في تاريخ العرب ٣ : ٤٩٥ـ٥٠٠ ، وتاريخ الجاهلية : ٨٤ و١٢٨ـ١٢٩ .

(٤) الشعر والشعراء : ٣٧٩ .

لَقِيَهُ رجلٌ منهم ، فطعنه طعنةً أشوته ، فنجا وخرج هارباً » ، فظاهر هذا القول أنّ زهيراً لم يُقِمْ في القبائل التي أرسله إليها أبرهة ، وأنّه كان وحيداً ، فطعنَهُ الرّجلُ في غَيْرِ مَقْتَلٍ فنجا بنفسِهِ ، في حين أنَّ قولَ ابنِ زيابَة ـ ولم يروِه ابنُ قتيبة ـ :

حين تجبي له المواسمَ بكرٌ أيـنَ بكـرٌ وأيـن منهـا الحلـومُ

هذا القول يدلّ على أنّه أقام فيهم وجبى أموالهم ؛ ويؤكّد ذلك قولُ المسيّب بن الرَّفَل الزُّهيري من ولد زهير يفتخر[1] :

وأبـرهـةُ الّـذي كـانَ اَصْطَفـانـا وسَـوَّسَنـا وتـاجُ المـلْـكِ عـالـي
وقـاسَـمَ نصْـفَ إمْـرَتِـهِ زهيـراً ولم يكُ دونَه في الأمر والي
وأمّــره علــى حيّــيْ مَعَــدٍّ وأمّـره علـى الحَـيِّ المُعَـالـي
علـى ابنَـيْ وائـلٍ لَهُمـا مُهينـاً يَـرُدُّهمـا علـى رُغْـمِ السِّبـالِ
بحسبهمـا بـدار الـذُّلِّ حتَّـى أَلَمّـا يَهْلِكـانِ مـنَ الهُـزالِ

وقولُ المسيّب يؤكّد ما ذكره أبو عمرو من سبب طعن ابنِ زيّابةَ زهيراً .

والذي طعن زهيراً فشقّ بطنَهُ هو : سَلَمَةُ بن ذُهل بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل ، وأمّه زيّابة ـ ويُقال زبّانةُ ـ بنت شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب وبها يُعرف[2] .

وأمّا ما كانَ من علاقات بين بني كلب ببني بكر وحدهم ، فإنّنا نجد ذكراً لعددٍ من الأيام بأسمائها كانت بينهم ، إلى جانب إشاراتٍ إلى أيامٍ وغاراتٍ أُخرى ، وتلك الأيام المسمّاة هي :

---

(١) انظر شعر المسيّب ومصادره في الديوان .

(٢) انظر : جمهرة النسب ٢ : ٢٤٦ ، والنسب الكبير ١ : ١٦ ، ومعجم الشعراء : ١٥ . وفيه : «ابن زيّابة ، واسمه عمرو بن الحارث بن همّام ؛ وهم من بني تيم الله بن ثعلبة ، وقيل : اسمه سلمة بن ذهل ، وهو جاهليّ ؛ وقيل : ابن زبَابة» ثمّ أنشد شعراً للحارث بن همّام يُهدّد ابن زيّابة وردَّ ابن زيّابة ؛ وفي قوله ذلكَ خَلْطٌ ، لأنّ الحارث بن همّام من بني شيبان بن ثعلبة بن عُكَابة ، وابن زيّابة من بني تيم الله بن ثعلبة ؛ انظر جمهرة النسب : ٢ : ٢١٩ وما قبلها ، والنسب الكبير ١ : ٩ وما قبلها .

يوم الرَّوضة : ذكره ابن الأعرابي فقال : « أغارت كلبٌ على بني ذهل يوم الرَّوْضةِ ، فظفرت بهم بنو ذُهل بعدما كانوا طَرَدوا النَّعَم »[1] ، وذهل هو ابن ثعلبة ابن عكابَة بن صعب بن علي بن بكر .

ويوم عُنازَة : ذكره ابن الكلبي فقال في نسب بني صُهْبان بن امرىء القيس بن زهير بن جناب : « منهم . . . وعُرْفُطَةُ بن دِعْصٍ بن مسعود بن جُنادة بن صُهبان ، كان شريفاً ، وهو الذي أنذر قَوْمَهُ يوم عُنازة ، يومٌ كان بينهم وبين بني شيبان ، وكان مجاوراً في بني شيبان »[2] ، وعرفطةُ هو أخو زياد بن دعص الشاعر[3] .

ويوم فَلْج : ذكره أبو الفَرَج الأصفهانيّ في أثناء خَبَرٍ نقله بسنده إلىٰ عوف بن خارجة المُرِّيّ ، قال : « واللهِ إنِّي لَعِنْدَ عُمَر بن الخَطّاب رضي الله عنه في خلافتِه ، إذ أقبل رَجُلٌ أَفْحَجُ أَجلىٰ أَمْعَرُ ، يتخطّىٰ رقابَ الناس ، حتىٰ قام بين يَدَيْ عُمَر ، فحيّاه بتحيّة الخلافة ، فقال له عمر : فَمَنْ أنتَ؟ قال : أنا امرؤٌ نَصْرانيّ ، أنا امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ ، قال : فَلَم يَعْرِفْهُ عُمَرُ ؛ فقالَ له رَجُلٌ مِنَ القوم : هٰذا صاحِبُ بكر بن وائلٍ الذي أَغار عليهم في الجاهليّةِ يومَ فَلْجٍ ؛ قال : فما تريد؟ قال : أريد الإسلامَ . . . »[4] الخَبَر .

ويوم القَطْقَطانة : ذكره ابن الكلبي ، فقال : « ومن بني المِشَظِّ بن عامر المُذَمَّم ابن عوف بن عامرٍ الأكبر : البيّاغُ بن قيس بن عبد مالك بن مخزوم بن سفيان بن المِشَظّ ، كان فارساً يُغِيْرُ على بكر بن وائل ، وهو الذي أغار على بني شيبان يوم القطقطانة ، فسبىٰ وقتل ، وكان آخر غَارةٍ أغارها كانت في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وله يقول ابن الطّرامَة الكلبي ، واسمه حسان :

---

(١) أسماء خيل العرب وفرسانها : ٩٣ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٤٣ .
(٣) انظر ترجمته في الديوان .
(٤) الأغاني ١٦ : ١٤٠ ، وانظر ترجمة امرىء القيس بن عديّ في الديوان .

إذا أَسْنَدَ البَيّاغُ مَهْضُومَةَ الحَشا إلى حَيْدِهِ قالت : أَبكرَ بنَ وائلِ »[١]

وشَيْبان هو ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر .

وذكر ابن الكلبي عمرَو بن مرّة بن عبد يغوث النّهديّ أحد بني مرّة بن زُوَيّ بن مالك بن نهدٍ من قضاعة ، فقال : « وهو الذي بَعَثَهُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين أغار البيّاغ الكلبي على بكر بن وائل فأخذ سَبْيَهم ، فأتاه ، فردّ عليه السَّبي ؛ فقال عمرو :

رَهَنْتُ يميني عن قضاعة كلِّها فأُبتُ حَميداً فيهمُ غَيْرَ مُغْلَق »[٢]

وفي ذلك ما يدلّ على أنّ يوم القطقطانة كان في الجاهليّة ، ذلك أنّه كان قَتَل فيه وسبىٰ ، إذ لو كان في الإسلام لاقْتُصَّ منه ، فلما جاء الإسلام ، وكان زمن عليّ أغار البيّاغُ على بني بكر فسبىٰ منهم ولم يقع قَتْلٌ ، ولو وقعَ قَتْلٌ لما اكتفى عليّ بردّ الإبل .

ويوم مُسْحُلان : ذكره أبو عبيدة فيما نقل ابن الأثير عنه ، وذلك أنّ الرّبيع بن زياد الكلبي غزا بني شيبانَ في جيشٍ من قومه ، فظفرت بهم بنو شيبان وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأسروا ناساً كثيراً ، وذلك يوم مسحلان ، ثم إنّ الربيع نافَرَ قَوْمَهُ ، ثم اعتزلهم ورَحَل حتى حلّ ببني شيبان فاستجار برجلٍ منهم ، ثم قتله رجلٌ آخر منهم ، فحملت بنو شيبان دِيَتَهُ إلى كلب مئتي بعير فرضوا[٣] . وذكر ابن الكلبي الربيعَ وأنَّ قتْلَهُ كان في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وذكر اسم قاتله ، وسبب قتله ، واسم الرجل الذي كان مستجيراً عنده[٤] . وذكر ياقوت أنّ يومَ مُسْحُلان من أيامهم ، ولم يحدّد أطرافَ القتال فيه[٥] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٦٤ ، وجاء مختصر هذا الكلام في المؤتلف والمختلف للدارقطني : ٢٦٣ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٨ ، والإكمال ١ : ٣٨٤ فلم يذكروا يوم القطقطانة ولم ينشدوا شعراً .

(٢) النسب الكبير ٣ : ٥٤ ، ومثله في المؤتلف والمختلف للدارقطني : ١٣٤١ ، والإكمال ٥ : ٤٣ ، غير أنهما لم ينشدا شعراً .

(٣) الكامل في التاريخ ١ : ٦٠٨ ، وانظر الخبر مفصلاً في ترجمة الربيع بن زياد في الديوان .

(٤) انظر ترجمة الربيع بن زياد في الديوان .

(٥) معجم البلدان (مسحلان) .

فهذه هي الأيّام المسمّاة بينهم ؛ ومن الأيام والغارات التي أُشِيْرَ إليها ما جاء في شعرٍ لِمَقّاسٍ العائذيّ ، عائذة قريش ، يفتخر ببني شيبان ، وكان مقيماً فيهم حليفاً هو وقومُه[١] :

فدىً لبني ذُهْلِ بن شيبانَ ناقتي إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أشهَبُ
أشصَّتْ بنا كلبٌ شُصوصاً وأوجَهَتْ علـى وافِـدينـا بـالجـزيـرةِ تَغْلِـبُ

وما جاء في شعر آخر له ذُكِر أنّه يَتَوعّد به امرأ القيس بن بحر بن زهير بن جناب الكلبي ، وذلك قوله[٢] :

أَوْلى فأَوْلى يا امرأ القيس بعدَما خَصَفْنَ بآثار المَطِيِّ الحوافِرَا
فإنْ تكُ قد نُجِّيْتَ من غَمَراتِهَا فلا تَأْتِيَنّا بعدها الدهرَ سادِرا

ومن ذلك أنّ رجلاً من بني شيبان ذكر أمامَ امرىء القيس بن عديٍّ الشاعر الكلبي أنّه قتلَ زيدَ مناة بن معقل بن كعب بن عليم بثأرٍ له ، وكان امرؤ القيس يومذاك في بنيشيبان ، فوثبَ بالرّمحِ فطعن الرجل ، وله في ذلك شعر[٣] .

وذُكِرَ أنّ ثَعْلَبَةَ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن عُكابةَ سُمِّي غُبَاباً ، بضم الغين « لأنه قال في حربِ كلبٍ :

أَغْدو إلى الحرب بقلبِ امرىءٍ يَضْرِبُ ضَرْباً غَيْرَ تغبيبِ »[٤] .

---

(١) فرحة الأديب : ١٧٢ـ١٧٣ ، وانظر جمهرة أنساب العرب : ١٣ ، ١٧٤ـ١٧٥ ، وقوله (أشصّت بنا) لم يَرد الفعل (أشصّ) في اللسان والقاموس متعدّياً بالباء ، وإنّما جاء : أشصّه عن الشيء : مَنَعهُ ، وهذا المعنى لا يناسب البيت ، والشصائص : الشدائد ؛ فكأنه أراد أنّ بني كلبٍ أحاطوا بهم وحاربوهم حرباً بلغت بهم الشدة .

(٢) المفضّليّات : ٣٠٦ .

(٣) انظر ترجمته في الديوان .

(٤) الإكمال ٦ : ١٣١ ، والتكملة ـ للصغاني (غبب) ، وانظر القاموس والتاج (غبب) ، وذكر ابن الكلبي أنه سُمّي غُباباً لقوله يومَ قِضّة :

أضــــرب ضـــربـــاً غيـــر تغبيـــب

جمهرة النسب ٢ : ٢٣٤ ، وذهب ابن حزم إلى أنه «سمّي بذلك يوم التحاليق بقوله : =

وكان سلاَّم وسعد ابنا نُبَيْطِ بن يزيد من بني مالك بن تيم اللاّت بن ثعلبة بن عكابة أَسَرا سَعْدَ بن الأصبغ الكلبي الشاعر[١] .

وأَسَرت بنو شيبان نُعَام بن قتادة بن قيس بن بحر بن الحارث بن امرىء القيس بن زهير بن جَناب[٢] .

وذكر الغُنْدِجانيُّ أنّ الكُميتَ فَرَسٌ « لابنِ الخِمّةِ الكلبيّ ، من بني تيم اللاّت بن رُفيدة ؛ صَرَعَ ابنَ الخِمّةِ القَلَحُ ، وهو قيسُ بنُ عُبَيْدَةَ بن عبد الله بن الحارث بن همّام وأخذ فرسَه ، ثم قتله سَلامة بن عبد الله العِجْليّ »[٣] ؛ وقيس بن عبيدة من بني همّام ابن مرة بن ذهل بن شيبان من بكر ، وسلامة بن عبد الله من بكر أيضاً ، لأنّ عِجْلاً هو ابن لُجَيْم بن صعب بن عليّ بن بكر[٤] . وقتلت بنو عجلٍ أيضاً تُوَيْل بن طُفَيل بن عمرو الكلبيّ أخا أُبيّ بن الطفيل الشاعر ، وكان فارساً ، قتلوه بِجُدَيْر بن نُعَيْم العجلي[٥] ؛ كما قتلوا ابنَ أخيه عابس بن ثعلبة بن طفيل[٦] .

وذكر ابن الكلبيّ أنّ بكر بن وائل أغارت على إبل أُبيّ بن الطفيل الشاعر فأتوا بها

= أضـــرب ضـــربـــاً غيـــر تغبيـــب

جمهرة أنساب العرب : ٣١٥ .

ويوم التحاليق هو نفسه يوم قِضّة الذي ذكره ابن الكلبي ، وهو من أيام حرب البسوس بين بكر وتغلب ؛ انظر الأغاني ٥ : ٤٢ وما بعدها ، ومن ثَمّ أرجّحُ أن يكون ما جاء في الإكمال لابن ماكولا وفي التكملة للصغاني محرّفاً عن (في حرب تغلب) .

(١) انظر ترجمته في الديوان .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٤٣ .

(٣) أسماء خيل العرب وأنسابها : ٢٠٩ .

(٤) انظر جمهرة النسب ٢ : ٢٢٢ ، حيث يذكر عبيدة بن عبد الله بن همام أبا قيس ، و٢ : ٢٧٦ ، حيث ذكر سلامة بن عبد الله العجلي ، وذكر أنّ بني عجل سُمُّوا أحلاسَ الخيل بسلامةَ بنِ عبد الله بن سيّار وإخوته .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٢٣ ، والإيناس : ٤٢ ، غير أنه جاء في النسب الكبير (ونوفل . . . قتلته بنو عجْل ، حَدير العجلي) تحريف ، وأثبتُّ الصواب عن الإيناس ، وذلك أنه قال : «في قضاعة : تُوَيل ، بالتّاء والواو . . . » .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٢٣ ، وفيه (عائش) بدلَ عابس ، تصحيفٌ ؛ انظر ترجمة ابنه الأشعث بن عابس في الديوان .

الكوفة ، فقَدِمَ على عليّ بن أبي طالب فذكر له ظلامته وأنشد شعراً ، فقال له : ٱطلب إبلكَ فهي لك حيثُ وجدتَها ، فأخذ عامّتها[١] .

فهذا ما يخصّ علاقات كلب ببكر بن وائل ، ونلاحظ فيها كثرة الأيام والغارات بينهم ، ويرجع ذلك إلى ما سبق من أنّ ديار القبيلتين كانت متجاورة[٢] ، وهو الأمر نفسه الذي رأينا أنه كان سبباً لكثرة الأيام بين كلب وذبيان .

أمّا ما كان من علاقات كلبٍ ببني تغلب وحدَهُم غير تلك التي كانت بينهم وبين تغلب وبكر ابني وائل معاً ، فمنها أنّ زهير بن جناب الكلبي الشاعر أغار في قومه على تغلب ، وكان معه امرؤ القيس بن حُمام الكلبيّ الشاعر ، فقتلوا رجلين من تغلب : جابراً وصِنْبلاً ، وغَنِمُوا وانصرفوا ، « فقال له امرؤ القيس : اقْسِم لي نصيبي من الغنيمة ؛ فقال له : إنّ مُهَلْهِلاً بالأثَر ، وكان زهير لا يَحلُّ عُقْدَةً حتى يأمَنَ ؛ فلمّا انتهىٰ إلى الكُراع قَسَمَ له ، وحمل زُهير فَرَسَهُ على الكُراع ـ والكُراع حَرَّةٌ ـ وأقبل مُهلهل في الأثر ، فأدرك امرأَ القيس ، فطعنه فأشواهُ ، فَهَرَبَ ، وكان هَجيناً لأمٍّ وَلَدٍ ، فقال مهلهل :

لمّا تَوعَّرَ في الكُراعِ هجينُهم ... هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ جابراً أو صِنْبِلا »[٣] .

وذكر الشِّمْشَاطيُّ في خبر يَوْمِ الشَّرَبَّةِ لبني تغلب على فزارة أنَّ الأخنس بن شهاب بن شُرَيق التغلبيّ كان يُغيرُ على كلبٍ وغيرهم ، فقال يوماً حَمَلُ بنُ بَدرٍ الفزاري وعندَه أُناسٌ من النَّمِرِ بن قاسِط ـ وهو عمُّ تغلب وبكر ابني وائل بن قاسط ـ : أبلغوا عنّيَ الأخنس بن شهاب أنّ فزارةَ ليست كمَنْ يُغيرُ عليه من كلبٍ وغيرها ، وقال كلاماً يَسوء الأخنس ، فكان ذلك سبب يوم الشَّرَبَّةِ[٤] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٢٣، وانظر ترجمة أُبَيّ في الديوان.

(٢) انظر ما سبق، ص: ٦٤.

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٥٤، وانظر سائر مصادره والتعليق عليه في ترجمة امرىء القيس بن الحمام في الديوان.

(٤) انظر الأنوار ومحاسن الأشعار ١ : ١٦٩ وما بعدها.

وذكر ابن الكلبي أنّ سِراجَ بن عمرو بن خالد بن حارثة بن جابر بن حارثة بن العبيد بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر قتل حسّان بن الهُذَيْل التغلبي[(١)] ، كما ذُكر أنَّ حَسَّانَ بنَ عَلْهان بن مالك بن مُرَارةَ بن النَّعامةِ بن عامر أخي العبيد بن عامر الكلبيّ أَسَرَ عُمَيْرَ بن كلثوم أخا عمرو بن كلثوم التغلبي[(٢)] .

كما أنَّ حارثة بن عدي بن كعب بن عليم الشاعر الكلبي الذي يقال له رأسُ الطين ، أَسَر الحارثَ بن قيس من بني كنانة بن تيم بن أُسَامةَ بن مالك بن بكر بن حُبَيْب التغلبيّ ، فأطْلَقَهُ ؛ فقال الحارث[(٣)] :

ألا إنّــي لَعَبْــدُ بنــي عُلَيْــمٍ ... ولَسْـتُ لِسَـائِـرِ الأَقْـوام عَبْـدا
ولَــوْ أنّــي أُخَيَّــرُ فــي مَعَــدٍّ ... لأخْلُـدَ فيهـمُ لاخْتَـرْتُ زَيْـدا

ويظهر أن تغلب شَهِدَتْ يوم سُيَيْفٍ مع الأعاجم ضدّ بني كلب[(٤)] ، ذلك أنّ عَرْفَجَةَ بن سلامة بن عرفجة بن سلامة بن أُبيّ بن أبي النعمان بن زهير بن جناب ، ويُقال له : اللّحّام ، قتل ذلك اليوم هانئاً وكُرْدوساً التغلبيّين[(٥)] .

وقتلت تغلب بُطَيْحَ بنَ الفَرافصة بن الأحوص أخا نَائِلَة بنت الفَرافصة[(٦)] .

كما قتلوا الربيع بن مِخْمَر ـ أو محمّد ـ بن عامر الكلبي من بني كنانة بن عوف بن عذرة ، قتله الفَنْدش بن أوس التغلبي ، وذلك يوم مُسْحُلان ، وهو غير يوم مسحلان الذي كان بينهم وبين بكر بن وائل ؛ فقالت ابنته ترثيه[(٧)] :

نَفَيْتَ عَنِ الأَوْدَاهِ بكرَ بنَ وائلٍ ... وتغلبَ قد أَحْجَرْتَهَا كُلَّ مَحْجَر

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٦٧ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٦٦ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٣٦ ، وانظر التعليق على الخبر في ترجمة رأس الطين في الديوان .
(٤) سيأتي الحديث عن هذا اليوم ص : ١٣١ ـ ١٣٣ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٤٤ .
(٦) انظر ترجمتها في الديوان .
(٧) انظر ترجمتها في الديوان ، ومصادر الخبر ثمّة .

وذكر ابن الكلبيّ البيّاغَ بن قيس بن عبد مالك الكلبي الذي كان يُغيرُ علَى بكر بن وائل ، ثم أنشد قولَ الخَنْجَرِ الأَسديّ وهو يُعيّر الأخطل التغلبي[(١)] :

وما أَنْكَحَ البيَّاغُ فيكم مودّةً   ولا نَسَبٌ غَيْر الرِّماح الشَّواجِرِ
إذا سار كلبيٌّ رعى تغلبيّةً   على غير مَهْرٍ بادياتِ الحَواجِرِ

وفي هذا الشعر دليلٌ على أنّ البيّاغ كان يُغير على تغلبَ أيضاً ؛ وهو آخر ما وقفتُ عليه ممّا يَخُصُّ علاقة كلب ببني تغلب .

ومن قبائل ربيعة بن نزار بن معدّ : النَّمِر بن قاسط بن هِنْبٍ ، وهو عَمّ بكر وتغلب ابني وائل بن قاسط بن هنب ، ولم أقِفْ إلاّ على خبرٍ واحدٍ لبني كلبٍ معهم ، وذلك أنّ سُوَيْد بن مالك وصُهْبَةَ بن طارق النَّمَريّان قتلا رجلاً من كلب يُقال له : ابن مَرْفَق ، وكان أسيراً في يَدَيْ بَني حُيَيّ بن ربيعة من النَّمِر ، فَجرَّ مَقْتَلُهُ يَوْم ظَبْيٍ ؛ وفي ذلك يقول دِثار بن شيبان النَّمري[(٢)] :

ومِنّا حُماةُ النَّمْر يومَ ابنِ مَرْفَقٍ   بظَبْيٍ وأطْرافُ الرِّماح تَصبَّبُ

وفيه يقول الأخطل أيضاً[(٣)] :

أَلَمْ تَرَ أنّي قَدْ وَدَيْتُ ابنَ مَرْفقٍ   ولم تُودَ قَتْلىٰ عبد شمسٍ وهاشم

وبنو النَّمِر هم آخر من وقفتُ لهم على خبرٍ من قبائل ربيعة بن نزار بن مضر مع بني كلب .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٦٤، وفيه (ثعلبيّة) تصحيف.

(٢) معجم ما استعجم (الظّبْيُ).

(٣) المصدر نفسه، وهو في ديوان الأخطل : ٥٠٥، وجاء فيه : «ابن مرفق : رجل من كلب قتله سويد بن مالك وصهبة بن طارق النّمريّان ـ فَوَدَاهُ الأخطل ـ وهو أسير في يُدِيٍّ بني حِيّا بن سعد النّمري» ونبه المحقق على أنّ (حِيّا) ورد في بعض النُّسَخ دون إعجام، وجاء في بعضها (حُبّىٰ)؛ أقول : كلا الرسمين (حِيّا) و(حبّىٰ) تصحيفٌ، يُضاف إلى ذلك التحريف الواقع في اسم أبيه (ربيعة) إلى (سعد)، والصواب أنّه : حُيَيّ بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن تيم الله بن النّمر بن قاسط، وهو جاهلي قديم، انظر : جمهرة النسب ٢ : ٣٢١ـ٣٢٢.

ثم ينتقل الحديث إلى علاقة كلب ببني **إياد بن نزار بن معدّ** ، ويظهر أنّ هذه العلاقة لم تكن كبيرة ، إذ لم تُمْدِدنا المصادِر إلاّ بخبرين اثنين عنها ؛ فقد نقل الآمديّ عن (كتاب كلب بن وبرة) أنّ وَزَرَ بن نعمَةَ بن قَدَم الحُذاقِيّ الإياديّ أخذ هند بنت أُبيّ بن أبي النعمان بن زهير بن جناب ، وكانت عند عديّ بن عُرَيْن بن أبي جابر ابن زهير بن جناب الكلبي الشاعر ، وأنشد في ذلك شعراً لكليهما[١] .

وشرح التبريزي قول عمرو بن مخلاة الكلبي من أبيات :

فما كان في قيسٍ من ابن حفيظةٍ ... يُعَدُّ ولكن كلُّهُمْ نَهْبُ أَشْقَرا

فذكر أقوالاً عدّة في معنى قوله (نهبُ أشقرا) ، ومنها ما نقله عن ابن الكلبي أنه قال : « أَشْقَرُ : رجلٌ من كلب أصابَ صُندوقاً في إغارةٍ لكلبٍ على إياد ، فظنّ أنّ فيه خيراً كثيراً ، ففتحه فإذا فيه عظام ؛ فضربته العرب مثلاً لما لا خيرَ فيه »[٢] .

فهذان الخبران هما ما وقفت عليه ممّا يخصّ العلاقة بين كلب وإياد ، وبهما ينتهي الحديث عن العلاقة بين كلب وبين قبائل معدٍّ التي لا خِلاف حول انتسابها إلى معدّ ؛ وقد وقفت على أخبارٍ لهم مع قبائل اختُلِفَ في نسبها ، فقيل هي معديّة ، وقيل غير ذلك ، وهذه القبائل هي : بجيلة وخثعم ، وعاملة ، وكِنْدة :

فذُكِرَ أنّ بجيلةَ هُمْ أَبْناءُ أنْمار بنِ نزارِ بن مَعدٍّ من زوجه بجيلة بنْت صعب بن سَعْد العَشِيرة عُرفوا بها ، وقيل : بنو أنمار بن إراش من كهلان بن سبأ من زوجه بجيلة بنت صعب[٣] .

وأنّ خثعم هم أبناء أَقْيَلَ بن أنمار بن نزار ، وخثعم لقب لأقيل ، وأمّه هند بنت

---

(١) المؤتلف والمختلف : ٣٠٢، وانظر ترجمة عدي بن عرين في الديوان .

(٢) شرح ديوان الحماسة ٤ : ٦٨ .

(٣) انظر النسب الكبير ١ : ٣٧٥، والنقائض : ١٤٢ ، ونسب قريش : ٧ وجمهرة أنساب العرب : ١٠ و٣٨٧ـ٣٨٨، وفرحة الأديب : ١١٢ـ١١٣ ، والإنباه : ٦٥ و٩٢ـ٩٥، ومعجم ما استعجم : ٥٨ (المقدمة) .

مالـــك من ولـــد عَكّ بن عدنان ، وبنو بجيلة أخوته لأبيه ، وقيل : أقيل بن أنمار بن إراش[١] .

وأنّ عاملة هو الحارث بن أسدة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر ، وقيل : الحارث بن عديّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد ، من كهلان بن سبأ[٢] .

وأنّ كندة هو ثور بن عُفَير بن جُنادةَ بن معدّ ، وقيل في نسبه إلى معد غير ذلك ، وقيل : ثور بن عَدِيّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد ، من كهلان بن سبأ[٣] .

فأما **بجيلَة** : فإنّ ابن حَزْمٍ قال في آخر حديثه عن نسَبهم : « وكانت بجيلةُ قد وقع لها حربٌ شديدةٌ مع كلب بن وبرة في موضعٍ يُعْرَف بـ(الفِجار) ، فافترقت بجيلة يومئذٍ في أحياء العرب »[٤] .

في حين نقل البكريّ عن ابن الكلبيّ في خبر افتراق ولد معدّ قوله بعدما ذكر الحروبَ بينَ بطون بَجيلة : « فتفرّقت بطون بجيلة عن الحروب التي كانت بينهم ، فصاروا متقطّعين في قبائل العرب مُجاوِرين لهم في بلادهم . . . ولحقت قبيلتان من عُرَيْنَة : غانم ومنقذ ابنا مالك بن هَوازن بن عُرَيْنَة بكلب بن وبرة . . . »[٥] .

وكانَ بينَ كلبٍ وبجيلة مُنَافَرةٌ وقعت في الجاهلية ، وقد أشار ابن الكلبي إليها مجرّد إشارة ، فذكر في نسب بني عدي بن جناب أنّ خالد بن أَرْطَأَةَ بن خُشَيْن بن شَبَث بن إساف بن هذيم بن عديّ هو الذي نافَرَ جَريرَ بن عبد الله البجليّ في الجاهلية[٦] ؛ وساق أبو عبيدة والأسود الغندجاني خبر هذه المنافرة مُطوَّلاً ،

---

(١) انظر مصادر الحاشية السابقة .

(٢) انظر النسب الكبير ١ : ١٤٤ ، ونسب قريش : ٨ـ٩ ، وجمهرة أنساب العرب : ١١ و٤١٩ والإنباه : ٩٦ـ٩٧ .

(٣) انظر النسب الكبير ١ : ٦٣ والأغاني ١٣ : ٧٩ ، والإنباه : ٢٦ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٢٥ ، ومعجم ما استعجم : ١٨ و٥٦ ، ومعجم البلدان (الغمر) .

(٤) جمهرة أنساب العرب : ٣٩٠ .

(٥) معجم ما استعجم : ٦٠ (المقدّمة) .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٢٨ـ٣٢٩ .

ومختصر ذلك أنّ كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بجيلة فَوافَوا به عكاظ ، فمرّ به صاحبه الكلبيّ على رجلٍ من بجيلة يأكل تمراً ، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرّم به ، فجذبه الكلبيّ ، فقال البجليّ : إنهُ رجلٌ من عشيرتي ، فقال له : لو كانت له عشيرة مَنَعَتْهُ ؛ فانطلق البجليُّ إلى معاشِرَ من قومه يَسْتَتْبِعُهم فأبَوْا ، ثم انطلق إلى جرير بن عبد الله فكلّمه ، فدعا جريرٌ رَهْطَه فخرج بهم ، فهجم على منازلِ كلب بعُكاظ ، فانتزع الرّجلَ منهم ، وقامتْ كلبٌ دونَهُ ، فقال جرير : زعمتم أنّ قومَه لا يمنعونه! فقالت كلب : إنَّ جماعَتَنا خُلوفٌ ؛ فقال : لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً ؛ فقالوا : كأنك تَستطيلُ على قُضَاعةَ ، إنْ شئْتَ قايَسْنَاكَ المَجْدَ ؛ فقال : مِيْعادُنا من قابلٍ سوق عُكاظ ، فجمعَتْ كلبٌ وجمعَتْ قُسْرٌ ـ وهم رهطُ جرير بن عبد الله ـ وكان صاحبَ أمر كلب العامَ القابل خالدُ بنُ أرطأةَ ، فحكّموا بينهم الأقرع بن حابس المجاشعيّ التميميّ ، ووضعوا الرّهونَ في أيدي أشرافٍ من قريش ؛ وكان عمرو بن الخُثارِم البجليّ قال ذلك اليوم أرجازاً كثيرةً ذكَّر فيها الأقرع بن حابس بما يجمعهم من النسب إلى نزار ، فلما قال خالد بن أرطأة وجرير بن عبد الله ما عندهما نفّر الأقرعُ جريراً ، ذلك أنَّ أنماراً ابنُ نزار بن معدّ وهو أخو مُضَرٍ ، والأقرع مضريّ ، في حين أنّ قضاعةَ ابنُ مَعَدٍّ ، فهو عمُّهم ، فنفّر إخوتَهم على بني عمّهم ، ولولا تلكَ القرابةُ نَفَّرَ الكلبيَّ[1] . ونقل الجاحظُ عن أبي عبيدة أنّ الأقرع بن حابس كان أوّلَ من جار في الحكم في الجاهليّة ؛ لأنه نَفَّرَ جريراً على الكلبي[2] .

وأشار المُصْعَبُ الزبيريُّ إلى هذه المنافرة غير أنّه ذهب إلى أنَّ الفَرافصة بن الأحوص الكلبي هو الذي نافر جريراً[3] ؛ وإجماعُ أولئك العلماء الثلاثة على أنَّه خالد بن أرطأة يُضْعِفُ ما ذهب إليه المصعب .

وأمّا **خثعم** فلم أقِف إلاّ على إشارة إلى يوم كان بينهم وبين بني كلب ، وذلك في

---

(١) انظر النقائض ١٣٩ـ١٤٣ ، وفرحة الأديب : ١٠٥ـ١١٣ .

(٢) البرصان والعرجان : ١٢٠ـ١٢١ .

(٣) نسب قريش : ٧ .

قول العُبَيْدِ بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر وهو شاعر جاهلي[١] :

لعمري لقد لاقت مُرادٌ وخَثْعَمٌ بِصَوْران منّا إذْ لَقُونا الدَّواهيا

فيوم صَورانَ هذا من أيامهم في الجاهلية .

وأمّا **عاملة** ، فإنّ لهم علاقةً قديمةً ببني كلب ، ذلك أنّ أبا عَزْم بن عَوْكَلان بن الزُّهد بن عاملة حالف كلباً أبا بني كلب ، وزوّجه ابنته حُبَّىٰ بنت أبي عَزْمٍ ، وقد سبق ذِكرُ هذا في الحديث عن المصاهرة بينهما[٢] ؛ ويظهر أنّ هذه العلاقة الطيّبة استمرّت بينهما زمناً طويلاً ، ذلك أنّ من أخبارهم أنّ رجُلاً من بني شَعْل بن معاوية بن عاملة يُقال له : قُعَيْسِيْس أَسَر عديّ بن حاتم الطائي « يوم أغارتْ بنو جناب من كلبٍ على طيّىءٍ ، وعاملةُ يومئذٍ مع بني حارثة بن جناب حُلَفَاءُ لهم ، فأسر قُعَيْسِيسٌ عديَّ بن حاتم ، فأخذه منه شُعَيْث بن ربيع بن مسعود العليميّ الكلبي وقال : ما أنت وأَسْرُ الأشراف؟! فخلّى سبيلَهُ بغيرِ فِداء ؛ فقال عديّ بن الرّقاع يذكر ذلك :

ونحن فككنا عن عديّ بن حاتمٍ أخي طيِّئ الأجبال قِدّاً مُحَرَّما

فقال بِشْرُ بن عُلَيْقٍ الطائيّ من بني عدي بن أخزم يردّ عليه :

كذبْتَ ابنَ شَعْلٍ ما فككْتَ ابن حاتمٍ ولا كانَ في الأقوام جَدُّك مُنْعِما

ولكنّما فادىٰ عديّ بنَ حاتمٍ عليمٌ وقد كانَتْ له مُتَكَرَّما »[٣]

وأما **كِنْدة** فإنّ قوماً مِنْ تُراغِمَ ثمّ من السَّكونِ بن أَشْرَسَ بن كندة يُقال لهم شُقَيْصٌ ، كانوا مع بني عامر الأجدار من كلب عَلَىٰ نسبهم ، وشُقَيْص هو الحارث بن سَوّار بن شجاع بن عوف بن تُراغِم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن السّكون[٤] .

---

(١) انظر شعره في الديوان.

(٢) انظر الصفحة: ٥٤، ومصادره ثمّة.

(٣) النسب الكبير ١ : ١٤٥، وفيه (طيّئ الأحبال) تصحيف، وجاء الخبر مختصراً في جمهرة أنساب العرب: ٤٢٠، والعقد الفريد ٣: ٤٠٢، ونهاية الأرب للقلقشندي: ٣٠٥، وفيها (شُعَيب بن الربيع) تصحيف، وانظر ترجمة الربيع بن مسعود الشاعر الكلبي في الديوان.

(٤) النسب الكبير ١ : ١٤٠، ونقل البكري عن هشام ابن الكلبي عن أبيه أن شُقيصاً من قُناصَةَ بن معدّ، ثم=

ولمّا ملّك الحارث بن عمرو بن حُجْرٍ آكلِ المُرار الكندي جدُّ امرىء القيس الشاعر أبناءه على عددٍ من قبائل العرب لم يكن لهم مُلْكٌ على كلب[1] .

وكان الحارث قد استولى على الحيرة ، وذلك حينما كان الملك على الفرس قُباذ ، وكان في ملكه ضعفٌ (٤٨٨ـ٥٣١م)[2] ؛ فتذكر بعضُ الرّوايات أنّه لمّا هَلَكَ قُباذ ووَليَ ابنه أنوشروان أعادَ تمليكَ المنذر بن ماءِ السماء على الحيرة ، فطلب الحارثَ ، فهربَ بأولاده ومالِهِ وهجائِنِهِ ، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبهراء ، فلحق بأرض كلبٍ فنجا ، وانتهبوا مالَهُ وهجائنَهُ ، وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكلِ المُرار ، فقدموا بهم على المنذر فقتلهم ، وأقام الحارث بديار كلب ، فتزعمُ كلب أنهم قتلوه ؛ وفي روايةٍ أنّه لمّا بلغ مُسْحُلان قتلته كلب[3] . وقد نقل الدكتور جواد علي ذلك وغيرَه من الرّوايات ، كما نقل عن الكاتِبَيْنِ (مَلالا) و(ثيوفانس) روايةً فيها شيء من التّفْصِيل عن مقتل الحارث ـ وهما قريبا عهد بتلك الأحداث ـ أنَّ القائد الروميَّ على فلسطين كان قد أجبر الحارث على التّراجع نحو الجنوب أو الشرق ، فلمّا سمع المنذر بذلك هجم على الحارث فقتله وغَنِم أموالَهُ وأَسَر أهلَه وذلك في سنة (٥٢٨م) ، وقد رجّح الدكتور جواد علي هذه الرواية لدقّةِ تفاصِيْلِهَا ومُطَابَقَتِهَا لِروايَةِ أَهْلِ الحِيْرَةِ في نتيجتها بأنَّ مقتلَهُ كان علىٰ يد المنذر ومَنْ معه[4] ؛ علىٰ أنّني لا أستبعد أن يكون بنو كلب قتلوا الحارث ، ذلك لأنَّ المنطقة التي ذكر الكاتبان أنّ القائدَ الرّوميّ أجْبَرَ الحارثَ على

= نقل عن هشام إنكارَه ذلك ، وتأكيده أنهم من السكون من كندة ؛ معجم ما استعجم : ٥٦ـ٥٧ (المقدمة) .

(١) انظر جمهرة الأمثال ٢ : ٤٣١ ، والأغاني ٩ : ٨١ـ٨٢ ، والكامل في التاريخ ١ : ٥١١ـ٥١٢ و٥٤٩ـ٥٥٠ .

(٢) ثمة روايات عدة فيها اختلاف حول كيفية استيلاء الحارث على ملك الحيرة ، انظر المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ : ٣٣٣ـ٣٤١ وثمة مصادره .

(٣) انظر الأغاني ٩ : ٨٠ـ٨١ ، وجمهرة الأمثال ٢ : ٤٣١ ، والكامل في التاريخ ١ : ٥١٢ـ٥١٣ ، ونشوة الطرب ١ : ٢٤٦ وتاريخ أبي الفداء ١ : ٩٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٣١ .

(٤) انظر المفصّل ـ لجواد علي ٣ : ٣٤٢ـ٣٤٥ .

التّراجع نحوها تقع في بلاد كلب ، فلمّا هاجَمَهُ المنذر وغَنِمَ أموالَهُ وأسَرَ أهْلَه هرب الحارث فقتلته كلب بمُسْحُلان من أرضهم .

وكان امرؤ القيس بن حُجْر الكندي الشاعر لمّا طردَهُ أبوه يسيرُ في أحياءِ العربِ ومعه أخلاطٌ من شُذّاذِ العربِ من طيّئ وكلب وبكر بن وائل[١] ، وقيل إنه كان في كلبٍ وطيّئ أيّام نفاه أبوه[٢] ، وقد وقفت على اسم رجلين من بني كلب ممّن كان مع امرىء القيس ، أحدُهما هو امرؤ القيس بن الحُمام الشاعر ، وقد ذكره امرؤ القيس ابن حجر في شعره ، وكان تبع امرأ القيس بن حجر في بلاد الروم[٣] ، والثاني هو قِنان بن سَلامَة بن عبد الله بن عُلَيم وكان فارساً ، من أصحاب امرىء القيس بن حجر ، ودخل معه أرضَ الرّوم[٤] .

وقد شبّب امرؤ القيس بثلاثِ نسْوةٍ من بني كلب : أُولاهنّ هِرّ بنت سَلامة بن عبد الله بن عُلَيْم ، أُمّ الحارث بن حصن بن ضمضم الكلبيّ الشاعر[٥] ، فهي أُختُ قِنان بن سَلامة ؛ والثانية : فاطمة بنت العُبَيْدِ بن ثعلبة بن عامر الأجدار[٦] ؛ والثالثة : سلمىٰ بنت العبيد بن تيم الله بن عامر الأجدار[٧] ، وهي أم جعفر بن أبي خلاّس الشاعر[٨] .

وذكر ابن الكلبي أنّ أُنيسَ بن جَنْدَل بن نهشل بن عديّ بن جناب كان من رجال بني عديّ ، وأنشد لامرىء القيس بن حُجْرٍ الكنديّ يقول له[٩] :

---

(١) الأغاني ٩ : ٨٧ ، ونشوة الطرب ١ : ٢٥٢ ، وتمثال الأمثال : ٣١٠ .
(٢) ديوان امرىء القيس : ١٥٥ .
(٣) انظر ترجمته في الديوان .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٤٠ .
(٥) انظر ديوانه : ١٥٥ ، وترجمة الحارث بن حصن في الديوان .
(٦) انظر ديوان امرىء القيس : ١٢ ، وشرح القصائد السبع الطوال : ٤٤ ، والتكملة للصغاني (عنز) .
(٧) انظر ديوان امرىء القيس : ٥٩ .
(٨) انظر ترجمته في الديوان .
(٩) النسب الكبير ٢ : ٣٢٥ ، ولم يرد البيتان في ديوان امرىء القيس ، وأنشدهما المفضَّل الضّبّيّ لعَميرة بن جُعَل ضمن اثني عشر بيتاً ؛ انظر المفضليات : ٢٥٩ وتخريجاتها .

مَنْ مُبْلِغٌ عني أُنَيْسَ بن جَنْدَلٍ أخا طارقٍ والقولُ ذُو نَفَيَانِ
فلا تُوعِدَنّي بالقتالِ فإنّني جمعْتُ سلاحي رَهْبَةَ الحَدَثانِ

ولم يبيّن سبب هذا الشعر ولا لأي شَيءٍ أَوْعَدَهُ أُنَيْس ؛ وأنيسٌ هذا هو جدُّ المنذر بنِ درهم بن أنيس الشاعر[1] ، وأخوه طارقٌ جَدُّ عبد الله بن أَقْعَس بن طارق الشاعر[2] .

ومن علاقة كلب بكندة أنّ دُومة الجَنْدل كانت لبني كلب ، وكان يسكنُها معهم قومٌ من السّكون ثمّ من كندة ، وهم أُكيدر بن عبد الملك السَّكوني ، وآلُ بيتِهِ ، وهو صاحبُ حِصْنِها المشهور (مارد) ، وبنو كلب أخوالُهم ؛ فكان المُلْكُ دولةً بينهم ، كما أنَّهم كانوا يتنافسون في تولِّي أمرِ السُّوقِ، سوقِ دومة الجندل ، في كلّ عام[3] .

جـ ـ علاقاتهم مع قبائل اليمن :

تناولَ الحديثُ في آخر الكلام علىٰ علاقات كلب بقبائل معدّ عدداً من القبائل التي اختُلِفَ في نَسَبها بين مَعَدّ بن عدنان ، وبين اليمن ؛ وقبائل اليمن كلُّها راجعةٌ إلى وَلَدِ قحطان ، وفي وَلَدِهِ كُتْلَتان كبيرتان : بنو حِمْيَر بن سبأ بن يشجُب بن يَعْرُب بن قحْطان ، ومنهم كان التبابعة ملوك اليمن ، وإليهم انتسب كثيرٌ من كلبٍ وغيرِهِمْ من قبائلِ قُضاعة في عصر بني أمية .

وبنو أخيه كَهْلان بن سبأ ، ومنهم طيّئ ، وهو جَلْهَمةُ بن أُدَد بن يشجب بن عُرَيب بن زيد بن كهلان ، وأخو طيّئ : مَذْحج ، وهو مالك بن أُدد ، وهمدانُ بن مالك بن زيد بن أَوْسَلَة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ، وغيرهم كثير ، ولكن هؤلاء الذين سمّيتُ هم الذين وُجدَتْ لبني كلب علاقات معهم .

فأمّا **حِمْيَرُ** : فقد روىٰ أبو الفرج الأصفهاني بسنده إلى الزّهريّ خبرَ الحَرْبِ بين قُضاعة ونزار حين قتل حَزِيمَةُ بن نهد يذكُرَ بنَ عَنَزَةَ ، فذكر فيه أنّ قضاعة تَفرّقت بعد

---

(١) انظر ترجمته في الديوان .
(٢) انظر ترجمته في الديوان .
(٣) انظر رسم (دومة الجندل) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

تلك الحرب وارتحلت عن منازلها ، قال : « وأغارت حِمْيَرُ على بقية قُضاعة ؛ فخيّروهم بين أن يقيموا على خَرَاجٍ يدفعونَهُ إليهم ، أو يَخْرُجوا ، فخرجوا ، وهم : كَلْبٌ وجَرْمٌ والعِلافُ . . . ، فلحقوا بالشام »[1] .

وثمَّةَ خبرٌ أهمّ من هذا عن علاقة كلبٍ بحِمْيَرَ ، إذ ذُكِر أنّه كان بينهم وبين كلب وبني عبد مناة بن أَدّ بن طابخة يومٌ يُقال له : يوم البيداء ، وذُكر أنه من أقدم أيام العرب ، ولهم فيه أشعار كثيرة[2] ، وأتمُّ ما وجدتُ عن ذِكر هذا اليوم عند التبريزي ، فقد أنشد أبو تمام أبياتاً لـ« رجلٍ من حِمْيَرَ في وقعةٍ كانت لبني عبد مناة وكلب على حمير ، قُتِلَ فيها علقمةُ بن ذي يزن »[3] ، وأنشد بعدها ثلاث قِطَعٍ لجِسَاس بن نُشْبة وهلال بن رَزِين من بني عبد مناة بن أُدّ في ذلك اليوم[4] ؛ فنقلَ التبريزي عن أبي رِياش أنّه قال : « كان من حديث هذه الأبيات أنّ بلادَ بني مَعَدٍّ أجدبت ، فانتجع بنو تميم بن مُرّ [بن أُدّ] ، وبنو عبد مناة بن أدّ وهم : تيم وعَديّ وعُكْل ، وهم الرِّباب ، وهذا الحيُّ من كَلْبٍ ـ ونَسَبُ قضاعةَ يومئذٍ إلىٰ مَعَدٍّ ولكنّهم تَيَمَّنُوا بعدُ فانْتَمَوْا إلى مالكِ بن حمير ـ وسَعْدُ هُذَيمٍ وهم : عُذرة ، وضِنّة ، والحارث ، وسَلامَان ، ووائلُ ، وعَوانة ، وجُهْلُمَةُ وهم حيّ من بني سَعْد ، ومعاويةُ ، وأبوهم ـ وهم صُحارٌ ـ هو : سعد هُذَيم بن زيد بن ليث بن سُود بن أَسْلُم ابن الحاف بن قضاعة ، وأمُّهم عاتكةُ بنت مرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس ؛ فانتجعتْ هذه القبائلُ صحراءَ صنعاء ، فَرَعَوا فيها ، ثم وقعت الحربُ بين حِمْيَرَ وصُحار ، فظهرت عليهم صُحارٌ ، وقتلوا مَلِكاً من ملوكهم ، يُدعى : ذا ثات . . . ، فجمعت حِمْيَرُ لصُحار ، فارتحلت صُحار مِنَ البَيْدَاء ، فلحقت ببلاد مَعَدّ ، فثارت حمير إلى كلبٍ تطلُبهم بدم ذي ثات ، وكلبٌ إخوةُ صُحار ، فاستنجدت كلبٌ تَيْمَ الرِّباب ،

---

(١) الأغاني ١٣ : ٨٣، ونقل ذلك البكريُّ في معجم ما استعجم : ٢٤ (المقدمة)، وجَرْمٌ هو ابن ربَّان بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان ربّان يُلَقَّبُ بالعِلاف، فيُقال لجرم بن ربّان وإخوتِه : العِلاف ؛ انظر النسب الكبير : ٤٥٣ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٠ـ٤٥١ .

(٢) مجمع الأمثال ٢ : ٤٣٨ ، ونهاية الأرب للقلقشندي : ٤٥٩ .

(٣) الحماسة ١ : ١٩٧ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣٣٠، وشرحه للتبريزي ١ : ٣١٣.

(٤) كما أنّ المرزبانيّ أنشد أبيات هلال بن رزين في هذه الوقعة في معجم الشعراء : ٤٥٩ .

فأنْجَدَتْهُم على حِمْير ، وظعن بنو تَميمٍ من البيداء ، فلحقوا ببلادهم ، فقال بعض شعراءِ التَّيْم حين ظعنوا عنهم ودخلوا بيوتهم بينهم وبين حِمْير :

يــا تَيْــمُ كــونــي جَــذَلَــةْ أغنــى امــرؤٌ مــا قَبلَــهْ
إذ هُزِمَتْ عمرٌو وفرّتْ حنظلهْ واستوغلَتْ سعدٌ وكانتْ وَغِلَهْ

فصارت حِمْيَرُ إلىٰ التيم وعديّ وعُكْل بن عبد مناة وإلى كلب بن وبرة ، فظهرت بنو عبد مناة وكلب على حِمْيَر ، وقتلَتْ التيمُ علقمةَ بن ذي يزن »[1] .

ثم ذكر بعد إنشادِ سَائرِ الشّعرِ ما كان بين تيمٍ وحمير فيما بعدُ[2] .

وقد وقفتُ على بعضِ الأمور الأخرىٰ التي تتعلق بهذا اليوم ، فقد ذكر ابنُ الكلبيّ أنّ قاتلَ ذي ثات الحميريّ هو : رِزاح بن الحارث بن كُلْفة بن عَوْذ بن ضِنّة بن سعد هذيم[3] .

كما ذكر أنّ صُهبانَ بن ذي حُرَث بن الحارث بن مالك بن غَيْدانَ بنَ حَجْر بن ذي رُعَين الحميري هو « الذي لَقِيَ جَمْعَ مَعَدٍّ يومَ البَيْداءِ والسُّلاّن »[4] ؛ وذكر ابنُ حبيب

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ : ٣١٧ـ٣١٨، وفيه: (ضبّة) تصحيف، وأثبتّ الصواب عن النسب الكبير: ٣: ١٥ و٤٢ـ٤٣، وجمهرة أنساب العرب: ٤٤٧؛ وفيه أيضاً: (أنّ بلاد بني سَعْدٍ أجدبت . . . ونَسَبُ قُضاعة يومئذٍ إلى سعد) وكلاهما تحريف صوابه (مَعَدّ) لأنّ هذه القبائل التي ذكرها مَعَدِّيَّة، وقضاعةُ كانت تُنسب في معدّ؛ وفيه أيضاً: (فانتجع بنو تيم بن مُرّ . . . وظعن بنو تيم من البيداء) تحريف، والصواب (بنو تميم) لأنه ليس في العرب مَنْ يُقال له بنو تيم بن مُرّ وإنّما هم بنو تميم بن مُرّ بن أُدّ، وهم أبناء أخي عبد مناة بن أُد، ويؤكّد ذلك ما جاء في الشعر، فعمرو هو عمرو بن تميم، وحنظلة هو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وسعد هو سعد بن زيد مناة بن تميم وهم بطون؛ انظر جمهرة أنساب العرب: ٢٠٧، ٢١٥، ٢٢٢؛ وقوله: (وعَوانة) هو في النسب الكبير ٣: ١٥: (غُرابة)، وفي معجم ما استعجم: ٣٢ (عَرَابة)؛ وقولُه عن أبناء سعد هُذيم بأنّهم هُمْ صُحار فيه تجوّزٌ، لأنّ صُحاراً هم وَلَدُ سعد هذيم بن زيد وأخيه جُهَينة بن زيد دون وَلَد أخيهما نهد بن زيد؛ انظر النسب الكبير ٣: ١٥ . ويُلاحَظ أنّ الشعر مختلف الوزن، فأوّله من مجزوء الرجز وآخره رجز تام .

(٢) المصدر نفسه: ٣٢٤ .

(٣) انظر النسب الكبير ٣: ٤٣ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٢٧٨ ، وجاء في جمهرة أنساب العرب «الذي حارب معدّ بن عدنان يوم السُّرى» وفي بعض النُّسخ «يوم السّرا» وكلاهما تحريف عن «البيداء» .

أنَّ عامرَ بن الظَّرِب العَدوانيّ « قاد ربيعة ومُضَر وقُضاعةَ كلَّها يومَ البيداء لليمن حين تَمَذْحَجَتْ على بني معدّ »[1] أي تجمّعت عليهم ، ونقل النُّوَيْريّ عن ابن الكلبي قوله : « لم تجتمع معدّ كُلُّها إلاّ على ثلاثةٍ من رؤساء العرب ، وهم : عامر بن الظّرب بن عمرو بن يَشكُر بن الحارث ، وعامرٌ هو قائد مَعَدٍّ يوم البَيْداء ، حين تمذحجَتْ مذحج وسارت إلى تهامة ، وهي أوّل واقعةٍ كانت بَيْنَ تهامة واليمن »[2] ، ثم ذكر ربيعةَ بنَ مُرَّة بن الحارث التغلبي وابْنَه كُلَيباً .

فهذه الأمور تبيّن لنا أنّه لمّا قَتَل رِزاحٌ ذا ثات في الحرب التي كانت بينهم وارتحلَتْ صُحار ، ثارتْ حمير إلى كلب وطالبوهم بدم ذي ثات ، فحارَبَتْهم كلبٌ وبنو عبد مناة ، فقتل بنو التيم بن عبد مناة علقمةَ بنَ ذي يزن ، فجمَع لهم صُهبان بن ذي حُرَث ، وعَلِمَتْ قبائل مَعَدٍّ بذلك ، فسارت بقيادة عامر بن الظَّرب لتُنْجِدَ كلباً وعبدَ مناة ، فالتقوا بالبيداء ، فعُرِفَتْ تلك الحرب بـ« البيداء » ؛ ويظهر من الخبر الذي نقله التبريزي عن أبي ريّاش أنّ المقصودَ بالبيداء صَحْراء صنعاء .

ويمكننا من خلال بعض القرائن أن نستدلّ على الزمن الذي كانت فيه هذه الحروب ، ذلك أنَّ صُهْبان لم يكن من أهلِ المُلْكِ في حمير ، ولكنّه حين وثب عمرو بن أسعدَ أَبي كرب بن تبّع مَلْكِي كَرْب على أخيه حسّان بن أسعد فَقَتَله ـ ولذلك قِيل له : مَوْثَبان ـ ثم ماتَ قام صُهبانُ فأخذَ الملك من أولاده وكانوا صغاراً ، ويُستَدلّ من الكتابات الحجرية على أنّ ذلك كان بعد سنة ٤٣٩م ، وقبل ٤٥٠م[3] ، ومن ثَمَّ فإنّ يوم البيداء كان في هذه المدّة ، أي في أواسط القرن الخامس الميلادي .

وممّا يتعلق بصلة كلب مع حِمْيَرَ ما قِيل عن يوم السُّلاّن ، وهو يوم تختلف فيه الأقوال شيئاً ما ، فقد مرّ بنا في الخبر السابق عن يوم البيداء قولُ ابن الكلبي : إنّ

---

(١) المحبّر : ٢٤٦ .

(٢) نهاية الأرب ١٥ : ٣٩٦ـ٣٩٧ .

(٣) انظر الأخبار الطوال : ٥٢ ، والمفصّل ـ لجواد علي ٢ : ٥٧٤ـ٥٨٠ ، ذلك أنّ أبا كرب أسعد حكم إلى ما بعد سنة ٤٣٩م ، وأن سدّ مأرب تصدّع سنة ٤٥٠ ، فقام بإصلاحه شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد .

صهبان بن ذي حُرَث الحميري هو الذي لقي جَمْعَ مَعَدٍّ يوم البيداء ويوم السُّلاّن ، وقالَ ابنُ الكلبي أيضاً حين ذكر عَميرة بن أوس بن ثعلبة بن عوف بن كعب بن ذُهل بن الخزرج بن زيد اللات بنُ رفيدة ، وكان يُقال له الملك : « كان على إحدىٰ المجنبتين يومَ السُّلاّن »[1] .

وذكر أبو حنيفة الدّينوريّ أنّه لمّا قَتَل عمرو بنُ تبع أخاه حسان بن تبّع وأشرافَ قومه تضعضع أمرُ الحميرية ، فوثب رجلٌ منهم لم يكن من أهل بيت المُلْكِ يقال له صهبان بن ذي حرث على عمرو بن تبع فقتله ، واستولى على المُلْكِ ؛ فذكر أن معدّاً أرسلت إليه تسأله أن يبعث رجلاً يأخُذُ لِضَعِيفِهَا من قويّها ، وذلك بعدما انتشرَتْ وتَباغَتْ وتظالمَتْ ، فبعث إليهم الحارثَ بن عمرو الكِنْدِيّ ؛ لأن مَعدّاً أخوالُه ، فولّى الحارثُ أبناءَه على قبائل مَعَدّ[2] ، ثم ذكر ما كان من قَتْلِ بني أسد حُجْرَ بن الحارث أبا امرىء القيس الشاعر ، وما فعلَتْ مَعَدّ بعمّال صهبان عليهم ، فأقْسَمَ صُهْبَان ليَغْزُوَنّ مُضَرَ بنفسه ، وبلغ مُضَر ذلك فتشاوروا ورأوا أنّه لا طاقة لهم به إلاّ بمساعدة بني ربيعة بن نزار ، وسيّد ربيعة يومئذٍ كليب بن ربيعة بن مرّة بن الحارث التغلبي ، فولّوا كليباً أمْرَهم ، فلقوا صهبان بالسُّلاّن ، فاقتتلوا فانهزمت جُمُوع اليمن ، وانصرف صهبان إلى أرضه ؛ ثم تجهّز بعد عام لحربهم وسار إليهم ، فاجتمعت مَعَدّ وعليها كُلَيْبٌ ، فتوافَوْا بخزازى ، وهو جَبَلٌ ، وكان كليب قد أرسل السّفّاح التغلبي مقدّمةً وأمرَه إذا دهَمَهُ القومُ أن يُوقِدَ نارَيْنِ على خزازى ، ففعل ، فأقبل كليب بجموع مَعَدٍّ صباحاً ، فاقتتلوا فقُتِل صهبان وانفضّت جموعه[3] .

وقال محمد بن حبيب ، وذكر الجرّارين من بني ربيعة بن نزار ، ولم يكن الرجلُ يُسمّى جراراً حتى يرأس ألفاً : « ربيعة بن مرّة بن الحارث بن زهير التغلبي ، قاد

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٠٦.

(٢) ورُوي أنّ الذي ملّك الحارث على معدّ هو حسان بن تُبَّع ؛ انظر المفصّل ـ لجواد علي ٣ : ٣٢٠ـ٣٣٣ وثمة مصادره.

(٣) الأخبار الطوال : ٥٢ ، وفيه (صهبان بن ذي خَرْب) وأثبتُّ ما جاء في النسب الكبير ٢ : ٢٧٨ .

مُضَر وربيعة وقُضاعة يومَ السُّلَّان إلى أهل اليمن ، وابنُه كُلَيْب بن ربيعة ، وهو كليبُ وائل ، قاد ربيعةَ ومُضَر وقُضاعَةَ يوم خزازىٰ إلى اليمن »[1] ، ونقل النويري مثلَ ذلك عن ابن الكلبي[2] .

وقال ياقوت : « قال أبو أحمد العسكري : يوم السُّلّان ، السين مضمومة ، يومٌ بين بني ضبّة وبني عامر بن صعصعة ، طُعِن فيه ضِرار بن عمرو الضبّي وأُسِرَ حُبَيْش ابن دُلَف ، فعل ذلك بهما عامر بن مالك ، وفي هذا اليوم سُمّي مُلاعبَ الأسنّة ؛ ويوم السُّلَّان ، أيضاً : قَبْلَ هذا بين مَعَدّ ومَذْحِج ، وكلبٌ يومئذٍ مُعَدِّيُّون ، وشهدها زهير بن جَناب الكلبي ، فقال :

شَهِدْتُ المُوقِدين على خزازٍ   وفي السُّلّان جَمْعاً ذا زُهاءِ

وقال غيرُ أبي أحمد : قيل السُّلّان هي أَرْضُ تهامة ممّا يلي اليمنَ ، كان بها وقعةٌ لربيعة على مذحج . . . وقال في الجامع : السُّلّان وادٍ فيه ماءٌ وحَلْفاءُ ، وكان فيه يومٌ بين حِمْيَرَ ومَذْحِج وهَمْدَان وبين ربيعة ومُضَر ، وكانت هذه القبائل مِنَ اليَمنِ بالسُّلّان ، وكانت نزار على خزازٍ وهو جبلٌ بإزاء السُّلَّان ، وهو ممّا بين الحجاز واليمن ، والله أعلم »[3] ؛ وقال الميدانيّ فخلط بين يومي السُّلّان : « يوم السُّلّان : بالسين غير المعجمة واللام المشدّدة ، وهي أرض تهامةَ ممّا يلي اليمن ، لربيعة على مذحج ، وفي هذا اليوم سمّي عامرٌ ملاعب الأسنّة ؛ قال زهير بن جناب : (البيت) »[4] ؛ واكتفىٰ القلقشندي بأنّ « يوم السُّلّان : كان لربيعة على مذحج »[5] .

---

(١) المحبّر : ٢٤٩ .
(٢) نهاية الأرب ١٥ : ٣٩٧ .
(٣) معجم البلدان (السُّلّان)، وقوله عن يوم السُّلّان الآخر إنّه بين ضَبَّة وبني عامر فيه تجوّزٌ، ذلك أنّ بني ضبّة كانوا في الجيش الذي أرسله النعمان بن المنذر إلى بني عامر وأرسل عليهم أخاه لأمّه وبرة بن رومانس الكلبي، فهزمه بنو عامر؛ انظر الحديث عن هذا اليوم في ترجمة المنذر بن وبرة بن رومانس في الديوان .
(٤) مجمع الأمثال ٢ : ٤٣٨ .
(٥) نهاية الأرب : ٤٥٩ .

فهٰذه هي الأقوال في يوم السُّلاّن ، ويتبيّن من خلالها أنّ هذا اليوم كان بين مجموعة من قبائل اليمن : حِمْير بن سبأ ، ومَذْحِج وهمدان وكلاهما مِنْ بني كهلان بن سبأ ، يقودهم صهبان بن ذي حُرَث الحميريّ ، وبين مجموعة قبائل من مَعَدٍّ : ربيعة ومُضَرُ ابنا نزار بن معد ، وقضاعة بن مَعَدّ ، يقودهم ربيعة بن مرّة التغلبيّ والد كُلَيْب ـ وتفرّد أبو حنيفة الدينوري بما ذهب إليه من أنّ قائدهم هو كليب ابن ربيعة بن مرّة ـ وكان على إحدى مَجنبتي معدّ عَميرة بن أوس الكَلْبيّ المَلِك ، وينبغي أن يكون قائدَ قضاعةَ ذلك اليوم ؛ وعَميرة هذا عَدَّهُ ابنُ حَبيب أَحَدَ الجَرَّارينَ من قُضاعة ثم مِنْ كلبٍ وعدَّ معه زهيرَ بن جناب الكلبي أيضاً[1] ؛ وقد مرّ بنا في أقوال العلماء في يوم السّلاّن أن زهيراً شهد هذا اليوم ، وكونُ عَميرة على إحدى المجنبتين يدلّ على أنّ عميرة كان يومذاك سيّد كلب ومَنْ معهم من قُضاعة ، وأنّ زهيراً كان ما يزال في سِنِّ الشباب .

ومن ثَمَّ فإنّ أصحّ الأقوال في هذا اليوم أنّه كان بين عدد من قبائل اليمن لا مَذْحج وحدَها ، وبين عدد من قبائل مَعَدّ لا ربيعة وحدَها ، ولا ربيعة ومضر وحدهما ؛ وينبغي أن يكون هذا اليوم قريباً من يوم البيداء ، لأنّ قائد اليمن فيهما واحد ، وقد رأينا أنّ يوم البيداء كان في أواسط القرن الخامس الميلادي .

وأما علاقة كلب بمَذْحِج فقد رأينا أن مذحجاً شهدَتْ مع غيرها من قبائل اليمن يومَ السّلاّن ضد قبائل مَعَدّ من مضر وربيعة وقُضاعة وفيهم بنو كلب ؛ ومن علاقة كلب بمذحج شهودُ هؤلاء وهؤلاء يوم خزازىٰ ، وهو يومٌ تختلف فيه الأقوال أيضاً ، فقد رأينا ما ذكر أبو حنيفة الدينوريّ من أنّه كان بين صهبان بن ذي حُرَث ومَنْ معه من قبائل اليمن ، وبين قبائل مضر وربيعة يقودُهم كليبُ وائلٍ ، كما مرّ بنا ما ذكره ابنُ

(١) المحبّر : ٢٥٠ ـ ٢٥١ ، كما أنّ ابن حبيب عَدَّ عَميرةَ بن أوس هذا من البُرْص الأشراف ؛ المحبّر : ٢٩٩ ، وجاء نسبه في هذا الموضع هكذا : عميرة بن أوس بن عوف بن ثعلبة بن ذهل بن الخزرج بن زيد الله بن رفيدة الكلبيّ ، بتقديم (عوف) علىٰ (ثعلبة) ، وبإسقاط (كعب) من بين (عوف) و(ذهل) ، والصواب ما جاء في الموضع الأوّل ، وهو يوافق ما جاء في النسب الكبير ٢ : ٣٠٦ .

الكلبي وابنُ حبيب وغيرهما أنّ كليباً قادَ قبائل مَعَدٍّ مِنْ ربيعةَ ومُضَر وقُضاعة يوم خزازى إلى أهل اليمن ؛ وذهب أبو عبيدة ومَنْ تابعه إلى أنّ يوم خزازىٰ كان بعقبِ يوم السّلاّن بسبب أُسارى من مُضَر وربيعةَ وقضاعةَ كانوا في يد ملكٍ من ملوك اليمن ، فوفد عليه وفدٌ منهم فوهبهم لهم ، واحْتَبَسَ بعضَ الوفدِ رهينةً حتى يجيئَهُ رؤساؤهم ويعطوه المواثيق بالطّاعة ، فجمع كليبٌ ربيعةَ ، وبعث السفّاح التغلبيّ على مقدّمته وأمره أن يوقد ناراً على خزازىٰ ليهتدي الجيش بها ليلاً ، وأنْ يوقِدَ نارَيْنِ إذا دَهَمهُ القومُ ، فبلغ مذحجاً اجتماع ربيعةَ ومسيرها فاستنفروا مَنْ يليهم من قبائل اليمن ، فلما سمع أهلُ تهامةَ من مَعَدّ بمسير مذحجٍ انضمّوا إلىٰ ربيعةَ ، وكان اللّقَاءُ بخزازى ، فاقتتلوا ، وانهزمَتْ مذحجُ وجموعُ اليمنِ وانفضّوا[١] ؛ وقد قِيل في هذا اليوم غير ذلك[٢] . لكنّ ما يهمّنا هو أنّ كلباً شهدَتْهُ مع إخوتها من قُضاعةَ ، ومع إخوتهم من ربيعةَ ومُضَرَ ، ضِدَّ مَذْحِج ومَنْ معها مِنْ قبائلِ اليَمنِ ولم تكن مذحجُ وحدَها ، ولعلّها كانت أكثَرَ جيشِ صُهبان بن ذي حُرَث ، الذي قادهم من اليمن ؛ ولم يُذكَر اسمُ رجلٍ بعينه من كلب شهد يوم خزازى ، على أنّ زهير بن جناب أشار إلى هذا اليوم وإلى إيقاد النار بقوله :

ولقـــد شهـــدتُ النـــارَ لِلسْـ ـــسُــلاَّفِ تــوقَــدُ فــي طَميّــةْ

وفي بيت آخر :

شهدتُ المُوقِديْنَ على خزازىٰ وبـــالسُّـــلاّنِ جمعـــاً ذا زُهـــاءِ

وهذا يرجّح شهوده هذا اليومَ كما شَهِدَ يوم السُّلاّن .

ومن علاقة كلبٍ بمذحِج تلك الإشارة في شعر العُبَيْدِ بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر الكلبي إلى يوم صَوْران بين كلب وبين مُراد وخثعم ، ومُراد هو يُحابِرُ بن

---

(١) النقائض : ١٠٩٣ـ١٠٩٥ ، وأيام العرب قبل الإسلام ٢ : ٢٩ ، والكامل في التاريخ ١ : ٥٢٠ـ٥٢٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٤٤٥ .

(٢) انظر : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٢٥ ، والعقد الفريد ٥ : ٢٤٥ـ٢٤٦ ، ومعجم الأمثال ٢ : ٤٣٣ ، ومعجم ما استعجم ومعجم البلدان (خزاز) ، والعمدة : ٩٢٠ ، ونهاية الأرب ـ للنويري ١٥ : ٤٢٠ـ٤٢١ .

مَذْحِج[1] ؛ وقد سبق ذلك في الحديث عن علاقة كلب بخثعم[2] .

وأمّا علاقتهم بطيّئ فإنها أوسَعُ ما كان لهم من علاقات بقبائل اليمن ، ذلك أنّ ديارهم كانت متجاورة كما سبق[3] ، وقد لاحظنا من قبل أنّ المصاهرة بينهما كانت كثيرة[4] ؛ وفي طيّئ بطون كثيرةٌ ترجِع إلى أبَوَيْنِ اثنين : فُطْرَة بن طيّئ ، ومنهم بنو جَدِيلة ، وهم بنو خارجة بن سعد بن فُطْرَة ، نُسِبوا إلى أمّهم ؛ والغَوْث بن طيِّئ[5] ، وكان لهما أخٌ ثالث اسمه الحارث بقي مقيماً في اليمن حين رحل عنها أبوه وأَخَواه .

فممّا يتعلّق بصلة كلب بهم أنّ حرباً كانت بين بني جديلة وإخوتهم وبين الغوث بن طيّئ في الجاهلية ، وتُعرَف بحرب الفَساد ، وهي حربٌ طويلةٌ ذُكِرَ أنّها دامت خمساً وعشرين سنةً ، وكان آخرها يوم اليَحامِيم ، ويُعرَف أيضاً باسم يومِ قاراتِ حُوق ، وكان الحارثُ بن جَبَلَةَ الغسّاني قد أصلح بينهم من قبلُ ، فلمّا هلك عادوا إلى ما كانوا عليه ، فقُتِل قائد جديلةَ في بعض أيّامهم فأخذ رجلٌ من الغَوْثِ أُذنيهِ فخصفَ بهما نَعْلَيهِ ، فجمعَتْ لهم جديلةُ ، وجمعَتْ الغَوْث ، فالتقوا بقاراتِ حُوق ، فانهزمت جديلةُ وقُتِلوا قتلاً ذريعاً ، ولم تبْقَ منهم بقيّة للحربِ ، فدخلوا بلاد كلبٍ فَحالفوهم ، وأقاموا معهم[6] ؛ وكان في جديلة حين جاوروا كلباً البُرْج بن مُسْهِر الطائيّ الشاعر أحد بني جديلة ، فلم يَحْمَد جوارَ كلبٍ ، فقال من أبياتٍ حماسيّةٍ[7] :

فنِعْمَ الحيُّ كلبٌ غَيْرَ أنَّا ... رأينا في جوارِهُم هَناتِ!
ونِعْمَ الحيُّ كلبٌ غير أنّا ... رُزئنا من بنينَ ومن بناتِ!

---

(١) النسب الكبير ١ : ٣٤٥ . وجمهرة أنساب العرب : ٤٠٥ .
(٢) انظر الصفحة : ١٠٩ ـ ١١٠ .
(٣) انظر الصفحة : ٦٣ .
(٤) انظر الصفحة : ٥٣ .
(٥) النسب الكبير ١ : ١٧٩ـ١٨١ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣٩٨ .
(٦) انظر الكامل في التاريخ ١ : ٦٣٥ـ٦٣٦ ، وشرح ديوان الحماسة ـ للتبريزي ١ : ٣٣٦ـ٣٤٠ وجمهرة أنساب العرب : ٣٩٩ ، وجاء في الجمهرة : (فلحقوا بحلب وحاضر طيِّئ) .
(٧) الحماسة ١ : ٢١٠ ، وشرح ديوان الحماسة ـ للمرزوقي : ٣٥٩ ، وشرحه للتبريزي ١ : ٣٣٦ .

فإنّ الغَدْرَ قد أضحى وأمسى مُقيماً بين خَبْتَ إلى المَساةِ!

فأجابه فُضالَةُ بن أبي مُعْرِض البُحتري ، من بني الغوث ، من أبيات أنشدها أبو رياش فيما نقل التبريزي عنه[1] :

عَـلامَ هَجَـوتَ كلبـاً يـا حِمـاراً أقـامَ بِـذِلّـةٍ حتّـىٰ المَمـاتِ

وقد أنشد الآمدي أبياتاً لأُبيّ بن عُرَيْن بن أبي جابر بن زهير بن جناب ، ونسبها الأصفهاني لأبيه ، جاء فيها[2] :

إنّـــا منعنــــا أنْ يُــــذِلْـ ـلَ جِـلادُكـم وبنـي جـديلَـةْ

فذكر أنّه طَرَق بني جديلةَ ليلاً فأخبرَهم خبر صِدْقٍ عَنْ جيشٍ يريدهم ، فطاروا في بلادهم، فكان ذلك سبب نجاتهم ، فرجَّحْتُ أن يكون في هذا البيت تحريفٌ صوابه:

إنّـــا منعنــــا أنْ يُــــذِلْـ ـلَ جلادُ غَـوْثَ بني جـديلَـةْ

فتكون هذه الأبيات ممّا قيلَ في تلك الحربِ ، ويكون فيها دليلٌ على وقوفِ بني كلبٍ مع بني جديلة .

وذكر ابن الكلبيّ أنّ بني جُرْوَة بن عمرو بن عمرو بن ثُمامةَ بن مالك بن جَدْعاءَ بنَ ذُهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن فُطرة ـ وهم من بني جديلة ـ كانوا مقيمين مع بني زهير بن جناب الكلبي ثمّ مع بني القَلْحَاءِ منهم[3] ؛ فيكون ذلك على إثر حرب الفَساد .

وتدلّ بعض القرائن على أنّ دخول بني جديلة بلادَ كلب ومحالفتهم إيَّاهم كانَتْ في الربع الأخير من القرن السادس الميلادي ؛ ذلك أنّ هلاكَ الحارث بن جبلة الذي أصلح بين طيّىء ثم عادوا إلى القِتال بعد هلاكِهِ ، كان سنة ٥٦٩ أو سنة ٥٧٠م[4] .

---

(١) شرح ديوان الحماسة ١ : ٣٤٠.
(٢) انظر شعره في الديوان.
(٣) النسب الكبير ١ : ١٨٤ .
(٤) انظر المفصّل ـ لجواد علي ٣ : ٤١٢ .

ومن علاقة كلب ببني جديلة أنّ كلباً قتلت إياسَ بنَ حِصْفَ بن عبد رُضى ، وهو من بني جديلة ، وكان شريفاً[1] ، ولا ندري متىٰ كان ذلك .

وثمّة عدد من الأخبار المتّصلةِ بعلاقةِ كلب ببني الغوث وَحْدَهُمْ ؛ فقد ذكر ابن حبيب أنّ عامرَ بن جُوَين الطائيّ أحَدَ بني جَرْم بن عمرو بن الغوث ، قتلته كلب ، وهو الذي نزل به امرؤ القيس في أثناء تنقُّلِهِ بعد مقتل أبيه ، وكان سيّداً شاعراً فارساً شريفاً ؛ قال : « وكان سبب قتلِهِ أنّ كلباً غزتْ بني جَرْم ، فأسَرَ بِشْرُ بن حارثة وهُبَيْرَة ابن صَخْرٍ الكلبيّ عامرَ بن جُوَيْنٍ ، وهو شيخ كبير ، فجعلوا يتدافعونَهُ لِكِبَرِه ، فقال عامر بن جُوَين : لا يَكُنْ لعامر بن جونٍ الهَوانُ! فقالوا له : وإنك لَهُو؟ قال : نعم ؛ فذبحوه ، ومَضَوا ؛ وأقبل الأسود بن عامرٍ ، فلمّا رأىٰ أباه قتيلاً بينهم أخذ منهم ثمانيةَ نفرٍ ـ وكانوا قتلوا عامراً وقد هبّت الصبا ـ فكَعَمَهُم وقد وضع أيديهم في جفانٍ فيها ماء ، وجعل كلّما هبّتِ الصَّبا ذبح واحداً حتى أتى عليهم ؛ وكان الذي وَلِيَ قتل عامرٍ : مسعودُ بن شدّاد ، فقالت أخته عَمْرة بنت شدّاد :

يا عينُ بكّي لمسعودِ بنِ شدّادِ بكـاءَ ذي عَبَـراتٍ حُـزْنُـه بـادِ
. . . . . . (الأبيـــات) »[2]

وتدلّ بعض القرائن على أنّ هذه الغزوة كانت في النّصف الأول من القرن السادس المِيلاديّ ، ذٰلك أنّ ابناً لهبيرة بن صخر اسمه بِشْر شَهِدَ مع الحارث بن أبي شمر الغَسّاني يومَ عين أُباغ[3] ، وكانت بينه وبين المنذر بن ماء السماء ، وهي المعركة التي قُتِل فيها المنذر ، ويرى المؤرّخون أنّ هذه المعركة كانت سنة ٥٥٤ للميلاد[4] .

وقد مرّ بنا في الحديث عن علاقة كلب ببني عاملة أنّ كلباً أغارت على طيّئ ، وعاملةُ يومئذٍ مع بني حارثة بن جناب حلفاء لهم ، فأسر رجلٌ من بني شَعْل بن

---

(١) انظر النسب الكبير ١ : ١٩٢ ، و٢ : ٣٨١ .
(٢) أسماء المغتالين ٢ : ٢٠٩ـ٢١٠ ، ونقله البغداديّ عنه في خزانة الأدب ١ : ٥٣ ؛ وانظر شعر عمرة بنت شداد وترجمتها في الديوان .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٧ .
(٤) انظر المفصّل ـ لجواد علي ٣ : ٢٢٧ـ٢٢٨ .

معاوية بن عاملةَ يُقال له القُعَيْسيس عديَّ بن حاتم ، فأخذه منه شُعَيْثُ بنَ ربيع بن مسعود العُلَيمي وخلّى سبيلَه بغير فِداء[١] ، وعديّ بن حاتم هو أحد بني ربيعة بن جَرْول بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث ، وهو معدود في الصّحابة[٢] ، وهذا يعني أنّ إغارة كلب عليهم كانت قريبة عهدٍ من الإسلام .

وذكر ابن الكلبيّ أنّ امرأةً من كلب ثم من بني عُلَيْم بن جناب « كانت جارةً لمالك بن كلثوم الشّمَجيّ ، وكان شريفاً ، فجاءَ سادِنُ الفَلْسِ صَنَم طَيِّئ ، واسمه صيفيّ ، وهو آخِر مَنْ سَدَنَهُ ، فاطّرَدَ ناقةً للمرأةِ الكلبيّة فانطلق بها حتّى أوقَفَها بفِناءِ الفَلْس ، وخَرَجَتِ المرأةُ فأخبرَتْ مالكاً . . . . (الخبر)[٣] » فكانَ مالِكُ أوّلَ مَنْ أَخْفَرَ الفَلْسَ ؛ ومالك بن كلثوم الشَّمَجيّ منسوبٌ إلىٰ شَمَجىٰ بن جَرْم بن عمرو بن الغوث[٤] .

وممّا وقفت عليه من أخبار تدلُّ على علاقة كلب بطيّئ أنّ طيّئاً قتلت عَدِيّ بن جَبَلَةَ بن عَرَكيّ بن حُنْجُود الكلبي أحد بني أبي سُود بن زيد اللاّت بن رُفيدة ، وكان فارساً شريفاً ، فرثته امرأةٌ قائلةً[٥] :

يــا عَــدِيّــاً يــا عــديّ مَــنْ لخيــلٍ وَسُبِــيّ
جــاءتِ الخضــراءُ تــردي وبهــا نَضْــحُ الــدُّمِــيّ

والخضراء فرسه .

ومن ذلك أنّ حاتم بن عبد الله الطّائي وبني لأُم الطائيّين لمّا تماجَدُوا في خبرٍ طويلٍ لهم جعلوا الرُّهُنَ في يدِ امرىء القيس بن عديّ العليميّ الكلبي الشاعر[٦] .

---

(١) انظر الصفحة : ١١٠ .
(٢) انظر النسب الكبير ١ : ٢٣٧ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٠٢ ، وأسد الغابة ٤ : ٨ـ١٠ .
(٣) الأصنام : ٦٠ ، ونقل ياقوتٌ الخبر عنه في معجم البلدان (الفلس) وفيه : (مالك بن كلثوم الشَّمْخيّ) تصحيف .
(٤) النسب الكبير ١ : ٢٤٥ـ٢٤٦ .
(٥) انظر القطعة (٥) من اشعار مجاهيل بني كلب في الجاهلية في الديوان ، ومصادر الخبر ثمة .
(٦) انظر ترجمة امرىء القيس بن عدي في الديوان ، وثمة مصادر الخبر .

٣ـ علاقاتهم بملوك الشام :

إنّ من الممالك العربية الّتي ظهرت في بلاد الشام مملكة تدمر ، ومملكة الضَّجاعمة السَّليحيّينَ من قضاعة ، ومملكة غَسّان ؛ وقد وقفت على عدد من الأخبار تدلّ على أنَّه كان لبني كلب صلة بهاتين الأخيرتين ، دون مملكة تدمر .

فأمّا **الضجاعمة السَّليحيّون** فينتمون إلى ضَجْعَمٍ وهو حَماطة بن سعد بن سَليح بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة[١] ، وكانوا ملوكاً بالشام بعد الزبّاء ، وقبلَ غسّان ؛ إذِ انتقلوا إلى الشام بعد حربِ قضاعةَ مع بني نزار ، وكان مَلِكُ العرب يومئذٍ ظِرْبُ بن حسان بن أُذينة بن السَّميدع العمليقي ، فانضمّوا إليه ، فأنزلهم مناظِرَ الشام من البلقاء إلى حُوَّارين ، فلم يزالوا معهم حتى قُتِلت الزّبّاء ، فاستولوا على المُلك بعدَها ، فلم يزالوا ملوكاً حتى غلبتهم غسّان على الملك[٢] .

والذي وقفت عليه ممّا يخصّ علاقة كلبٍ بهم خبرٌ وحيد ، هو خبر اغتيال داود اللَّثِق ابن هَبالة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم أحدِ ملوكهم ؛ إذ ذكر ابن حبيب أنّ ملكَ الرّوم غلبَ داودَ على ملكه ، فصَالَحَهُ على أن يكون تحت يدِهِ ، فكان يُغيرُ بمَنْ معه ؛ ثم إنَّه تنصَّرَ وكره الدّماءَ ، فترك الغَزْوَ وضَعُفَ ، ثمّ أمرَهُ ملكُ الروم أن يغْزُوَ بمَنْ معه العربَ ، فلم يجدْ بدّاً من أن يفعل ، وكان معه في ذلك الجيش زهير بن جناب الكلبي ، فغزا عبدَ القيس فقتل زهيرُ بن جناب هدّاجَ بنَ مالك بن عامر العبقسيّ ، وأغار في وجهه على بكر بن وائل فقتل زهيرُ أيضاً هدّاجَ بن مالك بن تيم الله البكريّ ، فقال زهير :

فجّعتُ عبدَ القيس أمسِ بجدِّها وسقيتُ هدّاجاً بكأس الأفرل

قال ابن حبيب : « ثم أقبل داود حتى إذا كان بناحية الرَّقَمِ تذاكر رجالٌ من قُضاعة

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٤٤٩ ، وانظر جمهرة أنساب العرب : ٤٥٠ .

(٢) انظر معجم ما استعجم : ٢٥ـ٢٦ (المقدمة)، وثمّة خلال حول قاتل الزّباء، انظر أغاليط المؤرّخين : ٣٢٧ـ٣٣٩، والمفصّل ـ لجواد علي ٣ : ١١٩ وما بعدها؛ وانظر حديث جواد علي عن السَّليحيّين في المفصّل ٣ : ٣٩٢ـ٣٩٩.

ما دَخَلَهُمْ مِنَ الذُّلِّ لِصُنْعِهِ الذي صنعه بنفسه ، فتواعد رجلان من قُضاعة على قَتْل داود ، أحدهما : ثعلبةُ الفاتك بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب ، والآخر : معاوية بن حُجَيْر بن حُيَيّ بن وائل ابن ربيعة بن أَمْرِ مَناة بن مَشْجَعَةَ بن التيم بن النمْر بن وبرة أخي كلب بن وبرة ؛ فأقبل داود يسيرُ ليلاً وأمامه شمعة وهو منصرف إلى الشام ، حتى انتهى إلى موضع يُقال له : بُرْقة حارب، فتقدّما إلى الشمعة فأطفأاها ، وشدّا عليه فقتلاه . . . (الخبر)»[١] .

فنلاحظ في هذا الخبر أنّ زهير بن جناب وثعلبة الفاتك كانا مع داود ، ولا شك في أنه كان يتبعهما أناسٌ آخرون من كلب ، إذ كان زهير سيداً من ساداتهم ؛ ويؤكد ذلك مشاركة مُعاويةَ بنِ حُجير المَشجعيّ في قتل داود ، إذْ كان بنو مشجعة مع بني كلب بن وبرة[٢] .

وتدلّ القرائنُ على أنّ هذا الخبر كانَ في حدود أواخِرِ القرنِ الخامس للميلاد ، ذلك لأنّ ذيادَ بنَ الهَبُولة بن عمرو بن عوف بن ضجعم ابنَ عمِّ داود كان آخِر ملوك الضّجاعمة السَّليحيّين[٣] ، وقد قتله حُجْرٌ آكِلُ المُرارِ الكندي في خبر لهما[٤] ، وكان حُكْمُ حُجْرٍ فيما قدّر المؤرّخون المعاصرون في الرّبع الأخير من القرن الخامس للميلاد[٥] .

---

(١) أسماء المغتالين ٢ : ١٢٧ وما بعدها ، وأشار إلى هذا الخبر ابن الكلبي في النسب الكبير ٢ : ٣٥٧ـ٣٥٨ و٤٤٩ـ٤٥٠ ، وأورده ياقوت في معجم البلدان (القرنتان) ؛ وقد جاء في نص أسماء المغتالين والنسب الكبير تحريف ونقص وخلط ، فأثبتُّ ها هنا الصواب ، ونبّهتُ على ذلك في حواشي ترجمة ثعلبة الفاتك ، وفي التعليق على القطعة (١٨) من شعر زهير بن جناب في الديوان ؛ وجاء في معجم البلدان : «داود بن هَبُولة» بدل (هبالة) ، وهو خلط بينه وبين ابن عمّه ذِياد بن هَبُولة بن عمرو بن عوف المَلِكِ من بعده ؛ انظر النسب الكبير ٢ : ٤٤٩ـ٤٥٠ .

(٢) انظر ما سبق في الحديث عن علاقة كلب ببني النمر بن وبرة ، ص : ٧٠ .

(٣) انظر تاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٩٨ـ٢٩٩ .

(٤) انظر المفصل ـ لجواد علي ٣ : ٣٢١ـ٣٢٦ ، ومصادره ثمة ، ويُضاف إليها : النسب الكبير ٢ : ٣ و٤٥٠ ، وجمهرة النسب ٢ : ١٩٦ ، والمحبّر ٢٥٠ ، والاشتقاق : ٥٤٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٩٨ـ٢٩٩ .

(٥) انظر المفصّل ـ لجواد علي ٣ : ٣٢٥ـ٣٢٦ .

وأمّا **غسّان** فإنَّ جُماع نسبهم إلى مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، وغسان ماءٌ شربوا منه فسُمّوا غسان ، ومَنْ لم يشربْ منهم من ذلك الماء فليس يُقال له غسان[(١)] .

وقد مَلَكوا بالشام بَعْدَ الضَّجاعمة ، وأخذوا المُلْك منهم عَنوة ، ذٰلك أنّهم لمّا قَدِموا الشامَ من اليمنِ ورئيسُهم ثعلبةُ بن عمرو بن مُجالد من بني عمرو بن مازن بن الأزد طالبَتْهم سَليح بدَفْعِ الخَرْجِ فأبَوْا ، فاقتتلوا ، فهُزِمَتْ غسّانُ ورضِيَتْ بدفع الخَرْج ، فلبثوا كذلك حتى قَتَلَ جِذْعُ بن عمرو بن مُجالد جابيَ سَليحٍ سَبيطَ بنَ المنذر ابن عمرو بن عوف بن ضجعم ابن عمٍّ دَاود بن هَبالة وذياد بن هَبولة المَلِكَيْنِ ، فثارت الحرب بينهما ، فانهزمَتْ سَليح ، فأرْسَلَ ملكُ الرومِ إلىٰ ثعلبةَ بن عمرو وأقرَّهُ خشيةَ أن يميل إلى الفُرسِ[(٢)] ؛ فاستولت غسّان على المُلْكِ ، وبقي ذياد بن هَبولة كالمتغلّب علىٰ بعضِ أطراف الشام ، والملكُ الأعظم لغسّان[(٣)] ؛ ثم آل الأمر كلّه إليهم .

فمن الأخبار التي تتعلّق بصِلَةِ كلب بهم أنّ الحارثَ بن جَبَلَةَ أبي شَمِر الغساني المعروف بالحارث الأكبر ابن مارية كان مُكْرِماً لزهير بن جناب الكلبيّ ، يُنادمه ويحدّثه ، وكان للحارثِ مع زهيرٍ وابنه عامر بن زهير خبرٌ طويلٌ ذكرته في ترجمة زهير[(٤)] .

وممّن وفد على الحارثِ بن جَبلةَ ونادَمَهُ وكان له خبر معه عبدُ العُزّىٰ بن امرىء القيس الكلبيّ الشاعر وابناه شَراحيل وعبد الحارث ، وقد قتل الحارثُ عبدَ العزّى ، وذُكِرَ في خبره أنَّ ابناً للحارث كان مُسْتَرْضَعاً في بني الجُمَيْمِ من كلب ؛ وذكرتُ الخبرَ في ترجمة عبد العزّىٰ[(٥)] ؛ وقال عبد العزّى في خبره ذلك شعراً ، ومنه بيتٌ

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٢ـ٣ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣٣٠ـ٣٣١ .
(٢) أمثال العرب للمفضّل : ١٢٦ ، والمحبّر : ٣٧٠ـ٣٧١ ؛ وانظر النسب الكبير ٢ : ١٨٦ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣٧٤ ، ومجمع الأمثال ١ : ٢٣١ .
(٣) انظر الكامل في التاريخ ١ : ٥١٠ـ٥١١ ، والمفصّل ٣ : ٣٢١ـ٣٢٥ .
(٤) انظر ترجمة زهير في الديوان .
(٥) انظر ترجمة عبد العزىٰ في الديوان .

خاطبَ بِهِ الحارثَ وأشار فيه إلى يوم بينهم وبين غسان ، فقال[١] :

وقد رامَنا مِنْ قبلِكَ المرءُ حارثٌ   فَغُودِر مَسْلولاً لَدَىٰ الأُكُمِ الصُّهْبِ

والحارث هذا هو الحارث بن ثعلبة بن عمرو جدّ الحارث بن جبلة ، وكان ملكاً .

وذكر ابن الكلبي أنّ بشر بن هُبيرة بن صخر بن ربيعة بن معاويةَ الجوشنِ بن بكر بن عامر الأكبر شَهِد مع الحارثِ بن أبي شَمِر ، وهو الحارث بن جبلة ، يومَ عين أباغ[٢] ، وهو اليوم الذي قُتِل فيه المنذر بن ماء السماء ، ويرى المؤرّخون أنّه كان سنة ٥٥٤م[٣] .

وكان النعمان بن جبلة بن وائل الجُلاحيّ قائداً للحارث بن أبي شَمِر الغسّانيّ[٤] ، وليس بالحارث الأكبر بن جبلة أبي شمر صاحب زهير بن جناب ، وإنّما هو الحارث الأصغر بن الحارث الأوسط بن الحارث الأكبر بن أبي شمر ، أبو النّعمانِ بن الحارث الأصغر الملكِ الذي حَمَىٰ ذا أُقُرٍ فتربّعتْهُ بنو ذبيان ، فوجّه النعمانُ بن الحارث إليهم النعمانَ بن جبلة الجُلاحيّ في جيش ، فأوقع بهم ، وكان لهم خبرٌ سَبَقَ في الحديث عن علاقة كلب ببني ذبيان[٥] ؛ ومن ثَمَّ فإنّ النعمان كان قائداً للحارث ولابنه النعمان بن الحارث من بعده .

وروى الحَمْدُوني أنَّ أُنَيْساً وطارقاً ابني جندَل من رجال كلب وَفَدَا على مَلِك من مُلوك غسّان ، « وكان قد بَلَغَهُ عَنْهُما عقلٌ وأحبّ أن يمتَحِنَهُما ؛ فقال : يا أُنَيْس ، ما أنكأُ الأشياءِ للقلوب؟ قال : فَقْرٌ مُكِبّ ، وضَرَعٌ إلى غير محبّ ؛ قال : يا طارق ، ما أضرّ الأشياء على المُلوك؟ قال : عدوٌّ تسري مكايدُه ، وجليس يبثّ حبائِلَهُ ، وصديقٌ يودُّك ظاهره ويَغُولك باطنُه . . . »[٦] ، وساق الخبرَ بطولهِ ،

---

(١) انظر شعر عبد العزّى ، في الديوان .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٧١ .
(٣) انظر المفصّل ٣ : ٢٢٧ و٤٠٧ـ٤٠٨ .
(٤) الاشتقاق : ٥٤١ .
(٥) انظر ، ص : ٨٥ ـ ٨٨ .
(٦) التذكرة الحمدونية ١ : ٢٥١ـ٢٥٢ .

يسألهما الملك ويُجيبان ؛ وأُنَيْس وطارق هٰذان هما عَمَّا خَوْلَةَ بنت حُصَيْن بن جندل التي كان يشبّب بها طَرَفة ، وكانا مُعاصِرَيْنِ لامرىء القيس بن حُجْر ، فذكرهما في شعره، وهما جّدا عبد الله بن أقعس بن طارق والمنذر بن درهم بن أُنَيْس الشاعِرَيْن[١] .

وذكر ابن حبيب أنَّ سُوقَ (دُومة الجندل) « كانَ مُلْكُهَا بين أُكيدر العِباديّ ثمّ السَّكونيّ وبين قُنافَةَ الكلبي ؛ فكان إذا العِباديّون غَلَبوا وَلِيَها أُكيدر ، وإذا غلب الغسّانِيّون ولَّوْها قُنافة . . . »[٢] .

٤ـ علاقتهم بملوك الحيرة :

ظَهَرَتْ في الحيرة مملكةُ المَناذرة من بني نَصْر بن رَبيعة بن عمرو بن الحارث بن شَعْوَذ بن مالك بن عَمَم بن نُمارةَ بن لَخْمٍ ، وقد اختُلِف في لَخْمٍ أَهُمْ من معدّ أم من حِمْيَر[٣] ؛ وكان المُلْكُ قبلَهم لجُذَيْمَةَ الأبرش بن مالك بن فَهْم من الأزد[٤] ، وقد مَلَكَ في بعض الأحيانِ أُناسٌ من غير آلِ نَصْرٍ ، من العرب أو الفُرْس ، ومنهم : إِياسُ بن قَبيصة الطائيّ ، وكان مَقرّباً من كِسْرىٰ أَبَرْوِيز بن هرمز ، وكان يَتَيَمَّنُ به ويفزَعُ إليه في حروبه ، وفي عهده كان يوم ذي قار[٥] .

فمن الأخبار المتعلّقة بصلة بني كلب بهم ، أنّ زهير بن جناب وَفَدَ إلى امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن نَصْر وَالِدِ المنذر بن ماء السماء ، وكان له مع امرىء القيس خبرٌ أغضبَهُ فيه زهيرٌ ، وقد ذكرْتُ ذلك في ترجمة زهير[٦] .

---

(١) انظر ترجمة عبد الله والمنذر في الديوان .

(٢) المحبّر : ٢٦٣ ، وانظر رسم (دومة الجندل) من معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٣) انظر : النسب الكبير ١ : ٦٢ ، ١٦٧ ، ونسب قريش : ٨ ، والإنباه : ٥٠ ، ٩٨ـ١٠٠ ، ومعجم ما استعجم : ٥٢ـ٥٣ ، وجمهرة أنساب العرب : ١١ .

(٤) انظر النسب الكبير ٢ : ١٩٩ .

(٥) انظر المفصّل لجواد علي ٣ : ٢٩١ـ٢٩٨ .

(٦) انظر ترجمة زهير في الديوان .

وقد رأينا من قبلُ أنّ أُناساً من بني كلب كانوا يُقيمون في الحيرة[1] ، ومنهم كان قرادُ بن أَجْدَع الشاعر الذي ضَمِنَ الطّائيَّ للمنذر بن ماء السماء في خبرٍ مشهور[2] ، ومنهم كانت المتجرِّدة بنت المنذر بن الأسود الكلبية زوج النعمان ، وزوجُها الذي كانت عنده من قَبلُ : أسودُ بن المنذر بن حارثة الكُلبي[3] .

وممَّن كانت له علاقة بملوك الحيرة من بني كلب : وَبرة بن رومانس والدُ المنذر بن وبرة ، وذلكَ أنَّه كانَ أَخا النعمان بن المنذر لأُمِّه ، أُمُّهُما سلمىٰ بنت وائلٍ الصائغ مِن السبيِ الذي جاءَ به بنو كلبٍ مِنْ فَدَك حين غَزَوْها ؛ وقد أَقْطَع النعمانُ أَخاهُ كلاًّ من : البَرَدان وَلَعْلَع ، فمات وَبْرةُ بالبَرَدان ؛ وكانَ مِنْ قادَةِ النعمان[4] .

وكان لبني كلبٍ على الفُرْس يومٌ يُقال له : يوم سُيَيْف ، وذلك في المدّة التي حكم الحيرةَ فيها إياس بن قَبيصةَ الطّائي ، فشَهِدَهُ إياسٌ ومَنْ مَعَهُ من قبائل العرب إلى جانب الفُرْس ، وسيأتي الحديث عن هذا اليوم في الكلام علىٰ علاقتهم بالفرس .

ويتبيّن لنا من النظر في أخبار كلب مع ملوك الشام وملوك الحيرة أنّ علاقتهم بملوك الشام كانت أوثَقَ وأقوىٰ ، وأنّهم كانوا يَميلونَ إليهم ويعملون مَعَهم ، وقد رأينا من قَبْلُ أنّه كان بينهما مُصاهرة[5] ، وليس الأمرُ كذٰلِكَ مع ملوك الحيرةِ ، إلاّ ما كانَ ممّن سَكَنَ الحيرةَ من بني كلب ، وما كان بين وبرة بن رومانس وبين النعمان بسبب أخوّتهما .

٥ـ علاقتهم بالفرس والرّوم :

إنّ ما لاحظناه في الحديث عن علاقة كلب بملوك الشام وملوك الحيرة ، من أنّ علاقتهم بملوك الشام كانت أوثق وأقوى ، ينطبق على علاقتهم بالروم والفرس ، إذْ

---

(١) انظر ، ص : ٦٠ .

(٢) انظر ترجمة قُراد في الديوان .

(٣) انظر رسم (الحيرة) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٤) انظر ترجمة المنذر بن وبرة في الديوان .

(٥) انظر ما سبق ص : ٥٢ .

كانت علاقتهم بالروم خيراً من علاقتهم بالفرس ، فأمّا الفُرْسُ فقد كان بينهم وبين كلب يومٌ شَهِدَتْهُ بطونُ كلبٍ ، وهو يوم سُيَيْفٍ[1] .

وكان لابن الكلبي فيه مؤلَّفٌ اسمه (كتابُ يوم سُيَيْفِ)[2] ، ولكنَّ أخبار هذا اليوم نادرةٌ جدّاً ، ولم يبقَ منها سوىٰ بعض الإشارات ، فقد أشار ابنُ الكلبي إليه في

---

(١) إنّ اسمَ هذا اليوم مَوْضعُ تحقيق، ذلك أنَّه أصابَهُ تحريفٌ وتصحيفٌ في جميع المواضع التي ذُكِرَ فيها، فقد جاء اسمُه في ستّة مواضع من النسب الكبير هكذا: (سِيَيْف) بكسر السين وفتح الياء الأولى ولا يصحّ هذا الضَّبْط لأنه ليس في كلام العرب بناءُ (فِعَيْل) ـ انظر كتاب سيبويه ٤ : ٢٤٢ـ٢٧٦ ـ فلا ريب أن الصواب في ضبطه (سُيَيْف)؛ وسأنقل ما جاء في هذه المواضع الستة في المتن؛ وجاء اسمُه في بيت شعرٍ لحارثة بن أوس الكلبي أنشده الغندجاني في (أسماء خيل العرب وأنسابها : ٥٢) هكذا:

ونجّـى إيـاسـاً مِـنْ سيـوف مُجَنَّـبٌ تـراه إذا مـا جـدّت الخيـل يلعـبُ

قال محقّق كتاب الغندجاني : «في الأصل : (سيف)، ولا يستقيم به الوزن» في حين قال المرحوم أحمد زكي في تعليقٍ على رواية أخرى لبيت الحارث بن أوس أنشدها ابن الكلبي في (أنساب الخيل : ٩٦): «روى الغندجاني هذا البيت هكذا:

ونجّـىٰ إيـاسـاً مـن سبيـف مُجَنَّـبٌ تـراه إذا مـا جـدّتِ الخيـلُ يلعـبُ

هذه رواية النسخة الزكيّة، وقد وضع ناسِخُها فوق كلمة (سبيف) كلمة (موضع)، لكنني لم أجد لهذا الاسم أثراً في ياقوت ولا في البكريّ ولا في غيرهما من كل ما راجعتُه من الأمّهات؛ ولست أظنّ الكلمة محرّفة عن (سُنَّيْق) لأن النّون مشدّدة فيها، وبها ينكسر الوزن. . . أمّا رواية النسخة الشنقيطية فهي (من سيف مجنّب) ولا يستقيم بها الوزن، ولو قال (من سُيَيْف) لاستقام الوزن، ويكون المعنى أنَّ الفَرَس المحدودب اليدين نجّى صاحبَه من سيفٍ صغير؛ وفيه ما فيه»؛ وذكر ابن النديم في أسماء كتب ابن الكلبي كتاباً جاء اسمُه في الفهرست (طبعة د. ناهد عباس : ١٩٣) هكذا: «يوم سُنَيْق»، وفي (طبعة د. شعبان خليفة : ١٧١): «يوم سنيف» وأشار إلى أنّه في بعض النسخ : (سنيق)؛ ونقل ياقوتٌ ذلك عن ابن النديم فجاء في (معجم الأدباء ١٩ : ٢٩١): «يوم سُنَّيْق»؛ وجاء في كشف الظنون ٦ : ٥٠٩ «يوم شنيق»؛ وذكر الأستاذ المرحوم أحمد زكي في (كتاب الأصنام: ٧٨) وهو يعدّ مصنّفات ابن الكلبي، أنّ اسم هذا الكتاب جاء في الوافي بالوفيات للصّفدي هكذا: (يوم سَيْف)، وقال: «في ابن النديم (يوم سُنَيْق) ولم أجد لهذا اليوم أثراً ولذلك اعتمدتُ روايةَ الصّفدي، خصوصاً أنّه عيّنه بأنه موضع»؛
فهذا كلّ ما وقفت عليه من ذكر هذا اليوم، ولا ريب في أنّ كُلاًّ من (سَيْف) و(سُنَّيْق) غير صحيح، لأن وزن الشعر يختلُّ فيه، فتبقى (سُيَيْف) و(سُنَيْق) و(سبيف) و(شنيق)، وكلها محتملة الصّحة، فاعتمدت في هذا اليوم الإعْجامَ الواردَ في النسب الكبير، بعد تصحيح ضبطه، وهو (سُيَيْف).

(٢) الفهرست: ١٩٣ ، ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٩١ ، وكشف الظنون ٦ : ٥٠٩ ، وانظر الحاشية السَّابقة.

النّسبِ الكبير ستّ مرّات ، إذ قال حينَ ذكر الأحوصَ بن عمرو الكلبي من بني عديّ ابن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة : « وقد رأسَ ؛ وهو صاحبُ الكَهَاتَيْنِ ، وهو موضعٌ كانت فيه وقعةٌ قبل ذي قار وهو صاحبُ بني عبد اللهِ بن كنانةَ بن بكر يومَ سُيَيْف ، يومَ لَقُوا الأعاجِمَ فَهَزَمَتْهُم كلبٌ »[1] ، وقال حين ذكر بني معاويةَ الجوشَنِ بن بكر بن عامر الأكبر : « فمن بني معاويةَ الجَوْشَنِ : . . . وهُبَيْرَةُ بن صَخْر بن ربيعة بن معاوية الجَوْشَن الذي كان على بني عامرٍ يوم سُيَيْفٍ ، يومَ لَقُوا الأعاجمَ »[2] ، وقال حينَ ذَكَرَ وَلَدَ عامرٍ المتمنّي بنِ عبد الله بن الشَّجْب بن عبد وَدّ ابن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت : « وعَمْرو بن زيد بن عبد الله بن المتمنّي ، قد رأَسَ ، وكان على بني كنانةَ يومَ سُيَيْفٍ »[3] ، وقال ، وذكر مشاهير بني عَرْفَجَةَ بنِ سَلامةَ بن أُبيّ بن أَبي النعمان بن زهير بن جناب : « وعَرْفَجةُ بن سَلامةَ بنِ عرفجةَ بنِ سلامة ، كان فارساً في الجاهلية ، وهو اللّحّامُ الذي قَتَل كُردوساً وهانئاً التغلبيَّيْنِ يومَ سُيَيْف »[4] ، وقال : « ووَلَدَ تُوَيْلُ بن عديّ بن جَنَاب : قيساً ، وغُطَيفاً الشاعرَ الذي يقول يومَ سُيَيْف :

خشيْنا الكبْشَ يضربُ حاجبيه وقلَّص قومُنا بالقَيْرَوانِ »[5] .

وأنشد لحارثة بن أوس بن طَريف بن المتمنّي شاعرِ كلب في الجاهلية[6] :

ونجّىٰ إياساً مِنْ سُيَيْفٍ مُحَنَّبٌ تراهُ إذا ما جَدَّتِ الخيلُ يَلْعَبُ

فهذه هي المرّات الستّ التي ذُكِرَ فيها يومُ سُيَيْف في النسب الكبير ؛ كما أنه أنشد بيت حارثة بن أوس الكلبي في كتابه (أنسَاب الخيل) ضِمن أبياتٍ بروايةٍ أُخرى ،

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣١٨ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٧١ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٨٠ .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٤٤ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٢٦ .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٧٩ ، وانظر التعليق على القطعة (١) من شعر حارثة بن أوس في الديوان .

وقدّم للأبيات بقوله : « ومنها البُرَيْتُ : فَرَسُ إياس بن قَبيصةَ الطّائي ، وكان عامِلَ كسرى أَنُوشُروان وأبرويز على الحيرةِ بَعْدَ النّعمان ، وله يقول حارثة بن أوس الكلبيّ :

ونجّىٰ إياساً سابحٌ ذو عُلالَةٍ مُلِحٌ ، إذا يعلو الحَزَابِيَّ مُلْهِبُ

. . . . (الأبيات) »[1] ؛ وقد أنشد الغُنْدِجانيُّ هذا البيت كما أنشده ابن الكلبي في النسب الكبير[2] .

فهذا كلّ ما وقفت عليه من الإشارات إلى يوم سُيَيْف ، وهي تدلُّ على أنّ هذا اليوم كان بين كلب وبين الفرس ، وأنّ كلباً ظهرت عليهم ، وأعانَ الفُرْسَ في حربِهم هذه مَلِكُ الحيرةِ بعد النعمانِ قَتيلِ كسرى ، وهو إياس بن قَبيصة الطائي ، ومَنْ كان في طاعتِهِ من أهل الحيرةِ ومن تَغْلِب ، وعلمنا اسمَ رَجُلين من تغلب قُتِلا في هذا اليوم واسم قاتلهما من كلب ؛ وهؤلاءِ هم أنفُسُهم الذين كانوا مَعَ الفُرْسِ يوم ذي قار ؛ وتدلّ أيضاً على أنّه قريب عهدٍ من ذي قار ، ذلك أنّ ملكَ الحيرةِ المشاركَ في كلا اليومين هو نفسه ، وأنَّ الأحوص بن عمرو صاحبَ بني عبد الله الكلبيِّينَ يوم سُيَيْف هو صاحبُ يومِ الكَهاتيْنِ قبلَ وقعةِ ذي قار ؛ كما تدلّ على أنّه كان يوماً عظيماً لكثرة المشاركين فيه ، فمن الجهة الأولى بطونُ كلبٍ من بني عبد الله وبني عامر وبني كنانة ، وهي بطون كبيرة ، ومن الجهة الثانية فارسُ وأهل الحيرة وتغلب ، ويؤكّد ذلك أنّ ابن الكلبيّ وجد من أخبار هذا اليوم مادةً كافيةً لتأليف كتابٍ عنه .

وممّا يتعلّق بعلاقة كلب بالفرس ما ذكره ابن الكلبي من أنّ مُرَيَّ بنِ الفَرافصةِ بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة الكلبي « هَلَكَ في الرَّهْنِ عند كسرى »[3] ، ومن أن جُنْدَبَ بن الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة كان في رَهْنِ كسرى وهناك مات ، وأنشد أبياتاً لأبيه في رثائه[4] ، ويُلاحظ أنَّ والدَ جندب كانت عنده الجُوَيرِيَةُ بنتُ وَبَرَة بن

---

(١) أنساب الخيل : ٩٦ـ٩٧ .

(٢) أسماء خيل العرب وأنسابها : ٥٢ ، وانظر التعليق على القطعة (١) من شعر حارثة ، في الديوان .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣١٩ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٢٢ ، وانظر شعر الأصبغ في الديوان .

رومانس ، ولعلَّها أُمُّ جُنْدُب ، ووَبَرَةُ بن رومانس هو أخو النعمان مَلِكِ الحيرة لأمّه[1] ، فما ندري إن كان ثمة صلةٌ بين هلاك هذين الرجلين في الرّهن عند كسرى وبين يوم سُيَيْف الذي شارك فيه إياسٌ ملك الحيرة بعد النعمان .

وأمّا الروم فإنني وَجَدْتُ لهم ذِكْراً في قول عرار بن مالك الكلبي ، وهو شاعر جاهلي[2] :

لَقِينَا الرُّومَ ضاحيةً فحاربْنَا على الرُّكَبِ

وفي هذا البيت إشارة إلى قتالٍ بينهم وبين بني كلب ، ولكنْ لا أثر لذلك سوى هذا البيت .

وثَمَّ أخبارٌ تدلُّ على أنَّ التجّار من بني كلبٍ كانوا يُوغِلُونَ في بلاد الروم فيبيعون ويَشترون ؛ فمن ذلك أنَّ صُهَيْباً الروميَّ الصّحابي ، وهو صهيب بنُ سنان بن مالك النَّمَريّ من النّمِر بن قاسط ، كانت الرومُ قد سَبَتْهُ صغيراً ، « فنشأ بالروم فصار أَلْكَنَ فابتاعَتْهُ منهم كَلْبٌ ، ثم قَدِمَتْ به مكة ، فاشتراه عبدُ الله بن جدعان . . . »[3] .

ومن ذلك أنَّ سَلْمانَ الفارسيَّ كانَ قد تركَ أهْلَهُ طلباً للدِّينِ الحقِّ فتنصَّرَ ولازمَ عدداً من الرهبان ، كلّما حضرت الوفاةُ أَحَدَهُم قال له سلمان : إلى مَنْ توصيني؟ فيوصيه إلى راهب صالح ، وكان آخرهم بعَمُّوريَّةَ من أرضِ الرُّوم ، فلازمَهُ سلمان واكتسب مالاً حتى كانت له غُنَيمةٌ وبَقَراتٌ ، فلمّا حضرته الوفاة قال لسلمان لما سأله الوصيَّةَ : والله ما أعلمه بقي أحدٌ على مثل ما كُنّا عليه آمُرَكَ أنْ تأتِيَهُ ، ولكنّه قد أظلَّكَ زمانُ نبيٍّ يخرج بأرض العرب ، ووصف له مُهاجَرَهُ وعلاماتِه ، ونَصَحَهُ إنِ استطاع أنْ يَخْلُصَ إلى تلك البلاد ؛ قال سلمان : « فلمّا وَارَيْنَاه أَقَمْتُ على خيرٍ ، حتى مَرَّ بي رجالٌ من تجّار العرب من كلبٍ ، فقلت لهم : تحملوني معكم حتى

---

(١) انظر ترجمة المنذر بن وبرة بن رومانس في الديوان .

(٢) انظر شعره ، ص ٣٠٧ .

(٣) أسد الغابة ٣ : ٣٦ ، ونحو منه في المعارف : ٢٦٤ .

تُقْدِموني أرضَ العرب ، وأُعطيكم غُنَيْمَتي هذه وبَقراتي؟ فقالوا : نعم ؛ فأعطيتهم إيّاها ، وحملوني حتى إذا جاؤوا بي واديَ القُرى ظلموني فباعوني عبداً مِنْ رَجُلٍ مِنْ يهودَ بوادي القرىٰ . . . (الخبر) »[١] ، فلولا أنَّ علاقة كلب بالروم كانت طيّبة لَمَا كان لتجّارهم أنْ يصلوا إلىٰ عمورية أو غيرها من مُدُن الرُّوم ثم يرجعوا آمنين .

٦ـ علاقتهم بيهودَ :

أقام في جزيرة العرب وغيرها من بلادهم جماعات من اليهود من بني إسرائيل ، انتقلوا إليها على مراحل متباينة ، وذلك أنهم أنشؤوا مملكةً لهم في القسم الشمالي من بلاد العرب ، وهو بلاد الشام ، في فلسطين خاصّة ؛ فلمّا أفسدوا في الأرض حاربهم بُخْتَ نَصَّرَ مَلِكُ بابلَ فأسرهم وسباهم ونقل كثيراً منهم إلى العراق في أوائل القرن السادس قبل الميلاد ثم غزا الرومانُ بلادَ الشام في القرن الأول الميلادي ، فرأوا من اليهود إفساداً كبيراً فبطش بهم (تيطوس) ، وأزال هيكَلَهم من الوجود في القرن الأوّل الميلاديّ ، فلجؤوا إلى أطراف الحجاز وسكنوا واديَ القرىٰ وتيماءَ وفَدَكَ ويثربَ وما داناها ؛ على أنَّه كان في العرب أناسٌ تهوَّدوا لأسباب مختلفةٍ ، ولا سيما في اليمن أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل القرن السادس[٢] .

وفي أخبار كلبٍ ما يدلّ على أنّ لهم بيهودَ علاقاتٍ ، فقد ذكر الكلبيّ أنّ كلباً افتتحَتْ فَدَكَ في الجاهلية ، فَصَارَ سبْيُها إلى الحارث الشاعرِ بنِ حصن بن ضمضم بن عديّ بن جناب[٣] .

ثم ذكر وَلَدَ الحارثِ ومنهم سُوَيد الشاعر بن الحارث ، قال : « أمُّهُ شقيقَةُ ،

---

(١) السِّيَر والمغازي : ٨٩ـ٩٠ ، وانظر السيرة لابن هشام ١ : ٢٣٢ ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٧١ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣١٢ ، والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٠ و٢٩٣ ، والسيرة لابن كثير ١ : ٣٠٠ .

(٢) انظر المفصّل لجواد علي ٦ : ٥١١ـ٥٤٢ ، والعرب واليهود في التاريخ : ٦١٥ـ٦١٨ ، و٦٢٥ـ٦٣٣ .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣١٣ ، ومثله في الإكمال ٢ : ٦٣٣ .

وهي الّتي سباها الحارثُ من أرض فَدَكَ ، فوقع عليها فولدتْ له سُوَيداً ، وكانت قبله عند الصائغ وهو وائلُ [بنُ عطية] بن العَدَبَّس مِنْ أهلِ فَدَك فولدتْ له عُبَيْداً ومَعْبَداً ، فأمّا عُبَيْدٌ فَهُمْ بطنٌ بالشام ، وأمَّا مَعْبَدٌ فرَهطٌ مع بني سُوَيد بن الحارث ابن حِصْن بالبادية . . . » ثم ذَكَرَ سائرَ ولدِ الصائغ منها ، وهُنَّ بناتٌ : سلمىٰ ، والرابِعة ، والشَّمُوس ، وهنَّ بناتُ وائلِ بن عطية ، أُمُّهم : شقيقة بنتُ النَّخام ، وساق نسبَها إلى إبراهيمِ الخليلِ عليه السَّلام ؛ قال : « وأمّا سلمىٰ بنتُ وائل بن عطية ، فتزوَّجها المنذرُ بن المنذرِ بن امرىء القيس بن النعمان بن عمرو بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو ابن نُمَارة بن لَخْم ، فولدت له النعمانَ الملكَ ، ثم خلَف عليها رُومانِسُ بنُ مَعْقِل بن مُحَاسِن بن عمرو بن عبد وَدّ الكلبيّ ، فولدت له وَبرة ، وكان أخا النعمان لأُمِّه ، فأقطعه لعلعَ والبَرَدَانَ في طريق الشام ؛ وأمّا الرابعة فتزوّجها عمرو بن كُلَيب بن عديّ بن جناب ، فولدت له بناتاً وَلَدْنَ في كلب »[(١)] ؛ كما ذكر ابنُ الكلبي في موضع آخر أنَّ أهلَ فَدَك قتلوا حَرْمَلَةَ بن مَعْقِل بن عامرٍ المتمنّي ، وكان رئيسَ كلبٍ في الجاهلية[(٢)] ، فما ندري أكان أهلُ فَدَك قتلوه فكان ذلك سبب حربِ كلبٍ لهم ، أم أَنّه قُتِل في أثناءِ الحرب .

وقد مرّ بنا في الحديث عن علاقةِ كلبٍ ببني ضَبَّةَ أنّ ضرارَ بن عمرٍو الضبّي حين أغار على بني عديّ بن جناب أصابَ أهْلَ عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن ، وكان فيهم يومئذٍ سَلْمىٰ بنت وائل الصائغ ، وكانت أمةً له ، وأُمُّها

(١) النسب الكبير ٢ : ٣١٥ـ٣١٦ ، و(الرابعة) بالباء هكذا ورد اسمها عند ابن الكلبي ، وأورد الميداني في مجمع الأمثال ١ : ١٣٤ـ١٣٥ اسمَها هكذا (الرائعة) بالهمزة بدلَ الباء ، ولم أقف على ما يُرجّح أحدهما على الآخر ، وقال : « فكانت في السَّبْي الرائعةُ ، قينةٌ كانت لعمرو بن ثعلبة ، وبنتٌ يقال لها سلمىٰ بنت عطية بن وائل » فهذا وهمٌ ، والصّواب ما ذكرهُ ابن الكلبي ، وانظر ترجمة الحارث بن حصن ، وسويد بن الحارث ، والمنذر بن وبرة بن رومانس في الديوان .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٨٠ .

وأُخْتَانِ لها[١] ، وهذا يدلّ على أنّ ثعلبة وَرِث شقيقةَ وابنتها سلمىٰ وأختيها ، ثم وَرِثَهُنَّ عمرو بن ثعلبة .

ومن شعراء بني كلب شاعرٌ يُقال له الأُدَيْرِد ، ويُعْرَف بابن الفَدَكيّة ، وهي سبيّةٌ من أهل فَدَكَ[٢] ؛ فهي ممَّن سُبِيَ ذلك اليوم .

وكانت تبوكُ من منازل يَهُودَ ، وهي قريبةٌ من ديار كلب ، وفيها أناسٌ من العَرَبِ تَهَوَّدوا ، ذلكَ أنَّ يهودَ كانت تأبىٰ أن يساكنَها فيها مَنْ ليسَ علىٰ دينها ، فَمَنْ تهوّد أسكنوه معهم[٣] ، ومن هؤلاء العرب كان السَّمَوْءَلُ بنُ حِيَّا بن عادياء ابن رِفاعةَ الغسّانيُّ ، من بني كعب بن عمرٍو مزيقياءَ بن عامرٍ ماءِ السماء ، صاحبُ تيماءَ[٤] ، وكان لعمرو بن ثعلبة بن الحارث الكلبيّ خبرٌ مع شُرَيح بن حصْن بن عمران بن السَّمَوْءَل والأعشى الشاعر الجاهليّ ، ذٰلك أنَّ الأعشى هجا عمراً ، ثم إنّ عمراً أغار على قومٍ قَدْ باتَ فيهم الأعشى فأسَرَهُ وهو لا يعرِفُه ، ثم جاء فنزل بشُريحٍ فَمَرَّ شُريحٌ بالأعشىٰ ، فناداه الأعشى :

شُريحُ لا تَتْرُكَنّي بعدما عَلقَتْ حِبَالَكَ اليوم بعد القِدِّ أظفاري

في أبياتٍ ذَكَّرَهُ فيها بوفاءِ أبيه وقصَّتِه مع امرىء القيس وأدراعِه ؛ فجاء شُريحٌ إلى عمرٍو فقال له : هب لي هذا الأسيرَ المَضْرُورَ ؛ فقال : هُوَ لَك ؛ فأطْلَقَهُ ؛ ثم عَلِم عمرٌو بأنَّه الأعشى فَطَلَبَهُ فلم يلحقه[٥] .

---

(١) انظر الصفحة : ٧٦ ـ ٧٧ .

(٢) انظر ترجمة الأُديرد في الديوان .

(٣) انظر معجم ما استعجم : ٢٩ (المقدمة) .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٧ ، وجمهرة أنساب العرب : ٣٧٢ .

(٥) انظر ديوان الأعشى : ٢٢٩ ، والأغاني ٩ : ١١٨ـ١٢٠ ، و٢٢ : ١٢٠ـ١٢١ ، ومعجم البلدان (الأبلق) ، واللسان (عبد) ، وساق ابنُ قتيبة الخَبَر في الشعر والشعراء : ٢٦١ فخلط في الأسماء ، وفي جميع هذه المصادر ما عدا ديوان الأعشى (شريح بن السّموءَل) ، وقد رجّح الدكتور محمد محمد حسين ما جاء في ديوان الأعشى ، وهو برواية ثعلب ، وأشار ابنُ الكلبيّ إلى الخبر في النسب الكبير ٢ : ٣١٦ ، وانظر خبر السَّمَوْءَل مع امرىء القيس في : المحاسن والأضداد للجاحظ : ٤٠ ، والأغاني ٢٢ : ١١٨ـ١١٩ ، وثمار القلوب : ١٣٢ ، ومجمع الأمثال ٢ : ٣٧٤ ، والمحاسن والمساوىء : ١٠٨ .

وبهذا ينتهي الحديث عن علاقات كلب المختلفة ، سواءٌ أكان ذلك بين بطون كلب أم بينهم وبين القبائل أو الممالك العربيّة ، أو بينهم وبين الرّوم والفرس واليهود .

٧ـ علاقتهم بدولة الإسلام في عصر النبي ﷺ :

لا يُقْصَدُ بالحديث عن علاقات كلبٍ بدولة الإسلام في عصر الرسول عليه السلام أَنْ يتناولَ عقيدتَهم ، فإنّ لذلك الحديثِ موضعاً آخر ، وإنما يُقصَدُ بِهِ ما كان بينهم من صلاتٍ حميمةٍ ، أو غيرِ حميمة ، على أنّه يصعُب الفصلُ بين الأمرين لأنَّ علاقةَ الرّسولِ ﷺ والدّولة التي أنشأها في المدينة مع الآخرين كانت تقوم على أساسٍ مِنَ العقيدةِ التي تُوَادُّ مَنْ وَادَّ اللهَ ورسولَهُ، وتعادي مَنْ عاداهما؛ ولذٰلك سأكتفي ها هنا بالإشارة إلى تلك العلاقاتِ ، وأَدَعُ التَّوَسُّعَ إلىٰ مَوْضِعِهِ .

فممّا يُشار إليه أنّ زيدَ بن حارثة الكلبيّ كان قد أُسِرَ صغيراً وبِيْعَ ، فصار إلى خديجة بنت خُوَيْلد زوجِ النَّبي عليه السلام ، فوهَبَتْهُ له فأعْتَقَهُ وتبنّاه في مكّة ، فلم يكن يُعْرَف إلاّ بزيد بن محمّد حتى جاء الأمرُ بتحريم التَّبَنّي ، وأَعْتَقَ أَمَتَهُ أمَّ أيمن وزوّجَهُ بها فأنجبت له أسامةَ بن زيد ، فكانَ لزيدٍ ولابنه أثرٌ مشهودٌ في حياة النّبيّ ، ذلك أنَّ زيداً كان مِنْ أحبّ الناس إليه ، فلم يُرسل سَرِيّةً فيها زيدٌ إلاّ جعله قائدَهم ، فاستأثر زيدٌ بقيادة سَبْعٍ من مجموع السّرايا التي أرسلَها النبي عليه السلام ، وهي نحوٌ من أربعين سريةً وكان آخرها غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة إلى الشام ، وكان ملك بُصرى شُرَحْبيل بن عمرو الغساني قتل الحارثَ بن عُمَيْرٍ الأزديَّ حين بعثه النبيّ إليه بكتاب ، فبعث إليه زيداً في ثلاثة آلاف رجلٍ ، وعَلِمَ العَدُوُّ بهم ، فجمع لهم من الروم ومِن مُتَنَصِّرة العرب ، من لخْمٍ وجُذَام والقين وبهراءَ وبَلِيّ ، مئتي ألف مقاتل ، ولم يُذْكَر أنَّ كلباً انضمّت إلى الرُّوم ، فقُتل زيدٌ في تلك الغَزاة ، وخبرُها مشهور ؛ وذكرت عائشةُ رضي الله عنها أنّ زيداً لو بقي حيّاً ما استخلَفَ رسولُ الله أَحداً غَيْرَه[١] . وقد شهد

---

(١) انظر ترجمة زيد في الديوان، وثمة مصادره.

تلك الغزاة رَجلان من كلب : أسامةُ بن زيد ، وكُلَيْبُ بنُ مكحولٍ الشاعرِ بن حارثة ، وقُتِل مع زيد يومئذٍ[(١)] ؛ ثم إنّ رسول الله ﷺ أمَّر أسامةَ بنَ زيد على جيش عظيم لحرب الرّوم في بلاد الشام وكان فيه كبارُ الصّحابةِ ، فماتَ النبيُّ قبْلَ أن يُرْسِلَهُ، فكان أوّل ما عمله أبو بكرٍ أن أنفذ جيش أسامة، وخبرُه مشهور.

ولمّا أرسلَ النبيُّ عليه السَّلام رُسُلَه في السنة السادسة إلى الملوك يدعوهم للإسلام كان دِحْيةُ بنُ خليفة الكلبي واحداً من أولئك الرُّسُل ، بَعَثَهُ إلى هِرَقْلَ قيصرِ الروم[(٢)] .

ومع أنَّ ديار بني كلب بعيدة عن المدينة ، وَطِئَتْ ثلاثةٌ من جيوش النبيّ عليه السلام ديارَهم في دُومةِ الجندل ، فكان أوّلَها جيشٌ قادَه عليه السلام في السنة الخامسة ، وكان ثانيها بقيادة عبدِ الرحمن بن عوف في السنة السادسة ، وكان ثالثُها بقيادة خالد بن الوليد مُنْصَرَفَ النّبي عليه السَّلام من غزوة تَبُوك في السنة التاسعة ، ولم يَحْدُث قِتالٌ إلاّ في الجيش الذي قادَه خالدٌ ، فقُتِل أناسٌ من كلب[(٣)] .

وفي السنة العاشرة للهجرة ، جاءت وفودُ العَرَبِ تُعْلِنُ دخولَها الإسلامَ فكان من تلك الوفودِ قومٌ من بني كلب ، فأمر النبي فكُتِبَ لبعضِهم ، وعَقَد لبعضهم أَلويةً[(٤)] ؛ وكان امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي عاملَ رسولِ الله على بني كلب[(٥)] .

٨ـ علاقتهم أيام الخلفاء الراشدين :

كان الأسودُ العنسيُّ وَمُسَيْلَمَة الكذّابُ الحنفي وطلحةُ بن خُويلد الأسديّ قدِ

---

(١) انظر ترجمة مكحول في الديوان .
(٢) انظر ترجمة دحية في الديوان، ومصادره ثمة.
(٣) انظر رسمَ (دومة الجندل) من معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة.
(٤) انظر الحديث عن عقيدتهم، ص: ١٩٨ .
(٥) انظر ترجمة امرىء القيس في الديوان.

ادَّعَوا النبوّة قُبَيْلَ وفاة النبيّ عليه السلام ، وتبعَهُم أناسٌ من أبناء قبائلهم ، فلمّا توفّي عليه السّلام وبُويِعَ أبو بكر خليفةً انقلب كثيرٌ من أبناءِ القبائل مرتدّين على أعقابهم ، وعامِلُ النبي على بني كلب يوم تُوُفِّيَ امرؤُ القيس بنُ الأصبغ الكلبي ، فارتدَّ وَديعةُ الكلبيُّ فيمَنْ آزَرَهُ واتّبَعَهُ من كلْب ، وثبتَ امرؤ القيس فيمَنْ ثَبَتَ على دينه منهم ، وكذلك كان الأمرُ في معظم القبائل ؛ فكتب أبو بكر إلى امرىء القيس أن يثورَ بوَديعةَ ، وكان أبو بكرٍ قد أنفذ جيشَ أسامةَ إلى الشام ، فلمّا توسَّط بلاد قُضاعة بثَّ الخُيولَ وأمرهم أَنْ يُنْهِضُوا مَن أقام على الإسلام إلى مَنْ رَجَع عنه ، فخرج المرتدُّون هاربين حتى لجؤوا إلى دُومة الجندل واجتمعوا على وَديعةَ ، ورجعَتْ خيلُ أُسامةَ إليه فأغار على مشارِفِ الشام كما أوصاهُ النَّبي ﷺ ، ثم انكفأ إلى المدينة غانِماً[(١)] .

فلمّا أراحَ أسَامةُ وجُنْدُه ظهورَهم قطع أبو بكرٍ البعوثَ وعقد الألويةَ إلىٰ المرتدّينَ فبعثَ عمرَو بن العاصِ إلى جُماعِ قُضَاعةَ ووَديعةَ ، وبعث شُرَحْبيلَ بن حَسَنة في إثْرِ عِكْرِمة بن أبي جهل لمحاربة مسيلمة ، حتى إذا فرغوا منه لحِقَ شرحبيلُ بقُضاعةَ ليكون مع عمرو على مَنْ خالفَ منهم ؛ فكان عمرو يغاوِرُ سَعْدَ هُذيمٍ وبَلِيّاً ، وكان شرحبيل يغاوِرُ كلباً ولَفَّها[(٢)] . حتى إذا كانت السنةُ الثانيةَ عشْرةَ وفرغ خالدٌ من عَيْنِ التَّمر بالعراق سارَ إلى دُومةِ الجندلِ وقد اجتمع حَوْلَهَا جموعٌ كثيرةٌ من المرتدّين بقيادة وديعة وابنِ وبرة بن رومانس الكلبيَّيْنِ وغيرِهما فبطش بهم بطشة كُبرى ، وأسر كثيراً منهم ، فقتلَ الأسرىٰ إلاّ أسرىٰ كلبٍ ، فإنّ تميماً أجارتْهُمْ للحلْفِ الذي كان بينهم في الجاهلية[(٣)] .

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ ، وتاريخ دمشق ١ : ٢١١ ، ومختصره ١ : ١٧٢ ؛ وانظر ترجمة امرىء القيس بن الأصبغ في الديوان . ولم أقف على نسب وديعةَ الكلبي فيما رجعتُ إليه من المصادر .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٩ و٢٨١ و٣٠٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٤٥ـ٣٤٦ ، والبداية والنهاية ٦ : ٣٢٠ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٤٩٤ـ٤٩٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٤ .

(٣) انظر رسم (دومة الجندل) من معجم بلدان بني كلبٍ الملحَق بهذه الدراسة ؛ وانظر الحديث عن حلف كلب وتميم ، ص : ٧٧ من هذا البحث .

وفي سنة اثنتي عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، أغار المثنّى بنُ حارثةَ فيمن مَعَه من المسلمين على سُوق الخَنَافِسِ بالعراق قربَ الأنبار ، وكان يجتمع فيها تُجارُ مدائنِ كسرى وسوادِ العراق، وخفراؤُهم من ربيعة بقيادة السَّليلِ بنِ قيسٍ الشَّيباني، ومن قضاعة بقيادة رُومانِسَ بنِ وبرة الكلبيّ ، فانتسف المثنّىٰ السوق وسلبَ الخفراءَ[١] ، وأمُّ السَّليلِ بن قيس هي ليلىٰ بنت الأحوص الكلبيّةُ الشاعرة[٢] .

وفي سنة ثلاثَ عَشْرةَ وجّه أبو بكرٍ الجيوشَ إلى الشام بعد رجُوعه من الحَجّ ، فكان ممّن بعث خالدُ بن سعيد بن العاص ، وأَمَره أنْ ينزلَ بتيماءَ ليكونَ رِدْءاً للآخرين ، وأنْ يدعُوَ مَنْ حولَهُ من المسلمين للانضمام إليه ، وألاّ يَقْبَلَ إلاّ مِمّن لم يرتدّ ، فأقام فاجتمعَ إليه جموعٌ كثيرة ، وبلغ الرومَ عِظَمُ ذلك الجيش ، فضربوا البعثَ على العرب الضاحيةِ بالشام من بهراء وسليح وغسان وغيرها فاجتمعَ جمعٌ كثيرٌ ، فكاتب خالدُ بنُ سعيدٍ أبا بكر بذٰلك فأمَره بالسَّير إليهم وأن يَسْتَنْصِرَ اللهَ ، فسار إليهم ، فتفرّقوا وأعْرَوا منزلَهم ، فنزله ودخلَ عامَّةُ مَنْ كان تجمّع له في الإسلام[٣] .

وكان أبو بكر قد بعث سنة ثلاث عشرة عمرو بن العاص والوليدَ بن عقبةَ على صَدَقات قُضاعة مُنَاصَفَةً ، ثم كتب إليهما أن يستخلِفا على أعمالِهما ويَنْدُبا مَنْ يليهما من المسلمين ، فكان أن « وَلّىٰ الوليدُ على ضاحيةِ قُضاعة مما يلي دُومةَ امرأَ القيس »[٤] ، ولا ريبَ أنَّ امرأ القيس هذا هو ابن الأصبغ الكلبي ، ذلك لأنَّه كان عاملَ رسول الله عليه السّلام على صدقاتِ كلبٍ من قضاعة ، ولأنّ ضاحية قُضاعة مما يلي دومة هم قومه بنو كلب وهي بلادهم .

ولما كانت وقعة اليرموك سنة ثلاث عشرة والتقى المسلمون الرومَ ومَنْ

---

(١) انظر رسم (الخنافس) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .
(٢) انظر ترجمة ليلى في الديوان .
(٣) انظر تاريخ الطبري ٣ : ٣٨٧ـ٣٨٩ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٢ـ٤٠٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٤ .
(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٣٩٠ .

انضمّ إليهم من العرب ، ذُكِر أنّه كان مع الروم من هؤلاء العرب : « لخم ، وجذام ، وبَلْقَيْن ، وبَليّ وعاملة ، وتلك القبائل من قضاعة ، وغسّان ، بَشَرٌ كثير »[١] وعليهم جَبَلة بن الأيهم الغسّاني ، وكانوا اثني عشر ألفاً من تلك القبائل وحدَها ؛ وكلبٌ من قُضاعة فلا ندري مقدارَ مَنْ كانوا مع الروم منهم ، كما كان في صفوف المسلمين جمعٌ من قُضَاعَةَ أيضاً ممّن انضمّ إلى خالد بن سعيد ومن غيرهم[٢] ؛ وكان خالد بن الوليد قد سار مِنَ العراق إلى الشامِ لإمداد جيش المسلمين في اليرموك ، فجعلَ طريْقَهُ على سماوَةِ كلب ، وأغار في طريقه على (قُراقر) و(سُوى) من بلادهم[٣] ؛ وذكر الطّبريُّ أنَّ خالداً عندما وصل إلى اليرموك وَجَدَ أنّ جيشَ المسلمين كان على أربعةِ أقسامٍ وأنّ لكلّ قسم أميراً ، فخطب في الأمراء ودعاهم إلى الاجتماع على أميرٍ واحدٍ ، فتكون الإمارة في كل يومٍ لرجلٍ منهم ، وأنْ يجعلوا له الإمارة أَوّلاً فَرَضُوا ، فجعل الجيش كَراديسَ كراديسَ نحواً من أربعين كُرْدُوساً لِيَظْهروا لِلْعَيْنِ أكثر ، ونظّمهم ، فكان من قادةِ تلك الكراديس دِحيةُ بن خليفة الكلبيّ وامرؤ القيس[٤] ؛ وامرؤ القيس هذا هو ابن الأصبغ الكلبي لأنّي لم أقف على مَنْ كان له أثرٌ في أحداث تلك المدّة ممّن اسمه امرؤ القيس غير ابن الأصبغ الكلبي ، لا مِن كلبٍ ولا من سواهم .

وممّن شهد اليرموكَ في صفوف المسلمين من بني كلب : « علقمةُ بن زامِل ابن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خَدِيج بن أبي جُشَم بن كعب بن عوف بن عامر الأكبر ، صاحِبُ المَقَاسِم يومَ اليرموك ، ثم تنصّر ودخلَ إلى الروم »[٥] .

وحينما فُتِحت دمشقُ سنة أربع عشرة في خلافة عُمَر كان دحيةُ الكلبي في

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٥٧٠ .

(٢) انظر فتوح الشام ـ للبلاذري : ٢١٨ .

(٣) انظر رسم (قراقر) و(سوى) من معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٣٩٦ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٥٩ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٨ ، وتاريخ دمشق ١١ : ٧٩٧ ، ومختصرة ١٧ : ١٥٨ ، وقد حُرّف وصُحّف بعضُ الأسماء في الجمهرة وتاريخ دمشق .

جيش يزيد بن أبي سفيان ، فبعثه في خيلٍ إلى تَدْمُرَ ، فصالح أهلَها على صُلْحِ دمشقَ ، ووَلِيَ عليها[1] .

ولم أقف في خلافة عثمان على شيء من أخبار كلب سوىٰ ما مَرّ بنا من المصاهرة بينهم وبين قريش ، فتزوّج أعلامٌ من رجال قريش بنساءٍ من كلب ، فكان زواجُ عثمان وسعيد بن العاص ومعاوية ومروان بن الحكم والزُّبير بن العوام بأولئك النسوة اللواتي تزوّجوا في خلافة عثمان[2] ، وقد كان هؤلاء الرجال أعلامَ الناس ورؤساءَهم حينذاك ، وهذا يدلّ على أنَّ كلباً كانتْ قد اكتسَبتْ وُدَّهم ونالَتْ مكانةً ساميةً ، ولا سيّما أنَّ معظمَ كلبٍ دخلوا في الإسلام بعد فتحِ بلاد الشّامِ في خلافَةِ عُمر كما سنرىٰ في الحديث عن عقيدتهم .

وفي خلافة عليّ في سنة سبعٍ وثلاثين كانت وقعةُ صِفّين بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما ، ونجد في أخبارٍ تلك الواقعة ذِكْراً لعددٍ من أعلام بني كلبٍ ، فقد كان حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي مَعَ مُعاوية أميراً على قُضاعةِ دمشقَ[3] ، وعلى قضاعة حِمْصَ كان عبّادُ بن يزيد الكلبي[4] ؛ وممّن شهدها مع معاوية تُوَيْلُ بن بِشْر بن حنظلة من بني أبي جابر بن زهير بن جناب ، فقُتِل ومعه اللّواء[5] ، ويزيدُ بن قيس بن سَبْرَة بن قيس بن كعب بن عُليم بن جناب ، قُتِل ومعه اللّواء أيضاً ، ومالك بن يزيد بن مالك بن كعب بن عليم قُتِل ومعه اللّواء كَذلك ، فهؤلاء الرجال كانوا من قادة الناس ذلك اليوم ، وكان من ورائهم أعدادٌ كثيرة من بني كلب قاتلوا مع معاوية ، ومنهم شاعرانِ : مرّ بنُ جنادة[6] ، وشاعر

(١) انظر ترجمة دحية في الديوان .
(٢) انظر مصادر ذلك فيما سبق من الحديث عن مصاهرتهم قريشاً ، ص : ٤٦ .
(٣) انظر : وقعة صفّين : ٢٠٧ ، وتاريخ خليفة : ٢٢٢ ، والأخبار الطوال : ١٧٢ ، وتاريخ دمشق ٥ : ٣٩٤ ، ومختصره ٦ : ٣٠٩ .
(٤) تاريخ خليفة : ٢٢٢ ، والأخبار الطوال : ١٧٢ ، وتاريخ دمشق ٨ : ٨٨٤ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٣٨ .
(٦) انظر ترجمته في الديوان .

آخر لم نقف على اسمه[1] ؛ ولم تخلُ صُفوف عليٍّ رضي الله عنه من بعض رجال كلبٍ ، فقد شَهِد بشْرُ بن عمرو الكلبي جدُّ محمد بن السائب بن بشر يومَ صفّين مع عليّ ومعه بنوه : السائب ، وعبدُ الرحمن ، وعُبَيْد ، وكانوا قد شهدوا معه وقعةَ الجمل من قبلُ[2] ، وكان ممّن قُتِل من أصحاب عليّ في المبارزة يومذاك جُلْهُمة بن هلالٍ ومالكُ بنُ ذاتِ الكَلْبيّان[3] .

ولمّا رضي عليٌّ بالتحكيم وكُتِبَتْ وثيقتُه كان ممّن شهد عليها مِن أهل الشام : علقمةُ بن يزيد الكلبي ، وعمّار بن الأحوص الكلبي[4] ؛ فهذان أيضاً ممّن شهدها مع معاوية .

وذكر الطبريّ وغيره أنّ عليّاً عندما ولّىٰ محمَّدَ بنَ أبي بكر الصِّدِّيق مِصْرَ كان فيها قومٌ ممّن أعظموا قَتْلَ عثمان ، ولم يُبايعوا عليّاً ، وكانوا مجتمعين في خِرِبْتَا ، وهي كورةٌ من كُوَرِ مصر عند الإسكندريّة ، فلمّا انتهتْ صفّين أَظهروا المبارزةَ لمحمّد بن أبي بكر فأرسلَ لقتالهم الحارث بن جُهْمانَ الجُعفي فقتلوه ، ثم أرسل رجلاً من كلب يُقال له ابنُ مُضاهم فقتلوه[5] .

وكان معاويةُ قد بعث الضحّاكَ بنَ قيس الفهريّ بعد الاتفاق علىٰ التّحكيم ليُغير على مَنْ كان في طاعة عليّ من الأعراب ، وعَلِمَ عليٌّ بذلك فأرسل إليه خيلاً بقيادة حُجْر بن عديّ الكنديّ ، فخرج حتى مرّ بالسَّماوةِ من أرض كلب ،

---

(١) انظر مناسبة القطعة (١) من أشعار مجاهيل بني كلب في صدر الإسلام، في الديوان.

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٣٨، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٩، والطبقات الكبرى ٦ : ٣٥٩، والمعارف : ٥٣٥، ونور القبس : ٢٥٦، ووفيات الأعيان ٤ : ٣١١، وجاء في الجمهرة أنّ السائبَ قُتِل يوم صفين، وهذا وهمٌ، لأن حفيدَه هشام بن محمّد بن السائب ذكر في النسب الكبير أنه قُتِلَ مع مصعب بن الزبير، وكذلك سائر المصادر.

(٣) وقعة صفين : ٥٥٦ـ٥٥٧.

(٤) وقعة صفين : ٥٠٧، والأخبار الطِوال : ١٩٦، وصبح الأعشى ١٤ : ٨٠ـ٨١ وفيه (علقمة بن مرثد) تحريف.

(٥) تاريخ الطبري ٤ : ٥٥٧، والكامل في التاريخ ٣ : ٢٧٣، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٦٢٤ـ٦٢٥، و٦٤١، ومعجم البلدان (خربتا).

فلقي بها بني امرىء القيس بن عديّ بن أوس من بني عُليم الكلْبيِّينَ أَصهارِ عليّ والحسن والحسين فكانوا أدِلأَءَهُ ، فلم يزل مُغِذّاً حتى التقى الضَّحّاك قربَ تدمُر[١] .

وذُكِر أنَّ أهل دُومة الجندل من كلب لم يكونوا في طاعة عليّ ولا معاوية ، وقالوا : نكون على حالنا حتى يجتمعَ الناسُ على إمام ؛ فذَكَرَهُم معاويةُ فبعث إليهم مسلم بنَ عقبةَ المرّيَّ يأخُذُ الصّدقة ، فبلغ ذلك عليّاً وبني امرىء القيس بن عديّ بن أوس فارسلَ إليه مَنْ يُناجِزُه ، فاقتتلوا ، ثم انصرف مُسْلِمٌ بأصحابه ، وأقام صاحب عليّ في دومة الجندل يدعوهم إلى بيعة عليّ عَشْراً ، فلم يفعلوا ، وقالوا : لا نبايعُ حتى يجتمع الناسُ على إمام ، فرجع إلى عليّ ، وذلك سنة تسعٍ وثلاثين[٢] .

كما ذُكرَ أنّ عُروة بن العُشْبةِ الكلبيّ الشاعرَ من بني عبد ودّ ، والجُلاسَ بن عُمَيرٍ الكلبيّ من بني عدي بن جناب ، كانا مع علي بن أبي طالب ، وكان لهما مع زهير بن مكحولٍ الشاعرِ بنِ حارثةَ الكلبي خبرٌ في سنة تسعٍ وثلاثين ، وذلك أنّ معاوية أرسلَ زهيراً ليأخُذَ أموالَ الصدقة من أهل السماوة ، وأرسل عليٌّ عروة والجلاس وجعفر بن عبد الله الأشجعيّ ، فعلم بهم زهيرٌ ، فأتاهم فقُتِلَ الأشجعيّ ، وأفلَتَ الجلاسُ ، واستسلم عروةُ فحمله زهير علىٰ فرسٍ وتركه ، فأتىٰ الكوفةَ ، فعنّفه عليٌّ وضَرَبه ، ففارقه ولحق بمعاوية ، فبعث عليٌّ إلىٰ دارهِ فهدَمَها[٣] .

٩ـ علاقتهم في أيّام بني أميّة :

رأينا في الحديث عن مصاهرةِ كلب أنّ معاوية بن أبي سفيان كانت عندَهُ ميسون بنت بحدل الكلبية ، وهي أمّ ولدِهِ يزيد ، فكان لبني كلبٍ مكانةٌ عندهما ، ويدلّ على ذلك ما ذكره المسعودي من أنّ حسانَ بن مالك بن بحدل

---

(١) الغارات : ٢٨٨ـ٢٩٤ .

(٢) الغارات : ٣١٨ـ٣١٩ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٨١ ، ونهاية الأرب للنويري ٢٠ : ٢٥٨ .

(٣) انظر ترجمة عروة في الديوان .

الكلبي ابنَ خالِ يزيد اشْتَرطَ على مروان بن الحكم عندما بايَعَهُ بالخِلافةِ أن يكون لهم عنده ما كان لهم مِنَ الشُّروطِ على معاوية ووَلَدِه يزيد وابنه معاوية بن يزيد ، ومنها أنْ يفرضَ لهم لألْفَي رجلٍ ألفينِ ألفينِ ، وإن مات قام ابنُه أو ابنُ عمّه مكانَه ، وعلى أن يكون لهم الأمرُ والنّهي وصدرُ المجلس ، وكلُّ ما كان من حلٍّ وعقدٍ فعَنْ رأيٍ ومشورةٍ ؛ فرضي مروان[1] .

ونجد في عصر معاوية وابنه يزيد أنّ عدداً من رجال كلبٍ كانوا من المُقَرَّبِيْن ، ولا سيّما في عهد يزيد ، ففي عهد معاوية (٤٠ـ٦٠هـ) كان سَعْدُ بن جُمَيْل بن عيّاش أحد بني عديّ بن جناب على الحِمَىٰ[2] ؛ وحينما أرسل معاويةُ ابنَهُ يزيد لغزوِ القُسطنطينية كان معه خالُه حُرَيث بن بحدل وخالُه مالك بن بحدل وكانا من وجوه الشام ، وسَعَيا في البيعة ليزيد[3] ، كما كان معه ابنُ خاله حميدٌ الشاعرُ بن حريث بن بَحْدَل ، وسفيانٌ الشاعر بن الأبرد الكلبي ، وكان لحميد وسفيان مع يزيد في تلك الغزوة خبرٌ ذكرتُه في ترجمتهما[4] . وكان حسان بن مالك بن بَحْدل عاملاً على فلسطين لمعاوية[5] .

وعندما قُتِل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما في خلافة يزيد نجد اسمَ رَجُلَيْن من بني كلبٍ كانا مع الحسين فقُتِلا : عبدُ الله الشاعرُ بن عُمَيْر العُلَيْميّ ، وقُتِلَت معه زوجُه من بكر بن وائل[6] ، وعبدُ الأعلى بن زيد بن الشّجاع من بني عبد وَدٍّ بن عوف ثم من بني كعب بن امرىء القيس منهم[7] ؛ ولم أقف على اسم رجلٍ من كلب كان له أثرٌ في خبر مقتلِ الحسين إلاّ مُحْرِز بن حُرَيب بن

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٩٥ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٢٨ .
(٣) انظر تاريخ دمشق ٤ : ٣٢٤ و١٦ : ١٧٢ .
(٤) انظر ترجمة حميد ، وترجمة سفيان في الديوان .
(٥) انظر ترجمةَ ميسون بنت بحدل وما جاءَ فيها من كلامٍ علىٰ حسان ومصادر ذلك في الديوان .
(٦) انظر ترجمته في الديوان .
(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٨٩ ، وأنساب الأشراف : ٣ : ١٩٨ـ١٩٩ .

مسعود مِن بني عديّ بن جناب ، فذكر ابنُ عساكر أنّه : « رجلٌ من أفاضِل أهل الشـــام ، بعثه يزيد بن معاويـــة من دمشق على أهل بيت رسول الله ﷺ حين ردَّهم من دمشق إلى المدينة قيّماً على حِفْظِهم »[١] ، وله ذِكرٌ في خلافة مروان ابن الحكم .

وفي خلافة يزيد أيضاً نجد أنَّ حميد بن حُرَيث كان صاحب شُرَطِهِ[٢] ، وأنّ سعيد بن زيد الكلبي كان على حرسه[٣] ، كما أنّ يزيدَ ضَمَّ إلى حسّان بن مالك ابن بَحْدَل عَمَل الأردُن إلى جانبِ عمل فلسطين[٤] ، وولّى أخاه سعيد بن مالك ابن بَحْدَل على قِنّسرينِ[٥] .

وفي خلافة مروان بن الحكم (٦٤ـ٦٥هـ) ، بعد أن مات معاويةُ بن يزيد ابن معاوية وأطبقَ الناسُ في معظم أمصار الخلافة على مبايعةِ ابن الزّبير ، أراد مروان أن يلحقَ بابن الزبير ويبايعه ويأخذ الأمانَ لبني أميّة ، وكان ابن الزبير نفاهُم إلى الشام ، فلم يَرَ ذلك بعضُ مَنْ كان حَوْلَهُ من بني أميّة وغيرهم ، ودَعَوْه إلى أن يطلُبَ الأمر لنفسه لأنّه شيخُ قريشٍ وكبيرُ بني أميّة ، وكان الضحّاكُ ابن قيسٍ الفهريُّ القرشيُّ يومئذٍ في دمشق عاملاً عليها ، فاضطربَ موقِفُهُ يومذاك ، فحيناً كان يدعو إلى ابن الزبير ، وحيناً إلى نفسه ، وحيناً إلى مَنْ يُجْمِعُ عليه بنو أميّة منهم ، وكان معظم جنده من قبائلِ قيس عيلان ، وهم يريدون المبايعةَ لابن الزُّبير ، فحدثَتْ أحداثٌ كثيرة أدّت إلى الاقتتالِ بين مروان ابن الحكم ومَنْ قام معه من موالي بني أميّة ، ومن كلب ، ومن السَّكاسك ، وغَسّان وغيرهم ، وبين الضحّاك بن قيس ومَنْ معه من قبائل قيس عيلان بالقُرْب

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ : ٢٧٦ ، ومختصره ٢٤ : ١٠٢ .
(٢) انظر ترجمته في الديوان .
(٣) تاريخ دمشق ٧ : ٢٤٨ .
(٤) انظر ترجمة ميسون بنت بحدل في الديوان .
(٥) انظر الأغاني ١٩ : ٢٠٣ ، وصبح الأعشىٰ ١ : ٣٩٤ ، وتاريخ دمشق : ٣٤٨ .

من دمشق في مرج راهط ، فانهزمَتِ القيسيّة وقُتِل الضحّاك وقُتِل من القيسية مقتلة عظيمة ، فكانت هذه الموقعة سبب ردِّ الخِلافةِ في بني أميّةَ ، وذلك سنة أربعٍ وستين للهجرة ، فذلك يومُ مرج راهطٍ وهو يومٌ مشهور[١] ؛ وقد كان لبني كلبٍ في ذلك اليوم وفي الأحداث التي أدّتْ إليْه أكبرُ الأثر ، ولا سيّما حسّان بن مالك بن بَحْدَل الذي شدّ الخلافةَ لمروان ، ذلك أنّ أمصارَ الخِلافةِ كلَّها كانَتْ قد بايعَتْ لابنِ الزّبير إلاّ ما كانَ من حسّان ، وكان عاملاً على فلسطين والأردن ، فقد كان يرىٰ المبايعةَ لخالد بن يزيد بن معاوية ، وكان أخوه سعيد ابن مالك علىٰ قِنّسرين لم يبايعْ لابن الزّبير ، فأخرجه منها زُفَرُ بن الحارث الكلابيّ القيسيّ فلحق بأخيه حسّان ؛ فلمّا طلب مروانُ الأمرَ لنفسه وبَايَعَهُ بنو أميّة وموالِيهم دعا أهلَ تدمُرَ فبايعوه ، وكانت من منازل بني كلب ، فسار بهم ، وكتب إلى حسان بن مالك فَسَار إليه من الأردن بمَنْ معه من كلب ، وتشاور رؤساءُ الناسِ في عَقْدِ الأمرِ لخالِد ، وأبىٰ آخرون إلاّ لمروان ، إذ كان خالد صغيراً لا يُقَام به لابن الزّبير ، ومروان شيخٌ مجرّب ، فأجمعوا على المبايعة لمروان على أنْ يكون الأمرُ من بعده لخالد ، ومن بعده لعمرٍو الأشدقِ بنِ سعيد ابن العاص الأمويّ[٢] .

وكان اجتماعُ حسّان بمروان بالجابية ؛ فصلّى بهم حسّان أربعين يوماً ، والناس يتشاوَرون فيمَنْ يُوَلُّون ، وقيل إنه سُلّم عليه بالخلافة أربعين ليلة ثم

---

(١) انظر كتاب الفتوح ـ لابن أعثم ٥ : ٣١٢ـ٣١٥، وأنساب الأشراف ٥ : ١٣٢ـ١٤٦، ونقائض جرير والأخطل : ١ـ٢٠، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٣٠ـ٥٤٣، والأغاني ١٩ : ١٩٥ـ١٩٦، ومختاره ٧ : ٢٣٠ـ٢٣١، والعقد الفريد ٤ : ٣٩٤ـ٣٩٧، ومروج الذهب ٣ : ٩٣ـ٩٥، والتنبيه والإشراف : ٢٦٦ـ٢٦٩، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٥ـ١٤٩، ومعجم البلدان (راهط)، وتاريخ أبي الفداء مجلد ١/ جزء ٢ : ١١٠ والبداية والنهاية ٨ : ٢٤٣ـ٢٤٧، وصبح الأعشى ١ : ٣٩٤ـ٣٩٥.

(٢) انظر مصادر الحاشية السابقة، وقد صَرَف مروانُ فيما بعد الخلافَةَ عن خالدٍ وجعلها لابنيه عبد الملك وعبد العزيز بعدما تزوّجَ أُمَّ خالد؛ انظر الكامل في التاريخ ٤ : ٩١، وما بعدها، وأنساب الأشراف ٥ : ١٤١ـ١٤٢.

سَلَّمَها لمروان بعد الإجماع على مبايعته[1] ، وكان حسان بن مالك أرسلَ رجلاً من طابِخةِ كلبٍ يُقال له : ناعضَةُ بن حُرَيث إلى الضحّاك بن قيس من الأردن يدعوه إلى طاعة بني أميّة ويذكِّرُه بَلاءهم عنده ، وأرسل معه رسالةً ، وكان له مَعَ الضحّاك خبرٌ ظهرت فيه عصبيّةُ بني كلب لبني أمية ؛ وممَّنْ أظهر لهم العصبيّة يومذاك سفيانُ بن الأبرد الكلبي الشاعر[2] . ولمّا وقع القِتالُ يومَ المَرْجِ كان حسّانُ على خَيْلِ مروانَ ومعه مالكُ بن هُبَيرة بن خالد السّكوني الكنديّ[3] ، وقَتَلَ عددٌ من فرسان كلبٍ كثيراً من رؤساء الناسِ في جيش الضحّاك ، فقَتَلَ زُحْنَةُ بن عبد الله الكلبي أحدُ بني تيم اللات بن رفيدة الضحّاكَ بن قيس[4] ، وقتلَ الوازعُ الشاعر بنُ ذؤالةَ الكلبي همّامَ بن قَبيصةَ النُّمَيْريّ ، وكان رئيساً شريفاً[5] ، وقتل رجلٌ من كلب زيادَ بن عمرٍو العُقَيْليَّ وكان على ميمنةِ الضحّاك ، وكان فارساً شجاعاً شريفاً[6] ، كما قتلوا بشرَ بن يزيد المُرِّيَّ ، وحَزْنَ ابن عمرو النّميريّ ، وثَوْر بن معن بن يزيد السُّلَميّ ، وعمرو بن محرز الأشجعيّ ، وثابت بن خُوَيْلد بن عامر القسْريّ ، كان شريفاً بالشام مع الضحّاك ، فقتلته كلبٌ يوم المرج[7] .

ولم أقف على شيءٍ من أسماء قتلىٰ كلب ذلك اليوم إلاّ « مالك بن زيد بن مالك ابن كعب بن عليم ، أحد المشهورين ، شَهِد وقعةَ مرج راهط ، كان مع مروان بن

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٤٧ـ٣٤٨، وأنساب الأشراف ٥ : ١٣٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٣٥ـ٥٣٧ ، وتاريخ دمشق ٥ : ٣٩٤ ، ومختصره ٦ : ٣٠٩ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٨ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٥ : ٥٣٢ ، وتاريخ دمشق ١٧ : ٤٩٥ ، والكامل في التاريخ ٤ : ١٤٦ـ١٤٧ وترجمة سفيان في الديوان .

(٣) أنساب الأشراف ٥ : ١٣٨ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٤٠٠ ، والإكمال ٤ : ٤٦ ، والتكملة (زحن)، والقاموس والتاج (زحن) و(زحم)، وأنساب الأشراف ٥ : ١٣٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٩٥ .

(٥) انظر ترجمة الوازع في الديوان .

(٦) انظر شرح البيت الخامس من القطعة الرابعة من شعر عمرو بن مخلاة في الديوان .

(٧) النسب الكبير ١ : ٣٨٦ .

الحكم فقُتِلَ يومئذٍ »[١] ؛ ويرجع الفضلُ يومئذٍ لبني كلبٍ في إنقاذ مروانَ من القَتْل ، إذْ كادَ مروانُ يومئذٍ يُقْتَلُ فاستنقذهُ مُحْرِز بن حُزَيب بن مسعود ، أحد بني هُذَيْم بن عديّ بن جَنَاب ، والحُرَاقُ بن حُصَيْن بن عِرَارٍ ، أحد بني تُوَيْلِ بن عَدِيّ بن جناب[٢] .

وقد شهد هذه الحرب عددٌ من شعراء كلب منهم : ثُمَامة بن قيس ، وجَوَّاس بن القَعْطَل ، وعَمْرو بن مِخْلاة ، والوازع بن ذُؤَالة ، وقد ذكروها في أشعارهم[٣] .

وكان من نتائج هذا اليوم وموقف كلبٍ فيه أنْ توقّدتْ نارُ العصبيّة بين كلب والقيسيّة ، ووقعت بينهم غاراتٌ كثيرةٌ سبق الحديثُ عنها في الكلام على علاقة كلب بقبائل قيس عيلان[٤] ؛ كما كان من نتائجه أنْ رسَخَتْ لبني كلبٍ مكانةٌ ساميةٌ عند بني مروان ، فقرّبوهم إليهم ، وولّوهم الأعمال ، وأمّروهم على الجيوش كما سنرىٰ . **ففي خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ـ٨٥هـ)** ، نجد أنّه سارَ سنةَ تسع وستين إلىٰ قرقيسياء[٥] ، لأنَّ زُفَرَ بنَ الحارث الكلابيّ كان بعد وقعة مرج راهط قد فَرَّ إليها وتَحصَّنَ بها ، واجتمعت قيسٌ عليه ، فكان يدعو لابن الزُّبَيْرِ ، فانسلَّ عمرٌو الأشدقُ بنُ سعيدِ بنِ العاص ليلاً ومعه حُمَيْد بن حُرَيث بن بحدل وزهير بن الأبرد الكلبيّان مُخالِفاً لعبد الملك ومُنْتَقِضاً ، وعلم عبدُ الملك بأمره صباحاً ، فرجع إلى دمشق ومعه حسّان بن مالك بن بحدل وسفيان بن الأبرد الكلبيّان ، فكان الحصارُ والقتالُ ، فجعل عبد الملك إذا أخرج عمرٌو حُمَيْداً على الخيل أخرج إليه عبدُ الملك

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ : ٢١١ ، ومختصره ٢٤ : ١٥ .

(٢) انظر النسب الكبير ٢ : ٣١٥ ، ٣٢٨ـ٣٢٩ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٤٢ـ١٤٣ والمؤتلف والمختلف للدارقطني : ٧١٧ـ٧١٨ و٢٠٦١ ، والإكمال ٢ : ٤٣١ ، وتاريخ دمشق ١٦ : ٢٧٦ ، ومختصره ٢٤ : ١٠٢ ، وتبصير المنتبه : ٤٩٨ ، وأنساب السمعاني ٤ : ١٣٣ ، واللُّباب ١ : ٣٦٣ ، والمشتبه ١ : ٢٢٨ ؛ وفي إعجام (حُزَيب) خلافٌ بين هذه المصادر ، ففي بعضها (حُرَيْث) وفي بعضها (حُرَيب) وفي بعضٍ (حُزَيب) .

(٣) انظر تراجمهم وشعارهم في الديوان .

(٤) انظر ، ص : ٩١ ـ ٩٥ .

(٥) مدينة قديمة تقع عند التقاء الخابور ودجلة ، معجم البلدان (قرقيسياء) .

سفيانَ ، وإذا أخرج عمرٌو زهيراً أخرج عبد الملك حسّانَ ، وكان أكثر المُقاتلين في الفريقين من كلب ؛ إلى أن أَمَّنَ عبدُ الملك عَمْراً ، ثمّ قتله[1] .

وفي سنة سبعٍ وسبعينَ سار شَبيبٌ الخارجي نحوَ الكوفةِ بعدما عجزت قُوَّات الحَجّاج عنه ، فكتب بذلك إلى عبد الملك وطلب المَدَدَ ، فبعث إليه سفيانَ بن الأبرد بعساكرَ كثيرةٍ من أهل الشام ، وكان اللّقاءُ فقُتلَتْ أمُّ شبيب وأخوه مَصاد وزوجتُه غَزالة ، فتبعهم سفيانُ فيمن معه إلى نهر دُجَيْل حتى ماتَ شَبِيبٌ غَرَقاً[2] ، والذي قتل غزالةَ هو فَرْوة بن الزَّبَّان الكلبيّ[3] .

وفي السنة نفسها بعث الحجّاجُ سفيانَ إلىٰ طبرستانَ لِقتال قطريِّ بنِ الفُجَاءة ومَنْ معه مِن الخوارج الأزارقة في جيش عظيم ، فحاربهم ، فقُتِل قطريّ ، ثُمَّ قُتِل خليفَتُهُ عُبَيْدة بن هلال اليشكري[4] ، وقَدِم أبو الجَهْمِ بنُ كِنانة بن أَرْبَد الكلبيّ من بني العُبَيْدِ بنِ عامر على عبد الملك برأس قَطَريّ ، وكان أبو الجهم فارساً من أصحابِ الحجّاج ، ووَلِيَ عَمَلَ الرِّيِّ ، ثم وفد في خلافة الوليد بن عبد الملك مع آل الحجّاج بعد موتِه قَيّماً عليهم وحافظاً لهم[5] .

وفي سنتي اثنتين وثمانين وثلاثٍ وثمانين كانت بين الحجّاج وبين عبد الرحمن بن محمَّد بن الأشعث وقائع ثلاثٌ عظيمة : وقعةُ الزاوية ، ووقعةُ دير الجماجم ، ووقعةُ مَسْكَن ، وقد كان لسفيان بن الأبرد وَلِمَنْ معه أكبرُ الأَثَرِ في هزائم ابنِ الأشعث بعدَ استفحال أمرِه واستعلائه على مَنْ نهض إليه[6] ؛ وفي يوم دير الجماجم قَتَلَ الوليدُ بن نُخَيْت الكلبيّ أحدُ بني الحارث بن بكر بن عامر الأكبر جَبَلَةَ

---

(١) انظر الخبر وتَتِمَّتَهُ في ترجمة حميد بن حريث ، في الديوان ، وانظر مصادرَهُ ثمّة .

(٢) انظر ترجمة سفيان بن الأبرد في الديوان .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٣١ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٢٧١ ، وفيه (فروة بن الدّفان) تحريف ، والبداية والنهاية : ٩ : ١٨ـ١٩ ، وفيه (فروة بن دقاق) تحريف أيضاً .

(٤) انظر ترجمة سفيان في الديوان .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٦٧ ، وتاريخ الطبري ٦ : ٣١٠ ، وتاريخ دمشق ١٩ : ٢٣ ، ومختصره ٢٨ : ٢٢٣ .

(٦) انظر ترجمة سفيان في الديوان .

ابنَ زَحْرٍ الجُعْفيَّ ، وكان جبلةُ على اثني عشر ألفاً من القُرّاء[1] ؛ وكان على ميمنة الحجّاج ذلك اليومَ عبدُ الرحمٰن بن سُلَيْم الكلبيّ[2] ؛ وكلّف الحجّاج أبا الجهم بن كِنانة بن أَرْبَد الكلبيّ بعدَ الجماجم بقتل كُمَيْل بن زيادٍ النّخعيّ من أصحاب ابنِ الأشعث ، وكان ممّن حاصَرَ عثمانَ يومَ الدّار[3] .

وممّن كان مُقَرّباً من بني كلبٍ إلى عبد الملك : منظورُ بن زَيْد بن أفعىٰ من وَلَدِ عامرٍ المتمنّي الشاعرِ بن عبد الله بن الشَّجْبِ ، وكان له أُكُلٌ عند بني أميّة ، قال هِشَامُ بن محمَّدٍ الكلبيُّ : « وهو الّذي عادَهُ عبدُ الملك بن مروان وحَسَّانَ بنَ مالك ابن بحدل ، عادَهما وهو خليفةٌ ، فقال عبد الملك وهو منصرفٌ من عندهما :

مَا لي في دمشقَ وَلا قُراها ... مَبِيتٌ إنْ عَرَضْتُ وَلا مَقِيلُ
وَمَا لِي بَعْدَ حَسّانٍ صَدِيْقٌ ... وَمَا لي بَعْدَ مَنْظُورٍ خَلِيلُ »[4]

وكان يحيىٰ بنُ بَحْدل الكلبيّ عمُّ حسانٍ كاتبَ عبد الملك على ديوان الجند[5] ؛ ويُستَدَلُّ من خبرٍ أوردَهُ ابنُ قتيبة وابنُ عساكر على أنّ حُمَيْد بن حُرَيث بن بَحْدَل وَلِيَ الحِجَابةَ لعبد الملك[6] ؛ ووَلّى عبدُ الملك سعيدَ بنَ سُوَيد بن رَبيع بن امرىءِ القيس الشاعرِ بنِ عديّ الكلبيّ على دُومَةِ الجَنْدَل ، وكان شديداً علىٰ كلبٍ ، فسَمَّوهُ القَصّام[7] ؛ وكان مسعودُ بنُ حِصن بن عِرار العُلَيْميّ « سَيّداً مع عبد الملك بن مروان »[8] .

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٧٢، وتاريخ الطبري ٦ : ٣٦٠، والمؤتلف والمختلف ـ للدارقطني ١ : ٢٤٢، والإكمال ١ : ٢١٢، وتبصير المنتبه ١ : ٦٨، والقاموس والتاج (نحت)، وجاء اسم أبيه في بعض هذه المصادر بالخاء، وفي بعضها بالحاء.

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٣٤٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٣٦٥.

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٨٠ـ٣٨١، ونحوٌ منه في التعازي والمراثي : ٢٦٨ـ٢٦٩، وقوله (إنْ عَرَضْتُ) هكذا جاء في كلا المصدرين، ولعلّه مصحّف عن (إن غَرِضْتُ) أي : ضَجِرْتُ.

(٥) تاريخ دمشق ١٨ : ٤١ .

(٦) انظر ترجمة حميد في الديوان.

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٣٦.

(٨) النسب الكبير ٢ : ٣٣٠.

ومنهم : عبدُ الرحمن بن سُلَيْم بن سُوادةَ من بني الجُلاح ، الذي كان على ميمنة الحجّاج يوم دير الجماجم ، قال ابن الكلبي : « وَلاّهُ الحجاجُ فارِسَ ، وهو الذي ضَرَبَ أَسَدَ بنَ عبد الله القَسْرِيّ الحَدَّ »[١] ، وقال ابنُ عساكر : « عبدُ الرحمٰن بن سُلَيْم أبو العلاء الكلبيّ ، أميرُ السّاحِلِ ، ووَلِيَ سجستان للحجّاج بن يوسف »[٢] ، وذكر خليفةُ بن خَيّاط أنَّ الحجّاج وَلّىٰ عبدَ الرحمٰن بن سُلَيْم أيضاً سجستان سنة أربعٍ وثمانين ، ووَلّىٰ الأشعثَ بنَ بِشْرٍ الكلبي عليها أيضاً ثم عَزَله[٣] .

ومنهم مُدْرِكةُ بن ضَبٍّ أحدُ بني ذُهل بن الخَزْرج بن زيد اللاَّت بن رُفَيْدَة « كان على الرّيّ ، ووَليَ الصوائفَ زمَنَ الحجّاج »[٤] .

علىٰ أنّه كان في زمن عبد الملك مَنْ وَقَفَ في صفّ الخارجين على خلافة بني أميّة ، فقد كان الجهمُ بنُ الأبرد الكلبيّ على مَجْنَبةِ مُصْعَبِ بن الزُّبَيْرِ يوم قُتِل سنة إحدىٰ وسبعين ، وهو أخو سُفيان بن الأبرد الذي كان مُخْلِصاً لبني أميّة[٥] ، وقُتِل السائبُ بن بشرٍ الكلبيّ جدُّ هشام بن محمّد بن السائب العَلاّمةِ صاحبِ النّسب مع مصعب بن الزّبير[٦] ؛ وشهد محمَّد بن السائب بن بشر الكلبي يومَ دير الجماجم مع ابن الأشعثِ الخارجِ على بني أميّة[٧] ، وكان محمّد بن السائب سَبَئِيّاً يؤمِنُ برجعةِ عليّ رضي الله عنه[٨] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٦٢ .
(٢) تاريخ دمشق ٩ : ٩٦٤ .
(٣) تاريخ خليفة : ٣٨٧ .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٠٧ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٥٢ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٧ ، وفيه : (الحكم بن الأبرد) .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٨٨ ، والطبقات الكبرى ٦ : ٣٥٩ ، والمعارف : ٥٣٥ ، ونور القبس : ٢٥٦ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣١١ ، ووَهِمَ ابنُ حزمٍ فذهب في جمهرة أنساب العرب : ٤٥٩ إلى أنّ السائب قُتِل يوم صِفّين .
(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٨٩ ، والطبقات الكبرىٰ ٦ : ٣٥٨ـ٣٥٩ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣١٠ .
(٨) وفيات الأعيان ٤ : ٣١٠ .

ونَجِد في شعر جوّاس بن القعطل الكلبيّ قطعتين عاتبَ فيهما عبدَ الملك بن مروان وذكّره ببَلاءِ كلبٍ عندهم ، فذكر المرزوقيُّ سبب هذا فقال : « وذلك أنّه لمّا قُتِل ابنُ الزّبَيْرِ وسكنت الحربُ ، وصَفَا لَهُ الأمرُ ، أَقْبَلَ يتألّفُ قَيْساً وهم أعداؤه ، ويُوحِشُ بني كلبٍ وهم أنصارُه ، حتى انتهى الحالُ به إلىٰ أنْ عَزَلَ كثيراً ممّن استعمله من كلبٍ على أعمالِهِ ، وجعل أبدالَهم من قيس »[1] .

وفي **خلافة الوليد بن عبد الملك** (٨٦ـ٩٦هـ) نجد أنّ عبد الرحمن بن سُلَيم الكلبي أصبح عاملاً على عُمَان[2] ؛ وكان زِقلاب بن حَكَمَة بن زبّان بن الأصبغِ الشاعر بن عمرو الكلبيّ يَصْحَبُ الوليدَ بنَ عبد الملك ويُضْحِكُه[3] .

ونتجاوز **خلافة سليمان بن عبد الملك** (٩٦ـ٩٩هـ) إذْ لا نجد فيها ما يُذْكَرُ بشأنِ علاقةِ كلب به .

وفي **خلافة عمر بن عبد العزيز** (٩٩ـ١٠١هـ) نجد أنّ يزيد بن بِشْر بن يزيد بن بشر الكلبيّ كانَ على شُرَط عمر بن عبد العزيز[4] .

وفي **خلافة يزيد بن عبد الملك** (١٠١ـ١٠٥هـ) كان من أبرز ما حدث خروجُ يزيد بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة وآلِ المهلَّب عليه سنة اثنتين ومئة ، فأمر أخاه مَسْلَمة ابن عبد الملك بالقيام له ، وكان يزيد أرسل عبدَ الرحمٰن بن سُلَيْم الكلبيّ إلى خراسان عاملاً عليها ، فلمّا بلغَهُ خروجُ ابن المهلب كتب إلى يزيد بن عبد الملك : إنّ جهادَ مَنْ خالَفَك أحبُّ إليّ مِنْ عَمَلي علىٰ خراسان فاجعلني ممّن تُوجّهُه إليه ، وبعث يزيدُ ابن عبد الملك جيشاً من الشام فجعل على مقدّمته الوليدَ بن نُخَيْتٍ الكلبيّ قاتِلَ جَبَلَة ابن زَحْرٍ الجُعفيّ يومَ دير الجماجم ، والتقى مسلمةُ يزيدَ بن المُهَلّب بالعَقْر عند كربلاء ، فقُتِل ابنُ المهلّب مع عددٍ من إخوته ؛ وكان الذي قتل ابنَ المهلّب رجلاً من

---

(١) شرح ديوان الحماسة : ١٤٩٥ ، وانظر القطعتين (٨) و (١١) من شعر جوّاس في الديوان .
(٢) تاريخ خليفة : ٤١٥ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٢٣ ، والقاموس والتاج (زقلب) .
(٤) تاريخ خليفة : ٤٦٨ ، وتاريخ دمشق ٥ : ٥٧٠ و١٨ : ٢٥٤ ، ومختصره ٨ : ٢٩ و٢٧ : ٣٢٦ .

كلب ثم من بني أبي جابر بن زهير بن جَنَاب ، يقال له : القَحْل بن عَيّاش بن حسّان ابن سُمَيْر ، وقتله يزيدُ بن المهلّب ضَرَبَ كلّ واحدٍ منهما صاحِبَهُ فقتله[1] . وكان يزيد ابن عبد الملك بعث رجالاً من أهل الشام إلىٰ الكوفة يسكّنونهم ويُمَنُّونَهُم الزّيادات ، ومنهم القُطاميُّ الشاعرُ بن الحُصَيْنِ الكلبيّ ، وكان القطاميُّ حين بلغه خروجُ ابنِ المهلَّب قال شعراً يمدحه فيه ، ثم سار بعد ذلك إلى القَعْر فَشَهِدَ قتالَ ابنِ المهلّب مع مَسْلَمة بن عبد الملك ، فقال ابنُ المهلّب : ما أبعد شعر القطاميّ مِن فعله![2] .

ثم اجتمع مَنْ نجا من آل المهلّب بالبصرةِ فحملوا أهليهم ومالَهم في السفن ولَجُّوا في البحر ونزلوا عند كَرْمان ، فبعث مَسْلَمَةُ مُدْرِكَ بنَ ضَبٍّ الكلبي في طلبهم فاقتتلوا ، ثم أرسل مسلمة إلى مُدْرِك فردّه[3] .

وحين ضَمَّ يزيدُ بنُ عبد الملك البَصرة والكوفةَ وخراسانَ إلى أخيه مَسْلَمة بعد القضاء على آل المهلّب بعث مَسْلَمَةُ عبدَ الرحمٰن بن سُلَيْم الكلبيّ عاملاً على البصرةِ ، فأراد أن يستعرض أهلَ البصرة فيَقْتُلَ مَنْ خرج مع آل المهلّب ، فعلم بذلك مَسْلَمَةُ فعزله[4] ، كما بعث مسلمةُ قُطْبَةَ بنَ حَبّةَ الكلبيَّ علىٰ شُرَط الكوفةِ[5] .

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٤٧، وتاريخ الطبري ٦ : ٥٧٨ـ٦٠٥، والتنبيه والإشراف : ٢٧٨، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٧، والإكمال ٦ : ٧٤ و٧ : ٥٥، وشرح مقصورة ابن دريد للتبريزي : ٤٢، وتاريخ دمشق ٧ : ٩١١، والكامل في التاريخ ٥ : ٧٩ـ٨٦، والتكملة للصغاني (قحل)، وتبصير المنتبه : ١٠٦٨ ووفيات الأعيان ٦ : ٣٠٥ـ٣٠٦، والقاموس والتاج (فحل)، والتاج (قحل)، وجاء اسمُ قاتل يزيد بن المهلب مصحّفاً في بعض المصادر إلى (الفَحْل) ونبّه بعضُها على أن الصّواب بالقاف.

(٢) انظر ترجمة القطامي في الديوان.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٥ : ٦٠١، والكامل في التاريخ ٥ : ٨٥ـ٨٦، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٠، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ٩٩ـ١٠٠، وهكذا ورد اسم الرجل (مدرك)، وجاء في النسب الكبير ٢ : ٣٠٧ أنّ مدركة بن ضبّ أحد بني ذهل بن الخزرج بن زيد اللات بن رفيدة كان والياً على الريّ، ووَلي الصوائفَ زمنَ الحَجّاج.

(٤) انظر تاريخ خليفة : ٤٧٤، وتاريخ الطبري ٦ : ٦٠٤ـ٦٠٥، والكامل في التاريخ ٥ : ٨٩، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٠٠.

(٥) تاريخ خليفة : ٤٧٤.

وكان عاملُ يزيد على مِصْرَ بِشْر بن صَفْوان بن تُوَيْل بن بِشْر بن حنظلة من بني أبي جابر بن زُهير بن جَنَاب سنة إحدىٰ ومئة ، فجعل بشرٌ أخاه حنظلة على شُرَطِهِ ؛ ثمّ وَلاّه يزيد عَلَىٰ إفريقية سنة اثنتين ومئة بعد مَقْتَلِ وَالِيها ، فاستخلف أخاهُ حنظلة على مصر فأقرّه يزيد ، فبقي والياً عليها إلى سنة خمس ومئة ، وقَدِم بشرٌ على إفريقية فَسَكَّنها وأصلح فيها ؛ وكان على الأندلس عَنْبَسَة بن سُحَيْم الكلبيّ مِنْ قِبَلِ وَالي إفريقية السابق فأقرّه بِشْر ، فغزا عنبَسَةُ بمَنْ معَهُ وألحَّ على العدوّ حتى صالحوه ؛ وفي سنة أربعٍ ومئة أَغْزَىٰ بشرٌ عمرَو بنَ فاتك الكلبيّ في البحر ، فغَنِمَ وسَبَا وسَلِمَ ؛ وكان بِشْرُ بن صفوان وأخوه حنظلة دِمَشْقِيَّين من أشرافِ أهل الشام ، وقد سبق أنَّ جدَّهما تُوَيْلَ بنَ بشر شهد صِفّين مع معاوية فقُتِلَ يومئذٍ ومعه اللّواء[1] .

وذكر خليفة بن خيّاط أنّ عبدَ الرحمٰن بن سُلَيْمان الكلبيّ غزا سنة أربعٍ ومئة في خلافة يزيد هو وعثمان بن حَيَّان المرّيّ ، « فَنَزَلا على سَيْبَرَة ، فافتتحاها ، وافتتحا قيصرةَ حِصْناً من حصون الرّوم »[2] ؛ وذَكَرَ أنّ عبدَ الرحمٰن بن سُلَيْمٍ الكلبيّ كان عاملاً على الصَّائفة في خلافة يزيد حتى مات يزيد[3] .

وفي خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ـ١٢٥هـ) نجد أنّ الأبرش الكلبيَّ الشاعرَ كان وزيراً له مُقَرَّباً ، وكان أخصَّ الناس به وأغلَبَهُمْ عليه ، وقد صحبه مِنْ قَبْلِ الخلافة ، ولهما أخبارٌ ذكرتُ طَرفاً منها في ترجمة الأبرش[4] .

ومن المقرَّبين إلى هشام من بني كلب : خالد بن عثمان بن سعيد بن مالك بن

---

(١) انظر تاريخ خليفة : ٤٧٩ و٤٨٥ و٥٣٩ ، وتاريخ افتتاح الأندلس : ٣٨ ، وفتوح مصر وأخبارها : ٢١٥ ، والإكمال ١ : ٥٠٤ـ٥٠٥ ، وفتوح البلدان ـ للبلاذريّ : ٢٣٣ ، وولاة مصر : ٩١ـ٩٢ ، والبيان المغرب ١ : ٤٩ و٢ : ٢٧ ، وتاريخ دمشق ٣ : ٣٤١ ، وتاريخ إفريقية والمغرب : ٦٦ ، وصبح الأعشى ٣ : ٤٢٠ و٥ : ١١٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٥٢ و٢٤٠ ، وحسن المحاضرة ١ : ٥٨٨ ، وتاريخ الإسلام (حوادث : ١٠١ـ١٢٠هـ) : ٣١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٤ـ٢٤٥ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٤٨٩ـ٤٩٠ .

(٢) تاريخ خليفة : ٤٧٨ ، ولم يذكر البكريُّ وياقوت (سيبرة) و(قيصرة) في معجميهما .

(٣) تاريخ خليفة : ٤٨٥ .

(٤) انظر ترجمته في الديوان .

بَحْدَل ، وَلِيَ الشُّرطة له[١] ؛ وسُلَيْمان بن سُلَيْم بن كَيْسان الكلبيّ ، مَوْلاهم ، كان رجلاً جامعاً للأَدَبِ فاضِلاً ، ذا رأي ، استدعاه هشام وجعله مؤدِّب وَلَدِهِ محمّدٍ ، وأوصاه وصيةً عظيمةً في تأديب وَلَدِهِ[٢] ؛ ومسعود بن عوف بن زيد بن حارثة بن عبد رُضىٰ من بني كنانة بن عوف ، ذكر ابن الكلبي أنّه « وَلِيَ لهشام بن عبد الملك »[٣] ولم يذكر على أيّ شيءٍ ولاّه ؛ والحكم بن عَوَانَة بن عِياض بن وَزَر من بني عَبْدِ وَدّ ثم من بني كِنَانة بن عوف ، ولاّه هشام بن عبد الملك علىٰ خراسان سنة تسع ومئة بعدما أَمَرَ خالدَ بنَ عبد الله القسريّ بعَزْل أخيه أَسَدٍ عنها ، فقَعَدَ عن الصائفة تلك السنة فعزله هشام[٤] ، ثم ولاّه هشامٌ السِّنْدَ ، فقُتِل بها شهيداً ، وقُتِل معه من كلب مقتلة عظيمة لم يُقْتَل مثلها ، إذْ قُتِل منهم أربعُ مئة ، وكان عَلاَّمةً بالأخبار والأنساب ، ووَلَدُه عَوانة بن الحكم راويةٌ فقيه عالمٌ بالأخبار والأنساب[٥] . وعندما قُتِل عوانةُ استُخلِفَ مكانَهُ محمّد بن عِرَار بن أَوْس بن ثعلبة الكلبيّ من بني كنانة بن عوف ، فعزلَهُ يوسُفُ بن عُمَرَ سنة اثنتين وعشرين ومئة[٦] ، ولمحمّد بن عِرار ذكرٌ في خلافة يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

وكان الأصبغُ بنُ ذُؤالةَ الكلبيُّ الشاعرُ أحدَ القائدَيْنِ اللّذين أرسلهما يوسف بن عُمَرَ وَالي العراق سنة إحدىٰ وعشرين ومئة لقتال زَيْدِ بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب حين خرج بالكوفة على هشام ، فقُتِلَ زيدٌ يومئذٍ[٧] .

ونجد أنّ هشاماً عندما وَلِيَ الخلافةَ صَرَفَ حنظلةَ بنَ صفوان الكلبي عن عمل مِصْرَ بعد مدّة قصيرة في سنة خمسٍ ومئة ، ثم أعاده والياً عليها سنة تسع عشرة

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٥٢ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٧ ، وتاريخ دمشق ٥ : ٥٠٨ .
(٢) انظر المعمّرين والوصايا : ١٣٧ ، وتاريخ دمشق ٧ : ٦١٩ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٩٤ .
(٤) انظر الكامل في التاريخ ٥ : ١٤٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٠٨ و١٧٥ .
(٥) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٨٢ ، وتاريخ خليفة : ٥٣٨ ، والكامل في التاريخ ٤ : ٥٨٩ـ٥٩٠ .
(٦) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٩٤ ، وتاريخ خليفة : ٥٣٥ ، وفيه (عزاز) بدل (عِرار) .
(٧) انظر ترجمة الأصبغ في الديوان .

ومئة ، فجعل على شُرَطِهِ عِياض بن حُرَيبة بن سعيد بن الأصبغ الكلبيّ[1] .

وكان بشر بن صفوان والي إفريقية ليزيد بن عبد الملك قد خرج وافداً بِهدايا كان أعدّها له ، واستخلف يَحيى بن باعِضة الكلبيّ ، وجاءه في الطريق خبر وفاة يزيد ، فقدم بتلك الهدايا على هشام ، فردّه على إفريقية عاملاً ، فبقي فيها إلى أن مات سنة تسع ومئة ؛ وفي أثناء ذلك أَغْزَىٰ من إفريقيةَ قُثَمَ بنَ عَوَانَةَ الكلبيّ سنة ثمانٍ ومئة ، فغنم وسَلِم ؛ وغزا عنبسةُ بن سُحَيْم الكلبيّ عاملُ الأندلس من قِبَلِهِ أرضَ العدو سنة سبع ومئة وحاصَرَهم حتى صالحوه وأسلموا ما في أيديهم من أسرىٰ المسلمين ، فعاد عنهم وتُوُفِّيَ في السنة نفسها ، فولّى عليها يَحيىٰ بن سَلَمة الكلبي فبقي إلى سنة عشر ومئة ، كما أنَّ بشراً غزا بنفسه صقلِّية سنة تسع ومئة فغنموا ، وأصاب جيشَهُ الهَوْلُ[2] فهلك من جيشه خلق كثير ، ثم مرض مَرْجِعَهُ عنها فمات في السنة نفسها ، ولمّا حضرته الوفاة استخلف مكانَهُ قَعَّاسَ بن قُرْطٍ الكلبيّ الشاعر ، فعزله هشام وولّىٰ عُبَيْدَةَ بن عبد الرحمن السُّلَمي القَيْسي[3] .

وفي سنة تسع عشرة ومئة جهّز عُبَيْد الله بن الحَبْحاب أميرُ إفريقية جيشاً ، وأرسل

---

(١) انظر ولاة مصر : ٩٣ و١٠٣ ، والإكمال ١ : ٥٠٤ـ٥٠٥ ، والبيان المغرب ١ : ٥٨ وتاريخ إفريقية والمغرب : ٧٨ـ٧٩ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ـ١٤٠) : ٧٩ـ٨٠ والنجوم الزاهرة : ٢٥٠ـ٢٥١ و٢٧٩ـ٢٨١ ، وصبح الأعشى ٣ : ٤٢٠ ، وحسن المحاضرة ١ : ٥٨٨ .

(٢) الهَوْل : المَخَافة من الأمر لا يدري المرءُ ما يهجم عليه منه ، كهول اللّيل وهَوْل البحر .

(٣) انظر تاريخ خليفة : ٤٨٥ و٤٩٤ و٤٩٦ و٥٣٩ ، وفتوح البلدان للبلاذريّ : ٢٣٣ ، وتاريخ افتتاح الأندلس : ٣٨ ، وفتوح مصر وأخبارها : ٢١٥ـ٢١٦ ، وجذوة المقتبس : ٣١٩ ، والبيان المغرب ١ : ٤٩ و٢ : ٢٧ ، وتاريخ دمشق ٣ : ٣٤١ـ٣٤٢ ، وتاريخ إفريقية والمغرب : ٦٦ـ٦٧ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٣٦ و٤٩٠ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ـ١٢٠) : ٣١ـ٣٢ ، ومآثر الإنافة : ١ : ١٥٦ ، وصبح الأعشى ٣ : ٤٢٠ و٥ : ٢٤٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٧٥ و٤ : ١٥٢ و٢٤٠ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٥ ؛ على أنّه جاء في البيان المغرب ١ : ٤٩ (العباس بن باضعة) وفي تاريخ إفريقية والمغرب : ٦٦ـ٦٧ (العباس بن ناصعة الكلبي) وأرىٰ أن في ذلك تحريفاً وتصحيفاً وخَلْطاً ناتجاً عن الخلط بين استخلاف بِشْرٍ يحيى بنَ باعضة حين وفد على يزيد بن عبد الملك وبين استخلافه قعّاس بن قرط حين حضرته الوفاة ، ولا سيّما أنّهما لم يذكُرَا اسم خليفتِهِ حين وفد على يزيد فجعلا الرجلين رجلاً واحداً وحرّفا (قعّاس) إلى (العباس) و(باعضة) إلى (باضعة) أو (ناصعة) .

عليه قُثَمَ بنَ عَوَانة الكلبيّ « فأخذوا قلعة سَرْدانِيَةَ من بلاد المغرب ورجعوا ، فغرِق قُثَم بن عَوَانة وجماعتُه في البحر »[١] .

ولم يزل حنظلةُ بن صفوان الكلبيّ والياً على مصر منذ سنة تسع عشرة ومئة حتى بعثه هشام سنة أربع وعشرين ومئة والياً على إفريقية بعد مقتل واليها كلثوم بن عِياض، وفي أول ولاية حنظلة علىٰ إفريقية قاتل الخوارجَ الصُّفْرية والمخالفينَ ، وقد زحفوا إلى القيروان مَقَرِّ الولاية بجموعٍ عظيمةٍ ، فالتقوا بموضع يقال له الأصنام قربَ القيروان فهزمهم وقُتِل منهم مقتلةً عظيمة بلغت نحو مئةٍ وثمانين ألفاً ، وكان الإمام اللَّيْثُ بنُ سعد يقول : ما مِنْ غزوةٍ أُحِبُّ أن أشهدها بعدَ غزوةِ بَدْرٍ أحبُّ إليَّ من غزوةِ الأصنام ؛ وكتب إليه أهلُ الأندلس أن يبعث إليهم والياً يوحّدهم بعد أن افترقوا على أربعة أمراء في بعضِ الفِتَن ؛ فبعث إليهم أبا الخطّار حُسَامَ بنَ ضِرار الكلبيَّ الشاعر ، فأصلَحَ فيها وأَخْمَدَ الفِتْنَةَ وقَضى على أسبابها ، ثم عاد فتعصّب على المضريّةِ فعادت الفتنة جَذَعةً ، وجَرَت أحداثٌ أدّت إلىٰ مقتلة سنة ثلاثين ومئة .

وبقي حنظلةُ والياً علىٰ إفريقية إلى سنة سبع وعشرين ومئة حين خرج عليهِ عبدُ الرحمنِ بن حَبيب بن أبي عُبَيْدَةَ بن عقبة بن نافع ، وكان أرادَ مِنْ قبلُ أن يتغلّب علىٰ الأندلس فلم يُمْكِنْهُ ذلك ، فلمّا ولّىٰ حنظلةُ أبا الخطّار على الأندلس أَيِس عبدُ الرحمن ممّا كان يرجو فترك الأندلسَ ، وخَرَج بتونُسَ سنة ست وعشرين ومئة في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فدعا الناسَ إلىٰ نفسه فأجابوه فسار بهم إلىٰ القيروان ، فمنع حنظلَةُ أهلَها من قتالِهِ ، وكان حنظلةُ تَقِيّاً لا يَرىٰ القِتَالَ إلاّ لكافرٍ أو خارجيّ ، وخرَج حنظلة إلى الشام سنة سبع وعشرين فبقي بها إلى أن مات[٢] .

---

(١) النجوم الزاهرة: ٢٨٢ـ٢٨٣، وسَرْدَانِية هي ما يعرف الآن باسم سَرْدِينية، وهي جزيرةٌ في البحر المتوسط، وذكر ياقوت أنّ المسلمين كانوا فتحوها وملكوها سنة ٩٢هـ في عسكر موسى بن نصير؛ معجم البلدان (سردانية).

(٢) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٤٤، وتاريخ خليفة: ٥٣٩ و٥٥٣، وأنساب الأشراف ٥ : ١٤٢، وفتوح البلدان ـ للبلاذريّ: ٢٣٣، وتاريخ افتتاح الأندلس: ٤٢ـ٤٤، وفتوح مصر وأخبارها: ٢٢١، وولاة مصر: ١٠٤، وجذوة المقتبس: ٢٠١، وجمهرة أنساب العرب: ٤٥٧، والبيان المغرب ١ : ٥٨ـ٦٢، وتاريخ=

وفي خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ـ١٢٦هـ) نجد أنّ خالد بن عثمان بن سعيد بن مالك بن بحدل الكلبي كان على شُرَط الوليد ، وكان من قبلُ على شُرَط هشام(١) ، وكان على شُرَطِهِ أيضاً عبد الرحمن بن حَنْبَل ـ أو جَمِيل ـ الكلبي ، ثم عَزَله ، ثم جَعَلَهُ على الخاتم والخزائن وبيوت الأموال مع الشُّرَط(٢) ؛ وكان من أهمّ الأحداث خروج يزيد بن الوليد بن عبد الملك عليه حتّى قُتِل ، إذ يذكر المؤرّخونَ ورواةُ الأخبار أنّ الوليدَ كان صاحب خلاعَةٍ ومجانةٍ واستخفاف بأمر دينه قبلَ الخلافة ، فلمّا وَلي لم يزدد إلاّ تمادياً ، فكان ذلك من أسباب الخروج عليه وقَتْلِهِ ؛ وقال ابنُ خلدون : « وكثيرٌ من الناس نَفَوْا ذلك عنه وقالوا : إنها من شَناعات الأعداء ألصقوها به »(٣) ، والذي ظهر لي ممّا روىٰ الطبريُّ وغيرُه أنّ هذا الأمر مُبَالغٌ فيه ، وأنّ ما رُوِي عنه فيه افتراءٌ واختلاق ، وأنّ أسباباً ثلاثة غير هذه أدّت إلى قتله ، أولها : أنَّه أفسد على نفسِه أبناءَ عَمَّيْهِ هشام والوليد ابنَيْ عبدِ الملك ، وكان عمُّه هشام مِن قبلُ ضَيَّقَ عليه وأساء مُعَامَلَتَهُ ليتخلّىٰ عن ولايةِ العهد ـ وكان أبوه يزيد بن عبد الملك قد أَخَذَ المواثيقَ والعهود على أخيه هشام بن عبد الملك على إنفاذها ـ فلم يتخلَّ الوليدُ عنها ووقعَتْ بينهما وَحْشَةٌ عظيمةٌ ، فلمّا وَلِيَ الوليدُ كالَ أبناءَ عمّه بالصّاعِ نفسه فأفسدهم عليه ، فَرَمَوْهُ بالكُفْرِ والفُسُوق وغِشْيَانِ أمّهات أولاد أبيه وغير ذلك ، وكان أشدَّهم قولاً فيه يزيدُ بن الوليد بن عبد الملك وكان يُظهِرُ النُّسْكَ ، فمالَ النّاسُ إلى قوله ، فهذا سببٌ ؛ والسبب الثاني : هو أنّ هشاماً كان قد نَفىٰ القَدَرِيّة إلى دَهْلَك مدّة خلافتِهِ ، فلمّا وَلِيَ الوليد كُلّم في شأنهم

= إفريقية والمغرب : ٧٨ـ٧٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ١٩٣ـ١٩٤ و٢٧٢ـ٢٧٣ و٣١١ـ٣١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨١ـ٢٨٢ ، وصبح الأعشى ٥ : ١١٨ـ١١٩ ، وانظر أيضاً ترجمة أبي الخطّار في الديوان ، ولا سيما التعليق في الحاشية (١) ، ص : ٥٠٦ ؛ على أنَّ خليفةَ بنَ خياط تفرّد بأنّ حنظلة لم يزل بإفريقية إلى سنة تسع وعشرين ومئة ؛ والأحداث تؤكّد أنّه خرج إلى الشام سنة سبع وعشرين ومئة .

(١) انظر المحبّر : ٣٧٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٤٨ـ٢٤٩ ، وتاريخ دمشق ٥ : ٥٠٨ .

(٢) انظر تاريخ خليفة : ٥٥٥ ، وتاريخ دمشق ٩ : ٨٩٥ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣ : ١٣٢ .

فأبىٰ ، وقال : وَاللهِ ما عَمِلَ هشامٌ عَمَلاً أرْجىٰ له عندي أن تنالَهُ المغفرة به من قَتْلِهِ القَدَرِيّة وتسييره إيّاهم ؛ وكان يزيدُ بنُ الوليد قَدَرِيّاً ، فمِنْ ثَمَّ أَرَىٰ أنّه كان أشدَّ الناس قولاً فيه ، وكان كثيرٌ ممّن قام على الوليد من قَدَرِيّة دمشق ومنهم رجالٌ من بني كلب كما سنرىٰ ؛ والسبب الثالث : أنّ الوليدَ أفْسَدَ على نفسه اليَمَنيّة ـ وكان كثيرٌ من كلب في زمنه قد انتسبوا في اليمن ـ وهم أكثرُ جُنْدِ الشام ، وذلك عندما سَلَّم خالدَ بن عبدِ الله القَسْرِيّ البَجَليّ رئيس اليمانية في وقته إلى يوسف بن عُمَرَ وَالي العراق ، وكان الوليدُ أراد أَنْ يُبايعَ من بعدِه لوَلَدَيْهِ فأبىٰ خالدٌ ذلك لِصِغَرِهما ، فاحتملها الوليدُ عليه ، وجاء خالداً رجالٌ من أهل دمشق من قضاعة واليمانية ـ وفيهم من كان قدريّاً مثل منصور بن جمهور الكلبي ـ وقد أجمعوا علىٰ قَتْلِ الوليد ، فدعوه إلىٰ أمرهم فلم يُجِبْهم وأعطاهم العهد بألاّ يَذْكُرَهم ، وأراد الوليدُ الحجَّ فخاف خالدٌ أن يَفْتِكوا به في الطريق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخِّرِ الحجَّ العامَ فقال : ولِمَ؟ وسأله عمّنْ يخشىٰ عليه ، فلم يُخبره ، فأمر بحبسه ثم سلّمه إلىٰ يوسف بن عُمَرَ فعذّبه حتى ماتَ تحت العذاب ؛ وزيّف بعضُ شعرائهم قصيدةً على لسان الوليد فيها توبيخٌ لهم بسبب تركهم نصرةَ خالدٍ ، فازداد حَنَق اليمانية عليه ؛ فاجتمع الغَاضبونَ عليه من بني أميّة والقدريّة واليمانية فساروا إليه وقتلوه[١] .

وقد كان لبني كلبٍ أثرٌ كبيرٌ في تلك الأحداث ، فكان منهم مَنْ قام مع يزيد بن الوليد ومنهم مَنْ كان مع الوليد بن يزيد ، ومنهم منِ اعْتَزَل الأمرَ ولحق بالبِقاع ؛ فممّن كان مع يزيد منصورُ بنُ جُمهور بن حصن من بني العبيد بن عامر ، وابنُ عمّه حِبال بن عمرو ، ويعقوب بن عبد الرحمٰن بن سُلَيم ، والأصبَغُ الشاعر بن ذُؤالة ، وطُفَيْل بن حارثة ، وهم ممّن أجمعوا علىٰ قَتْل الوَليد وأتَوا خالدَ بن عبد الله القسري

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٣١ـ٢٥٤ ، والأخبار الطوال : ٣٤٣ـ٣٥٠ ، والتنبيه والإشراف : ٢٨٠ـ٢٨١ ، والعيون والحدائق : ١٣٠ـ١٣١ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٠ـ٢٨٧ ، وتاريخ دمشق ٣ : ٦٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ـ١٣ ، وتاريخ أبي الفداء ١/ ٢ : ١٢٥ـ١٢٧ وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٢٩ـ١٣٦ .

فدعوه إلىٰ أمرهم فلم يُجبْهم ، وكانوا تسعة رجالٍ خمسةٌ منهم من كلب[١] .

وكان منصورُ بنُ جمهور أعرابيّاً جافياً ، قَدَريّاً من الغَيْلانية ، ولم يكن من أهل الدِّين وإنّما صارَ مع يزيد لرأيهِ في الغيلانية ،٠وحميّةً لقتل يوسف بن عمر خالداً القسريّ ، فشَهِدَ لذلك قتلَ الوليد ، وكان من رؤساء الناس يومذاك ، وعقد له يزيدُ ابنُ الوليد على جماعة ممّن انتدب إلى قتال الوليد ، كما عقد ليَعْقوب بن عبد الرحمن بن سُلَيم الكلبي على جماعة ، ولِهَرِمِ بنِ عبد الله بن دِحْيَة الكلبي علىٰ جماعة ، وقائدُ جيش يزيد يومذاك عبدُ العزيز بن الحَجَّاج بن عبد الملك ، فعَلِم عبدُ العزيز أنّ العبّاسَ بنَ الوليد بن عبد الملك أخا يزيد بن الوليد سائرٌ إلىٰ الوليد لينصُرَه على أخيه ـ وكان العبّاس تَقِيّاً مُطاعاً ـ فأرسلَ منصوراً إليه فأخذه قهراً ونصبوا له رايةً ، فانخدع أصحابُ الوليد وتفرّقوا عنه ، وكان منصورٌ علىٰ مقدّمة جيش يزيد ، ثم كان في جُمْلَة مَنْ دَخَلوا على الوليد وقتلوه ؛ وقد سكن منصورٌ المِزّة قربَ دمشق[٢] ؛ كما أنَّ ابنَ عمّه حِبالَ بنَ عَمْرو ، كان ممّن دخلوا علىٰ الوليد وقتلوه ، وهو أيضاً ممّن سكن المِزّة من بني كلب[٣] .

وكان معاويةُ بن مَصاد بن زهير الكلبي سيّدَ أهل المِزّة ، فبايع معظمُ أهلِ المزّة ليزيد بن الوليد حين دعا لنفسه سِرّاً ، ولم يبايع معاويةُ بنُ مَصاد ، فمضىٰ إليه يزيد مَاشِياً في ليلةٍ ماطرةٍ حتى دخل عليه ، فما زال به حتى بايَعَهُ ، وشَهِد أَخَواهُ عبدُ الرحمٰن وهشامٌ ابنا مَصَاد قتل الوليد ، وكان عبدُ الرحمٰن من قادةِ الناس يومذاك[٤] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري : ٧ : ٢٣٣ ، والعيون والحدائق : ١٣٢ ، وتاريخ دمشق ٣ : ٦٢ و٨ : ٥١٢ والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨١ ، وترجمة الأصبغ بن ذؤالة في الديوان .

(٢) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٦٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ و٢٤٥ـ٢٤٦ ، والاشتقاق : ٥٤١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٦١ ، وتاريخ دمشق ١٧ : ٢١٤ـ٢١٥ ، ومختصره / ٢٥ : ٢٥٤ و٢٨ : ٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٦ـ٢٨٧ ، وتاريخ أبي الفداء ١ / ٢ : ١٢٦ ، وتاريخ الإسلام (وفيات : ١٢١ـ١٤٠هـ) : ٥٤٣ .

(٣) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٦ ، وتاريخ دمشق ٤ : ١٥١ ، وفيه (خَبَّال) بدل (حِبال) .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٠ـ٢٤٢ ، وتاريخ دمشق ١٠ : ٢٠١ و١٦ : ٥٢٤ و٧٨٠ ، ومختصره/ ١٥ : ٤٨ و٢٤ : ٣١٨ و٢٥ : ١٠٧ و٢٧ : ١١١ .

وممّن خرج من بني كلب مع يزيد علىٰ الوليد : دُكَيْن بن شَمّاخ الكلبيّ وعمران بن هلباء الكلبيّ الشاعر ، وأخوه بِشر بن هلباء ، وهم من بني عامر الأجدار[١] ، وذو الإصبع حَفْص بن حَبِيب العُلَيْميّ الشّاعر[٢] ، ومحمّد بن سعيد بن مُطْرِف[٣] ، وجَناح بن نُعَيْم[٤] ، وزياد بن الحصين فقُتِل يومذاك[٥] ، وزياد بن عبد الله ، من بني عدي بن جناب[٦] ، وحُرَيث بن أبي الجهم بن عِصَام من أهل المِزّة[٧] ، وأَحنف الكلبي[٨] ، وبشر بن سيّار ـ أو ابن شيبان ـ الكلبي ، مولاهم[٩] ، وثابت بن هشام الكلبي من أهل المزّة[١٠] ، وموسى بن عاصم الكلبي ثمّ الرِّقاشيّ[١١] ، والوليد بن مَصاد ويزيد بن العَقّار كانا ممّن وَلِيَ قَتْل الوليد[١٢] ، وثلاثة رجال ذُكِرَ أنّهم كانوا من القَدَرِيّة غير منصور بن جمهور ، وهم : صالح بن الأَصْهَب[١٣] والوليد بن عليّ[١٤] ، ويزيد بن زياد[١٥] ، وقد ذكر المسعوديُّ أنَّ خُروج يزيد بن الوليد كان « مع شائعةٍ من المعتزلةِ وغيرهم[١٦] » أي من القَدَريّة .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٥ و٢٥١ ، وترجمة عمران في الديوان .
(٢) انظر ترجمته في الديوان .
(٣) تاريخ دمشق ١٥ : ٣٧٠ .
(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٥ ، وتاريخ دمشق ١٥ : ٣٧٠ .
(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٤ ، وتاريخ دمشق ٦ : ٤٧١ .
(٦) تاريخ دمشق ٦ : ٤٧٧ .
(٧) تاريخ دمشق ٤ : ٣٢٥ .
(٨) مختصر تاريخ دمشق ٤ : ٢٠٧ .
(٩) تاريخ الطبري ٧ : ٢٥٢ ، وتاريخ دمشق ٣ : ٣٤١ .
(١٠) تاريخ دمشق ٣ : ٥٨١ .
(١١) تاريخ دمشق ١٧ : ٢٨٩ .
(١٢) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠١ ، وتاريخ دمشق ١٧ : ٩٠٨ ، و١٨ : ٣٤٩ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٢٢ ، والبداية والنّهاية ١٠ : ٢٤ .
(١٣) تاريخ دمشق ٨ : ١٨٥ .
(١٤) تاريخ دمشق ١٧ : ٨٨٥ .
(١٥) تاريخ دمشق ١٨ : ٢٨٥ .
(١٦) مروج الذهب ٣ : ٢٣٤ .

وممّن كان مع الوليد : الأبرشُ سعيدُ بنُ الوليد الكلبي الشاعر ، وقد أشار عليه بالذهاب إلى تَدْمُر لأنّ قومَهُ بها يمنعونَه ، فقال : ما أرىٰ أن نأتي تدمر وأهلها بنو عَامرٍ وهم الذين خرجوا عليّ ، أي بنو عامر الأكبرِ[١] . وكان الوليدُ بن خالد بن الوليد ابنُ أخي الأبرش على مَيْسَرَةِ الوليد بن يزيد في بني عامر الأكبر ، وكانت بنو عامر على ميمنة جيش يزيد ، فلم يُقَدِّم رايَتَهُ للقتال ، وبعثه الوليد بن يزيد إلى عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك قائد جيش يزيد « بأنْ يعطيَهُ خمسين ألف دينار ويجعل له ولاية حمص ما بقي ، ويؤمّنه على كل ما حَدَثَ ، على أن ينصرفَ ويكفّ ، فأبىٰ ولم يُجبْهُ ، فقال له الوليد [بن يزيد] : ارجع إليه فعاوِدْهُ أيضاً ؛ فأتاه الوليد [بن خالد] فلم يُجبْهُ إلى شيء ، فانصرف الوليد [بن خالد] حتى إذا كان غيرَ بعيد عَطَفَ دابّته فدنا من عبد العزيز فقال له : أتجعل لي خمسة آلاف وللأبرش مثلها وأن أكونَ كأخصّ رجلٍ من قومي منزلةً ، وآتيك فأدخل معك فيما دخلْتَ فيه؟ فقال له عبد العزيز : على أن تحملَ الساعةَ على أصحاب الوليد ، ففعل »[٢] !

وممّن كان مع الوليد أيضاً : عثمان بن الحرّ الكلبيّ من بني عبد الله ، أشار عليه باللّحاق بالقَرْيَتَيْنِ من قُرى حمص[٣] ؛ وعمرو بن مُرَّة الكلبي أحد بني ماوِيّة قدم على الوليد يُخبره بتوجّه جيش يزيد إليه[٤] ؛ والضَّحَّاك بن أيمن الكلبي من بني عوف أرسَلَهُ إلىٰ بَعْضِ الأَمْدادِ يستعجله[٥] ؛ وامرؤ القيس بن حارثة أخو الطّفيل بن حارثة ، كان على إِحدىٰ مَجْنَبَتَي الوَلِيد ، فلم يَنْصَحْ له ، لأنَّ أخاه الطّفيل كان في عسكر يزيد[٦] ، وخالد بن عثمان الذي كان على شُرَطِهِ ، وهو الذي عَبَّأَ عساكِرَ

---

(١) انظر ترجمة الأبرش في الديوان ، وثمة مصادره .

(٢) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٩ ، وانظر تاريخ دمشق ١٧ : ٨٢٠ و١٨ : ٢٧١ وفي الموضع الأخير أن يزيد بن خالد بن الوليد الكلبي كان على ميسرة الوليد .

(٣) تاريخ دمشق ١١ : ٧٥ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٨ ، وتاريخ دمشق ١٣ : ٦١٣ .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٧ـ٢٤٨ ، وتاريخ دمشق ٨ : ٤٠٠ .

(٦) تاريخ دمشق ٣ : ٩١ .

الوليد حين أقبل إليهم جيش يزيد[1] .

وتخلَّف بعضُ أهل المزّة عن القيام بأمر يزيد بن الوليد ، ولحقوا بالبقاع ، فلمّا ظهر عادوا إلى المزّة ، ومنهم : حنظلة بن كثير العَبْدُوَدِّي[2] ، وسلمة بن وبرة العَبْدُوَدِّي[3] ، والطُّفَيْل بن عُمَيْر[4] .

وفي خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك (من جمادى الآخرة ـ إلى ذي الحجة من سنة ١٢٦هـ قريباً من ستة أشهر) نجده يُرْسِل يعقوب بن عبد الرحمٰن بن سُلَيْم الكلبيّ إلى مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم وهو عاملٌ على أرمينية ليأخذ له بيعته فماتَ يزيد قبلَ أن يبايع له[5] ، وقيل : إنه بايع له[6] ؛ وكان على شُرَطِ يزيد وخاتمه عبدُ الرحمٰن بن حَنْبَل ـ أو جَميل ـ الكلبي[7] ؛ وذكر الطبريُّ أن الوليدَ بن مَصَاد ويَزيدَ بن العَقَّار الكلبيين كان أحدهما علىٰ حَرَسِ يزيدَ والآخر على شُرَطِهِ[8] .

ووَلّى يزيدُ منصورَ بن جُمهور الكلبيّ على العراق لِبَلائه في قتل الوليد بن يزيد ولرأيه في القدريّة ، وضم إليه سجستان وخراسان والسِّند ، فولّى منصورٌ أخاه على الرّيّ وخراسان ، فامتنع والي خراسان من تسليمها له ، ووَلّى مُحَمَّدَ بنَ عِرَار الكلبي على السند وسجستان ، ولمحمّد بن عِرار ذكرٌ في خلافة هشام بن عبد الملك ؛ وقيل إنّ منصوراً افتعل عهداً بذلك على لسان يزيد ثم عزله يزيدُ بعد أربعينَ يوماً وولّى عبدَ الله بن عُمَرَ بن عبد العزيز[9] .

---

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٨ـ٢٤٩ .
(٢) تاريخ دمشق ٥ : ٣٧٣ .
(٣) تاريخ دمشق ٧ : ٥١٧ .
(٤) تاريخ دمشق ٨ : ٥٢٠ .
(٥) مختصر تاريخ دمشق ٢٨ : ٢٩ .
(٦) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٩٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٣٩ـ١٤٠ .
(٧) تاريخ خليفة : ٥٦٢ ، وتاريخ دمشق ٩ : ٨٩٥ .
(٨) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠١ .
(٩) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٦٧ ، وتاريخ خليفة : ٥٥٩ـ٥٦٢ ، والأخبار الطوال : ٣٤٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٧٠ـ٢٨٠ ، وتاريخ دمشق ١٠ : ٤٠٢ و١٧ : ٢١٤ـ٢١٥ ، ومختصره/ ٢٥ : ٢٥٤ ، والكامل في=

وعندما مات يزيد بن الوليد **سنة ستّ وعشرين ومئة بُويع لأخيه إبراهيم بن الوليد** ، ولم يتمّ له الأمر ، فقد سار مروانُ بن محمّد إليه من الجزيرة إلى الشام ، فأرسل إليه إبراهيم جيشاً مع سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فالتقوا عند عَيْنِ الجُرّ بالبِقاع ، فهزمهم مروان وجيءَ بالأسرىٰ ، فلم يقتل منهم سوى يزيد بن العقّار والوليدَ بن مَصَاد الكلبيَّيْنِ ، لأنّهما كانا مِمّن سارَ إلى الوليد بن يزيد ووَلِيَ قَتْلَهُ ، ثم سار إلى دمشق فخلع إبراهيمَ وبُويع لمروان[1] .

وكان ممّن انهزم ذلك اليوم : الأصبغُ بن ذُؤالة الكلبيّ الشاعر في جماعة من رؤساء جُنْدِ إبراهيم ، فاتّفقوا على قَتْل الحكم وعثمان ابنَي الوليد بن يزيد ـ وكانا في سجن إبراهيم بدمشق ـ خشية أن يجعل مروانُ الأمر إليهما فيقتُلا كلَّ مَنْ كان له سعيٌ في قتل أبيهما وكان الأصبغ منهم ، ووَلَّوا ذلك الأمرَ يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ ، فقتلهما[2] .

وفي خلافة مروان بن محمد (١٢٧ـ١٣٢هـ) وهو آخر خلفاء بني أمية انتقض عليه أهلُ حمص وسائرُ أهل الشام بعد ثلاثة أشهر من مُنْصَرَفِهِ إلى منزله بحَرّان في الجزيرة ، وكاتَبَ أهلُ حمصَ مَنْ بتدمر من كلب فشخص إليهم الأصبغُ بن ذُؤالة الكلبيّ وبنوه : حمزة وذؤالة وفُرافصة ، وهشام بن مَصاد وطفيل بن حارثة الكلبيّان ، وغيرهم في ألف فارسٍ من فرسانهم فدخلوا حمص ، فجاءَهم مروان وأوقَعَ بهم فقتل عامّتهم ، وأفلت طُفيلُ بن حارثة والأصبغ وابنُه حمزة وأُسِر الآخران فقُتِلا ، ثم سار إلى فلسطين فأقامَ أمرها ، وهزم ثابتَ بنَ نُعَيْم الجذاميّ وقتله ، وكان

= التاريخ ٥ : ٢٩٥ـ٣٠٢، والبداية والنّهاية ١٠ : ١٥ـ١٦، وتاريخ أبي الفداء ١ / ٢ : ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ـ١٤٠) : ٥٤٣، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٣٦ـ١٣٨ و١٧٧ ؛ وقد جاء في تاريخ الطبري ٧ : ٢٧٢ (محمد بن غزّان ـ أو عِزّان ـ الكلبي) بدل (محمد بن عِرار) .

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠١، وتاريخ دمشق ١٧ : ٩٠٨ و١٨ : ٣٤٩، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٢٢، والبداية والنهاية : ١٠ : ٢٤، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٤١ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٠٢، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٤، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٤١ .

ثابتٌ صاحبَ فِتْنَةٍ ، واستقامَتْ له الشام كلُّها ما خلا تدمر ، فسار إليهم ، ونزل القَسْطَلَ بين دمشق وحمص لِيُهَيِّىءَ نفسَهُ ، فكلّمه الأبرشُ الكلبيُّ وغيرُه وسأله أن يُعْذِرَ إليهم فيدعُوَهم إلىٰ طاعتِهِ قبل أن يسير إليهم ، فأجابه ، فوجّه الأبرشُ أخاه عمراً فطردوه ، فسأله الأبرش أن يؤجّلهم وأن يأذنَ له بالتوجّه إليهم ، ففعل ، فأتاهم وكلّمهم وخوّفهم حتى أجابه عامَّتُهم ، وهربَ مَنْ خافَ مروانَ فلحق ببادية كلب ، ومنهم طُفَيْل بن حارثة ، فأمر مروانُ الأبرشَ بهدم حائط المدينة وأن ينصرف إليه بمَنْ معه منهم ، فانصرف ومعه من رؤسائهم الأصبغ بن ذُؤالة وابنه حمزة[١] .

وفي خلافته خرج عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة على عامل العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فكان ممّن بايع له منصورُ بن جُمهور الكلبيّ ، ووقع القتالُ فكان الأصبغُ بنُ ذؤالة على أهل الشام في جيشِ ابنِ عُمَر ، فهزموا أصحابَ ابن معاوية فسار إلى بلادِ فارس ، فتغلب على مناطق منها ومعه مَنْصُور بن جُمهور[٢] .

وكان عبدُ الله بن عُمَر بن عبد العزيز قد امتنع من المبايعة لمروان ، واغتنم الخوارجُ اشتغالَ مروانَ بالشام فخرجوا بالعراق بقيادة سعيد بن بهدَل الخَيْبريّ فمات واسْتَخْلَفَ الضحّاكَ بن قيس الشيباني ، فقاتلهم ابنُ عمر بجيشٍ يقوده أخوه عاصم ، فقتلوه وهزموا جيشَه وفيه منصور بن جمهور الكلبي ، وحاصرَ الخوارجُ الكوفةَ فكان لمنصور ولبني كلب بلاءٌ في قتالهم ، إذ قتل قائداً من قادتهم ، ثم خرج إليهم في ست مئة فارس من كلب فقتل قائداً آخر ، ثم إنه رأى شدّةَ قتالهم ، فأشار على ابن عمر بأن يُعطيَهُم ما يُرضيهم ويجعلَهم بينه وبين مروان ، فيحاربوا مروان ، ففعل ، ثم نجد أن منصوراً صار مع الخوارج ، وانهزم معهم سنة تسعٍ وعشرين ومئة أمامَ

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣١٢ـ٣١٥ ، وتاريخ دمشق ٦ : ١٠٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٥ـ٢٦ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٤١ـ١٤٢ ، وانظر ترجمة الأصبغ بن ذؤالة في الديوان .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٣٠٢ـ٣٠٣ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٣٢٤ـ٣٢٥ و٣٧١ـ٣٧٢ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٤٣ـ١٤٤ ، ١٥١ .

مروان ، وسار إلى السِّنْدِ فتغلّبَ عليها ، وكان معه أخٌ اسمه منظور فخلّفه في المَنْصُورةِ فوثب عليه رفاعةُ بن ثابِتِ بن نُعَيْمٍ الجُذامي فقتله ، وكان منصورٌ قد أكرم رفاعة حين هرب إليه بعدَمَا هَزم مروانُ أباه وقتله في فلسطين ، فرجع منصورٌ إليه وقتله ، ولم يزل منصورٌ مُتَغَلِّباً بالسّند حتى كانَت خلافةُ السفّاحِ العبّاسيّ فبعث إليه جيشاً حاربه ، فانهزم ومات عطشاً في الصّحراء(١) .

ويتبين لنا مما سبق من علاقة كلب ببني أميّة أنهم كانوا من جندهم المخلصين ، إذْ قاموا معهم في جميع حروبهم ضِدّ مُخالفيهم والخارجين عليهم ، وهم الذين أعانوهم وقاموا معهم فثبّتوا الخلافةَ فيهم ، بعدما كادوا يفقدونها أيّام خِلافِ ابن الزُّبير ، وقد وَلِيَ رجالٌ كُثُرٌ من بني كلب الأعمالَ على الولايات الكبيرة لبني أمية ، كما وَلِي رجالٌ آخرون أموراً للخلفاء مِنْ شُرَطٍ وحَرَسٍ وخاتمٍ ونَحْوِه ، وكانت لهم مشاركةٌ في فتح البلدان ، وحينما كانت تقع خلافات بين بني أمية أنفسهم كان لبني كلب أثر واضحٌ في النّهوض مع هذا أو ذاك من الأمويّين .

وقد لاحظنا أنّ بعض بني كلب كان لهم مشاركةٌ في مواقفِ المُخالفين لبني أمية، ولكن أولئك المشاركين كانوا قلّةً منهم ، في حين أنَّ عامّة القوم مع بني أميّة .

وبقي بنو كلب علىٰ ولائهم لبني أميّة بعدَ انتقال الخلافة إلى بني العبّاس ، ومن أَهَمِّ ما يَدُلّ على ذلك أنه لمّا ظهر أبو العَمَيْطَرِ السُّفيانيُّ عليُّ بنُ عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة خمس وتسعين ومئة في دمشق ، وكان رجلاً من أهل العلم والرّواية ، دعا إلى مبايعته بالخلافة فبايعوه ، فطردَ عاملها سليمانَ بن منصور ، وكان أكثرُ أصحابه من بني كلب(٢) .

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٦٧، وتاريخ الطبري ٧ : ٣١٦-٣٢٩ و٣٤٥ و٣٥١-٣٥٢ و٣٥٨-٣٦٠ و٤٦٤ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٨ ، وتاريخ دمشق ١٧ : ٢١٤-٢١٥ و١٧ : ٢٤١ ، ومختصره/ ٢٥ : ٢٥٤ والكامل في التاريخ ٥ : ٤٤٥ و٤٥٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦-٢٧ ، والبيان المغرب ١ : ٦٥ وتاريخ الإسلام (حوادث ١٢١-١٤٠) : ٥٤٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ١٤٣ و٢٠٦-٢٠٧ و٢٢٥ و٢٥٢ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٨ : ٤١٥ ، والكامل في التاريخ ٦ : ٢٤٩-٢٥٠ ، وتاريخ دمشق : ١٢ : ٤٤٤ ، وتاريخ ابن خلدون ٣ : ٢٩٤ .

رابعاً ـ عَقِيْدَتُهُمْ

إنّ ما اجتمع لديّ من الأخبار المتعلّقة بعقيدة بني كلب يدلّ علىٰ أنّ القوم لم يكونوا مختلِفين في عقيدتهم اختلافاً كبيراً عن سائرِ العربِ لا في الجاهلية ولا في الإسلام ؛ ذلك أنّ دَهْماءَ العربِ كانت تُقِرُّ بالخالقِ ، وتؤمنُ بأنّ الخلقَ بعد الموتِ مبعوثون علىٰ طريقةٍ ما ، ولكنَّهم كانوا مُشركينَ باللهِ ، فعبدوا الأصنامَ إيماناً منهم بأنّها تقرّبهم إلىٰ الله تعالىٰ وتشفع لهم عنده ، وقد حكىٰ اللهُ تعالىٰ قولهم فقال : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] فهم يؤمنون بأنّ الله تعالىٰ هو ربُّ الأربابِ ، ولكنّ أصنامهم تقرّبهم إليه ، وكانوا يزعُمون مَعَ إشراكهم أنهم حُنَفاءُ علىٰ دين أبيهم إبراهيم عليه السّلام ، ولا ريبَ أنّ دين إبراهيم لم تذهب تعاليمُه كلُّها ، وبقيت بقيّةٌ من تعاليمه فيهم ، نحو الاختتان ، والاغتسال من الجنابة ، وتعظيم الأشهُر الحُرُم ، وتعظيم البيت الحرام والحجّ إليه وأداء مناسكه من تلبيةٍ وهَدْيٍ ووقوف علىٰ عرفة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه من الإشراك ، وتحريفهم في بعض تلك المناسك ، إلىٰ غير ذلك من أمور . وكان للعرب اتصالٌ باليهوديّة والصّابئة والنّصْرانيّة والمجوسيّة ، وقد أشارَ القرآنُ الكريم إلىٰ هٰذه الأديان وإلىٰ غيرها من أصناف المعتقداتِ في عدد من الآيات ، ومِن ثَمَّ كان لهذه المعتقدات أثرٌ في العرب ، ولا سيّما النّصرانيّة واليهوديّة اللّتَيْنِ دخلتا في بعض العرب ؛ وقد زعم بعضُهم أنّ النصرانية كانت غالبةً علىٰ بني

---

(١) الزُّمَر : ٣٩/ ٣ .

(٢) يونس : ١٠/ ١٨ .

كلب ، وهو ما سنرىٰ خلافَه[1] .

وعندما بعث اللهُ تعالىٰ رسولَه محمّداً بالهدىٰ ودين الحقّ تنكّر قومُه لما جاءَ به وحاربوه ، والعربُ تبعٌ لهم في هٰذا الأمر لأنّهم أهلُ البيت الحرام ، ولم يؤمن به إلاّ فئةٌ قليلة ، فما زال يدعو ويجاهد صابراً حتى دخلوا في دين الله أفواجاً ، وجاءته وفودُهم في السّنة التّاسعة للهجرة تعلن الإسلام ، وما إن ضَرَب الإسلام بِجِرانِهِ ورَسَتْ أطوادُه حتى اختار اللهُ تعالىٰ لرسولِهِ ما عندَه في السّنة الحادية عشرة ، فارتدّ كثيرٌ من العرب ، واضطرب حبلُ الدّين وماجَ أهلُه ، فجمعهم اللهُ علىٰ أبي بكرٍ ، فوقف من المرتدّين موقفَة المشهور ، غيرَ وانٍ ولا متهيّبٍ ، فلَمَّ الشعثَ ، وأقام الأَوَد ؛ ممّا لا يخفىٰ أمرُهُ .

وقد كان بنو كلب في ذلك كلِّه كغيرهم من العرب لا يختلفون عنهم إلاّ قليلاً ما بسبب تنصُّر بعض بطونهم وبعض الأفراد من بطونٍ أخرى .

أ ـ وَثَنِيَّتُهُمْ :

يتبيّن من أخبارِ كلبٍ أنّه كان لهم في الجاهلية صنمٌ بدُومَةِ الجندل وهو (وَدّ)[2] ، فكانوا يعبُدونَهُ ويعظّمونه إلىٰ أن هَدَمَهُ خالدُ بنُ الوليد فجعله جُذاذاً ؛ فقد ذكر ابنُ الكلبي أنّ عَمْرَو بن لُحَيّ ـ واسمُه رَبيعة ـ بن حارثة بن عمرو بن عامر

---

(١) انظر تفصيلاً للحديث عن عقائد العرب في ديوان أميّة بن أَبي الصلت: ١١ـ٣١ وعنه وعن مصادره أَخَذْتُ هذه النبذة.

(٢) انظر: الأصنام: ١٠، ٥٦، والمنمَّق: ٣٢٧، والسّيرة لابن هشام ١ : ٨٠، وتهذيب اللغة ، وتاريخ اليعقوبيّ ١ : ٢٥٥ والملل والنحل ٢ : ٢٤٧، والروض الأُنُف ١ : ١٠٣، وأسد الغابة ١ : ٣١٢، ومعجم البلدان (ود) ، والبداية والنهاية ٢ : ١٧٧ ، والسّيرة لابن كثير ١ : ٦٨، وتاريخ أبي الفداء ١ : ١٢٣ ، وبصائر ذوي التمييز ٥ : ١٨٥ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٤٥٢، والإصابة ١ : ٤٤٤ وخزانة الأدب ٧: ٢٢٢، واللّسان والقاموس والتاج (ودد)؛ وجاء في تاريخ اليعقوبي : «فكان لكلب. . وَدٌّ منصوباً بدومة الجندل بجُرْش، وكان. . .» وفيه سَقْطٌ مُوْهِمٌ، والصواب أنه (وكان لمذحج وأهل جُرَش: يغوث، اتخذوهُ بجُرَش)، وجُرَش من مخاليف اليمن؛ وانظر الأصنام: ١٠، والسيرة لابن هشام ١ : ٨١، وخزانة الأدب ٧ : ٢٢٢ .

الأزديّ أبا خُزاعة كان قد تغلّب علىٰ مكّةَ وأخرج منها جُرْهُماً وتولّىٰ سِدانَتَها ثمّ إنّه جاء بالأصنام ودعا العربَ إلىٰ عبادَتِها ، وروَىٰ عن مجيئه بالأصنام رِوَايَتَيْنِ ، فذكر في الأولىٰ أنّه مَرِضَ مرضاً شديداً ، فجاء حَمَّةً بالبَلْقاءِ من أرض الشّامِ فاستحمّ بها فَبَرَأَ ، ووجد أهلَها يعبُدون الأصنامَ ، قال : « فقال ما هذه ؟ فقالوا : نستسقي بها المطرَ ونستنصر بها علىٰ العدوّ ، فسألهم أَنْ يُعطوه منها ، ففعلوا ، فقدم بها مكةَ ونَصَبَها حولَ الكعبة »[١] ، ثم ذكر دعوةَ عمرٍو العَرَبَ لعبادتها واستجابَتهم ، قال : « واتّخذت كلبٌ وَدّاً بدُومة الجَنْدَل »[٢] ، وذكر ابن هشام نحواً من هٰذا عن بعض أهل العلم[٣] ، وكذلك اليعقوبي[٤] ؛ وذكر ابن الكلبيّ في الرواية الثانية أنّ عَمْراً كان كاهناً وكان له رَئِيٌّ من الجنّ فكلّمَهُ الرَّئيُّ ، ودلّه علىٰ الأصنام عندَ ضَفِّ جُدَّة ، وأَمَرَهُ أن يدعُوَ العربَ إلىٰ عبادتها ، فأتىٰ عمرٌو ساحلَ جُدَّةَ فوجد وَدّاً وسُواعاً ويغوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً ، وهي من أصنام قوم نُوحٍ ، فكشف عمرٌو الرَّمْلَ عنها ، وجاء بها إلىٰ مكّة ، فلمّا كان موسمُ الحجّ دعا العربَ إلىٰ عبادتها ، قال : « فأجابه عوف [ابن كنانة بن عوف] بنِ عُذْرَةَ بنِ زَيْدِ اللاّتِ بنِ رُفَيْدَة بنِ ثَوْرِ بنِ كلبِ بن وبرة بن تغلب بن حُلوانَ بنِ عمرانَ بنِ الحافِ بن قُضاعة ، فدفع إليه وَدّاً ، فحمله إلىٰ وادي القُرىٰ فأقرّه بدُومة الجندل ، وسَمَّىٰ ابنَهُ عبدَ ودّ ، فهو أوّل من سُمِّي به ، وهو أوّل من سَمَّىٰ عبدَ ودّ ، ثم سمَّت العرب به ؛ وجَعَل عوفٌ ابنَهُ عامراً الذي يُقال له عامر الأجدار سادناً له ، فلم تزل بنوه يَسْدِنُونه حتى جاء الله بالإسلام »[٥] ، وذكر ابن حبيب في المنمّق نحواً من هذه الرواية[٦] ، وذكرها ياقوت نقلاً عن ابن الكلبيّ[٧] ؛

---

(١) الأصنام : ٨ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠ .

(٣) السيرة النبوية ١ : ٧٩ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٥٥ .

(٥) الأصنام : ٥٤ـ٥٦ ، وفيه (عوف بن عذرة بن زيد اللات . . .) والصواب ما أثبتُّه عن النسب الكبير ٢ : ٢٧٥ ، وعن المنمّق : ٣٢٧ .

(٦) المنمّق : ٣٢٧ .

(٧) معجم البلدان (ودّ) .

وقال ابن الكلبيّ أيضاً ، وذكر عوفَ بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت : « وهو أوّل مَنْ ضُرِبَتْ عليه القُبَّةُ ، ودُفِعَ إليه صَنَمُهُم وَدٌّ . . . . . فولَدَ عوفُ بن كنانة بن عوف بن عذرة : عبدَ وَدّ ـ سمّاه بصنمه ـ وعامراً الأجدارَ »[١] ، ثم ساق خبراً في سبب تسميته الأجدار وأنّ ذلك كان وهم مقيمُونَ بتِهامة قبلَ تفرُّقِ ولد مَعَدّ ؛ ونقل البكريّ عن ابن الكلبيّ عن الشرقيّ بن القُطاميّ قولَه : « فكان أوَّل كلبيٍّ جَمَعَ كلباً وضُرِبَتْ عليه القُبّة : عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفَيْدَةَ بنِ ثور بن كلب ، ودُفِعَ إليه وَدّ ؛ ثمّ ضُرِبَتْ من بعدِه علىٰ ابنه عبدِ وَدّ بن عوف ، ودُفِع الصَّنَمُ إلىٰ أخيه عامرٍ الأجدار بن عوف . . . »[٢] ؛ وفي الخبر الذي ذكره ابن الكلبي عن سبب تسمية عامرٍ بالأجدار ، وفيما نقل البكريُّ عنه ما يُثيرُ الشكّ فيما ذكره من قبلُ أنَّ عوفاً حمل وَدّاً إلىٰ وادي القرىٰ فأقرّه بدُومةِ الجندل ، ذلك أنّ قومَهُ كانوا مُقيمينَ يوم أخذ الصَّنَمَ بتِهامَةَ وهو رئيسُهم ، فينبغي أن يكونَ قد أخذ الصَّنَم إلىٰ ديار قومِه بتهامَة لا إلىٰ دُومة الجندل التي لم يكن القوم انتقلوا إليها بعد ؛ فإمّا أن يكون ابنُ الكلبيّ واهماً فيما قال عن حملِ عوفٍ ودّاً إلىٰ دومة الجندل غيرَ منتبهٍ علىٰ أنّ بني كلب كانوا بتهامة يومَ أَخَذَ عوفٌ ودّاً ، وإمّا أن يكون التحريف وقع في كتابه فتابَعَهُ الآخرون وأنّ الصّواب : (فَحُمِلَ إلىٰ وادي القرىٰ ، فأُقِرّ بدومة الجندل) أي حُمِلَ فيما بعدُ عندما أقام بنو كلب بدُومة[٣] .

وثمّ أمرٌ أورده ابن حبيب في (المحبّر) عن سَدَانةِ وَدّ ، يخالف فيه ابنَ الكلبيّ ، وهو لا يصحّ ، فقد قال : « وكان وَدّ لبني كلب ، وكان مَوْضِعُهُ بدومة الجندل ، وكان سَدَنَتُهُ بني الفَرافِصَة بن الأحوص من كلب »[٤] ؛ إذ كان الفَرافصةُ رجلاً نصرانيّاً وأدرك الإسلامَ ولم يُسْلِم ، وأسلمتْ ابنتُه نائلةُ الشاعرة ، وأخوها

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٧٥ .

(٢) معجم ما استعجم : ٥٠ـ٥١ (المقدّمة) .

(٣) انظر خبر انتقال كلب إلىٰ دومة في رسم (دومة الجندل) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٤) المحبر : ٣١٦ .

ضبٌّ[1] ؛ وقد شكَّ المستشرق (ولهاوزن) من قبلُ فيما قال ابنُ حبيب للسّبب نفسه[2] .

وقد وصل إلينا وَصْفُ وَدٍّ عَمَّن رآهُ ، إذ روىٰ ابنُ الكلبي عن أبيه قال : « فحدّثني مالكُ بنُ حارثةَ الأجداريُّ أنَّهُ رآهُ ، يعني وَدّاً ، قال : وكان أبي يبعثُني باللَّبَنِ إليه ، فيقول : اسقِهِ إلٰهكَ ؛ قال : فأشْرَبُهُ ؛ قال : ثمّ رأيتُ خالد بن الوليد بعدُ كَسَرَهُ فجعلَهُ جُذاذاً »[3] فذكرَ خبراً لخالدٍ في كسرِ وَدّ ، ثم قالَ الكلبيُّ : « فقلتُ لمالك بن حارثة : صِفْ لي وَدّاً حتى كأنّي أنظر إليه ؛ قال : كان تمثالَ رجلٍ كأعظمِ ما يكونُ مِنَ الرّجال ، قد ذُبِرَ عليه حُلَّتانِ ، مُتَّزِرٌ بحُلّةٍ ، مُرْتدٍ بأُخرىٰ ، عليه سيفٌ قد تقلَّده ، وقد تنكّبَ قوساً ، وبين يَدَيْهِ حَرْبَةٌ فيها لِوَاءٌ ، ووَفْضَةٌ ـ أي جَعْبَةٌ ـ فيها نَبْلٌ »[4] . وقال ابنُ الأثير وابن حَجَر : « روىٰ الشّرقيُّ بنُ القُطاميّ الكلبيّ ، عن زهير بن منظور الكلبي ، عن جاريةَ بنِ أصرم الأجداريّ ، قال : رأيتُ وَدّاً في الجاهلية بدومة الجندل في صورة رجل »[5] . ونقل الأبشيهيّ عن الواقدي قولَه : « كان وَدٌّ علىٰ صورةِ رَجُلٍ ، وسُواعُ علىٰ صورةِ امرأةٍ ، ويَغوثُ علىٰ صورة أَسَدٍ . . . »[6] .

وقد وصل إلينا عدد من الدلائل علىٰ تعظيم كلب لصنمهم وَدّ ، فمن ذلك ما جاءَ في خَبَرِ المُنافَرَةِ بين خالد بن أرطأة الكلبي وبين جرير بن عبد الله البَجَليّ وسبقت الإشارة إلىٰ هذه المنافرة من قبلُ[7] ، إذ كان ممّا تحاور به الرّجُلان بعدما اتَّفقا علىٰ الرّهن أن قال خالدٌ لجرير : « مَنْ لي بالوَفاءِ ؟ قال كَفِيلي اللاّتُ والعزّىٰ

(١) انظر ترجمة نائلة في الديوان .
(٢) انظر المفصَّل ـ لجواد علي ٦ : ٢٥٥ـ٢٥٦ .
(٣) الأصنام : ٥٥ .
(٤) المصدر نفسه : ٥٦ ، وعنه في معجم البلدان (وَدّ) ، وذُبِرَ : أي نُقِشَ نقشاً مُنَمْنَماً .
(٥) أسد الغابة ١ : ٣١٢ ، والإصابة ١ : ٤٤٤ .
(٦) المستطرف ٢ : ٨٩ .
(٧) انظر ، ص : ١٠٨ ـ ١٠٩ .

وإِسافُ ونائلةُ وشمسُ ويعوقُ وذو الخَلَصةِ ونَسْر ، فَمَنْ عليكَ بالوَفاءِ ؟ قال : وَدٌّ ، ومَنَاةُ ، وفَلْسٌ ، ورُضى »[1] فجعل خالدٌ وَدّاً وهٰذه الأصنامَ شاهِداً عليه بالوفاءِ .

ومن تعظيمهم له ما جاءَ في شعرِ زهيرِ بن جَنَاب حين ألقىٰ التحيّةَ علىٰ امرأةٍ ، فجعلها تحيّةَ وَدٍّ ، فقال[2] :

فَحَيَّـــاكِ وَدٌّ زَوِّدينـــا تحيَّـــةً لعلَّ بها عانٍ من الكَبْلِ يُطْلَقُ

ومنه تسمية بعض أبنائهم باسم (عبد وَدّ) ، مثل : عَبْد وَدّ بن عوف بن كنانة الذي دُفِعَ الصّنم إلىٰ أبيه فسمّاه به ، وقد سبق قول ابن الكلبيّ إنّه أوّل من سُمّيَ بهذا الاسم ، وعبدُ وَدّ بن الحارث بن كعب بن الوِكاء الكلبي والِدُ الشّاعر عمرِو بن عبد ود[3] ؛ ولم أقف إلاّ علىٰ هذين الرَّجُلين ممّن سُمِّيَ من بني كلب بهذا الاسم .

ومن ذلك أنّهم عندما بعثَ رسولُ الله خالدَ بنَ الوَليد في السّنة الثامنة للهجرة منصَرَفَهُ من غزوة تبوك حاربوه دفاعاً عنْ إلٰههم هذا ، وقُتِل منهم أُناسٌ ؛ فقد نقل ابنُ الكلبيّ عن أبيه عن مالك بن حارثة الأجداريّ الكلبيّ قولَه عن وَدّ : « ثم رأيتُ خالدَ بنَ الوليد بعدُ كسَرَهُ فجعلَهُ جُذاذاً ، وكان رسولُ الله بعث خالدَ بن الوليد من غزوةِ تَبوك لِهَدْمِه ، فحالَتْ بينه وبين هَدْمِهِ بنو عَبْدِ وَدّ وبنو عامر الأجدار ، فقاتَلَهم حتى قَتَلَهُم ، فهدمَه وكَسَره ؛ وكان فيمن قُتِل يومئذٍ رجلٌ من بني عبد وَدّ يقال له قَطَن بن شُرَيح »[4] ، ثم ذكر أنّه قُتِل يومئذٍ أيضاً حسّان بن مَصَاد السَّكونيّ الكندي ابنُ عَمِّ أُكَيْدِر بن عبد الملك السّكوني صاحبِ حصن دومة الجندل ؛ وذكر في موضعٍ آخرَ أنّ خالداً قتل حين بعثه النبيّ عليه السّلام لكسر وَدٍّ مالكَ بنَ ماطِل بن خيبريّ بن

---

(١) النقائض : ١٤١ ، وفرحة الأديب : ١٠٩ .

(٢) انظر شعره في الديوان .

(٣) انظر ترجمته في الديوان .

(٤) الأصنام : ٥٥ ، وانظر سائر المصادر في ترجمة أمّ قطن في الديوان ، وشعرها ، وانظر أيضاً رسم (دومة الجندل) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

سلمة أحد بني عبد وَدّ بن عوف بن كنانة[1] .

وتحدّث ابنُ حبيب عن السُّنَنِ التي كانت الجاهليّة سنّتها فبقّىٰ الإسلام بعضَها وأسقَطَ بعضَها ، قال : « وكانوا يُلَبُّونَ ، إلاّ أنَّ بعضَهم كان يُشْرِكُ في تلبيتِهِ ، فكانت قريشٌ ـ وكان نُسْكُم لإسافَ ـ تقول :

لَبّيـــــــكَ اللّهـــــــمَّ لَبَّيْـــــــكْ
لبّيــكَ لا شــريــكَ لَــكْ إلاّ شــريــكٌ هُــوَ لَــكْ
تملكُـــــــهُ ومــــــا مَلَـــــكْ

وكان لكلّ قبيلةٍ بعدُ تلبيةٌ . . . . . وكانت تلبيةُ مَنْ نَسَكَ لوَدٍّ :

لبَّيْـــــكَ اللّهُـــــمَّ لبّيْـــــكَ
لَبّيْـــــكَ معـــــذرةً إليـــــكْ »[2]

ولم يكن بنو كلب أوّل من عَبَد (وَدّاً) ، فقد كان هذا الصَّنَم من أصنام قوم نوح من قبلُ ، قال تعالىٰ علىٰ لسان نوح عليه السّلام : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[3] ؛ وتَدُلُّ النُّقوشُ والكتاباتُ القديمة علىٰ أنّ هذا الصّنم كان مِن آلهةِ العرب من أقدم الأزمان ، فهو من أصنام سَبَأ والمَعِينيّينَ ومملكة حضرموت ومملكة قُتْبان وأُوسان ، ومن آلهة ثمود قومِ صالح عليه السَّلام[4] .

ولبني كلبٍ صَنَمٌ آخر يُقالُ له (عَمْرَة) أو (عِتْر) ـ أحد الاسمين محرّفٌ عن الآخر ـ وكان يتولّىٰ نُسْكَهُ رَجُلٌ من بني رَقاش يقال له عِصَام ، وله ذِكْرٌ في خَبَرِ وفودِ عبدِ عمرو بن جبلة الكلبيّ الشّاعر علىٰ رسولِ الله[5] .

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٨٢ .
(٢) المحبر : ٣١١ـ٣١٢ .
(٣) سورة نوح ٧١/ ٢١ـ٢٣ .
(٤) انظر المفصّل لجواد علي ١ : ٣٣١ ، و٢ : ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٨٨ ، ٣٢٢ ، ٥٠٥ .
(٥) انظر ترجمة عبد عمرو في الديوان .

وكانوا يعظّمون أصناماً أُخرىٰ غير هٰذين الصّنمين ، منها : الدَّوار ، وهم صنمٌ كانوا يجعلون موضعاً حوله يدورون به[١] ، يدلّ علىٰ تعظيمهم إيّاه قولُ زهير بن جناب الكلبيّ من أبيات[٢] :

بكــلِّ مُنــاجِــدٍ جَلْــدٍ قُــواهُ   وأَهْيَـبُ عـاكِفـونَ علىٰ الـدَّوارِ

أرادَ : أهيب بن كلب بن وبرة .

ومنها : عَبْعَب ، وهو صنمٌ كان لقضاعةَ ومَنْ داناهم[٣] ، وكلب من ضاعة ؛ والأُقَيْصِرُ : صَنَمٌ لقضاعةَ ولخم وجُذام وعاملة وغَطَفان وأهلِ الشام ، وكان في مشارف الشّام ، وكانوا يَحُجّون إليه ويحلقون رؤوسَهم عنده إلىٰ غير ذلك من ضروب التعظيم[٤] ؛ وذُكِرَ أنَّ (بَاجَرَ) صَنَمٌ كان للأزدِ ومَنْ جاوَرَهم من طَيّئ وقضاعة[٥] ، ولم يكن بنو كلب مِمَّنْ جاوَرَ الأزد ؛ ومن الأصنام التي كانوا يعظّمونها : اللاّت والعزّىٰ ومَنَاة ، وهي من الأصنام المُعَظَّمَة عند جميع العرب الجاهليين[٦] ، يدلّ علىٰ ذلك أسماءُ رجالهم المضافة إلىٰ هذه الأصنام ، فما أضيف إلىٰ اللاّت من أَسمائهم زَيْدُ اللاّت وتَيْم اللاّت ووَهْب اللاّت وأَوْس اللاّت وشُكْم اللاّت وسَعْد اللاّت وسَكَنُ اللاّت وشَعْثُ اللاّت وشَيْع اللاّت ، بنو رُفَيْدَة بن ثور بن كلب بن وبرة[٧] ، وتيمُ اللاّت بن وَدْم بن وَهب اللاّت بن رُفَيْدة[٨] ، وهؤلاء جميعاً أقدَمُ من عبد وَدّ بن عوف أوّل مَنْ سُمِّيَ عَبْدَ وَدٍّ ، لأنّه : عبد وَدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت بن رفيدة ، وفي ذلك دليلٌ علىٰ أَنَّ اللاّت كان معظّماً

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال : ٩٣ ، واللسان والقاموس والتاج (دور) .
(٢) انظر شعره في الديوان .
(٣) التكملة ـ للصغاني والقاموس والتاج (عبب) ، ومعجم البلدان (عبعب) .
(٤) الأصنام ٣٨ـ٣٩ ، ومعجم البلدان (الأقيصر) ، والقاموس والتاج (قصر) ، وخزانة الأدب ٧ : ٢٣٠ .
(٥) الأصنام : ٦٣ ، والقاموس والتاج (بجر) .
(٦) انظر الأصنام : ١٣ـ١٦ـ١٨ .
(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٠٥ـ٣٠٦ .
(٨) النسب الكبير ٢ : ٣٩٧ .

عندهم قبل أن يصير إليهم (وَدّ) ؛ وما أُضيف إلىٰ العُزّىٰ ؛ عبد العزّىٰ الشّاعر بن امرىء القيس بن عامر[١] ، وعبد العزّىٰ بن عامر الأجدار بن عوف بن كنانة[٢] ، وقد رأينا أنّ جدَّه عوف بن كنانة جعل ولده عامر الأجدار سادناً لوَدّ ، وعبد العزّىٰ بن جُبَيْل بن عامر بن عمرو بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت[٣] ، وعبد العُزّىٰ بن مالك بن حَجَل بن عمرو بن عوف بن كنانة[٤] ؛ وما أضيف إلى مَناة : عَبْد مَناة بن هُبَل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت وكان له أخ يقال له عبد الله[٥] ، وأبو سَخْطىٰ زيد مناة بن مُعَقِّل بن كعب بن عُلَيْم[٦] ، وزيد مناة ابن أوس بن جابر بن أوس بن كعب بن عُلَيْم[٧] ، وعبد مناة بن امرىء القيس بن عبد الله ابن عُلَيْم بن جناب[٨] ، وزيد مناة بن بكر بن عوف بن عامر الأكبر[٩] ، وزيد مناة ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر وهو الذي يقال له الخَزْج[١٠] ، وزيد مناة بن معاويةَ الجَوْشَنِ بن بكر بن عامر الأكبر[١١] ، وعبدُ مناة بن عامر الأجدار سادِنِ (وَدّ)[١٢] ، وزيد مناة بن رَقَبَة بن ثعلبة بن تيم الله بن عامر الأجدار ، وكان له أخ يقال له عبد الله[١٣] ، وابنُ أخيه زيد مناة بن الحارث بن رَقَبَة[١٤] ، وزيد مناة بن عَفَّارة بن الأصرم

---

(١) انظر ترجمته في الديوان .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٩٠ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٩٣ .
(٤) المصدر نفسه ٢ : ٣٩٤ .
(٥) المصدر نفسه ٢ : ٣١٠ .
(٦) المصدر نفسه ٢ : ٣٣٣ .
(٧) المصدر نفسه ٢ : ٣٣٦ .
(٨) المصدر نفسه ٢ : ٣٤٠ـ٣٤١ .
(٩) المصدر نفسه ٢ : ٣٥٩ .
(١٠) المصدر نفسه ٢ : ٣٦٦ .
(١١) المصدر نفسه ٢ : ٣٧١ .
(١٢) المصدر نفسه ٢ : ٣٩٠ .
(١٣) المصدر نفسه ٢ : ١٦ .
(١٤) المصدر نفسه ٢ : ٣٩٠ .

ابن الحارث بن رَقَبَة[1] ، وعبد مناة بن جُبَيْل أخو عبد العزّىٰ بن جُبَيْل[2] ؛ فهذه الأسماء المضافة إلىٰ مناة تدلّ علىٰ أنّ بني كلب بن وَبرة كانوا يعظّمونها ، خلافاً لما ذهب إليه محمد بن حبيب في قوله : « كانت سَعْدُ هُذَيمٍ وسائرُ قضاعةَ ـ إلاّ بني وَبرة ـ يَعْبُدون السَّعيدَة ومناةَ »[3] ؛ ويؤكد ذلك ما قاله خالدُ بنُ أرطأة الكلبيّ حين قال له جرير بن عبد الله البجلي في خبر منافرتهما : فمَنْ عليكَ بالوفاء؟ فقال خالد : وَدٌّ ، ومَنَاةُ ، وفَلْسٌ ، ورُضىٰ ؛ فهذه الأصنام أيضاً ممّا كانوا يعظّمون ؛ ولم أجد في أسمائهم اسماً مُضافاً إلىٰ الفَلْسِ ، وهو صَنَمٌ لطيّئ بجبلهم أجأ[4] ؛ وقد وجدتُ في أسمائهم ثلاثة أسماء مُضافة إلىٰ رُضىٰ ، وهو صَنَمٌ لبني ربيعة بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم[5] ، فالأوّل عَبْدُ رُضَىٰ بن جُبَيْل بن عامر بن عمرو بن عوف بن كنانة[6] ، وسبق ذكر أخويه عبد مناة وعبد العزّىٰ وكان لهم أخٌ يقال له عبد الله[7] ؛ والثاني عبد رُضىٰ بن مالك بن حَجَل بن عمرو بن عوف بن كنانة[8] ، وسبق ذكر أخيه عبد العُزّىٰ ؛ والثالث عبد رُضىٰ بن خَلاوَة بن أَبَان بن جَذِيمة من بني أَسْلُم بن تَدُول بن تيم اللاّت بن رُفَيْدَة ، وكان له أخٌ اسمه رُضىً باسم الصَّنَم[9] ؛ ومن الأصنام التي يُسْتَدَلّ من أسمائهم علىٰ تعظيمها عندهم : يَغُوث ، وهو صنمٌ قديم من أصنام قوم نوح ، وكان عندَ عرب الجاهلية لِمَذْحِج وأهلِ جُرَش منصوباً بجُرَش من

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٣٩١ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٣٩٣ .

(٣) المحبّر : ٣١٦ .

(٤) الأصنام : ٥٧ ، والنسب الكبير ١ : ١٩٧ وفيه (القُلُسّ) تحريف ، و١ : ٢٦١ وفيه (الفِلْس) بكسر الفاء ، والصّواب فتحُه كما في سائر المصادر ، كالسّيرة لابن هشام ١ : ٨٩ ، والمحبّر : ٣١٦ ، ومعجم البلدان (الفلس) ، والقاموس والتاج (فلس) .

(٥) الأصنام : ٣٠ ، والسّيرة النبويّة ١ : ٨٩ـ٩٠ ، والقاموس والتاج (رضي) .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٩٣ .

(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٩٣ .

(٨) المصدر نفسه ٢ : ٣٩٤ .

(٩) المصدر نفسه ٢ : ٤٠١ .

أرض اليمن[1] ، وقد سُمِّي به : عبد يغوث بن عبد الله بن عُلَيْم بن جَناب[2] ، وعبد يَغُوث بن العُبَيْدِ بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر ، وكان له أخ يقال له عبد الله[3] ، وعبد يغوث بن حَيَّان بن غُبَر بن بكر بن تيم اللات بن رُفَيْدَة[4] ؛ ومن تلك الأصنام أيضاً : عَمْرو ، وهو صَنَمٌ لبني غُفَيْلة بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصىٰ من ربيعة بن نزار ولبني عَمِيْرَة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وزعموا أنّه ابنٌ للمُحَرِّق ، وهو صنم أيضاً[5] ، وسُمِّيَ به : عبدُ عمرو بن مالك بن عُبَيْدة بن هبل بن عبد الله من بني عبد الله[6] ، وعبد عمرو الشاعر بن النعمان بن ثعلبة بن عبد الله بن عُلَيم[7] ، وعبدُ عمرو بن جَبَلَةَ الشّاعرُ الذي غيّر اسمَهُ رسول الله ﷺ فسمّاهُ بَكْراً[8] ، وعبد عمرو ابن سَلامة بن عوف من بني غَنْم بنِ وَهب اللاّت بن رُفَيْدَة[9] ؛ ومنها أيضاً : شَمْسٌ ، صنمٌ كان لبني تميم بن مُرّ بن أُدّ ، كان يعبده كلّ بني أُدّ بن طابخة[10] ، وسُمّي به عبد شمس بن كعب بن عبد الله بن كنانة وهو ابنُ أخي هُبَل بن عبد الله الشاعر الكلبي[11] .

ويظهر من هذه الأسماء أنّ بني كلب ـ وإن كان لهم صنمهم وَدّ الذي يعبدونه وينسُكون له ـ كانوا يعظّمونَ سائرَ الأصنامِ وإن لم تكن لهم ، بل يمكن الذهاب من

---

(١) انظر الأصنام : ١٠ ، والسِّيرة لابن هشام : ٨١ ، والمحبّر : ٣١٧ ، والقاموس والتاج (غوث) ، والخزانة ٧ : ٢٢٢ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٣٨ .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٣٦٧ .
(٤) المصدر نفسه ٢ : ٣٩٩ .
(٥) المحبّر : ٣١٧ .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣١٠ .
(٧) انظر ترجمته في الديوان .
(٨) انظر ترجمته في الديوان .
(٩) النسب الكبير ٢ : ٣٩٧ .
(١٠) المحبّر : ٣١٦ ، والقاموس والتاج (شمس) .
(١١) النسب الكبير ٢ : ٣٥٥ .

خلال النظر في أسماءِ العرب الجاهليين إلىٰ أنّ هذا الأمر عامٌّ فيهم ، فكلّ قبيلةٍ لها صَنَمٌ خاصّ تعبده وتنسُك له ، وهي في الوقت نفسه تعظّم سائرَ أصنام العرب ، لأنّها آلهةٌ تُقَرّبُ إلىٰ الله زُلفىٰ في نظرهم ؛ ويؤكد ذلك ما رُوِيَ من أنّ جعفر بن أبي خَلاَّس الكلبيّ الشّاعر مرَّ بالسُّعَيْرِ ، صَنَم عَنَزَة ، وهو علىٰ جَمَلٍ له ، فنفرَ من دِماءِ العَتائرِ ، فأراد جعفر هدمَهُ ، فقيل له : رَبٌّ! فَتَرَكَهُ[1] .

فكلّ هذا الذي سبق يدلّ علىٰ أنّ القومَ كانوا يُعظّمون الأصنام كغيرهم من العرب ؛ ونجد في أخبارهم ما يدلّ علىٰ أنّهم كانوا يحجّون البيتَ الحرامَ ويعظّمونَهُ ويلبّون في حجّهم ، وهو أبْرَزُ ما بقيَ من تعاليم إبراهيم عليه السّلام ، بل إنّ قوماً منهم كانوا حُمْساً في دينهم متشدّدين ، علىٰ أنّ كلباً لم تَسْلُك مَسْلكاً واحداً في شأن تعظيم الأشهر الحُرُم .

فأمّا حجُّ البيت الحرامِ فيدلّ عليه ما مَرَّ بنا في خبر المُنَافَرةِ بين خالد بن أرطأة الكلبيّ وجرير بن عبد الله البَجَليّ ، وفيه أنَّ كَلْباً وافَتْ بالرجل الأسير من بجيلة سوقَ عُكاظ[2] ، وكانت العرب تقيم بسوقِ عكاظ شهرَ شوّال ، ثمّ تنتقل وتقيم في سوقِ مِجَنَّةَ عشرين يوماً من ذي القعدة ، ثمّ تنتقل إلىٰ سوق ذي المَجَاز فتقيم فيها إلىٰ أيّام الحجّ فتؤدّي مناسكَها وتنصرف[3] ؛ كما يدلّ عليه أنّ رسول الله ﷺ عندما أُمِرَ أن يَصْدَعَ بما يُؤْمَرُ ويُعْلِنَ الدَّعوة جَعَلَ يَعْرِضُ نفسَهُ علىٰ قبائل العرب ويدعوهم إلىٰ الإسلام في مَوَاسِمِ الحَجِّ ، فكان ممّن أتاهم عليه السّلام في أثناء ذلك بنو عَبْدِ اللهِ بن كنانة من كلب ، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم[4] ؛ ويدلّ عليه أيضاً ما نجده في ترجمة زيد بن حارثةَ من أنّ ناساً من كلبٍ حَجُّوا فرأوا زيداً في مكّةَ فعرفوه وعرفهم[5] .

---

(١) انظر ترجمته في الديوان .

(٢) انظر ما سلف ، ص : ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٣) معجم البلدان (عكاظ) .

(٤) انظر الخبر ومصادره فيما يأتي من الحديث عن إسلامهم ، ص : ١٩٧ .

(٥) انظر ترجمة زيد ، في الديوان .

وقد رأينا من قبلُ أنَّ مَنْ نَسَكَ لوَدٍّ كانَ يُلَبِّي في حَجِّه فيقول[1] :

لَبَّيْـــــكَ اللَّهُـــــــمَّ لَبَّيْـــــك
لَبَّيْــــكَ مَعْـــــذِرَةً إِلَيْــــك

فهذه هي تلبيةُ كلب ، وروى قُطْرُب عن ابن عَبّاسٍ أنّ تلبية أهل الجاهليّة كانَتْ مختلفةً ، فذكر تلبية عدد من القبائل ، قال : « وكانت تلبيةُ قضاعةَ :

لَبَّيْـكَ نُـزْجـي كُـلَّ حَـرْسٍ مَلْهُـود
ولا حَـبٍ مثـل عَجـاجـاتِ العُـودْ
نَـؤُمُّ بَيْـتَ المُسْتَجِيـبِ المَعْبُـودْ
إِنَّ الإِلٰـــهَ لَلْحَمِيــدُ المَحْمُــودْ
نُعْطِي إلٰهَ البَيْتِ مِنّا المَجْهُودْ »[2]

في حين ذكر اليعقوبيُّ أنّ العربَ كانت إذا أرادت حجَّ البيت الحرام وقفت كلّ قبيلةٍ عند صَنَمِها ، وصَلَّوْا عندَه ، ثم لَبَّوْا حتّىٰ يَقدموا مكّةَ ، قال : « فكانت تلبياتُهم مختلفةً ، وكانت تلبيةُ قضاعة :

لَبَّيْـكَ عَـنْ قُضَـاعَـةْ لِـرَبِّهَـا دَفَّـاعَـةْ
سَمْعـاً لَـهُ وَطَـاعَـةْ »[3]

واختلافُ هذه التّلبيات يَدُلّ علىٰ أنّ تلبيةَ القوم ، لم تكن ثابتةً ؛ وهي علىٰ كلِّ حالٍ تدلّ ـ مع ما كان يرافق حجّهم من هَدْيٍ ونُسُكٍ ـ علىٰ تعظيمِ البيت الحرام والإيمان بأنّ له ربّاً هو أعظم من سائر ما يعبدون .

ومن بابِ تعظيم البيت الحرام أنَّ أُبيَّ بن سالم بن حارثةَ بن الوَحيد ـ وهو مالك ـ بن عبد الله بن هبل الشّاعر بن عبد الله الكلبيّ شارَكَ قُرَيْشاً في بناءِ البيت

(١) انظر، ص: ١٧٥ .
(٢) الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٤٢ .
(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٢٥٥ـ٢٥٦ .

الحرام ، فقد روىٰ ابنُ الكلبيّ عن أبيه قال : « فحدّثني رجلٌ من وَلَدِ أُبيّ أنّ أُبَيّاً كانَ أَتىٰ قُرَيْشاً فيما تزعم أشياخٌ لبني الوَحيد ومَعَهُ مالٌ ، وقريشٌ يَبْنُونَ البيتَ يومئذ ، فقال لهم : إنّ معي مالاً ، فأَعْطوني رُكناً من أركانِهِ أَبنيهِ ، ففعلوا ؛ فذلك قولُ جوّاسِ بنِ القَعْطَل :

لَنا أَيْمَنُ البيتِ الذي تَسْتُرونَهُ وِراثَةَ ما أَبْقىٰ أُبَيُّ بنُ سالِمِ

فَبَنَىٰ جانِبَهُ الأَيْمَنَ »[1] .

وقد ذهب الدكتور جواد علي إلىٰ الشّكّ في هذا الخبر فقال : « وصاحبُ هذا الخبر هو ابن الكلبيّ ، ولا أستبعد أن يكونَ خبرُه هذا من وَحْيِ العاطفة نحو قومه الكلبيين »[2] ولا أجد داعياً لهذا الشكّ الذي يحمل اتهاماً لابن الكلبيّ ، ولا سيَّما أنّ جَوَّاساً ـ وهو شاعر أمويّ ـ افتخر بذلك قبل أن يولَدَ ابنُ الكلبيّ ، ولم يُذكر أنّ أحداً أنكر عليه ذلك ، مع ما كان في عصر جوّاس من عصبيّةٍ بين كلبٍ وقيس عيلان .

وأمّا التحمُّس فيهم ـ والتحمُّسُ هو التشدّد في الدّين[3] ـ فلم يكن عامّاً ، وإنّما كان في بني جَناب منهم ، لأنّ قُرَيْشاً ولَدَتهم ؛ إذ كان التحمُّسُ أوّلَ الأمرِ في قريش ومَنْ نزل مكّة من قبائل العرب ، لأنَّهم أهل الحرم ووُلاةُ البيت ، فخصّوا أَنْفُسَهُم بأشياءَ لا تكون لغيرهم ، وفرضوا علىٰ أنفسهم أشياءَ لم تُفْرَض علىٰ غيرهم وشدّدوا علىٰ أنفسهم في دينهم ، ثمّ جعلت قريش لِمَنْ وَلَدَت من ساكني الحِلِّ والحَرَم مثلَ ما جعلت لنفسها ، فهم الحُمْسُ ويقال لسائر العربِ الحِلَّة[4] ؛ وقد عَدَّ ابنُ حَبيب

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٥٣ . وورد البيت فيه محرّفاً، انظر شعر جواس في الديوان؛ ونَحْوٌ منه في: المعارف: ٥٦١ ، ونقل الزَّبيديُّ في التاج (بسس) نصَّ ابن الكلبيّ مُخْتَصراً دون الشعر، وجاء النصُّ محرّفاً هكذا: «من بني عبد الله، عبد الله بن هبل بن أَبي سالم الذي أتىٰ قريشاً . . . .» والصّواب: (من بني عبد الله بن هُبَل: أُبَيُّ بنُ سالم . . .).

(٢) المفصّل ٦ : ٤٣٥ .

(٣) الأصل في تسمية الحُمْس أنّ التحمُّس هو التشدّد في الأمر أيّاً كان، فلما تشدّد هؤلاء في دينهم سُمُّوا حُمْساً؛ انظر اللسان (حمس).

(٤) انظر: المنمّق: ١٢٧ـ١٢٨ ، والمحبّر : ١٧٨ـ١٨١ ، والسّيرة لابن هشام ١ : ٢١١ـ٢١٦ ، والطبقات=

بني جَنَاب بن هبل بن عبد الله الكلبيّين من الحمس ، ذلك أنَّ أُمَّ جنابٍ هي « آمنة بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمُّها : مَجْد بنت تَيْمٍ الأَدْرَم بنِ غالب بن فِهْر »[١] .

ويؤكّد تَحَمُّسَ بني جنابٍ ما ذُكِرَ من أنَّ زُهيرَ بن جَنَاب بن هُبَل عندما عَلِمَ بأنّ غَطَفَانَ بَنَتْ بُسّاً واتخذت له حَرَماً وجعلتْهُ مثل حَرَم مَكّة ، وأرادت أن تَجْتَزِىءَ به عن الحجّ ، قال : والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حَيّ ، ولا أُخَلِّي غطفانَ تتّخذ حَرَماً أبداً ، وغزاهم بقومِهِ ، فهدمه وعطّلَ ذلك الحَرَم[٢] .

وأمّا الأَشْهرُ الحُرُمُ ـ وهي رَجَب وذو القعدة وذو الحِجَّة والمحرَّم ـ فإِنَّ العرَبَ كان فيها من لا يَرىٰ لها حُرْمَةً ، فيستحلّون فيها القتالَ وسفكَ الدّماء ، فكان يقال لهم : المُحِلّون ، وكان معظم العرب يعظِّمُونها ويحرّمون القتالَ فيها ، فَذُكِرَ أنَّ المُحِلِّين هم : طيّىءٌ كلُّها ، وخثعم كلُّها ، وكثيرٌ من أحياءِ قضاعة ، ويَشْكُر ، والحارث بن كعب[٣] ؛ وذكر أبو تمّام في بعض شعره أنّ كلباً كانت لا تُحَرِّم الأشهرَ الحرم ، وذلك في قوله :

كـانَ الـزمـانُ بكـم كلْبـاً فَغَـادَرَكُـمْ ... بـالسَّيْـفِ والـدَّهْـرُ فيكـم أشهـرٌ حُـرُمُ

فقال التّبريزي شارحاً : « وكانت كلب بن وبرة وقبائلُ من العرب لا تحرّم هذه الأشهر فلذلك قال الطائيّ : (كان الزمان بكم كلباً) أي كنتم تستحلّونَ فيه ما تَسْتَحِلُّه كَلْبٌ مِنْ إحْلالِ الأشْهُرِ الحُرُم ، فغادَرَكم هذا الممدوحُ والدّهرُ كلَّهُ عندكم كهذه الشهور »[٤] ؛ ولا ريب في أنّ هذا الحكم لو صَحَّ لا ينطبق علىٰ بني

= الكبرى ١ : ٧٢، والعمدة: ٨٩٢، ومعجم البلدان (مكة)، واللّسان والتاج (حمس).

(١) المحبّر ١٧٨ـ١٧٩ ، وذكر ابن الكلبي أُمَّ جناب وأُمَّهَا في النسب الكبير ٢ : ٣١٠ وفيه: «مَجْد بنت تيم الله بن غالب» تحريف صوابه: (مجد بنت تيمٍ الأدرم بن غالب)، وكان يقال له الأدرم لأنه كان في ذقنه نقصٌ، انظر جمهرة النسب ١ : ١٠، ١٧٣ .

(٢) انظر ما سلف، ص: ٨١ ـ ٨٣.

(٣) انظر المحبّر: ٣١٩، والحيوان ٧: ٢١٦، والملل والنحل ٢: ٢٥٥، وديوان أبي تمام ٣: ١٩٠، واللّسان (حلل)، والروض الأنف ١ : ١٤٣ ، والقاموس (حلل)، والتاج (حلل) و(حرم).

(٤) ديوان أبي تمّام ٣: ١٩٠ .

كلبٍ كلِّهم ، وذلك لسببين ، الأول ما قَدْ رأيناه من أنّه كان فيهم قومٌ حُمْسٌ ، ومن لوازم التحمُّس تعظيمُ الأشهر الحُرُم ، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن الكلبيّ والقطاميّ الكلبيّ في تفسير قول الأعشىٰ :

بنو الشَّهْرِ الحَرامِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ ولَسْتَ مِنَ الكِرامِ بني العُبَيْدِ

فذكرا أنّ الشهر الحرام « هو عَبْدُ وَدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة ، كان يُحَرِّمُ الأَشْهُرَ الحُرُمَ ولا يُحلُّها كما كانت تُحلُّها خَثْعَم وطيّئ »[1] ؛ والسّبب الثاني أننا نجد الشَّهْرِسْتانيَّ ينقل عن محمد بن السّائب الكلبيّ أنّ عرب الجاهليّة كانوا يحجّون ويعتمرون ويحرّمون الأشهر الحُرُمَ « فلا يغزونَ ولا يقاتلون فيها ، إلا طيّئاً وخثعَمَ وبعضَ بني الحارث بن كعب ، فإنَّهم كانوا لا يحجّون ولا يعتمرون ولا يُحَرّمون الأشهر الحُرُمَ ولا البلدَ الحرامَ »[2] ، فقول الكلبيّ هذا وقول ابنِهِ والقُطاميّ السّابقِ يدعُونا إلىٰ الشكِّ فيما ورَدَ في شِعر أبي تمّام وفيما قال التبريزيُّ ، إذ لو كان بنو كلب ممّن لا يحرّم الأَشْهُرَ الحُرُم لما أغفلوا ذكرَهم وهم قومُهم ؛ وهذا ما يحملنا علىٰ الظنّ بأنّ أبا تمام لمّا بَلَغَهُ أنّ كثيراً مِنْ قضاعة كانوا لا يُحَرّمون الشَّهْرَ الحرام ، ورأىٰ أنّ كلباً بعضُ قضاعةَ ، وأنّ العَرَبَ تستعير الكَلَبَ للزّمان فتقول : « كَلِبَ الدّهرُ علىٰ أهله إذا ألحّ عليهم واشتدّ »[3] ذَكَرَ كلباً في الشّعر وهو يريد قضاعة من باب ذِكْرِ الجُزْءِ وإرادة الكلّ ، فتابَعَهُ التّبريزيّ في تفسير معنىٰ بيته ، علىٰ أنّه لو صَحّ ما جاء في شعر أبي تمّام وفي تفسير التبريزيّ له فإنّ ذلك يدلّ مع وجود التحمّس في كلب علىٰ أنّ القوم لم يسلكوا مسلكاً واحداً في تعظيم الأشهر الحرم .

ونقف في أخبار بني كلب وأشعارهم علىٰ أمورٍ كان الوثنيّون من أهل الجاهليّة

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٦٥ـ٣٦٦ ، ونقل ابن الكلبيّ عن بني عامر الأكبر أنهم « يزعمونَ أنّ مالكاً [ابنَ عَميرةَ بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر] هو الشهر الحرام ، سُمِّيَ بذلك لِعزّه ، وهو الذي ذكره الأعشىٰ » النسب الكبير ٢ : ٣٧٠ ، وعبارته هذه تحمل التَّمريضَ لما قال بنو عامر الأكبر ، وذلك قوله : « يزعمون » .

(٢) الملل والنحل ٢ : ٢٥٥ .

(٣) اللّسان (كلب) .

يفعلونها ، فمن ذلكَ أنّ عدداً من رجالهم خَلَفوا علىٰ نساءِ آبائهم بعد موتهم نكاحَ مَقْتٍ ، فقد ذكر ابنُ الكلبيّ أنّ كعبَ بن عوف بن عامر الأكبر خَلَفَ علىٰ ماويَّة بنت أبي جُشَم بن كعب من بَهْراء بعد موت أبيه عوف بن عامر الأكبر[1] ، وأنّ الأحوص ابن عمرو بن ثعلبة الكلبيّ خَلَفَ علىٰ الرَّباب بنت أُنيف بن حارثة بن لأم الطائيّة بعد أبيه نكاحَ مقت[2] ؛ ويدخل في هذا البابِ ما ذكره عدد من العلماء من أنّ المُتَجَرّدة بنت المنذر بن الأسود الكلبية تزوَّجَها المنذر بن المنذر اللخميّ ملك الحيرة بعدما طلّقها الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي ـ وكان يقال له : جَلْم ـ ثم خَلَفَ عليها من بعد المنذر بن المنذر ابنُه النعمان بن المنذر ملك الحيرة صاحب النابغة الذّبياني[3] ، أي إنّ ذلك كان نكاح مَقْتٍ .

ومن ذلك ما ذكره ابنُ حبيب في فَصْلٍ عَقَدَهُ للسُّنَنِ التي كانت الجاهلية سَنّتها فبقَّىٰ الإسلامُ بعضَها وأسقط بعضها ، وعدّ أموراً منها إيمانهم بالبعث والحساب ، قال : « وكان أكثر العرب يؤمنون بالبعث . . . ، وكانوا يؤمنون بالحساب . . . ، وكان الرّجلُ إذا مات عمدوا إلىٰ راحلته التي ركبها ، فيوقفونها علىٰ قبره معكوسةً رأسها إلىٰ يدها ، ملفوفةَ الرّأسِ في وَلِيَّتِهَا ، فلا تُعْلَف ولا تُسقىٰ حتى تموت ، ليركبها إذا خرج من قبره ، وكانوا يقولون : إن لم يُفْعَل هذا حُشِر يوم القيامة علىٰ رجله ؛ وكانت تلك الناقة التي يُفْعَل بها هذا تسمّىٰ : البليَّة ، . . . وقال عمرو بن زيد الكلبيّ يوصي ابنَه :

أبُنَــيَّ زَوِّدْنــي إذا فــارقتَنــي ... في القبر راحلةً برحلٍ قاتِرِ
. . . . (الأبيات) »[4]

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٥٨ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣١٨ .
(٣) انظر ديوان النابغة لابن السِّكِّيت : ٢٧ و١٩٤ ، والمحبّر : ٤٣٧ ، والأغاني : ٢١ : ١ـ٢ ، وتمثال الأمثال : ٤١٩ .
(٤) المحبّر ٣٢٢ـ٣٢٤ ، ونَحوٌ منه في الملل والنّحل ٢ : ٢٥٣ . والوَلِيّة : البرذعة ، أو ما تحتها .

فبنو كلب يؤمنون بالبعث والحساب علىٰ ذلك النحو كأكثر أهل الجاهليّة ؛ ومن ذلك أنّ أهل الجاهليّة كانوا يُكَفّنونَ الميتَ ويصلّون عليه ، فكان يُحْمَل علىٰ سريرٍ ثم يقوم وَلِيُّهُ فيذكرُ مَحاسِنَهُ ويثني عليه ثم يقول : عليك رحمةُ الله ، ثم يُدْفَنُ ؛ واستشهد ابنُ حبيب علىٰ ذلك بشعرٍ لرجلٍ من كلب جاهليّ خاطب به ابنه فقال :

أعمرٌو إنْ هَلَكْتَ وكنتُ حيّاً فإنّي مكثرٌ لك من صَلاتي

فهذا الذي سبق كلُّه يدلُّ علىٰ أنّ الوثنية كانت غالبةً علىٰ بني كلب إلىٰ أن جاءَ الله تعالىٰ بالإســلام ؛ غير أنَّ في أخبارهم ما يَدُلّ علىٰ أنّ النصرانيــة دخلت في بعض القوم .

ب ـ النَّصرانيّةُ فيهم :

نجد في أقوالِ بعض العلماء أنّ النصرانيّة دخلت في قضاعة ، وكلبٌ من قضاعة ، فهذا ابن قتيبة يقول في فصل عقده لأديان العرب في الجاهلية : « كانت النّصْرانيَّةُ في ربيعةَ ، وغَسّانَ ، وبعضِ قضاعة . . . »[١] وقال الأَبْشِيهيُّ مثلَ قولِهِ هذا حرفاً حرفاً[٢] ؛ وذكر اليعقوبيُّ في حديثه عن أديان العرب أنهم كانوا علىٰ صنفين : حمس وحِلّة ، فعدّ من الحِلّة قُضَاعة ، ثمّ ذكر من تَنَصّرَ من العَرَبِ فعدّ منهم بعضَ قبائل قضاعة ، فقال : « وأمّا مَنْ تَنَصَّرَ مِنَ العربِ ، فقومٌ من قُرَيش ، . . . . ومن بني أسد . . . وبَهْراء ، وسَلِيح ، وتنوخ ، وغَسّان ، ولَخْم . . . »[٣] فبهراء وسليح من قبائل قضاعة .

ولا ريبَ أنّ دُخولَ النصرانيّة في قبائل ربيعة وغسّان وتنوخ ولخم وتلك القبائل من قضاعة كان بسبب نزولهم بلادَ الشّام والجزيرة وما جاورَها حيثُ كانت النصرانيّة منتشرةً ، ولا سيّما في بلاد الشّام ، في حين أنّ دخولَها في قريش وأسد وأشباههما

---

(١) المعارف : ٦٢١ .

(٢) المستطرف ٢ : ٨٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٥٧ .

من قبائل قلب جزيرة العرب كان محدوداً في قومٍ ـ أي رجالٍ ـ قلّةٍ منهم . وقد رأينا في الحديث عن ديار كلب أنها كانت قريبةً من بلاد الشّام ، بل إنّ منها ما هو من بلاد الشّام[1] ، علىٰ أنّ هذا القسم الذي يُعَدّ من بلاد الشّام ما هو إلاّ جزءٌ من باديتها حيث كان أَعرابُ بني كلب ينتجعون ويَرْعَوْنَ ، ومعلومٌ أنّ الروحَ الدينيّة في الأعرابِ يغلب عليها الضعف ؛ فإلىٰ أيِّ مَدىً كان تأثيرُ النصرانية وانتشارها في بني كلب؟ .

إنّ في حديث ابن الكلبيّ عن نسب قومِه إشاراتٍ عدّة إلىٰ مَنْ دخل في النّصرانية منهم ، ولا سيّما بعض بني عامر الأكبر ، فقد ذكر أنّ عامراً المُذَمَّم بنَ عوف بن عامر الأكبر وَلَدَ عدداً من البنين ، فذكر منهم : « مالكاً ، وهو الرّمّاح ، . . . وعوفاً وهو المِشَظّ ، وأمُّهما عَدَسَة بنت مالك بن عامر بن عوف ، بها يُعْرَفون ؛ وأبا عامرٍ ، والحارثَ ، وأمّهما مَدَرَةُ ، بها يُعْرَفونَ ، وهي أختُ عَدَسَة ؛ قال : أَسْلَمَتْ كلبٌ كُلُّها غَيْرَ مَدَرَةَ كانوا نَصارىٰ »[2] فهذه إشارة ، ثم قال : « ومن بني الرَّمّاح بن عامرٍ المُذَمَّم بن عوف بن عامر الأكبر : بنو عَمَّار بن عبد المَسيح بن قيس بن حَرْمَلَةَ بن عَشير بن الرَّمَّاح ، بالحِيرة ، لَهُمْ قَصْرُ العَدَسِيّينَ ، وإنَّما نُسِبُوا إلىٰ أمِّهم عَدَسة بنت مالك بن عامر بن عوف »[3] فلا شكّ أنَّ اسمَ جدّهم (عبد المَسيح) يُفْصِحُ عن تَنَصُّرِ أبنائه ؛ وكان قصرُهم هذا أَحَدَ قصورٍ ثلاثةٍ في الحيرة ، كان في طَرَفِها ، وهو أَوّلُ شيءٍ فَتَحه المسلمونَ لما اتّجهوا فاتحين نحو العراق[4] ، فهذه إشارةٌ ثانية ؛ ومما جاءَ في حديثه قوله : « ووَلَدَ امرؤ القيس بن عوف بن عامر الأكبر : أُميّةَ ، وقُحَيْزاً ، ولَيْلاً ؛ منهم بنو غَوْث بن أبي سَلْمىٰ بن لَيْل ، وهم عُبَّادٌ بالحيرة معروفون ، يقالُ لهم بنو غَوْث »[5] فقوله : وهم عبّاد بالحيرة ، يدلّ علىٰ أنّهم نصارىٰ ، ذلك أنَّ

(١) انظر، ص: ٥٩ ـ ٦١.
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٦٣.
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٦٥.
(٤) فتوح البلدان: ٤٠١ـ٤٠٢، ومعجم البلدان (قصر العدسيين).
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٦٤.

عُبَّاد الحيرة كانوا نصارىٰ[1] ؛ فهذه إذاً إشارة ثالثة ، وهذه الإشارات الثلاثة تَدُلُّ علىٰ أُسَرٍ بأَعْيانها دخلت في النَّصرانية ؛ وثمّة إشاراتٌ أُخرىٰ نصّ فيها ابن الكلبيّ علىٰ رجال خمسة بأعيانهم كانوا نصارىٰ ، فأوّل أولئك الرّجال : عَثْعَث بن بِشْر بن هُبَيرة بن صَخْر بن ربيعة بن معاويةَ الجَوْشَنِ بن بكر بن عامر الأكبر ، قال : « كان شريفاً نصرانياً ، إليه البيت من بني معاوية الجوشنِ ، وشَهِدَ أبوهُ بِشْرٌ مع الحارث بن أبي شمر الغسّاني عينَ أُباغ »[2] ، والرّجل الثاني هو الشّاعر شُبَيْل بن الجِنِبَّار أحد بني معاويةَ الجوشن ، قال : « كان نصرانياً فارساً يوم بنات قين »[3] ، والثالث هو الشّاعر الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة ، قال : « وقد رَأَسَ ، وأدرك الإسلامَ فأسْلَمَ ، وكان نَصْرانياً »[4] ، وتذكر المصادر أنّ إسلامَهُ كان سنة ستٍ للهجرة عندما بعث رسول الله ﷺ عبدَ الرحمن بن عوف علىٰ سريّة إلىٰ دومة الجندل ، فدعاهم إلىٰ الإسلام ثلاثاً ، فأسلم الأصبغ وكان رئيسهم وكان نصرانياً ، وأسلم معه ناسٌ كثيرٌ من قومه ، وأقام مَنْ أقامَ علىٰ إعطاء الجِزْية[5] ؛ والرّابع : هو الفَرافِصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ابنُ أخي الأصبغ بن عمرو ، فقال ابن الكلبيّ : « فولد الفرافصةُ بن الأحوص : ضبّاً ، وهو الذي زوّج أختَهُ نائلةَ لعثمان بن عفّان ، لأنّ أباها كان نصرانياً »[6] ، والخامس هو الشّاعر امرؤ القيسِ بن عديّ بن أوس من بني عُلَيْم بن جَناب ، فقد ذكره ابن الكلبيّ ثمّ قال : « وامرؤ القيس الذي وَفَدَ علىٰ عُمَرَ ابن الخطّاب وهو نصرانيّ ، فأسلم ، فعقد له عمر علىٰ خيول قضاعة . . . »[7] .

فهذه هي جميع إشارات ابن الكلبيّ إلىٰ دخول النصرانية في بني كلب ، وقد

---

(١) انظر اللّسان والقاموس والتاج (عبد) .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٧١ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٧١ .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣١٨ .
(٥) انظر ترجمته ومصادر هذا الخبر ، في الديوان .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣١٩ .
(٧) النسب الكبير ٢ : ٣٣٣ ، وانظر ترجمته في الديوان حيث نجد مصادر أخرى ذكرت ذلك .

يتبادر إلىٰ الذهن باديء الأمرِ أنَّ هذه الإشارات تدلّ علىٰ أنَّ النصرانية كانت واسعة الانتشار بينهم ، في حين أنّ التثبُّتَ في الأمر يَدُلُّ علىٰ العكس ؛ ذلك أنّنا إذا قارنّا بني مَدَرةَ وبني عَمّار بن عبد المسيح العَدَسيّين وبني غوث بسائر قومهم من بني عامر الأكبر لوجدناهم عدداً قليلاً جدّاً ، ولا سيّما أنّ بعض الأدلّة تؤكّد أنّ سائرهم كانوا وثنيين ، فمنها أنّ كعب بن عوف بن عامر الأكبر خَلَفَ علىٰ ماويّة بنت أبي جُشَم البهرانية بعدَ أبيه نكاحَ مقت ، وهي أمُّ أَخَوَيه عامر المذمّم وامرىء القيس ابنَيْ عوف ابن عامر الأكبر[1] ، وأنّ عمَّهم بكر بن عوف بن عامر الأكبر كان له ولدٌ اسمه (زيد مناة)[2] وابن عمّ أبيهم عامر بن بكر بن عامر الأكبر كان له ولدٌ اسمه (زيد مناة) أيضاً[3] ، كما كان له حفيدٌ اسمه عبد يغوث بن العُبَيْد بن عامر بن بكر[4] ، وابن عم أبيهم معاوية الجوشن بن بكر بن عامر الأكبر كان له ولد اسمه (زيد مناة)[5] ؛ وكذلك الأمر في ثلاثةٍ من الرجال الخمسة الذين نصّ ابن الكلبي علىٰ نصرانيّتهم ، وهم الأصبغ بن عمرو وابن أخيه الفرافصة بن الأحوص ، وامرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر ؛ فأما الأصبغُ والفرافصة فيدلّ علىٰ وثنيّةِ سَلَفَيْهما أنّ الأَحْوَص بن ثعلبة أبا الفَرافصة وأخا الأصبغ خَلَفَ علىٰ الرَّباب بنت أنيف بن حارثة بن لأم الطّائيّة بعد أبيهِ نكاحَ مَقْتٍ ، وهي أمُّ أخيه الأصبغ وعدد من إخوته ، وابنِه الفرافصة وعدد من إخوته ، وهذا يدلّ علىٰ أنّ الفرافصة والأصبغ دخلا في النصرانيّة وأنّ أبَوَيهما كانا وثنيّين ، وقد ذكر ابن الكلبيّ جميع إخوَة الأصبغ وجميعَ إخوة الفرافصة ، ولم ينصّ علىٰ نصرانيّة أحدٍ غيرهما ، فهذا يدلّ علىٰ أنّهم كانوا علىٰ الوثنيّة ؛ وأمّا امرؤ القيس ابن عديّ بن أوس بن جابر فإن ما يدلّ علىٰ وثنيةِ سَلَفِهِ أنّ له عمّاً اسمه : زيد مناة[6] ، وما جاءَ في أخباره من أنّه ثَأَر من بعضِ بني شيبان كان قَتَلَ زيدَ مناة بن

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٥٨ .
(٢) المصدر نفسه ٢ : ٣٥٩ .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ٣٦٦ .
(٤) المصدر نفسه ٢ : ٣٦٧ .
(٥) المصدر نفسه ٢ : ٣٧١ .
(٦) المصدر نفسه ٢ : ٣٣٦ .

مَعْقِل بن كعب بن عليم[١] ، يضاف إلىٰ ذلك أنّ ابنَ الكلبيّ ذَكَرَ عدداً من رجالِ قومه ولم ينصّ علىٰ نصرانيّتهم كما هو الحال عندما نصّ علىٰ نصرانية الأصبغ والفرافصة ، وهذا الأمر يدعونا إلىٰ القول إنّ ابن الكلبيّ كان ينصّ علىٰ نصرانيّة مَنِ اعتَنَقَ النَّصْرانيّة ديناً لأنهم كانوا مختلفين في ذلك عن سائر القبيلة التي كانت علىٰ الوثنيّة ، وإنّ فيما سبق في الحديث عن وثنية القبيلة ما يؤكّد ذلك .

وثمّة ملحوظةٌ في هؤلاء الذين نصَّ ابن الكلبيّ علىٰ نصرانيتهم ، وهي أنّ النَظَرَ في أنسابهم وأخبارهم وكثيرٍ من الأسماءِ الوثنية لأسلافهم يَدُلُّ علىٰ أنّهم كانوا في أواخر العصر الجاهليّ ، بل إنّ منهم مَنْ أدركَ الإسلامَ فأَسْلَم ، وهذا يدلّ علىٰ أنّ النصرانيّة كانت قد بدأت تجد لها طريقاً إلىٰ بعضهم في زمنٍ متأخّر من الجاهليّة ؛ كما أنّ النظرَ في مواطنهم يدلّ علىٰ أنّ معظم الذين اعتنقوها كانوا من أهلِ القرىٰ في الحيرةِ ودومةِ الجندل .

ولا ريبَ في أنّ حديثَ ابن الكلبيّ (٢٠٤ هـ) هُوَ حديثُ العالِم بقبيلتِهِ وأحوالها ، والقريبِ عهداً ممّا يتحدّث عنه ، ومن ثَمَّ فإنّ العَجَبَ ما قَالَهُ ابنُ سعيدٍ المغربيّ (٦٨٥هـ) وهو يتحدّث عن بني كلب ، فقد قال : « وأشهرُ قبائلِ قضاعةَ وأَضْخَمُها : كلب بن وبرة . . . ، تَدَيّرت في الجاهلية : دومةَ الجندل ، وتيماء ، وتَبُوك ، وأطرارَ الشّام ، وجاورت النصرانيّةَ فغلبَتْ عليها ، ولمّا جاءَ الإسلامُ دَخَلَ منهم خَلْقٌ كثيرٌ مِمَّنْ أبىٰ الإسلامَ إلىٰ بلادِ الرّوم ، فكانوا بها ضاحيةً ، ونالَ بلادَ الشّام منهم شرّ كثير »[٢] ؛ وفي كلامه هذا أمورٌ كثيرةٌ لا يمكن القبول بها ، فمن ذلك قوله بأنّهم سكنوا تيماء ، وإنّما كان بتيماء جمعٌ من يهودَ ، وكانوا يرفضون أنْ يسكنها معهم أحدٌ إلاّ أنْ يتهوّد[٣] ، ولم يُذْكَر أنّ أحداً من بني كلبٍ دَخَلَ في اليهودية ؛ ومن ذلك قوله : وجاورت النصرانيّةَ فغلبَتْ عليها ، فقد مَرَّ بنا الحديث

---

(١) انظر ترجمة امرئ القيس في الديوان .
(٢) نشوة الطّرب ١ : ١٧٢ .
(٣) انظر رسم (تيماء) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

عن وَثنيتهم وفيما سبق من الحديث عن النصرانيّة فيهم ما يدلّ دلالةً قاطعةً علىٰ أنّ النصرانية لم تكن غالبةً عليهم ، بل إنّ الوثنية هي التي كانت غالبة حتى ظهور الإسلام ، وأنّ النصرانيّة دخلت في أناسٍ قليلين منهم أواخِرَ العصر الجاهليّ ؛ ومن ذلك ما ذَكَرَهُ من دخولِ خلقٍ كثيرٍ ممّن أبىٰ الإسلام إلىٰ بلاد الرّوم وأنّه نال بلاد الإسلام منهم شرّ كثير ، فهذا ما لم يذكره أحدٌ من المؤرخين ولا من النّسَّابينَ ، وقد تفرَّدَ به ابن سعيد علىٰ تأخُّرِه ، وقد مَرَّ بنا مِنْ قبلُ ما ذكره ابن الكلبيّ مِن أَنّ كلباً كُلَّها دخلت في الإسلام ولم يبقَ علىٰ النّصرانية منهم إلا بنو مَدَرة وهم قلّةٌ قليلةٌ ، ومِن ثَمَّ فإنّ كلام ابن سعيد غير صحيح لا ريب في ذلك ، ولعلّ كلامَهُ هذا ناتجٌ عن وَهْمٍ ، إذ ذكَرَ أبو عُبَيْدٍ البكريّ في حديثه عن بني إياد أنّهم دانوا لِغَسَّانَ « ولحقَ أكثرُهم بلادَ الرّوم فيمَنْ دخلَها مع جَبَلَةَ بنِ الأيهم من غسّان وقضاعة وغيرهم ، . . . وكان مَنْ دخَلَ مع جَبَلَة بن الأيهم من قضاعةَ وغسّان ولخم وجُذام نحو أربعين ألفاً ، وهم معهم إلىٰ اليوم ، ومدينتهم تُعْرَف بمدينة العرب »[1] ، وذكر النّويريّ أنّ أبا عبيدةَ بن الجرّاح سَيَّر جيشاً ، فسلكوا دَرْبَ بغراس من أعمال أَنطاكِية إلىٰ بلاد الرّوم ، فلقوا جمعاً من الرّوم ، ومعهم عربٌ من غَسّان وتنوخ وإياد يريدونَ اللَّحاق بهرقل فأوقع بهم وقتل منهم مقتلةً عظيمةً[2] ، فلعلّ ابنَ سعيدٍ أرادَ هؤلاء القومِ ، فلما رأىٰ أنّ كلباً أشهرُ قبائل قُضاعةَ وأضخمها ظنّ أنّ أولئك القوم أو معظمهم من كلب ، وما ذلكَ بالصواب .

وإذا كان العَجَبُ ما قاله ابن سعيد فإن أعجب العجب ما قاله لويس شيخو عن نصرانية بني كلب ، فقد قال ، وذكر قبائل العرب المتنصّرة : « كلب بن وبرة : قبيلٌ عظيمٌ من قضاعة ، يقسمُ إلىٰ عدّة بطون ، وهم من أَعْرَق العرب في النصرانيّة وأقدمهم عهداً فيها ، . . . ، وقد عُرِفَتْ قبيلةُ كلب بشَرفها وعزّها ؛ ومن أُمرائِها النّصارىٰ : زهير بن جناب ، أحد المُعَمَّرين ، ومنهم بَحْدَل بن أُنيف النّصرانيُّ حَمُو

---

(١) معجم ما استعجم : ٧٥ (المقدمة) .
(٢) نهاية الأرب ١٩ : ١٦٧ .

معاوية بن أبي سفيان ، كان له كنيسةٌ في دمشق ، ومنهم دِحْيَةُ بن خليفة ، قال ابن دريد في الاشتقاق : ٣١٦ : (هو الذي كان جبريل عليه السّلام ينزل في صورته) كذا ، ومنهم فرافصة النّصرانيةُ زوجة عثمان ، وقد دعت ابنةً لها بـ(مريم) ؛ وبقيت كلبٌ مدّةً علىٰ نصرانيّتها بعد الإسلام إلاّ بعضهم ، وفي المقتضب لياقوت : (أَسْلَمَتْ كلبٌ غيرَ مَدَرِهِ ، كانوا نصارىٰ) ؛ وفي سيرة الرّسول لابن هشام ص٢٨٢ أنّ محمّداً دعا إلىٰ الإسلام قوماً من كلب يُعْرَفُونَ ببني عبد الله فلم يقبلوا منه »[١] ثمَّ أورد في موضعٍ آخَرَ الشّواهد علىٰ نصرانيّة عدد من القبائل العربية ، فذكر كلباً وقال : « ودونك الأدلّة علىٰ تديّنها بالدين المسيحي :

ـ إن بني كلب بطنٌ من قضاعة ، وهي القبيلة اليَمنية الأصل التي أجمع الكَتَبَةُ علىٰ تَنَصُّرِها عموماً ، كابن قتيبة ، واليعقوبيّ ، والنُّويريّ ، وخصُّوا بالذكر بعضَ بطونِها كبني سَليح وبني جَرْم .

ـ ثمَّ ليس في كتب المؤرخين إشارةٌ إلىٰ شرك كلب ، بل كثيراً ما يصرّحونَ بنصرانيّة أعيانهم كبحدل بن عنيف من سادتهم ، وهو أبو ميسون زوجة معاوية ، وكفرافصة الكلبي أبي نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفّان ، وذُكر في المقتضب لياقوت ، ص٣٦ ، وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة أنّ بني كلب كلهم كانوا نصارىٰ ، وكذلك ذكر ابنُ خلدون في تاريخه ٢ : ٢١٩ أنّهم دخلوا في دين النّصرانيّة .

ـ ولمّا ظهر الإسلام كان بنو كندة وبنو كلب من جملة الذين لم ينكروا دينهم كما أخبر بذلك ابن هشام في سيرة الرّسول .

ـ وكذا روىٰ ياقوت في المقتضب عَنْ مَدَرِ كلبٍ ـ أي أهل البادية ـ فقال : (أسلمت كلب غير مدرها كانوا نصارىٰ) »[٢] ، وعَقَدَ في آخر كتابه فصلاً للملاحظات والاستدراكات علىٰ كتابه ، ومما استدركه علىٰ حديثه عن بني كلب

---

(١) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١ : ١٣٧ـ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٢٠٤ .

قوله : «ومن نصارىٰ كلبٍ : امرؤ القيس بن أصبغ ، كان زعيم قومِهِ عند ظهور الإسلام ، وثبت علىٰ دينه عندَ دعوة محمّد (اطلب أسد الغابة لابن الأثير ١ : ١١٥)»[١] .

وفي كلام الأب لويس شيخو هذا أخطاءٌ كثيرة وتحريفٌ لِكَلِمِ العلماء عن مَوَاضِعِهِ كي يُنَاسِبَ مَأْرَبَهُ ، وفيه تدليسٌ وتقوُّلٌ علىٰ العلماء ببعضِ الأقاويل ؛ فقد ذَكَرَ أنّ بني كلب هم من أعرق العرب في النّصرانيّة وأقدمهم عَهْداً بها ، وقد مَرَّ بنا في الحديث عن وثنيّة القوم وفيما سبق من الحديث عن النّصرانية فيهم ما فيه مَقْنَعٌ بأنّ النّصرانية دخلت فيهم أواخرَ العصر الجاهليّ، ولم تدخل إلاّ في قلّةٍ قليلةٍ منهم؛ وزعم أنّ ابن قتيبة واليعقوبيّ والنويريّ أجمعوا علىٰ تنصُّر قضاعةَ عموماً وفيهم بنو كلب ، وقد مرّ بنا قَوْلا ابن قتيبة واليعقوبيّ في بداية الحديث عن النصرانيّة في بني كلب[٢] ، فرأينا ابن قتيبة يذكر أنّها دخلت في « بعض قضاعة » ، وأنّ اليعقوبيّ ذكر من تنصّر من قبائل العرب فعدّ منهم بهراء وسليح من قبائل قضاعة ولم يذكر سواهما ، وما هما بالقبيلتين الكبيرتين ؛ كما زعم أنّه ليس في كتب المؤرِّخين إشارةٌ إلىٰ شِرْكِ كلب ثم استدرك علىٰ نفسه فيما بعد فقال : « كان بنو كلب قبل تنصُّرهم يعبدون صنماً اسمه وَدّ ، ثم دانوا بالنّصرانيّة ورسخ قدمهم فيها »[٣] ، وقد مرّ بنا في الحديث عن وَدٍّ وغيره من الأصنام التي كانوا يعظّمونها ويسمُّون أبناءَهم بها ما فيه دليلٌ علىٰ أنّ ما ذكره ليس صحيحاً ، وأنّ القوم بقوا علىٰ عبادته إلىٰ أن بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقاتلهم وقتل منهم مقتلةً عظيمةً ممّن حاربوه دفاعاً عن صنمهم .

وذكر عدداً من رجال كلب ذهب إلىٰ أنّهم كانوا نصارىٰ ، منهم زهير بن جناب ، ولو لم يكن من دليل علىٰ وثنيّة زهير سوىٰ قوله في قصيدة :

فحيّـاكِ وَدّ ، زوّدينـا تحيـةً لعلّ بها عانٍ من الكَبْلِ يُطْلَقُ

---

(١) المصدر نفسه ٢ : ٤٥٩ .

(٢) انظر، ص: ١٨٦ ، وقد راجعت كتاب (نهاية الأرب) للنويري عدّة مَرّات فلم أقف له على حديث عن أديان العرب قبيل الإسلام، بل تحدّث عن أوابدهم .

(٣) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ٢ : ٤٥٩ .

لكان كافياً ، فكيف وقد تزوّج الرّجل أربع نساء ، وحاربَ غطفان لأنّها بَنَتْ بُسّاً وجعلت له حَرَماً تريد أن يكون ذلك مثل حَرَمِ مكّة[1] ، هذا إلىٰ جانب تعدّد الزَّوْجات في أبنائه وأبناءِ إخوتِهِ وإلىٰ جانب الأسماء الوثنية في الأجيال التي جاءت بعدَه من بني جناب[2] ؛ ومنهم بحدل بن أنيف حمو معاوية بن أبي سفيان ، واستدلّ علىٰ نصرانيته بأنه كان له كنيسة في دمشق ، والصّواب أنّ الذي كان له كنيسةٌ في دمشق هو حفيدُهُ حسان بن مالك بن بحدل ، وهذه الكنيسة لم يبْنها هو ولا كان يصلّي فيها ، وإنّما أَقْطَعَهُ إيّاها بعضُ أمراء بني أميّة ، فنازَعَهُ فيها نصارىٰ دمشق إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : إن كانت مِنَ النصفِ الذي صُولِحُوا عليه فلا سبيلَ لكَ عليها[3] ، وحسَّان هذا هو الذي صلّىٰ بالناس إماماً أربعين يوماً ، وقيل إنّه سُلِّم عليه بالخلافة قبل أن يبايع لمروان بن الحكم حتى سلّمها له[4] ؛ ومنهم دِحية ابن خليفة الكلبيّ ، وقد رجعت إلىٰ عدد كبير جداً من المصادر التي ذكرت دِحيةَ فما وجدت فيها مصدراً واحداً ذكر أنّه كان نصرانياً قبل أن يسلم[5] .

ومنهم ـ بحسب ما ذكر ـ « فرافصة النصرانية زوجة عثمان ، وقد دعت ابنة لها بـ(مريم) » . ثم عاد فقال : « كفرافصة الكلبي أبي نائلة زوجة الخليفة عثمان » وهذا هو الصواب ؛ فأمّا الفرافصة بن الأحوص فلا خلاف في أنّه كان نصرانياً ، وقد سَبَق من قبلُ أنّ أباه الأحوص خَلَفَ بعد أبيه علىٰ أمّ الفرافصة نكاحَ مَقْتٍ ، وليس نكاحُ المقت من أنكحة النّصرانيّة بل من أنكحة الجاهليّة ، وهذا يدلّ علىٰ أنّ الفرافصةَ كان وثنيّاً كأبيه ثم اعتنق النصرانيّة ، ولم يُذكر أنّهُ أَسْلَمَ ، في حين أنّ ابنَهُ ضَبّاً كان مُسْلِماً وهو الذي زوّج أخته نائلة من عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وأمّا

---

(١) انظر ترجمته في الديوان .
(٢) انظر تلك الأسماء فيما سبق ، ص : ١٧٦ ـ ١٧٩ .
(٣) تاريخ دمشق ٤ : ٣٩٤ـ٣٩٥ .
(٤) انظر ما سبق ، ص : ١٤٧ ـ ١٤٩ .
(٥) انظر ترجمة دحية في الديوان .

نائلة فقيل إنّها كانت نصرانيّة ثم أسلمت عند عثمان ، وقيل كانت مسلمةً من قبل ، وعلىٰ أي حالٍ فقد أسلمت ؛ وأمّا تسمية ابنتها بـ(مريم) فليس بالغريب أن يسمّي المسلم ابنته مريم وابنه عيسىٰ أو موسىٰ ، فأصحاب هذه الأسماء في موضع إجلال وتعظيم عند المسلمين .

ومنهم امرؤ القيس بن أصبغ ، فذكر أنّه « كان زعيم قومه عند ظهور الإسلام وثبتَ علىٰ دينه عند دعوة محمد » ؛ في حين أنّ امرأ القيس بن الأصْبغ لم يكن زعيم قومه عند ظهور الإسلام ، وإنّما كان زعيمُهُم أبوه الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة ، وكان أبوه نصرانياً فأسلم ، وقد بعث رسول الله ﷺ امرأ القيس بن الأصبغ عاملاً علىٰ كَلْبٍ حين أرْسَلَ عُمَّالَهُ علىٰ قضاعةَ ، فارتدَّ بعضُ عمّالِه حين مات ، وثبت امرؤ القيس علىٰ الإسلام ، هذا ما نصّ عليه ابن الأثير الذي أَحَال إليه الأب شيخو وغيرُ ابن الأثير[1] ؛ فحرّف الأب شيخو الكلامَ عن مواضعه فزعم أنّه « ثَبَتَ علىٰ دينه عند دعوة محمّد »!!! .

وممّا حرّفه الأب لويس شيخو عن مواضِعِه وبَتَرَهُ بَتْراً من أصلِهِ ما نقله عن (المقتضب) لياقوت ، إذ نقله مرّتين ففي المرّة الأولىٰ قال : « أسلمت كلب غيرَ مَدَرِهِ ، كانوا نصارىٰ » وفي الثّانية قال : « أسلمت كلب غير مَدَرِها ، كانوا نصارى » وفَسَّرَ (مَدَرَ كلب) في هذه المرّة الثانية بأنهم أهل البادية!! وكتاب المقتضب هذا هو مختَصَرُ كتاب ابن الكلبيّ في النسب ، وقد نقلتُ نَصَّهُ مِنْ قبل وفيه أنّ عامراً المذمَّم بن عوف بن عامر الأكبر ولد عدداً من البنين ، فذكر منهم « مالكاً وهو الرّمّاح ، . . . وعوفاً وهو المِشَظّ ، وأمُّهما عَدَسَةُ بنت مالك بن عامر بن عوف ، بها يُعْرَفون ؛ وأبا عامر ، والحارث ، وأمّهما مَدَرَةُ ، بها يُعْرَفون ، وهي أختُ عَدَسَةَ ؛ قال : أسلمت كلبٌ كلُّها غير مَدَرَةَ كانوا نصارىٰ »[2] فبتر الأب شيخو النصّ وحرّفه فقال (غير مدرها) ، وأتبع ذلك بطامَّةٍ لُغَوِية ففسَّرَ مَدَرَ كلب بأنهم

---

(١) انظر ترجمته وترجمة أبيه في الديوان .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٦٣ .

أهلُ البادية ، وإنّما المَدَرُ هم أهلُ القرىٰ كما في جميع كتب اللّغة ، ولا بأس بذلك كُلِّه ما دامَ يوافق مأرباً ويؤدّي مَطْلباً!!!.

وفيما ذكر الأب شيخو تدليسٌ أيضاً ، وذلك في قوله : « وفي سيرة الرّسول لابن هشام ص٢٨٢ أنّ محمداً دعا إلىٰ الإسلام قوماً من كلبٍ يُعْرَفون ببني عبد الله فلم يقبلوا منه » ، فلم يبيّن أين دعاهم النبيّ إلىٰ الإسلام ، وقد بيّن ابن هشام وغيرُه ذلك ، وذلك أن النّبي ﷺ دعاهم ودعا غيرهم في بعض مواسِم الحجّ ، فلم يستجيبوا له ، ودعوتُهُ لهم في مواسم الحجّ دليلٌ علىٰ أنَّهم كانوا كغيرهم من العرب يعظّمون البيتَ الحرامَ وما كان حولَهُ من الأصنام ، فحذف الأب شيخو ذلك وأخفاه ، فاستقام له بذلك أن القومَ لم يستجيبوا للرّسول تمسّكاً بنصرانيّتهم!!!.

وفي حديث الأب شيخو تقوُّلٌ علىٰ ابن عساكر ، وذلك في قوله : « وفي تاريخ ابن عساكر في ترجمة نائلة أنّ بني كلب كلّهم كانوا نصارىٰ » وقد راجعتُ ما جاء في ترجمة نائلة من تاريخ ابن عساكر فلم أجد ذلك ولا ما يقاربه!!!.

وهكذا رأينا أنّ النّصرانية لم تكن غالبةً علىٰ بني كلب ، كما قال ابن سعيد ، ولا كان القوم متنصّرين عامّةً ، كما قال لويس شيخو ، بل إنّها دخلت في بعض الأُسَرِ والأفراد منهم ، في حين كانت الوثنيّة غالبةً عليهم حتى جاء الإسلام .

جـ ـ إسلامُهُم وموقفُهم منَ الرِّدَّة :

لمّا بعث الله نبيّه محمّداً ﷺ أقام بمكّة ثلاث سنين من أوّل نبوّته يدعو خفيةً ، فكان ممّن آمَنَ بهِ مولاه زيد بن حارثة الكلبيّ ، وكان يقال له زيد بن محمّد ، لأنّ النبيّ عليه السّلام كان قد تبنّاه من قبلُ في خبر مشهور ، ولا خلافَ في أنَّهُ كان مِنَ السّابقين الأوّلينَ للإسلام ، حتى قيل إنَّه أوّلُ مَنْ أسلم علىٰ الإطلاق[1] ، ثمّ جاءَ النَّبيَّ الأمرُ أن

---

(١) انظر : السّيرة لابن هشام ١ : ٢٦٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٣١٦ ، والتنبيه والإشراف : ١٩٩ ، ولطائف المعارف : ١٢ ، والاستيعاب : ٥٤٦ ، وتاريخ دمشق ٦ : ٥٨٠ ، وغير ذلك من المصادر ، وانظر ترجمته في الديوان .

يصدَعَ بالإسلام ، فقام في السَّنة الرّابعة يدعو عَلَناً ، فلم يَسْتَجب له في مكّة إلاّ القليل ، وكان ممّنْ آمَنَ به سَعْدُ بنُ خُوليّ الكلبيّ أحد بني عَمِيرة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر مولىٰ حاطب بن أبي بَلْتَعَة ، ثم هاجر إلىٰ المدينة وشهد بدراً واستشهد يوم أحد[١] ؛ ثمّ إنّ النّبيّ عليه السّلام جَعَل يعرِض نفسَهُ علىٰ قبائل العرب في مواسِمِ الحجّ فيدعوهم إلىٰ الإسلام ، فكان ممّن أتاهم رسول الله ﷺ بنو كلب ، فذكر المؤرخونَ أنّه أتىٰ إلىٰ بطنٍ منهم يقال لهم بنو عبد الله ، « فدعاهم إلىٰ الله عز وجلّ ، وعرضَ عليهم نفسَه ، حتى إنّه ليقول لهم يا بني عبدِ الله ، إنّ الله قد أحسن اسمَ أبيكم ، فلم يقبلوا منه ما عَرَض عَليهم »[٢] وهؤلاء هم بنو عبد الله بن كنانة فيهم بطونٌ كثيرة[٣] .

ثمّ هاجَرَ النّبيّ عليه السّلام إلىٰ المدينة المنوّرة ، فظهرت كلمةُ الإسلام وبدأ عهدٌ جديدٌ من الدَّعوة والجهادِ ، فكان ممن أسْلَمَ في السّنوات الأولىٰ للهجرة من بني كلب دِحْيةُ بن خليفة الكلبيّ ، ذُكِرَ أنّه أسلمَ قبلَ غزوة بدرٍ (٢هـ) ، وفي أخباره ما يدلّ علىٰ أنّ في أسرتِهِ من أسْلَمَ مَعَهُ إن لم تكن قد أسلمت كلّها ، ذلك أنّ النبيّ عليه السّلام خَطَب ابنة أُختِهِ ، فماتَتْ ، فخَطَبَ أُخْتَهُ فماتَتْ قبل أن يدخل بها ، فلو لم تكونا مُسْلِمَتَيْنِ ما خطبهما رسولُ الله ، ولا ريبَ في أنّ لدحية أثراً كبيراً في دعوةِ مَنْ أسلمَ منهم ، وقد كان له مشاركة واضحةٌ في الدعوة الإسلاميّة ، ومن أشهر ما قام به أنّه كان مبعوثَ رسولِ الله ﷺ وحاملَ كتابِهِ إلىٰ هرقل عظيم الروم في آخر السّنة السّادسة للهجرة يدعوه إلىٰ الإسلام[٤] .

وفي شعبان من السّنة السّادسة للهجرة سَيَّرَ رسول الله ﷺ سريّةً إلىٰ دومة الجندل وأمَّرَ عليها عبد الرحمٰن بن عوف ، وذلك بَعْدَ صلح الحُدَيبية بين النبيّ عليه السّلام

---

(١) انظر النسب الكبير ٢ : ٣٧٠ ، والمحبّر : ٢٧٦ ، وأسد الغابة ٢ : ٣٤٥ ، والإصابة ٣ : ٥٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٣٤٩ ، ومثله في السير والمغازي : ٢٣٢ ، والسّيرة لابن هشام ٢ : ٦٥ ، والطبقات الكبرىٰ ١ : ٢١٧ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٩٣ ، والاكتفاء ١ : ٤٠٠ـ٤٠١ ، والسّيرة ـ لابن كثير ٢ : ١٥٧ ، والبداية والنهاية ٣ : ١٣٧ ، ونهاية الأرب للنويري ١٦ : ٣٠٢ـ٣٠٣ ، وإمتاع الأسماع ١ : ٣٠ـ٣١ ، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) : ٢٨٦ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٤١٦ ، والسّيرة الحلبيّة ٢ : ٣ .

(٣) انظر ما سبق في الحديث عن نسب بني كلب ، ص : ٣٥ ـ ٣٧ .

(٤) انظر ترجمته في الديوان .

وبين أهل مكّة ، فمكث ثلاثة أيّام يدعوهم إلىٰ الإسلام ، وقد كانوا أَبَوْا أَوَّلَ ما قدم أن يعطوه إلاّ السّيفَ ، فلمّا كان الثالثُ أَسْلَم الأصبغُ بن عمرٍو الكلبيّ وكان نصرانياً ، وكان رئيسَهم ، فأسْلَمَ القومُ ، وقيل أسلم ناسٌ كثيرٌ منهم ، وتزوّج عبد الرحمن تُماضِر بنت الأصبغ وقَدِمَ بها المدينةَ[١] .

ونجد في أخبارِ القوم أنّ عدداً من رِجالهم وفدوا علىٰ رسولِ الله ﷺ ؛ فَذُكِرَ أنّ عبد عمرو بن جَبَلَةَ الجُلاحيّ الكلبيّ الشّاعر ورجلاً من بني رَقاشٍ من كلبٍ أيضاً يقال له عصام وفدا علىٰ رسولِ الله ﷺ في خبرٍ مِنْ أعلامِ النبوّة ، فأَسْلَما ، وسَمّىٰ النبيُّ عبدَ عمرٍو بكراً[٢] ؛ وذُكِرَ أنّ حَمَلَ بن سَعْدانَةَ الشّاعر وحارثة بن قَطَن الشّاعر العُلَيْميَّيْنِ الكلبيّين وَفَدَا علىٰ رسول الله ﷺ فأسلما وهما من أهل دومةِ الجندل، فعقد لحَمَلٍ لِواءً وكتب لحارثة بن قطن كتاباً[٣] ، كما ذُكِرَ أنّ حارثة بن قطن وَفَدَ مع أخٍ له علىٰ رسول الله ﷺ فكتب لهما كتاباً[٤] ؛ وممّن وَفَد علىٰ رسول الله ﷺ منهم : جَبَلَة بن حارثة بن شَرَاحيل أخو زيد بن حارثة[٥] ؛ والدُّوميُّ بنُ قيس أحد بني ذُهْل بن الخزرج بن زيد اللاّت بن رفيدة، وَفَدَ علىٰ النبيّ عليه السّلام فعقد له علىٰ مَنْ تابَعَهُ من كلب[٦] ؛ والوَازِمُ بن زرّ الكلبيّ ويقال : وَدّان بن زرّ[٧] ؛ ووَبْر بن يُحَنَّس الكلبيّ، قدم علىٰ النّبي ﷺ سنةَ عَشْرٍ، وكان له شأنٌ في دعوة أهل اليمن إلىٰ الإسلام[٨] .

---

(١) انظر الخبر ومصادره في ترجمة الأصبغ بن عمرو في الديوان .

(٢) انظر ترجمة عبد عمرو في الديوان .

(٣) انظر ترجمة حمل وترجمة حارثة في الديوان، وفي ترجمة حارثة نصّ الكتاب .

(٤) انظر ترجمة حارثة في الديوان، وفيها نصّ الكتاب .

(٥) انظر التاريخ الكبير ٢ : ٢١٧ ، والاستيعاب : ٢٣٥ ، وتاريخ الصّحابة : ٦١ ، والمعجم الكبير ٢ : ٢٨٦ ، وأسد الغابة ١ : ٣١٩ـ٣٢٠ ، وتهذيب الكمال ٤ : ٤٩٧ ، وتجريد أسماء الصّحابة ١ : ٧٧ ، والإصابة ١ : ٤٥٦ ، والوافي بالوفيات ١١ : ٥٧ .

(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٠٧ ، والإكمال ٣ : ٣٧٠ ، وأسد الغابة ٢ : ١٦٣ ، وتجريد أسماء الصّحابة : ١ : ١٦٦ ، والإصابة ٢ : ٣٩٢ .

(٧) الإكمال ٢ : ٧ ، وأسد الغابة ٥ : ٤٣٠ـ٤٤٢ ، والتكملة للصغاني (زرر) و(وزم)، وتجريد أسماء الصّحابة ٢ : ١٢٥ـ١٢٧ ، والإصابة ٦ : ٥٩٣ ، ٦٠٢ .

(٨) الإصابة ٦ : ٥٩٩ .

ولا ريبَ أنّ كثرة هؤلاء الوافدين علىٰ النبيّ عليه السّلام تدلُّ علىٰ أنّ الإسلامَ كان قد انتشر في القوم انتشاراً واسعاً ، ولكنّه لم يكن قد عمَّ القبيلةَ كلَّها ، ولا سيّما أنّ ديارَهم كانت بعيدةً عن المدينة المنوّرة ، يدلُّ علىٰ ذلك أنّ رسولَ الله ﷺ عندما بعث خالدَ بن الوليد في السّنة التاسعة للهجرة منصرفَهُ من تبوك لهدم (وَدّ) صنم بني كلب حالت بينَهُ وبين هدمِهِ بنو عبد وَدّ وبنو عامر الأجدار الكلبيّون ، فقاتلهم حتىٰ هَدَمَه[1] ؛ ولعلّ كَسْرَ وَدّ كان حافزاً لكثيرٍ منهم علىٰ دخول الإسلام ، فقد رأوا بأعينهم أنّ إلٰههم هذا لم يُغْنِ عَنْ نفسِهِ شيئاً .

وقد وصلت إلينا أسماء عدد من الصحابةِ غير أولئك الذين سَبَقَ ذِكْرُهم من بني كلب ، وهم : أسامة بن زيد بن حارثة أمّره رسول الله ﷺ علىٰ جيشٍ فيه كبارُ الصّحابة لغزو الرّوم في بلاد الشّام ، ولم يكن بلغ العشرينَ من عمره ، وكان لواؤُه آخِرَ لواءٍ عقده وماتَ رسولُ الله وهم يتجهّزونَ[2] ؛ وامرؤ القيس بن الأصبغ بن عمرو ، وأخته تماضر بنت الأصبغ بن عمرو التي تزوّجها عبد الرحمٰن بن عوف حين أسْلَم أبوها ، فأنجبَتْ له أبا سَلَمة الفَقيهَ بن عبد الرحمٰن ، كانَ من كبارِ التابعين وأعلمهم[3] ، وجاريةُ بن أَصْرَم الأجداريّ ، رُوِيَ عنهُ وَصفُ وَدّ[4] ، وجناب الكلبيّ ، أسلم يوم الفتح[5] ، وجناب بن حارثة الشّاعرِ بنِ صخر ، وهاجر إلىٰ المدينة فجزعَ أبوهُ جزعاً شديداً وبكىٰ عليه في شعرٍ له[6] ، وجَهْبَل بن سيف الجُلاحيُّ ، الذي نَعَىٰ النبيَّ عليه السّلام إلىٰ أهل حضرموت[7] ، وحابس بن دُغُنَّة ،

---

(١) انظر ما سبق، ص: ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(٢) مصادر ترجمته كثيرة، وخَبَرُ جيشِه مشهور، انظر مثلاً: الاستيعاب ١ : ٧٥، وأسد الغابة ١ : ٧٩، والإصابة ١ : ٤٩، وتاريخ الطبري ٣ : ١٨٤ ، ٢٢٣ .
(٣) انظر ترجمة أبيها في الديوان .
(٤) انظر : الإكمال ٢ : ١ ، وأسد الغابة ١ : ٣١٢، وتجريد أسماء الصّحابة ١ : ٧٤، والإصابة ١ : ٤٤٣ .
(٥) انظر ترجمته، في الاستيعاب ١ : ٢٧٦، وأسد الغابة ١ : ٣٥٢، والإصابة ١ : ٥٠٢ .
(٦) انظر ترجمة حارثة بن صخر في الديوان .
(٧) انظر ترجمته في الديوان .

له خبر في أعلام النبوّة ، وله رواية[١] ، وحارثة بن جبلة بن حارثة ، ابن أخي زيد بن حارثة[٢] ، وخالد بن يزيد بن حارثة ، ابن أخي زيد بن حارثة أيضاً ، له رواية[٣] ، وحُصَين بن زيد أبو رجاء ، كان قد أتت عليه مئة وأربع وثلاثون سنة ، وله رواية[٤] ، ورَوْح بن يَسار ، أو سيّار بن رَوْح[٥] ، وكُلَيْب بن مكحولٍ الشاعرِ بن حارثة الأجداريّ ، قُتِل مع زيد بن حارثة يومَ مُؤْتَة[٦] ، وأبو المُنِيب الكلبيّ[٧] ، وأبو هلال الكلبيّ من بني تيم اللاّت[٨] .

فهذه أسماء مَنْ عرفت له صحبة من بني كلب ، بَلْهَ أولئك الذين أَسْلَمُوا في زمن النبيّ عليه السّلام ولم تُعْرَف لَهُم صحبة ، وهم كثيرٌ دون شَكّ يدلُّ علىٰ ذلك مثلاً ما سَبَق في الحديث عن سريّة عبد الرحمن بن عوف إلىٰ دومة الجندل ، ويؤكّد ذلك أنّ عبد الرحمن بن عوف كان عاملاً للنبيّ عليه السّلام علىٰ صدقات كلب[٩] ، وأنّ النبيّ بَعَثَ امرأ القيس بن الأصبغ بن عمرو عاملاً علىٰ بني كلب حين أرسل عُمَّالَهُ علىٰ قضاعةَ ، وبقي عاملاً عليهم حتى وفاة النبيّ عليه السّلام[١٠] .

وحين توفّي النبيّ عليهِ السّلام في السّنة الحادية عشرة ، اضطرب أمرُ دولة الإسلام أيّما اضطراب ، وارتدّ كثيرٌ من العرب ، فأخذ خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه علىٰ عاتقه محاربة المرتدّة الخارجة علىٰ الإسلام ، ولم تبقَ قبيلةٌ من قبائل

---

(١) الاستيعاب : ٢٧٩ ، وأسد الغابة ١ : ٣٧٥ ، وتجريد أسماء الصّحابة ١ : ٩٤ .
(٢) أسد الغابة ١ : ٤٢٤ ، والإصابة ١ : ٦١٣ ، وتجريد أسماء الصّحابة ١ : ٥٥ .
(٣) أسد الغابة ٢ : ١١٣ والإصابة ٢ : ٢٥٩ .
(٤) أسد الغابة ٢ : ٣٠ ، والوفا بأحوال المصطفى : ٤٦٣ ، وتجريد أسماء الصّحابة ١ : ١٣٣ .
(٥) انظر الاستيعاب : ٥٠٣ .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٩٢ ، وانظر ترجمة أبيه في الديوان .
(٧) انظر ترجمة أبي المنيب في الديوان .
(٨) أسد الغابة ٦ : ٣٢٢ ، والإصابة ٧ : ٤٤٥ .
(٩) تاريخ خليفة : ٧٥ .
(١٠) انظر ترجمته في الديوان .

العربِ إلاّ وفيها مَنِ ارتدُّوا غير قريش وثقيف[١] ، فكان بنو كلب مثل معظم العرب ، فيهم من ارتَدَّ وفيهم من ثَبَتَ علىٰ الإسلام ، فقد ذُكِرَ أنّ رسولَ الله ﷺ ماتَ وعُمّالُهُ علىٰ قضاعة هم : امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبيّ من بني عبد الله علىٰ بني كلب ، وعمرو بن الحَكَمِ القينيّ علىٰ بَلْقين ، ومعاوية بن فُلانٍ الوائليّ علىٰ سَعْدِ هُذَيْم ؛ فلمّا مات النبيُّ عليه السّلام ارتَدَّ وَديعةُ الكلبيّ فيمن آزَره من كلب ، وبقي امرؤ القيس علىٰ دينه ، وارتدّ زُمَيْل بن قُطْبَة القينيّ فيمَنْ آزَرَهُ من بني القين ، وبقي عمرو ، وارتدّ معاويةُ فيمن آزَرَهُ من سعد هُذَيم ؛ فكتب أبو بكر إلىٰ امرىء القيسِ فثَارَ بِوَديعةَ ، وإلىٰ عمرٍو فأقام لزُمَيْل ، وإلىٰ معاويةَ العذري فأقامَ لمعاوية الوائليّ ؛ وكانَ أبو بكرٍ قد سَيَّر جيش أسامَةَ إلىٰ الشّام ، إنفاذاً لوَصاةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فلمّا توسّط أسامةُ بلاد قضاعةَ بَثَّ الخيولَ فيهم وأَمَرَهم أن يُنْهِضُوا مَنْ أقامَ علىٰ الإسلام إلىٰ مَنْ رَجَعَ فيُحاربوهم ، فخرج المرتدّون هُرَّاباً حتى لجؤوا إلىٰ دومةِ الجَنْدلِ واجتمعوا إلىٰ وديعة ، ورجعت خيلُ أسامةَ إليه فأغار بهم علىٰ البلاد التي أوصاه رسولُ الله بالإغارة عليها ، ثمّ رَجَعَ إلىٰ المدينةِ سالماً غانماً[٢] ، ثمَّ كانَ مِنَ القضاءِ علىٰ المُرْتدّين المجتمعين بدومة الجندل من بني كلبٍ وغيرهم ما سَبَقَ ذِكْرُهُ في الحديث عن علاقات كلب في عصر الخلفاء الراشدين[٣] .

وفي الأخبار ما يدلُّ علىٰ أنّ مَنْ ثبتوا علىٰ الإسلام من كلبٍ وغيرهم من قضاعة كانوا جموعاً كثيرة ، فَمِنْ ذلك كتابةُ أبي بكر لامرىء القيس بن الأصبغ ليثور بوديعة ، فلَوْ لم يكن مَنْ مع امرىء القيس كثرةً تستطيع القيام لوديعة ومَنْ ارتدَّ مَعَهُ

---

(١) تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٤٢ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٤٢ ، وتاريخ دمشق ١ : ٢١١ ، ومختصره ١ : ١٧٢ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٤٢ـ٣٤٣ ، وفي هذه المصادر أنّ الذي كتب أبو بكر إليه ليسير إلىٰ وديعة هو امرؤ القيس جدّ سكينة بنت الحسين ، أي امرؤ القيس بن عديّ الكلبيّ ، وهو وَهْمٌ لا ريب فيه ، وإنّما هو امرؤ القيس بن الأصبغ نفسُهُ الذي كان عاملاً للنبيّ عليه السّلام علىٰ بني كلب ؛ انظر ترجمة امرىء القيس بن الأصبغ وترجمة امرىء القيس بن عدي في الديوان .

(٣) انظر ، ص : ١٤٠ .

لما أمرهم أبو بكر بذلك ؛ ومن ذلك أيضاً أنَّ أبا بكرٍ حين وجّه الجيوشَ إلىٰ الشّام سنة ثلاث عشرة بعث خالد بن سعيد بن العاصي وأمره أن ينزل تيماءَ ليكون ردءاً للبعوث الأخرىٰ ، وأنْ يدعُوَ مَنْ حَوْلَهُ من المسلمين للانضمام إليه ، وأَلاَّ يَقْبَل إلاَّ مِمَّنْ لم يَرْتَدّ ، فأقامَ ، فاجتمع إليه جموعٌ كثيرةٌ ، وعلم الرّوم بذلك فضربوا البعثَ علىٰ العَرَبِ الضاحيةِ ـ أي البُداةِ ـ بالشّام من بهراء وسليح وغسّان وكلب وغيرها ، فاجتمع جمع كثير ، فسارَ إليهم خالدٌ بأمرٍ من أبي بكر ، فهزمهم ، ودَخَلَ عامّةُ مَنْ كان تجمَّع لَهُ في الإسلام[1] ؛ فتيماءُ التي نزلها خالد تقع بالقربِ من ديار كلب ، ومِنْ ثَمَّ فقد كان فيمن انضمّ إليه ممَّن لَمْ يرتدّ جمعٌ من بني كلب ، وأما العرب الضّاحيةُ بالشّام الذين ضربَ عليهم الروم البعثَ من كلبٍ وغيرها فهم ممّن لم يكن قد أسلم منهم قبل ذلك ، وقد أسلموا كما في الخبر .

ولم يَزَل سائر بني كلب يدخلون في الإسلام بعد ذلك حتى عَمّهم جميعاً إلاّ بني مَدَرَةَ وهم فئة قليلةٌ من بني عامر المذمّم ، ثمّ من بني عامر الأكبر ، فقد قال فيهم ابن الكلبيّ : « أسْلَمَتْ كلبٌ كُلُّها غَيْرَ مَدَرَةَ كانوا نصارىٰ »[2] .

وبهذا الحديث عن عقيدة بني كلب نكون قد تعرّفنا جوانبَ متعدّدة تتعلّق بهم ، من حيث نسبهم ومنازلهم ، وعلاقاتهم وأيّامهم ، ثمّ عقيدتهم أخيراً ، وقد رأينا من خلال ذلك إشارات عدّة تتعلّق بحياة شعراء هذه القبيلة ، وقد قمت بترجمةٍ لشعراء بني كلبٍ في القسم الثاني من هذا البحث ، ومهّدْت بترجمة كلّ شَاعرٍ لشعره .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣ : ٣٨٧ـ٣٨٩ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٢ـ٤٠٣ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٤ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٦٣ .

الفصل الثاني

مَصَادِرُ شِعْرِ القَبِيلَةِ وَتَوْثِيقُهُ

إنّ ما تضمّنه الديوان الذي صنعتُه لأشعار بني كلب ـ وهو القسم الثاني من هذا البحث ـ لم أعتمد فيه على نسخة خطيّة من ديوانهم الذي صنعه بعض علمائنا الأقدمين ، ولذلك نحتاج قبل البدء بدراسة هذا الشعر موضوعيّاً وفنيّاً إلى النظر في مصادره وفي توثيقه ، فنقف أولاً عند مصادر شعرهم ، نتناول في هذه الوقفة الإشارات إلى ديوانهم المفقودة ، وأهم المصادر التي أخذنا عنها شعرهم المجموع ، وما ضاع من شعرهم ، ثم نقف ثانياً عند توثيق الشعر المجموع ، فنتناول موضوعَ الاضطراب في نسبة بعض الأشعار ، سواء أكان ذلك الاضطراب بين شعراء بني كلب أنفسهم ، أم بينهم وبين شعراء القبائل الأخرى ، لنميّز بذلك شعر هذا الرجل من شعر ذاك ، وشعر القبيلة من شعر غيرها ، كما نتناول النَّحْلَ في أشعارهم ، لنميّز الشعر الصحيح من الشعر المُتَّهَم .

أَوَّلاً ـ مَصَادِرُ شِعْرِ القَبِيْلَةِ

١ ـ رِوَايَةُ أَشعارِهم وَتَدوينُها ، وفِقْدانُ ديوانِهم :

ممّا لا ريب فيه أنّ أشعار بني كلبٍ وكلِّ قبيلة من قبائل العرب كانت تُتَناقَلُ بين أبناء القبيلة نفسها وأبناء غيرها لأسباب مختلفة ، لعلّ أهمّها أنّ في تلك الأشعار سِجلَّ مآثرها ومفاخرها ، إلى جانب كون الشعر نفسه فنّاً تتعشّقه النفس العربيّة ، وبقي ذلك الأمر حتى كان عصر التّدوين حين دُوِّنت الأشعار والأخبار

وغيرها ؛ ونقف فيما يتعلق ببني كلب على أخبار وأشعار كثيرة ، رُويت عن طريق رجال من بني كلب ؛ وإنّما نضرب ها هنا أمثلةً قليلةً للدّلالة على هذا الأمر ، فمن ذلك قول هشام بن محمد الكلبيّ وقد ذكر امرأَ القيس بن الحُمام الكلبيّ الشاعِرَ : « وهو أوّلُ من بكىٰ الديار ، وفيه يقول امرؤُ القيس بن حُجْرٍ :

يا صاحبيَّ قفا النواعجَ ساعةً   نبكي الدِّيارَ كما بكىٰ ابن حُمامِ

قال الكلبيُّ : أعرابُ كلب يَرْوُونَ هذا الشعر ، فإذا سألتَهُمْ : ما الذي بكى به الدّيار؟ أنشدوك خمسةَ أبياتٍ من : (قفا نبكِ من ذكرىٰ حبيبٍ ومنزِل) ، ثم قالوا : « بقيّتُها لامرىء القيس »[1] و(الكلبيُّ) هو محمّد بن السائب والدُ هشامٍ ؛ وفي روايةٍ أُخرىٰ لابن الكلبيّ قال فيها : « سمعتُه من غيرِ واحدٍ منهم »[2] أي من أعراب بني كلب ، فهذا يدلّ علىٰ أنّ أعراب كلبٍ كانوا يروون معلقة امرىء القيس بن حجر ، ولكنّهم كانوا يروون أوّلَها لامرىء القيس بن الحُمام ؛ ومن ذلك خبرُ وفود عبدِ عمرو بن جبلة الكلبيّ الشاعر على النبيّ عليه السّلام ، إذ رواه محمّد بن سعد بسنده إلى عبد عمرو بن جبلة نفسِه ، وجميعُ رجالِ السَّند من بني كلب[3] .

ومن ذلك ما أوردناه من خبرِ حارثةَ بن العُبَيْدِ عن أبي حاتمٍ السَّجِسْتانيّ عن هشامِ بن محمّد الكلبيّ عن شَمْلَةَ بن مُغِيث رجلٍ من ولد حارثة بن العبيد[4] . وما أَشرنا إليه من خبر حارثة بن شَرَاحِيل وابنِه زيد بن حارثة عن طريق يَحْيَىٰ بن أَيُّوب بن أبي عقال بن زيد بن الحسن بن أسامة بن زيد بن حارثة بسندِه عن آبائه[5] ؛ ومنه أيضاً ما جاء في ترجمة زُهَيْرِ بن جَنَاب ، وذلك في الحديث عن

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣١٠ ، وانظر ترجمة امرىء القيس بن الحمام في الديوان .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٥٤ .
(٣) انظر ترجمة عبد عمرو في الديوان .
(٤) انظر ترجمة حارثة بن العبيد في الديوان .
(٥) انظر ترجمة حارثة بن شراحيل ، وترجمة زيد بن حارثة في الديوان .

خبر وفاته ، وله طريقان أحدهما عن ابن الكلبيّ بسندٍ له ، والآخر عن محمّد بن زبّار الكلبيّ عن أشياخه من كلب[١] .

ولمّا جاء عصرُ التدوين في القرنين الثاني والثالث ذهب العلماء إلى جمع أشعار فحول الشعراء وأشعار القبائل من أفواه أشياخهم الرُّواة ومن أفواه أبناء القبائل في البوادي وحين يقدمون إلى الحواضر ، بل إنّ الدكتور ناصر الدين الأسد ذهب إلى أنّ أشعار القبائل كانت قد جُمِعَت منذ مطلع القرن الأول الهجريّ ، وأن بعضها قد يكون كُتب منذ الجاهلية ، واستدلّ على ذلك بأدلّة واضحة[٢] ؛ وقد ذكر ابنُ النديم أسماءَ القبائل التي عَرَفَ أنّ أشعارها قد جُمعت وذكر أسماء جامِعيها ، فبلغت ثمانية وعشرين قبيلة ، ومنها (أشعارُ بني عبد وَدّ) صنعه أبو سعيدٍ السُّكَّريّ ، ومعظم تلك الدواوين من صُنع أبي سعيد السكري[٣] ؛ وذكر في أخبار أبي عمرو الشيباني أنّه « أُخِذَ عنه دواوين أشعار القبائل كلِّها » ، ونقل بسندٍ له إلى عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال : « لمّا جمع أبي أشعارَ العرب كان نيفاً وثمانين قبيلة »[٤] ، وذكر الآمديُّ في (المؤتلف والمختلف) أسماءَ ستّين ديواناً من دواوين القبائل ، واقتبس منها ، ومن بينها كتاب بني كلب[٥] ؛ وثمّة مجموعة من المؤلّفات كانت تضمّ أشعاراً من كل قبيلةٍ على حِدَة ، ومنها ما هو لبعض علماء كلب ، مثل (كتاب أشعار القبائل)

---

(١) انظر ترجمة زهير في الديوان .

(٢) انظر مصادر الشعر الجاهلي : ٥٥٧ـ٥٦١ .

(٣) الفهرست : ٣٠٢ ، وانظر مصادر الشعر الجاهلي : ٥٤٥ـ٥٤٧ أيضاً حيث ذكر الدكتور ناصر الدين الأسد أسماء علماء آخرين غير أبي سعيد السكريّ شاركوه في صنعة بعض دواوين القبائل ، وأضاف الدكتور الأسد إلى تلك الدواوين الثمانية والعشرين ديواناً آخر هو (كتاب الحرّ وأشعارهم ، لهشام بن محمّد الكلبيّ) وهو تحريف صوابه (كتاب أخبار الجنّ وأشعارهم) ، انظر الفهرست (طبعة د. ناهد عبّاس عثمان) : ١٩١ ، ومعجم الأدباء ١٩ : ٣٠٩ ، ولذلك فهو ليس من أشعار القبائل .

(٤) الفهرست : ١٣٥ ، وانظر نور القبس : ٢٧٧ ، ومعجم الأدباء ١٩ : ٢٩٨ .

(٥) انظر مصادر الشعر الجاهلي : ٥٤٣ـ٥٤٤ ، وتاريخ التراث العربي مجلد ٢/ جزء ١ ص١٥٦ـ١٥٩ .

لخالد بن كلثوم الكلبيّ ، وهو من طبقة أبي عمرو الشيباني[١] ؛ وثمّة مجموعة أخرىٰ من المؤلفات كانت تتناول أعلامَ الشعراء ، وبعض تلك المؤلَّفات لعلماء من كلب ، مثل (كتاب الشعراء المذكورين) لخالد بن كلثوم الكلبيّ[٢] ، و(كتاب الدِّيباج في أخبار الشعراء) لهشام بْن محمد الكلبيّ (المتوفى سنة ٢٠٤هـ)[٣] وهي كتب كثيرة[٤] ؛ إلى ضروبٍ أُخرىٰ من التأليف تهتمّ بإيراد أشعار القبائل ككتب الأنساب والأيام والمثالب والمناقب وغير ذلك .

وقد ذكر الآمديّ ديوان أشعار بني كلب في ستّة مواضع من كتابه المؤتلف والمختلف ، فأوّلها في ترجمة امرىء القيس بن حُمام الكلبيّ ، إذ أنشد له بضعةَ أبياتٍ من مطلع قصيدة ثمّ قال : « وهي أبيات في (**أشعار كلب**) »[٥] ؛ وثانيها في ترجمة الأغلب الكلبيّ بشر بن حَرْزَم إذ قال بعدما ذكر أنّه كان يهاجي عبدَ الله بن دارم الكلبيّ : « فأمّا الأغلب فلم أجد له في (**أشعار كلب**) شعراً »[٦] ، وقد نقل البغداديّ كلام الآمديّ عمّن يُقال له (الأغلب) من الشعراء باختصار ، ومنه قوله هذا الذي ذكر فيه (أشعار كلب)[٧] ؛ وثالثها في ترجمة عَتِيد بن ضِرار الكلبيّ ، إذ أنشد له بيتين ثمّ قال : « وله في (**كتاب كلب**) أشعار »[٨] ، وقد نقل ابن عساكر نصَّ الآمديّ في ترجمة عتيد كلَّه ، ومنه هذه العبارة[٩] ؛ ورابعها في ترجمة القُطاميّ الكلبي ، وهو الحُصَيْن بن حمال ، إذ ذكر أنّه شاعر مُحْسِن ، وأنشد له بعض الرجز ، ثمّ قال : « وله في (**كتاب كلب**) أشعارٌ

---

(١) الفهرست : ١٣٢ ، وإيضاح المكنون ٣ : ٨٨ ، وانظر تاريخ التراث العربي مجلد ٢/ جزء ١ : ٦٠ـ٦٦ .
(٢) الفهرست : ١٣٢ .
(٣) الفهرست : ١٩٢ .
(٤) انظر تاريخ التراث العربي ، مجلد ٢/ جزء ١ : ١٥٠ وما بعدها .
(٥) المؤتلف والمختلف : ٧ .
(٦) المؤتلف والمختلف : ٢٣ .
(٧) خزانة الأدب ٢ : ٢٤٠ .
(٨) المؤتلف والمختلف : ٢٢٨ .
(٩) تاريخ دمشق ١١ : ٦٦ .

جِياد »[1] ؛ وخامسها في ترجمة الكذّاب الكلبي ، جَنابِ بن منقد ، إذ ذكر له خبراً وأنشد له بيتين ثمّ قال : « وله في (**كتاب كلب**) شعر في هذه القصة »[2] ؛ وسادسها في ترجمة وَزَر بن نعمة الإيادي ، إذ قال : « وَجَدْتُ ذكره في (**كتاب كلب بن وبرة**) »[3] ، ثم ساق خبرَه مع عديّ بن عَرِين الشاعر الكلبي وامرأته هند بنت أُبيّ[4] ؛ فهذه هي المواضع الستة التي ذكر فيها الآمديُّ ديوانَ أشعار بني كلب ، ونلاحظ أنّه سمّاه مرّتين (أشعار كلب) ، وثلاث مرات (كتاب كلب) ، ومرّة (كتاب كلب بن وبرة) ، ولم يذكر في كلّ تلك المواضع اسم صانع هذا الكتاب ، وهو دأبُه في ذكر دَواوين أشعار القبائل الستّين التي ذكرها في كتابه ، إذ لم ينسب تلك الدواوين إلى جامعيها إلاّ بعضَها اليسيرَ[5] .

ونجد في معجم البلدان عبارةً ذكر فيها (أشعار بني كلب) ، وذلك في قوله : « خَمّاء ، بفتح أوّله ، وتشديد ثانيه : موضعٌ جاء في أشعار بني كلب بن وبرة »[6] ، فهذه العبارة لا تدلّ علىٰ أنّه أراد ديوانَ أشعارهم على الأغلب ، بل لعلّه أراد ورودَ ذكر هذا الموضع في بعض أشعارهم .

وقد سبق أنَّ ابنَ النديم عدَّ فيما صنعه أبو سعيد السكريّ من أشعار القبائل « أشعار بني عبد وَدّ »[7] ولم يُبَيّن أيّ بني عبد ودّ هم ؛ وفي العرب عدد من الرجال يُعْرَفُون باسم عبد وَدّ[8] ، ولكنْ ليس فيهم مَنْ يُقال لبنيه بَنُو عبد وَد إلاَّ واحداً هُوَ عَبْدُ وَدّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذرة بن زيد اللاّت بن رُفَيْدة بن

---

(١) المؤتلف والمختلف : ٢٥١ .

(٢) المؤتلف والمختلف : ٢٥٨ .

(٣) المؤتلف والمختلف : ٣٠١ .

(٤) انظر ترجمة عدي في الديوان .

(٥) انظر مصادر الشعر الجاهلي : ٥٤٤ـ٥٤٥ .

(٦) معجم البلدان (خمّاء) .

(٧) الفهرست : ٣٠٢ .

(٨) انظر : جمهرة النسب ١ : ١٥٧ ، والنسب الكبير ١ : ٢٨٤ و٢ : ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٣٦٦ ، وجمهرة أنساب العرب : ١٦٦ ، ١٦٨ .

ثور بن كلب ، ومِنْ ثَمَّ فالمُراد ببني عبد وَدّ الّذين صنع السُّكّريُّ شعرَهم هم هٰؤلاءِ الكلبيُّون .

وقد وجدتُ فيهم عدداً من الشعراء يمكن أن يُؤَلَّف في أشعارهم كتاب ، فقد بلغ عدد ما وقفتُ على أسمائهم من شعراْء بني عبد ودّ عشرين شاعراً غير أولئك الذين لم تصل إلينا أسماؤهم وأشعارهم .

ولا نجد في المصادر القديمة أيَّ ذكر لديوان شاعرٍ من شعراء بني كلب ، إلا إشارة ضمنيّة في مقدّمة (منتهى الطلب) لابن ميمون ، فقد قال : « ولم أُخِلّ بذكر أحد من شعراء الجاهليّة والإسلاميّين الذين يُسْتَشْهَدُ بشعرهم إلاّ مَنْ لم أقف على مجموع شعره ولم أره في خزانة وقفٍ ولا غيرها »[1] ، ثمّ أورد في مختاراته قصيدةً لزهير بن جناب الكلبيّ ، وهي التي مطلعها :

أمِن آل سَلْمىٰ ذا الخيالُ المُؤَرِّقُ وقد يَمِقُ الطيفَ الطَّروبُ المُشَوَّقُ

وهذا يدلُّ ضمنيّاً على أنّ ديوان زهير بن جناب كان ممّا وقف عليه ابنُ ميمون ، ولكن لا أثر لهذا الديوان اليوم ؛ كما أنّ الآمديّ ذكر في ترجمة امرىء القيس بن الحُمام الكلبيّ خبرَ إغارته مع زهير بن جناب الكلبيّ علىٰ بني تغلب ، قال : « في قصّة مذكورة في (أخبار زهير بن جناب) »[2] فعبارة (أخبار زهير بن جناب) تحتمل وجهين اثنين فإمّا أنّه أراد به كتاباً بهذا العنوان ، فهو يُحيل إليه ، ذٰلك أنّه لم يُورِد في ترجمته لزهير بن جناب شيئاً من ذلك ، وإمَّا أنَّه أراد أخبار زهير بن جناب المشهورة عند الناس وفي كتبهم المختلفة ؛ فإن كان المراد به كتاباً بهذا العنوان فلا ريب أنّه كان يحتوي كثيراً من أشعاره .

وعدَّ ابنُ النَّديم في كُتُبِ ابن الكلبي (كتاب زيد بن حارثة ، حِبّ النبيِّ ﷺ)[3] ، ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، ولا شكّ في أنّه يذكر أخبار زيد

---

(١) منتهى الطلب ، مجلد ١ ، ص١ .
(٢) المؤتلف والمختلف : ٧ .
(٣) الفهرست : ١٩١ـ١٩٢ .

المختلفة ، ولا سيّما خبر استعباده ومَآلِه إلى النبيّ عليه السّلام ثم تبنّيه في خبر وفودِ أبيه على النبيّ ، وقد نقل ابن سعد هذا الخبر عن ابن الكلبيّ وفيه شعر لزيد ولأبيه ، ولا ندري أكانَ ابن الكلبيّ قد أنشد لهما غير ذلك في كتابه أم لا .

وذكر العينيُّ في أسماء مصادر كتابه (المقاصد النّحويّة) عدداً من دواوين الشعراء المتقدِّمين الذين يُحْتَجُّ بشعرهم ، فممّا جاء في طبعة كتابه « وديوان زفر بن حنان »[1] واسم الشاعر محرّف ، فذهب الدكتور فؤاد سيزكين إلى الظنّ بأنه (ديوان زهير بن جناب الكلبيّ) ، فقال : « ربّما عَرَف العينيُّ ديواناً لزهير ؛ انظر شرح الشّواهد ٤ : ٥٩٧ ؛ وقد صُحِّفَ الاسم من زهير بن جناب إلىٰ : زُفَر بن حَنَّان »[2] وأرىٰ أنّ هذا الظنَّ بعيدٌ عن الصَّواب ، ذلك أنّ العينيَّ لم يُعلِّق على شيءٍ من شعر زهير بن جناب في كتابه ، في حين أنّه شرح شاهداً من شعر (زُفر بن الحارث الكلابيّ)[3] ، ومن ثمّ فلا ريب في أنّ الصواب هو (ديوان زُفر بن الحارث) الكلابيّ ، وهو شاعرٌ فارس أمويٌّ له شعر كثير في أخبار العَصَبيّة بين كلب وقيس عيلان ، وبنو كلاب من قيس عيلان[4] .

وقد غدا مشهوراً أنّ مجاميع أشعار القبائل التي صنعها علماؤُها الأوائل قد ذهبت بها العوادي إلاّ ديوانَ شعرِ هُذيل ، وهو مطبوع مُتَداوَلٌ ؛ فكان من ذلك كتابُ أشعار بني كلب ، وأشعار بني عبد ودّ ؛ وقد بحثت في فهارس المخطوطات لكثير من مكتبات العالم فلم أقف على أيّ أثرٍ له ، وعكفت أياماً ليست بالقليلة أبحث في مخطوطات المكتبة الظاهرية التي نُقِلت إلى مكتبة الأسد الوطنيّة بدمشق ولا سيّما مخطوطات الشعر التي لا يُعرف لها عنوان ولا مؤلف فلم أرجع بطائل .

---

(١) المقاصد النحوية ٤ : ٥٩٧ .

(٢) تاريخ التراث العربي ، مجلد ٢ ، جزء ٢ : ٧٠ ، وشرح الشواهد هو المقاصد النحويّة .

(٣) انظر المقاصد النحوية ٢ : ٣٨٢ .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٥ : ٥٤١ـ٥٤٣ ، ٦ : ١٣٧ ، والأغاني ١٩ : ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٤ : ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، وتاريخ دمشق ٦ : ٤٢٠ـ٤٢٣ .

٢ـ مصادر شعرهم المجموع :

إنَّ إعادةَ جمع أشعار أيّ قبيلةٍ من القبائلِ العربيّة ، أو أيّ شاعرٍ من شعراء العرب ، تتطلّب من الباحث الرّجوعَ إلى مصادر مختلفة في موضوعاتها وفي عصور مؤلّفيها ، ليجمع منها كلّ ما يقف عليه من أشعار ومن أخبار تتعلّق بتلك القبيلة أو ذلك الشاعر ؛ وقد كان هذا شأن ما اجتمع لدينا من أشعار بني كلب التي بلغ مجموعها (١٢٨٨) ثمانية وثمانين ومئتين وألف بيت ، فمنها (٤٥٩) تسع وخمسون وأربع مئة بيتٍ لشعراء جاهليّين ، ولم يُعْرَفْ أصحاب اثني عشر منها ، و(٨٠) ثمانون بيتاً لشعراء مُخَضْرَمين أو كانوا في صدر الإسلام ، وقد عُرف أصحابُها إلاّ ثمانيةَ أبيات ، و(٥٩٨) ثمانية وتسعون وخمس مئة بيت لشعراء أمويّين ، ولم يُعرف أصحاب ثمانية وخمسين منها ، و(١٥٣) ثلاثة وخمسون ومئة بيت لشعراء لم تُعرف عصورهم ، ولم يُعرف أصحاب سبعة وأربعين بيتاً منها ، ومن ثَمَّ فإنّ ما اجتمع لدينا ممّا نُسِب إلى الشعراء الجاهليّين وشعراء صدر الإسلام والعصر الأمويّ إنّما هو (١١٣٧) سبعة وثلاثون ومئة وألف بيت .

وكانت هذه الأبيات مُوَزَّعة في مصادر ذات موضوعات مختلفة ، من كتب التراجم المتنوعة ، والاختيارات الشعرية ، والأنساب ، والجغرافية ، والتّاريخ ، واللّغة ، والشّروح والتفاسير المختلفة ، وكتب الأدب العامة والنحو ؛ وبعض تلك المصادر من الأهمية بمكان يجعلنا نقف عندها لنشير إلى مواطن أهمّيتها من حيث عدد شعراء هذا البحث الذين ذُكروا في كلّ مصدر منها ، وأولئك الشعراء الذين تفرّد بذكرهم ، ومن حيث عدد الأبيات التي أوردها ، وتلك التي تفرّد بإيرادها دونَ غيره من المصادر ، مع التنبيه هنا على أنّ بعض ذلك الشعر رُوِيَ لغيرهم ، وسيأتي الكلام على ذلك في الحديث عن الاضطراب في رواية أشعارهم .

ولكتب التراجم المتنوّعة من تراجم الشعراء والصَّحابة والأعلامِ المُتَّصِفين بصفةٍ مُعَيَّنةٍ أكبرُ الأهميّة ، إذ ضمّت هذه المجموعة من المصادر أكبرَ عددٍ من شعر بني كلب المجموع في هذا البحث ، ونقف عند خمسة مصادر منها ، هي : المؤتلفُ والمختلف للآمدي (٣٧٠ هـ) ، ومعجمُ الشعراء للمرزبانيّ (٣٨٤ هـ) ، والأغاني للأصفهاني (٣٥٦ هـ) وتاريخُ دمشق لابن عساكر (٥٧١ هـ) ، والمعمّرون للسجستاني (٢٥٥ هـ) ؛ فأما المؤتلف والمختلف فقد بلغ عدد الشعراء الكلبيّين الذين ذكرهم وترجم لمعظمهم (٣١) واحداً وثلاثين شاعراً تفرّد بذكر اثنين منهم ، وهما : الأُدَيرد ، وعديّ بن عرين ، وبلغ عدد الأبيات التي أنشدها في أثناء تراجم أولئك الشعراء (٩١) واحداً وتسعين بيتاً ، تفرّد بإنشاد (٣٤) أربعة وثلاثين منها .

وأمّا معجم الشعراء ـ وهو كتابٌ لم يصل إلينا كاملاً ـ فقد ورد فيما بقي منه ذكرٌ لـ(٢٨) ثمانية وعشرين شاعراً كلبيّاً ترجم لمعظمهم ، وتفرّد بذكر خمسةٍ منهم ، وهم : عمرو بن حجر ، والعبيد بن عامر ، وكلثوم بن وائل ، والهذيل بن أم عفاش ، وأبو العلاج ، يُضاف إليهم شاعرٌ آخر نقل ابنُ عساكر ترجمتَه عن معجم الشعراء ، وهو خِرْقةُ بنُ نُبَاتة الكلبيّ ؛ وبلغ ما أنشده المرزبانيُّ في معجمه من شعر بني كلب (٨٨) ثمانية وثمانين بيتاً ، تفرّد بإنشاد تسعة وثلاثين منها .

وأمّا كتاب الأغاني فقد ذكر أسماء (٢٤) أربعة وعشرين شاعراً كلبيّاً ، تفرّد بذكر شاعرةٍ واحدة منهم ، وهي هِنْد الجُلاحيّة ؛ ولم يترجم الأصفهانيُّ لجميع أولئك الشعراء ، وإنّما ترجم لزهير بن جناب ولنائلة بنت الفرافصة فحسب ، وأورد أسماءَ سائر الشعراء وأنشد من أشعارهم في أثناء ترجمة زهير بن جناب وتراجم غيره من الشعراء أو في الحديث عن بعض الأحداث ؛ وبلغ مجموع ما أنشده من أشعارهم (١٧٨) ثمانية وسبعين ومئة بيت ، تفرّد بإنشاد (٥١) واحد وخمسين بيتاً .

وأمّا تاريخ دمشق ـ وهو كتاب ترجم فيه ابن عساكر للأعلام المختلفين الذين وجد أنّهم سكنوا مدينة دمشق وما كان تابعاً لها من المواضع أو كان لهم خبر متعلّق بها ـ فقد بلغ عدد الشّعراء الكلبيّين الذين ذكرهم وترجم لمعظمهم (٣٤) أربعة وثلاثين شاعراً تفرّد بذكر شاعرة واحد منهم ، وهي امرأة خالد بن يزيد بن معاوية ؛ وأنشد من أشعارهم (١٨٦) ستة وثمانين ومئة بيت ، تفرّد بثمانية عشر بيتاً منها ، على أنّه إنّما ينقل عن مصادر أقدم منه ، ويروي معظم ما أورده في كتابه بأسانيده .

وأمّا (المعمّرون) ـ وهو كتابٌ ترجم فيه السجستاني لرجالٍ بلغ معظمهم من السنّ أكثر من عشرين ومئة سنة[1] ، فقد ذكر (١٠) عشرة شعراء كلبيّين فقط ، وتفرّد بذكر واحد منهم وهو حارثة بن مرّة بن حارثة بن عبد رُضىً ؛ وإنّما تكمن أهميّة هذا الكتاب فيما أورده من الشعر ، فقد أنشد (٦٧) سبعة وستين بيتاً تفرّد بإنشاد (٢٥) خمسة وعشرين بيتاً منها .

ويأتي بعد كتب التراجم كتب الاختيارات الشّعرية ، فنقف عند ثلاثة منها وهي : الوحشيات ، والحماسة لأبي تمّام الطائيّ الشاعر (٢٢٨ هـ) ، والحماسة لأبي عُبادة البحتريّ الشاعر (٢٨٤ هـ) ؛ فأمّا (الوحشيّات) فنجد فيه اختياراً لتسعة شعراء كلبيّين ، فبلغ مجموع ما اختاره (٦٩) تسعة وستين بيتاً تفرّد بعشرين منها ؛ وأمّا (حماسة أبي تمام) فأنشد فيها ثمانية وأربعين بيتاً منسوبة لشعراء كلبيّين ، وقد تفرّد ببيتين ، ومن تلك الأبيات ما لم ينسبه لشاعر معيّن وإنّما دلّت بعضُ المصادر الأخرى على أنّ صاحبه كلبيٌّ ؛ وأمّا حماسة البحتريّ فاختار فيها لعشرة شعراء من كلب تفرّد بذكر ستّة منهم دون المصادر الأخرى ، وبلغ مجموع ما اختاره من أشعارِهم (٩١) واحداً وتسعين بيتاً تفرّد بأربعين بيتاً منها .

---

(١) انظر مقدّمة محقّق كتاب المعمّرين : ك .

ونقف عند كتاب واحدٍ من كتب الأنساب ، وهو (نسب معدّ واليمن) الكبير ، أو (النسب الكبير) لأبي المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ (٢٠٤ هـ) ، وثمّة كتب أخرىٰ في الأنساب كانت على أهميّة بالغة في تراجم الشعراء وأنسابهم وضبط أسمائهم ومن أهمّها (أنساب الأشراف) للبلاذري (٢٧٩ هـ) ، و(الإكمال) للأمير ابن ماكولا (٤٧٥ هـ) ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني (٣٨٥ هـ) ، و(تبصير المنتبه) لابن حَجَر (٨٥٢ هـ) ، ولكنّ لكتاب ابن الكلبيّ ـ على ما ابتُلِيَ به بلاءً عظيماً من كثرة التصحيف والتحريف وإفساد الشعر وغير ذلك ـ أهميّةً بالغة من حيث الشّعراء الذين ذكرهم وبيّن أنسابَهم ، ومن حيث الأشعار التي أنشدها ، ولا سيّما التي تفرّد بها ، فقد بلغ عدد الشعراء الذين ذكرهم (١٣١) واحداً وثلاثين ومئة شاعر ، منهم مَنْ لم ينبّه على أنَّه شاعر ، ولكن المصادر الأخرى دلّت على ذلك ، فكان عددُ الشعراء الذين تفرّد بذكرهم (٣٩) تسعة وثلاثين شاعراً ، وبلغ مجموع ما أنشده من شعرهم (١٠٨) ثمانية أبيات ومئة بيت ، تفرّد بإنشاد خمسين بيتاً منها .

وكان (معجم البلدان) لياقوت (٦٢٦ هـ) أهم كتب الجغرافية التي جمعتُ منها شعر بني كلب ؛ إذ ذكر فيه (٢٤) أربعة وعشرين شاعراً تفرّد باثنين منهم ، وهما : أبو دُواد الكلبي ، ومكيث بن درهم ، وأنشد (٨٨) ثمانية وثمانين بيتاً مما اجتمع من شعرهم ، وقد تفرّد بواحدٍ وعشرين بيتاً أنشد تسعةً منها في كتابه (المشترك وضعاً) وهو كتابٌ استخلص ياقوتٌ مادّتَه المتعلّقة بأسماء المواضع المشتركة وضعاً والمفترقة صقعاً من معجم البلدان .

و(تاريخ الأمم والملوك) أو (تاريخ الطبري) لأبي جعفر محمّد بن جَرير الطبريّ (٣١٠ هـ) هو أهمّ كتب التاريخ التي حوت شعر بني كلب ، ذلك أنه ذكر فيه (٢١) واحداً وعشرين شاعراً منهم مَنْ أنشد له ومنهم من ذكر بعضَ أخباره ، فكان مجموعُ ما أنشد من شعرهم (٧٥) خمسةً وسبعين بيتاً ، تفرّد بثلاثةَ عَشَر منها .

وفي كتب اللّغة ولا سيّما المعجمات قدرٌ ليس بالقليل من أشعار كلب ، وإنّما نقف عند كتابين اثنين منها ، الأول هو كتاب (الجيم) لأبي عمرو الشيباني (٢٠٦ أو ٢١٣ هـ) ، قال فيه ابن النديم وهو يَعُدُّ ما صنّفَ أبو عمرٍو « كتاب النوادر المعروف بحرف الجيم »[١] ، وهو كتاب يهتمّ بإيراد الألفاظ النادرة من كلام العرب ، وقد أورد فيه كثيراً من لغة كلب ، ونقل كثيراً عن (أبي خليل الكلبيّ) ، والذي يهمّنا هنا هو ما أنشد من شعرهم ، إذ بلغ مجموعه (٢٧) سبعة وعشرين بيتاً تفرّد بسبعة عشر بيتاً منها ؛ والشعراء الكلبيّون الذين ذكرهم في كتابه خمسة شعراء ، تفرّد بذكر واحد منهم ، وهو أبو دُعْجة الكلبي .

والثاني هو (تاج العروس) للزَّبيديّ (١٢٠٥ هـ) ، وهو معجم جامع اعتمد مؤلّفه على عدد ضخم من المصادر الأساسية القديمة في اللّغة ، واحتوى معظم ما ورد في المعجمات السابقة كتهذيب اللغة للأزهري (٣٧٠هـ) ، والصحاح للجوهري (٣٩٣ هـ) وأساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨ هـ) ، والعُباب ، والتكملة والذيل والصلة ، ومجمع البحرين ، وهي ثلاثة معجمات عظيمة القدر للإمام الصَّغانيّ (٦٥٠ هـ) ، ولسان العرب لابن منظور (٧١١ هـ) ، وغيرها كثير ، فبلغ عدد الشعراء الكلبيّين الذين وقفت على ذكرهم فيه (٤٥) خمسة وأربعين شاعراً ، ووقفت فيه على (٦٩) تسعة وستين بيتاً ممّا اجتمع لديّ من شعرهم ، ومعظم تلك الأبيات شواهد لغوية ؛ وبذلك نرى أنّ اللّغة أُخذت عن بني كلب من خلال أشعارهم وغير أشعارهم ، وهم بعضُ قضاعةَ التي زُعِمَ أنّ اللُّغة لم تُؤخذ عنها[٢] ، وهذا يُعَدّ ردّاً واضحاً على هذا الزَّعم .

وهكذا رأينا أنّ مصادر ما اجتمع لدينا من أشعار بني كلب تختلف في الأهميّة من حيث موضوعاتُها ، فكان أهمّها كتب التراجم المختلفة ، ثمّ كتب

---

(١) الفهرست : ١٣٦ .

(٢) انظر الحديث عن الخصائص اللفظيّة واللغوية ، ص : ٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

الاختيارات الشعريّة ثمّ بعض كتب الأنساب ، ثمّ بعض المصادر الجغرافية والتاريخيّة ، ثمّ كتب اللغة ، وثمّة مصادر ذات أهميّة أقلّ ، مثل كتب الأدب العامة ، وشروح الشواهد ، وكتب الأمثال ، والأيام ، والكتب المتعلّقة بالقرآن الكريم والحديث الشريف والعقيدة ، من تفاسير وغيرها ، وكتب النقد والبلاغة والنحو ، وغيرها .

وإذا نظرنا إلى أهميّة هذه المصادر من حيث عُصُورُ مؤلِّفيها رأينا أنَّ مصادر القرن الثاني الهجري أوردت (١٩٢) اثنين وتسعين ومئة بيت من أصل ما اجتمع لدينا من أشعار بني كلب ، وهو (١٢٦٤) أربعة وستون ومئتان وألف بيت ، ويَبْرُز في مصادر هذا القرن كتاب النسب الكبير ، أو نسب معدّ واليمن الكبير ، لهشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ (٢٠٤هـ) ، و(أنساب الخيل) له ، وكتاب (الأصنام) له ، وكتاب (الجيم) لأبي عمرو الشيباني (٢٠٦ أو ٢١٣هـ) ، وكتاب (الخيل) لأبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنىٰ (٢٠٩هـ) ، و(وقعة صِفّين) لنصر بن مُزَاحم (٢١٢ هـ) ، ومن مصادره أيضاً (التيجان في ملوك حمير) لوَهْب بن مُنَبِّه (١١٤ هـ) برواية محمّد بن عبد الملك بن هشام الحميريّ (نحو ٢١٨ هـ) ، وأهم هذه المصادِرِ كتابُ النسب الكبير ، ويليه كتاب الجيم ثم كتاب وقعة صفّين ؛ فأمّا النسب الكبير ، والجيم ، فقد سبق الحديث عمّا تضمّناه من أشعار بني كلب ، وأمّا وقعة صفّين فقد جاء فيه عشرون بيتاً من أشعارهم ، منها ثلاثة عشر بيتاً لمُرَّة بن جنادة ، وسبعة أبيات لرجل من كلب من أصحاب معاوية ؛ وقد تفرّد بإنشاد هذه الأشعار إلاّ ثلاثة أبيات من شعر جنادة ؛ ولم أقف فيما وصل إلينا عن مصادر هذا العصر ما يثير شكّاً حول نحْل شيءٍ منها أو اتّهامه ، إلاّ في ثلاثة أبيات مُتنازعة بين زهير بن جناب الكلبيّ والمستوغر بن ربيعة ، وَرَدَتْ في كتاب التِّيجان وسوف يأتي الحديث عنها وعن غيرها في الكلام على موضوع الاضطراب وموضوع النَّحل في أشعار بني كلب .

ذلك ما أوردته مصادر القرن الثاني ممّا وصل إلينا من أشعار كلب ، أمّا

مصادر القرن الثالث فقد أوردت (٥١٥) خمسة عَشَرَ وخمسَ مئة بيت ، ويرجع التَّفاوُتُ بين ما وصل إلينا من هذا القرن وما وصل إلينا من القرن السابق إلى التفاوت في عدد مصادرها ، إذ كانت مصادر القرن الثالث أكثر ، ويبرز منها كتاب الحماسة لأبي تمام الطائيّ (٢٢٨ هـ) ، والوحشيّات له ، (والمعمّرون) لأبي حاتم السجستاني (٢٤٥ هـ) ، وكتاب (أسماء المغتالين) لمحمّد بن حبيب ، والمحبَّر ، وغيرهما له ، والبيان والتبين للجاحظ (٢٥٥) ، والحيوان ، وغيرهما له ، و(الأخبار الموفقيّات) للزبير بن بكار (٢٥٦ هـ) ، و(أنساب الأشراف) للبلاذُرِيّ (٢٧٩ هـ) ، و(بلاغات النساء) لابن طيفور (٢٨٠هـ) ، والحماسة لأبي عبادة البحتري (٢٨٤ هـ) ، وغير ذلك ؛ وأهم مصادر هذا القرن فيما يتعلق بشعر كلب : حماسة البحتريّ ، ثمّ الوحشيَّات ، ثمّ المعمّرون ، ويلي ذلك أنساب الأشراف ، فبلاغات النساء ، ثم سائر مصادر هذا القرن ؛ وقد ورد في هذه المصادر كثير ممّا جاء في مصادر القرن الثاني ، وتفرّدت بأشعار أخرىٰ ، وقد سبق الحديث عمّا أوردته أهمّ هذه المصادر فيما سبق ، ولم أقف على ما يثير شكّاً في شيءٍ ممّا وصل إلينا عن هذه المصادر إلاّ في أربعة أبيات همزيَّةٍ لزهير بن جناب وردت في كتاب المعمّرين ، وورد اثنان منها في حماسة البحتري ، ولست أقطع بأنّها منحولةٌ ، وإنّما أشكّ فيها بعض الشكّ ؛ ومعلوم أنّ مجموع ما صُنّف في القرنين الثاني والثالث هو المصدر الرئيسيّ لما أُلِّف في القرون التاليّة حول العصر الجاهليّ والأمويّ ، ذلك أنّ المصنّفين في هذين القرنين كانوا يأخذون مادَّتهم عن الأعراب من أبناء القبائل أو عن العلماء الّذين أخذوا عن أبناء القبائل ؛ ولم يصل إلينا من مصنّفات ذينك العصرين إلاّ القليل ، وكان ممّا ضاع من تلك المصنّفات مجاميع أشعار القبائل إلاّ مجموع شعر هذيل ، ودواوين كثير من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بني أمية ، وكثير من المصنّفات التي تهتمّ بعقائد العرب قبل الإسلام وأيّامهم ولغاتهم وأحوالهم المختلفة ؛ بيدَ أنّ مصادر القرون التالية نقلت إلينا أشياء ليست بالقليلة من مادّة تلك المصنّفات ، ويُصَرِّح مصنّفو القرون التالية في أحيان

كثيرة عن أسماء مصادرهم أو عن أسماء العلماء الذين نقلوا عنهم ، إمّا بأسانيدهم إليهم أو بالنقل المباشر عنهم أو عن مصنّفاتهم ، وكثيراً ما نجد قصائد أو مقطّعات ورد بعضها فيما وصل إلينا من مصادر القرنين الثاني والثالث ، وورد بعضها الآخر في مصادر القرون التالية .

فنجد أنّ مصادر القرن الرابع أوردت (٢٨٨) ثمانية وثمانين ومئتي بيت ممّا اجتمع لديّ من أشعار كلب ولم توره مصادرُ القرنين السابقَيْنِ ، ولكن أوردت في أحيان كثيرة أبياتاً أخرى ترجع في أغلب الظنّ إلى القصائد نفسها ، وهذا الأمر ظاهر في تخريجات أشعارهم ؛ ومصادر أشعار كلب في هذا القرن وفي القرون التالية كثيرة وإنّما نقف عند أهمّ تلك المصادر التي أوردت أشعاراً لم ترد في المصادر السابقة ؛ فنجد أنّ أهمَّ مصادر القرن الرابع هي : كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) ، والمؤتلف والمختلف للآمديّ (٣٧٠ هـ) ، ومعجم الشعراء للمرزباني (٣٨٤ هـ) ، فهذه الثلاثة هي الأهمّ ، وقد سبق الحديث عمّا أوردته هذه المصادر من تراجم الشعراء وما أنشده أصحابها من أشعارهم ، وما تفرّدت به تلك المصادر من أشعار دون غيرها ، ونضيف إلى ذلك ما أوردته هذه المصادر دون مصادر القرنين السابقين ، فكان ما ورد في الأغاني (١١٣) ثلاثة عشر ومئة بيت ، وماورد في المؤتلف والمختلف (٦١) واحداً وستين بيتاً ، وما ورد في معجم الشعراء (٥٥) خمسة وخمسين بيتاً ، وثمّة مصادر أخرى من هذا القرن أوردت أشعاراً لم ترد في مصادر القرنين السابقين وتفرّدت ببعض ما أوردته ، ولكنّه ليس بالكثير الذي يدعونا إلى الحديث عنها ، وهذه المصادر هي (الأشباه والنظائر) أو (حماسة الخالديّين) لأبي بكر محمّد بن هاشم (٣٨٠ هـ) ، وأخيه أبي عثمان سعيد بن هاشم (٣٩٠ أو ٣٩١هـ) ، و(الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير) للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٣٣٤ هـ) ، و(مروج الذهب) و(التنبيه والإشراف) وكلاهما لعليّ بن الحسين المَسْعُوديّ (٣٤٥هـ) ،

و(الأمالي) لأبي عليّ القاليّ (٣٥٦ هـ) ، وغير ذلك . ونجد أنَّ مصادر القرن الخامس أوردت (٥٢) اثْنَيْن وخمسين بيتاً ممّا لم يرد فيما وقفت عليه من مصادر القرون السابقة ، وسنورد فيما يلي أصحاب معظم تلك الأبيات في أهمّ مصادر هذا القرن ومصادر القرون التالية لقلّتها بالقياس إلى ما رأيناه في مصادر القرن الرابع ، وأهم مصادر هذا القرن (أسماء خيل العرب وأنسابها) لأبي محمّد الأعرابيّ الملقّب بالأسود الغُنْدِجانيّ (بعد ٤٣٠ هـ) ، و(فرحة الأديب) له ، و(معجم ما استعجم) لأبي عُبَيْد البكريّ (٤٨٧ هـ) ، فقد أورد الغندجاني في كتابه الأوّل أسماء عدد كبير من خيل بني كلب ، وذكر أسماء فرسانها ، وأنشد شيئاً ممّا قيل فيها ، وإنّما يهمّنا هنا ما أورده ممّا لم يرد في مصادر القرون السابقة ، وهو (١٥) خمسة عشر بيتاً ، ثلاثة منها لجَبّار بن قُرْط ، وثلاثة لخُنَيْس بن الجَدّ ، وثلاثة لخَيْبريّ بن حُصَيْن ، واثنان للربيع بن زياد ، وبيت واحد من أربعة أبيات أنشدها لشُبَيْل بن الجِنبَّار ، وثلاثة لِشَرَاحِيل بن عبد العُزّىٰ ، وجاء في كتابه الثاني بأربعة أبيات لم ترد في مصادر القرون السابقة وذلك من سبعة أبيات أنشدها للمنذر بن درهم ؛ وأورد البكري ممّا لم يرد في مصادر القرون السابقة ثمانية أبيات ، فمنها أربعة من خمسة أبيات أنشدها لزهير بن جناب[1] ، وبيت واحد لعبد الرحمٰن بن حُنَيْنَة ، وبيت واحد لعَطّاف بن شَعْفَرَة ، وبيتان لقَتَادة بن شعّاث ؛ وثمّة مصادر أقلّ أهميّة أنشدت سائر الأبيات الاثنين والخمسين ، منها البصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي (٤١٤ هـ) ، و(الإيناس بعلم الأنساب) للوزير المغربي (٤١٨هـ) وهذان المصدران أقرب إلى أن يكونا من مصادر القرن الرابع ، و(المحكَم) لابن سيده (٤٥٨) ، و(الهَفَوات النادرة) لأبي الحسن الصابىء (٤٨٠ هـ) ، وغيرها .

وأوردت مصادر القرن السادس (٦٢) اثنين وستين بيتاً لم أقف عليها في مصادر القرن الخامس وما قبله ، وأهمّ مصادر هذا القرن هو (تاريخ دمشق)

---

(١) انظر تخريج القطعة (١١) من شعر زهير .

لابن عساكر (٥٧١ هـ) ولابن عساكر مصادرُه القديمة ، ومن دأبه أَنْ يذكر في مقدمة كل ترجمة في كتابه مختصر ما يتّصف به صاحب الترجمة ممّا تدلّ عليه الأخبار ، ثمّ إنّه يورد بعد ذلك ما وقف عليه من أخبار المُتَرْجَم بأسانيده إلىٰ رواتها الأوائل ، وربّما ساقَ بعضَ الأخبار دون أسانيد ، وقد أورد (٢٩) تسعة وعشرين بيتاً من تلك الأبيات الاثنين والستين ، فسبعة أبيات لحكيم بن عيّاش الكلبي[١] ، واثنا عشر بيتاً لامرأة خالد بن يزيد بن معاوية ، وبيتان لخرقة بن نباتة[٢] ، وبيت واحد لعروة بن العشبة ، وبيت واحد لعطيّة بن الأسود ، وبيت واحد لشاعر مجهول في زمن معاوية بن أبي سفيان[٣] ، وثلاثة أبيات لشاعر مجهول في زمن عمر بن عبد العزيز[٤] ؛ وأما سائر الأبيات الاثنين والستين فقد ورد ثمانية منها في (منتهى الطلب) لابن ميمون (نحو ٦٠٠ هـ) من قصيدة أنشدها لزهير بن جناب تقع في ثلاثة وعشرين بيتاً[٥] ، وثمانية أخرى في (الروض الأُنف) للسُّهَيْلي (٥٨١هـ) ، وأنشدها لدحية بن خليفة الكلبي ، وسبعة متفرّقة في (ربيع الأبرار) للزمخشريّ (٥٣٨هـ) ، فاثنان منها لسفيان بن الأبرد ، واثنان لميسون بنت بحدل ورَدَا أيضاً في درّة الغَوّاص للحريري (٥١٦ هـ) من مصادر هذا القرن ، وثلاثة لشاعر مجهول الاسم والعصر[٦] ؛ وستّة أبيات من الاثنين والستين في الحماسة الشجرية لابن الشجري (٥٤٢ هـ) ، خمسة منها ليحيىٰ بن معاذ[٧] ، وواحد للحسام بن ضرار[٨] ؛ وبقي أربعة أبيات من الاثنين والستين جاء واحد منها في شرح سقط الزند للتبريزي (٥٠٢هـ) وهو

---

(١) انظر تخريج القطعة (٣) من شعره .

(٢) انظر تخريج القطعة (٥) من شعره .

(٣) انظر تخريج القطعة (١٣) من أشعار مجاهيل العصر الأموي .

(٤) انظر تخريج القطعة (٣) من أشعار مجاهيل العصر الأموي .

(٥) انظر تخريج القطعة (١٧) من شعر زهير بن جناب .

(٦) انظر تخريج القطعة (٦) من أشعار مجاهيل الاسم والعصر .

(٧) انظر تخريج شعره .

(٨) انظر تخريج القطعة (٢) من شعره .

لزهير بن جناب[1] ، وواحد آخر في أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨ هـ) وهو لزهير أيضاً[2] ، واثنان في مجمع الأمثال للميداني (٥١٨ هـ) لامرأة قراد بن أجدع .

وأوردت مصادرُ القرن السابع (٧٠) سبعين بيتاً ممّا لم يرد في مصادر القرن السادس وما قبله ، وأهم مصادر هذا القرن هو (معجم البلدان) لياقوت الحمويّ (٦٢٦هـ) ، إذ ورد فيه اثنان وعشرون بيتاً من تلك الأبيات السبعين ، وقد كرّر بعضَها ياقوتٌ في كتابه الآخر (المشترك وضعاً) الذي استخلصه من معجم البلدان ، فبيتٌ واحد لبسطام بن شريح ، وبيت لجابر بن درهم ، وبيت لجوّاس بن القعطل[3] ، وبيت لحسّان بن حارثة ، وبيت لحكيم بن عيّاش[4] ، وبيتان لخرقة بن نباتة[5] ، وبيت لأبي دُؤاد الكلبي ، وبيتان للرّباب بنت امرىء القيس ، وبيت لعمرو بن الأسود[6] ، وخمسة أبيات متفرّقة لعمرو بن عروة بن الغدّاء[7] ، وبيتان للمسيب بن الرَّفَل[8] ، وبيت لمَكِيث بن درهم ، وبيت لمكيث بن معاوية ، وبيت للمنذر بن درهم[9] ، وبيت آخر للمنذر بن درهم[10] ؛ وأمّا سائر الأبيات السبعين فقد جاء أحد عشر بيتاً منها في (الكامل في التاريخ) لعلي بن محمّد المعروف بابن الأثير (٦٣٠هـ) أنشدها لليلىٰ بنت الأحوص ؛ وجاء تسعة أبيات في (الدر الفريد وبيت القصيد) لمحمد بن أَيْدَمر

---

(١) انظر تخريج القطعة (٥) من شعر زهير .
(٢) انظر تخريج القطعة (٢٢) من شعره .
(٣) انظر تخريج القطعة (٢٠) من شعره .
(٤) انظر تخريج القطعة (٩) من شعره .
(٥) انظر تخريج القطعة (٤) من شعره .
(٦) انظر تخريج القطعة (٣) من شعره .
(٧) انظر تخريج القطع (١ ، ٤ ، ٧) من شعره .
(٨) انظر تخريج القطعة (١) من شعره .
(٩) انظر تخريج القطعة (١) من شعره .
(١٠) انظر تخريج القطعة (٤) من شعره .

(٦٩٤هـ) ، واحد منها أنشده لحارثة بن أوس[(١)] ، وثلاثة لعبد الجبّار بن يزيد[(٢)] ، وبيتان لعُفَيْر بن المُتَمَرِّس ، وثلاثة لغُزَيّ بن أُبَيّ ؛ وجاء تسعة أبيات في لسان العرب ـ لابن منظور (٧١١هـ)[(٣)] ، فاثنان لِخُثَيْم بن عَدِيّ المعروف بالرقّاص الكلبي[(٤)] ، وخمسة لمالكٍ العليميّ ، واثنان لهُرْدَان العُلَيْمي[(٥)] ؛ وجاءَ أربعة في (التكملة والذيل والصّلة) للإمام الصغاني (٦٥٠هـ)[(٦)] ، وقد أنشد هذه الأبيات الأربعة لزهير بن جناب مع بيت خامس ورد في مصادر سابقة[(٧)] ؛ وجاء أربعة أبيات في (الحماسة البصرية) لصدر الدين البصري (٦٥٩هـ) ، وأنشد اثنين منها لسالمة الكلبيّة ، واثنين لظُفَرَ بْنِ مُحارب ؛ وجاء ثلاثة أبيات في (الحِلّة السِّيَرَاء) لابن الأبّار القضاعيّ الأندلسي (٦٥٨ هـ) أنشدها للحسام بن ضرار أمير الأندلس[(٨)] ؛ وجاء ثلاثة في (نشوة الطرب في تاريخ جاهليّة العرب) لابن سعيد الأندلسي (٦٨٥ هـ) أنشدها لزهير بن شُرَيْك ؛ وجاء بيتان في (معجم الأدباء) لياقوت الحمويّ (٦٢٦هـ) أنشدها لخرقة بن

---

(١) انظر تخريج القطعة (٢) من شعره .

(٢) انظر تخريج القطعة (٢) من شعره .

(٣) من المعلوم أنّ ابن منظور ألّف معجم (لسان العرب) معتمداً على خمسة مصادر ، وهي : تهذيب اللّغة للأزهريّ (٣٧٠) ، والصِّحاح للجوهريّ (نحو ٣٩٣ هـ) والمحكم لابن سِيدَه (٤٥٨هـ) ، وأمالي ابن بَرّي على الصِّحاح ـ لابن برّي (٥٨٢هـ) والنِّهاية في غريب الحديث للمبارك بن محمّد المعروف بابن الأثير (٦٠٦هـ) ، ولم يخرج عمّا جاء في هذا المصادر الخمسة ، وجميعها مطبوع ، غير أنّي لم أقف على نسخة من أمالي ابن برّي ، ولم أقف إلاّ على الأجزاء (١ـ٦) من المحكم ، وهذا يعني أنّ ما ورد في اللّسان مصدرُه أمالي ابن برّي أو أحد أجزاء المحكم التي لم أقف عليها ، وقد صرَّح ابنُ منظور عند بعض هذه الأبيات التسعة بالأخذ عن ابن برّي .

(٤) انظر تخريج القطعة (١) من شعره .

(٥) انظر تخريج القطعة (٢) من شعره .

(٦) عقد الإمام الصغاني في خاتمة كتابه فصلاً لذكر مصادره التي اعتمدها في تأليف كتابه هذا ، وهو تكملة وذيل وصلة على صحاح الجوهريّ ، وترجع معظم مصادره التي ذكرها إلى القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وقد نقل محقّقو كتابه ذلك الفصل إلى مقدّمة التحقيق ، انظر التكملة والذيل والصلة ١ : ٦ .

(٧) انظر تخريج القطعة (٢٩) من شعر زهير .

(٨) انظر تخريج القطعة (٥) من شعره .

نباتة[١] ؛ وبيتان في (غُرَرِ الخصائص الواضحة) للوَطواط (٧١٨هـ) أنشدها لميسون بنت بحدل ، وهما من الشعر المُتَّهَمِ ؛ وجاء البيت الأخير في (نضرة الإغريض) للمظفر بن فضل العلوي (٦٥٦ هـ) أنشدها لجوّاس بن القعطل[٢] .

ولا نجد في مصادر القرون التالية أيّ شيء جديد سوى ستة أبيات ، فجاء في مصادر القرن التاسع ثلاثة أبيات ، أوّلها للمنذر بن وبرة بن رومانس ، أنشده مع بيت آخر ابنُ حَجَر (٨٥٢) في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) ، وقد صرّح بالنقل عن معجم الشعراء للمرزبانيّ ، ولكن المرزباني أنشد البيت الأول مع بيتين آخرين ليس منهما هذا الذي لم أقف عليه إلاّ في الإصابة ، وهذا يدلّ على أنّ النسخة التي اعتمدها ابن حجر من معجم الشعراء تختلف عن النسخة التي حُقِّق عنها ما بقي من معجم الشعراء ؛ وثانيها لشاعرٍ مجهولِ الاسم والعصر أنشده الأبشيهي (٨٥٠ هـ) في كتابه (المستطرف)[٣] ؛ وثالثها لجابر الكلبيّ الملقَّب بالمُرْني ، أنشده السَّيوطيّ (٩١١هـ) في كتابه (المُزهِر) .

وجاء في مصادر القرن العاشر بيتٌ واحد ، أنشده الخَضِرُ بنُ عطاء الله الموصلي في كتابه (الإسعاف في شرح شواهد القاضي والكَشّاف) لميسون بنت بَحْدَل ضمن أبياتٍ صرّح الخضر بأنّ بعضَها منحولٌ عليها .

وجاء في مصادر القرن الثاني عشر بيتان اثنان أنشدهما المُرْتَضىٰ الزَّبيديّ (١٢٠٥هـ) في معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس) لِعَرْفَجَة بن سَلامة وقد صرّح بأنّه نقل ذلك عن معجم (العُبَاب) للإمام الصَّغانيّ (٦٥٠هـ)[٤] ،

---

(١) انظر تخريج القطعة (٢) من شعره .

(٢) انظر تخريج القطعة (٩) من شعره .

(٣) انظر تخريج القطعة (١٩) من أشعار مجاهيل الاسم والعصر .

(٤) ترجع مصادر الصغاني في معظمها إلى القرنين الثاني والثالث، انظر ما سبق في الحاشية (٦) في الصفحة السابقة وقد طُبعت أجزاء متفرّقة من (العباب) وهو معجم يأخذ بأواخر الكلمات، وقد وقفت علىٰ عدد من تلك الأجزاء، وليس منها الجزء الذي نقل عنه الزبيدي، وهو الجزء الخاص بحرف اللام، مادة (ليل) .

فلا جديد حقيقةً في مصادر هذا القرن .

فتلك إذاً كانت أهمّ المصادر خلالَ القرون فيما يتعلّق بما اجتمع لدينا من شعر بني كلب ، وهو جزء صغير جداً من شعرهم الذي قالوه منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أميّة ، يُدْرَكُ ذلك بمجرَّد النظر في هذا المجموع من أشلاءِ قصائد غالتنا بها أيدي النوائب فلم تدع منها إلاّ أبياتاً قليلة ، كما ترك الصَّقر من فرخِ الحمامة التي وضعها حميد بن ثور فقال :

أُتِيحَ لها صَقْرٌ مُسِفٌّ فَلَمْ يَدَعْ لَهَا وَلَداً إلاَّ رَميماً وَأَعْظُمَا

٣ـ ضَيَاعُ شِعْرِهِمْ :

ليس الحديث عن ضياع الكثير من الشّعر الجاهليّ وشعر صدر الإسلام وعصر بني أميّة بالحديث المُبْتَدَع في هذا العصر ، وإنّما هو حديث قديم قِدَمَ اهتمام أسلافنا بتدوين الشعر منذ القرنين الثاني والثالث الهجريَّيْنِ ، فقد نقل محمد بن سلاّم الجُمَحيّ عن يونس بن حبيب أنّ أبا عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) قال : « ما انتهىٰ إليكم ممّا قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءَكُمْ وافراً لجاءكم علمٌ وشعر كثير »[١] ، وذكر ابنُ سلاّم نفسه (ت ٢٣١هـ) أنّه « لا يُحاط بشعر قبيلةٍ واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيّامها »[٢] ، ووافَقَهُ في القول ابنُ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦هـ) فقال : « الشعراءُ المعروفونَ بالشعر عند قبائلهم وعشائرهم في الجاهليّة والإسلام أكثر من أن يُحيط به محيط ، أو يقف من وراءِ عددهم واقف ، ولو أنفَقَ عمره في التّنْقيرِ عنهم ، واستفرغَ مَجْهُودَه في البحث والسؤال »[٣] .

فإذا كان هذا هو الحالُ عند علماءِ القرنين الثّاني والثّالث ، وقد جُمع في

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٥ .
(٢) المصدر نفسه : ٣٠ .
(٣) الشعر والشعراء : ٦٠ .

أزمنتهم ما أدركوه من أشعار القبائل في دواوين أشعارها دون ما سقط من يد الدهر فضاع ، فكيف يكون الحالُ في عصرنا هذا وقد ضاعت تلك الدَّواوين إلاّ ديوان هُذَيْل؟! فلا ريب إذاً أنّه لم يصل إلينا من أشعارهم إلاّ أقلُّ الأقلِّ .

والّذي يُهِمُّنا ها هنا هو ما ضاع من شعر بني كلب ، فقد رأينا أنّ ديوانَ أشعارهم ضاع مع غيره من دواوين القبائل ، ولم يبق منه إلاّ نقولٌ يسيرة في كتاب (المؤتلف والمختلف) للآمديّ ؛ وقد تنبّه الأصمعيُ (نحو ٢١٥هـ) منذ القديم على قلّة ما وقف عليه من أشعار كلب فقال : « لم أر أقلّ شعراً من كلبٍ وشَيْبان »[١] ، وقال أيضاً : « ليس في الدُّنيا قبيلةٌ ـ على كَثْرَتِها ـ أقلُّ شعراً من بني شيبان وكلب ، قال : وليس لكلب شاعرٌ في الجاهليّة قديمٌ ؛ قال : وكلبٌ مثلُ شَيْبانَ أَرْبَعَ مِرَارٍ »[٢] ، وقوله (ليس لكلب شاعرٌ في الجاهليّة قديمٌ) أرادَ فحول الشعراء ، وإلاَّ فإنَّ مِنْ شعرائهم الجاهليّين القدماء زهير بن جناب ، وثعلبة الفاتِك ، وهُبَل بن عبد الله ، وغيرهم ؛ ولعلّ مرجعَ قِلَّة ما وَقَفَ عليه الأصمعيُّ من أشعارهم إلى أنّ بني كلب استوطنوا مُدُنَ الشَّام ، ومَالَ البُداةُ منهم إلى بادية الشام ، وقلَّ مَنِ استوطن منهم مُدُنَ العراقِ بعد الإسلام[٣] ، في حين أنّ الأصمعيّ من رواة البصرة في العراق ، وأكثر روايته كانت عن الأعراب[٤] ، وكأنّها كانت عن أعراب بادية العراق ونجد والحجاز دون بادية الشَّام وهي بلاد كلب ، ومن ثَمَّ كان ما وقف عليه من أشعار كلب قليلاً .

---

(١) فحولة الشعراء : ١٤ ، ومثله في الموشَّح : ١١٩ للمرزباني بسنده إلى الأصمعيّ .

(٢) فحولة الشعراء : ١٩ ، وكلمة (قال) من كلام أبي حاتم السّجستاني ، وهو تلميذ الأصمعيّ الذي نقل عنه كتاب (فحولة الشعراء)، وأورد القَلْقشنديُّ كلامَ الأصمعيّ دون أن ينسبه إليه في صبح الأعشىٰ ١ : ٢٩٣ .

(٣) انظر الحديث عن منازل بني كلب ، ص ٦١ ـ ٦٢ ، ورسم (الكوفة) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .

(٤) انظر ما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السَّطلي عن الأصمعي في كتابه العجاج ، عبد الله بن رؤبة حياته ورجزه ، ص : ١١١ـ١١٧ ، وثمّةَ مصادره .

ثم إنّ ما اجتمع لدينا من أشعار بني كلب ، وهو (١٢٨٨) ثمانية وثمانون ومئتان وألف بيت ، ثبت أنّ (١١٣٧) سبعة وثلاثين ومئة وألف بيت لشعراء من العصر الجاهليّ إلى آخر عصر بني أمية وما بقي لشعراء لم تُعْرَفْ عصورُهم[١] ، إذا ما قورن بما جمعه أبو سعيدٍ السّكّريّ من أشعار هُذَيْل وما جمعه عددٌ من الباحثين المُعَاصِرين من أشعار القبائل يؤكّد أنَّ ما نال أشعارَ كلبٍ منَ الضَّياع أكبرُ ممّا نال أشعار سائر القبائل ، إذ يقارب مجموعُ شعرِ هذيل الّذي وصل إلينا برواية السّكريّ ثلاثة آلاف بيت[٢] ، ويَقْرُب ما جمعه الدّكتور عبد العزيز محمَّد الفيصل من شعر بني قُشَيْر منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أمية من ثلاث مئة وألف بيت[٣] ، ويبلغ ما جمعه الدكتور عبد العزيز محمّد الفيصل أيضاً من أشعار بني عقيل منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أمية سبعة وستين وست مئة وألف بيت (١٦٦٧)[٤] ، ويبلغ ما جمعه الدكتور حسن عيسى أبو ياسين من أشعار هَمْدان في الجاهليّة والإسلام حتى آخر العصر الأمويّ (١٠٥٧) سبعة وخمسين وألف بيت[٥] ، وما جمعه الدكتور عبد الكريم يعقوب من أشعار بني عامر بن صعصعة في الجاهليّة بلغ نحواً من (٥٦٥) خمسة وستين وخمس مئة بيت[٦] ، دون أَشعار الفُحولِ مثل لبيد بن ربيعة وعامر بن الطُّفَيْل وغيرهما ، وما جمعه الدكتور علي أبو زيد من أشعار تغلب في الجاهلية بلغ (١٢٥٥) خمسة وخمسين ومئتي بيت وألفَ بيت دونَ شعر مهلهل بن ربيعة التغلبيّ وعمرو بن

(١) انظر ما سبق، ص: ٢١٠.

(٢) مصادر الشعر الجاهليّ: ٥٦٢، وانظر حديث الدكتور ناصر الدين الأسد عن ضياع قسم كبير من شعرهم، في المصدر نفسه: ٥٦٢ـ٥٦٣.

(٣) شعراء بني قشير في الجاهليّة والإسلام: ١٢٣.

(٤) شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهليّة والإسلام: ١٣١.

(٥) لم يذكر الدكتور حسن عيسىٰ أبو ياسين ذلك في بحثه (شعراء همدان وأخبارهم في الجاهلية والإسلام) فَعَدَدْتُ ما جمعه في الديوان فبلغ هٰذا العدد.

(٦) لم يذكر الدكتور عبد الكريم يعقوب في كتابه (أشعار العامريّين الجاهليّين) مقدارَ ما جمع مِن أشعارهم، فعددته فبلغ هذا العدد.

كلثوم[1] ، وما وقف الدكتور محمّد علي دقّة عليه من أشعار بني أسد في الجاهليّة وصدر الإسلام فقط يبلغ بضع مئات وألف بيت دون أشعار الشعراء أصحاب الدواوين كعبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم وعمرو بن شأس الأسَدِيَّين[2] ، وما وقف عليه الدكتور أحمد خالو من أشعار طيّىء في الجاهليّة وصدر الإسلام فقط بَلَغَ (١٢١١) أَحد عشر ومئتي بيت وألف بيت دونَ شعر حاتم وزيد الخيل وأبي زبيد[3] ، وما جمعته سلامة عبد الله السّويديّ من شعر ذبيان في الجاهلية (٩٩٢) اثنين وتسعين وتسع مئة بيت دونَ شعر النابغة والحادرة[4] ، فإذا علمنا مثلاً أنّ بني عامر الأكبر ، وهم بعضُ بطونِ كلب قَبيلٌ كثير العدد مثل بني عامر بن صعصعة كلِّهم ـ وعامر بن صعصعة وعامر الأكبر أخوان لأمّ[5] ـ ثمّ علمنا أنّ بني قُشَيْر وبني عُقَيْل بطنان من بني عامر بن صعصعة ، ثم قارنّا ما اجتمع من أشعار هذين البطَنَيْنِ بما اجتمع من أشعار بني كلب كلّهم ، علمنا عندئذ أنّ ما ضاع من أشعار كلب قدر كبير جدّاً .

وفيما وقفنا عليه من أخبار شعراء كلب وأشعارهم أدلّة عدّة على ضياع شعرهم ، فمن ذلك أنّ عدداً من الشعراء نصّ العلماءُ منذ القديم على دُروسِ شعرهم كلّه أو علىٰ قلّة ما بقي من شعرهم ، كقول الآمديّ في ترجمة الأغلب الكلبي بشر بن حَرْزَم : « فأمّا الأغلب فلم أجد له في أشعار كلب شعراً ، وأظنّ شعرَه دَرَسَ فلم يُدْرَك »[6] ، وكقوله في ترجمة امرىء القيس بن حُمام : « والذي أدركه الرُّواة من شعره قليل جداً »[7] وأنشد بعض شعره ، وقال في

(١) شعراء تغلب في الجاهلية ١ : ٤ .
(٢) شعراء بني أسد : ب (من مقدّمة المؤلف) .
(٣) شعراء قبيلة طيّىء ١ : ٤٢٣ .
(٤) لم تذكر سلامة السويديّ مقدار ما جمعته من شعر ذبيان ، فَعَدَدْتُه فبلغ هذا العدد .
(٥) انظر ما جاء في الحديث عن نسب بني كلب ، ص : ٥٠ .
(٦) المؤتلف والمختلف : ٢٣ .
(٧) المؤتلف والمختلف : ٧ .

موضع آخر عن ابن الحمام: «دَرَسَ شعرُه وذهب إلاّ اليسير»[1]، وبيّن أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّىٰ سببَ ضياع شعره، وذلك أنّه قال فيما نقل عنه محمّد بن أَيْدَمر: «كان امرؤ القيس بن حُمَام الكلبيّ يصحَبُ امرأ القيس بن حُجْر الكنديّ فغلب على أكثر شعر ابن حمام وانتحله لنفسه، فسار ذلك لامرىء القيس بن حجر وخَمُل ابنُ حمام»[2]، وقال أبو عبيدة أيضاً فيما نقل عنه أبو زيد الخطّابيّ القرشيّ وذكر هذا الشاعر: «وقد أَخَذَتِ الشّعراءُ من شعرِه»[3]، ويؤكد ذلك قولُ الأصمعيّ: «ويُقال إنَّ كثيراً من شعر امرىء القيس [بن حجر] لصعاليك كانوا معه»[4]، وقول الرياشيّ فيما نقل عنه المرزبانيّ: «يُقالُ إنَّ كثيراً من شعر امرىء القيس ليس له، وإنّما هو لِفِتْيَانٍ كانوا يكونونَ معه مثل عمرو بن قميئة وغيره»[5].

ومن الأدلّة على ضياع شعرهم أنّنا وقفنا على أسماء عدد كبير من الشعراء ولكنّنا لم نقف على شيءٍ من شعرهم، وهؤلاء الشعراء هم: أَرطأة بن سُمَيْر، وجُنادة بن صُهْبان، والجُنْبَة بن يَثْرِبيّ، وحيّان بن بشر الجُرْجُمانيّ، وخالد بن مالك، وربيعة بن حصن بن عَدِيّ، وزِرّ بن حداجة، ورِتْم بن تَيْمِ الله، وأبو شهلة عبد الله بن المُتَمَنِّي، وعبد عمرو بن النُّعْمان، عديّ بن زُغَيْب، وعِفارة بن قُرَّة، وأبو الفِتْيان، فهؤلاء ثلاثة عشر شاعراً جاهليّاً، وامرؤ القيس بن الأصبغ، وحُطَيْم بنُ الأصبغ، وابن الذئب، وزياد بن دعص، وسعيد بن الأصبغ، وقَبِيصة بن أُبيّ، ومُطْرِف بن مالك، وأبو مُنيب، وهؤلاء ثمانية من المخضرمين ومن شعراء صدر الإسلام، وخُزَيْمَة بن حرب، وشَبيب بن الجُلاس، وعبد الله بن الجَعْد، وعَقِيل بن حسّان، وغالب بن

---

(١) المؤتلف والمختلف: ١٢٧، وانظر ترجمته في الديوان.
(٢) الدر الفريد ٣: ٧٩.
(٣) جمهرة أشعار العرب: ٦٥.
(٤) فحولة الشعراء: ١٠.
(٥) الموشح: ٣٤.

حجّار ، وقَعّاس بن قُرْط ، والمُساوِر بن سَريع ، ومَصَاد بن عتّاب ، والهَيْل بن عامر ، وهؤلاء تسعة أُمَويُّون ، وأبو الأجدل الرّاجز ، وأبو الدَّهماء الراجز ، وعبايَة بن مَصَاد ، وقُرْط بن عمرو ، ومسعود بن زيد ، وهؤلاء خمسة لم تُعرف عصورهم ، فمجموعهم خمسة وثلاثون شاعراً ، ومنهم من شُهِد له بالتقدّم ، فقد قال ابن الكلبي عن مسعود بن زيد : « كان من أرجز العرب »[(١)] ، فهؤلاء الذين لم نقف على شيءٍ من شعرهم ، بَلْهَ أولئك الشعراء الذين وقفنا على بيت أو بيتين أو ثلاثة أبيـات أو نحو ذلـك من الأبيـات القليلة ، فهم معظم شعراء هذا البحث .

ومن تلك الأدلّة أنَّ هنالك عدداً من الشعراء وقفنا على شيءٍ يسير مِن أشعارهم ، في حين أنّ العلماء وصفوهم بأوصاف تؤكّد ضياع كثير من أشعارهم ، نذكر منهم أَزْبَر بن غُزَيّ ، فقد وَصَفه الآمديّ بأنّه « شاعر مُقَدَّم »[(٢)] ، ووصفه ابن ماكولا بأنه « شاعر مشهور »[(٣)] ، ومع ذلك لم نعثر له إلاّ علىٰ بيتين اثنين ، ونذكر منهم حارثة بن أوس الذي وَصَفَهُ ابنُ الكلبيّ بأنّه « شاعر كلبٍ في الجاهليّة »[(٤)] ، في حين لم نعثر له إلاّ على ثمانية أبيات في أربع قطع ، ونذكر منهم عدداً من الشعراء من ولد زهير بن جناب وصفهم الأصفهانيُّ بأنهم فحول[(٥)] ، في حين لم يصل إلينا من شعرهم إلاّ القليل وهم : مَصَاد بن أسعد بن جُنادة ، وقفت له على ثلاثة أبيات في قطعة واحدة ، وحُرَيْث بن عامر بن الحارث ، وقفت له على ثلاثة أبيات في قطعة واحدة ، والحَزَنْبَل بن سَلامة ، وقفت له على عشرة أبيات في ثلاث قطع ، يُرجَّح أنّ بيتاً منها ليس له ، وعَرِين بن أبي جابر ، وقفت له على أربعة أبيات مُتَنَازَعَة بينه

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٨١.

(٢) المؤتلف والمختلف : ٢٩ .

(٣) الإكمال ١ : ٥٢ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٧٩.

(٥) الأغاني ١٩ : ٢٧ـ ٢٨.

وبين ابنه ، وعَرْفَجَة بن سَلامة ، وقفتُ له على خمسة أبيات في قطعتين ، والمُسَيَّب بن الرَّفَل ، وقفت له أحد عشر بيتاً في ثلاث قطع .

ومنها ما نجده من أبيات مُفْرَدَة منها مطالع قصائد لم نقف على شيءٍ من سائرها ، ومنها ما فيه ضمائر على أشخاص أو أشياء ذكرها الشعراءُ في أَبياتٍ سابقة لم نقف عليها ، ونجد مثل هذه الضمائر في أبيات غير مُفْرَدَة أيضاً ، إلى غير ذلك من أمور تدلّ على أبيات أخرىٰ لم نعثر عليها ؛ وهذا الضّرب كثير جدّاً فيما اجتمع لدينا من أشعارهم ، فلا داعي للتمثيل له .

ومن الأدلّة أيضاً إشاراتُ العلماء إلىٰ أنّ لهٰذه الأبيات أو تلك بقيّة ، كقولهم : إنّها من قصيدة ، أو من قصيدة طويلة ، أو من أبيات ، أو غير ذلك ، مثل ذلك قولُ الآمدي بعدما ذكر المُهاجاة بين الأغلبِ الكلبيّ بشرِ بن حَرْزَم وعبدِ الله بن دارِم الكلبيّ : « وفيهما يقول مَكِيثٌ الكلبيُّ في قصيدةٍ :

فمن مبلغ بشراً معاً وابن دارم قصائد منّي قد أُمِنَّ بَرِيمُهَا »[1]

فأنشَدَ بيتين آخرين ، ولم أقف على شيءٍ من تلك القصيدة غير هذه الأبيات ؛ ومثل قول المرزبانيّ في ترجمة العُبَيْد بن عامر : « شاعر معروف جاهليّ ، يقول في كلمةٍ طويلةٍ :

عشيّـةَ تكبـو الخيـلُ فـي قِصَـدِ القَنَـا وتُنْزَعُ مِنْ لَبَّاتِها تَرْعُفُ الدّما »[2]

وأنشد منهـا بيتين آخرين فقط ، ولم أقف على شيءٍ آخر من هذه القصيدة ؛ ومثل قول المرزباني أيضاً في ترجمة كلثوم بن وائل : « فقال كلثوم من قصيدة طويلة أوّلها :

مَنْ رَسُولٌ لنا إلىٰ ابنِ أُسَيْدٍ بِقَـوافـي قصـائـدٍ مُحْكَمَـاتِ

. . . . . (الأبيات) .

---

(١) المؤتلف والمختلف ٢٣ .

(٢) معجم الشعراء : ٤٧٢ واسم الشاعر عنده (الهبل بن عامر) وهو تحريف ، انظر ترجمته في الديوان .

وقال قصيدةً أُخرىٰ يقول فيها :

مَــا وَلَــدَتْنــا وِلادَةً مُضَــرُ وَلا لَنَــا فــي تَمَضُّــرٍ أَرَبُ

. . . (الأبيات) »[١] .

فأنشد من القصيدة الأولى ثلاثة أبيات أخرىٰ فقط ، ومن الثانية أربعة أبيات أخرى فقط ، ولم نقف على شيءٍ آخر من هاتين القصيدتين ؛ ومثل قول الآمدي وأنشد أبياتاً لامرىء القيس بن حمام : « وهي أبياتٌ في أشعار كلب »[٢] ، وقد عثرت له على ثلاثة أبيات أخرى على الوزن والرويّ نفسه ، ولا ندري أَكانت هذه الأبيات الثلاثة من تلك الأبيات التي رآها الآمدي في (أشعار كلب) أم أنّها غيرها ؛ ومثل قول الآمديّ أيضاً في ترجمة عَتِيد بن ضرار : « وهو القائلُ في أبياتٍ :

تَغَيَّــرَتِ البِــلادُ ومَــنْ عَلَيْهــا ورَثَّ العَيْشُ أَنْ أَبْغَضْتُمانِي »[٣]

وأنشد بيتاً آخر ، ولم نقف علىٰ شيءٍ من تلك الأبيات .

ونجد في أقوال العلماء إشاراتٍ إلى قصائد لم نقف على شيءٍ منها ، فمن ذلك قول الأصفهاني : « كان حَكِيمُ بن عَيّاش الأعورُ الكلبيُّ وَلِعاً بهجاءِ مُضَرَ ، فكانت شعراءُ مُضَرَ تهجوه ويُجيبُهم ، وكان الكُمَيْتُ يقول : هُوَ واللهِ أَشْعَرُ منكم . . . »[٤] ؛ وقوله أيضاً في حكيم بن عيّاش : « كان يهجو عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه وبني هاشم جميعاً ، وكان منقطعاً إلىٰ بني أميّة ، فانتدب له الكُمَيْتُ ، فهجاه وسبّه ، ولجّ الهجاءُ بينهما »[٥] ، فإذا نظرنا فيما اجتمع لدينا

---

(١) معجم الشعراء : ٢٤٥ .
(٢) المؤتلف والمختلف : ٧ .
(٣) المؤتلف والمختلف : ٢٢٨ .
(٤) الأغاني ١٧ : ٩ .
(٥) الأغاني ١٧ : ٣٦ .

من شعر حكيم نجد ثلاثة أبيات قالها في مَقْتَلِ زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وفضّل في بعضها عثمانَ علىٰ عليّ رضي الله عنهما[١] ، في حين نجد بيتاً واحداً عَيَّرَ فيه مُضَرَ بِسَجَاحِ المُتَنَبِّئَةِ[٢] ، وأربعة أبيات من قصيدة ذكر العلماءُ أنّه رمىٰ فيها امرأةَ الكُمَيْتِ بِحُرَّاسِ السِّجْن وليس فيما بقي منها شيءٌ من ذلك ، كما أنَّ الجاحظَ ذكر كلاماً في التعليقِ على بعضِ الأبياتِ فيه إشارةٌ إلىٰ أبياتٍ أُخرى ذكر فيها الممالِكَ والمُلوكَ ، ولم يصل إلينا من ذلك سوىٰ ما أنشده ، ونجد ستّة أبياتٍ في أربع قطع ذكر فيها بني أسد[٣] ، وجميع هذه الأبيات إنّما هي بقايا قصائد لم يصل إلينا إلاّ أقلّها .

ومن إشارات العلماء إلى أشعار لم نقف عليها قولُ ابن الكلبيّ حين ذكر مَرْثِدَ بنَ الحارث بن امرىء القيس بن زهير بن جَنَاب الكلبيّ : « الذي ذكره المُسَيّب بن رَفَل بن حارثة بن جَنَاب بن قيس بن أبي جابر بن زهير [بن جناب] »[٤] ولم نجد ذكراً لِمَرْثِد فيما وصل إلينا من شعر المُسَيَّب ؛ وقولُ الآمديّ في ترجمة الكذّاب الكلبيّ جناب بن منقذ بعدما ساق خبراً له وأنشد له بيتين : « وله في (كتاب كلب) شعر في هذه القصّة »[٥] في حين لم يصل إلينا من شعره سوىٰ البيتين اللَّذَيْنِ أنشدهما ؛ وقول الآمديّ أيضاً في ترجمة عَتِيد بن ضِرار وأنشد له بيتين : « وله في كتاب كلب أشعار »[٦] ولم يصل إلينا من شعره سوى ما أنشد الآمديّ ؛ وقوله كذلك في ترجمة القطاميّ الكلبيّ الحُصَين بن جَمّال بعدما أنشد له أبياتاً في زيد بن المهلب : « وله في كتاب كلب أشعارٌ

---

(١) انظر القطعة (٢) من شعر حكيم في الديوان .
(٢) انظر القطعة (١) من شعر حكيم في الديوان .
(٣) انظر القطع (٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) والتعليقات عليها في شعر حكيم بن عيّاش .
(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٤٣ .
(٥) المؤتلف والمختلف : ٢٥٨ .
(٦) المؤتلف والمختلف : ٢٢٨ .

جيَادٌ »[1] ، ولم نقف إلاّ على أبياته في يزيد بن المهلب ، وعلى بيتين آخرين مُتَنَازَعَيْنِ بينه وبين سِنان بن مُكَمِّل النُّمَيْريّ .

ومن إشاراتِهم ما ذكروه من أنّ ذا الإصبع حَفْصَ بن حَبيب الكلبيّ كان من مُدَّاح الوَليد بن يزيد بن عبد الملك[2] ، وليس فيما وصل إلينا من شعره مَدْحٌ للوليد .

وبذلك تبيّن لنا أنّ ما أدّته إلينا مصادرُ البحث من أشعار بني كلب ليس إلاّ جزءاً قليلاً جدّاً من شعرهم الذي قالوه ؛ على أنّنا نجد هذه المصادر تختلف أحياناً في نسبة بعض هذه الأشعار بين شعراء كلب أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم من شعراء القبائل الأخرى ، كما أنّنا نجد بعض الأدلّة القليلة على أنّ في هذا الشعر أبياتاً موضوعه على بعض شعرائهم ، أو أنّها ربّما تكون موضوعة ، وهي مواضع قليلةٌ جدّاً ، ومن ثَمَّ لا بُدَّ لنا من وقفةٍ نتناول فيها توثيقَ شعرهم فنتحدث عن الاضطراب في نسبة أشعارهم ، ثمّ نتحدّث عن النَّحْلِ في أشعارهم .

ثَانِياً ـ تَوْثيقُ شِعْرِهِمْ

١ـ الاضْطِرَابُ في نِسْبَةِ الشِّعْرِ :

إنّ من أَهمِّ المشكلات التي تعترض الباحث في الأدب القديم مشكلة الاضطراب[3] ، وهذه المشكلة تتمثّل في ثلاثة جوانب : الأوّل يتعلّق بالاضطراب في أسماء الشّعراء وأنسابهم من تصحيف وتحريف وإسقاطٍ لبعض الأسماء وخلطٍ في النسب ، إلىٰ غير ذلك من الأمور ، والثّاني يتعلّق بالاضطراب في رواية مَتْنِ الشّعر نفسه ، من حيث الاختلافُ في الرّواية

---

(١) المؤتلف والمختلف : ٢٥١ .

(٢) انظر ترجمته في الديوان .

(٣) انظر حديث أستاذنا الدكتور عبد الحفيظ السَّطليّ عن قضية الاضطراب في كتابه (العجّاج ، حياته ورجزه) : ١٥٥ـ١٥٦ .

والتصحيفُ والتحريفُ والخللُ في الوزن إلىٰ غير ذلك ، والثّالث يتعلّق بالاختلاف في نسبة الشّعر إلىٰ هذا الشّاعر أو ذاك ؛ فأمّا الجانبان الأوّلان فيما يتعلّق بهذا البحث فقد عالجتُ أوّلَهما في تراجم الشّعراء في الديوان ، وعالجت الثّانيَ في التعليق علىٰ الشّعر . وأمّا الجانب الثّالث فهٰذا موضعُ تفصيلِ الحديث عنه وجَمْعِ ما نجده مُفرّقاً في تخريج أشعار بني كلب ، لنميّز بذلك ما هو لبني كلبٍ يقيناً ممّا هو لغيرهم ، وممّا ينسب إليهم وإلىٰ غيرهم ولا نجد دليلاً يقطع بنسبته ، وهو أمرٌ في غاية الأهميّة ، إذ نعرف من خلاله ما يجوز لنا الاستشهاد به ممّا نسب إليهم في دراسة موضوعات شعرهم وخصائصه وما لا يجوز الاستشهاد به .

والشّعرُ المضطرِبُ النسبة سواءٌ أكان لبني كلب أم لغيرهم من القبائل علىٰ ثلاثة أضرب ، فَضَرْبٌ نجد دليلاً قاطعاً علىٰ الوجه الصّحيح في نسبته ، وضربٌ نجدُ بعض ما يرجّح كونَه لهذا الشّاعر أو ذاك دونَ أن يكون هذا المرجّح دليلاً قاطعاً ، وضربٌ تتوازن فيه الأدلّة بين هذا الشّاعر وذاك فيبقى شعراً مُتَنَازَعَ النّسبة . وهذه الأضرب الثلاثة إمّا أن تكون بينَ شعراء القبيلة نفسها وإما بين شعرائها وبين غيرهم .

أ ـ الشعر المضطرب بين شعراء كلب :

يمكن للباحث أن يتناول الشّعر المضطرب بين شعراء كلبٍ أنفسهم من حيثُ عصورُ الشعراء بحسبِ تلك الأضربُ الثلاثة ؛ فأمّا شعراء العصر الجاهليّ فنجد في أشعارهم قطعة واحدةً من الضّرب الذي اضطربت نسبته وعُرِف صاحبُه بالدليل القاطع ، وهي أبياتٌ لعبد العزّىٰ بن امرىء القيس قالها وقد أراد الحارث بن ماريَةَ الغسّانيّ المَلِكُ قتلَه ، في خبرٍ ذكرته في ترجمته ، فكتب بتلك الأبيات وبعث بها إلىٰ قومه ينذرُهم مع ابنَيْهِ شَرَاحيل وعبدِ الحارث ، ومطلعُها[1] :

---

(١) انظر شعر عبد العزّىٰ وترجمته في الديوان .

جَـزانِـي جَـزاهُ اللهُ شَـرَّ جَـزائِـهِ   جَزاءَ سِنِمّارٍ وما كانَ ذا ذَنْبِ

وهي عشرة أبياتٍ أنشدها الطبريّ كلّها في تاريخه ونسبها إليه ، وأنشد بعضَها كلٌّ من ابنِ الكلبيّ في (النسب الكبير) ، والزمخشريّ في (ربيع الأبرار) ، وابنِ الشجريّ في أماليه ، وأبي الفرج الأصفهانيّ في (الأغاني) ، والبكريّ في (معجم ما استعجم) ، والقلقشنديّ في (نهاية الأرب) ، والبغداديّ في (الخزانة) ، وابنِ خلّكان في (الوفيّات) ، ونسبوا جميعاً ما أنشدوه إلىٰ عبد العزّىٰ وذكر معظمُهم خَبَرَه ، في حين أنشد الثعالبيُّ في (ثمار القلوب) خمسة أبياتٍ منها ونسبها لـ « شُرَحْبيل الكلبيّ » دونَ قِصّتِها ، ثم أنشد الزمخشريُّ الأبيات الخمسة نفسها في (المستقصىٰ في أمثال العرب) ونسبها لـ « شُرَحْبِيل الكلبيّ » أيضاً ، وأشار أبو المحاسِن العبدريّ في (تمثال الأمثال) إلىٰ الأبيات الخمسة في (المستقصى) وإلىٰ نسبتها ولم ينشدها ، وثمّة عددٌ من المصادر التي أنشدت بعض أبيات عبد العزّىٰ فنسبتها إلىٰ « الكلبيِّ » أو دون نسبتها[1] .

فنلاحظ أنّ أقدم المصادر وهي (النّسب الكبير) و(تاريخ الطبريّ) و(الأغاني) نسبتها إلىٰ عبد العزّىٰ وذكرت قصّتها ، وتابعتها علىٰ ذلك سائر تلك المصادر التي نسبتها إليه ، وأنّ الثعالبيّ ـ وهو متأخّر عن أصحاب هذه المصادر الثلاثة ـ كان أوّلَ من نسب بعضَها لِمَنْ أسماه شُرَحْبيل الكلبيّ ، وأنّ الزمخشريّ اضطرب فنسب بعضها في (ربيع الأبرار) لعبد العزّىٰ ، وتابَعَ الثعالبيَّ في نسبة بعضها إلى شرحبيل الكلبيّ في (المستقصىٰ) ، والظّاهر أنّه نقل ذلك عنه ، لاتّفاقهما في الأبيات التي نسباها إليه وفي اسم الرَّجل ؛ والذي لا شكَّ فيه بعد النظر في هذا الذي ذكرناه أنّ الأبيات لعبد العزّىٰ أرسلَها مع ابنَيْهِ شَرَاحيل وعبدِ الحارث ، وأنّ الثعالبيَّ حَرَّفَ اسمَ ابنه (شَراحِيل) وكان شاعراً ، ووَهِمَ فنسب ما أنشد من الأبياتِ إليه ، ثمّ تابعه الزمخشريُّ في (المستقصىٰ) .

ونجد في أشعار الجاهليّين ثلاثَ قِطَع من الضّرب الذي اضطربت نسبتُه بين

---

(١) انظر تخريج شعر عبد العزّىٰ في الديوان .

شعراء كلب ، وث مّةَ أدلّةٌ ترجّح نسبتَه إلىٰ أحد الشّاعِرَين دون الآخر ، فالقطعة الأولىٰ مؤلّفة من ثلاثة أبيات ، ومطلعها :

عَفَا أَبْرَقُ العَزّافِ مِنْ أمِّ جابرٍ فَمُنْعَـرَجُ الـوَادِي عَفـا فَحَفِيـرُ

فقد أنشدها الأصفهانيُّ في (الأغاني) ونسبها لـ« عَرْفَجة بن جُنادة » وهو تحريفٌ صوابه « عرفجة بن سَلامة » وقد بيّنتُ الدليل علىٰ هذا التحريف في ترجمته[1] ، في حين أنْشَدَ ياقوتٌ أَحَدَ تلك الأبيات في (معجم البلدان) ونَسَبُهُ لـ« الحزنبل بن سَلامة الكلبيّ »[2] . ويُرَجَّحُ كون هذه الأبيات لعرفجة لا للحَزَنْبَل ، والذي يُرَجِّح ذلك أنّ الأصفهانيَّ أنشد البيتَ مع غيرِه ، في حين أنشده ياقوت مُفْرَداً ، وأنّ الأصفهانيَّ نسب الأبيات لعرفجَةَ وهو يذكر فحولَ الشعراء من ولد زهير بن جناب ثم ذكر الحزنبل بن سلامة وأنشد له أبياتاً غيرها[3] ، فهو علىٰ معرفةٍ بكلا الشّاعِرَيْنِ وبشعرهما ، أو أنّه كان ينقل عن مصدر فيه عِلْمُ ذلك ، ويضاف إلىٰ ذلك أنَّ ياقوتاً متأخّر عن الأصفهانيّ بما يقرب من ثلاثة قرون ؛ ومن ثَمَّ نرجّح أنّ نسبة ذلك البيت إلىٰ الحزنبل راجعٌ إمّا إلىٰ تحريف اسم (عرفجة) وهو أمرٌ محتملٌ جدّاً لتقارب رسميهما قديماً ، إذ يُكْتَبان هٰكذا (،) ؛ أو أنه راجعٌ إلىٰ الوهم وعدم التَّثَبُّت .

والقطعة الثّانية مؤلَّفة من بيتَيْنِ ، أَوَّلُهما :

آلَيْتُ لا أُعْطِيكَ قَسْراً ظُلامَةً وَلا طائِعاً مَا قَدَّمَتْ رِجْلَها قَدَمْ

فقد أنشد ابنُ الكلبيّ هذا البيتَ مُفْرَداً في (النسب الكبير) ونَسَبَهُ لـ« سُوَيْد بن الحارث » وذكر أنّه يقول ذلك لمُعَرِّضِ بْنِ جَبَلة بن عُلَيْصٍ الكلبيّ ، وأنشده البحتريّ مع بيتٍ ثانٍ في حماسته ونَسَبَهما لـ« الحارث بن حُصَين الكلبيّ » وهو

---

(١) انظر ترجمته في الديوان .

(٢) انظر تخريج القطعة (١) من شعر عرفجة بن سلامة في الديوان .

(٣) انظر الأغاني ١٩ : ٢٨ .

والِدُ سُوَيد بن الحارث ، ويقال في اسمه : الحارث بن حِصْن[1] ؛ ويترجَّح لديَّ كون البيتين لسويد بن الحارث لا لأبيه ، لأنّ ابنَ الكلبيّ أَسْبَقُ من البحتريّ ، والقومُ قومُه وهو أعلمُ بهم ، وقد ذَكَرَ لِمَنْ قالَ سُوَيدٌ هذا الشّعرَ ، ولا ريب أنّه كان يَعْلَم سَبَبَ ذلك وإن لم يذكره لأنّ كتابهٗ كتاب نَسَب لا كتاب أخبار .

والقطعة الثالثة مؤلَّفة من بيتين أوّلُهما :

لَيْتَني كُنْتُ قَبْلَ مَوْتِ المُعَلَّىٰ مِتُّ أَوْ حُزَّ مِنْ يَميني بَنَانِي

فقد أنشدهما أبو تَمَّام في (الوحشيّات) ونسبهما لحارثة بن العُبَيْد ، وأنشد المُظَفَّر العَلَويّ ثانيَهما في (نضرة الإغريض) ونسبه لقُرْط بن حارثة[2] ؛ ويترجّح كونهما لِقُرْط بن حارثة بن عامر وإن كان أبو تمّام أسْبَقَ من المُظَفّر ، ذلكَ أنّ في البيت الأوّل الذي لم يُنْشِدْهُ المظفَّر رثاءً لـ« المُعَلّىٰ » ، وقد وجدتُ ابنَ الكلبيّ يذكر أبناء حارثة بن عامر الكلبيّ ، فَعَدَّ منهم : قُرْط بن حارثة ، والمُعَلَّىٰ بن حارثة[3] ؛ ولم أجد فيما ذكره من أقرباء حارثة بن العبيد مَن اسمُهُ « المعلّىٰ » ، ولذلك رجّحت كونَ البيتين معاً لقُرْط بن حارثة يرثي فيهما أخاه المُعلّىٰ .

وفي أشعار الجاهليّين مِنَ الضّرب الذي اضْطَرَبَتْ نسبتُه بين شعراء كلب ولم أجد دليلاً يقطع بصاحبه أو يرجّح نسبتَه إلىٰ أحد الشّاعِرَيْنِ دون الآخر ثلاثُ قِطَع ، فالأُولىٰ مطلَعُها :

أَبْلِــــغْ أَبــــا عَمْـــــرٍو وَأَنْــ ــتَ لَـدَيَّ ذُو النِّعَـمِ الجَـزِيلَـةْ

وهي مؤلّفة من خمسة أبياتٍ أنشد أبو الفرج الأصفهانيّ في (الأغاني) مطلعَها هذا مع ثلاثة أبياتٍ أُخرىٰ ونسبها لـ« عَرِين بن أَبي جابِر بن زُهَيْر بن جَنَاب » في حين أهمل الآمديُّ في (المؤتلف والمختلف) هذا المطلَعَ ، وأنشد الأبيات

(١) انظر تخريج القطعة (٢) من شعر الحارث بن حصن وترجمته في الديوان .
(٢) انظر تخريج القطعة (٢) من شعر حارثة بن العبيد في الديوان .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٦٣ .

الثلاثة الأخرىٰ مع بيتٍ آخَر ، ونسبها لأُبيّ بن عَرِين بن أبي جابر[١] ، وهي أبياتٌ رَجّحْتُ أنّها قِيلَتْ في حَرْب الفِسَادِ بين بطون طيِّء ، التي أدّت إلىٰ جلاءِ بني جَدِيلة الطائيِّين عن بلادهم ولُحوقهم ببني كلب ، ولم أجد ما يُرَجِّح نسبتَها إلىٰ أُبَيٍّ أو إلىٰ أبيه .

والثانية مطلَعُها :

نَطَقَ اليَشْكُرِيُّ مَنًّا فَأَبْدىٰ فَرَقاً مِنْ مُصَمِّمٍ هُنْدُوَانِي

وهي أربعةُ أبياتٍ ، تَفَرَّد المَرْزُبانيُّ بإنشادِها لقُرادِ بن أَجْدَعَ ، ولها خَبَرٌ ، ونبّه علىٰ أنّها تُرْوىٰ لابن قراد بن أجدع[٢] ؛ وليس في الأبيات ولا في خَبَرِها ما يرجّح نسبتَها إلىٰ أحد الرّجُلَيْن . .

ومطلعُ الثّالثة :

أَلا يا عَيْنُ جُودي بانْدِفاقِ عَلىٰ مُرْدَىٰ قُضاعَةَ بالعِراقِ

وهي أربعةُ أبيات في رثاء وبرة بن رُومانِس الكلبيّ أنشد ابنُ الكلبيّ مطلعَها مع البَيْتَيْنِ (٣ـ٤) منها في (النسب الكبير) ونسبها لعمرو بن الأسود ، وأنشد أبو تمّام هذه الثلاثة الأبيات لبعض الكلبيِّين ، في حين أنشد ياقوتٌ مطلعَها والبيتين الثاني والثالث في (معجم البلدان) ونسبَها لِمَكْحُول بن حارثة نَقْلاً عن ابنِ الكلبيّ ، وأنشد المُرْتَضَىٰ الزَّبيديّ البيتَ الثالث في (التاج) ونسبه لِمَكْحُول بن حارثة[٣] ؛ فنلاحظ أنّ ابنَ الكلبيّ نَسَب ما أنشده في النسب الكبير لعمرو بن الأسود ، وأنّ ياقوتاً نسب ما أنشده لمكحول بن حارثة نقلاً عن ابن الكلبيّ نفسه ، وهذا يعني أنّه نقل ذلك عن كتابٍ آخر لابن الكلبيّ غير النسب الكبير ، ويؤكد هذا الاختلافُ في الأبيات التي أنشداها ؛ ومن ثَمَّ فمصدَرُ الاضطرابِ هو ابنُ الكلبيّ ، ولا أجِدُ ما يُرَجِّح نسبتَها إلىٰ أحد الشّاعِرَيْنِ دون الآخر ، وليس في

---

(١) انظر تخريج شعر أبيّ بن عرين في الديوان .

(٢) انظر تخريج القطعة (٢) من شعر قراد بن أجدع .

(٣) انظر تخريج القطعة (٣) من شعر عمرو بن الأسود .

نسبة الزَّبيديّ أحدَ أبياتها لِمَكْحول مُرَجِّحٌ ، لأنّ هذه النسبة جاءت في حديثه عن (البَرَدان) وهو الموضع الذي هَلَك فيه وبرة بن رومانِس ، وكلامُهُ عنه يتَّفِق مع كلام ياقوت عن (البَرَدان) حيث أنشد الأبياتَ ونسبها لمكحول ، ومُعْجَمُه من مصادر الزَّبيديّ ، وهذا يدلّ علىٰ أنّه تابَعَ ياقوتاً في نسبة الأبيات .

فهذه هي القطع المضطربة النّسبة بين شعراء كلب في الجاهليّة وهي سبع قطع موزّعة علىٰ ثلاثة أضرب فمنها ما وجدنا دليلاً قاطعاً علىٰ صاحبه ، ومنها ما وجدنا دليلاً مُرَجِّحاً غير قاطع علىٰ صاحبه ، ومنها ما بقيَ مُتَنَازَعَ النسبة لأننا لم نجد دليلاً يقطع بنسبَتِهِ أو يُرَجِّحها ؛ وليس في أشعار المُخَضْرَمين وشعراء صدر الإسلام منهم ما هو مضطرب بينهم ، بينما نجد ثمانيَ قِطَعٍ من أشعار الأُمَوِيِّين وقع في نسبتها اضطرابٌ بين شعراء كلب ، وهي علىٰ ثلاثة أضرب مثل ما اضطربت نسبتُه من أشعار الجاهليّين ؛ فنجد خمسَ قِطَعٍ من الضَّرب الذي وَقَعَ الاضطرابُ في نسبته ووجَدْنا الدليل القاطع علىٰ صاحبه ، وأوّلها أبياتُ جوّاس بن القعطل التي مطلعها :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْقَتْ وَقِيعةُ راهِطٍ　　عَلىٰ زُفَرٍ داءً مِنَ الدَّاءِ بَاقِيَا

وهي خمسة أبياتٍ قالها في الردّ علىٰ قصيدةٍ لزُفَرَ بنِ الحارث الكلابيّ أنشدها صاحبُ (نقائض جرير والخطل) ، والطّبريّ في تاريخه ، وابن الأثير في (الكامل) ، وأنشد أربعة أبياتٍ منها كلٌّ من البَلاذريّ في (أنساب الأشراف) والمسعوديّ في (التّنبيه والإشراف) ، والخَضِر الموصليّ في (الإسعاف) ، وأنشد الآمديُّ في (المؤتلف والمختلف) ثلاثة أبيات ، وأَجْمَعَ هؤلاءِ علىٰ نسبتها لجوّاس بن القَعْطَل ، في حين أنشد صاحب الأغاني بيتين اثنين منها ونسبهما لعَمْرو بن مِخْلاة[1] ؛ وفي إجماع أولئك العلماء علىٰ نسبتها إلىٰ جَوّاس وتفرّد الأصفهاني بنسبة بعضها إلىٰ عمرو دليلٌ علىٰ أنّها لجوّاس وأنَّه واهمٌ في نسبتها ، ويضاف إلىٰ ذلك أنّه مُتَأَخِّر عن صاحب (نقائض جرير والأخطل)

---

(١) انظر تخريج القطعة (٢٧) من شعر جوّاس ، في الديوان .

ـ وهو الأصمعيّ أو السُّكَّري[١] ـ وعن البلاذريّ والطبريّ والمسعودي ؛ ويرجِعُ هذا الوَهْمُ إلىٰ أنّ لعمرو بن مخلاة أبياتاً يردّ فيها علىٰ قصيدة زُفَر بن الحارث الكلابيّ ، ومطلَعُها[٢] :

بَكَىٰ زُفَرُ القَيسيُّ من هُلْكِ قَوْمِهِ   بِعَبْرَةِ عَيْنٍ ما يَجِفُّ سُجومُهَا

فاشْتَبَهَتْ عليهِ نسبةُ ذلكما البيتين لوحدة المناسبة بين القصيدتَيْنِ .

والقطعةُ الثّانيةُ وقع الاضطرابُ فيها بين عمرو بن مخلاة وجوّاس بن القعطل أيضاً ، وهي قصيدة تقع في اثني عشر بيتاً ، مطلعُها :

وَيَوْمٍ تُرىٰ الراياتُ فيه كَأَنّها   عَـوائِـفُ طَيْـرٍ مُسْتَـديـرٌ وَوَاقِـعُ

وقد أنشدها صاحبُ نقائض جرير والأخطل كاملةً ، وأنشد أبو تمّام سبعةَ أبياتٍ منها في حماستِهِ ومنها مطلعُها ، وأنشد الأصفهانيُّ في (الأغاني) وابنُ عساكر في (تاريخه) وابنُ منظور في (مختصر تاريخ دمشق) خمسةَ أبياتٍ ومنها المطلَعُ ، وأنشد ابنُ الشجريّ في حماسته أربعة أبيات ، والبلاذريّ في (أنساب الأشراف) بيتين اثنين ، والمرزبانيّ في (معجم الشّعراء) بيتين اثنين أيضاً ، وأنشد أبو عليّ القيسيّ في (إيضاح شواهد الإيضاح) بيتاً واحداً وهو مطلعها ، ونسب كل هؤلاء العلماء ما أنشدوه لعمرو بن مخلاة ، في حين أنشد ابنُ منظور مطلع القصيدة في (اللّسان) برواية : « مستديم وواقع » ونسبه لجوّاس بن القَعْطل ونبّه علىٰ أنّه يُروىٰ لعمرو بن مخلاة ، ثم جاء بعدَه المُرْتضىٰ الزَّبيديّ فأنشد البيت في (التاج) بالرّواية نفسها التي رواها ابنُ منظور ومَحَضَ نسبتَهُ لجوّاس دونَ أَنْ يُنَبِّه ، واستشهَدَا به علىٰ معنى التَّدويم والاستدامة[٣] ؛ فنلاحظ أنّ معظم المصادر نسبت ما أنشدته من الأبيات لعمرو بن مخلاة ، وأنّ ابنَ منظور أنشد البيتَ الأوّل وحدَه لجوّاس مع التّنبيه علىٰ أنّه يُروىٰ

---

(١) انظر ما سيأتي، ص : ٢٤٥ .

(٢) هي القطعة (٧) من شعر عمرو .

(٣) انظر تخريج القطعة (٤) من شعر عمرو بن مخلاة في الديوان .

لعمرو[١] ، في حين اقتصر الزَّبيديّ علىٰ نسبته لجوّاس دون التنبيه علىٰ أنّه يروىٰ لعمرو كما نبّه ابن منظور وهو من أهمّ مصادره ؛ وابنُ منظور والزَّبيديّ مُتَأَخِّران ، وتأخُّرُهما هذا مع إجماعِ سائر العلماء المتقدّمين علىٰ نسبتها لعمرو يدلّ علىٰ أنّهما وَاهِمان في نسبة البيت لجوّاس ، ويؤكد ذلك أنّ صاحب (نقائض جرير والأخطل) ذكر أنَّ زُفَر بن الحارث الكلابيّ أجاب عَمْراً علىٰ قصيدته هذه بأبياتٍ أوّلها :

فَخَرْتَ ابنَ مخلاةِ الحِمارِ بِمَشْهَدٍ   عَلاكَ بِهِ في المَرْجِ مَنْ لا تُدافِعُ

وهذا البيت واضح الدّلالة علىٰ أنّ الأبيات لعمرو بن مخلاة لا لِجَوَّاس .

والقطعة الثّالثة لعبد الجبّار بن يَزيد بن رَبيعة العُلَيْميّ ـ ووقع في اسم جدّه (ربيعة) تحريفٌ منذ القديم إلىٰ (الرَّبْعَةَ) أو (رَبْعَة) ونُسِبَ إليه فقيل له : ابن الرَّبعة[٢] ـ وتقع هذه القطعة في ثمانية أبيات ، قالها في خبرٍ له مع يزيد بن المهلّب ، وكان دليلَه حين هرب هو وإخوته من سجن الحجّاج ولحقوا بالشّام ، ومطلعُها :

أَلا جَعَــلَ اللهُ الأَخِــلاّء كلَّهــم   فِداءً ـ علىٰ ما كانَ ـ لابنِ المهلّبِ

فقد أنشد الطبريّ في تاريخه سبعةَ الأبياتِ الأولىٰ منها نقلاً عن هشامٍ ابن الكلبيّ عن الحَسَن بن أبان العُلَيْميّ وذكر خبرها ، وأنشد المرزوقيُّ في (الأزمنة والأمكنة) ، واليغموريُّ في (نور القبس) خمسة أبيات ، وأنشد ابنُ عساكر في تاريخه ثلاثة أبيات ، وتابَعَهُ في إنشادها ابنُ منظور في (مختصر تاريخ دمشق) ، وأنشد ابنُ حبيب في (المُحَبَّر) بَيْتَيْنِ اثنين ، وأنشد ابن الكلبيّ في (النسب الكبير) بيتاً واحداً ، ونَسَبَ جميعُ هؤلاء العلماء ما أنشدوه لعبد الجبّار بن يزيد ، كما أنّ أبا زيد الأنصاريّ أنشد بيتين منهما في نوادره ونسبهما

(١) لصاحب اللّسان خمسة مصادر معلومة ، ومن تلك المصادر ما لم أقف عليه ، فلا ريب أنّ هذه النسبة جاءت ممّا لم أقف عليه ، انظر ما سلف في الصفحة ٢٢١ .

(٢) انظر ترجمته في الديوان .

لـ«رجل من كلب يقال له [ابن] ربعة»، وأنّ ابن رشيق القيرواني أنشد في (قُرَاضَة الذهب) بيتين اثنين أيضاً ونسبهما لـ«دليل آل المهلّب حين هربوا مِنْ سجن الحجاج ابن يوسف » ، وهذه صفة عبد الجبَّار ، في حين أنّ المرزبانيَّ أنشد ثلاثة أبياتٍ منها في (معجم الشعراء) ونَسَبَها لـ« هُرْدان العليميّ . . . وهو دليلُ يزيدَ بنِ المهلَّب إلىٰ العراق حين هرب من سجن عُمَرَ بن عبد العزيز فأخطأ به الطريق فضربه » ، وأنشد الزمخشريُّ في (ربيع الأبرار) بيتين اثنين من هذه الأبيات الثلاثة ونسبهما لـ« هُرْدان العُلَيميّ دليل يزيد بن المهلّب حين هرب من سجن عمر بن عبد العزيز »[١] ؛ فنلاحظ أنّ مصادر الأبيات نسبتها لعبد الجبّار بالاسم أو بالصّفة ، ومن تلك المصادر ما نقل ذلك عن علماء من بني كلب ، أو هو لعلماء من بني كلب ، إلاّ معجمَ الشّعراء وربيعَ الأبرار فإنّهما نَسَبا بعضَهما لِهُرْدان العُلَيميّ ، وهو وَهْمٌ سَبَبُهُ أنّ يزيد بن المهلّب هَرَب مرّتين من السّجن ، مرّة من سجن الحَجّاج في العراق إلىٰ الشّام ودليله يومئذٍ عبد الجبار فَضَرَبَهُ يزيد في خبرٍ له فقال هذه الأبيات ، ومَرَّةً من سجن عمر بن عبد العزيز في الشّام إلىٰ العراق ودليلُه يومئذ هُردان العُلَيْميّ فضربه يزيدُ أيضاً في خبر له فقال فيه شعراً منه :

وَسَــوَّأَ ظَنِّــي بــالأَخِــلاّءِ أَنَّنــي وَجَدْتُ يَزيداً دُونَ ما كَانَ يَزْعُمُ

فكِلا دليلَيْ يزيدَ شاعرٌ كَلْبِيٌّ عُلَيْمِيٌّ ، وكلاهما ضَرَبَهُ يزيدُ فقال شعراً ، فَخَلَط المَرْزُبانيّ والزمخشريُّ بين الشّاعِرَيْنِ ، ولعلّ الزمخشريَّ نقل ذلك عن المرزبانيّ ، بل إنّ المرزبانيَّ نَفْسَهُ قد اضطرب في نسبة الأبيات لأنَّ أربعة أبياتٍ من القصيدة وردت في (نور القبس) منسوبةً لعبد الجبّار ، و(نور القبس) هو مختصرٌ لكتاب (المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشّعراء والعلماء) للمرزبانيّ ، اختصره اليَغموريّ .

والقطعتان الرّابعة والخامسة إحداهما لعبد الله بن دارم ، والأخرىٰ لمَكِيثٍ

(١) انظر تخريج القطعة (١) من شعر عبد الجبّار .

الكلبيّ ، وقد نُسِبَ بيتٌ من كلِّ قطعةٍ للأغلب الكلبيّ بسبب الوَهْم وعدم التثبُّت ، وأمرُهما واضحٌ لا يحتاج إلىٰ مناقشة[1] .

ونجد في أشعار الأمويّين ثلاث قطع من الضّرب الذي وقع الاضطراب في نسبته وهناك ما يرجّح نسبته إلىٰ هذا الشّاعر أو ذاك دون أن يكون ذلك المرجِّح قاطعاً ، وأوّل ذلك وَقَعَ في بيتَيْنِ من قصيدةٍ لعُفَيْرَة ـ وقيل عُمَيْرَة ـ بنت حسّان تتألف من ثلاثة عشر بيتاً ، ومطلعها :

سَمَتْ كَلْبٌ إلىٰ قَيْسٍ بجَمْعٍ   يَهُدُّ مَناكِبَ الأكَمِ الصِّعابِ

وذلكما البيتان هما الرّابع والخامس من قصيدتها ، وهما :

وَأَلْفَيْنا هَجِينَ بَني سُلَيْمٍ   يُفَدِّي المُهْرَ مِنْ حُبِّ الإيابِ
فَلَوْلا عَدْوَةُ المُهْرِ المُفَدَّىٰ   لأُبْتَ وَأَنْتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ

فقد أنشدهما لها أبو الفرج الأصفهانيّ في (الأغاني) ضمن أَحَدَ عشر بيتاً ، وأبو تمّام في (الوحشيات) ضمن ستة أبيات ، وأنشد الراغب الأصفهانيّ في (محاضرات الأدباء) ثانيهما ـ وهو البيت الخامس من القصيدة ـ ونسبه لـ« عنترة الكلبيّ » وهو تحريفٌ صوابه « عُفَيْرَة الكلبيّة » ، في حين أنشدهما أبو الفرج في موضعٍ آخر من (الأغاني) والعينيُّ في (المقاصد النَّحْوِيّة) ضمن خمسة أبيات نسباها لأخيها المُنْذِر بن حسّان[2] ، وهما الرابع والخامس أيضاً من أبياته ؛ ويُرَجَّح لديّ أنهما لِعُفَيْرَة لا للمنذر لأنّهما متمكّنان في قصيدتها أكثر من تمكّنِها في قصيدته ، إذ لا يستغني ما بعدَهما في قصيدتها عنهما ، بينما يمكن الاستغناء عنهما في أبيات المنذر كما فعل المرزبانيُّ حين أنشد الأبيات الثلاثة الأخرىٰ وحدها ، وكما فعل البلاذريّ حين أنشد الأوّل والثّالث وحدهما ، ذلك أنّهما جاءا في آخر أبياته وكأنّهما أُلحقا بها إلحاقاً ، أو أنَّه ضمّنَهُما قصيدتَهُ ، وقد

(١) انظر تخريج شعر عبد الله بن دارم ، وتخريج شعر مكيث الكلبيّ .
(٢) انظر تخريج شعر عفيرة .

يكونُ قالها أوّلاً فضمّنتهما هي قصيدتها .

والقطعة الثّانية هي أبياتُ المنذر بن حسّان الخَمْسَة الّتي رجّحنا أنّ البيتين الرّابع والخامس منها لأُخته عُفَيْرَة ، إذ وقع الاضطرابُ في نِسْبَة البيتين الأوّل والثالث منها ، وهما :

وَبَـادِيَـةِ الجَـواعِـرِ مِـنْ نُمَيْـرٍ تُنـادِي وَهْـيَ سَـافِـرَةُ النِّقـابِ
قَتَلْنَـا مِنْهُـمُ مِئَتَيْـنِ صَبْـراً وَأَلْفـاً بِـالتِّـلاعِ وَبِـالـرَّوَابِـي

فقد أنشدهما كما مَرّ بنا أبو الفرج الأصفهانيّ في (الأغاني) والعينيُّ في (المقاصد النحوية) ضمن خمسة أبيات ، وأنشدهما المرزبانيُّ في (معجم الشّعراء) مع بيتٍ آخر ، ونسبوا ما أنشدوه للمنذر بن حسّان ، في حين أنشدهما البلاذريّ في (أنساب الأشراف) ونسبهما لـ« ابن طُرامَةَ الكلبيّ »[1] ، وابنُ طُرامة هو حسّان بن حارثة أبو المنذر بن حسّان ؛ ويُرَجَّح لديّ أنّهما للمنذر لا لأبيه ، وأنّ البلاذريّ لم يُرِدْ غير ذلك ؛ لأنّه يقال في اسم المنذر : المنذر بن حسّان بن طرامة[2] ، فقال البلاذريّ : (ابن طُرَامَةَ الكلبيّ) اختصاراً ، ولأنّ سائر المصادر أجمعت علىٰ أنّهما للمنذر .

والثّالثة مؤلّفة من اثني عشر بيتاً ، مطلعها :

كَـمْ مِـنْ أَميـرٍ قَبْـلَ مَـرْوَانَ وَابْنِـهِ كَشَفْنَـا غِطَـاءَ المَـوْتِ عَنْـهُ فَـأَبْصَـرَا

فقد أنشدها صاحبُ (نقائض جرير والأخطل) كاملةً لجوّاس بن القعطل وأنشد بعدها أبياتاً لِمَعْبَد بن عمرو الكلابيّ من بني عامر بن صعصعة ثم من قيس عيلان يُجيبه ، وكان قد أنشد قبلَها قصيدَة عمرو بن مِخلاة التي يذكر فيها المرجَ والتي مطلعُها :

ويومٍ تُرىٰ الراياتُ فيه كأنَّها عوائفُ طيرٍ : مُسْتَديرٌ وواقعُ

---

(١) انظر تخريج القطعة (١) من شعر المنذر .
(٢) انظر ترجمته في الديوان .

وأنشد رَدَّ زُفر بن الحارث الكلابيّ عليه ، وأنشد المرزوقيُّ ثمانية أبيات من الرّائية في (شرح ديوان الحماسة) ونسبها لجوّاس بن القعطل أيضاً مخالِفاً بذلك أبا تمّامٍ كما سنرى ، وأنشد الزمخشريُّ في (الفائق) بيتاً واحداً منها ونسبه لجوّاسٍ أيضاً ، في حين أنّ أبا تمّامٍ أنشد في (الحماسة) سبعة أبياتٍ ونسبها لعمرو بن مِخْلاة ، وترتيب تلك الأبيات بحسب روايته هكذا : (٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧) ، وتابَعَهُ علىٰ نسبة الأبيات وترتيبها كلّ من التّبريزيّ في (شرح ديوان الحماسة) ومحمد بن أَيْدَمر في (الدّرّ الفريد) وياقوتٌ الحموي في (معجم البلدان) غير أنّ ياقوتاً لم ينشد البيتَ السّابعَ ، كما أنّ المرزبانيَّ أنشد الأبيات (٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١) في معجم الشعراء ، وأنّ ياقوتاً أنشد البيت السّادس في (المشترك وضْعاً) ، وأنّ محمد بن أَيْدَمِر أنشد البيت الأوّل في موضعٍ آخر من (الدرّ الفريد) والبيتَ السّادس في موضع ثالث ، ونسبوا ما أنشدوه لعمرو بن مخلاة[1] .

فنلاحظ أنّ الأصل في نسبة الأبيات إلىٰ عمرو هو أبو تمّام ، في حين أنّ التّبريزيّ وابن أَيْدَمِر وياقوتاً والمَرْزبانيّ تابعوه علىٰ ذلكَ ، لأنّ ترتيبَ ما أنشدوه موافقٌ لترتيبه ، ونلاحظ أنّ المرزوقيّ عندما شرح حماسة أبي تمّام وافقه في ترتيب الأبيات وخالَفَه في نسبتها إذ نسبها إلىٰ جوّاس ولم ينبّه علىٰ ما ذهب إليه أبو تمّام ، وزاد بيتاً في روايته ، فوافَقَ بذلك صاحب (نقائض جرير والأخطل) الذي أنشد القصيدة كاملةً وأنشدَ قبلَهاوبعدَها قصائدَ أخرىٰ قيلت في يوم المرج ، ووافقهما الزمخشريُّ في نِسْبَة البيت الذي أنشده ؛ وفيما سَبَق أمورٌ تُرَجِّح كونَ الأبيات لجوّاس لا لعمرو ، فأوّلها مخالفةُ المرزوقيّ أبا تمّام في نسبتها ، إذ لو أنّه لم يجد ما يؤكّد له كونها لجوّاس لما خالف أبا تمّام ، وثاني تلك الأمور أنّ صاحب (نقائض جرير والأخطل) أنشد الأبياتَ كاملةً في حين اختار أبو تمّام

---

(١) انظر تخريج القطعة (٨) من شعر جوّاس .

بعضَها ، وثالثها يتبيّن من معرفة صاحب (نقائض جرير والأَخْطَل) ، إذ طُبِعَ علىٰ أنّه لأبي تمّام ، وتحدث الشيخ الأستاذ عبد العزيز الميمنيّ ـ رحمه الله ـ عن هذا الكتاب ، فقال : « وأمّا (نقائض جرير والأخطل) ـ وأصلُه العتيق بالكتبخانة العموميّة ببيازيد في استنبول ـ فإنّ بعض المتأخِّرينَ في زَمَنِ الأتراكِ لمّا رأىٰ عُنوانَهُ غُفْلاً عن ذكر المؤلِّف زاد بخطّه الفارسيّ : (تأليف الإمام الشّاعر الأديب الماهر أبي تَمّام) وهو اختلاقٌ منه قبيح ، فإنَّهُ ليس له البَتَّةَ ؛ وأظنَّ بعد الوقوف علىٰ ما في فهرست النَّديم أنَّه للأصمعي ، كما وردت فيه كنيتُه (أبو سعيد) غيرَما مرّةٍ ، وذلك برواية السُّكَّريّ ـ لعلَّهُ ـ وكنيتُه أيضاً (أبو سعيد) »[(١)] ، وقد رجعتُ إلىٰ (الفهرست) فوجدت فيه أنّ أبا سعيد السّكّريّ صَنَع (نقائض جرير والأخطل) ، وكذلك الأصمعيّ ، وأبو عمرو الشّيباني[(٢)] ، ووُرودُ كنية المؤلّف (أَبي سعيد) في عدّة مواضِع تنفي أن يكون صاحبُه أبا عمرو ، وقد وَجدتُهُ ينقل شرح بعضَ ألفاظِهِ عن ابن الأعرابيّ[(٣)] ، وهذا النقل ينفي أن يكونَ صاحبُهُ أبا سعيد الأصمعيّ لأنّه كان بين الأصمعيّ وابن الأعرابيّ تَقَارُصٌ وخُصومَةٌ ، والأصمعيُّ بِصريٌّ وابنُ الأعرابيّ كوفيّ[(٤)] ، فلمْ يَبْقَ إلاّ أبو سعيد السُّكَّرِيّ وهو راويةٌ ثقة صدوقٌ مُكْثِر ، أخذ عن علماء البصرة والكوفة معاً فخلط بين مَذْهَبَيْهِما وقد عمل أشعارَ عدد من فحول الشّعراء وعددٍ من قبائل العرب[(٥)] ، وروايتُه أعلىٰ من رواية أبي تمّام ، مع التّسليم بأنّ أبا تمّام شاعرٌ ذوّاقةٌ فيما اختاره من أشعار العرب في حماسته ، إلاّ أنّه أخذ اختياراتِه من الكتب لا من أَفْواهِ العُلَماء[(٦)] ؛ فهذه الأمور الثّلاثة هي التي رجَّحتْ كونَ

---

(١) الوحشيات : ٥ (مقدّمة الميمنيّ).
(٢) الفهرست : ٣٠٢.
(٣) نقائض جرير والأخطل : ٥٩ .
(٤) انظر المزهر ٢ : ٤٠٤ـ٤١١ .
(٥) انظر الفهرست : ١٥٥ـ١٥٦ ومعجم الأدباء ٨ : ٩٤ ، وبغية الوُعاة : ٥٠٢ .
(٦) انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١ : ٣ـ٤ ، ومصادر الشعر الجاهلي : ٥٨٣ .

القصيدة لجوّاس لا لعمرو بن مِخْلاة ، ويضاف إليها أمرٌ آخر نلاحظه في هذه القصيدة وفي ما اجتمع لدينا من شعر جوّاس ، فهذه القصيدة فيها لَوْمٌ لبني مروان بن الحكم وامتنانٌ عليهم بما قام به بنو كلب من نصرهم يوم مرج راهط ، ويخصّ بذلك عبدَ العزيز بن مروان ، وفي مجموع شعره أربع قطَع أخرىٰ في لَوْم بني أميّة والامتنان عليهم ، وهي القطع ١١ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٦ من شعره[١] ، وفي القطعة (١٧) منها عَذْلٌ شديدٌ لعبد العزيز نفسِه ، وليسَ في شعر عمرو بن مخلاة شيءٌ من ذلك ، ولكنّ كلّ ما اجتمع لدينا من شعر عمرو يتعلّق بيوم المَرْج ؛ ولا ريبَ في أنّ ذلك الاضطرابَ يرجِعُ إلىٰ إكثار الشّاعِرَين من ذِكْرِ يوم المرج .

ولم أجد في أشعار الأُمَويِّين سوىٰ ثلاثة أبيات وقعَ الاضطرابُ في نسبتها بين شاعرين من شعراء كلب دون أن يكون ثمّة ما يرجّح نسبتهما إلىٰ أحدهما ، فقد نَسَبَ صاحبُ كتاب (نقائض جرير والأخطل) تلك الأبياتَ لحُمَيْدِ بن حُرَيْث بن بَحْدَل في حروبه مع قيس عيلان ، وأنشد معها بيتاً آخر جعله مطلعاً للأبيات ، وهو قوله :

أَنَا سَيْفُ العَشِيرةِ فاعْرِفوني   حُمَيْداً قَدْ تَذَرَّيْتُ السَّناما

وأنشد أبو الفرج الأصفهانيّ تلك الأبيات الثلاثة في (الأغاني) ضِمْنَ ثلاثةَ عشرَ بيتاً ونسبها لعمرو بن مِخْلاة يذكر فيها ما كان من إيقاع حُمَيْد بن حُرَيْث ببني فزّارة من قيس عيلان وأَخْذِ عبدِ الملك بن مروان دياتِ القتلىٰ من أُعْطِيات قُضَاعة ، وتابَعَه علىٰ ذلك ابنُ عساكر[٢] ؛ وهما لا شكّ قصيدتان اثنتان لا قصيدةٌ واحدة ، يتبيّن ذلك من مطلع أبيات حميد إذ لا يمكن أن يكون قائلُه غيرَه ، ومن قول عمرو في أبياته :

وَقَالَ لِخَيْلِهِ : سيري ، حُمَيْدٌ   فَإِنَّ لِكُلِّ ذي أَجَلٍ حِمَامَا

---

(١) انظر هذه القطع في شعره ، في الديوان .

(٢) انظر تخريج شعر حُمَيْد بن حُرَيث ، وتخريج القطعة (٨) من شعر عمرو بن مخلاة .

إذ لا يمكن أن يكونَ حُمَيْدٌ هو قائله ؛ وتلك الأبيات الثلاثة متمَكّنةٌ في موضعها من كلا القصيدتين ، وهذا يعني أنّ أَحَدَ الشّاعِرَيْن ضمَّنَ أبياتَ صاحبه في قصيدته .

فتلك إذاً كانت مجموعة الأشعار المُضطربة النسبة بين شعراءِ كلب أنفسهم .

ب ـ الشعر المضطرب بينهم وبين شعراء القبائل :

نتناول في هذا الحديث ما اضطرب من الأشعار بين شعراء كلب وبين شعراء القبائل الأخرىٰ مثلما تناولنا ما اضطرب بين شعراء كلب أنفسهم ، من حيث عُصُورُ الشّعراء الكلبيّين بِحَسَبِ أَضْرُبِ الشعر المضطرب الثلاثة ، وهي كما سبق : شعرٌ عُرِفَ صاحِبُه يَقيناً ، وشعرٌ يمكن ترجيحُ نسبته ببعض الأدلّة ، وشعرٌ مُتنازَعُ النّسْبة .

فأمّا شعراء العصر الجاهليّ فإنّنا نجد في أشعارهم من الضّرب الذي عُرِف صاحِبُه بالدليل اليقينيّ ستّ قِطَع ، أوّلها في شعر مَسْروح بن أَدْهَم ، وهي قوله :

يا لَهْفَ أمِّكَ لا تَلَهُّفَ غَيْرِها ... تلكَ الّتي هَلَكَتْ بِبَطْنِ حِمَارِ
وَلَقَدْ رَأَيْتَ مَكانَهُمْ فَكَرِهْتَهُمْ ... كَكَراهَةِ الخِنزيرِ لِلإيغَارِ
وَلَقَدْ رَأَيتُ فَوارِساً مِنْ قَوْمِنا ... غَنَطُوكَ غَنْطَ جَرادَةِ العَيّارِ

فقد أنشدها ابنُ الكلبيّ في (النسب الكبير) لابن أدهم النّعاميّ الكلبيّ ، وذكر أنَّه ردّ فيها علىٰ نابغة بني ذبيان ، وأنشد البيتَيْنِ الثانيَ والثالث في كتاب (الأصنام) لابن أدهم أيضاً ، وأنشدهما الميدانيُّ في (مجمع الأمثال) ونسبهما لـ« مسروح الكلبيّ يهاجي جريراً » ، وكذلك الزَّبيديُّ في (التاج) ونسبهما لـ« مسروح بن أدهم النعاميّ ، ويقال : الكلبيّ ، وقيل ، هو لجرير : (البيتَيْن) » ، وأنشد الصَّغانيّ البيت الثالث في (التكملة) لابن أدهم النَّعاميّ الكلبيّ ، وكذلك الزَّبيديُّ في (التاج) ، في حين أنّ البكريّ أنشد البيتَيْنِ الثانيَ والثالث دون نسبة ، ثم قال : « قال قاسم بن ثابت : سألتُ الهَجَريَّ عن قول

جرير : (البيت الثالث) . . . »[1] .

فنلاحظ أنّه ثمّة اضطرابٌ في نسبتها بين ابن أدهم وبين جرير ، ونسبتها إلىٰ جرير وهمٌ ، ويدلُّ علىٰ ذلك أمورٌ عدّة ، منها أنّ الأبيات لم يَرِد شيء منها في ديوان جرير ، وأنّ ابن الكلبيّ والصَّغانيّ والزَّبيديّ اتَّفقوا علىٰ نسبتها لابن أدهم مع كون ابنِ الكلبيّ أقدم مَنْ نَسَبها وهو الوحيد الذي أنشَدَها كاملةً ، ومنها أنّ للبيت الثالث رواية أخرىٰ ، وهي :

ولقد لقيتَ فوارساً من عامرٍ . . . .

وعامرٌ هؤلاء هم قوم ابنِ أدهم النعاميّ ، لأنّه أَحَدُ بني النّعامة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر ؛ ومنها أنّ في شعر النابغة ما يؤكّد أنّ ابنَ أدهم يُرَدُّ عليه ، وهو قولُه لِجَعْوَل بن ربيعة الكلبيّ وعِرار بن عَرْفَجَة الكلبيّ[2] :

يا لهفَ أُمِّي بعدَ شَرْبةِ جَعْلَولٍ ألاّ أُلاقِيَهــا ورَهْــطَ عِــرارِ

فمن البَيِّن أنّ قولَ ابن أدهم في البيت الأوّل : (يا لهف أمّك . . .) هو ردّ على قول النابغة هذا؛ وفيها أنّ الأبيات تشير إلىٰ وقعةٍ بين قوم الشّاعر وبين قوم المهجوّ ، وقد كان للنعمان بن جبَلَةَ الجُلاحيّ الكلبيّ يومٌ علىٰ بني ذبيان ، فكان فيمن سَبَىٰ منهم عَقْرَب بنت النابغة ، ثمّ مَنَّ عليها إكراماً لأبيها ، فمدحَه[3] ، وبنو الجُلاح مثلُ بني النَّعَامة من بني عامر الأكبر ؛ فهذه الأمور تؤكّد أنّ الأبياتَ لمسروح بن أدهم يردُّ فيها علىٰ النّابغة ، ومِنْ ثَمَّ كان ما ذهب إليه الميدانيّ من أنّ مسروحاً كان يهاجي بها جريراً إنّما هو من قبيل الوَهم ، ولا سيّما أنّه ليس في ديوان جرير أيّة إشارة إلىٰ ابن أدهم .

والقطعة الثانية وقعت في شعر الحارث بن زهير الكلبيّ ، وذلك قولُه :

قَالوا : مَنْ نَكَحْتَ ؟ فَقُلْتُ : خَيْراً عَجُــوزاً مِــنْ عُــرَيْنَــةَ ذَاتَ مَــالِ

---

(١) انظر تخريج شعر ابن أدهم .

(٢) ديوانه : ٢٣٠ ، والنّسب الكبير ٢ : ٣٢٤ و٣٣٠ .

(٣) انظر ديوان النابغة : ١٣٧ـ٢١٢ ، والحديث عن علاقات كلب ، ص : ٨٥ ـ٨٨ .

نَكَحْـــتُ عُجَيِّـــزاً ، وَنَقَـــدْتُ أَلْفــاً كَـــذَاكَ البَيْـــعُ مُـــرْتَخَـــصٌ وَغَـــالِ

وقد وقع الاضطراب في نسبتها بينه وبين الحارث بن زهير التغلبيّ وبين الحارث بن حِلِّزة اليشكريّ ، إذ قال ابن الكلبيّ وهو يتحدّث عن بني عُرَيْنَة بن ثور بن كلب : « منهم هِنْد بنت مُسْلِم ، تزوّجها الحارث بن زهير [بن تيم اللاّت] بن وَدْم بن وهب [اللاّت] بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب ، وهو الذي يقول : (البيتين) ، فولدت له : هُنَيَّةَ وعبدَ بكر ، ثمَّ خلَف عليها الحارث بن زُهَيْر بن تيمِ بنِ أُسامةَ . . . بن تغلب ، وحَمَلَتْ معها هنيّةَ وعبد بكر فانتسبوا إليه ، فهم يُعْرَفون في تغلب إلىٰ اليوم »[1] ، وذكر الوزيرُ المغربي في (الإيناس) نحواً من كلامِ ابن الكلبيّ هذا وأنشد البيتين ، وقال ابنُ الكلبيّ في موضعٍ آخر ، حيث كان يتحدّث عن بني وهب اللاّت بن رُفَيْدة الكبليِّين : « فولد الحارثُ بن زهير [بن تيم اللاّت بن وَدْم بن وهب اللاّت] هنيّةَ وعبد بكر ، أُمُّهما هند بنت مُسْلِم بن شَكَل . . . بن كلب ، لها يقول الحارثُ : (البيت الأوّل) ؛ انتسبوا إلىٰ تغلب ، قالوا : أبوهما الحارث بن زهير بن تيم بن أسامة . . . بن تغلب »[2] ، وقال في موضعٍ ثالثٍ في أثناء حديثه عن نسب تغلب : « وولد الحارث بن زهير بن تيم [التغلبي] : هنيّةَ وعبدَ بكر ، وأمّهما هند بنت مسلم بن شَكَل . . . بن كلب ، ولها يقول الحارث بن زهير : (البيتين) »[3] . في حين أنّ محمّد بن أَيْدَمِرَ أنشد البيتين ونسبهما للحارث بن حِلّزة « في التزوّج بعجوز »[4] .

فنلاحظ أنَّ ابنَ الكلبيّ نسب الشّعر في موضعين للحارث بن زهير الكلبيّ وَذَكَرَ مناسبتهُ وما يتعلّق به بكلّ وضوح ، ووافَقَه في ذلك الوزيرُ المغربيّ ، ثم إنّ ابن الكلبيّ نسبه في موضعٍ ثالث للحارث بن زهير التغلبيّ دون أن يذكر شيئاً عن الحارث

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٠٥ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٩٨ .
(٣) النسب الكبير ١ : ٣٧ .
(٤) الدرّ الفريد ٥ : ٣٩٢ .

الكلبيّ وعن زواجِه أوّلاً بهند وإنجابِها الوَلَدَيْنِ وحَمْلِها إياهما وانتسابِهما إلىٰ الحارث التغلبيّ ، فنستدلّ من الموضعَيْن السابقين ومن موافقة الوزير المغربيّ ما فيهما علىٰ أنّه كان في الموضع الثالث كلامٌ يُشيرُ إلىٰ الحارث الكلبيّ وأنّه هو صاحبُ الشّعر وأبو الوَلَدَيْنِ ، فأسقطه الناسخُ نتيجْةَ نقلة عَيْنٍ غالباً .

ونلاحظ أنّ محمّد بن أَيْدَمِرَ نسبهما للحارث بن حِلِّزة ، وهو تحريفٌ واضحٌ نَتَجَ عن تشابُه الرسم بين (حلّزة) و(زهير) ، ويؤكّد ذلك أنّ البيتين لم يردا في ديوان الحارث بن حلّزة ، هذا مع تأخُّر محمد بن أَيْدَمِرَ عن ابن الكلبيّ بقرون .

والقطعة الثّالثة هي هذه الأبيات الثّلاثة :

جَلَّحَ الدَّهرُ فَانْتَحَىٰ لي وَقِدْماً ... كَانَ يُنْحِي القُوَىٰ عَلَىٰ أَمْثَالي

يُدْرِكُ التِّمْسَحَ المُوَلَّعَ في اللُّجْـ ... ـجَةِ والعُصْمَ في رُؤُوسِ الجِبالِ

وَتَصَدَّىٰ لِيَصْرَعَ البَطَلَ الأَرْ ... وَعَ بَيْنَ العَلْمَاءِ وَالسِّرْبالِ

فقد وردت هذه الأبياتُ في (ديوان عمرو بن قَمِيئة) ضمن قصيدةٍ تَقَعُ في ثلاثَةَ عَشَرَ بيتاً متمكّنة في موضعها ، وأنشد الأزهريُّ هذه الأبيات فقال : « وقال شَمِر فيما قرأتُ بخطّه في كتاب (السّلاح) لَهُ : العَلْمَاء من أسماء الدّروع ، قال : ولم أسمعه إلاّ في بيت زهير بن جَنَاب : (الأبيات) ؛ وروىٰ غيرُ شَمِر هذا البيتَ لعمرِو بن قَمِيئةَ وقال : (بين العَلْهاء والسِّربالِ) بالهاء . . . »[1] ونقل كلٌّ من الصَّغانيّ وابن منظور والزَّبيديّ كَلامَ شَمِرَ ولكنْ دُون الإشارة إلىٰ أنّ الأبيات تُنْسَب لعمرو بن قميئة[2] ، وأنشد الأزهريُّ البيتَ الثالثَ في موضعٍ آخر فقال : « وقال شَمِر : قال خالد بن كلثوم : العلهاءُ ثوبانِ يُنْدَفُ فيهما وَبَرُ الإبل يلبَسُهما الشّجاع تحت الدّرع يَتَوقّىٰ بهما من الطّعن ، وقال عمرو بن قَمِيئة : (البيت) ؛ وقال شَمِر في كتابِهِ في السّلاح : من أسماء الدّروع العَلْماءُ ، بالميم ، قال : ولم أسمعه إلاّ في بيت

(١) تهذيب اللّغة ٢ : ٤٢٠ .

(٢) التكملة واللّسان والتاج (علم) .

زهير بن جَنَاب : (البيت) . . . وقرأتُ القولَ الأوّلَ له بخطّه أيضاً في كتابه (غريب الحديث) فظننتُ أنّه رواه مرّةً بالهَاء ومَرَّةً بالميم »[١] ، ونقل ابنُ منظور والزَّبيديُّ هذا عن الأزهريّ[٢] ، في حين أنشد البيتَ الثالثَ كلٌّ من الجوهريِّ في (الصّحاح) والبكريِّ في (معجم ما استعجم) ، والصَّغانيِّ في (الشوارد) ، ونسبوه لعمرو بن قَمِيئة[٣] .

فنلاحظ أنْ مَصْدَرَ نسبتها إلىٰ زهيرٍ هو شَمِرٌ ، في حين أنّ خالدَ بن كلثوم نَسَبها لعمرو بن قميئة ؛ فأمّا شَمِرٌ فَهُوَ عالم لغويٌّ جَلِيل أَخَذَ العلم عن جلّة العلماء[٤] ، وأمّا خالد بن كلثوم ، فهو عالمٌ من عُلَمَاءِ بني كلب ، وراويةٌ للشعر والأنساب والأيّام وله صنعةٌ في أشعار القبائل[٥] ؛ ولا رَيْبَ في أنّ ما ذهب إليه خالد بن كلثوم أوثقُ مما ذهب إليه شَمِر ، لأنّ خالداً من علماء كلب فمن المستبعَدِ أن يجهَلَ شِعْرَ زهير بن جَنَاب وهو من أكبر شعراء كلب ، ولأنّه مهتمٌّ برواية الشّعر ونسبته ، بينما كان اهتمامُ شَمِر مُتَّجِهاً إلىٰ الاستشهاد بالشعر علىٰ معنى بعض الألفاظ أكثر من الاهتمام باسم صاحبه ، والوهم عند علماء اللّغة في نسبة الشّعر أمرٌ ملموس[٦] ؛ ويؤكد كونَ الأبيات لعمرو لا لزهير ورودُها ضمن قصيدة كاملة في ديوانهِ ، ونسبةُ بعضها عند الجوهريّ والبكريّ والصَّغاني لعمرو .

والقطع الثلاثة الأخرىٰ من هذا الضرب الذي عُرِف صاحبه يقيناً لا تحتاج إلىٰ مناقشة لأن أمرها واضحٌ[٧] .

---

(١) تهذيب اللّغة ١ : ١٤٢ .
(٢) اللّسان والتاج (عله) .
(٣) انظر تخريج القطعة (٢٠) من شعر زهر بن جناب .
(٤) انظر ترجمته في تهذيب اللّغة ١ : ٢٥ ، وبغية الوعاة ٢ : ٤ـ٥ .
(٥) انظر الفهرست : ١٣٢ ، والمزهر ٢ : ٤٠٦ ، وبغية الوعاة ١ : ٥٥٠ .
(٦) انظر مثلاً ما جاء في العجاج ، حياته ورجزه : ١٩٤ وما بعدها .
(٧) انظر تخريج القطعتين (٣) و(٣٢) من شعر زهير بن جَنَاب ، وتخريج القطعة (٢) من شعر أم قطن بن شريح .

وفي أشعار الجاهليّين ثلاث قطع من الضرب الذي يمكن التّرجيح في نسبته دون أن يكون المُرَجِّح دليلاً يقينياً ، فالقطعة الأولىٰ مؤلَّفة من بيتين هما :

ألـم يـأتِ قَيْسـاً كلَّهـا أنَّ عِـزَّهـا غـداةَ غَـدٍ مِـن دَارَةِ الـدُّور ظـاعِـنُ
هُنـالِـكَ جـادَتْ بـالـدُّموعِ مَـوانِـعٌ عَلَيْهـا ومَـاتَـتْ بـالعِـراقِ الضّغـائِـنُ

إذْ أنشدهما أبو تمّام في (الوحشيّات) لمالك بن امرىء القيس الكلبيّ[1] ، وأنشدهما ياقوت في (معجم البلدان) لحُجْر بن عقبة وذكر قصّةَ البيتَيْن ، كما أنشد البيت الأوّل في (المشترك وضْعاً) لحُجْرِ بن عُقْبَة[2] ؛ وحُجْرُ بن عُقْبة شاعرٌ من بني فَزَارة[3] ، وبنو فزارة من قيس عيلان ؛ فنلاحظ أنّ ياقوتاً ذكر مناسبة البيتين حين نسبهما لحُجْرٍ ، كما أنّ البيت الأوّل يدلُّ علىٰ أنّ الشاعر قيسيّ ، ومن ثَمَّ فالمُرَجَّح ما ذهب إليه ياقوتٌ وإن كان أبو تمّام أقدم منه .

والقطعة الثّانية مؤلَّفة من الأبيات الثّلاثة التّالية :

وَلَقَـدْ سَئِمْـتُ مِـنَ الحيـاةِ وطُـولِهَـا وعَمَـرْتُ مـن عَـدَدِ السِّنيـنَ مِئِينَـا
مِئَـةٌ حَـدَتْهَـا بَعْـدَهَـا مِئَتَـانِ لـي وَازْدَدْتُ مِـنْ عَـدَدِ الشُّهـورِ سِنينَـا
هَـلْ مـا بَقِـي إلاَّ كمـا قَـدْ فـاتَنَـا يَـوْمٌ يَمُـرُّ وَلَيْلَـةٌ تَحْـدُونَـا

فقد أنشدها وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ مع بيتَيْنِ آخَرَيْن في (التيجان) ، وأنشدها ابنُ سلاّم في طبقاته ، وأبو حاتم السجستاني في (كتاب المعمَّرين) ، وابنُ قتيبة في (الشّعر والشّعراء) ، والمرزبانيُّ في (معجم الشّعراء) ، والمرزوقيُّ في (الأزمنة والأمكنة) ، والمُرْتضىٰ في أماليه ، والراغب في (محاضرات الأدباء) ، وابنُ حَجَر في (الإصابة) ، وأنشد البحتريُّ البيتين الأوّلين في حماسته ، وأجمع هؤلاء علىٰ نسبة الأبيات للمستوغر بن ربيعة السَّعديّ ؛ في حين أنشد ابنُ هشام الأبيات

---

(١) في الوحشيات : « الضبّي » تحريف ، انظر ترجمته في الديوان .
(٢) انظر تخريج القطعة (٢) من شعر مالك بن امرىء القيس .
(٣) انظر الوحشيات : ٦١ـ٦٢ ، ومعجم البلدان (دارة داثر) .

الثلاثة في (السّيرة النبويّة) للمستوغر ونبّه علىٰ أنّ بعض الناس يروي هذه الأبيات لزُهَيْر بن جَنَاب الكلبيّ ، ونقل ذلك عنه كلٌّ من البَلَويِّ في (ألف با) ، وابنِ كثير في (البداية والنهاية) ، والسّهيليِّ في (الروض الأُنُف)[١] .

فنلاحظ أنّ معظم المصادر نسبتها للمستوغر ، في حين نبّه ابن هشام علىٰ أنّها تروىٰ لزهير وتابعه علىٰ ذلك عَدَدٌ من العلماء ، ولم يَمْحَضْ نسبتَها إلىٰ زهير أَحَدٌ ؛ ومن ثَمَّ يُرَجَّحُ كونُها للمستوغِر ، ولا سيّما أنّ وَهْبَ بنَ مُنَبِّه أنشدها ضمنَ أبياتٍ ، هذا إذا لم تكن الأبيات موضوعة[٢] .

والقطعة الثّالثة هي أبيات مطلعُها :

أَلاَ مَــــنْ مُبْلِـــغٌ عَنّـــي رِزَاحـــاً ... فَـإِنّـي قَـدْ لَحَيْتُـكَ فـي اثْنَتَيْـنِ

فقد نسبها ابنُ الكلبيّ في (النسب الكبير) لزهير بن جَنَاب ، وذكر طَرَفاً من خَبَرِها ، وكذلك البكريُّ في (معجم ما استعجم) نقلاً عن ابن الكلبيّ في حديثه عن افتراق ولد معدّ ، وأنشد ابن دريد البيت الثالث في (الاشتقاق) لزهيرٍ أيضاً ، في حين نقل ابنُ هشام في (السّيرة النبويّة) عن ابن إسحٰق نسبتَها لقُصَيّ بن كِلاب ، ثمّ نَبَّه علىٰ أنّها تُروىٰ لزهير بن جَنَاب ، وأنشدها محيي الدِّين بن عَرَبي في (محاضرة الأبرار) لِقُصَيّ بن كِلاب[٣] .

فنلاحظ أنَّ مصدرَ نسبتها إلىٰ قُصَيّ هو ابنُ إسحٰق لأنّ ابنَ عربي ذكر في مقدّمة كتابه أسماءَ مصادره ، ومنها السّيرة النبويّة لابن إسحٰق[٤] ؛ وكونُ ابنِ إسحٰق مصدرَ هذه النّسبة مع موافقة ابن دريد لابن الكلبيّ في نسبتها إلىٰ زهير يرجّح كونَها لزهير ، ذلك أن ابن إسحٰق أخطأ كثيراً في نسبة الأشعار وخَلَط فيها إلىٰ جانب ما أورده من الأشعار الموضوعة ، وقد نبّه العلماءُ قديماً وحديثاً علىٰ

---

(١) انظر تخريج القطعة ٢٨ من شعر زهير بن جناب .
(٢) انظر ما يأتي ، ص : ٢٦٧ .
(٣) انظر تخريج القطعة ٢٤ من شعر زهير بن جناب .
(٤) محاضرة الأبرار ١ : ١١ و١٣ .

ذلك[1] ، ولذلك هذّب ابنُ هِشام كتابَ السّيرة ونبّه علىٰ كثير من أخطائه ، ومن ذلك تنبيهُه علىٰ أنّ هذه الأبيات تُروىٰ لزهير بن جَنَاب دون أن يقطع بنسبتها إلىٰ أحدهما ؛ والظّاهر أنّ ابنَ الكلبيّ نسب الشّعر في كتابٍ آخر له هو (افتراق ولد معدّ) لأنّ البكريّ نَسَبَ الأبيات لزهير في حديْثه الطّويل الذي نقله عن ابن الكلبيّ حَوْلَ افتراق ولد معدّ[2] .

ونجد في أشعار الجاهليّين قطعتَيْنِ من الضّرب الذي ظَلَّ مُتَنازَعَ النّسبة لعدم الوقوفِ علىٰ ما يرجّح نسبته إلىٰ بعض مَنْ نُسِبَتْ إليه أو يقطع بذلك ؛ فالقطعة الأولىٰ مؤلّفة من سبعة أبيات ، ومطلعها :

يـا عَيْـنُ بَكّـي لِمَسْعُـودِ بـن شَـدّادِ بُكـاءَ ذي عَبَـراتٍ حُـزْنُـه بـادِ

فقد أنشدها محمد بن حبيب في (أسماء المُغتالين) لعَمْرَة بنت شدّاد الكلبيّة ترثي أخاها الذي قتل في خبرٍ لهم مع بني جَرْم الطّائيِّينَ ، وذكر الخبر بطُوله ؛ وأنشد البغداديُّ البيتين السّادس والسّابع منها في (شرح أبيات المغني) و(الخزانة) لها أيضاً ، وذكر أنّ البيت السّابع مُتَداوَلٌ بين الشعراء منذ القديم وضربَ أمثلةً علىٰ ذلك من شعر عَبِيد بن الأبرص وغيره ؛ في حين أنشد الأصفهاني في (الأغاني) الأبيات الأوّل والرّابع والسّادس ، فروىٰ بسنده إلىٰ عُمَر بن شَبّة البيتَ الرّابعَ مع بيت آخر ونسبه لأخت عمرو بن عاصية السُّلَميّ وذكر خبر مقتله وأشعاراً أُخرىٰ لها ترثيه ، وروىٰ بسنده عن أبي عُبَيْدَة خَبَرَ مقتل عمرو بن عاصية وأنشد البيت الرّابع مع بيتين آخرين لأخته ترثيه أيضاً ، ثمّ روىٰ عن أبي عُبَيْدة البيت الأوّل والسّادس ضمن قصيدةٍ من تسعة أبيات للفارعة بنت مسعود المُرِّيَّة ترثي أخاها مسعوداً ، وذكر أنَّ البيتَيْنِ الأوّل والرّابع غُنِّيا مَعاً ؛ وجاءَت الأبياتُ الأربعة الأولىٰ مع البيت السّادس مع خلاف في الرّواية ضِمْن قصيدة أنشدها أبو عليّ القالي في أماليه ، ونَقَلَ عن عدد من العلماء

---

(١) انظر طبقات فحول الشعراء : ٨ـ٩ ، والفهرست : ١٨٣ـ١٨٤ ، ومعجم الأدباء ١٨ : ٦ ، ومصادر الشعر الجاهلي : ٣٣٥ـ٣٤٥ ، ٦٠٠ـ٦٠٥ ، وديوان أميّة بن أبي الصّلت : ١٠٢ـ١٠٧ .

(٢) انظر ما سبق ، ص : ٥٨ ـ ٥٩ .

أنّها تُنْسَبُ لعمرو بن مالك بن يَثْرِبيّ يرثي مسعودَ بنَ شَدَّاد ، ولأبي الطّمحان القَيْنيّ ، ولامرأة من جَرْم ، وللفارِعَة بنت شدّاد ترثي أخاها مسعوداً ، وذكر البكريُّ في (اللّآلي) أنّ عمرو بن مالك بن يثربيّ نخعيٌّ كَعْبيٌّ وأنّ أبا عليّ أَدْخَلَ في القصيدة أبياتاً أنشدها ابنُ الأعرابيّ لجَبَلَة بن الحارث يرثي مسعوداً العدويَّ ؛ وأنشد صاحبُ (زهر الآداب) الأبيات الأربعة الأولىٰ والسّادس أيضاً مع تسعة أبياتٍ أُخرىٰ للفارعة بنت شدّاد ترثي أخاها ، وأنشد صاحبُ (الحماسة الشجرية) وصاحبُ (الحماسة البصرية) البيتَ الرّابع ضمن أربعة أبيات للفارعة بنت شدّاد المُرِّيّة ترثي أخاها مسعوداً[1] .

فنلاحظ مما سبق كثرةَ اختلافِ العُلَماءِ في نسبة الأبيات منذ القديم بين عَدَدٍ من الشعراء ، وصعوبةَ ترجيح هذا القول علىٰ ذاك .

والقطعة الثّانية مؤلّفة من أربعة أبيات ، وهي :

أَيَدْعُونَني شَيْخاً وَقَدْ عِشْتُ حِقْبَةً ... وَهُنَّ مِنَ الأَزْواجِ نَحْوِي نَوَازِعُ

وَمَا شَابَ رَأْسي مِنْ سِنينَ تَتَابَعَتْ ... عَلَيَّ وَلٰكِنْ شَيَّبَتْهُ الوَقَائِعُ

أَتَجْعَلُ إِقْدامِي إذا الخَيْلُ أَجْمَحَتْ ... وَكَرِّي إذا لَمْ يَمْنَعِ الحَيَّ مَانِعُ

سَوَاءً وَمَنْ لا يَمْنَعُ الدَّهْرَ نَفْسَهُ ... وَمَنْ سَرْجُهُ عِنْدَ التَّلاحُمِ ضَائِعُ

فقد أنشد البحتريُّ هٰذه الأبيات في (حماسته) لمسعود بن مصاد الكلبيّ ، وأنشد الزمخشريُّ الأوّلَ والثّانيَ منهما في (ربيع الأبرار) لأبي الطُّفَيْل عامر بن واثِلة ونبّه علىٰ أنّهما يُرْوَيان لمسعود بن مَصاد الكلبيّ ؛ في حين أنشدَهُما صاحبُ (الحماسة البصرية) ضمن أبياتٍ لأبي الطُّفَيْلِ عامر بن واثلة ، ووَرَدَ البَيْتان منسوبَيْنِ لأبي الطُّفَيْل عامر بن واثلة في (المعارف) و(الأغاني) و(الاستيعاب) و(طبقات الفقهاء) و(حماسة الظرفاء) و(أُسد الغابة) و(خزانة الأدب) ، وورد البيت الثاني وَحْدَهُ في (محاضرة الأوائل) لأبي الطفيل أيضاً ؛ بينما ورد البيتان الأول

(١) انظر تخريج شعر عمرة.

والثاني في (ديوان عروة بن الورد) ضمن قطعة مؤلَّفة من سبعة أبيات لعروة ، وورد البيتان الثالث والرّابع في (ديوان عروة بن الورد) أيضاً ضمن قطعة مؤلّفة من ثمانية أبيات لعروة[١] .

فنلاحظ أنّ البيتين الأوّلَ والثانيَ متنازَعان بين ثلاثة من الشّعراء : مسعود بن مصاد ، وعامر بن واثلة ، وعروة بن الورد ، وأنّ البيتين الثّالث والرّابع متنازعان بين مسعود بن مصاد وبين عروة بن الورد ؛ ولا أجد مرجّحاً في نسبة الشعر إلىٰ أحد هؤلاء الشعراء .

وأمّا المُخَضْرَمون وَشعراء صدر الإسلام فلا نجد في شعرهم شيئاً من الشّعر المضطربِ .

وأمّا الأُمَوِيُّون ففي أشعارهم من الضّرب الذي عُرِف صاحبه بالدليل اليقيني ثماني قِطَعٍ ، فالقطعة الأولىٰ هي أبياتٌ لميسون بنت بَحْدَل زوج معاوية بن أبي سفيان ، وتقع في اثني عشر بيتاً مطلعها :

لَبَيْـــتٌ تَخْفِـــقُ الأَرْواحُ فيـــهِ   أَحَــبُّ إِلَــيَّ مِــنْ قَصْــرٍ مُنِيْـفِ

إذْ وردتْ أبياتُ هذه القطعة في مصادر كثيرة ، فمنها تسعةٌ وعشرون مصدراً نسبتها لميسون ، ونسب ابنُ الشجريّ البَيْت السّادس لأَعْرَابيّة من نساء معاوية ، في حين تفرَّد ابنُ طَيْفور بنسبة ثلاثة أبيات لامرأة من وَلَدِ طُلْبَة بن قيس بن عاصم المِنْقَريّ من تميم كانت عند يزيد بن هُبَيْرَة المُحَاربيّ وكان واليَ اليمامةِ لعبد الملك بن مروان ، وتفرّد عبد الكريم النهشليّ بنسبة خمسة أبيات لهند بنت عتبة أمّ معاوية بن أبي سفيان ، وتفرّد نشوان الحميري في (شمس العلوم) بنسبة البيت السّادس لامرأة من كلب كانت عند يزيد بن معاوية[٢] .

فأمّا ما ذهب إليه الحميريّ فواضحٌ أنّه من قَبِيلِ الوهمِ وعدم التثبُّتِ ، لأنّ

---

(١) انظر تخريج القطعة (٢) من شعر مسعود بن مصاد .

(٢) انظر تخريج القطعة (٢) من شعر ميسون .

الأبيات تكادُ يُجْمَعُ علىٰ أنّها لميسون ، وهي أمّ يزيد بن معاوية ، فلمّا استشهد الحميريُّ بالبيت وَهِمَ أنّه لامرأة يزيد ، ولم يكن المهمّ عنده نسبة البيت بقدر ما يهمّه الاستشهاد بالبيت علىٰ شرح بعض الألفاظ ؛ وأمّا ما ذهب إليه النهشليّ من أنّ الأبيات لهند بنت عتبة فهو كذلك من قَبِيل الوهم وعدم التثبُّت ، ولعلّهُ وَجَدَ الأبياتَ في بعض المصادر منسوبة لامرأةِ معاوية بن أبي سفيان ، فتوهّم أنها لأمّ معاوية نتيجة تحريفٍ بين (لامرأة) و(لأم) ، أو نتيجة عدم تَثَبُّت ، وأراد أنْ يعرِّف اسمَ أمّ معاوية وهي هند بنت عتبة ، فأدّىٰ ذلك إلىٰ نسبة الأبيات لها ، ويؤكّد ذلك أنّ قائلة الأبيات لا شكّ في أنّها امرأة بدويّة تحنّ إلىٰ عيش البادية وتفضّله علىٰ عيش الحاضرة ، وقد كانت هند حَضَرِيّة من أهل مكّة ؛ وأمّا ما ذهب إليه ابن طيفور من نسبة بعض أبياتها لمرأة من ولد طُلْبَة بن قيس المنقري التميميّ فإنّه خالفَ فيه سائرَ المصادِر ، مع أنّ كتابَه أقدم المصادر التي نسبت الأبيات ، وتقدُّمه علىٰ غيره لا يجعلنا نذهب إلىٰ ما ذهب إليه لأنّ من المصادر الأخرىٰ ما نقل نسبتها إلىٰ ميسون عن بعضِ علماء كلبٍ السّابقين لابن طيفور ، نجد ذلك في الحماسة الشّجرية إذ نقل نِسْبَتَها لميسون عن الكلبيّ عن عَوَانة ، والكلبيُّ هو محمّد بن السّائب الكلبيّ المتوفىٰ سنة ست وأربعين ومئة للهجرة وكان عالِمَ الناسِ بالتفسيرِ والأخبار والأيّام والأنساب[1] ، وعوانةُ هو عَوانةُ بن الحَكَم الكلبيّ كان رَاوية للأخبار عالماً بالشّعر والنسب فصيحاً ، وكان ضريراً توفي سنة سبع وأربعين ومئة[2] ؛ ومن ثَمَّ يمكن القول إنّ ابن طيفور وَهِمَ في نسبة الأبيات للمِنْقَرِيَّة بسبب عدم التثبُّت ، أو أنّها تمثَّلَتْ بها تَمَثُّلاً لأنّها متأخّرة عن ميسون إذ كانت في عهد عبد الملك ، فنسبَها لها ظنّاً بأنّها هي صاحبتها .

والقطعة الثّانية مؤلّفة من أربعة أبيات مطلَعُها :

كُسِــعَ الشّتــاءُ بسبعــةٍ غُبْــرِ ... أيــامِ شَهْلَتِنَــا مِــنَ الشَّهْــرِ

---

(١) انظر الفهرست ١٨٨ .

(٢) الفهرست : ١٨١ـ١٨٢ .

إذ نُسبَتْ في (معجم الأدباء) لِخِرْقَةَ بن نُباتَة الكلبيّ ؛ في حين أنشدها المرزبانيُّ في (معجم الشّعراء) لأبي شِبْل عُصْمِ بن وَهب بن أبي إبراهيم التميميّ البُرْجُميّ ؛ ونسبها الجوهريُّ في (الصّحاح) لابن أحمر ، وأشارَ الصَّغاني في (التكملة) إلىٰ ما ذهب إليه الجوهريّ وقال : « ليست لابن أحمر ، وإنّما هي لأبي شِبْل عُصْمٍ البرجميّ » ، ونقل ابنُ منظور في (اللّسان) والزَّبيديّ في (التاج) ما ذهب إليه الجوهريُّ ، ثمّ نَقَلَا عن ابن بَرِّيّ أنّها « ليست لابن أحمر وإنّما هي لأبي شِبْل الأعرابيّ ، كذا ذكره ثعلب عن ابن الأعرابيّ » ، ونسبها ابنُ منظور في موضعين آخَرين من (اللّسان) لأبي شبل الأعرابيّ ، ونسب الزَّبيديُّ أحد أبياتها في موضعٍ آخر من (التّاج) لأبي شبل[1] .

فأمّا نسبتها إلىٰ ابنِ أحمرَ فقد لاحظنا أنّ ابنَ برّيّ والصّغانيّ جاءا بعبارةٍ جازمةٍ علىٰ أنّها ليست له ، وإنّما هي لأبي الشّبل ، والأبيات ليست في ديوانه المطبوع ، وأمّا ما جاء في معجم الأدباء فَهو وَهمٌ ، ذلك أنّ صاحبَ معجم الأدباء متأخّر عن المرزبانيِّ وابنِ برّيّ اللّذَيْن نسباها لأبي الشّبل ، ووافقهما معاصِرُه الصّغانيُّ ، ويضاف إلىٰ هذا أنّ الجزءَ الذي وردت فيه ترجمةُ خِرْقَة بن نباتة من معجم الأدباء هو جزءٌ مدسوسٌ كما وصَفَهُ الأستاذ الشيخ عبد العزيز الميمنيّ ، رحمه الله[2] ؛ ويؤكّد نسبة الأبيات لأبي الشّبل أنّها ليست من الشّعر الجَادّ ، وإنّما أرادَ صاحبُها أنْ يجمعَ أيّامَ العجوزِ بشعرٍ فيه ضربٌ من الهَزْلِ ، وهو ما يوافِقُ مذهبَ أبي الشّبل ، إذ أجمعَ مُتَرْجِمُوه علىٰ أنّه كان شاعراً ماجناً عابثاً كثير النّوادِر[3] .

والقطعة الثّالثة مطلعها :

يَـا عَـامـر بـن عُقَيْـلٍ كَيْـفَ يَكفُـرُكُـمْ كَعْـبٌ ومنهـا إِلَيْكُـمْ يَنْتَهـي الشَّـرَفُ

---

(١) انظر تخريج القطعة (٣) من شعر خِرْقة بن نباتة .

(٢) ديوان حميد بن ثور الهلالي : ٥ ، وذلكَ الجزء من معجم الأدباء هو الجزء الرابع من الطبعة التي اعتمدها الميمنيّ ، ويقابل الجزء (١١) من الطبعة التي اعتمدتُها .

(٣) انظر طبقات الشعراء ـ لابن المعتز : ٣٧٩ـ٣٨١ ، والأغاني ١٤ : ١٩٣ ، ومعجم الشّعراء : ١٢٣ ، وجاء اسمه في الأغاني (عاصم) في حين تُرجِمَ له في معجم الشّعراء تحت عنوان (من اسمه عُصْم) .

فقد نُسبَتْ في (معجم الأدباءِ) لِخِرْقَةَ بنِ نُبَاتَة الكلبيّ ، في حين نُسِبَتْ في (معجم البلدان) لبعض بني عُقَيْل[١] ، ولم أقف عليها في مصدر ثالث ، وهذا الاختلاف في نسبتها بين معجم الأدباء ومعجم البلدان يؤكّد ما سبق في الحديث عن القطعة السّابقة من أنّ الجُزْء الذي تُرْجِمَ فيه لخرقة بن نباتة مدسوسٌ علىٰ ياقوت ، لأنّه صاحِبُ الكتابين ؛ ونسبة هذه القطعة لخرقةَ غيرُ صحيحة ، لأنّ الشّاعرَ يذكُر بني عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، يمدحُهم ويفضّلُهم علىٰ بني أَبيهم كعبٍ ، وقد ذكر أصحابُ النسب أنّ العَدَدَ من بني كعبٍ في بني عامر بن عقيل[٢] ، وهؤلاء القوم من قبائل قيس عيلان ، وكان بينهم وبين كلب حروبٌ وفِتَنٌ منذ يوم مرج راهط ، فمن المُسْتَبْعَد جدّاً أن يمدَح بعضَ قيسٍ شاعرٌ كلبيّ أُمَوِيّ مثل خِرْقة ؛ ومن ثَمَّ أرىٰ الصَّوابَ ما جاء في معجم البلدان .

وقد بقيت خمسُ قطعٍ من هذا الضَّرب الذي عُرِف صاحبه يقيناً ، وأمرُها واضحٌ لا يحتاجُ إلىٰ مناقشة[٣] .

وفي أشعار الأُمَوِيِّين من الضّرب الّذي يمكن تَرْجيح نسبته أربع قطع ، الأولىٰ مؤلّفة من ثلاثة أبياتٍ مطلعها :

بَكِّــي عَلَــىٰ قَتْلَــىٰ القُبُــورِ فــإِنَّهُــمْ   طَــالَــتْ إِقــامَتُهُــمْ بِبَطْــنِ بَــرَامِ

فقد نسبها الخالديّان في حماستهما لجوّاس بن القعطل ؛ في حين أنشدها أبو تمّام في حماسته مع بيتٍ رابعٍ لبعض بني أسد ، وتابعه كلٌّ من المرزوقيّ والتبريزيّ في شرحهما علىٰ ديوان الحماسة ، وأنشد البكريُّ في (اللآلي) بيتين اثنين منها مع بيت

---

(١) انظر تخريج القطعة (٤) من شعر خرْقة .

(٢) انظر التعليق علىٰ هذه القطعة في الديوان .

(٣) انظر تخريج القطعة (٢٣) من شعر جوّاس بن القعطل ، والقطعة (٣) من شعر حسام بن ضرار ، والقطعة ١٢ من شعر حكيم بن عياش ، والقطعة (٢) من شعر الرباب بنت امرىء القيس ، والقطعة (٩) من شعر عمرو بن مخلاة .

ثالث غير الّذي أنشده أبو تمّام ، ونسب ذلك لبعض بني أسد أيضاً[١] .

ويُرَجَّح كونُها لبعض بني أسد لاتّفاق أبي تَمّام والبكريّ في نسبتها ولمتابَعَة المرزوقيّ والتبريزيّ أبا تمّام ، ويُضافُ إلى ذلكَ تقدُّم أبي تمّام علىٰ الخالديّين اللّذَيْن تفرّدا بنسبتها إلىٰ جوّاس ، وَأنّ رواية أبي تمّام وغيرِه للبيت الأوّل هكذا :

بكِّــي علــىٰ قتلــىٰ العَــدانِ فــإِنّهــم .... (البيـت)

والعَدانُ قومٌ من بني أَسَد[٢] .

والثّانية هي هذه الأبيات :

أَلاَ إِنَّ خَيْــرَ النَّــاسِ بَعْــدَ ثَــلاثــةٍ قَتِيـلُ التُّجِيبِـيِّ الّـذي جَـاءَ مِـنْ مِصْـرِ
وَمَـا لِـيَ لا أَبْكـي وَتَبْكـي قَـرَابَتـي وَقَـدْ غُيِّبَـتْ عَنَّـا فُضُـولُ أَبـي عَمْـرِو
إذا جِئْتَـهُ يَـوْمـاً تُـرَجِّـي نَـوَالَـهُ بَـدَتْ لَـكَ سِيمـاهُ بـأبيـضَ كـالبَـدْرِ

فقد أنشد البيتين الأوّلين أبو زيد عُمَر بن شِبّة في (تاريخ المدينة) ، والمسعوديُّ في (مروج الذّهب) ، والوشّاء في (الموشّىٰ) والبكريُّ في (فصل المقال) ، والبَلَويُّ في (ألف باء) ، وأنشد البلاذريّ البيتين الثانيَ والثالث في (أنساب الأشراف) ، وأنشد المصعبُ الزُّبَيْريُّ الثّانيَ في (نسب قريش) وكذلك ابنُ عبد ربّه في (العقد الفريد) ، ونسبَ هؤلاء جميعاً ما أنشدوه لنائلة بنت الفَرَافِصة الكَلْبيّة زَوْجِ عثمان رضي الله عنه في رثائه ؛ في حين أنشد أبو العبّاس المُبَرّد البيتين الأوّلين في (الكامل) للوليد بن عقبة أخي عثمان بن عفّان لأمّه ، وأنشد البيتَ الأوّلَ للوليد بن عقبة كلٌّ من ابنِ الكلبيِّ في (النسب الكبير) ، والبلاذريِّ في (أنساب الأشراف) ، والطبريّ وابن الأثير في تاريخيهما ضمن ثلاثة أبياتٍ يحرّض فيها الوليدُ أخاه عمارةَ للثأر من قتلة أخيه وأنشدا معها أبياتاً للفضل بن العبّاس اللَّهَبِيّ من وَلَدِ أبي لَهَب يَرُدّ علىٰ الوليد فيها ، والحاكم النيسابوريّ في (المُسْتَدْرَك علىٰ

(١) انظر تخريج القطعة ٢٢ من شعر جوّاس .
(٢) انظر التعليق علىٰ الأبيات في الديوان .

الصّحيحين) ، والتبريزيّ في (ديوان أبي تمّام) ، وابن عساكر في (تاريخ دمشق) مع بيتٍ آخر ، والقلقشندي في (نهاية الأرب) ؛ ثمّ نجد أَبا الفرج الأصفهانيّ ينشد البيتين الأَوَّلَيْن في (الأغاني) لنائلة بنت الفَرَافصة وينبّه علىٰ أنهما يُرْوَيان للوليد بن عقبة ، ونجد الحَسَن اليُوسيّ ينشد البيت الأوّل في (زهر الأكم) لنائلةَ وينبّه علىٰ أنّه يرویٰ للوليد بن عقبة ، ونجد أحمد بن فارس ينشد البيت الأوّل في (مجمل اللّغة) وينسبه للكميت ، وتابَعَهُ علىٰ ذلك الجوهريّ في (الصّحاح) ، فنقل ابنُ منظور في (اللّسان) ذلك عن الصّحاح ثمّ نقل عن ابن برّيّ أنّ ذلك غيرُ صحيح وأنّ الشّعرَ للوليد بن عقبة وبيّن سبب الوهم في نسبته للكميت ، ونقل عن بعضِ الحواشي أنّ الشّعرَ يُنْسَب لنائلةَ بنت الفَرافصة ، وفَعَلَ الزّبيديُّ في (التاج) فِعْلَ ابن منظور وزاد عليه أنَّ صاحبَ (المُجْمَل) هو أوَّلُ مَنْ وقع في الغَلَطِ في نسبة البيتِ إلىٰ الكُمَيْتِ ، ورجّحَ كونَ الأبياتِ لنائلةَ لأنَّه الأَشْبَهُ[1] .

وإذا تدبّرنا ما سبق لاحظنا أنّ نسبة البيت الأوّل للكميت إنما هي وَهْمٌ من ابن فارس في الأصل فتابَعَهُ عليه الجوهريُّ ، ونبّه العلماء علىٰ هذا الوهم ، وبيّنوا سبب ذلك ؛ ونلاحظ أنّ البلاذريّ أنشد البيت الأوّل للوليد بن عقبة ، وأنشد البيتَ الثّانيَ والثّالثَ لنائلةَ مع أنّه تفرّدَ بإنشادِ البيت الثالث ، بينما أنشد الطبريُّ وابنُ الأثير البيتَ الأوّل مع أبياتٍ أُخرىٰ للوليد بن عقبة وأنشد ردّ اللّهَبيّ عليه ، في حين أنّ سائر المصادر اختلفت في نسبة البيتين الأوّلين فمنها ما نسبهما لنائلة ، ومنها ما نسبهما للوليد ، ومنها ما نبّه علىٰ النسبتين معاً ؛ ويدلّنا تفريقُ البلاذريّ بين البيت الأوّل وبين البيتين الثّاني والثالث مع إنشاد الطبريّ وابن الأثير أبياتاً أُخرىٰ مع البيت الأوّل للوليد بن عقبة ـ يدلّنا ذلك علىٰ أنّ كُلاًّ من نائلة والوليد قال شعراً في رثاء عثمان علىٰ الوزن والروي نفسه فأدّىٰ ذلك إلىٰ الاضطراب في نسبة أبياتهما منذ القديم ، وأجِدُ فيما فَعَلَه البلاذريّ مُرَجِّحَاً لكونِ البيتين الثاني والثالث لنائلة وكون البيت الأوّل للوليد ؛ والله أعلم .

---

(١) انظر تخريج القطعة ٣ من شعر نائلة .

والقطعتان الثالثة والرابعة أمرُهُما أهوَنُ من السابقتين ، فلا حاجة إلىٰ مناقشتهما هنا[1] .

وفي أشعارهم ست قطع من الضّرب الذي وقع تنازُعٌ في نسبته دون أن نجد ما يرجِّح نسبتها إلىٰ شعراء كلب أو غيرهم ؛ فالقطعة الأولىٰ مؤلّفة من ثلاثة أبيات مطلعها :

أَرِقْتُ بِدَيْرِ الماطِرُونِ كأنّني ... لِساري النجومِ آخرَ اللّيلِ حارِسُ

إذْ أنشدها ابنُ عساكر في (تاريخه) لجوّاس بن قعطل الكلبيّ ، وأنشد الآمديّ في (المؤتلف والمختلف) بيتين منها لجوّاسٍ في ترجمته ونبّه علىٰ أنّهما مِنْ قصيدةٍ ؛ في حين أنشدها الأصفهانيُّ في (أدب الغرباء) فذكر أنّها « أبيات قديمةٌ تُروىٰ لأرطأة بن سُهَيَّةَ » ، ونقل ياقوت الحموي في (معجم البلدان) عبارته حرفاً حرفاً دون أن يذكر مصدرَه ، وأنشد صاحبُ (مجموعة المعاني) بيتاً منها فنسبه لأرطأة بن سُهَيّة[2] .

فنلاحظ أنّ الأبيات تُنْسَب لجوّاس وتنسب لأرطأة ، ولا نجد ما يُرَجِّح نسبتها إلىٰ أحدهما دون الآخر ، علىٰ الرّغْمَ مِنْ أن الأصفهانيّ أنشد في (الأغاني) تسعةَ أبياتٍ من الوزن والرويّ نفسه لأرطأة بن سُهَيَّة ، ذلك أنّ الآمديّ ذكر عندما أنشد البيتين ونسبهما لجوّاس أنّهما من قصيدةٍ له ، فهذا يدلّ علىٰ أنّه وقف عليهما في قصيدة كاملة لجوّاس ؛ فيبقىٰ البيتانِ مُتَنازَعَيْنِ بين الشّاعرين ، لِتساوي الأدلّة .

والقطعة الثّانية مؤلّفة من بيتين هما :

ما سَرَّني أَنَّ أُمِّي مِنْ بَني أَسَدٍ ... وَأَنَّ رَبِّيَ نجّاني مِنَ النّارِ
وأَنّهم زَوَّجوني مِنْ بَناتِهِمُ ... وأنَّ لي كلَّ يومٍ ألفَ دينارِ

فقد أنشدهما الأصفهانيّ في (الأغاني) لحكيم بن عيّاش الكلبي بسَندهِ إلىٰ

---

(١) انظر تخريج شعر المثلم الكلبي ، وتخريج القطعة (٢) من أشعار مجاهيل الأسماء والعصور .

(٢) انظر تخريج القطعة (١٠) من شعر جوّاس .

محمّد بن سَهْلٍ راويةِ الكُمَيْت بن زيد في خبر المهاجاة بينهما ، ونُسِبا لحكيم أيضاً في مهاجاته للكميت في (تاريخ دمشق) و(معجم الأدباء) و(خزانة الأدب) ، كما أنّ المرزبانيّ أنشدهما ونسبهما لـ« يعيش الكلبيّ » ؛ في حين نسبهما ابنُ قتيبة في (الشّعر والشّعراء) و(عيون الأخبار) والأصفهانيُّ في موضعٍ آخر من (الأغاني) دونَ سَنَدٍ ، والخضر الموصليّ في (الإسعاف) للمساور بن هند العبسيّ في مهاجاته للمَرَّار بن سعيد الفَقْعَسيّ الأسديّ[١] .

فنلاحظ أنّ كتابي ابن قتيبة أقدم المصادر وقد نسباهما للمساور ، غير أنّ صاحب الأغاني ذكر بسندٍ له إلىٰ راويةِ الكميت ـ وهو أقدم من ابن قتيبة ـ أنّهما لحكيم بن عيّاش ، ثمّ عَادَ في موضع آخر فنسبهما للمُساور دون سَنَدٍ ، ولعلّ له سنداً قويّاً ؛ ولذلك يصعب التّرجيح في نسبتهما ، ولا سيّما أنّ كلا الشّاعرين كانت بينه وبين بعض شعراء أسد مهاجاة .

والقِطَعُ الأربع الباقية تتساوىٰ الأدلّةُ فيها بوضوح ، فلا داعيَ لمناقشتها[٢] .

وهذا آخر الحديث عن الاضطراب في أشعار بني كلب بين شعراء كلب أنفسهم ، وبينهم وبين شعراء القبائل الأخرىٰ ، ولو أنّنا رَجَعْنا البَصَرَ في هذه الأشعار المضطربةِ النسبة لعلمنا أنّ أسباباً عدّة أدّتْ إليه ، من تشابُه أسماء الشّعراء ، والقرابة بين بعضهم ، أو تشابه موضوعات قصائدهم ، وتشابُه القصائد من حيث الوزن والقافية ، أو الوهم وعَدَم التثبُّت ؛ وهي أسبابٌ يرجع إليها الاضطرابُ في أشعار العرب عامة وليس في أشعار كلب وحدَهم[٣] .

ويحسن التنبيه هنا علىٰ أنني خصصتُ في الديوان قسماً لتراجم الشّعراء الذين

---

(١) انظر تخريج القطعة ٧ من شعر حكيم .

(٢) انظر تخريج القطعة (١) من شعر الأخيف بن مليك ، والقطعة (٢) من شعر امرىء القيس بن الحُمام ، وشعر خليفة بن بشر ، والقطعة (٢) من شعر القطاميّ الكلبيّ .

(٣) انظر ديوان أميّة بن أبي الصلت : ١٧٥ ، والعجاج ، حياته ورجزه : ١٥٦ .

نُسِبوا إلىٰ كلب وليسوا منهم[١] ، فاستغنَيْتُ بذلك عن الكلام علىٰ الاضطراب في نسبة أشعارهم إلىٰ بني كلب ، لأنّ أصلَ الاضطراب واقعٌ في أسماء أولئك الشّعراء ، ونسبةُ شعرهم إلىٰ كلب فرعٌ عن ذلك الأصل .

وهكذا تكون دراسة الاضطراب قد ساعدت علىٰ معرفة ضَرْبٍ من الشّعر المضطرب النسبة رأينا أنّ بعضَه لهم وبعضه لغيرهم بالدليل اليقين ، وأوقفتنا علىٰ ضربٍ آخر رأينا أنّه يمكن ترجيح نسبة بعضه لهم وترجيح نسبة بعضه الآخر لغيرهم بأدلّة لا تسمو إلىٰ درجة اليقين ، وأَبْقَتْ ضرباً ثالثاً مُتَنازعَ النسبة لافتقاره إلىٰ ما يرجّح نسبته ؛ ولكن وقفتنا هذه عند الاضطراب تحتاج إلىٰ وقفةٍ أُخْرىٰ عند موضوع النّحْلِ في أشعار القوم ليتمّ بذلك الحديث عن توثيق أشعارهم .

٢ـ النَّحْلُ في شِعْرِهِمْ :

رأينا من قبلُ أنّ الأصمعيّ ذكر أنّه لم يجد قبيلةً أقلَّ شعراً من بني كلبٍ[٢] ، وقد بَيّنَ محمّد بن سلاّم أنّ قلةَ أشعار بعض القبائل كانت من أهمّ أسباب نَحْلِ الشّعر ، فقال : « فلما راجَعَتِ العَرَبُ روايةَ الشعر وذِكْرَ أيّامها ومآثِرِها ، استقلَّ بعضُ العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب من ذكر وقائعهم ، وكانَ قومٌ قلَّتْ وقائعُهم وأشعارُهم ، فأرادُوا أن يلحقوا بمَنْ له الوقائع والأشعار ، فقالوا علىٰ ألسنة شعرائهم ؛ ثمّ كان الرّواةُ بَعْدُ ، فزادوا في الأشعار التي قيلت »[٣] ، ومع هذا لم أجِدْ أحداً لم يشكّك في شيء مما وصلّ إلينا من أشعار بني كلب ، ولا نصّ علىٰ نَحْلِ شيءٍ منه لا من علماء القرون الأولىٰ ورُواتها ، ولا من علماء القرون المتأخّرة إلاّ موضعاً واحداً نصّ السّيوطي والخضر الموصليّ من المتأخّرين علىٰ أنّه منحول .

وعلىٰ الرَّغم من ذلك هنالكَ خمسة مواضِع أُخرىٰ سوىٰ ما نصَّ عليه السّيوطي

---

(١) انظر الديوان ، ص : ٨٢٣ ـ ٨٣١ .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٢٤ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٤٦ .

والخضر الموصليّ تَسْتَوْقِفُنا لا لنقطعَ يقيناً بأنّها منحولة ، بل للإشارةِ إلىٰ بعض الأمور التي تجعلُها موضِعَ اتِّهامٍ فحَسْب ، وإلىٰ الأمور التي يمكن أن يُحْتَجَّ بها للرَّدّ علىٰ اتّهامها .

فأمّا الموضعُ الّذي نصَّ السّيوطي والخَضِر الموصليّ علىٰ أنّه منحولٌ ففي قصيدةِ ميسون بنت بَحْدَل الّتي مَطْلَعُها :

لَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأرواحُ فيهِ أحبُّ إليَّ من قَصْرٍ مُنيفِ

إذْ أنشد السّيوطيُّ خمسة أبيات منها وعلّق عليها ، ثمّ قال : « وزادَ الدَّميريُّ في الأبيات :

وَأَصْواتُ الرِّياحِ بِكُلِّ فَجٍّ أحبُّ إليَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفُوفِ
وَأَكْلُ كُسَيْرةٍ في كِسْرِ بَيْتي أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَكْلِ الرَّغيفِ

وزادَ بعضُهم في الأبيات قولها :

خُشُونَةُ عِيشَتي في البَدْوِ أَحْلىٰ إلىٰ نَفْسي مِنَ العَيْشِ الظَّريفِ
فَمَا أَبْغي سِوَىٰ وَطَني بَديلاً وَحَسْبي ذاكَ مِنْ وَطَنٍ شَريفِ »(١)

وأنشد الخضر ستَّةَ أبيات ، ثمّ قال : « وبعضهم زاد في الأبيات المذكورة :

وَأَغْبَرُ مِنْ بني عَمِّي وَأَهْلي أَحَبُّ إليَّ مِنْ وَلَدِ الشَّريفِ
وَأَصْوَاتُ الرِّياحِ بِكُلِّ فَجٍّ أَحَبُّ إليَّ مِنْ نَقْرِ الدُّفُوفِ
وَأَكْلُ كُسَيْرَةٍ في كِسْرِ بَيْتي أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَكْلِ الرَّغيفِ
خُشُونَةُ عِيشَتي في البَدْوِ أَشْهَىٰ إِلَىٰ نَفْسي مِنَ العَيْشِ الظَّرِيْفِ
فَما أَبْغي سِوىٰ وَطَني بَدِيلاً فَحَسْبي ذَاكَ مِنْ وَطَنٍ شَرِيفِ »(٢)

وليسَ المقصودُ بقول السّيوطي : (وزادَ الدّميريُّ)، أنّ الدّميريَّ هو الذي نحلَ

---

(١) شرح شواهد المغني ٢ : ٦٥٣ .
(٢) الإسعاف ٦٧/ أ.

الأبيات ، بل المقصود أنّ هذه الأبيات الزّيادة لم يجدها عندَ غيره ، ويدلّ علىٰ ذلك أنّ ذلكما البَيْتَيْنِ الَّذَيْنِ ذكر أنّ الدّميريّ زادهما وَرَدا في مصادر متقدّمة علىٰ الدّميريّ الذي توفي سنة (٨٠٨ هـ) فقد ورد البيت الأوّل في حماسة الخالديّين (تُوُفِّيَ أَحَدُهما سنة ٣٨٠هـ والآخر نحو سنة ٣٩٠) ؛ ووَرَد البيتان معاً في درّة الغَوّاص للحريريّ المُتَوفَّىٰ سنة (٥١٦ هـ) ؛ وهذا يعني أنّ هذين البيتين نُحِلا في زمنٍ متقدّم ، أو أنّ أوّلهما نُحِلَ في زمنٍ مُتَقَدِّم علىٰ الأقلّ ، لوروده في حماسة الخالديَّيْنِ . ويظهر أنَّ البيتين الأَخِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ قال فيهما السّيوطيُّ : « وزاد بعضُهم في الأبيات قولَها : (البيتين) » وقد نُحِلا في حدودِ القرنِ السّابع إذ وجدنا أنَّ أقدم رِواية لَهُما جاءَت في كتاب (غُرَر الخصائص الواضحة) للوَطواطِ المُتَوفَّىٰ سنة (٧١٨هـ) . وهذه الأبيات الأربعة هي الأربعة الأخيرة من الأبيات الخمسة التي نصّ الخضر الموصلي علىٰ أنّها منحولة ، في حين أنّ الخضر هو المصدر الوحيد الذي أوردَ البيتَ الأوّل ، وقد نصَّ علىٰ أنّه منحول . فهذا هو الموضع الوحيد الذي وجدت للعلماء فيه نصّاً .

وأمّا المواضع الخمسة التي يمكن أن يُثارَ حولها الشّكُّ فأوّلُ موضِعٍ ما نُسِبَ إلىٰ زهير بن جَنَاب أنّه قال حين مَضَتْ له مئتا سنة من عُمُرِه :

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّىٰ ما أُبالي ... أَحَتْفي في صباحي أَمْ مَسائي
وَحُقَّ لِمَنْ أَتَتْ مِئَتانِ عاماً ... عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ الثَّواءِ
شَهِدْتُ المِحْضَأَيْنِ عَلَىٰ خَزازٍ ... وبالسُّلَّانِ جَمْعاً ذا زُهَاءِ
وَنَادَمْتُ المُلوكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو ... وَبَعْدَهُمُ بَنِي ماءِ السَّماءِ

وقد وردت الأبيات في مصادر القرنَيْن الثالث والرّابع وما بعدهما[١] ، والداعي إلىٰ اتّهام الأبيات البيت الثّاني الذي ذكر فيه أنّه بَلَغ من العمر مئَتَيْ عام ، وهو مقدارٌ مُستَبْعدٌ جدّاً أن يبلغه أحدٌ في العصر الجاهليّ[٢] ، وقد بَيَّنتُ في ترجمته أنّ عُمُرَه بلغ

---

(١) انظر تخريج القطعة (١) من شعر زهير بن جناب .

(٢) إنّ اختلاف طول عمر الإنسان بين العصور الإنسانية السَّحيقة في القِدَم وبين العصور الإنسانية المتأخّرة=

نحواً من مئة وخمسين أو يزيد قليلاً ، ومن ثَمَّ قد يُقال إنّ الّذين تحدَّثوا عن طُولِ عُمرِ زهير وضعوا هذه الأبيات تَصْديقاً لما ذهبوا إليه من المُبَالغة في طول عمره ، وهذا القولُ غيرُ مُسْتَبْعَدٍ ، ولكنّه غيرُ يَقينيّ ، ويمكن أن يُرَدَّ عليه بأنّ زهيراً عندما طال عُمُره وأراد أنْ يعبّر عن ذلكَ ذكر أنّه أتت له مئتا عامٍ وهو لا يريدُ العَدَدَ نَفْسَه حَصْراً ، وإنّما ضَرَبَهُ مَثَلاً لكثرة السّنين التي بلغها ، مثلما تَضَعُ العرب السبعين والسبع مئة مثلاً للكثرة[1] .

ويمكن أن يُقالَ في الموضع الثّاني مثل ما قيل في هذا الموضع ، وهو هذه الأبيات التي نُسِبَتْ لزهير بن جَنَاب أيضاً وللمستوغر بن ربيعة ورجّحنا كونها للمستوغر[2] :

ولقد سَئِمْتُ من الحياةِ وطُولِهَا   وَعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السِّنينَ مِئينَا
مِئَةٌ حَدَتْها بعدَها مِئتانِ لي   وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهورِ سِنِينَا
هَلْ ما بَقي إلاّ كَمَا قَدْ فاتَنَا   يَوْمٌ يَمُرُّ ولَيْلَةٌ تَحْدُونَا

والموضع الثّالث هو ما جاءَ في خَبَرِ مُرَيْنٍ الكلبيّ الذي أورده المفضّل بن سَلَمة من علماء القرن الثّالث (توفي سنة ٢٩١هـ) في كتابه (الفاخر) وأورده غيرُه من علماء القرون التّالية ، فذكر أنّ مُرَيناً كان أوّلَ مَنْ قال المَثَل (الحُمَّىٰ أَضْرَعَتْني لَكَ) ويُروىٰ (أضرعتني للنّوم) وكان لصّاً مُغيراً يُقال له الذّئب ، فخرج أخوه مُرارة يتصيَّدُ في جبلٍ لهم يقال له أُبْلِيّ فاخْتَطَفَتْهُ الجنُّ ، فانطلق أخوه مُرَّة في أثره فاختطفته الجنُّ أيضاً ؛ وكان مُرَيْنٌ غائباً ، فلمّا قَدِم وعَلِم خبرَهما أَقْسَمَ أَلاَّ يشربَ خَمْراً ولا يمسّ

= ومنها العصر الجاهليّ ممّا لا يُنْكَر، ولا سيّما أنّ الكشوف تبيّن أنّ الإنسان القديم كان أضخمُ جُثّةً، وآخر ما ذُكِرَ اكتشافُ مقبرةٍ جماعيّة في قرية (بئر فضل) شماليَّ شرقِ عَدَن عَقِبَ سيولٍ حدثت في شهر ذي الحجّة ١٤١٤هـ/ حزيران ١٩٩٣ وتضمّ المقبرة ثمانية هياكل عظميّة بشريّة عملاقة، يزيد حجم الواحد منها مَرَّة ونصفاً علىٰ حجم الإنسان منّا، وتَعُود إلىٰ آلاف السّنين، ولمّا يُحَدَّدْ عُمُر المقبرةِ؛ مجلة الفيصل / العدد ١٩٩/ زاوية (الحركة الثقافية)، ص١٣٥ .

(١) انظر اللّسان (سبع).

(٢) انظر ما سبق، ص: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

رأسَه غِسْلٌ حتّى يَطْلُب بهما ، وأَخَذَ سلاحَه وانطلق إلىٰ الجبل ، فمكث سبعةَ أيّام لا يرىٰ شيئاً ، ثمّ رأىٰ في الثّامن ذَكَرَ نَعَامٍ فرماه فأصابه ، فنهض وسارَ حتّىٰ وقعَ بأسفل الجبل ، فلمّا غابت الشّمس رأىٰ شَخْصاً علىٰ صخرةٍ يُنادي :

يا أيُّها الرَّامي الظَّليمِ الأسوَدِ تَبَّتْ مَرَامِيكَ الّتي لَمْ تَرْشُدِ

فأجابه مُرَيْنٌ بأبيات مَطْلَعُها :

يَا أَيُّها الهَاتِفُ فَوْقَ الصَّخْرَةِ

فتوارىٰ الجِنّيُّ ، ثُمَّ إنَّ حُمّىٰ أَصَابَتْ مُرَيْناً فَغَلَبَتْهُ عَيْناهُ ، فأتاهُ الجِنّيُّ فاحْتَمَلَهُ وقال له : ما أنامَكَ وقد كُنْتَ حَذِراً ، فقال : الحُمّىٰ أَضْرَعَتْني للنَّوْم ، فذهبت مَثَلاً ، وأتىٰ بهِ حاضِرَ الجنِّ ، ثم إنّه خَلَّىٰ سبيلَ مُرَينٍ ، فقال أبياتاً مطلعُها :

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ فِتْيانَ قَوْمي بِما لاقَيْتُ بَعْدَهُمُ جَمِيعا[1]

فهٰذا الخبر فيه أمورٌ مُنْكَرةٌ ، كالزَّعْمِ أَنَّ الجنَّ اختطفت مُرَّةَ ومُرارةَ ، وأنَّ جِنّيّاً تمثّلَ له بصورةِ ذَكَرِ نعامٍ فقتله ، وأنّ جنّيّاً آخر خاطَبَهُ بأبياتٍ من الرَّجَزِ فردَّ عليه ، وأَنَّ الجنّيَّ حَمَلَهُ حين غَلَبَتْهُ عَيْنُه ثمَّ أطلَقَهُ ؛ فهذه الأمور ربّما دَعَتِ المُتَعَجِّلَ إلىٰ تكذيبِ الخَبَرِ كُلِّه وإلىٰ القول إنَّهُ لا أصلَ له وإنَّهُ من صُنْعِ القُصَّاصِ وأَصحابِ السَّمَر ، ثُمَّ إلىٰ القول إنَّ هذا الشّاعر لا أصل لِوُجُوده إلاّ في أَذْهانِ أولئك الذين اخْتَلَقُوا خَبَره ؛ ولكنّ التَّرَوّيَ في أمرِ هذا الخبر يجعلُنا نقولُ قولاً آخر ينفي عن رُواةِ الخَبَرِ تُهمةَ الوَضْعِ والاختلاق ، وذلك أنّنا نرىٰ أنَّ مصدَرَ هذا الاختلاق قديمٌ منذُ الجاهليّة ، فمنه ما يرجع إلىٰ توهُّم الأَعْرابِ وتصوُّرِهم أنّ معشرَ الجنِّ يَتَمَثَّلُونَ لهم علىٰ صُوَرٍ شتّىٰ وأنّهم يَخْتَطِفُون البشر ، ومنه ما يرجعُ إلىٰ الشّاعِر نفسه ؛ فأمّا ما يرجع إلىٰ توهّم الأعراب فَزَعْمُهم أنّ الجنّ اختطفت مرّةَ ومُرارة[2] ، والّذي

(١) انظر ترجمة مُرَيْن، وشعره في الديوان.

(٢) انظر ما أورده الجاحظ في الحيوان ٦ : ٢٤٨ـ٢٥١، والرافعيّ في تاريخ آداب العرب ١ : ٣٦١ـ٣٦٣ حول تفسير سبب توهُّم الأعراب أنّهم كانوا يَرَوْنَ الجنَّ، وما يلحق به من مرافقتها أو قتلها أو الزواج بها أو قولها الشّعر.

لا يُنْكَرُ أَنْ يَختفيَ الرَّجُلانِ فلا يظهر لهما أثر لسَبَبٍ ما ، كأن تكون السِّباعُ أَكَلَتْهُما ، أو غير ذلك ، فظنَّ قومُهما أنّ الجنّ اختطفَتْهُما ، ولمّا عاد أخوهما عَلِمَ بالأمرِ فذهب يطلبُ بهما ؛ وأما ما يرجِعُ إلىٰ الشّاعر نفسِه فهُوَ سائر القصّة ، ولا سيَّما أنَّه كان لصّاً مُغيراً ، واللّصوصيّة تَمُتُّ بِسَبَبٍ متينٍ إلىٰ الكَذِب والتَّشْنيع والتهويل ، والذي يبدو لي أنّه عندما ذهب إلىٰ الجَبَل يَطْلُبُ بهما وفي تصوُّرِه أنّ الجنَّ اختطفتهما حقّاً خَشِيَ علىٰ نفسِهِ أن يَقْتَحِمَ الجَبَلَ فيصيبَهُ ما أَصابَهما ، فانتظَرَ سبعةَ أيّامٍ فظهَرَ لَهُ ذَكَرُ نعامٍ فَرَماهُ وهو يَظُنّ أنّه جِنّيّ تمثّل بهذه الصّورة ، فازداد خَوْفُه وخشيَ علىٰ نفسه أنْ تأتِيَهُ الجنُّ وهو في موضعه خارِجَ الجَبَلِ ، وازداد بذلك يَقيناً ـ في تَوَهُّمِهِ ـ أنّ أَخَوَيْهِ اختطفتهما الجنّ حَقّاً ويَئِسَ منهما ، فاختلق سائرَ القصّة لئَلاَّ يَتَّهِمَهُ قومُهُ بالجُبْنِ ولئَلاَّ يُعَيِّروهُ اختطافَ أَخَوَيهِ دون أنْ يطلُبَ بهما ؛ فعاد إلىٰ قومه وقصَّ عليهم ما اخْتَلَقَهُ فصدَّقوه لِمَا رَسَخَ في أذهانهم حَوْلَ الجنّ وأخبارهم حتى صار كأنّه حقيقة ، وسار خَبَرُه في العَرَب ، فصار قولُه للجِنِّيِّ بحسب ما زعم : (الحمّىٰ أضرعتني للنَّوْمِ) مثلاً ؛ وقد تَمَثَّلَ به عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِب لِعُمَرَ بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ في خَبرٍ لهما في خلافة عمر[1] ، وهذا يؤكّد أنّ خَبَرَهُ كان مُتَداوَلاً بَيْنَ العرب قبلَ الإسلام ، فلما وَصَل إلىٰ الرُّواة نقلوه كما وصل إليهم ؛ ومِنْ ثَمَّ نذهب إلىٰ توثيق أبياتِ مُرَيْنٍ ، بل إن الأبيات التي نَسَبها للجنّ إنّما هي مِنْ صِنْعهِ هو ، فهي له أيضاً .

والموضع الرّابع الذي قد يُثار حَوْلَهُ الشَّكُّ هُوَ أبياتُ دِحْيَة بن خليفة الكَلْبيّ التي قالها في خبر قدومِهِ علىٰ قيصرِ الرّوم بكتاب رسول الله ﷺ ، وهي هذه :

أَلا هَـلْ أَتَـاهـا عَلَـىٰ نَـأْيِهَـا ... بِـأَنِّـي قَـدِمْـتُ عَلـىٰ قَيْصَـرِ
فَقَـرَّرْتُـهُ بِصَـلاةِ المَسِيـحِ ... وكـانَـتْ مِـنَ الجَـوْهَـرِ الأَحْمَـرِ
وَتَـدْبيـرِ رَبِّـكَ أَمْـرَ السَّمـاءِ ... وَالأَرْضِ فـأَغْضـىٰ ولـم يُنْكِـرِ
وقُلْـتُ تُقِـرُّ بِبُشْـرىٰ المسيـحِ ... فقالَ : سأنظُرُ ، قُلْتُ : انْظُرِ

(١) انظر الشعر والشعراء : ٣٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٩٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٢٦ .

فكَـادَ يُقِـرُّ بـأَمْـرِ الـرَّسـولِ   فَمَـالَ إِلـىٰ البَـدَلِ الأَعْـوَرِ
فَشَـكَّ وَجَـاشَـتْ لَـهُ نَفْسُـهُ   وَجَاشَـتْ نُفُـوسُ بنـي الأَصْفَـرِ
عَلـىٰ وضْعِـهِ بِيَـدَيْـهِ الكِتَـابَ   عَلَـىٰ الـرَّأْسِ والعَيْـنِ والمِنْخَـرِ
فَـأَصْبَـحَ قَيْصَـرُ مِـنْ أَمْـرِهِ   بِمَنْـزِلَـةِ الفَـرَسِ الأَشْقَـرِ

فثمّة أمورٌ قد تدعو إن تعجَّلْنَا الحُكْمَ عليها إلىٰ القولِ إنَّها منحولَةٌ علىٰ دِحية ؛ فمِنْ تلك الأمور أنَّ أقدمَ المصادر التي أوردت الأبيات ـ وهو (الروض الأنف) للسّهيلي ـ يَرْجِع إلىٰ القرن السّادس الهجريّ ، ولم يرد شيءٌ منها في المصادر القديمة ، ومنها الضعفُ العامُّ في الأبيات ، حتى كأنّها مجرَّدُ نَظْم لِمَا كان مِنْ خبره ، ومنها قولُهُ في البيت الخامس : (فمالَ إلىٰ البَدَلِ الأعورِ) إذ ذكَرَ المَيْدانيَّ أنَّ قولَهم (بَدَلٌ أعور) أصلُه « أنَّ يزيدَ بن المهلَّب لَمَّا صُرِفَ عن خُراسانَ بقُتَيْبَةَ بن مسلم الباهليّ ـ وكان شحيحاً أَعْورَ ـ قال النّاسُ : هذا بَدَلٌ أَعْوَرُ ؛ فصار مثلاً لكلِّ ما لا يُرْضَىٰ بدلاً من الذاهب »[1] ، في حين ذكر ابنُ حزم أنَّ سليمان بن داود بن مروان بن الحكم « خَلَفَ علىٰ فاطمةَ بنت عبد الملك بن مروان بعدَ عُمَر بن عبد العزيز ، وكان أعْوَرَ ، ففيه قيل : (خَلَفٌ أَعْوَر) »[2] وأيّاً كان الأمرُ فالخبران كانا في المدّة الأخيرة من عصر بني أميّة في حين كانت وَفاةُ دِحْيَةَ نحوَ سنة خمسين للهجرة في خلافة مُعاوية .

فهذه أمورٌ ثلاثةٌ تكفي المُتَعَجِّلَ لِلشَّكِّ في الأبيات وَلاتّهامها بأنّها من تلك الأشعار التي كانت تُعْمَلُ لرواة الأخبار والتاريخ فيضعونها في كتبهم إلىٰ جانب الأشعار الصّحيحة لتكونَ زينةً بين ما يُورِدونه من أخبار ، كالأشعار التي كانت تُصْنَع لمحمّد بن إسحاق ؛ ولكنّ التّروّيَ في النّظر إلىٰ هذه الأمور ، يجعل الشّكَّ فيها ضَرْباً من التَّعَسُّف ، لأنّنا نجد ما يَدْفع هذا الشّكّ ؛ فأمّا كونُ (الرَّوْضِ الأُنُفِ) أقدم المصادر التي وجدنا الأبيات فيها وهو لا يرتقي إلاّ إلىٰ القرن السادس ، فليس بكافٍ

(١) مجمع الأمثال١ : ٩٠ .
(٢) جمهرة أنساب العرب : ٨٨ .

لاتّهامها ، لأنّ كثيراً من كتب التّراث لم يصل إلينا من جهةٍ ، ولأنّ كثيراً ممّا وصل إلينا لم يَزَل مخطوطاً من جهة أخرىٰ ، ولأنّ كثيراً ممّا طُبِعَ لم نقف عليه ، فلا ريب أنّ السُّهيليَّ وَجَدَ هذه الأبيات في بعض مصادره القديمة فنقلها عنه ؛ وأمّا ضعفُ نسْج الأبيات حتى كأنّها نَظْمٌ مَحْضٌ لخبرِ دِحْية ، فيمكن الرّد عليه بما وصلَ إليه الباحثون في العصر الحديث حول قضية الإسلام والشّعر ، وذلك « أنّ الإسلامَ قد يَسَّرَ سُبُلَ القول أمامَ الشُّعراء . . . ، وأمدّ الإسلامُ الشعراءَ بطائفةٍ من المَوْضوعات الجديدة ففتح أمامَهم أبواباً للقول لا عهد لهم بها . . . »[1] ويضاف إلىٰ ذلك « أنّ الناس قد استسهلت قولَ الشّعر ، فكَثُرَ عَدَدُ الشّعراء كثرةً مُفْرِطةً حتى بلغ ثلاث مئة شاعرٍ من الصّحابة وحدَهم . . . »[2] مع التّنبيهِ فوق ذلك علىٰ أنَّ كثيراً من هؤلاء الصّحابة « لم يكونوا شعراء بالمعنى الدقيق للكلمة ، بل كانوا جماعةً من المؤمنين مَلأَ الإسلام قلوبَهم فقالوا في تمجيده أبياتاً أو مُقَطَّعاتٍ قَصيرة ، هي ـ في أغلب الأحيان ـ قليلة الحَظّ من الجَمال »[3] ومع التنبيه أيضاً علىٰ أنّ الشعراء الكبار ظَلّوا يقولونَ الشِّعرَ الجميل ، فلم يَكُنْ دِحْيةُ الكلبيّ إلاّ واحداً من أولئك الصّحابة الذين حَرّكتهم بعض المواقف فقالوا شعراً مع أنّهم لم يكونوا مهتمّين بقول الشّعر أصلاً ؛ وأمّا ما ذهب إليه المَيْدَانيُّ وابنُ حَزْم من أنّ عبارة (بدل أعور) أو (خَلَف أعور) قيلت في قتيبة بن مسلم أو سليمان بن داود بن مروان فإنّ بين أيدينا ما يدلّ علىٰ خلافِ ذلك وعلىٰ أنّ المَثَلَ قديمٌ ، فقد قال ابن منظور : « وقولُهم (بَدَلٌ أعور) مَثَلٌ يُضْرَبُ للمذموم يخلُفُ بعد المحمود ؛ وفي حديث أمّ زرع : (فاستَبْدَلْتُ بَعْدَهُ ، وكلُّ بَدَلٍ أَعْوَر) وهو من ذلك »[4] وحديثُ أمّ زرع حديثٌ قديمٌ ، لأنّ السّيّدة عائشة حدّثَتْ ابنَ أختها عروةَ بنَ الزُّبير بِهِ توضيحاً لقولِ النَّبيّ عليه السّلام لها : « كنتُ لكِ كأبي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ إلاّ أنّه طلّقها وإنّي

---

(١) قصيدة المدح : ١٩٩ .
(٢) قصيدة المدح : ١٩٩ .
(٣) قصيدة المدح : ٢٠٠ .
(٤) اللسان (عور)، ومثله في التاج (عور)؛ وانظر النهاية في غريب الحديث ٣ : ٣١٩ .

لا أُطَلِّقُكِ »[١] ، فهو ممّا كانت تتحدّثُ به العرب قبل الإسلام ؛ ويؤكِّد هذا ورود المَثَلِ في شعرٍ لأبي ذُؤَيب الهُذَليّ الشّاعر المخضرم ، يقول فيه[٢] :

فأصبحتُ أَمْشي في ديارٍ كأنَّها   خِلافَ ديارِ الكاهليَّةِ عُورُ

فقال السّكّريّ في شرحه : « يُقال : (خَلَف أعور) و(خلافٌ) بَعْدُ ؛ يقول : هذه الدّيار خَلَفٌ أعورُ من أولئك ، و(عُورٌ) للجمع . . . [قال] الأصمعيّ : (خَلَفٌ أعور) إذا كان فاسداً ، و(نَسْلٌ أعور) إذا كان فاسداً » ؛ ومِنْ ثَمَّ كانَ قولُ الناس في قُتَيْبة بن مسلم (بدل أعور) ، وقولهم في سليمان بن داود بن مروان : (خَلَفٌ أعور) إنّما هُوَ مَثَلٌ قديم وعبارة يعرفها العرب قبل الإسلام ، فقالوا ذلك فيهما ؛ بَلْهَ ما ذَهَبَ إليه الحَسَنُ اليوسيُّ مِنْ أنّ شِعْرَ دِحْيَة دليلٌ علىٰ قِدَم المَثَل وأنَّه قِيلَ قَبْلَ زمانِ قُتَيْبة بن مسلم[٣] . وبذلك كلّه تزول أسباب اتّهام هذه الأبيات .

والموضع الخامس نجده في قول عبد المالك بن النُّعمان وهو شاعر جاهليّ :

يا رَبِّ أَنْتَ علىٰ الأنام مُسَلَّطٌ   لَوْ شِئْتَ أضحَوْا هامِدينَ خُمُودَا
والسَّبْعُ رَبِّي لَوْ تَشَاءُ طَوَيْتَها   طَيَّ التِّجارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا

فنلاحظ أنّ هناك تشابهاً في فكرة طيِّ السّماء بين البيت الثاني وبين قوله تَعالىٰ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[٤] ، وهذا قد يدعو إلىٰ القول إنّها مِنْ نَحْلِ رَجُلٍ إسلاميٍّ مُتَأثِّرٍ بالقرآن الكريم ؛ ويُرَدُّ علىٰ هذا الشّكِّ بأنّ « مجرَّدَ التشابُهِ في كلمةٍ أو عبارةٍ أو معنىً

---

(١) ورد حديث أمّ زرع في صحيح البخاريّ ٥ : ١٩٨٨ـ١٩٩١ ، برقم ٤٨٩٣ وصحيح مسلم ٤ : ١٨٩٦ـ١٩٠٢ برقم ٢٤٤٨ ، ولم ترد فيهما عبارة (فاستبدلت بعده ، وكل بدل أعور) ولكنّ ابنَ حَجَر خَرَّج الحديث عن عدد كبير من العلماء ، وشَرَحه في فتح الباري ٩ : ٢٥٤ـ٢٧٨ ، وبيّنَ أنّ العبارة وردت في رواية النسائي .

(٢) شرح أشعار الهذليين ١ : ٦٧ .

(٣) زهر الأكم ١ : ١٧٨ .

(٤) سورة الأنبياء ٢١/ ١٠٤ .

عامٌّ لا يكفي للشّكّ أو الحُكْمِ بالتّلاقي مع القرآن . . . [وذلك لأنّ] بعضَ الأفكارِ الدِّينيّة كانت معروفةً لبعض الشعراء قبل الإسلام ، ومن الصّعب أَنْ يُفْصَلَ في بعضِ العبـاراتِ أو المعـانـي العـامّـةِ التـي تتّصـل بتلـك الأفكـار إنْ كـانـت جـاهليّـة أو إسلاميّة »[1] ، ولذلك لا يصحّ الشّكّ في أيّ شعرٍ مصطبغٍ بالصّبغة الدّينية « إلاّ بظهور آثار قرآنية واضحة تتبدّىٰ في عَدَدٍ من السّمات : كالمعاني والتراكيب والأساليب معاً ، ومدىٰ الإلحاح عليها في أبيات القصيدة الواحدة »[2] ، وقد تنبَّه النُّقّاد علىٰ ظاهرة التشابه بين القرآن الكريم والشّعر الجاهليّ في كثيرٍ من الألفاظ والتراكيب ، ذلك أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب في ألفاظِهِ وعباراته[3] ؛ والّذي نلاحظه أنّ الآية الكريمة تتحدّث عن بعض مشاهِدِ يوم القيامة ممّا سيكون ، في حين أنّ البَيْتَيْنِ يتحدّثان عن قُدْرةِ الله عزّ وجلّ ، وهي فكرة عامّة عند أصحاب الأديان السّماوية وعند غيرهم ممّن يؤمن بالله ، وقد ضَرَب الشّاعِرُ مِثالَيْنِ علىٰ هذه القُدْرَة ، أوّلهما مقدرته علىٰ إفناءِ الخلق جميعاً لو شاء ، والثّانية هي قدرتُه علىٰ طيِّ السّماءِ ومَحْوِها لو شاء ، فاتّفق الشّعر مع الآية الكريمة بذِكْرِ طيِّ السَّماء ، ولا يكفي هذا الاتّفاق وحدَه للقول إنَّ صاحب البيتين أخذ الفكرة عن القرآن الكريم ؛ ولكن لو أنَّه جاء بهذه الفكرة في الحديث عن ما سيكون يوم القيامة لكان ذلك دليلاً على أنّه ربّما تأثّر بالقرآن الكريم ، لأنّ مشاهد يوم القيامة من الأمور الغيبيّة التي تحدّث عنها القرآن الكريم وعَرَفَها العرب عن طريقه أو عن طريق أهل الكتاب .

وبهذا ننتهي من الحديث عن النحل في أشعارهم ، وقد رأينا أنَّهُ لم يثبُتْ وقوعُهُ في أشعارهم بالدليل القاطع إلا في موضعٍ واحدٍ ، وأنّ هناك مواضعَ يمكن أن تثير شَكّاً حول صحّتها ، بَيْدَ أنّه يمكن الرَّدّ علىٰ ذلك الشّكّ ، ومن ثم لا يجوزُ القَطْع بكونها منحولةً .

---

(١) ديوان أميّة : ١٧٦ .

(٢) المصدر السّابق نفسه : ١٧٦ـ١٧٧ .

(٣) انظر : جمهرة أشعار العرب : ١١ـ٢٧ ، والإتقان ٢ : ٦٧ـ١٠٥ .

ومِنْ ثَمَّ يمكننا الانتقال في الفصلين التّاليين إلىٰ دراسة موضوعات أشعار بني كلب وخصائصها معتمدين علىٰ تلك الأشعار التي لم يقع الاضطراب في نسبتها وتلك التي وقع الاضطراب فيها ولكننا وجدنا الدّليل علىٰ كونها لشعراء بني كلب ، وقد نستأنِسُ بذلك الشّعر الذي وقع فيه الاضطرابْ ولكنّنا رجَّحْنا كونَه لهم ، ويبقىٰ الشّعر الذي لم نقف علىٰ ما يرجّح نسبته إليهم أو إلىٰ غيرهم فلا يصحّ الاعتماد عليه لاحتمال كونه لغيرهم ، كما لا يصحّ البتّة الاستشهاد بما ثبت بالدّليل القاطع كونُه لغيرهم أو كونُه منحولاً .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

الفصل الثالث

مَوْضُوعَاتُ أَشْعَارِ بَنِي كَلْبٍ

رأينا في الحديث عن مصادر شعر بني كلب وتوثيقه أنّ ما وصل إلينا من شعرهم ليسَ إلاّ نَزْراً يَسيراً جِدّاً ممّا قالوا ، وأَنّ هٰذا الذي وَصَلَ إلينا ليس بالقصائد الكاملة ، وإنَّما هو في الغالِب أشلاءُ قَصائد ، ومِن ثَمَّ ليس لنا في هٰذا الفَصْل إلاّ أن نتلمَّسَ آثارَ الموضوعات التي تناولها شعراؤهم ، ونحكُمَ علىٰ ذٰلك من خلال ما وصلَ إلينا وثبتت نِسْبَتُه إليهم قَطعاً أَوْ تَرْجيحاً .

وتُبَيِّنُ لنا قراءة هٰذا الشعر أنّهم طَرَقوا موضوعات الشّعر الرئيسيّة باباً باباً ، في الجاهليّة والإسلام ، فنجد في شعرهم : الحماسةَ والفخر ، والهجاءَ ، والرّثاءَ ، والمدحَ ، والغزل ، والوَصْفَ ، والشكوىٰ مِنَ الهَرَم والدّهر ، والحِكْمَةَ ، ونجِدُ إلى جانب ذٰلكَ بعضَ القِطَع في موضوعاتٍ أُخرىٰ لا تؤلّف وَحدَها باباً مُفْرَداً .

كما تُبَيِّن قراءَتُه أنّ اختلافاً طَرَأَ علىٰ بعض جوانِب هذه الموضوعات بين شعر الجاهلية وشعر الإسلام ، من حيثُ الاتّساعُ والضِّيقُ ، أو من حيثُ المعاني المُتَناوَلة ظهوراً واختفاءً ، ومِن ثَمّ رأيت أن أَتَناوَلَ في كلِّ مَوْضوعٍ ما جاءَ في الشعر الجاهليّ ، وأُعْقِبَهُ بما جاءَ في شعر صدر الإسلام وعصر بني أميّةَ ، ليتبيّنَ هذا الاختلاف ، مع مُحَاوَلَةِ تفسير ذٰلكَ عندَ الإمكان ؛ حتّىٰ إذا ما انتهىٰ الحديث عن كلّ موضوعٍ من هٰذه الموضوعات أَعَدْنا النظر فيه لمقارنَتِه بِما وَرَدَ في أشعارِ عَدَدٍ مِنَ القبائل الأُخرىٰ التي جُمِعَتْ أَشعارُها ودُرِسَتْ ، أَوْ في أشعار بعض الفئات مِن الشعراء ، لتظهر بذلك مكانة ما وصل إلينا مِن شعر كلبٍ بالقياس إلىٰ ما وصل من أشعار غيرهم .

١ ـ الحَمَاسَةُ وَالفَخْرُ :

إنّ شعر الحماسة والفخر من الموضوعات البارزة في الشعر العربيّ منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أميّة ، حتّىٰ استغرقَ شعرُ الحماسة أكثر مِن ثُلثٍ ما اختاره أَبو تمّام من أشعار العرب[١] ، وجميعُه من شعر الجاهلية وصدر الإسلام وعَصْر بني أميّة إلاّ قِطَعاً يسيرة ، فجعله أوّل أبواب كتابِه وجَعَله عنواناً للكتابِ كلِّه ؛ ويُلاحَظُ أنَّ أبا تمّام لم يُفْرِدْ باباً خاصّاً للفَخْرِ ، مع أنّه مِن الموضوعات البارزة في الشعر العربيّ ، وذلك لأنَّه جَعَلَ الفَخْرَ مُنْضَوِياً تحتَ بابِ الحماسة ، وهو مُحِقٌّ في ذلك ، لأنَّ الفَخْرَ غالباً ما يكونُ بمعنىً من معاني الحماسة ، وهي المعاني التي فرّقها البحتريُّ في حَمَاسَتِه علىٰ أكثر مِن عشرين باباً ، منها : الشجاعة والإقدام ، والفَتْكُ ، والبُروز للعدوّ وتَرْكُ التَّسَتُّرِ منه ، والأَنَفَةُ والامتناعُ من الضَّيْم والخَسْف ، ورُكوب المَوْت خَشْيَةَ العَار ، والتحريضُ علىٰ الثأر وتَرْك قبول الدّية ، إلىٰ غير ذلك من معاني الحماسة الّتي يُفْتَخَرُ بها ، وقد اقْتَفَيْتُ أَثَرَ أبي تمّام في الجَمْعِ بينَهما لأنَّ الفصل بينَهما صعبٌ في كثير من الأَحيان .

والحماسةُ والفخر في الشعر العربيّ عامّةً علىٰ ضَرْبَيْن : ذاتيٌّ وقَبَليّ ، وهو ما نجده في شعر بني كلبٍ ، سَواءٌ في ذٰلكَ الجاهليّ منه والإسلاميّ .

فأمّا **في الشعر الجاهليّ** فنجد عدداً من القِطَعِ التي يظهر فيها الطابع القَبَليّ إلى جانِبِ عَدَدٍ من القطع التي تمتاز بالطابع الفَرْديّ . فالشعراءُ ينصرفون في **قَبَليِّ فخرهم وحماستهم** إلىٰ المعاني التي تدلّ علىٰ قوّة بني كلب ومَجْدِهم وعزّتهم وكثرتهم ومَنَعَتِهم ، إلىٰ غير ذٰلكَ مِنَ المَعاني المُتداوَلَةِ في أشعار القبائل الأُخرىٰ ؛ وأهَمُّ ما وَصَلَ إلينا من هذا الضَّرْبِ خمسُ قِطَعٍ مِن شِعر زُهَيْر بن جَناب ، تحدّث فيها عن إيقاعهم بعدد من القبائل ؛ فبنو كَلْبٍ أُباةُ ضَيْمٍ انْصَرَفوا إلىٰ بني القَيْن بن جَسْر حينما أَرادوا حربَهم فقابلوهم بجيشٍ مُقْدِمٍ لا يقوم لهُ أحد ، فجلّلوهم أصنافاً مِن الذّلّ

---

(١) انظر الحماسة ١ : ٣٧ حيثُ أَحصىٰ محقّقُها عدد الأبيات الواردة في كلّ باب من أبوابها .

والهَوان ، فلا تجد فيهم إلاّ بَطَلاً مُعَفَّراً بالترابِ قتيلاً ، أَو هارِباً ذليلاً أَسِفاً أمامَ قومه ؛ هذا مع أن بني القين جيرانٌ لكلب تَصِلُهم بهم رابطة الانتماءِ إلىٰ قضاعة[1] :

لَمّـا أَبـىٰ جيـرَتـي إلاّ مُصَمِّمَـةً ... تَكْسُو الـوُجُـوهَ مِـنَ المَخْـزاةِ أَلْـوانـا
مِلْنـا عَلَيْهِـمْ بِـوِرْدٍ لا كِفَـاءَ لَـهُ ... يَفْلِقْـنَ بـالبيـضِ تَحْـتَ النَّقْـعِ أَبْـدانـا
إذا ٱرْجَحَنُّـوا عَلَـوْنـا هـامَهُـمْ قُـدُمـاً ... كَـأَنَّمـا نَخْتَلـي بـالهـامِ خُطْبَـانَـا
كَـمْ مِـنْ كَـريـمٍ هَـوىٰ لِلْـوَجْـهِ مُنْعَفِـراً ... قَـدِ اكْتَسَـىٰ ثَـوْبُـهُ فـي النَّقْـعِ أَلْـوانـا
ومِـنْ عَميـدٍ تَنـاهـىٰ بَعْـدَ عَثْـرَتِـهِ ... تَبْـدُو نَـدامَتُـهُ للقَـوْمِ خَـزْيـانـا

ثمّ عادَ في قصيدةٍ أُخرىٰ فذكر ما كانَ بينَهم وبَيْنَ القَيْنِ الّذينَ أرادوا إذلالَهم ورَفَضوا الجُنوحَ للحَقّ ، فأرغَمَهم بنو كلب عليه بحربٍ أَغاظَتهم غيظاً شديداً ، لأنهم لاقَوْا قوماً كثيراً عديدُهم ذوي صلابةٍ في اللّقاء ، مَنْ نظر إليهم أُرْعِدَ وذَهَب عقلُه من شدّة الخَوْف ، قد أعدّوا لعدوّهم مِن السِّلاح أَجْوَدَه : سيوفاً ورماحاً ودروعاً قديمةً موروثة ، وخيلاً يُكْرِمونَها أَشَدَّ الإكرام ، فقتلوا رئيسَهم وكثيراً من رجالهم ذوي المَجْد القديم[2] :

أَبـىٰ قَـوْمُنـا أَنْ يَقْبَلـوا الحـقَّ فَـانْتَهَـوْا ... إلَيْـهِ وَأَنيـابٌ مِـنَ الحَـرْبِ تَحْـرُقُ
فجـاؤوا إلـىٰ رَجْـراجَـةٍ مُتْمَئِـرَّةٍ ... يَكـادُ المُـرَنِّـي نَحْـوَهـا الطَّـرْفَ يُصْعَـقُ
سُيـوفٌ ، وَأرمـاحٌ ، بـأَيْـدي أَعِـزَّةٍ ... وَمَـوْضُـونَـةٌ مِمّـا أَفـادَ مُحَـرِّقُ
وَخَيْـلٍ جَعَلْنـاهـا دَخيـلَ كَـرامَـةٍ ... عَتـاداً لِيَـوْمِ الحَـرْبِ تُحْفـىٰ وتُغْبَـقُ
فَمـا بَـرِحـوا حَتَّـىٰ تَـرَكْنـا رَئيسَهُـمْ ... تَعَفَّـرَ فيـهِ المَضْـرَحِـيُّ المُـذَلَّـقُ
فَكائِنْ تَرىٰ مِنْ ماجِدٍ وابنِ ماجِدٍ ... بِـهِ طَعْنَـةٌ نَجْـلاءُ للْـوَجْـهِ يَشْهَـقُ

وهم حين حاربوا تغلِبَ وبكرَ ابنَيْ وائلٍ معاً هزموهُما ، فلَمْ يَجدوا وِقايةً لهم مِنَ الموت إلاّ بتركِ مالِهم سَلَباً لبني كلب ، وانجلَت الحرب عن أَسْرِ مهلهِلٍ وكُلَيْبٍ

---

(١) الدّيوان : ٥٩ .
(٢) الديوان : ٤٦ .

وغيرهما مِن سادة القَوْم ، وعن سِباء نسوتهم الجَميلات[1] :

أَيـنَ أَيـنَ الفِـرارُ مِـنْ حَـذَرِ المَـوْ . . . تِ وَإذْ تَتَّقُـونَ بـالأَسْـلابِ
إذ أَسَـرْنـا مُهَلْهِـلاً وأَخـاهُ وابـنِ عَمْـرٍو فـي القِـدِّ وابـنُ شِهـابِ
وَسَبَيْنَـا مِـنْ تَغْلِـبٍ كُـلَّ بَيْضـا . . . ءَ رَقُـودِ الضُّحـىٰ بَـرُودِ الـرُّضـابِ

ثمّ يعودُ زهير إلىٰ ساحة المعركة ليصوِّر مَشْهَدَ أولٰئكَ الذين هَرَبوا مِن بكرٍ ومن تغلب كالنَّعامِ الشّارد الذي لا يُلْوي علىٰ شيءٍ ، غيرَ مُلْتَفِتينَ إلىٰ نِداءِ مُهَلْهِلٍ وتَحْريضه إيّاهُم علىٰ الدّفاع عن أعراضِهم وشرفِهم :

يَـوْمَ يَـدْعـو مُهَلْهِـلٌ يـا لَبَكْـر هَـا أَهْـذي حَفيظـةُ الأَحْسـابِ
وَيْحَكُـمْ وَيْحَكُـمْ أُبيـحَ حِمـاكُـمْ يـا بَنـي تَغْلِـبٍ أَنـا ابـنُ ضِـرابِ
وَهُـمُ هـارِبـونَ فـي كُـلِّ فَـجٍّ كَشَـريـدِ النَّعـامِ فَـوْقَ الـرّوابـي

والْتَفَتَ زهيرٌ ثانيةً إلىٰ ساحةِ المعركةِ ليرىٰ قَتْلىٰ كثيرين طَحَنَتْهُمْ رَحَىٰ الحرب التي أدارَها فرسانُ كلبٍ ، فكان عدوُّهم بينَ هاربٍ لا يُقَصِّرُ في الهَرَبِ ، وقتيلٍ مُمَرَّغٍ بالتّراب ؛ ومِن ثَمَّ فاقَ عِزُّ بني كلبٍ كلَّ عِزٍّ :

واسْتَـدَارَت رَحـىٰ المَنـونِ عليهـم بِلُيـوثٍ مِـن عـامـرٍ وجَنـابِ
طَحَنَتْهُـمْ أَرحـاؤُهـا بِطَحـونٍ ذاتِ ظُفْـرٍ حَـديـدةِ الأنيـابِ
فَهُـمُ بَيْـنَ هـاربٍ لَيْـسَ يَـأْلُـو وقَتيـلٍ مُعَفَّـرٍ بـالتُّـرابِ
فَضَـلَ العِـزَّ عِـزُّنـا حيـنَ نَسْمـو مِثْـلَ فَضْـلِ السَّمـاءِ فـوقَ السَّحـابِ

وحينَ بَنَتْ غَطَفانُ بُسّاً وَجَعَلَتْهُ حَرَماً مثلَ حَرَمِ مكّةَ بعدَما انتَصَرَتْ علىٰ صُداءَ فعزَّتْ ، دعا زُهيرٌ قومَهُ لغزوِهم فأجابوهُ ؛ فإذا بِغَطَفانَ لا تَحْتَمِلُ قِتالاً ، فَضَمَّتْ كلبٌ إِلَيْها نساءَهُمْ ثُمَّ مَنَّتْ عليهم فَرَدَّتْهُنَّ بَعْدَ الحرب ، وانطلق النّاجونَ مِنْ غَطَفان مُخَلِّفينَ وَراءَهم كثيراً مِن أَبطالِهِم الشُّجعان قَتْلَىٰ[2] :

---

(١) الديوان : ٣٤.
(٢) الدّيوان : ٣١.

وَلَـــمْ تَصْبِــرْ لَنَــا غَطَفَــانُ لَمَّــا ... تَــلاقَيْنَــا وَأُحْـــرِزَتِ النِّســـاءُ
فَلَـــوْلا الفَضْــلُ مِنّــا مــا رَجَعْتُــمْ ... إلـــىٰ عَـــذْراءَ شِيْمَتُهـــا الحَيـــاءُ
وَكَـــمْ غـــادَرْتُـــمُ بَطَــلاً كَمِيّـــاً ... لَـــدىٰ الهَيْجـــاءِ كـــانَ لَـــهُ غَنَـــاءُ

فَلْتَتَأَّرْ غطَفان بقتلاها إنِ اسْتَطاعَتْ ، وها هم بنو كلبٍ بارِزونَ لا يَسكنون مكاناً يُخْفيهم ويَحميهم مِن عدوِّهم لأنّهم يَحْمُونَ أَنْفُسَهم ، وليسوا مثلَ غَطَفان ، إذ عليها أن تَتْرُكَ الأَرضَ الواسعةَ التي بَنَتْ فيها بُسّاً وتلجأَ إلى مكانٍ ضيِّقٍ آمِنٍ يَحْميها ، وقد حازَ أَرضَهم هذه وماءَهم المُرويَ بنو جَناب من كلب :

فَــدونَكُــمُ دُيــونــاً فــاطْلُبــوهَــا ... وأَوْتـــاراً ، ودُونَكُـــمُ اللّقـــاءُ
فَـــإنّـــا حَيْـــثُ لا نَخْفــىٰ عَلَيْكــم ... لُيـــوثٌ حيـــثُ يَحْتَضِـــرُ اللِّـــواءُ
فَخَلِّـــي بعـــدَهـــا غَطَفـــانُ بُسّـــاً ... وَمـــا غَطَفـــانُ والأَرْضُ الفَضـــاءُ
فَقــد أَضْحــىٰ لِحَــيٍّ بَنــي جَنَــابٍ ... فَضـــاءُ الأَرْضِ والمـــاءُ الـــرُّواءُ

فالأرضُ الواسعة إنّما تَصْلُحُ لبني كلبٍ ؛ لأَنّهم لا يَنْكلون عن عدوٍّ لهم ، وكيف ينكلون ولَهُمْ رماحٌ تَدفَعُ العدُوَّ وتَطْرُدُه ، ولهم صَبْرٌ علىٰ اللّقاء وصِدْقٌ في الطَّعْن أَبىٰ لَهُم أَنْ يصيبَهم ما أصابَ صُداءَ :

وَيَصْـــدُقُ طَعْنُنـــا فـــي كـــلِّ يَـــوْمٍ ... وعِنْـــدَ الطَّعْـــنِ يُخْتَبَـــرُ اللِّقـــاءُ
نَفَيْنـــا نَخْـــوَةَ الأَبْطـــالِ عَنّـــا ... بِـــأَرْمـــاحٍ أَسِنَّتُهـــا ظِمـــاءُ
وَلَـــوْلا صَبْـــرُنـــا يَـــوْمَ الْتَقَيْنَـــا ... لَقِينـــا مِثْـــلَ مَـــا لَقِيَـــتْ صُـــداءُ
غَـــداةَ تَعَـــرَّضُـــوا لِبَنـــي بَغيـــضٍ ... وَصِـــدْقُ الطَّعْـــنِ للنُّـــوكـــىٰ شِفـــاءُ

ويَفْتَخِرُ زهير بأنّ له إبلاً مَنيعةً لا يُقْدَرُ عَلَىٰ أَخذِها ، ويجعَلُ مِن مَنَعَتِها باباً للدّخول إلىٰ الفخر القَبَليّ الواسِع بما في قضاعةَ مِن فرسان ذوي نجدةٍ وقوّةٍ يمنعونَها ، فيعدّدها قبيلةً قبيلة ، ويخرج من ذٰلكَ إلى هجاءِ بني أَهْيَب الكَلْبِيِّين الّذين لا هَمَّ لَهُمْ في الفروسيّة ، وإنّما هَمُّهم في مُلازمةِ (الدَّوار) الصَّنَم[1] :

---

(١) الديوان : ٤٠ .

سَتَمْنَعُهــا الفَــوارِسُ مِــن (بَلِــيٍّ) وَتَمنعُهــا فَــوارسُ مِــن (صُحــارِ)
وَيَمْنَعُهــا بنــو (القَيْــنِ بــنِ جَسْــرٍ) إذا أَوْقَــدْتُ للحَــدَثــانِ نــاري
ويَمْنَعُهــا بنــو (نَهْــدٍ) و(جَــرْم) إذا طــالَ التّجــاوُلُ فــي الغِــوارِ
بِكــلِّ مُنــاجِــدٍ جَلْــدٍ قُــواهُ وأَهْيَــبُ عــاكِفــونَ علــىٰ الــدَّوارِ

فالمَنَعَةُ وَالعزّ والصَّبْرُ والإقدامُ في الحرب وإباء الضَّيْم وكَثْرَةُ العَدَد وإعدادُ العدّة للحرب والتّنكيلُ بالعدوّ قتلاً وأسراً وسِباءً هي المعاني التي وردت في القَبَليّ مِن فخر زهير وحَماستِهِ ؛ ونجد لهذه المعاني أَمثالاً فيما وَصَلَ إلَيْنا مِن سائر شعرهم ، ويُضافُ إليها حِماية الجار ، والأخذ بالثأر ، والتحريض علىٰ العدوّ ؛ فهٰذا أُبَيّ بنُ عَرين ـ أو أَبوه عَرين بن أَبي جابر ـ يفخَرُ بأنّهم منعوا بني الغوث الطّائيّين أن يُذِلُّوا بني جَديلةَ الطائيّين بعدَ أَن جاوَروا كَلْباً علىٰ إثْرِ حرب الفسادِ بينهما[1] :

أَبْلِــغْ أَبــا عَمْــرٍو وَأَنْــ . . . ـتَ لَــدَيَّ ذُو النِّعَــمِ الْجَــزِيلَــةْ
أَنَّــا مَنَعْنَــا أَنْ يُــذِلْــ . . . ـلَ جِــلادُ غَــوْثَ بَنــي جَــديلَــةْ

وهٰذا ثَعْلَبَةُ الفاتِكُ بنُ عامِر يفتخر بما قامَ به هو ومعاوية بن حُجَيْرٍ المَشْجَعيّ مِنَ النَّمِر بن وبرة أخي كلب بن وبرة حين قَتَلا دَاود اللَّثِقَ بنَ هَبالةَ مَلِك قضاعةَ بالشّام ، وذلك بعد أنْ تنصَّر فضَعُفَ وأَلْحَقَ الوَهَنَ بقضاعة ؛ فبسيوفِهم ورماحِهم ذَهَبَتْ نفسُ داود دونَ رَجعةٍ كما لا يَرْجِعُ أَمْسِ ، وهي سيوف من عادَتها أَن تَطرد العِدا وتُلَبِّي مَن يلجأ إليها[2] :

نحــنُ الأُلــىٰ أَرْدَتْ ظُبــاتُ سُيــوفِنــا دَاودَ بيــنَ القُــرْنَتَيْــنِ فَحــارِبِ
خَطَــرَتْ عليــهِ رِمــاحُنــا فَتَــرَكْنَــهُ لَمّــا قَصَــدْنَ لَــهُ كَــأَمْــسِ الــذَّاهِــبِ
وكَــذاكَ إنّــا لا تَــزالُ سُيُــوفُنــا تَنْفِـي العِـدا وتُفيـدُ رُغْـبَ الـرّاغِـبِ

بينَما يفتخر الربيع بن مسعود العُلَيْميّ الكَلْبيّ بأنَّ قومَه بني عُلَيْمٍ سَبَوا امرأةَ

---

(١) الديوان : ١٥٥ .
(٢) الديوان : ٢٢٦ .

حِداجةَ بن عرار الزُّهيريّ أَحد بني زهير بن جَناب ، وفَقَؤُوا عينَ (قيس بن عَدِين) منهم[1] :

نَحْـنُ أَخَـذْنـا مِـنْ حِـداجَـةَ عِـرْسَـهُ   وَقَيْسـاً فَقَـأْنـا عَيْنَـهُ ابـنَ عَـدِيـنِ

في حين جَعَلَتْ ثقةُ عبد العزّىٰ بن امرىء القيس بقومه ومَنَعتِهم يدعو ابن ماريةَ الحارثَ الأعرَجَ بنَ جبلةَ الجفنيّ الغسّانيّ لأن يتحلّلَ مِن يمينه بأنّه سيغزو وَسْطَ بِلادِ كلب ، لأنّه سيحولُ بينَه وبينَ ما أرادَ قومٌ يأبَوْنَ المَهانَةَ وأَن يعيثَ أَحدٌ فساداً ببلادهم ، أولٰئكَ القومُ الّذينَ قَتَلوا جدّه الحارثَ وسَلَبوه حينَ طَلَبَهُم مِن قبلُ ؛ وكانَ ابنُ ماريةَ أرادَ قتلَ عبد العزّىٰ حين أبىٰ أن يأتِيَهُ بقوم من كلب قُتِلَ عندَهم وَلدٌ مُسْتَرْضعٌ لابن ماريةٍ[2] :

وَمَا كانَ لي عندَ ابنِ جَفْنَةَ فاعْلَموا   مِنَ الذَّنْبِ ما آلىٰ يَميناً عَلىٰ كَلْبِ :
لَيَلْتَمِسَـنْ بـالخَيْـلِ عُقْـرَ بِـلادِهِـمْ   تَحَلَّلْ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ! - مِنْ قَوْلِكَ المُزْبي
وَدونَ الّـذي مَنّـىٰ ابـنُ جَفْنَـةَ نَفْسَـهُ   رجـالٌ يَـرُدّونَ الظَّلـومَ عَـنِ الشَّغْـبِ
وقَـدْ رامَنـا مِـن قَبْلِـكَ المَـرْءُ حـارِثٌ   فَغُـودِرَ مَسْلـوبـاً لـدىٰ الأَكَـمِ الصُّهْـبِ

وَإذا أَصابَ عَدُوٌّ شيئاً مِن دمائهم كإصابة همدانَ فيهم يومَ سُحامةَ فلا بدّ مِن الثأر ، لأنَّ الثأرَ كما يرىٰ الرّبيع بن عَقيل دَيْنٌ لا بدَّ أن يُقضىٰ دماً بِدَمٍ ويوماً بيوم ، وعندَئذٍ تَقَرُّ أعْيُنُ الثائرينَ وترتاح نفوسُهم وتُطْفَأ النار في قلوبهم ، علىٰ خلافِ ما تصيرُ إليه حال العدوّ الذي يعلم حينئذ أنّ الحربَ يومان ، يوم له ويوم عليه[3] :

أَلا أَبْلِغَــنَّ ابــنَ الطُّفَيْــلِ وَبَلِّغَــنْ   حُمَيْـدَ بـنَ قَيْـسٍ والـرَّسـولُ أَميـنُ
بِـأَنَّكُـمُ لَـنْ تَـذْهَبُـوا بِـدِمـائِنَـا   ولٰكِـنْ سَتُقْضـىٰ ، والـدُّيـونُ دُيـونُ
سَنُصْبِحُكُـمْ يَـوْمـاً بِيَـوْمِ سُحـامَـةٍ   تَشيـبُ لَـهُ مِ الغـانِيـاتِ قُـرونُ

---

(١) الديوان : ٢٩٠ .
(٢) الديوان : ١٠٤ .
(٣) الديوان : ١٦٣ .

وَتَسْخَنُ منكُمْ أَعْيُنٌ باقتضائِنا لِما قَرَّ منكُمْ أَمْسِ فيهِ عُيونُ
دَماً بِدَمٍ ، والحِلَّ حِلاًّ بِمِثْلِهِ كَذا الحَرْبُ تَحْنُو مَرَّةً وَتَخُونُ

والانتماء إلى قضاعة الذي رأينا زهير بن جَناب يفتخر به هو الذي جَعَل عطّاف بن شَعْفَرَةَ يشعر بالغَيْظِ حين رأىٰ بني عذرة بن سعد هذيم القضاعيّين يتقاعَسُون في الثأر برجال منهم قتلتهم بنو فزارة ، فيستثيرهم ويحضّهم علىٰ الثّأر منبّهاً علىٰ ما في قتلِ رِجالهم مِنْ فخرٍ لعدوّهم عليهم ، وأنّهم إن لم يثأروا فلن يكونوا إلاّ أَذِلاَّء كالإماءِ البغايا ، يأكلونَ عجوةَ وادي القرىٰ وهم عاجزون عن قتال عدوّهم ؛ ويُثيرُ حَميّتَهم بالدّعاء عليهم بالهلاكِ إن سَلِمَتْ فزارة منهم ، وبأنَّ القبائلَ قد تحدّثت عنهم بما لا يرضاه لهم[(١)] :

أَعُذْرَ بنَ سَعْدٍ لا يَزالُ عليكُمُ بيَوْمِ ابنِ حُرْجٍ مِنْ فزارةَ فاخِرُ
فإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَثْأَروا بأَخيكُمُ فكونوا إِماءً تَبتغي مَن تُؤاجِرُ
كُلوا عَجْوَةَ الوادي فإِنّ بَلاءكُمْ قليلٌ إذا ما كانَ يومٌ قُماطِرُ
رَمىٰ اللهُ في أَكْبادِكُمْ إنْ نَجَتْ لها فَزارةُ لَمْ يُثْأَرْ سُوَيْدٌ وعَامِرُ
وَلا تَغْضَبوا ممّا أَقولُ فإِنَّما أَنِفْتُ لَكُمْ ممّا تَقولُ المعاشِرُ

ثمّ يضخّم الأمرَ ، فيرىٰ أَنَّ قَتْلَهُمْ لَمْ يُخزِ بَني عُذْرَةَ وَحدَهم ، وإنّما أَخْزَىٰ قُضاعةَ كلَّها ، ولذٰلكَ ينبَغي علىٰ بني عذرةَ أن ينهَضوا إلىٰ عَدُوِّهِمْ فَيَنالوا مِنَ الجاني وغيرِ الجانِي ، لأنّه لن يُزيلَ الخِزْيَ عنهم إلاّ ذٰلك ، كما لا يُزَالُ القَذَرُ عن ثوب الحائض إلاّ بغَسْلِه ؛ وعليهم أَلاَّ يَخُصّوا بالثأر فزارةَ وحدَها ، بل أن يَجْعَلوه عامّاً في بَني ذبيان لأنّ فزارةَ بطنٌ منهم ، وفي بني أشجع بن رَيْث بن غَطَفان ، لأنّه عَمُّ ذُبيان بن بَغيض بن رَيث وهم أعوانٌ لهم في مواقفهم :

لَقَدْ جُلِّلَتْ مِنْها قُضاعَةُ خِزْيَةً فَكُلُّ قُضاعيٍّ بِها مُتَصاغِرُ
فَغَشْماً ، فإِنَّ الغَشْمَ يَرْحَضُ عَنْكُمُ كَمَا رَحَضَتْ عنها أَذىٰ الثَّوْبِ طاهِرُ

---

(١) الديوان : ١١٥ .

وَعُمّـوا بهـا ذُبيـانَ طُـرّاً فـإنّمـا يُخَصَّـصُ بـالأوتـارِ مَـنْ هُـو قـادِرُ
وأَشجَـعَ إنْ لاقَيْتُمُـوهـم فـإنَّهُـمْ لِـذُبيـانَ مَـوْلـىً فـي الحـروبِ ونـاصِـرُ

وقد يجيء التحريض موجَّهاً لبعض بُطون كلب علىٰ آخَرينَ منهم ، كما نرىٰ في بعض شعر عمرو بن الأسوَد الأجداريّ أَحَدِ بَني تَيْم الله بن عامر الأجدار الّذي نجده يحرّضُ التَّيْمَ لإيقادِ نارِ الحربِ على قومٍ مِنْ بَني كلبٍ وهم (أَهْب) ؛ ونراه يتساءَلُ ـ بعدَما حرّضَ علىٰ الحَرْبِ الّتي تجني الدّماءَ ـ أَكانَ يَحِلُّ لَهُمْ ـ يعني في عُرْفِ الجاهليّة ـ أَنْ يَغْنَمُوا أَمْوَالَهم أم لا يَحِلّ ، مُنَبِّهاً علىٰ أَنَّ أَهْباً من أَصلِ بَني كَلْبٍ وليسوا بالمُلْصَقين ولا المُجاوِرين[١] :

وَإنْ يَـكُ صـادقـاً بـالتَّيْـمِ ظَنّـي يَشُـبُّ الحـربَ أَلْـوِيَـةٌ كِـرامُ
فَمـا أَدْري وَعَلّـي سَـوْفَ أَدْري أَحِـلٌّ مـالُ أَهْـبٍ أَم حَـرامُ
وَأَهْـبٌ مَعْشَـرٌ مِـن جِـذْمِ كَلْـبٍ لَهُـمْ نَسَـبٌ وآلُهُـمُ قُـدامُ

ومِن المعاني التي افتخروا بها ولاحظنا مثلَها في شعر زهير بن جَناب : السِّباءُ ، وقَتْلُ الأبطال ، والحِفاظُ علىٰ الحُرَم ، وعُلُوّ درجة المجد والعِزّ ؛ فعمرو بن الأسود يفتخر بكثرة النّساء اللّواتي طلّقوهنّ من أَزْوَاجهنّ ، لا طلاقاً حقيقياً ، وإنّما بالسَّبْي أو بقتل الأزواج ، فحالوا بينهنّ وبينَهُم ، فكم مِن رجلٍ حمىٰ رأسَهُ بالخُوذَةِ فلقوا رأسَه ، وكم مِن فَتاةٍ بِكْرٍ رائعة الجَمالِ سَبَوْا قَسْراً ؛ بينما هم ذَوو أَنَفَةٍ يَحمونَ محارِمَهم ويمنعونَها ، قد وقفوا في مكانٍ عالٍ مِنَ المجد[٢] :

وَمُحْصَنَـةٍ قَـدْ طَلَّقَتْهـا رِمـاحُنـا وَنَـوحٍ بَعَثْنـاهُ بلَيْـلٍ مُنَطَّـقِ
وَبَيْـضٍ فَلَقْنـا هـامَـهُ بِسُيـوفِنـا وبِيْـضٍ أَخَـذْنـا عَنْـوَةً لَـمْ تُفَلَّـقِ
إذا كـانَ أَمْـرٌ ذو حِفـاظٍ رَأَيْتَنـا علـىٰ دَرَجـاتِ العِـزِّ نَعْلـو ونَـرْتَقِـي

وعمرو بن شَراحِيل يَخْرُج مِن فخرِه بما فَعَل بـ(كعبٍ) حين تركه متشنِّج الجِلْدِ

---

(١) الديوان : ٧٢ .
(٢) الديوان : ٧٠ .

إلى الفخر بأنّه من قومٍ لهم الشرف والأصل ، وفيهم الأفعال الحَسَنَة والمجد والأخلاق الكريمة منذ القِدَم[1] :

تَـرَكْـتُ كَعْبـاً وَكَعْـبٌ قـائـمٌ رَدِنٌ   كـأنَّـهُ مِـن جِمـالِ الـرِّيـفِ مَشْهـومُ
يَـا كَعْـبُ إنّـا قَـديمـاً أَهْـلُ رابِيَـةٍ   فِينَـا الفَعـالُ وفيهـا المَجْـدُ والخِيـمُ

ونلاحظ فيما سبق من الفخر والحماسة أنّ معظمَهُ يدخُل في إطار بني كلبٍ كلِّهم ، وربَّما ضَيّقَ الشاعرُ هذا الإطارَ وحَصَره في بعض بطونهم مثلما فعل زهير بن جناب في بيتٍ من بائيّته السابقة حين خصّ بالذِّكر عامراً وجَناباً ، وفي بيتٍ من همزيّته حين خصّ بالذكر جناباً ، ولكنّ سائر الأبيات في كلا القصيدتين تبقىٰ ضمن إطار القبيلة كلّها ، ومن ذلك أبيات عمرو بن الأسود التي حرّض فيها رَهطَهُ بني التَّيْم علىٰ أَهْبٍ ؛ وربّما وَسّع الشاعر مِن هذا الإطار ليضُمّ فيه قبائل قُضاعة ، كما رأينا في رائيّة زهير بن جناب ورائيّة عطّاف بن شعفرة ؛ كما نلاحظ أنَّ فَخْرَهم وحَماسَتَهم في هٰذا الضرب استأثرا بأبياتٍ كثيرة مِن عدّة قصائد ، أو بمقطّعات كاملة ، وأنّ هذا الضرب القبليّ من الفخر والحماسة ربّما امتزج بالضَّرْب الآخر الفَرْديّ .

فهٰذا شأنُ القبليّ من فخرهم وحماستهم في الجاهلية ، وأَمّا الفرديّ فلم نجد في شعرهم إلاّ قصيدةً واحدةً لزهيرٍ أطالَ فيها ذكرَ معاني الفخر المختلفة بنفسه ، في حين تَوَزَّع سائرُ ما وجدناه من هذا الضرب علىٰ أبيات مُفْرَدة أو مقطّعات قصيرةٍ في شعره وشعر غيره ؛ وقد يكونُ المجالُ في هذا الضرب أوسع منه في القبليّ ، لأنَّ كثيراً من معاني الفخر والحماسة القبليّة تصلح لأنْ تتحوّل إلىٰ فردية ، ويُضَافُ إليها ما يجده الشاعر في نفسِه مِنْ خِصالٍ وما يكونُ في حياته مِن مواقف .

وقد جمع زهيرٌ في قصيدته المُشار إليها عَدَداً مِنَ المعاني ؛ فهو لا يأسىٰ علىٰ شيءٍ إذا ما أَدركه الموت ، لأنّه أَنشأ لأولاده مجداً عظيماً ، وخلّىٰ لهم مِن بعدِه السيادةَ والقوّة ، وكيف يأسىٰ وقد نالَ كلَّ مطالِبِ الرَّجُلِ الجَزْلِ الكامِل غيرَ البقاء

(١) الديوان : ٢٧٧ .

الدائم الذي لا ينالُه أَحَد؟ ويَرىٰ أنّه بلغ درجةً من الشموخ والعزّة لا يبلُغها كثير من الملوك ، بل إنّ منهم مَن لا يستحقّ تحيّة المُلْكِ لأنّه لا يجودُ علىٰ أتباعه[1] :

أَبَنِــــيَّ إنْ أَهْلِــــكْ فَقَــــد أَوْرَثْتُكُــــمْ مَجْــــداً بَنِيَّــــهْ
وَتَـــرَكْتُكُــــمْ أَولادَ سَـــا دَاتٍ زِنَـــادُكُــــمُ وَرِيَّــــهْ
كُـــلّ الّـــذي نـــالَ الفَتَـــىٰ قَـــدْ نِلْتُــــهُ إلاّ التَّحِيَّــــهْ
كَـــمْ مِـــنْ مُحَيّـــاً لا يُـــوا... زِينـــي وَلا يَهَـــبُ الـــرَّعِيَّـــهْ

وله مواقفُ ومزايا أُخرىٰ تدعو للفخر ، إذ شَهِدَ يومَ خَزاز ـ وهو مِن أعظم أيّام العرب في الجاهلية ـ حينَ أُوقِدَتِ النّارُ على الجبل ، وركِبَ ناقتَهُ عاريةً دون أن يضَع على ظهرها شيئاً غيرِ آبهٍ بصعوبة ركوبها على هذه الحال ، وسارَ بِفَرَسٍ ضَخْمٍ للصَّيْدِ صباحاً ، فاصطاد الحُمُرَ الوحشيّة في مواضع عدّة ، ووَقف خَطيباً في الناس غير مُتَهَيِّبٍ الموقفَ ، فخطبهم خطبةً بليغةً :

وَلَقَــــدْ رَأَيْـــــتُ النَّـــــارَ للسْـ... ـسُـــلاَّفِ تُـــوقَـــدُ فـــي طَمِيَّـــةْ
وَلَقَــــدْ رَحَلْـــــتُ البـــازِلَ الْـ... ـــوَجْنَــاءَ لَيْـــسَ لَهـــا وَلِيَّـــةْ
وَلَقَــــدْ غَـــدَوْتُ بِمُشْـــرِفِ الطْـ... ـطَـــرَفَيْـــنِ لَـــمْ يَغْمِـــزْ شَظِيَّـــةْ
فَـــأَصَبْـــتُ مِـــنْ حُمُـــرِ القِنـــا... نِ مَعـــاً وَمِـــنْ حُمُـــرِ القَفِيَّـــةْ
وَنَطَقْــــتُ خُطْبَـــةَ مـــاجِـــدٍ غَيْـــرَ الضَّعيفَـــةِ والعَيِيَّـــةْ

وممّا افتخر به زهير كثرة مُبْغِضيهِ مِن القبائل ، فمنهم قومٌ في بني مُرّة بن عوفٍ مِن ذبيان ، وقوم في بني مرّة بن ذُهل بن شيبان مِن بكر بن وائل ، وما مُبْغِضُوهُ إلاّ سادة في معاشرهم ، وقد هيّأ لحربهم جميعاً فَرَساً قوياً نشيطاً[2] :

فـــي آلِ مُـــرَّةَ شُنَّـــأٌ لِـــي قَـــدْ عَلِمْـــتُ وآلِ مُـــرَّةْ
ســـاداتُ قَـــوْمِهِـــمُ الأُلَـــىٰ مِـــنْ وَائِـــلٍ وأُلَـــىٰ بِحَـــرَّةْ

---

(١) الديوان : ٦٢ .
(٢) الديوان : ٤٢ .

وَلِكُلِّهِـــــــــمْ أَعْـــــــــدَدْتُ تَيْـ . . . ـيَـــاحـــاً تُمـــارُ لَـــهُ الأَجِـــرَّةْ

وهل يُبغِضُه أولئك الناس هذا البغض الذي يجعَلُه يعدّ العدّةَ لحربهم إلاّ لأنّه قَتَلَ أبطالَهم؟ ويفتخر في موضع آخر بأنّه سريعُ الإجابة للعدوّ إذا رامَهُ بِسُوءٍ ، وأنَّ قوسَه عنده كالثوب الذي لا غنًى عنه إذا واجَهَ الناس[1] :

وَإِنْ عِفْـتَ هٰـذا فَـادْنُ دُونَـكَ إنّنـي   قَليـلُ الغِـرارِ والشَّـريـجُ شِعـاري

ولزهير قوّة شديدة تمكّنة إذا ما ضَرَبَ رأسَ البطل بسيفه (البُجّ) من أعلاه أَنْ يَصِلَ إلى عظام صدره فيقطعها واحداً بعد واحد فتسمع لصوته فيها قعقعة[2] :

ضَـــرَبْـتُ قَـذالَـهُ بـالبُـجِّ حَتّـىٰ   سَمِعْـتُ السَّيْـفَ قَبْقَـبَ فـي العِظـامِ

ولا يَشْهَدُ مَشْهَداً إلاّ ولَهُ فيه قتلىٰ يفتخر بقتلهم ، فحين غزا مع داود اللَّثِق عبدَ القيس قتلَ رجلاً منهم ، ثمّ انثَنَوْا على بكر بن وائل فقتل رجلاً آخر[3] :

فَجَّعْـتُ عبـدَ القيـسِ أَمْـسِ بِجَـدِّهـا   وَسَقَيْـتُ هَـدّاجـاً بكـأسِ الأَقْـزَلِ

وهو رجلٌ وَفِيٌّ للمرأة التي يُحبّ مِن جهة ، ووَفيٌّ لِمَنْ يُجاوِرُه فيحميه ويمنعه مِن جهة أُخرىٰ[4] :

سـائِـلْ أُمَيْمَـةَ عَنِّـي ، هَـلْ وَفَيْـتُ لَهـا   أَمْ هَـلْ مَنَعْـتُ مِـنَ المَخْـزاةِ جيـرانـا
لا يَمْنَــعُ الضَّيْـفَ إلاَّ مـاجِـدٌ بَطَـلٌ   إنَّ الكَـريـمَ كـريـمٌ أَيْنَمـا كـانـا

ثمّ افتخر بما كان مِن محاربة قومِه بني القين بن جَسْر وإيقاعِهم بهم في أَبيات سبق إنشادُها[5] .

ومن كانت هذه حالُه ، مع ما ذَكَرَ العُلماءُ مِن اجتماعِ قُضاعة عليه رئيساً ، فَلا

---

(١) الديوان : ٣٩.
(٢) الديوان : ٥٥ .
(٣) الديوان : ٥١ .
(٤) الديوان : ٥٩ .
(٥) انظر ، ص : ٢٧٧ .

عَجَبَ بعدُ أن يفتخِرَ ببُعْدِ صِيتِه في القبائل ، وبِمَنَعَتِه ، وبأخلاقه المغروسة فيه طَبْعاً لا اجتِلاباً[1] :

لَقَــدْ عَلِــمَ القَبــائِــلُ أنَّ ذِكْــري بَعيــدٌ فــي قضــاعــة أو نِــزارِ
فَمــا إبلــي بِمُقْتَــدَرٍ عَلَيْهــا وَلا حِلْمــي الأصيــلُ بِمُسْتَعــارِ

ومضىٰ يُعَدِّد بعد هذا قبائلَ قضاعةَ التي ستمنَعُ إبلَه مُفتخراً بها في أبياتٍ سبق إنشادُها أيضاً[2] .

ونجد في أشعار الآخَرين من شعراء الجاهلية من كلبٍ أمثالَ هذه المعاني وغيرها من الحماسة والفخر الفرديّ ؛ فَخُنَيْسُ بنُ الجَدِّ مثلُ زهيرٍ لا يأسىٰ إذا ما هَلَكَ ، لأنّه تَرَكَ لوَلَدِه من بعده خيراً ـ أو : خيلاً أصيلةً ـ وقد وَصَلَ بني هلالٍ أصحابَ أَعْوَجَ الفرس المشهور صلةً عظيمةً ؛ ثم إنّه يفتخِر بإقدامِه وجُرْأَتِهِ وجُرْأَةِ فَرَسِه (لُبنىٰ) ، إذ دَفَعَ بها حتّىٰ تَوَسّطت جيشَ أعدائهم الكثير ، مَعَ أنّهم قطعوا يده اليُسرىٰ ، فلم يَجِدْ فرساً خيراً منها[3] :

فَــإِنْ أَهْلِــكْ فَقَــدْ أَوْرَثْــتُ خَيْــراً وَقَــدْ أَعْظَمْــتُ وَصْــلَ بَنــي هِــلالِ
وَقَــدْ أَقْــدَمْــتُ لُبنــىٰ وَسْــطَ غَمْــرٍ لِتَمْنَعَهُــمْ وَقَــدْ قَطَعــوا شِمــالــي
فَلَــمْ أَرَ مِثْلَهــا صِلَــةَ ابْــنِ أُخْــتٍ وَلَــمْ أَرَ مِثْلَهــا إهْــداءَ خــالِ

وَرَبِيعةُ بن حصن بن مُدْلِجٍ يكفيهِ أن يُعْلِنَ عن اسْمَهُ حتّى يَعْرِفَ الرّجال مكانَتَهُ العظيمةَ ، لِشُهْرَتِه[4] :

وَلٰكِنّــي رُبَيِّعَــةُ بْــنُ حِصْــنٍ فَقَــدْ عَلِــمَ الفَــوارِسُ مَــا مَثَــابِــي

(١) الديوان ٤٠ .
(٢) انظر ص : ٢٨٠ .
(٣) الديوان : ٢٣٤ .
(٤) الديوان : ٢٩١ .

ويُقرِّر شَراحيل بن عبد العُزّىٰ أنّه أسَدٌ في إقدامِهِ وجُرْأَتِهِ ، وأنّ أباه ذلك الفارسُ المشهور[1] :

أَلَـمْ تَعْلَمـوا أَنِّـي أَنَـا اللَّيْـثُ عـادِيـاً وَأَنَّ أَبِـي الهِلْقـام فـارسُ كـامِـلِ

فالمَجْدُ وأسبابُه ممّا يَتَوارثُه الآباء والأَبناء ؛ في حين يذهَبُ عُرَينٌ اللّصُّ إلى الزَّعْمِ أنَّهُ غَزَا بَني حُبَيّ مِنَ الجِنّ ثَائِراً بأَخَويه اللَّذَيْنِ زَعَموا أَنَّ الجِنَّ اختطفَتْهُما ، فرأى أموراً مَهُولَةً ، غير أنّه لم يَرَ جِنّياً منهم سبعة أيّام ، ثمَّ عَرَضَ له في الثامِن جِنِّيٌّ بصورةِ ذَكَرِ نَعامٍ فَرماهُ فَقَتَلَهُ ، فنالَ بذلكَ ثأرَه[2]! :

أَلا مَـنْ مُبْلِـغٌ فِتْيـانَ قَـوْمـي بمـا لاقَيْـتُ بَعْـدَهُـمُ جَمِيْعَـا
بِـأَنّـي قَـدْ وَرَدْتُ بَنـي حُبَـيٍّ وَعَـايَنْـتُ المخـاوِفَ والفَظيعَـا
غَـزَوْتُ الجِـنَّ أَطْلُبُهُـمْ بِثَـأْري لأَسْقِيَهُـمْ بِـهِ سُمّـاً نَقِيعَـا
تَعَـرَّضَ لـي ظَليـمٌ بَعْـدَ سَبْـعٍ فَـأَرْمِيـهِ فـأَتـركـهُ صَـرِيعَـا

أَفَلا يَحِقُّ له بعدَ هٰذهِ الجُرْأَةِ وبعدَ إدراكِهِ الثأرَ مِن الجِنّ ـ بِحَسَبِ زَعْمِه ـ أَن يفتَخِرَ بأنّه يُقدِمُ ولا يَهابُ حتّىٰ ولَو تداوَلَ علىٰ قِتالِهِ الأبطالُ الأشدّاءُ ، وبأنّ له شرفاً سامياً ، وعزّاً مُقيماً ، ومَجْداً عالياً فوقه الجبال التي تبدو مُتواضِعةً ذليلةً أمامَه ، وأنّه وَرِثَ ذلك عن آبائِهِ وقومِه؟ :

وكنـتُ إذا القُـرومُ تَعَـاوَرَتْنـي جَـرِيْءَ الصَّـدْرِ مُعْتَـزِمـاً مَنِيعَـا
بَنـىٰ لـي مَعْشَـري وَجُـدودُ صِـدْقٍ بِـذِرْوَةِ شـامِـخٍ بَيْتـاً رَفِيعَـا
وَعِـزّاً ثـابِتـاً وظِـلالَ مَجْـدٍ تَـرىٰ شُـمَّ الجِبـالِ لَهـا خُضُـوعَـا

ويأبىٰ الحارثُ بنُ حِصْن ـ أَو ابنُه سُوَيد ـ أَنْ يَرْضىٰ بظلمه لا طَوْعاً ولا كَرْهاً

---

(١) انظر الديوان : ٢٤٥ .
(٢) الديوان : ٩١ .

أبداً ، إلاّ أنْ يأتيَ مُبْتغي ذلكَ بالمعجِزات ، فَيَنَالَ بيَدِه النجم أو يُزيلَ شَجَرَ المَرْخِ بجذورِه مِن جَبَلٍ صلدِ الصَّخْرِ[١] :

آلَيْتُ لا أُعطيكَ قَسْراً ظُلامَةً ... وَلا طائعاً ما قدَّمَتْ رِجلَها قَدَمْ
وَلا الدَّهْرَ حتّىٰ تَمْسَحَ النّجمَ قاعداً ... وَتَنْزِعَ أَصْلَ المَرْخِ من جانِبَيْ أَصَمْ

ويُحذِّر الرّقّاصُ خُثَيْمُ بنُ عَديّ قوماً فيهم وصاحِبُه (رُبَيْع) ، فلا ينبغي أن ينخدعوا بإكرامِه صاحِبَهُ فيُؤذوا الرّقّاصَ ، فكم مِن صديقٍ تخلّىٰ عن صديقه ، ولْيَعْلَموا أنّه لم يُولَدْ لأُمٍّ ضعيفةٍ نشّأته علىٰ الاستكانة مِن بني رُهْمٍ أو مِن عاملة ، وإنّما وَلَدتْه أمٌّ فيها شراسَةُ الخُلُقِ في يومٍ نجمُهُ نجمُ شراسةٍ يُكْسِبُها مَنْ وُلِدَ فيه ، أُمٌّ كأنّها أفعىٰ خبيثةٌ يُخشىٰ علىٰ لَديغها فيُعلِّق أَهْلُه الحَلْيَ عليهِ كي يُصوِّتَ فيمنعه من النوم فلا يدبّ السمّ فيه[٢] :

لا يَغْرُرْكُمْ مِنّي رُبَيْعٌ ... فقد يَنْأىٰ القَرينُ عَنِ القَرينِ
فَما أُمّي بِرُهْمٍ قد عَلِمْتُم ... وَلا بالعامِليّةِ ؛ فاحذَروني
ولٰكنّي وُلِدْتُ بنَجْمِ شَكْسٍ ... لِبَيْضاءِ الذّوائبِ حَيْزَبونِ
يَظَلُّ سَليمُها تَجْري عَلَيْهِ ... جُرُوسُ الحَلْيِ مُخْتَلِفَ الشُّؤونِ

فَهُو أَبِيٌّ لا ينبغي أن يجترىءَ عليه أحد ؛ وإذا كان الرّقّاص يأبىٰ الأذىٰ مِن قومٍ له فيهم صَديق ، فإنَّ حُرَيثَ بنَ عامِرِ بنِ الحارث يأبىٰ الأَذىٰ حتّىٰ مِن بَني عمّه قَطَن بن الحارث ، فَهُمْ أَرادُوا أن يسلبوهُ مالَه ، فلا بدّ له أن يُقابِلَ أَذاهم بأذىً مثلِه يشتِّتُهم به ، وإلاّ فقد كان خيراً له ألاّ تَلِدَه أُمّه[٣] :

أَرىٰ قَوْمي بَني قَطَنٍ أَرادوا ... بألاّ يَتْرُكوا بِيَدَيَّ مالا
فإن لم أَجْزِهم غَيْظاً بغَيْظٍ ... وأُوْرِدْهُمْ علىٰ عَجَلٍ شِلالا

---

(١) الديوان : ١٩٢ .
(٢) الديوان : ١٠١ .
(٣) الديوان : ٢٣١ .

فَلَيْـــتَ التغلبيّـــةَ لَـــمْ تَلِـــدْنـــي ولا أَغْنَـــتْ بِمـــا وَلَـــدَتْ قِبـــالا

ومِنَ الإباءِ تَرْكُ قبولِ الدِّيَةِ والإصرارُ علىٰ الثأر ، فالحارثُ بنُ حِصْنٍ يُقْسِمُ أَلاّ يَقْبَلَ دِيَةً بـ(مالِكٍ) ، وأنّه لا يرضىٰ بالنقيصةِ والنَّيْلِ مِن أَنَفَتِهِ حتى يموت[1] :

أَكُنْـتَ تَحْسِـبُ أَنِّـي قـابِـلٌ غِيـراً مِـنْ مـالِـكٍ؟ لا وَرَبِّ الحِـلِّ والحَـرَمِ
مـا كُنْـتُ أَقْبَـلُ ضَيْمـاً فـي مُحـافَظَـةٍ حَتَّـىٰ أُغَيَّـبَ فـي مَلْحـودَةِ الـرَّجَـمِ

ولذا كان الأخذ بالثأر مِن دواعي الفخر ؛ فامرؤ القيس بن عديّ العُلَيْميّ قَتَلَ رَجُلاً من بني شيبان في عُقْرِ دارِهم عندما تحدّث ذلك الرّجُل بأنّه قتلَ أبا سَخْطىٰ زيدَ مَناة بن مَعْقِلٍ العُلَيميَّ ، فأرسَلَ إلى أخي زيد مناة مُفْتَخراً بأنَّه نابَ عن قومِهِ في الثأر فأَيْتَمَ أبناءَ الشيبانيّ الذي أَيْتَمَ أَبْناءَ زَيْدِ مناةَ[2] :

أَبْلِـغْ أَبَـا أَفْعـىٰ عَـدِيَّ بْـنَ مَعْقِـلٍ وَقَدْ كنتُ شَوْلَ الرُّمْحِ إِذْ غابَ مَعْشَري
تَـرَكْـتُ يَتـامـىٰ لَـمْ أُبـالِ فُقـودَهُـمْ كَمـا لـم يُبـالـوا يُتْـمَ سَخْطـىٰ وجَعْفَـرِ

وعامر بن سَلَمَةَ ثأَرَ مِن قاتِلِ (مالِكٍ) ، فما زالَ يَعْلُوهُ بالسّيف حتّى مَزّق ثِيابَهُ وأَوصالَه ، وجَعَلَتِ الطّير الضّخمةُ تقعُ عليه تَقْتات مِن لحمه ، وقد غَطَّت الدماءُ وَجْهَه وسالَتْ كَما يَسيل الماءُ مِن صَدْعِ الجبَل[3] :

مـا زِلْـتُ أَضْـرِبُـه وأَنعـىٰ مـالِكـاً حتّـىٰ تَـرَكْـتُ ثِيـابَـهُ كـالخَيْعَـلِ
وَتَـرَكْـتُ مُسْنَـدَهُ ومَـوْضِـعَ رَحْلِـهِ طَيْـراً تَـوَقَّـعُ حَـوْلَـهُ كـالنُّـزَّلِ
تَجْـري الـدّمـاءُ علـىٰ محـاسِـنِ وَجْهِـهِ والنَّفْـسُ سَـاجِمَـةٌ كَمـاءِ المَفْصِـلِ

وإذا كان يزيد بن معاوية بن دُومان الهَمدانيّ قد خَرَم أنفَ عقيل بن مسعود في بعض أيّامهم فلَنْ يذهب سالماً منها دونَ ثأر ، وإذا غابَ يزيدُ ففي أبيهِ بَدَلٌ منه[4] :

---

(١) الديوان : ١٩٢ .
(٢) الديوان : ٤٠١ .
(٣) الديوان : ٢٤٨ .
(٤) الديوان : ١٣٧ .

مُعـاويَ إنِّـي قـد ذَهَبْـتُ بِـوَسْمَـةٍ مِـنِ ابْنِـكَ فـي وَجْهـي وليـسَ تَعيـبُ
فـإِنْ غـابَ يَـوْمـاً كُنْـتَ أَنْـتَ مكـانَـهُ وسَـوْفَ تَـرانـي يـومَ ذاكَ أَلُـوبُ

ومِن الإباء أيضاً حِمايةُ الجار ، وتكون حمايتُه أحياناً بتنبيهه على من يريد به شرّاً ، فعندما جاوَرَ بنو جديلة الطائيّون كلباً بعدَ حربهم مع إخوتهم بني الغَوْث وبَلَغَ أُبَيَّ بن عَرين ـ أو أباه عرينَ بنَ أبي جابر ـ أنّ الغَوْثَ يطلبون جديلةَ بجيشٍ ضَخْمٍ ، رَكِبَ جُنْحَ اللَّيْل إلىٰ جديلةَ ، فأخذوا حِذْرَهم وابتعدوا مُسرِعين من طريق عدوّهم القويّ ، ولولاهُ ما علموا بهم[1] :

أَبْلِـغ أبـا عمـرٍو وأَنْـ... ـتَ لَـدَيّ ذو النّعَـمِ الجَـزيلَـةْ
أَنّـا مَنَعْنـا أَنْ يُـذِلْـ... ـلَ جِـلادُ غَـوْثَ بَنـي جَـديلَـةْ
وَطَـرَقْتُهُـمْ لَيْلـي أُجِيـ... ـزُ إِلَيْهِـمُ وَمَعـي وَصيلَـةْ
وَصَـدَقْتُهُـمْ خَبَـري فَطـا... رُوا فـي بِـلادِهِـمُ الـرَّسيلَـةْ
لَـوْ شِئْـتُ مـا نَـذِرَ الخَميـ... ـسَ مِـنَ القبـائـلِ مِـن قَبيلَـةْ

وممّا يدعو للفَخْرِ قَتْلُ الأبطال في المعارك ، والنّيلُ مِن العدوّ ، والصَّبرُ علىٰ لقائه ، والتَّهَيُّؤُ له وإِعدادُ العُدّة لِلقائه ؛ فقد قَتَلَ امرؤ القيس بن بحر (أبا أوس شَمْلَةَ) بطعنةٍ نَفَذَت من جسمِه فترك فيه الرمحَ يَجُرُّه حتىٰ ماتَ فَكانَ جَزَراً للوحوش[2] :

طعنـتُ غـداةَ القـاعِ شَمْلَـةَ طعنـةً تَـرَكْـتُ أَبـا أَوْسٍ صَـريعـاً مُجَـدَّلا
وَأَجَـرَرْتُـهُ رُمْحـي فَغُـودِرَ ثـاوِيـاً عَلَيـهِ سِبـاعُ القـاعِ يَـرْدِيـنَ حُجَّـلا

وشَراحيلُ بن عبد العزّىٰ أَلْزَمَ فرسَهُ (حُدَيرةَ) الصَّبْرَ في لقاء بني القَيْن[3] :

صَبَـرْتُ لَهُـمْ حُـدَيـرةَ يَـوْمَ مَثْـرٍ وَقَـدْ حَشَـدَتْ بنـو القيـنِ بـنِ جَسْـرِ

---

(١) الديوان : ١٥٥ .
(٢) الديوان : ٢٦٦ .
(٣) الديوان : ٢٤٥ .

وإذا كانَ الكِبَرُ قد أَلْزَمَ امرَأَ القيس بن حُمامٍ المكوثَ في البيت لا غَناءَ له ، فإنّه لم يكن كذلكَ حينما كان يغزو العدوّ فيعود إلىٰ قومه بالغنيمة الكبيرة من الإبل الّتي تكادُ شدّة اختلاطِ أصواتها وعلوِّها تذهَبُ بالأسماع ، وليس مثلَ بعض الرجال الضّعفاء الجبناء[1] :

فَـرُبَّ نَهْـبٍ تُصِـمُّ القَـوْمَ رَجَّتُـهُ أَفَـأْتُـهُ ، إِنَّ بعـضَ القَـوْم عُـوّارُ

وقد أعدّ جبّار بن قُرْط عدّتَه للقاء العدوّ : فَرَساً يُلازِمه ، ورُمحاً أفضل من سائر الرّماح[2] :

أَلا أَبْلِـغْ أَبـا كَـرْبٍ رَسُـولاً مُغَلْغَلَـةً وَلَيْسَـتْ بـالمُـزاحِ
فَـإِنِّـي لَـنْ يُفَـارِقَنـي دُبـاسٌ وَمُطَّـرِدٌ أَحـدُّ مِـنَ الـرِّمـاحِ

ويفتخر العُبيد بن عامر بأمرٍ آخر ، وهو قدرتُه علىٰ اسْتِمالَةِ النّساءِ حتّىٰ ذوات الأزواج المغايير ، ورُكُوبُه الناقةَ الضخمةَ الطويلةَ وانطلاقُهُ ليسَ علىٰ رأسِه ما يقيه الشمس سوىٰ ردائه يلفُّه على رأسِه[3] :

وَزَوْجَةِ مِغيارٍ وَصَلْتُ ، وَجَسْرَةٍ عَجَـرْتُ عليهـا لِمّتـي بِـرِدائيـا

في حين يفخر مالك بن جَناب بأنّه يتغافَلُ عن كلمة السُّوءِ تَرَفُّعاً كأنَّه لم يسمَعْها حتّىٰ يُظَنّ به الصَّمَمُ ، مع أنّ سمعَه شديد[4] :

أَصَـمُّ عَـنِ الخَنـا إنْ قيـلَ يَـوْمـاً وفـي غَيْـرِ الخَنـا أُلْفـىٰ سَميعَـا

وكانَ هٰذا البيت سبباً لتلقيبه بالأصمّ .

ذلكَ إذاً ما كانَ في شعرهم الجاهليّ من فخر وحماسة ، وقد رأيناه علىٰ ضربينِ : قبليّ وفَرْديّ ، ويمكننا ملاحظة آثار حياة المجتمع الجاهليّ في هذا

---

(١) الديوان : ٨١ .
(٢) الديوان : ٢٢٩ .
(٣) الديوان : ١٦٧ .
(٤) الديوان : ٣١٠ .

الشعر ، فذلك المجتمع الذي لا سلطانَ يجتمع عليه النّاس يأخذ للمظلوم الحقّ من الظالم ، ويقتصّ من المعتدي ، ويردّ الباغي ، لا بدّ أن يكون السيفُ والقوّة سلطانَه وحَكَمَه ؛ فحين لا يُنجي الخيرُ تَرىٰ الشرّ يُنجي ، وحين لا يرضىٰ الخَصْم بالإنصاف لا بدّ مِن إرغامِه عليه بالمُواجَهة ، ولا غِنى للإنسان في هذا العصر عن أن يكون مَنيعاً ، أبيّاً ، متهيئاً لعدوّه في كلِّ حين ، ذلك أنَّ العاجِزَ الضّعيفَ عن منع نفسِه وأهلِه ومالِه يَكُونُ طُعْمَةً للآخرين ؛ ولا بأسَ حين يغلِب الغالبُ أن يَسْبِيَ نساءَ المغلوب ويغنم مالَه ، وإذا لم يستطع المرء أن يثأر مِن واتِرِه فلا بأسَ أن يثأرَ من أخيه أو أبيه أو بعض عشيرته أو بعض القبائل التي تَمُتُّ إلى عشيرته بِصِلة .

وثمّة ملاحظةٌ أُخرىٰ ، وهي أنّ عَدَدَ القِطَعِ التي وَرَدَ فيها الفرديُّ مِن فَخرِهم وحماستهم أكبر مِن تلكَ القِطَع التي وَرَدَ فيها القبليّ ، وهو أمرٌ مُثيرٌ للاستغراب لأوّل وَهْلَةٍ ، ذلك أنَّ الجانِبَ الفَرْديّ في الفخر الجاهليّ عُرِفَتْ له بعض الآثار ، « إلاّ أنّها كانت ضئيلةً جدّاً إذا ما قُورِنَتْ بالفخر القبليّ في أشعارهم ، وأكثر ما كان يتبدّىٰ ذلك الطابع الفرديّ في أشعارِ جماعة ممّن كانوا يتألّمون لظُلْمِ القَبيلةِ إيّاهم ، أو عدم اعترافها بحرّيّتهم أو أنسابهم ، وذلك أمثال طَرَفة بن العبد وعنترة بن شدّاد »[(١)] ، حتّىٰ إذا ما نظرنا في عدد الأبيات في كلّ ضَرْبٍ منهما وَجَدْنا أنّ الفرديّ بلغ واحداً وستّين بيتاً ، والقبليّ بلغ ثمانية وستين بيتاً ؛ وعندئذٍ ندرك أنّ هذا الموضوع لم يخرج عن هذا الحكم النقديّ ، ولا سيّما إذا تذكّرنا أنَّ ما وَصَلَ إلينا من شعرهم لا يمثّل إلاّ جزءاً يسيراً جدّاً منه .

وأمّا **شعر الحماسة والفخر لشعراء بني كلب بعد الإسلام** ففيه كذلك كلا الضَّربين : القبليّ والفرديّ ؛ ويرجع معظم **القبليّ** إلىٰ عدد من الوقائع والفِتَن الداخلية المشهورة التي ظهرت في الدولة العربية الإسلاميّة بعد مقتَلِ عثمان بن عفّان ، وهي : وقعة صفّين بين عليّ ومعاوية وكانت كلب مع معاوية ، ويوم مَرْج

---

(١) العجّاج، حياته ورجزه: ٢٦٦ .

راهط بين الضحّاك بن قيس الفهريّ ومروان بن الحكم وكلبٌ مع ابن الحكم ، وأيّام العصبيّة القبليّة بين كلب وقيس عيلان التي أجّجَها يومُ المرج ، والثورة بِالوليد بن يزيد بن عبد الملك التي قادَها ابنُ عمّه يزيدُ الناقص بن الوليد ، وما أعقب ذلك مِن أحداثٍ واضطراباتٍ انتهت بسقوط دولة بني أُميّة ؛ وثمّة أبيات ومقطّعات أُخرىٰ من الفخر والحماسة القبلية لا ترتبط بهذه الفتن والوقائع ، وهي قليلة نسبيّاً .

ولم يصل إلينا من وقعة صفّين إلاّ ثلاث مقطَّعات لمرّة بن جنادة ، نجده يحرّض في أُولاها بني كلبٍ علىٰ الحرب والدّفاع عن نسائهم ، وعلى الصّبر على شدَّتها[1] :

يا كَلْبُ ذُبُّوا عَنْ حَرِيمِ نِسائِكُمْ كَمَا ذَبَّ فَحْلُ الشُّولِ بَيْنَ عِشارِها
وَلا تَجْزَعوا ، إنَّ الحروبَ لَمُرَّةٌ إذا ذيقَ منها الطّعْمُ عندَ زِيارِها

ثم يصوّر ما أعدّ لهم عليّ مِن فتيانٍ أشدّاد لا يتثاقَلونَ إذا ما دُعوا .

ويفتخر في الثانية افتخاراً غير مباشر ، فهو يطلب من امرأةٍ ما أن تسألَ عن بلائهم حين انتشر بنو بكر بن وائل مع عليّ بأسلحتهم المُعَدَّة : سُيوفاً قاطعةً مَسْنونة ، ورماحاً خفيفةً يهزّونَها مثلما يهزّ الجلاّءُ سيفاً يصقُله ، وخيلاً قويّةً تَثِبُ بالفرسانِ المُدَجَّجة[2] :

أَلاَ سَأَلْتِ بنا غداةَ تَبَعْثَرَتْ بَكْرُ العِراقِ بكُلِّ عَضْبٍ مِقْصَلِ
بَرَزوا إِلَيْنا بالرِّماح تَهُزُّها بَيْنَ الخنادِقِ مثلَ هَزِّ الصَّيْقَلِ
والخيلُ تَضْبِرُ في الحديدِ كَأَنَّها أُسْدٌ أصابَتْها بِلَيْلٍ شَمْأَلُ

ويُعْجَبُ في الثالثة بِما كان مِن جَماعتهم في ساحة الحرب حيث تجول الخيل وقد علاها الغُبار[3] :

للهِ دَرُّ عِصابَةٍ في مَأْقِطٍ شَهِدوا مَجَالَ الخَيْلِ تَحْتَ قَتامِهَا

---

(١) الديوان : ٣٣٦ .
(٢) الديوان : ٣٣٦ .
(٣) الديوان : ٣٣٧ .

ثمّ يصف في سائر الأبيات قوّةَ فرسان عليٍّ وبذلَهم أنفسَهم وإقدامَهم في الحرب ، وذٰلكَ لأنّ تصوير قوّة الخَصْم يحمل في طيّاته تصويراً لِقُوّةِ مَن نهض لمحاربته .

وكان يوم مرج راهط أشدّ تأثيراً في شعرهم من غيره ، وفي شعر قيس عيلان كذلك ، إذ كان بنو كلبٍ القوّة الرئيسيّة مع مروان بن الحكم ، وبهم كان انتصارُه علىٰ الضحَّاك وتسعة آلاف رجل من قيسٍ ، منهم ثمانون رجلاً مِن الأشراف الذين كان عطاؤُهم عند بني أميّة أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ مع قَطيفةٍ ، وانهزمت قيس عيلان شرَّ هزيمة[1] ؛ فأكثَرَ شعراءُ كلبٍ من الفخر بهذا اليوم ، وكثيراً ما امتزجَ الفخر بهجاء قيس عيلان ، أو بمعاتبة بني أميّة معاتبةً شديدةً تدخل في باب الهجاء حينما أَلانُوا الجانِبَ لقيس عيلان وأظهروا الجفاءَ لبني كلب أو لبعضهم .

فهذا عمرو بن مخلاة يفتخر بأنّهم هم الّذين أرجَعوا الخِلافة لبني أميّة بمروان بن الحكم بعدَما سارت الرُّكبان بمبايعة ابن الزّبير ، ولولا قيامهم بامرِه ما نالَها[2] :

رَدَدْنـا لِمَـرْوانَ الخِـلافَـةَ بَعْـدَمـا ... جَـرىٰ للـزُّبَيْـرِيِّـنَ كُـلُّ بَـريـدِ
فَـإلاَّ يَكُـنْ مِنَّـا الخليفَـةُ نَفْسُـهُ ... فَمـا نَـالَهـا إلاَّ وَنَحْـنُ شُهـودُ

ويرىٰ ابنُ مخلاة في كثرة قتلىٰ قيس إذهاباً للغَيْظ ، تلكَ القَتلىٰ التي لم تَجِدْ مَنْ يقومُ بدَفْنِها ، فظلّت طعاماً للذّئاب التي تأكل منها حيناً بعدَ حين ، وقد قتلَهم شجعانُ كلبٍ الذين تُحمىٰ بهِم نارُ الحرب ، وهم علىٰ خيلهم المضمَّرة التي تنتقل من ساحة حرب إلى أُخرىٰ فتبقىٰ أجلالُها نديّةً دائماً ؛ فجعلوا مكان قيس من المرج مُباحاً ، قُتِلَ فيه مَنْ قُتِلَ ، وتولّىٰ هَرَباً مَنْ تولّىٰ ، وأُحْرِزَ ما تركوا فيه[3] :

شَفىٰ النَّفْسَ قَتْلىٰ لَمْ تُوَسَّدْ خُدودُها ... تُلِـمُّ بهـا طُلْـسُ الـذّئـابِ وسُـودُهـا
بـأَيـدي كُمـاةٍ فـي الحـروبِ مَسـاعِـرٍ ... عَلَـىٰ ضـامِـراتٍ مـا تَجِـفُّ لُبـودُهـا
أَبَحْنـا حِمَـىٰ الحَيَّيْـنِ قيـسٍ بـراهـطٍ ... وَوَلَّـتْ شِـذاذاً واسْتُبيـحَ شَـريـدُهـا

---

(١) انظر العصبيّة القبليّة : ٢٩٩ـ٣٠١ ، وكذلك الحديث عن هذا اليوم فيما سبق من هذا البحث : ٩١ ـ ٩٥ .
(٢) الديوان : ٤٧١ .
(٣) الديوان : ٤٧١ .

ولا يَغيبُ عن فِكْرِ ابن مخلاةِ الفخرُ في قصيدةٍ أُخرىٰ بما تَرَكَ يومُ المَرْج ، فكم مِن رايةٍ لقيس عيلان قد سقطت ، في حين بقيَتْ راياتُ كلبٍ عاليةً تخفق ، وكم مِن قَتيلٍ جرىٰدمُه علىٰ الأرضِ حتىٰ بَقِيَتِ الدّماءُ في المَرْجِ مُستنقِعَةً كما يَستنقِعُ الماءُ لكثرتِها علىٰ مرور الأيّام[1] :

وَيَـوْمٍ تُـرىٰ الـرّايـاتُ فيـهِ كَـأَنَّهـا ... حَـوائـمُ طَيْـرٍ : مُسْتَـدِيـرٌ ووَاقِـعُ
خَـلا أَرْبَـعٌ بعــدَ اللّقــاءِ وأَرْبَــعٌ ... وَبـالمَـرْجِ بـاقٍ مِـنْ دَمِ الجَـوْفِ نـاقِـعُ

ويذهب ليذكُرَ بعضَ الأشراف الذينَ قَتَلوهم ، منهم : بشر بن يزيد المُرِّيّ القَيسيّ ، وثابتُ بن خُوَيلِدٍ البَجَليّ ، وحَزْنُ بنُ عمرو النُّمَيْريّ القيسيّ ، الّذين نالتهم رماحُ كلبٍ فأصابوا بقتلهم عشائرَهم لأنّهم رؤساءُ فيهم ، ولولا سرعةُ فَرَسِ (حُبَيّشٍ) لَما نجا منهم بعدَما قطعوا أصابِعَ يُمناه ، ولَمْ يُغْنِ عَن زيادِ بنِ عمرو العُقَيْليّ القَيْسيّ هَرَبُه شيئاً إذ أدركته رماح كلبٍ ونالته من خَلْفٍ ، كما نالت سيوفُهم ثَوْرَ بنَ مَعْنٍ السُّلَمِيّ القيسيّ فأردَتْهُ ، ولم يستطع عمرو بن مُحْرِزِ الأشجعيّ القيسيّ فِراراً وضاق عليه المرجُ بما رَحُبَ حتّى قُتِلَ ، وقُتِلَ همّامُ بنُ قَبيصة النُّمَيْريّ القيسيّ بسيف الوازع بن ذؤالة الفتى التامّ الخَلْق الشجاع :

أَصابَتْ رِماحُ القَوْمِ : بِشراً ، وثابتاً ... وحَـزْنـاً ، وكـلٌّ للعشيـرةِ فـاجِـعُ
ونجّـىٰ حُبَيّشـاً مُلْهِـبٌ ، ذو عُـلالَـةٍ ... وقَـدْ حُـزَّ مِـنْ يُمنـىٰ يَـدَيـهِ الأَصَـابِـعُ
طَعَنّـا زيـاداً فـي استِـهِ وَهْـوَ مُـدْبِـرٌ ... وثَـوْراً أَصَـابَتْـهُ السُّيـوفُ القَـواطِـعُ
وَقَـدْ شَهِـدَ الصَّفَّيْنِ عمـرو بـنُ مُحْـرِزٍ ... فضـاقَ عليـهِ المَـرْجُ والمَـرْجُ واسِـعُ
وَأَدْرَكَ هَمّــامــاً بــأبيــضَ صــارِمٍ ... فَتـىً مِـنْ بَنِـي عَمْـرٍو طُـوالٌ مُشـايِـعُ

ثم نراه بعدَ أن مَدَحَ الوازعَ وهجا قيساً ببعض الأبيات يَرجِعُ لِيَسْتَذكِرَ ما كانَ ساعةَ تَصَافَّ الجيشان ، فتقدّمت قيسٌ بصفوفها الكثيرة نحوَهم فما جَزِعوا ولكنْ صَبَرُوا قائلين لأنفسهم : لا بدَّ أن يكونَ ما قدّر الله ، وخاطبوا قيساً ينبّهونهم على

---

(١) الديوان : ٤٧٤ .

أنهم ذوو قوّةٍ وعزيمة في المجالدة عن دينهم وشرفهم :

وَلَمّـا زَحَفْنـا بـالصُّفـوفِ فَـأَقْبَلـوا إِلَيْنـا فقلنـا : اليَـوْمَ مـا حُـمَّ واقِـعُ
وَقُلْنـا : سَلُـوا الأَقْـوامَ عَنَّـا وَعَنْكُـمُ عَنِ الدِّينِ والأَحسابِ كَيْفَ نُماصِعُ

وكان زفر بن الحارث الكلابيّ أَحدَ رؤساء قيس عيلان وفرسانها وشعرائها ، فلمّا وقع يومُ المرج كان ممّن نجا بنفسِه ، فقال قصيدةً اعتذر فيها عن فراره وبكى قتلى قيس ، ودعا بالسلاح للحرب ، فأجابَهُ عن قصيدته تلك عمرو بن مخلاة وجوّاس بن القعطل ، وافتخرا عليه بقصيدتَيْن امتزج فيهما الفخرُ بالهجاء امتزاجاً يصعُب الفَصْلُ بَيْنَهما في قصيدة عمرو ؛ فأمّا عمرو بن مخلاة فرأىٰ أنّ بكاء زفر على قتلاهم براهط لا ينقطع لكثرة القتلىٰ ، وتُرَدِّد معه البكاءَ البُومُ والهامُ ليلاً تَزْقو داعيةً للثأر بالقتلى التي تراها متروكةً في القِفار ، ثمّ بَيَّنَ مُفتخراً أنّهم هم الذين جعلوا مِن مَكان قيس في المرج مُباحاً : قتلوا فيه مَنْ قُتِلَ ، وهَرَبَ مَنْ هَرَب ، وأُحْرِزَ ما كانوا يُقاتِلونَ عنه ويجعلونه مُحَرَّماً[١] :

بَكىٰ زُفَـرُ القَيْسـيُّ مِـن هُلْـكِ قَـوْمِـهِ بِعَبْـرَةِ عَيْـنٍ مـا يَجِـفُّ سُجـومُهـا
يُبَكِّـي علـىٰ قَتْلـىٰ أُصيبَـتْ بِـراهِـطٍ تُجـاوِبُـهُ هـامُ القِفـارِ وبُـومُهـا
أَبَحْنـا حِمـىً للحَـيِّ قَيْـسٍ بِـراهِـطٍ وَوَلَّـتْ شِـلالاً واسْتُبِيـحَ حَـرِيمُهـا

وقد مَرَّ بِنا غِناؤه مفتَخِراً بإباحتهم حِمىٰ قيسٍ في أبياته الدّاليّة التي سبقت ، ثمَّ يرى ابنُ مخلاة أنّ زُفَر يبكي على قومه وقد أحرقَ الحُزْنُ كَبِدَه ، ويأمُلُ أن تَرْجِعَ عقولُ قبائل نزارٍ إليهم بعدَما أطارتها شدّة الواقعة على قيس التي تنتمي إلى نزار فيثأروا مِن كَلْبٍ ؛ فَلْيَقْضِ الحُزْنُ علىٰ زُفَر أَو فَلْيَحْيَ مَقهوراً لأنَّ نزاراً لن تقدر على ذلك ، كيفَ وهٰذه قضاعةُ كلُّها بأيديها رماحُها تَتَبَخْتَرُ بها ترفعها وتخفضُها خابطةً الأرض بأرجُلِها كِبْراً وأَنَفَةً كما تخبِطُها فحولُ الإبل التي حَمَتْ ظهورَها أن تُركَب؟ فلو أنَّ قبيلةً ما أرادت كلباً بالهَوان لأَذَلُّوها ، فأيُّ قَبيلةٍ تلك التي تجرؤ على إرادتها بشرٍّ؟ :

---

(١) الديوان : ٤٧٨ .

يُبَكِّيهِمُ حَرّانَ تجري دُموعُهُ | يُرَجّي نزاراً أن تَؤوبَ حُلومُها
فَمُتْ كَمَداً أو عِشْ ذَليلاً مُهَضَّماً | بحَسْرَةِ نَفْسٍ لا تَنامُ هُمومُها
إذا خَطَرَتْ حَوْلي قُضاعَةُ بالقَنا | تَخَبَّطُ فِعْلَ المُصْعَباتِ قُرومُها
خَبَطْتُ بِهِمْ مَنْ كادَني مِنْ قبيلَةٍ | فَمَنْ ذا إذا عَزَّ الخُطوبُ يَرومُها

وأمّا جوّاس فبعدما نقضَ على زُفَرَ بعضَ كلامِه راحَ يسخَرُ منه وينقض عليه دعاءَه أن يؤتى بسِلاحه ، ذلك أنّه انكَفَأَ وفرَّ عندما أبصر سيوف بني جنابِ الكلبيّين وخيلَهم التي عَلَتْها أسودٌ تُلَبّي دعوة الداعي وقد سدّدت رماحها ووجّهتها إلى فرسان العدوّ[1] :

دَعا بسِلاحٍ ثمّ أَحْجَمَ إذ رأىٰ | سُيوفَ جَنابٍ والطِّوالَ المَذاكِيا
عَلَتْها كَأُسْدِ الغابِ فِتيانُ نجدةٍ | إذا أَشْرعوا نحوَ الكُماةِ العَواليا

وعندَما تذكّر بعضُ شعراء قيس ثارات يَوْمِ المَرْج نهض له جوّاس بقصيدة مزج فيها الفخر بالهجاء ، فبنو كلبٍ هم الذين قتلوا القتلى من سُلَيْم ، وكلابٍ ، وبني بدرٍ الفزاريّين ، وعبسٍ ، من قيس عيلان ، فأذلّوا ذلك الشاعر وغيرَه مِن قيس ؛ وإذا كان ذلك الشاعر قد تذكّر الثّارات فإنها ثاراتٌ لا تنتهي إلى يوم القيامة ، لأنّ قاتليهم مِن كلبٍ قومٌ أشدّاءُ كثيرون تَغَصُّ بهم الأرض ، ولقد كان لهذا الشاعر ولقومه قيسٍ فيما سَلَفَ عِبْرَةٌ ، إذ قاتَلوا كَلْباً فرأوا منهم ما أغاظَهم وأحزنَهم[2] :

هُمُ قَتَلوا بِراهِطَ جُلَّ قيسٍ | سُلَيْماً والقَبائلَ مِنْ كِلابِ
وَهُمْ قَتَلوا بَني بَدْرٍ وَعَبْساً | وَأُلْصِقَ حُرُّ وَجْهِكَ بالتُّرابِ
تَذَكَّرْتَ الذُّحولَ فَلَنْ تُقَضّى | ذُحولُكَ أو تُساقَ إلى الحِسابِ
إذا سارَتْ قَبائلُ مِن جَنابٍ | وعَوْفٍ أَشْحَنوا شُمَّ الهِضابِ
وَقَدْ حارَبْتَنا فَوَجَدْتَ حَرْباً | تُغِصُّكَ حينَ تَشْرَبُ بالشَّرابِ

---

(١) الديوان : ٤٦٦ .
(٢) الديوان : ٤٤٣ .

وكان الوازعُ بنُ ذُؤالة الكلبيّ قد قَتَلَ يومَ المرجِ همّامَ بنَ قَبيصةَ النُّمَيْرِيَّ سيِّدَ نُمير وأحد رؤساء قيس يومذاك ، فَبَدَا للوازع من بعض بني أميّة ما ساءَه ، فذهب يُعاتِبُه ، وجعل مُعاتَبَتَهُ مُدْخلاً للفجر بقضاعة وفرسانها الذين أبلَوْا مع بني أميّةَ يوم المرج أحسن البلاء ، يومَ جاءَ الموتُ يسوقُ أمامَهُ الفرسانَ الشجعانَ من أعداء بني أميّة ، فصمدت لهم قضاعةُ أصحاب الخِصال الحميدة ، الّذينَ إذا أَقْبَلَتِ الحَرْبُ كالناقة اللاّقح لا يُدْرىٰ ما تأتي به لم يفرّوا منها ، بل تراهم يستدرُّونها بسيوفهم وأيديهم الطويلة الثابتة القويّة ، ذلك لأنّهم يعلمون أنَّ الموتَ لا بدّ منه ، وإن كانَ في الناسِ مَنْ يُحاذرُ مِنَ الموت بالفرار ؛ ثمّ افتخر بكثرة الأشراف الذين قطّعتهم سيوفُ قضاعة والّذينَ لم يجدوا مَفَرّاً[1] :

أَتَنْسىٰ الّـذي أَسْـدَيْتُـهُ يـومَ راهِـطٍ ... وَقَدْ ضاقَ عَنْكَ المَرْجُ والمَرْجُ واسِعُ
وأَقْبَـلَ حـادي المَـوْتِ يَحْـدو مُشَمِّـراً ... بِفُـرْسـانِ حَـرْبٍ لَـمْ تَـرُعْهـا الـرّوائـعُ
عَلَتْهـا قُـرومٌ مِـنْ قُضـاعـةَ سَـادةٌ ... لَهُـمْ شِيَـمٌ مَحْمُـودةٌ وَدَسـائـعُ
إذا لَقِحَـتْ حَـرْبٌ مَـرَتْهَـا سُيُـوفُهـم ... وَأَيْـدٍ طِـوالٌ لَـمْ تَخُنْهـا الأَشـاجِـعُ
يَـرَوْنَ وُرودَ المَـوْتِ حَقّـاً عَلَيْهِـمُ ... إذا حـادَ عَـنْ وِرْدِ المَنـايـا المُخـادِعُ
فَكَـمْ مِـنْ كَـريـمٍ قَـدْ تَـرَكْنـا مُلَحَّبـاً ... وآخَـرَ قَـدْ سُـدَّتْ عَلَيْـهِ المطـالِـعُ

ورأى الأحمر بن شجاع انصرافاً من بني مروان عنهم وقِلّة شُكْرٍ لبلائهم ، فعاتَبَهُم عتاباً يدخلُ في بابِ الهجاء ، وبدأه مُفْتَخِراً بأنّهم هُمُ الّذِينَ صَرَّعوا يومَ المرج قيس عيلان ، فتركوا أصواتَ نسائهم عاليةً بالبكاء والصياح كاشِفاتٍ عن رؤوسهنّ ، وقد صَرَّعَتْ رِجالَهُنّ أبطالُ كلبِ الذين قَدِموا بكتيبةٍ يعلوها السّوادُ لكثرةِ دروعها ، ويزيغُ بَصَرُ الناظرِ إليها خوفاً مِن كثرتها[2] :

وَنَحْـنُ صَقَعْنَـا قَيْـسَ عَيـلانَ صَقعَـةً ... بَكَتْهَـا معـاوِيـلٌ مِـنَ الثُّكْـلِ حُسَّـرُ

(١) الديوان : ٦٢٩ .
(٢) الديوان : ٥٣٦ .

بجَـأْواءَ تُغْشِـي النَّـاظِـريـنَ كَـأَنَّهـا   دُجىٰ اللَّيْلِ، بَلْ هِي مِنْ دُجى الليل أَكْثَرُ
فَـإِنْ تُنْكِـرَنْ مَـروانُ حُسْـنَ بَـلائِنـا   فَكُـونَـنْ أَخـاهـا حيـنَ تَخْشىٰ وَتُـذْعَـرُ

ولم يكُن أَثَرُ يومِ المَرْجِ مقتصِراً على هٰذا الشعر الذي افتخرت به كلبٌ على قيس عيلان ، ولا على ذلك الشعر الذي قاله شعراء قيْس ، بل إنّه تركَ أثراً في حياتِهم ، إذ أَنشب نار العصبيّة بينهما ، فكانت بينَهم وقائعُ استمرّت حتى استقام الأمرُ لعبد الملك ، وقد سبق الحديث عنها فيما سلف من هذا البحث[١] ، فأنتجت هذه العصبيّة وأيامُها أشعاراً كثيرةً لدى شعراء كلب وشعراء قيس على السّواء ، فهذه هند الجُلاحيّةُ راحت تُحَمِّسُ قومَها وتحرّضُهم على الثأر بِمَنْ قَتَلَ عُمَيْرُ بنُ الحُباب السُّلَمِيُّ يومَ الإكليل ، فتسأَلُ : هل ثمّةَ مَن يثأر بهم من بطون كلب ، من عامر وعبد وَدّ وجَناب وغيرهم ، فإن لم يكن فيهم ثائرونَ فجعلهمُ اللهُ عبيداً لبني كِلابٍ وغيرهم من قيس عيلان ؛ ثمّ تسأَل : كيف تطيب لهم الحياة وَمَلَذّاتُها بعدَ مَنْ قُتِلَ مِن بني الجُلاح الكلبيّين ودُفِنَ عند بئر كوكب[٢] :

أَلا هَـلْ ثـائِـرٌ بـدمـاءِ قَـوْمٍ   أَصـابَهُـمُ عُمَيْـرُ بـنُ الحُبـابِ؟!
وَهَـلْ فـي عـامـرٍ يَـوْمـاً نَكِيـرٌ   وَحَيَّـيْ عَبْـدِ وَدٍّ أَو جَنَـابِ؟!
فـإِنْ لَـمْ يَثْـأَرُوا مَـنْ قَـدْ أَصَـابُـوا   فَكـانُـوا أَعْبُـداً لِبَنِـي كِـلابِ!
أَبَعْـدَ بَنِـي الجُـلاحِ وَمَـنْ تَـرَكْتُـمْ   بِجَـانِـبِ كَـوْكَـبٍ تحـتَ التُّـرابِ
تَطِيـبُ لِغـائـرٍ مِنْكُـمْ حَيـاةٌ؟!   أَلا لا عَيْـشَ لِلحَـيِّ المُصـابِ!

وكانَ أَكثَرُ فَخْرِهم مِمّا جَرّت إليه هذه العصبيّةُ بما قامَ به حُمَيْد بن حُرَيث بن بحدَل حين اجتمعت عليه كلبٌ فأوقع بعدوهم عدّة مرّات ؛ فمن ذلكَ قصيدة لِعُفَيْرَةَ بنت حسّان تفخر بإيقاع حُمَيْدٍ بعُمَيْرِ بنِ الحُباب السلميّ ومَنْ معه من سُلَيْم وغيرها مِن قيس يومَ دُهمان ، فقد تقدّمت إليهم كلبٌ بجيش ضَخْمٍ يُسَوِّي الآكام المرتفعةَ

---

(١) انظر ص: ٩١ ـ ٩٥.
(٢) الديوان: ٦٤١.

بالأرضِ المستويةِ إذا ما سارَ عليها ، وله صَخَبٌ وجَلَبَةٌ لكثرته وكثرة سلاحِهِ ، يَمُرّ على الأرض فيذهب بما فيها من نبات ويطحنه فلا يَدَعُ مرعىً للخيل ولا للجمالِ ، فطرد هذا الجيشُ قيساً مِن البادية إلى الجزيرةِ حيثُ البَعوضُ والذّباب[1] :

سَمَتْ كَلْبٌ إلىٰ قيسٍ بِجَمْعٍ ... يَهُدُّ مَناكِبَ الأَكَمِ الصِّعابِ
بِذِي لَجَبٍ يَدُقُّ الأَرْضَ حَتَّىٰ ... يُضَايِقُ مَنْ دَعَا بِهَلا وَهابِ
نَفَيْنَ إلىٰ الجَزيرةِ فَلَّ قَيْسٍ ... إلىٰ بَقٍّ بِها وإلىٰ ذُبَابِ

وتعودُ بعدَ أنْ تهجو عُمَيْراً وتصف فرارَه من المعركة لتفتخر بتَنْكيلِ حُمَيْدٍ وجيشه بعدوّهم ، فتحمَدُ اللهَ الذي رمىٰ بني سُلَيم يومَ دُهمان بفارس بني جناب الذي انقضّ عليهم كالصقر ، فقتل هو وجيشه رجالَهم وخَلَّوْا نساءَهم الجميلات دونَ أزواجٍ لا حاجةَ لهنّ إلىٰ الزّينة ، وما إن يُذْكَرُ اسمُ حُمَيْدٍ حتّىٰ يُذَكّرهنّ بقتلاهنّ ، فترتفع أصواتهن بالنّواح :

حَمِدْتَ اللهَ إذْ لَقّىٰ سُلَيْماً ... عَلَىٰ دُهْمانَ صَقْرَ بَنِي جَنَابِ
تَرَكْنَ الرُّوقَ مِن فَتَياتِ قَيْسٍ ... أَيامىٰ قَدْ يَئِسْنَ مِنَ الخِضَابِ
فَهُنَّ إذا ذَكَرْنَ حُمَيْدَ كَلْبٍ ... نَعَقْنَ بِرَنَّةٍ بَعْدَ انْتِحابِ

وتستنتج من موقفهم هذا أنَّ خيرَ ما يُساق به العدوُّ مُرْغَماً أَسنّةُ الرّماح ، وخير مَنْ يُدْرَك بهم الثأر الرّجال الغاضِبون ، كما فَعَل بنو كلب بقيسٍ الذي قتلوا فرسانَها فأذلّوها وتركوها تَغَصُّ بالماء إذا ما ذُكِرَ حُمَيْد :

فَلَمْ أَرَ لِلْمَقادةِ كالعَوالي ... وَلا للثَّأْرِ كالقَوْمِ الغِضَابِ
أراقَ البَحْدَلِيُّ دِماءَ قَيْسٍ ... وأَلْصَقَ خَدَّ قَيْسٍ بالتُّرابِ
مَتَىٰ تَذْكُرْ فتىٰ كلبٍ حُمَيْداً ... تَرَ القَيْسِيَّ يَشْرَقُ بالشَّرابِ

ويفتخر يحيى بن مُعاذ بإيقاع بني جَناب ببني سُلَيم وعامرٍ في رسالةٍ شعرية بعث بها إلى زُفَر بن الحارث الكلابيّ العامريّ وعُمَيْر بن الحُباب السُّلَميّ ، وهو يشير

---

(١) الديوان : ٥٦٣ .

بتوجيهها إليهما إلى أنّ ذلك كان ثأراً بما كانا يفعلان بأهل البادية مِن كلب ؛ فقد حاربهم بنو جَنَاب بسيوف مسنونة حتىٰ فرّقوهم فولَّوْا هاربين ، فهم أهلٌ للفِداءِ بالمال والمُهْجَة ، إذ قتّلوا سادةَ سُلَيْمٍ وعامر وجعلوهم جَزَراً للسّباع ، وشدّوا عليهم بالسّيوف حتى فرّوا عن نساءٍ جَمِيلاتٍ خَوْفاً مِنَ الموت[1] :

أَلا مَـــنْ مُبْلِـــغٌ زُفَـــراً رَسُـــولاً ... وَمُبْلِغُـــهُ عُمَيْـــرَ بـــنَ الحُبَـــابِ
ضَـــرَبْنَـــا جَمْعَكُـــمْ حَتّـــى تَـــوَلّـــىٰ ... بِكُـــلِّ مُهَنَّـــدٍ مِثْـــلِ الشِّهـــابِ
فِـــدَىً لِبَنِـــي جَنـــابٍ جُـــلُّ مَـــالـــي ... أَجَـــلْ ، وَخَليلَتـــي لِبَنِـــي جَنَـــابِ
هُـــمُ تَـــرَكُـــوا سَـــراةَ بَنِـــي سُلَيْـــمٍ ... وعـــامِـــرِهـــا طَعـــامـــاً لِلـــذِّئـــابِ
وَهُـــمْ ضَـــرَبُـــوهُـــمُ حَتَّـــى تَـــوَلَّـــوْا ... وَخَلَّـــوْا كُـــلَّ بَهْكَنَـــةٍ كَعـــابِ

ويجعل جوّاس بن القَعْطَل إيقاعَهُم ببني فزارة وَطْئاً لهوازِنَ القيسيّةِ كلِّها ، حتّىٰ جعلوها تخشى مُقارَبَةَ الناس ، كالرّجُل المنفرد بنفسه عن الرجال ، وما كان ذلك الوَطءُ بالأَرْجُلِ وإنّما كان بالسيوف والرّماح ، ثُمَّ نَرَاهُ يتحوّل إلى هجائهم بأنَّ قتلَ كَلْبٍ فزارةَ كان إرغاماً لأُنوفِ هوازن وإذلالاً لها[2] :

دُسْنـــا وَلَـــمْ نَفْشَـــلْ هَـــوازِنَ دَوْسَـــةً ... تَـــرَكَـــتْ هَـــوازِنَ كـــالفَـــريـــدِ الأَعْـــزَلِ
مِـــنْ بَعْـــدِ مـــا دُسْنـــا تَـــرائِـــقَ هـــامِهـــا ... بـــالمَشْـــرَفِيّـــةِ والـــوَشيـــجِ الـــذُّبَّـــلِ
وَأَذَلَّ مَعْطِسَكُـــمْ وأَضْـــرَعَ خَـــدَّكُـــمْ ... قَتْلَـــىٰ فـــزارةَ إذ سَمـــا ابْنـــا بَحْـــدَلِ

وعندما أراد عبد الملك بن مروان أن يكفَّ الحيَّيْنِ عن تلكَ العصبيّة وَوَدىٰ قتلىٰ فزارة بأموالٍ كثيرة ، وجَعلَ تلك الدّية علىٰ دفعاتٍ يقتطعها مِن أُعطِيات قُضاعة ، فهجاهم عمرو بن مخلاة وعيّرهم بذلك ، ثمّ انطلق يفتخر بما صنع حُمَيْد بن حُرَيث ، إذ أَمَرَ فُرسانَهُ بالسّيْر إلىٰ بني فزارة مُنَبِّهاً إيّاهم على أنّه لن يموت أحدٌ إلاّ بأَجَلِه المُقَدَّر ، وأنَّ عليهم أَلاّ يَمرّوا علىٰ أحدٍ من بني شَمْخٍ وبَدْرٍ ومرّةَ الفزارِيّين إلاّ

---

(١) الديوان : ٦٤٥ .
(٢) الديوان : ٤٥٦ .

قَتَلوه ، فركِبوا كلَّ فَرَسٍ فَحْلٍ ضَخْمٍ غليظِ القوائم يحطِم بنابَيْهِ اللّجامَ ، وكلَّ فَرَسٍ أنثى تَسْبَحُ في سيرها من شدّة سرعتها[1] :

وَقــالَ لِخَيْلِــهِ : سِيــري ، حُمَيْــدٌ ... فَــإِنَّ لِكُــلِّ ذي أَجَــلٍ حِمَــامَــا
فَمــا لاقَيْــتِ مِــن شَمْــخٍ وبَــدْرٍ ... وَمُــرَّةَ فَــاتْــرُكــي حَطَبــاً حُطــامَـا
بِكُــلِّ مُقَلِّــصٍ عَبْــلٍ شَــواهُ ... يَــدُقُّ بِــوَقْــعِ نــابَيْــهِ اللِّجــامَــا
وَكُــلِّ طِمِــرَّةٍ مَــرَطــىٰ سَبُــوحٍ ... إذا مــا شَــدَّ فــارِسُهــا الحِــزامــا

وتَرَكَ الكلامَ علىٰ ما كان في المعركة ليَضعنا أمامَ امرأةٍ تَبْكي قومَها فزارةَ وقد ذهب عقلُها مِنَ الفَزَعِ ، وتشرّبَ نقابُها مِن ماء عَبَراتها ، وهي تقول حزينَةً : كأنّ قومي لم يُخلَقُوا ، ولم تكن لهم إبلٌ يرعَوْنها ، ولا أغنام يُحضرونَها أمام الحيّ ، ولا فرسان يحمونَ قطعانَ إبلهم الكثيرة :

وقَــائلــةٍ علــىٰ دَهَــشٍ وَحُــزْنٍ ... وَقَــدْ بَلَّــتْ مَــدَامِعُهَــا اللِّثــامــا
كَــأَنَّ بَنِــي فــزارةَ لَــمْ يَكــونُــوا ... وَلَــمْ يَــرْعَــوْا بِــأَرْضِهِــمُ الثُّمــامــا
وَلَــمْ أَرَ حَــاضِــراً مِنْهُــمْ بِشَــاءٍ ... وَلا مَــنْ يَمْنَــعُ النَّعَــمَ الــرُّكــامــا

فكان في تصوير هٰذه المرأة وكلامها تعبيرٌ عَمّا أَرادَ الفَخْر به .

ونتج عن العصبيّة بين كلب وقيس أن حَالَفَتْ كلب قبائل اليمن المُقيمة بالشّام فأعانتها تلك القبائل ، ثمّ انتسبت كلبٌ إلى حِمْيَرَ اليمانية ، وتوسَّع إطارُ فخرها وعصبيّتها ، فعندما سلّم الوليدُ بنُ يزيد خالدَ بنَ عبد الله القَسْريّ سَيّدَ اليمانية إلى يوسف بن عمر الثقفي وَالي العِراق فقتله في العذابِ غَضِبَتِ اليمانيةُ ، وقالَ الوَليدُ بنُ يزيد شعراً وَبَّخَ اليمنَ فيه وعيّرهم قتل خالد ـ وقيل إنَّ الشعر لبعض شعراء اليمن وضعَه على لسان الوليد ليحرّضَهم عليه ـ وأوَّلُه :

أَلَــمْ تَهْتَــجْ فَتَــذَّكِــرَ الــوِصــالا ... وَحَبْــلاً كــانَ مُتَّصِــلاً فَــزالا

فأجابَهُ عمران بن هلباء الكلبيّ بقصيدةٍ بَدَأها ببيتٍ اختصَر فيه مُرادَهُ رَمزاً ، إذ أَوْقف

(١) الديوان : ٤٧٩ .

أمامَه امرأةً ودعاها إلى قطع الحبل بينها وبينَ مَنْ قَطَعَ حبلَ وِصالها ، وما تلك المرأة إلاّ قبائل اليمن ولا قاطِعُ حَبْلِ وِصالِها إلاّ الوَليد ؛ ثمّ انطلقَ فحرّضَ اليمن على الثأر متحسِّراً مِن رضا اليمانية ببقاءِ قاتِلِ سيِّدها معظَّماً ، وافتخر بعد ذلك علىٰ نزارٍ كلِّها بهزيمة قيسٍ يوم المرج ، وبأنّهم كانوا يدَ خلفاء بني أميّة التي حكموا بها وأهلكوا الخارجينَ عليهم[1] :

قِفِــي صَــدْرَ المَطِيّــةِ يــا حَــلالا ... وَجُــذِّي حَبْـلَ مَــنْ قَطَـعَ الـوِصَـالا
أَلَــمْ يَحْــزُنْــكِ أَنَّ ذَوِي يَمــانٍ ... يُــرىٰ مَــن حــاذَ سَيِّـدَهــم جُـلالا
جَعَلْنـــا لِلقَبـــائِــلِ مِــــنْ نِــزَارٍ ... غَـــدَاةَ المَــرْجِ أَيّــامــاً طِـــوالا
بِنَــا مَلَــكَ المُمَلَّــكُ مِــنْ قُــرَيْــشٍ ... وَأَوْدىٰ جَـــدُّ مَـــنْ أَوْدىٰ فَـــزَالا

وممّا قاله في هذه القصيدة أبياتٌ حرّض فيها حِميَرَ علىٰ أن يُعِدُّوا العُدّة مِن سيوفٍ ورماحٍ وخيلٍ عظيمةٍ ليخوضوا معركةً تَدَعُ القَتْلىٰ طَعاماً للطَّيْر :

أَعِـــدُّوا آلَ حِمْيَـــرَ إِذْ دُعِيتُـــمْ ... سُيــوفَ الهِنْــدِ والأَسَــلَ النِّهــالا
وكُــلَّ مُقَلَّــصٍ نَهْــدِ القُصَيْــرىٰ ... وَذا فَــوْدَيْــنِ وَالقُــبَّ الجِبَــالا
يَــذَرْنَ بِكُــلِّ مُعْتَــرَكٍ قَتيــلاً ... عَلَيْــهِ الطَّيْــرُ قَــدْ مَــذِلَ السُّــؤالا

ورَدّ على الوَليد بعضَ ما جاءَ في قصيدته ، ثم هَدّدَه بما سيكون :

سَنبكــي خــالِــداً بِمُهَنَّــداتٍ ... وَلا تَــذْهَــبْ صَنــائِعُــهُ ضَــلالا

وبعدَ أن رثىٰ خالداً وبَيَّنَ فضائلَه عادَ إلى التهديد ثانيةً ليجعله خاتمة القصيدة :

سَتَلْقــىٰ إن بَقِيــتَ مُسَــوَّمــاتٍ ... عَــوابِــسَ لا يُــزَايِلْــنَ الجِــلالا

فلمّا قام يزيد الناقصُ بن الوليد بن عبد الملك القدريّ بالدعوة لخَلْعِ الوَليد ومعه قَدَرِيّةُ دمشق وافقَ ذلك رغبةَ اليمانية وكثير مِن كلبٍ ، فقاموا مَعَه حتىٰ قُتِلَ الوَليد ، فكان ذلكَ مَدْعاةً لِفَخْرِ الأصبغ بن ذؤالة الذي رأى أنّ قتلَ الوليد وخَلْعَ ابْنَيْهِ اللّذَيْنِ وَلاّهُما العَهْدَ من بعدِه إنّما كان ثأراً بقَتْلِ خالد بن عبد الله القسريّ ، فافتخر بذلك

(١) الديوان : ٤٩٨ .

على بني قيس عيلان بن مُضَر التي قَرَّبَها الوليدُ وعلى إخوتهم أبناء خِنْدِفَ بَنِي الياس بن مُضَر ، وعلى سادتهم من بني أمية بن عبد شمس وبني هاشم[1] :

مَــنْ مُبْلِــغٌ قَيْســاً وخِنْــدِفَ كُلَّهــا ... وَسـاداتِهـا مِـن عَبْـدِ شَمْـسٍ وَهَـاشِـمِ
قَتَلْنــا أَمِيــرَ المُــؤمِنِيــنَ بِخــالِــدٍ ... وَبِعْنــا وَلِيَّــيْ عَهْــدِهِ بــالــدَّراهِــمِ

ولَم يكن بنو كلبٍ واليمانيةُ راضينَ عن مروان بن محمّد آخرِ خلفاء بني أميّة ؛ إذ أنكَرَ ما قامَ به يزيد الناقص الذي لم تَطُلْ أيّامُه فَبُويِعَ لأخيه إبراهيم فسار إليه مروانُ مِن الجزيرة ، فالتقى جيشَهُ ومعظمه من كلب واليمانيةِ بالبقاع بقاعِ كَلْبٍ ، فهزمهم وأسر كثيراً منهم ثم أطلقهم بعد ما قَتَلَ اثنين مِن بني كلبٍ لمشاركتهما في قَتْلِ الوَليد ، ثمّ انْتَقَضَ أهلُ حمصَ مِن اليمانية وكلبٍ وسانَدَهم بنو كلبٍ بتدمُرَ ، فأوقَعَ بِهِمْ مروانُ[2] ؛ ولذلكَ نجِدُ عطيّةَ بنَ الأَسود الكلبيّ يحرّضُ ثابتَ بنَ نُعَيْمٍ الجُذاميَّ كي يثورَ على مروان ، ويدعوه دعوةَ مَنْ لا يستطيع الصَّبْرَ علىٰ ما يرى مِن رضا اليمانية بما أَصابهم ، إذ قَتَلَ مروانُ كثيراً مِن أَشرافهم الّذين يعزّ على ثابتٍ فقدُهم ، وترك نساءَهم يتألّمن ممّا لحق بهنّ مِن فَقْدِ الأقارب فلا يسوغ لهنّ شراب[3] :

يــا ثــابِــتَ بــنَ نُعَيْــمٍ دَعْــوَةً جَــزَعــاً ... عَقَّــتْ أَبــاهــا وَعَقَّــتْ أُمَّهــا اليَمَــنُ
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ أَوْ مَوْلىً فُجِعْتَ بِهِ ... يَــوْمَ الــوَقِيعَــةِ لَــمْ يُنْشَــرْ لَــهُ كَفَــنُ
وَمِــنْ يَمَــانِيَّــةٍ بَيْضَــاءَ مُــوجَعَــةٍ ... مَــا إنْ يَســوغُ لَهــا مــاءٌ وَلا لَبَــنُ
مَفْجـوعَـة بِـذَوي القُـرْبَـى إذا ظَمِئَـتْ ... رَدَّ الشَّـرابَ عَلَيْهــا الثُّكْـلُ والحَـزَنُ

وبعد هذا التذكير بما أصابهم مِن مروان يتساءَل محرِّضاً : أوليسَ عندكم إدراكٌ بثأر قتلاكم؟ ويُنْكِرُ أن يُطْلَب بذلك إذا تأخّروا إلى عامٍ آخر ، لأنّ الأحقاد ستموت ؛ ولذلك على ثابتٍ أن يُوَضّح ما يرىٰ لِيأتَمِرَ بِأَمْرِه البَلَدانِ ـ ولم يتّضح أيّ بَلَدين أراد ـ

---

(١) الديوان: ٦٨٦ .
(٢) انظر ما سبق في هذا البحث، ص١٦٦ ـ ١٦٧ .
(٣) الديوان: ٥٣٩ .

فإنّهم قريبون مِن ثابت ، وهم يتطلّعون إليه وحدَه ، لأنهم رأوا كثيراً مِن أشراف اليمن يبيعونَ مجدَ العشيرةِ بما يُعطيهم مروان من المال فيأكلونه :

يـا ثـابـت بـن نُعَيْـمٍ مَـا بِكُـمْ ثُـؤَرٌ؟ ... أَبَعـدَ عـامِـك هٰـذا تُطْلَـبُ الإِحَـنُ؟!
بَيِّـنْ لنـا يـأمُـرِ الجُنـدانِ أمْـرَهُمـا ... مـاذا تُـريـدُ فـإنّـا مِنْكُـمُ قَمَـنُ
قَـدْ طـالَ مـا قـد أرى أشـرافَنـا أكَلَـتْ ... أحسـابَهـا ، وتـأَيّنـاكَ مُـذ زَمَـنُ

ثمّ يعود فيناديه نداء محرِّض على الثأر ، إذ يراه بعدَ النّبيِّ ﷺ أفضلَ مَن يقتصّ به اللهُ مِن سافِكِ الدّم ، ويوجّه إليه أسئلةَ مُحَرِّض أيضاً : أفَتُرى ثابتاً قد سكت على ما يُذلُّهم وصَبَرَ على أَلم ذلك؟ فهٰذا ما لا ينبغي ، وهل سَيَدَعُ مروانَ ينتَهِبُ أموالَ بيت المسلمين ، ويحبِس الأشراف؟ وهل سيرضى بأن ينام مروانُ آمِناً مُعافى في حين لا يجرؤ مَن أخافَهم على النوم؟ :

يـا خَيْـرَ مَـنْ طَلَـبَ اللهُ الـدِّمـاءَ بِـهِ ... حاشىٰ النَّبِيِّ ، وإن قالوا : هَنٌ وَهَنُ
أنـائـمٌ أَنْـتَ أم مُغْـضٍ علـىٰ مَضَـضٍ؟ ... كَـلاَّ وأنـتَ علـىٰ الأحسـابِ مُـؤْتَمَـنُ
وَتـارِكٌ أنـتَ مـالَ اللهِ يَـأكُلُـهُ ... عَيْـرُ الجَـزيـرةِ ، والأشـرافَ تُـرْتَهَـنُ؟
أَوْ يَهْجَعَـنَّ سَليمـاً فـي مَنـازِلـهِ ... أَو يـأْمَنَـنَّ وأَهْـلُ الخَـوْفِ مـا أَمِنـوا؟

وممّا هو بِسَبَبٍ مِن قصيدة عطيّة وقصيدة عمران وبيتَيْ الأصبغ بن ذؤالة وما فيها مِن عصبيّة لليَمانيّة ـ وهي كما نلاحظ إنّما ظَهَرَت في أواخر العصر الأمويّ ـ مقطّعةٌ لكلثوم بن وائل يدّعي فيها انتسابَ كلبٍ إلى اليمن ، وأبياتٌ متفرِّقة لحَكيم بن عيّاش يفتخر فيها بما كان لليمن مِن مآثِرَ في الجاهلية ؛ فكلثومٌ ينفي أن يكون بينهم وبين مُضَر علاقة انتساب ، وإنّما هم مِن لُبِّ اليمن ونسَبُهم خيرُ النَّسَب ، ثم يفتخر بمآثرهم ، فالخلفاءُ بهم يحصلون على ما أرادوا ، وبهم ـ أي بملوك اليمن ـ نالتِ العربُ ثأرها مِن سائر الأُمَم ، وما أَكْثَرَ الملوكَ فيهم ، والخطباء الفصحاء ، والشجعانَ المَخُوفين ، والفتيانَ المُنَشَّئينَ علىٰ الأخلاق الكريمة[١] :

---

(١) الديوان : ٥٩٨ .

مَـــا وَلَــــدَتْنَـــا وِلادةٌ مُضَـــرُ وَلا لَنَـــا فِـــي تَمَضُّــــرٍ أَرَبُ
وَإِنَّنَـــا لَلصَّمِيـــمُ مِـــنْ يَمَـــنٍ وَغُـــرَّةُ النَّـــاسِ حِيـــنَ نَنْتَسِـــبُ
بِنـــا تَنـــالُ المُلـــوكُ مـــا طَلَبَـــتْ وَأَدْرَكَـــتْ ثَـــأْرَهَـــا بِنَـــا العَـــرَبُ
كَـــمْ فِيهِـــمُ مِـــنْ مُتَـــوَّجٍ مَلِـــكٍ وَمِـــنْ خَطِيـــبٍ لِســـانُـــهُ ذَرِبُ
وَمِـــنْ كَمِـــيٍّ تُخـــافُ سَـــوْرَتُـــهُ وَمِـــنْ غُـــلامٍ يَـــزِينُـــهُ الأَدَبُ

وحَكيم بن عيّاش يفتخر بما كان لهم مِن مُلْكٍ قديمٍ في الجاهلية ، فيَحْشُرُ في بعض أبياتِهِ أسماء ثمانية مِن ملوكهم[1] :

وَشَمَّـــرُ وَابْنـــا ذي نُـــواسٍ ووَائِـــلٌ وَجَفْنَـةُ والـدَّيَّـانُ وابْنـا أَبـي الصَّعْـبِ

وَيَحْصُرُ مُلْكَ الجاهلية في أربعة أُمَمٍ مُفتَخِراً بأنَّ حِمْيَرَ إحداها[2] :

أَلَـــمْ يَـــكُ مُلْـــكُ أَرْضِ اللهِ طُـــرّاً لأَرْبَعَـــــةٍ لَـــــهُ مُتَمَيِّـــــزِينَـــــا
لِحِمْيَرَ ، والنَّجاشي ، وابنِ كِسْرَى ، وَقَيْصَـــرَ ، غَيْـــرَ قَـــوْلِ المُمْتَـــرِينـــا

وهذان البيتان من قصيدة طويلةٍ ذكروا أنّه قالَها مُفتَخِراً باليمن ، ولم يصِلْ إلينا منها سوى هٰذين البيتين وبيتين آخرين افتخر في الأوّل بتقتيل أعدائهم وفاءً بأيمانٍ حَلَفوها على قتلهم[3] :

سَقَيْنَـــاهُـــمْ دِمـــاءَهُـــمُ فَسَـــالَـــتْ فَـــأَبْـــرَرْنـــا أَلِيَّـــةَ مقْسِمينـــا

وذكر في الثاني قتلَ النعمان الغسّاني للحارث بن ظالم المرّيّ .

تلك كانت الأشعار ذات الصّلة بالفتن والوقائع التي كانت في الإسلام إلى آخر عصر بني أمية ، وبقيت مجموعة من الأبيات والقِطَع التي لا ترتبط بواحدة من تلك الفِتَنِ والوقائع ، فنجد فيها فخراً ببعض مواقف كلب مِن الخارجينَ علىٰ بني أميّة ، وبعضِ مآثرهم ومواقفهم في الجاهلية ، وبشيءٍ ممّا يتمتّعون به مِن صِفات

---

(١) الديوان : ٨٧ .
(٢) الديوان : ٤٩٤ .
(٣) الديوان : ٤٩٤ .

وأخلاق ؛ فقد عدَّ المسيَّب بن الرَّفَل خروجَ يزيد بن المهلَّب علىٰ بني أميّةَ نِفاقاً في الدين ، فافتخر بقتلهم إيّاه علىٰ يَدِ القَحْلِ بن عَيّاش الكلبيّ ، وبقتلهم مَن سَبَقه من الخارجينَ عليهم ومن أعدائهم بالعراق ، وجعل ذلك دَأْباً لقُضاعة[1] :

فَمـا كـانَ مِـنْ أَهْـلِ العِـراقِ مُنـافِـقٌ عَـنِ الـدِّيـنِ إلاّ مِـنْ قُضَـاعَـةَ قـاتِلُـهْ
قَتَلْنَـا يـزيـدَ بـنَ المُهَلَّـبِ بَعْـدَمـا تَمَنَّيْتُـمُ أَنْ يَغْلِـبَ الحـقَّ بَـاطِلُـهْ
تَجَلَّلَـهُ قَحْـلٌ بِـأَبْيَـضَ صَـارِمٍ حُسـامٍ جَـلا عَـنْ شَفْـرَتَيْـهِ صَيـاقِلُـهْ

ونظر المسيّب نظرةً في ماضيهم الجاهليّ ، فالتقطت عينه مفخرةً لهم ، وهي أنَّ أبرهة الحبشيّ عندما أتىٰ نجداً ليفرضَ سيطرتَه عليها لم يَجِدْ مَنْ يُنيبُهُ عنه بالقيام على هذه السيطرة أفضل مِن زهير بن جَناب الذي تخيَّره من بين سادات القبائل ، فجعل هذه البلاد تحتَ إمرة زهير ، وهي تُعادِلُ في سعتها اليَمَن التي كان يَسوسُها أبرهة[2] :

وَأَبْـرَهَـةُ الَّـذِي كـانَ اصْطَفـانـا وسَـوَّسَنـا وتـاجُ المُلْـكِ عـالـي
وَقـاسَـمَ نِصْـفَ إِمْـرَتِـهِ زُهَيْـراً وَلَـمْ يـكُ دونَـهُ فـي المُلْـكِ وَالـي
وَأَمَّـرَهُ عَلَـىٰ حَيَّـيْ مَعَـدٍّ وَأَمَّـرَهُ عَلَـىٰ الحَـيِّ المُعـالـي

ثم افتخر بإذلالِ زهيرٍ بني بكر وتغلب ابنَيْ وائل ومَنْعِهِ إيّاهم مِن الانتجاعِ كَرْهاً إلاّ أن يؤدُّوا خَراجَهم ، حتىٰ كادوا يموتون جُوعاً :

عَلَـىٰ ابْنَـيْ وائـلٍ لَهُمـا مُهينـاً يَـرُدُّهُمـا عَلَـىٰ رَغْـمِ السِّبـالِ
بِحَبْسِهِمَـا بِـدارِ الـذُّلِّ حَتَّـىٰ أَلَمَّـا يَهْلِكـانِ مِـنَ الهُـزَالِ

وافتخر جوّاس بن القعطل بمشاركتهم في الجاهلية ببناءِ البيت الحرام ، إذ بنىٰ الرُّكنَ الأَيْمَنَ منهُ أُبَيُّ بنُ سالم بن حارثة بن الوَحيد الكلبيّ[3] :

لَنـا أَيْمَـنُ البَيْـتِ الَّـذي تَسْتُـرونَـهُ وِراثَـةَ مـا أَبْقَـىٰ أُبَـيُّ بـنُ سَـالِـمِ

---

(١) الديوان : ٥٧٩ .
(٢) الديوان : ٥٧٨ .
(٣) الديوان : ٤٦٠ .

كما افتخر ببعض أيامِهم الجاهلية ، وذلك يوم الحَجْرِ حينَ اقتتلوا مع بني القَيْنِ بن جَسْر الذين كان يَقودهم (هِلالٌ) أحدُ بني حُبَيّ منهم ، فإذا به قد تحيّر وذهب عقلُه مِن الفَزَع وعَجَزَ سيفُهُ عن القطع ، فقَتَلَهُ رَبيعُ بنُ زيادٍ الكلبيّ والأصواتُ مختلِطة والرّجال مُشْتَبِكة[1] :

وَيَــوْمَ الحَجْــرِ نَــازَلْنــا هِــلالاً ... عَلَـى دَهَـشٍ وَحَـدُّ السَّيْـفِ نَـابِـي
فَـأَقْعَـىٰ سَيِّـدَ القَيْـنِ بـنِ جَسْـرٍ ... رَبيــعٌ عنــدَ مَعْمَعَــةِ الضِّــرابِ

ويجد حسّان بن حارثة في كثرة قومه وانتشارهم على أرض واسعة مُفتَخَراً له ، لأنّهم منتشرون بمجدهم وسيادتهم[2] :

وَإِنّـا لَمَمْـدُودُونَ مـا بَيْـنَ غُـرَّبٍ ... إِلـىٰ شُعَـبِ الـرَّيَّـانِ مَجْـداً وسُـؤْدَدا

وكذلك المسيَّب بن الرَّفَل الذي يرىٰ أنّ كثرتَهم يَزينُها نَجْدَتُهم وصلابَتُهم في الحروب ، وكِبرياؤهم وكثرةُ سِلاحِهم[3] :

وَلَــوْ أَنِّــي دَعَــوْتُ بِجَــوٍّ قَــوٍّ ... أَجَــابَتْنِــي بعــادِيــةٍ جَنــابُ
مَصــاليــتٌ لــدىٰ الهَيْجــاءِ صِيــدٌ ... لَهُــمْ عَــدَدٌ لَــهُ لَجَــبٌ وغــابُ

ونجد عمرو بن عروة بن الغَدّاء بعدَما يتمنّى المَبيتَ ليلةً واحدةً بهذا الموضع أو ذاكَ مِن ديار قومه يميّز تلك الديار بما هو مَفْخَرَةٌ لهم ، ذلك أنّها أرضٌ فيها خيلٌ كريمة أمام بيوتهم يهتمّون بها ويُزَيّنونها[4] :

وَحَيْـثُ تَـرى الجُـرْدَ الجيـادَ صَـوافِنـاً ... يُقَــوِّدُهــا غِلْمــانُنــا بــالقَــلائِــدِ

في حين يَرى حَكيم بن عيّاش أنّ ما يميّز قريتَهم (المِزّة) أنّك تجد فيها قوماً ذوي دِينٍ ومعروف وخير وكَرَم ، ومَن قَصَدَهم يَبْتغي خيرَهم فقد أصابَ لأنّه سيرجع

---

(١) الديوان : ٤٤٣ .
(٢) الديوان : ٦٣٣ .
(٣) الديوان : ٥٧٧ .
(٤) الديوان : ٥١٥ .

راضياً ، لا كما لو قَصَدَ بلدة غيرهم[1] :

إذا ذُكِــرَتْ أَرْضٌ لِقَــوْمٍ بِنِعْمَــةٍ ... فَبَلْــدَةُ قَــوْمــي تَــزْدَهــي وَتَطِيــبُ
بِهـا الـدِّيـنُ الإفضـالُ والخيـرُ والنّـدىٰ ... فَمَــنْ يَنْتَجِعْهــا للــرَّشــادِ يُصيــبُ
وَمَــنْ يَنْتَجِــعْ أَرضــاً سِــواهــا فــإِنَّــهُ ... سَيَنْــدَمُ يــومــاً بعــدَهــا ويَخيــبُ

وقَرَن هٰذه المعاني بمأثرةٍ دينيّة لهم ؛ فهٰذه البلدة أوّلُ مَن سكنها من بني كلبٍ هو أُسامةُ بن زَيدِ بن حارثة الذي كان يُقال له : الحِبُّ ابنُ الحِبّ ، أي حِبّ رسول الله ﷺ ، وكم قد أردَفَ رسولُ الله أباه زيداً خلفَهُ ، وكانت له عندَ النبيّ ﷺ محبةٌ ومَوَدَّةٌ لا تُنْكَرُ :

تَــأَتَّــىٰ لَهــا خــالــي أُسَــامَــةُ مَنْــزِلاً ... وَكــانَ لِخَيْــرِ العــالميــنَ حَبيــبُ
حبيــبُ رَســولِ اللهِ وابــنُ رَديفِــهِ ... لَــهُ أُلْفَــةٌ مَعْــروفــةٌ وَنَصيــبُ

وإذا كانت لامرأةِ خالد بن يزيد بن معاوية الأعرابية الكلبيّة ثيابٌ أطمارٌ فإنّها تنتسب إلى معشرٍ لهم أقدار عظيمة ، إذ إنّهم لا تنالُ من عَزيمتهم حوادثُ الدهر ، وهم قومٌ أُباةٌ ، عندهم الوفاءُ بالعهد وحِمايةُ الجار ، ويقهرون العِدا ، وإذا اشتدّت الحرب وجدتهم يثبتون ولا ينكلون[2] :

فَلئِــنْ رَأَيْــتَ سَحيــقَ شَمْلــي بــاليــاً ... إنّــي لَمِــنْ قَــوْمٍ ذَوي أَخْطَــارِ
صُبُــرٍ علــىٰ رَيْــبِ الــزَّمَــانِ أَعِــزَّةٍ ... لا يَخْفِــرونَ بِــذِمَّــةٍ وَجــوارِ
غُلْبٍ ، إذا حَمِيَ الوَطِيسُ وَجَدْتَهُمْ ... صُبُــراً لَــدَىٰ الهَيْجــا بَنِــي أَحْــرارِ

ويرىٰ بعضُ شُعرائهم المجاهيل مَفْخَراً بِما وَلَدَتْ بعضُ نسائهم مِنَ النُّجَبَاءِ الأَشرافِ في قريش كعبد العزيز بن مروان ومصعب بن الزبير ، مُفَسِّرَاً ذلك بأنَّ أباهم كلباً معروف بإنجابِ الأشرافِ[3] :

---

(١) الديوان : ٤٨٩ .
(٢) الديوان : ٥٦٨ .
(٣) الديوان : ٧٤٢.

وَعَبْدَ العَـزِيـزِ قَـدْ وَلَـدْنَـا وَمُصْعَبـاً وَكَلْـبٌ أَبٌ للصَّـالِحِيـنَ وَلُـودُ

فهٰذه هي المعاني التي تناوَلها شعراء كلبٍ في حماستهم وفخرهم القَبَلِيَّيْنِ بعدَ الإسلامِ إلى آخر العصر الأمويّ ، ونلاحظ أنَّ الغالبَ عليه كونُهُ متعلّقاً ببني كلبٍ وَحدَهم ، وربَّما ضاق المجال في قليل من الأحيان ليكون خاصاً ببعض بطون كلب ، في حين تعلَّق في قطعتين اثنتين فقط بمجالٍ أوسَع وهو قضاعة ، إحداهما للوازع بن ذؤالة والأخرى للمسيَّب بن الرَّفَل ، ولكنّه في أحيان أخرى تعلّق باليمانية التي ادَّعىٰ عددٌ من كلب الانتساب إلىٰ حِمْيَرَ منها لأسبابٍ سبق الحديث عنها[1] ، فظهر ذلكَ في شعر عمران بن هلباء والأصبغ بن ذؤالة وعطية بن الأسود وكلثوم بن وائل وحكيم بن عيّاش ، ولكنّ هذه الحماسة لليمانية والفخر بها لم يكونا إلاّ في أواخر عصر بني أمية بينما لا نجد لهما أثراً في الأزمنة السابقة .

وثمّة ملاحظة أُخرى ، وهي أنّ الغالب على حماستهم وفخرهم هٰذين كون العصبية القبلية دافعاً إليها ، ولا عَجَبَ في ذلك ، لأنّ العصبيّة القبليّة اشتدّ أُوارُها في العصر الأمويّ لدَواعٍ مختلفة ، بل إنّ حدودَها اتّسعت وأدّت إلى ظهور التكتّلات القبلية الضخمة : المضريّة ومنها القيسية ، والرَّبَعيّة ، والقُضاعية ، واليمانية التي انضمّت إليها القضاعية[2] .

ويَدورُ **الجانبُ الفرديّ** في حماستهم وفخرهم بعد الإسلام حولَ الخصال والمواقف الشخصيّة ، كما كانَ عليه الحالُ في العصر الجاهليّ ؛ فهٰذا عبدُ الله بن عُمَيْر وَقَفَ يومَ كربلاء مع الحسين بن عليّ يحمّس نفسَهُ مفتخراً بانتسابه إلى كلب ، مُهَدِّداً بما سيكون مِن مُجالَدَتِه وإدراكه ثأر أصحابه وثأر نفسه ، مُعْتَزّاً بأنَّه يردّ المكروهَ بعدَ المكروه ، وبجدّه وبَذْلِهِ الجهدَ في المحاربة[3] :

---

(١) انظر ما سبق ص: ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) انظر العجّاج حياته ورجزه: ٣٢ـ٣٥، والعصبية القبليّة: ٢٥٣ ـ ٢٨٢.
(٣) الديوان: ٥٥٨.

إنْ تُنْكِـرونـي فـأنـا ابـنُ كَلْـبِ　　سَـوْفَ تَـرَوْنـي وتَـرونَ ضَـرْبـي
وَحَمْلَتـي وَصَـوْلَتِـي فـي الحَـرْبِ　　أُدْرِكُ ثَـأْري بَعْـدَ ثَـأْرِ صَحْبِـي
فَـأَدْفَـعُ الكَـرْبَ أَمَـامَ الكَـرْبِ　　لَيْسَ جِهـادي فـي الـوغـى بـاللَّعْـبِ

ويكفيهِ فخراً مَقامُ أسرته في قومه بني عُلَيْم ، ولكنّه مع ذلك رجلٌ شديدٌ ، وما هُوَ بالضَّعيف الجبان أمام النّوائب ، فَهُوَ لذلكَ ضامِنٌ لامرأته (أمّ وهب) أن يحارب برمحه وسيفه محاربةَ المُوقِنِ بلقاءِ اللهِ ومُجازاته ، فيرى العدوّ منه ما يسوؤهم ويَعلمون بَلاءَه :

حَسْبِـيَ بَيْتِـي فـي عُلَيْـمٍ حَسْبِـي　　إنِّـي امْـرُؤٌ ذو مِـرَّةٍ وَعَصْـبِ
وَلَسْـتُ بِـالخَـوّارِ عِنْـدَ النَّكْـبِ　　إنِّـي زَعِيـمٌ لَـكِ أُمَّ وَهْـبِ
بِـالطَّعْـنِ فِيهِـمْ مُقْـدِمـاً والضَّـرْبِ　　ضَـرْبِ غُـلامٍ مُـؤْمِـنٍ بـالـرَّبِّ
حَتّى يَذوقَ القَوْمُ مَسَّ الحَرْبِ

والحسامُ بنُ ضِرار يتمنّى لو كان ثمّة سَبيلٌ لإعلام (ابنِ جَوّاس) بأنّه اجتهد في طَلَبِ الثأرِ مِن قاتِليه حتى قُتِلَ منهم تسعونَ رجلاً[1] :

فَلَيْـتَ ابـنَ جَـوَّاسٍ يُخَبَّـرُ أَنَّنـي　　سَعَيْتُ بـه سَعْـيَ امـرىءٍ غيـرِ غـافِـلِ
قَتَلْـتُ بِـهِ تِسْعِيـنَ تَحْسَـبُ أَنَّهُـم　　جُـذوعُ نَخِيـلٍ صُـرِّعَـتْ فـي المَسـايِـلِ

ويرىٰ حُمَيْد بن حُرَيث أنّه السّيفُ الذي تضرب به كلبٌ عدوَّها ، وقد بَلَغَ أعلى درجات المجد ، وذلكَ علىٰ عَقِبِ إيقاعِهِ ببَني فزارة[2] :

أنـا سَيْـفُ العَشِيـرَةِ فَـاعْـرِفـونـي　　حُمَيْـداً قَـدْ تَـذَرَّيْـتُ السَّنَـامَـا

ويَرفُضُ جوّاس بن القعطل أن ينالَهُ ظُلْمٌ مِن أحَدٍ ـ وهو يريد بذلك عبدَ العزيز بن مروان ـ لأنّ قومَهُ قومٌ أشِدّاءُ لولاهم لَهَلَكَ مروانُ بنُ الحكم يوم مرج راهط ، ولأنّه رجلٌ أَبيٌّ يُعْرِضُ عَمَّنْ يُعْرِضُ عنه ولو كان صديقاً ؛ وإذا لم يُعْطِهِ أُمراءُ بني أميّة الحقَّ

---

(١) الديوان : ٥٠٧ .
(٢) الديوان : ٦٥٤ .

مِنَ التقدير فإنّه لا يخشىٰ أن يخرجَ عليهم مُخالِفاً[١] :

أَبـىٰ لِـي أَنْ أُقِـرَّ الضَّيْـمَ قَـوْمٌ ... هُـمُ رَاخَـوْا لِمَـرْوَانَ الخِنـاقَـا
وَأَنِّـي ـ فـاعْلَمَـنَّ ـ لَـذُو انْصِـرافٍ ... إذا مـا صـاحِبـي رَامَ الفِـراقَـا
فَـإلاَّ تَقْبَـلِ الأُمَـراءُ عَـذْلِـي ... وَنُصْحـي الغَيْـبَ لا أَهَـبِ الشِّقـاقَـا

وحين يرىٰ جوّاسٌ إعراضاً وجَفاءً مِنْ رَجُلٍ غليظٍ فإنَّه يَدَعُهُ غَيْرَ عابىءٍ بِجَفَائِهِ ، ولا يَبتذِلُ نفسَهُ أمامَ بابه[٢] :

وَإذا العِلْـجُ أَغْلَـقَ البَـابَ دونـي ... لَـمْ يُحَـرِّمْ عَلَـيَّ مَتْـنَ الطَّـريـقِ
وَكَفـانـي جَفـاءَ مَـنْ يَـزْدَريـنـي ... قَطعـيَ الخَـرْقَ بـالمَـرُوحِ الحَـروقِ

وإذا كانت النّوائب قد فَجَعَت الجَرَنْفَشَ بعدد مِن بنيه فإنَّ ذٰلكَ لم يَنَلْ مِن إبائه وعزيمته وشُموخِه[٣] :

غَمَـزَ الـرِّجـالُ جَـريـدَتـي لِفِـراقِهِـمْ ... فَـوُجِـدْتُ لا قَصِفـاً ولا خَـوَّارا

ويجد الحَزَنْبَلُ بنُ سلامة في تخرُّقِ قميصِهِ مَفْخَراً له ، لأنه ناتجٌ عن إيثارِه غيرَهُ بجيّد ثيابه ، كما أنّه يفتخر بجمَاله ، وبكثرة تناوُلِه الخَمْرَ حتىٰ كَثُرَ لُوَّامُه ، ولئِنْ أَعْرَضَتْ (سَلْمىٰ) عنه وقطعت حبلَ وصالِه لِكِبَرِه لَقَد قَطَعَتْ وصلَ رَجُلٍ جَزْلٍ ترتاحُ نفسُه للعَطاء الذي لا يقصِّرُ فيه ، وهو مِن قومٍ يَصْمُدون للعدوّ في الحرب ، ويفوقُ كَرَمُهم كَرَمَ غيرهم[٤] :

عَبِثَـتْ بِمُنْخَـرِقِ القَمِيـصِ ، كـأَنَّـهُ ... وَضَحُ الهِلالِ ، على الخُمورِ مُعَذَّلِ
يا سَلْمَ ـ وَيْحَكِ ، والخليلُ مُعَاتَبٌ ـ ... أَزْمَعْـتِ أَن تَصِلـي سِـوايَ وَتَبْخَلـي
لَمَّـا رَأَيْـتِ بِعَـارِضَـيَّ وَلِمَّتِـي ... غِيَـرَ المَشِيـبِ علىٰ الشَّبـابِ المُبْـدَلِ

---

(١) الديوان : ٤٥٥ .
(٢) الديوان : ٤٥٤ .
(٣) الديوان : ٦١٥ .
(٤) الديوان : ٥٨١ .

صَرَّمْتِ حَبْلَ فَتَىً يَهَشُّ إلىٰ النَّدىٰ لَــوْ تَطْلُبِيــنَ نَــداهُ لَــمْ يَتَعَلَّــلِ
إنَّــا لَنَصْبِــرُ عِنْــدَ مُعْتَــرَكِ الــوَغَــىٰ وَنَبُــذُّ مَكْــرُمَــةَ الكَــريــمِ المُفْضِــلِ

ويَعُدُّ حِبالُ بنُ حِصْنٍ لَوْمَ امْرَأَتِهِ علىٰ كَرَمِهِ وَبَذْلِهِ ما عندَه مِن جمالٍ وخَيْلٍ مِن أَسباب انزعاجِه ، بل يدعوها لأن تجعَلَ مالَهُ هِبَةً للنّاس ولا تترك أَحَداً يرىٰ منها ما يكرَه بمنعه مالاً طَلَبَه ؛ لأنَّ اللهَ سوفَ يُخْلِفُه ، ولأنّ الشيءَ القليلَ يُغْنِيهِ عَنِ الكثيرِ إذا ما مَنَحَ الناسَ كلَّ نَفيسٍ عندَه[1] :

لاَ تَعْذُلينِيَ فِي نِقْضِي وفي فَرَسي إنْ تَعْــذُلِينِــيَ تُشْكِينــي وتُــؤْذينــي
فَنــاهِبِينِــيَ فــي مَــالــي وَلا تَــدَعــي خَلْقــاً يَــريبُــكِ إنَّ اللهَ يُغْنينــي
حَسْبي إذا احْتَمَلُوا أنْ يَحْمِلُوا ثِقَلي وَمِــلْءُ كَفِّــيَ عنــدَ الجُهْــدِ يكفينــي

ثمّ يضرب لها مَثَلاً ممّا يَرَوْنَ في حياتهم ، فهذا الرَّجُلُ الكريم (عَدِيّ) ـ وكان يَذْبَحُ كلَّ يومٍ خَمسينَ شاةً للواردينَ عليه ـ إذا أدّى بهِ كَرَمُهُ إلى الموتِ جُوعاً ومَنَعَ البُخْلُ البَخيلَ مِنَ الموت ، فلتعذُلْهُ عندَئذ ، ولَنْ تعذُلَه ، لأنّ ذلك لن يكون ، وإنّما يموتُ الجميعُ ويبقىٰ الذكرُ الحَسَن للكريم ، ويَذْهَبُ البخيلُ ومالُه الذي كان يحرصُ عليه خشية النّوائب :

إنْ مــاتَ هُــزْلاً عَــدِيٌّ مِــنْ سَمَــاحَتِــهِ أَوْ خَلَّدَ الغُسُّ في قومي فَلُوميني
يَبْقَىٰ الثَّناءُ وَيَخْلىٰ المالُ عَنْ لَجِزٍ يَخْشَــىٰ عَــوَاقِــبَ دَهْــرٍ غيــرِ مَــأمــونِ

وَكَرَمُ الخِصال في آباء عبد الجبّار بن يزيد من أسباب فخره ، فقد كانَ أحدُ آبائه (مُدْلِجٌ) صاحِبَ فَضْلٍ وشَرَف : يفدي الأسرى ، ويؤدّي الدية بَدَلَ العاجِزِ عنها ، ويدفَعُ مِنْ مالِهِ لِحَقْنِ الدّماء ؛ وعبدُ الجبّار مِن وَلَدِه حقيقةً لا ادِّعاءً ، وله علىٰ ذلك دَليلٌ ، وهو ظُهور أخلاقِ (مُدْلِجٍ) فيه[2] :

أَبي ـ كانَ ـ فَكّاكُ العُناةِ وَحامِلُ الدْ . . . دِياتِ ، وذُو المَسْعاةِ والنّائِلِ الجَزْلِ

---

(١) الديوان : ٦٣١ .
(٢) الديوان : ٥٧٤ .

أَبِـي مُـذْلِـجٌ غَيْـرَ انْتِحـالٍ وَإِنَّمَـا ... يُبَيِّـنُ فـي أَوْلادِهِ كَـرَمُ الفَحْـلِ

كما أنَّ معرفَتَهُ بطُرُقِ البادية كانت مَدعاةً لفخره ، فقد استطاعَ أن يقطَعَ ببني المهلَّبِ باديةَ السَّماوَةِ ويَدُلَّهم علىٰ طريق السَّلامَةِ مِنَ الحَجّاج في ليلةٍ شديدة الظُّلمةِ[1] :

بِقَـوْمٍ هُـمُ كـانـوا المُلـوكَ هَـدَيْتُهُـمْ ... بِظَلْمَاءَ لَمْ يُبْصَرْ بِهَا ضَوْءُ كَوْكَبِ
وَلا قَمَـرٍ إلاّ ضَئيـلاً كَـأَنَّـهُ ... سِـوارٌ حَنـاهُ صـائغُ السُّـورِ مُـذْهَـبِ

ويفتخر عمرو بن عروة بن الغدّاء بِكَشْفِهِ خَفِيَّ أُمورٍ مِنَ العِلْمِ أَعْجَزَتِ الناسَ زَمَناً طويلاً ، فجعل بذلك لفاقد البَصَر بَصَراً ، ولفاقِدِ السَّمْع سَمعاً[2] :

أَوْضَحْتُ مِنْ طُرُقِ الآدابِ ما اشْتَكَلَتْ ... دَهْـراً ، وَأَظْهَـرْتُ إِغْـراباً وَإِبْـدَاعَـا
حَتَّـىٰ فَتَحْـتُ بِـإِعْجـازٍ خُصِصْـتُ بِـهِ ... لِلْعُمْـيِ والصُّـمِّ أَبْصَـاراً وَأَسْمَـاعَـا

وهذا من المفَاخِر التي يصعُب أَن نَجِدَها فيما سَبَقَ مِنَ الأَزمنة ، في حين أنَّ سائر المعاني السابقة إنَّما هي معاني حماسة وفخر تقليدية .

وبذلك رأينا أَنَّ الفَخْرَ والحماسة في شعرهم الإسلاميّ إلى آخر عصر بني أميّةَ كانَ علىٰ ضَرْبَيْنِ كما هي حال الجاهليّ : فرديّ وقَبَليّ ، ونلاحظ أنّ الجانب القبليّ بقي غالباً على الفرديّ ، كالذي لاحظناه في شعر الحماسة والفخر الجاهليّ ، وَمَرْجِعُ ذٰلك إلى ما سبق التنبيه عليه من اشتداد نار العصبيّة القبلية بينهم وبين قيس عيلان ، تلك العصبيّة التي طبعت فخرهم وحماستهم بطابعها الواضح .

كما نلاحظ أنَّ معظم المعاني معانٍ تقليديّة في إطارِها العامّ ، إذ دارت حول التحريض على العدوّ ، وحماية الذّمار ، والأخذ بالثأر ، وحولَ الإيقاع بالعدوّ وإذلاله وكثرة القتل فيه ، وحولَ القوّة والعزة والمَنَعة والصّبر على الشدائد ، وغير

---

(١) الديوان : ٥٧١ .

(٢) الديوان : ٥١٧ ؛ وللأبيات ضبط آخر يجعلها من باب المدح لا من باب الفخر ، إذ ضُبِطَتْ التاءُ بالفتح في قوله : (أوضحت) و(أظهرت) و(فتحت) و(خُصِصْت) .

ذلك مِن المآثر ؛ بيدَ أنّ معنيينِ من المعاني التي كانت متداوَلة في شعر الحماسة والفخر الجاهليّ عند بني كلب وغيرهم قد اختفيا ، وهما : الفخر بسباء نساء العدوّ أو التحريض عليه ، والإغارة على العدوّ بقَصْدِ انْتِهاب أَمواله وغَصْبها ، وإذا كان ثمّة إشارةٌ في بعض الأبيات إلى هروب العدوّ عنْ نسائهم فليسَ معناهُ أَنَّهم سَبَوا تلك النساء ، ولا سيّما أنَّ الأخبار تدلّ على أنَّ كلباً وقيساً علىٰ رغم اشتداد العداوة بينهما وكثرة القتلىٰ لم تتعرّضا لسبي النساء ، لِما نعلم مِنْ تحريمِ سَبْيِ المرأةِ المسلِمةِ حين وُقوع القتالِ بين فئتين مِنَ المسلمين ، فالمقصود بهذه الإشارة إذاً هو الهجاء الضّمنيّ للعدوِّ بأنَّه آثَرَ السّلامةَ وتَرَكَ نساءَهُ عُرْضَةً لأسبابِ المذلّة المختلفة .

ولا رَيبَ في أنّه قد ظهرت في فخرهم وحماستهم بعضُ المعاني المطبوعة بطابع إسلاميّ أو سياسيّ جديد ، إذ صار مِنَ المآثر التي يُفْتَخَرُ بِها التزامُ تعاليم الدين ، وما للقوم مِن سابقةٍ دِينيّة ، ومواقفهم مع الخلفاء ضدّ الخارجين ومُثيري الفِتَن ؛ كما أنَّ انضمامَهم إلىٰ اليمانية رَفَدَهم بمفاخِرَ لم نجد لها أثراً في شعرهم الجاهليّ .

ومن ثَمَّ يُمكن القَوْلُ إنَّ مجالَ التطور في هذا الموضوع بين شعرهم الجاهليّ والإسلاميّ إلى آخر عصر بني أميّة ليس بالواسع ، إذ يَقْتَصِرُ علىٰ اختفاء بعض المعاني بسبب اختفاء مظاهرها مِن المجتمع الإسلاميّ ، أو على ظهور بعض المعاني الجديدة المُسْتَمَدَّةِ من الحياة السياسية أو الدينيّة الجديدة .

فذٰلكَ كانَ موضوع الحماسة والفخر في شعر بني كلب منذ الجاهلية إلىٰ آخر عصر بني أميّة ، وإذا كنّا قد لاحظنا أنَّ هذا الموضوع هو أبرز موضوعات شعرهم بضربيهِ القبليّ والفرديّ فإنَّ دراسات أخرىٰ في أشعار عدد من القبائل انتهت إلىٰ النتيجةِ نفسها ؛ إذ كان شعر الفخر والحماسة مُسْتَأْثراً بالجانب الأكبر من موضوعات الشعر لدىٰ بني عُقَيْل[1] ،

---

(١) انظر : شعراء بني عقيل ١ : ١٤٠ـ١٤٦ .

وَهَمْدَان[1] ، وذبيان[2] ، وتغلب[3] ، وأسد[4] ، وطيّىء[5] ؛ في حين تأخّرت مَكانة هذا الموضوع في شعر بني قُشَيْرٍ ليحتلّ الغَزَلُ المكانةَ الأُولى ، ومع ذلك لم يكن الفخر والحماسة ضامِرَيْنِ في شعرهم[6] .

وثمَّةَ أمرٌ لَفَتَ الانتباهَ في هذا الموضوع عند بني كلب بعد الإسلام ، لاختلافهم فيه عن غيرهم ، وذلك هو استمرارُ غَلَبَةِ الجانب القَبَليّ على الجانب الفرديّ ، مَعَ أنَّ الشاعرَ بعدَ الإسلام أصبح يشعر بكيانه الذاتيّ ، إلى جانب الكيان الكلّيّ للقبيلة ، ذلك لأنَّ الفردَ بَدَأ يتميّز من القبيلة بعد أن كان ذائباً فيها ، ومَعَ أنّ الفرديّة في العصر الأمويّ كانت تظهر بِجَلاءٍ لدىٰ الشعراء[7] ؛ وقد أرجعنا اختلافَ شعراء بني كلبٍ عن غيرهم إلى أنَّ روح العصبيّة القبليّة قد استمرّت ، بل تضخّمت ، عندَ عدد من شعرائهم بسبب الوقائع التي جَرَت بينهم وبينَ قيس عيلان في عصر بني أميّة ، ومن ثَمّ ازدادَ تمسّكهم بالانتماء إلىٰ القبلية[8] .

وإذَا كنّا قد لاحظنا أنَّ المعاني الأساسية التي دار عليها القبليّ من فخرهم وحماستهم قبل الإسلام وبعدَه هي القوّة والعزَة والكثرة وما لهم من مآثر ، فإنّ ذلك ليس مُقتصراً عليهم ؛ لأنَّ موضوعَ الفخر والحماسة القبليّين في الشعر العربيّ عامّةً يقومُ في لُحْمَتِهِ وَسَداهُ علىٰ هذه المعاني التي تُعَدُّ في إطارِها العامّ مُشْتَرَكَةً بينهم ، بَيْدَ أنَّ البيئةَ التي كانت تعيشُ فيها كُلُّ قبيلةٍ قد تجعل لبعض القبائلِ مَفخرةً ما لا نجدها عند غيرها ، فَطَيِّىءٌ مَثلاً كانت تسكُنُ جَبَلَيْ أجأ وسلمىٰ وتَعُدُّهما حصنَها المنيع ،

---

(١) انظر : شعر همدان : ٧٥ـ٩٠ و١٥٥ـ١٥٨ .
(٢) انظر : شعر قبيلة ذبيان : ١٠١ـ١١٢ .
(٣) انظر : شعراء تغلب وأخبارهم ١ : ٢٧٥ـ٢٨٧ .
(٤) انظر : شعراء بني أسد : ٢٥٢ـ٢٥٩ .
(٥) انظر شعر قبيلة طيّىء ١ : ٥٢٩ـ٥٦٧ .
(٦) انظر شعراء بني قُشير : ١٣٣ـ١٨٨ و٢٤٠ـ٢٥٠ .
(٧) انظر العجّاج حياته ورجزه : ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .
(٨) انظر ما سبق ، ص : ٩١ ـ ٩٥ .

فكانَ مسكنُهم ذلك من مَفاخِرِ شعرائهم البارزة بوضوح ، كقول قَبيصة بن النّصرانيّ الطائيّ[1] :

لَنا الحِصْنَانِ مِنْ أَجَأٍ وَسَلْمىٰ وَشَـرْقِيّـاهُمـا غَيْـرَ انتحـالِ

وكقول عامر بن جُوَين الطّائيّ[2] :

أَبْلِـغِ المُلُـوكَ مَـأْلُكَـةً مَنْ نَأَىٰ في الأَرْضِ أَوْ قَرُبَا
أَنَّ حَـوْلـي مِـنْ ذُرَىٰ أَجَـأٍ زَلَقـاً تَخَـالُـهُ نُصُبَـا

وغير ذلك[3] ؛ وكانت بعضُ القبائل تسكن القرىٰ ، كقريش في مكّة ، وثقيف في الطائف ، والأوس والخزرج في يثرب ، فكانت مكةُ بَلَداً حراماً لأسباب دينيّة منذ أقدم العصور ، ولذلك كانت حُرْمَتُها ومَنَعَتُها من مفاخر شعراء قريش ، ولا سيّما بعدَ حادثة الفيل ، كقول عبد الله بن الزِّبَعْرىٰ يَذكُرُ جيشَ أبرهةَ[4] :

وَتَنَكَّلُـوا عـن بَطْـنِ مكّـةَ إنَّهـا كـانـت قـديمـاً لا يُـرامُ حَـريمُهَـا
لـم تُخْلَـقِ الشِّعْرىٰ ليـاليَ حُـرِّمَـتْ إذْ لا عَـزيـزَ مِـنَ الأنـامِ يَـرومُهَـا
. . . .
كـانـت بهـا عـادٌ وجُـرْهُـمُ قبلَهُـمْ واللهُ مِـنْ فـوقِ الأنـامِ يقيمُهـا

وكقول حَرْب بن أميّةَ يدعو أبا مَطَرٍ الحضرميَّ إلىٰ نزولِ مكّةَ[5] :

أَبـا مَطَـرٍ هَلُـمَّ إلـىٰ صَـلاحِ لِيَكْفِيَـكَ النَّـدامـىٰ مِـنْ قُـرَيْـشِ
فَتَـأْمَـنَ وَسْطَهُـمْ وتَعيـشَ فيهِـمْ أَبَـا مَطَـرٍ هُـدِيـتَ لِخَيْـرِ عَيْـشِ
وتَنْـزِلُ بَلْـدَةً عَـزَّتْ قَـديمـاً وَتَـأْمَـنُ أنْ يَـزورَكَ رَبُّ جَيْـشِ

وصَلاحِ : من أسماءِ مَكَّةَ ؛ وكانت ليثرب والطائف بساتين من النخل والعنب والتّين

---

(١) شعراء قبيلة طَيِّىء ٢ : ٢١٦ .
(٢) المصدر نفسه ٢ : ١٤٩ ، والمأْلُكة : الرّسالة . والزَّلَق : الأرض المَلْساء .
(٣) انظر المصدر نفسه ٢ : ٧٣ ، ١٣٢ ، ١٥٨ .
(٤) شعر عبد الله بن الزّبعرى : ٤٩ .
(٥) الحيوان ٣ : ١٤١ ؛ وانظر ديوان أمية بن أبي الصلت : ١٤٧ـ١٤٩ ، ٥٥٢ وتخريجاته .

وغيرها ، فكان أهلُها أهلَ زِراعة ، وقَدْ بَنَوا الحُصونَ والأَسوار ، فافتخر شعراؤُهم بذلك ؛ فأميّة بن أبي الصَّلْت يفتخر بزراعة الطُّوطِ ، أي القُطْن[١] :

وَالطُّــوطُ نَــزْرَعُــهُ أَغَــنٌّ جِــراؤُهُ   فيــهِ اللِّبــاسُ لكُــلِّ حَــوْلٍ يُعْضَــدُ

ويفتخر بنزولهم في وَجّ ، وهو وادي الطائف أو الطائفُ نفسُها ، ذٰلك المكانِ ذي الشجرِ الذي اسوَدَّ لشدّة اخضراره ، فزرعوا فيه أشجارهم[٢] :

وكُنَّــا حَيْثُمــا عَلِمَــتْ مَعَــدٌّ   أَقَمْنَــا حيــثُ ســاروا هــارِبينَــا
بِــوَجٍّ وَهْــيَ عُبْــرِيٌّ وَطَلْــحٌ   تَخــالُ سَــوادَ أَيْكَتِهــا عَــرِينَــا
فَــأَلْقَيْنَــا بِسَــاحَتِهــا حُلــولاً   حُلــولاً لــلإِقــامــةِ مــا بَقِينَــا
فَــأَنْبَتْنَــا خَضــارِمَ فــاخِــراتٍ   يكُــونُ نِتــاجُهــا عِنَبــاً وَتِينَــا

وكانَ علىٰ الطائف سورٌ مَنيعٌ يُحيطُ بها ويُحصِّنُها ، فافتخر بذلك أُميّة[٣] :

نَحْــنُ بَنَيْنــا طــائفــاً حَصِينَــا   يُقــارِعُ الأَبطــالَ عَــنْ بَنِينَــا

ويفتخر حسّان بن ثابت الخزرجيّ بما صَنَع قومُه في يثرب ، إذ بَنَوْا حُصوناً في بَساتين نخيلها ، واتخذوا للإبل وغيرها حظائرَ يعلفونَها فيها ، واستخدموا إبلاً دَرَّبَهَا اليهودُ ليسقوا عليها ، فصار لهم بيثرب كرومٌ يصنعون منها الخَمْرَ ويعيشون عيشاً رغيداً[٤] :

بيَثْــرِبَ قــد شيّــدوا فــي النَّخيــلِ   حُصــونــاً ودُجِّــنَ فيهــا النَّعَــمْ
نَــواضِــحَ قــد عَلَّمَتْهَــا اليَهُــو... دُ عُــلَّ إليــكَ وقَــوْلاً هَلُــمْ

---

(١) ديوانه : ٣٥٢ ؛ والأغنّ : الناعم . وجِراءُ القُطْنِ : جَوْزُه . ويُعْضَد : يُوَشّىٰ .

(٢) ديوانه : ٥٠٦ ؛ والعُبْرِيّ : السّدر النابت على شاطىء النهر ، فهو عظيمٌ . والطَّلْح : شَجَرٌ عظيمٌ لا تلتقي يدا الرجُل علىٰ ساقه . والأيكة : الشجر الكثيف الملتفّ . والخضارم : جمع الخِضْرِم ، وهو الكثير من كلّ شيء ، وأرادَ أشجاراً أو بساتينَ .

(٣) ديوانه : ٥١٦ . والطائف : الحائط الذي يحيط بالمكان ، ومنه سُمِّيَتِ الطائف طائفاً . ويقارع : يضارب بالسيف ؛ على التشبيه .

(٤) ديوانه (بتحقيق البرقوقيّ) : ٤٢٦ ؛ والنواضح : الإبل التي يُستقىٰ عليها الماء .

وَفيمـا اشْتَهَـوْا مِـنْ عَصيرِ القِطـافِ ... وَعَيْــشٍ رَخِــيٍّ عَلَــىٰ غَيْــرِ هَــمْ

وكذلك افتخر قيس بن الخطيمِ الأَوسيّ بِما لَهُمْ بيثربَ مِن حُصونٍ عاليةٍ تتوزّعُ بينَها أشجارُ النخيل التي يَجْنونَ ثمرها ، ويطرُدُ أولادُهم عنها الغِرْبانَ[1] :

لَنَــا مَــعَ آجَــامِنــا وَحَــوْزَتِنــا ... بَيْــنَ ذُراهــا مَخــارفٌ دُلُــفُ

يَــذُبُّ عَنْهُــنَّ ســامِــرٌ مَصِــعٌ ... سُــودَ الغَــواشــي كَــأَنَّهــا عُــرُفُ

وقد لاحظنا أنّ الفرديّ مِن الفخر والحماسة لدىٰ شعراءِ كلب في الجاهلية والإسلام كان يَدُورُ حولَ الخصال الحميدة والمواقف الشخصية ، وهو ما كان يدورُ عليه هذا الضربُ عندَ غيرهم مِن الشعراء ، ذلك لأنّ كثيراً مِنَ القِيَمِ التي كانوا يفتخرونَ بها كالشجاعة والعزة والكَرَم والصبر على الشدائد ونحوها إنّما هي قِيَمٌ عامّةٌ لا تختصّ بتقديرها قبيلة دونَ قبيلة ، وهي ثابتةٌ في المجتمع سواء أكان مجتمعاً جاهلياً أم إسلامياً ، وإنّما نَلْحَظُ الخِلافَ في الجزئيّات مِنَ الخِصَالِ والمواقف . وفي طريقة كلّ شاعرٍ في التعبير عَنْ فَخْرِه ، وهذا يختلف فيه شعراءُ القبيلةِ نفسها لاختلاف الطبائع البشرية والقرائح الشعريّة .

٢ ـ الهجَاء :

رأينا في مواضع عدّة من الحديث عن الحماسة والفخر ارتباطاً بموضوعٍ آخر هو الهجاء ، وربّما امتزجا امتزاجاً يصعبُ معه الفَصْلُ بينهما ، ولا سيّما في الجانب القبلي ؛ وذلك لأنّ الفخر بالعشيرة ومآثرها المختلفة يستدعي عند وقوع الصّراع بينها وبين بعض القبائل أن يتعرّض الشاعر للعدوّ بالهجاء أحياناً . على أنّ الصّلة بين الحماسة والفخر وبين الهجاء أعمق من مجرّد ارتباطهما في هذه القطعة الشعرية أو تلك ، إذ نجد أنّ كِلاَ الموضوعين يتّجه اتّجاهين : قبليّ ، وفرديّ ، وأنّ كثيراً من

---

(١) ديوانه : ١١٨ ـ ١١٩ ؛ والآجام : أي الحصون . والحَوزة : الناحية . والذرىٰ : الأعالي . والمخارف : النَّخل يُخْتَرَفُ منه ، أي يُلتَقَط ثمَرُه . ودُلُف : أي تنهض بحملها من الثمر . والمَصِع : الغلام الذي يلعب بالمِخراق . وسُود الغواشي : أي : الغِرْبان . والعُرُف : جمع عُرْف الفَرَس .

معاني الفخر والحماسة تتحوّل إلى معاني هجاءٍ إذا ما سَلَبَها الشاعِرُ من العدوّ وجرّده منها ، أو إذا ما جاء بأضدادها وألصقها به ؛ وهذا الارتباط عامٌّ في الشعر العربي ، جاهليّه وإسلاميّه ، عند بني كلب وعند غيرهم .

فأمّا **الشعر الجاهليّ** عند بني كلب فلم يصل إلينا منه هجاءٌ كثير ، إذ نجد **الهجاء القبليّ** في أربع قطع فقط ، استأثر زهير بن جناب بثلاث منها ، إذْ عيّر بني القَيْن بن جَسْر القُضاعيّين بالفِرار من العدوّ خَشْيَةَ الموت ، وبأنّهم خيَّبوا ظنّه فيهم إذ دعاهم للمشاركة في حرب غَطَفان التي أرادت أن تجعل من (بُسٍّ) حَرَماً كحرم مكة ، فوجدهم قوماً جُبَناء ، وقد صرفَ بني القين عن هذه المَكْرُمة عُكوفُهم على إبلهم يحلبونها ويرعونها في مكانٍ يَسْتَخْفُونَ فيه عن الناس من جُبْنِهم وضَعْفِهم خَشْيَةَ أنْ يُغارَ عليهم[1] :

وَقَـدْ هَـرَبَـتْ حِـذارَ المَـوْتِ قَيْـنٌ   عَلَـىٰ آثـارِ مَـنْ ذَهَـبَ العَفَـاءُ !
وَقَـدْ كُنّـا رَجَـوْنَـا أَنْ تُمِـدُّوا   فَـأَخْلَفَنَـا مِـنِ ٱخْـوَتِنـا الـرَّجـاءُ
وَأَلْهَـىٰ القَيْـنَ عَـنْ نَصْـرِ المَـوالـي   حِـلابُ النِّيـبِ والمَـرْعَـىٰ الضَّـراءُ

وقد سبقت في موضوع الفخر والحماسة أبياتٌ أخرىٰ من هذه القصيدة ذكر فيها أنَّ غطفان لم تصبر لِلقائهم ، فحازوا نساءَها ثم مَنُّوا عليهم فأرجعوهنّ ، وفَخَرَ عليهم بكثرة القتلى من أبطالهم ، ودَعاهُمْ إلى الثأر إنِ استطاعوا ، ودعاهم ساخِراً منهم إلى تَرْكِ بُسٍّ وما حولَهُ من الأرض الفَضَاء ، والبحثِ بَدَلَ ذلك عن مكانٍ يستخفون فيه[2] ؛ وتلك المعاني الحماسية تَصْلُح لأن تكون أيضاً من باب الهجاء .

وإذا كان الجُبْنُ والضَّعْفُ والحِرْصُ على المال هو الذي دعا بني القين إلىٰ تَرْكِ المشاركة في حرب غطفان فإنّ بني أَهْيَب الكلبيّين لم يكونوا من أولئك الأبطال ذوي النَّجْدة من قضاعة الَّذين يمنعون إِبِلَهُ أَنْ ينالَها أحد ، لأنّ بني أَهْيَب قد أَلْهَاهُمْ عن

---

(١) الديوان، ص: ٣١.
(٢) انظر ما سبق، ص: ٢٧٩.

ذلك مُلازَمَتُهم ذلك الصَّنَم الّذي يدعى (الدَّوار)[1] :

بِكُــلّ مُنَــاجِــدٍ جَلْــدٍ قُــواهُ وأَهْيَــبُ عــاكِفُــونَ علـىٰ الــدَّوارِ

وهجا زهيرٌ بني تغلب بعد أن ظهرت بنو كلب عليهم وعلى إخوتهم بكر بن وائل ، فعيّرهم بسَبْيِ نسائهم وبأسر سيّدهم مهلهل ، ثم التفت إلىٰ مهلهل فسخر منه وعيّره بفِرار رجالِ قومه من المعركة وبأسره مُرْغَماً[2] :

تَبّـاً لِتَغْلِـبَ إذْ تُسَـاقُ نِسـاؤُهُـمْ سَـوْقَ الإمـاءِ إلـىٰ المَـواسِـمِ عُطَّـلاً
لَحِقَـتْ أوائـلُ خيلنـا سَـرَعـانَهُـمْ حَتَّـى أسَـرْنَ علـىٰ الحُبَـيِّ مُهَلْهِـلا
إنّـا مُهَلْهِـلُ لا تَطِيـشُ رِمـاحُنَـا أيّـامَ تَنْقَـفُ فـي يَـدَيْـكَ الحَنْظَـلا
وَلَّـتْ حُمـاتُـكَ هَـارِبِيـنَ مِـنَ الـوَغـىٰ وَبقيـتَ فـي حَلَـقِ الحـديـدِ مُكَبَّـلا
فَلَئِـنْ قُهِـرْتَ لَقَـدْ أَسَـرْتُـكَ عَنْـوةً ولئـن قُتِلْـتَ لَقَـدْ تكُـونُ مُـرَمَّـلا

فهذه هي القطع الثلاث التي استأثر بها زهيرٌ من الهجاء القبليّ ، ونجد في القطعة الأخيرة أنّه مزج بين الهجاء القبليّ والشخصيّ ؛ وهو ما نجده في القطعة الرَّابعة ، وهي لِحَمَلِ بن مسعود ، إذْ هَجَا بعض الرّجال بالنَّومِ على الثأر من العدوّ الذي سبىٰ نساءَهم[3] :

لَـوْ كُنْـتَ حُـرّاً كَـرِيمـاً ذا مُحـافَظَـةٍ مـا نِمْـتَ إلاّ وَنـارُ الحَـرْبِ تَشْتَعِـلُ
حَتَّـىٰ تُسَـاقَ نِسَـاءٌ سَـوْقَ نِسْـوَتِكُـمْ بمـا أَصـابَكُـمُ أو يُبْلَـغَ الأَجَـلُ

فالمقصودُ بهذا الهجاء القبيلةُ كلُّها لا هٰذا الرَّجل وحدَه .

ونجد من **الهجاء الشخصيّ** في شعرهم الجاهليّ ستَّ قِطَعٍ فقط ، ذَهَبَ نصفُها إلى هجاء رجالٍ من بني كلب أنفُسِهم ، وذهب النّصفُ الآخر إلى رجالٍ من قبائل أخرى ، فهذا القَعقاعُ بنُ حُرَيْث أراد أن يهجوَ امرأَ القيس بن عديّ الكلبي الشاعرَ ،

---

(١) الديوان، ص: ٤٠، وانظر ما سبق، ص: ٢٨٠ .
(٢) الديوان، ص: ٥٤ .
(٣) الديوان، ص: ٢٧٣ .

وكان امرؤ القيس قد لَطَمَهُ فترك القعقاعُ قومَهُ ونزل على طيِّء في جبلَيْهم ، ثم حنّ إلىٰ العشيرة ، فدعا جارَه أُنَيْفَ بنَ مسعودِ بنِ قيسٍ الطّائي إلى النّظر في الظعائن وقد ارتحلَتْ حاملةً علىٰ ظهورها مَذَمَّة امرىء القيس[1] :

تَبَصَّرْ يَا بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسٍ   بعينكَ هَلْ تَرىٰ ظُعُنَ القَطِينِ
خَرَجْنَ مِنَ الغِمَارِ مُشَرِّقاتٍ   يَمِيلُ بهنَّ أزواجُ العُهُونِ
بِذَمِّكَ يا امْرَأَ القيسِ استَقَلَّتْ   رِعانُ غَوارِبِ الجَبَلَيْنِ دُوني

وهذا زهيرُ بنُ جَنَاب قد أزعجَتْهُ عندما كَبِر مخالفَةُ ابنِ أخيهِ عبدِ اللهِ بن عُلَيْم بنِ جَنَاب ، إذ جعلَ عبدُ الله وقد طمع في الرئاسة إذا ما قال عمُّه زهيرٌ : ألا إنّ الحيَّ ظاعنٌ ، قال عبدُ الله : ألا إنّ الحيّ مقيم ، فيُداريه زهيرٌ ويقول : ألا إن الحيّ مُقيم ، فيقولُ عبدُ اللهِ : أَلا إنَّ الحيّ ظاعِنٌ ؛ فقالَ زهير[2] :

وَكَيْفَ بِمَنْ لا أَسْتَطِيعُ فِراقَهُ   وَمَنْ هُوَ إلاَّ تَجْمَع الدّارُ لاهِفُ
أَميرُ خِلافٍ ، إنْ أُقِمْ لا يُقِمْ مَعي   ويَرْحَلْ ، وَإِنْ أَرْحَلْ يُقِمْ ، ويُخالفُ

وهجا بعضُ بني عامر الأجدار عامِرَ بنَ عَمْرو بنِ عبدِ وَدّ بأنّه ترك ضيفَهُ دون طعامٍ ولا زاد ، وأحْكَمَ سدَّ زقِّ الخَمْرِ فشدَّ الخَيْطَ على غطاءِ فَمِهِ كي لا يسقيه منه[3] :

وَضَيْفٍ قد أُبِيْتَ بغيرِ زادٍ   وزِقٍّ قَدْ شَدَدْتَ لَهُ الوِكاءَا

فلُقِّبَ عامرُ بنُ عمرٍو الوِكاءَ بسبب هذا البيت الذي كان سُبَّةَ الدّهرِ له .

وكان كسرىٰ قد مَلَّكَ علىٰ الحيرة إياسَ بنَ قَبِيصة الطّائيَّ بعد النعمان بن المنذر ، فوقع بين كلب وبين الفُرْسِ يومُ سُيَيْف ، فساند إياسُ بنُ قبيصة ومَنْ تحتَ سيطرتِه من العرب الفرسَ فهزمَتْهُم كَلْبٌ ، وفَرَّ إياسٌ من المعركة ، ونجا على ظهر

---

(١) الديوان، ص: ١٤٧ .
(٢) الديوان، ص: ٤٤ .
(٣) الديوان، ص: ٣٣٢.

فرسٍ سريعٍ أصيل ، فراحَ حارثةُ بنُ أوسٍ يهجوه ويُصَوّر فِرارَهُ تصويراً مضحكاً وهو يسخر منه ، إذ استطاع فرسُه (البُرَيتُ) أن يَنْجُوَ به مِنْ رِماحِ بني كلب ، وقد جعل إياسٌ يَسْلَحُ من شدّة الخوفِ كما يَسْلَحُ طائر الحُبارىٰ حين يقصِدُه الصّقر[1] :

وَنَجّى إِيَاساً سَابِحٌ ذُو عُلالَةٍ   مُلِحٌّ إذا يَعْلُوا الحَزَابِيَّ مُلْهِبُ
أَبُو أُمِّهِ العُرْيَانُ أَوْ هُوَ خَالُهُ   إِلىٰ كُلِّ عِرْقٍ صالحٍ يَتَنَسَّبُ
كَأَنَّ اسْتَهُ إِذْ أَخْطَأَتْهُ رِماحُنَا   وَفَاتَ البُرَيْتُ لِبْدُهُ يَتَصَبَّبُ
ذُنابىٰ حُبَارىٰ أَخْطَأَ الصَّقْرُ رَأْسَها   فَجَاءَتْ بِمَكْنُونٍ مِنَ السَّلْحِ يَثْعَبُ

وعَيّرَ شراحيلُ بنُ عبدِ العُزّىٰ أبا حَكَمٍ القينيَّ بفراره من المعركة على فرسه (أبهر) ، ذلك الفِرار الذي لم يجد سبيلاً إلى الحياة إلاّ بِهِ[2] :

وَلَوْلا رَكْضُ أَبْهَرَ قَاظَ فِينَا   أَبُو حَكَمٍ يُؤَمِّلُ أَوْبَ صَخْرِ

ورَدَّ مسروحُ بنُ أدهم النَعاميُّ على النّابغة الذبيانيّ الَّذي لهّف أُمّه لأنَّه لم يَلْقَ بعضَ بني كلب فيُحارِبَهم ، فأكّد له مسروحٌ ذلك بأنّ التَلَهُّفَ لا ينبغي أَنْ يكون إلاّ لأمِّهِ ، لأنّه لاقاهُم من قَبْلُ فأفْلَتَ منهم بعدما أدركه الموتُ كما أفلتَتْ الجرادَةُ من بين أسنانِ العَيّار الكلبيّ الذي أراد أكْلَها وهو يظنّ أنَّ النّارَ قد أَنْضَجَتْهَا ، وقد كَرِهَ النابغةُ لقاءَهم كما يكره الخنزيرُ إلقاءَهُ في الماء المغليّ حيّاً لِيُنْتَفَ شَعَرُه[3] :

يا لَهْفَ أُمِّكَ لا تَلَهُّفَ غَيْرِها   تِلْكَ التّي هَلَكَتْ بِبَطْنِ حِمارِ
وَلَقَدْ رَأَيْتَ فَوَارِساً مِنْ قومنا   غَنَظُوكَ غَنْظَ جَرَادَةِ العَيَّارِ
وَلَقَدْ رَأَيْتَ مَكَانَهُمْ فَكَرِهْتَهُمْ   كَكَرَاهَةِ الخِنْزِيرِ لِلإِيغارِ

فذلك جميعُ ما جاء في شعرهم الجاهليّ من هجاء قَبَليّ وشخصيّ ، ونلاحظ أنَّ أغْلَبَهُ كان بدافعٍ من الصِّراعِ بينهم وبين القبائل الأخرىٰ ، إلاَّ ذلك الهجاء الفرديّ

---

(١) الديوان : ١٢٦ .
(٢) الديوان : ٢٤٥.
(٣) الديوان : ٢٥٤.

الموجّه إلى بعض بني كلب إذْ كان الدافعَ إليه سوءُ العلاقة بين الشاعر والمهجوّ ، كما نلاحظ أنّ الشعراءَ سَلَكون سُبُلاً عدّة في الهجاء ، إذ اعتمدوا أحياناً علىٰ تصوير ما آلَتْ إليه حالُ العَدُوّ من أسرٍ وسباءٍ وقَتْلٍ ، وأَحياناً علىٰ السُّخْرِية والتّصوير المُضْحِكِ ، وأحياناً على التجريد من الفضائل أو علىٰ التعيير ببَعْضِ النّقائصِ ، كالجُبْنِ ، والبُخْلِ ، والفِرار من المعركة ، بينما اختفىٰ تصويرُ العُيوبِ الجَسَدِيّة ونهش الأعراض ، وقد ظهرت في المعاني الّتي تناوَلُوها بعضُ الآثار المُمَيِّزة للعصرِ الجاهليّ ، كالسَّباءِ ، وعبادَةِ الأَصْنام ، والحاجَةِ إلىٰ القُوّة والمَنَعة لحماية العشيرة وأموالها .

وأمَّا **الشعر الإسلاميُّ** فلا يختلف هجاؤهم فيه عن هجائهم الجاهليّ من حيثُ الإطارُ العامّ وانقسامُه إلى قبليّ وفرديٍّ شخصيّ ، ولكن الاختلاف طرأ على بعض الأساليب التي سلكها الشعراء في الهجاء ، والدوافع ، والمعاني المُتَنَاوَلة ، وعلى مِقدارِ ما وَصَلَ إلينا من هجائهم ، ونقفُ فيما يلي عندَ قِطَع الهجاء من كلا الضّربَيْنِ القبليّ والفرديّ ، لنستنتج من خلالها بعدَ ذلك مظاهِرَ الجِدّة في هجائهم بعد الإسلام .

ويُمكننا تناوُلُ قطعِ **الهجاء القبليّ** ضمن مجموعاتٍ ، إذ نجد مجموعةً وُجّه الهجاءُ فيها لقبائل قيسِ عيلانَ ، وأُخرى لبني أميّة ، وثالثة لبني أسد ، ورابعة لبعض بطون كلب أو بعض قضاعة . وثَمّةَ عددٌ قليلٌ من القِطع لا يجمعُها جامعٌ ؛ فإذا ما نظرنا في تلك الّتي هُجِيَتْ فيها قبائلُ قيسِ عيلان رأيناها تتعلق بيومِ مَرْجِ راهِط وما نَتَجَ عنه من عصبيّةٍ بينَ كلب وقيس ، وهو ما رأينا له الأثَرَ الأكبرَ في شعر الحماسة والفخر لدىٰ شعراءِ بني كلب ، فها هو ذا عمرو بن حُجْرٍ الكلبيّ يُذَكّر قيساً بيوم المرج ويعيّرهم بعجزهم ذلك اليوم وبكثرة قتلاهم(١) :

أَلا مَـــنْ مُبْلِـــغٌ قيســـاً رســـولاً بـــأنّـــا قـــد شَفَيْنـــا وٱشْتَفَيْنَـــا

(١) الديوان : ٦٥٧ .

غَـدَاةَ المَـرْجِ نضـربُكُـمْ ببيـضٍ صَـوارِمَ فـي المَهَـزَّةِ يَلْتَـوِينَـا
فَلَـمْ تَحْمُـوا هنـالِكُـمُ ذِمـاراً وَلا عَطَفَـتْ كَتـائِبُكُـمْ عَلَيْنَـا
فَـأَشْبَعْنـا ضِبـاعَ الأَرْضِ مِنْكُـمْ وَأَقْـرَرْنـا بقَتْلِكُـمُ العُيُـونَـا

وهو كما نلاحِظ هجاءٌ فيه روحٌ من الحماسة والفخر ، وقريبٌ من هذا هجاؤهم مِنْ قِبَلِ عمرو بن مِخْلاة ، إذْ افتخر بما كان من كلب يومَ المرج ، وراح يعدّد أسماءَ سادَةِ قَيسِ عيلانَ الذين قتلوهم ، ثم عَطَفَ بعدَ ذلك ليهجُوَهُم بأنَّ يوم المرج كان يوم مَذَلّةٍ وخزيٍ لهم ، في حين كان لكلب يومَ سرور ، وأنّه تركَهم أمام الناس خاضعين ضارِعين أَبَدَ الدّهْرِ[1] :

فَمَنْ يَكُ قَدْ لاقى مِنَ المرج غِبْطَةً فكـانَ لقيـسٍ فيـه خـاصٍ وجَـادِعُ
فَلَـنْ يَنْصِـبَ القيسـيُّ للنـاسِ رايـةً مِنَ الدّهْرِ إلاَّ وَهْو خَزْيانُ خاشِعُ

ويهجوهم جوّاسُ بنُ القَعْطَل بأنّهم فقدوا يومَ المرج كُلَّ ما يُفْتَخَرُ به ، ولو أنهم خرجوا من دينهم لكان خيراً لهم ، ثم عيّرهم ساخراً بما كان من تقصيرهم ذلك اليوم الذي لم يكن لهم بلاءٌ يُعَدُّ فيه ، فإذا وجدْتَ قَيْسِيّاً يفتخر فذكِّرْهُ بما كان منهم يوم المرج يَنكفِىءُ خاسئاً ، إذ كان سادَتُهم فيه مُجرَّدَ نَهْبٍ لا خيرَ فيهم[2] :

فلو كنتُ مِنْ قيسِ بنِ عَيْلانَ لم أجِدْ فَخـاراً ، ولـم أَعْـدِلْ بـأَنْ أَتَنَصَّـرا
إذا فـاخَـرَ القيسـيُّ فـاذكـر بـلاءَهُ بـزَرّاعـةِ الضَّحّـاكِ شـرقـيَّ جَـوْبَـرا
وما كانَ في قيسِ بنِ عَيلانَ سَيّدٌ يُعَـدُّ ولٰكِـنْ كلُّهُـمْ نَهْـبُ أشْقـرا

وممّا هُجِيَتْ به قيسُ عيلان أيّام العصبيّة بينها وبين كلب أبياتٌ لجوّاسٍ سبقَتْ في الحديث عن فخرهم وحماستهم ، إذ افتخر بإيقاعهم ببني فزارة وجعل ذلك وَطْئاً لِهَامِ هَوَازِنَ كلّها ـ وهَوَازِنُ مِنْ قيسٍ ـ وخَتَمَهَا هجاءً بأنَّ كلباً أَرْغَمَتْ أُنُوفَهُم بما

(١) الديوان : ٤٧٤ .
(٢) الديوان : ٤٤٨ .

قتلت من بني فزارة[1] :

وأَذَلّ مَعْطِسَكُمْ وأَضْرَعَ خدَّكُمْ   قَتْلىٰ فَزارةَ إِذْ سَما ابْنا بَحْدَلِ

ومن ذلك أيضاً أبياتٌ لعمرو بن مخلاة عيّر فيها بني ذبيان من قيس بما فرضَهُ عبدُ الملك بن مروان لهم من أُعْطِياتِ قُضاعة علىٰ سنواتٍ ليكون ذلكَ دِيَةً بقتلىٰ فزارةَ علىٰ يَدِ حُمَيْدِ بنِ حُرَيْثٍ ومَنْ نهض معه لقتالهم من كلبٍ ، وسَخِرَ بهم إذْ دعاهم إلى لُبْسِ الخَلاخِلِ كالنِّساءِ[2] :

خُذُوها يا بَنِي ذُبيانَ عَقْلاً   عَلَىٰ الأَجْيادِ واعْتَقِدُوا الخِدامَا

دَراهِمَ مِن بَني مَرْوانَ بِيضاً   يُنجِّمُها لَكُمْ عاماً فَعامَا

ثمّ راح يفتخر عليهم بما فعله حميد بأبياتٍ سبقت في الحديث عن الفخر والحماسة أيضاً[3] .

وكان يومُ المرج أَكْبَرَ مِنَّةٍ لبني كلب عند بني أمية فهم الذين قاموا مع مروان حتى بُويعَ له ، وقاتلوا الضحّاك بن قيس ومَنْ قام معه من قيس عيلان لمبايعة ابن الزُّبير ، وقد أنقذ رَجُلانِ منهم مروانَ ذلك اليومَ بعدما كاد يَهْلِك ، فكان شعراءُ كلب حينما يَرَوْنَ جَفْوةً من بني مروان يَثُورُونَ ويذكِّرونَهُم بما لهم من فضل ؛ فالأحمر بنُ شُجَاع افتخر بصَقْعِهِمْ قيسَ عيلان ، ثم التفت إلى بني مروان الّذين ظهر منهم ما يَدُلُّ على إنكارِهم فَضْلَ كَلبٍ مُهَدِّداً إيّاهم بأنّ لهم أعداءً سَيُحارِبُونَهم يوماً ما ، فَلْيُحارِبوهم وَحْدَهُمْ يَوْمَذَاك ، لأنَّهم لن يجدوا من كلبٍ مُنَاصَرَةً كما وجدوا يومَ المَرْجِ ؛ ذلك أنَّ كلباً ناصَرَتْهُمْ لِمَا عُرِفَ مِنْ كَرَمِ أخلاقها ، فتنكَّرُوا لَهَا وجَحَدوا معروفَها ، وليس ذلك بالجديدِ من أخلاقِ النّاسِ الّذين تجد فيهم كثيرينَ يَنْسَوْنَ المعروفَ[4] :

---

(١) الديوان: ٤٥٦، وانظر ما سبق، ص: ٣٠٢.
(٢) الديوان: ٤٧٩.
(٣) انظر، ص: ٣٠٢ـ٣٠٣.
(٤) الديوان: ٥٣٦.

فَإِنْ تنكرَنْ مروانُ حُسْنَ بَلائنا فكُونَنْ أَخاها حين تَخْشَىٰ وتُذْعَرُ
فَعَلْنا بهمْ فِعْلَ الكِرام فأصْبَحُوا وما فيهمُ إلاَّ عَنِ الشُّكْرِ أَزْوَرُ
فإنْ يَكفُرونا ما صَنَعْنا إليهمُ فما كلُّ مَنْ يُوتىٰ الصَّنيعَةَ يَشْكُرُ

وعندما رأىٰ الحُسامُ بنُ ضِرار ظُلْمَ بعضِ العُمَّالِ القيسيِّينَ له ولغيره من أشرافِ كَلْبٍ راحَ يُذكِّرُ بني أميّة بفضلهم يومَ المرج ، يومَ كانت قيسٌ عدوّاً لهم ، فنهضَتْ كلبٌ فَحَنَتْ عليهم وجعلَتْ نفسَهادِرْعاً لبني أميّة يَرُدّ عنهم عدوَّهم(١) :

أَفَأُتُمْ بني مروانَ قيساً دِماءَنا وفي اللهِ إنْ لَمْ تُنصِفُوا حَكَمٌ عَدْلُ
كَأَنَّكُمُ لَمْ تَشْهَدوا مَرْجَ راهطٍ وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كانَ ثَمَّ لَهُ الفَضْلُ
وَقَيْناكُمُ حَرَّ القَنَا بصُدُورِنا ولَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ تُعَدُّ وَلا رَجْلُ

فإذا ببني مروانَ يَتَنَاسَوْن ذلك عندما استَقَامَ لهم الأمرُ ، لأنّهم جاهلُونَ لا يَحْسُبُونَ حساباً لما تأتي به الأيّام ، فلا ينبغي لهم أَنْ يَلُوموا كلباً إذا تَخَلّتْ عنهم حينَ يثورُ بهم أعداؤهم يوماً ما :

فَلمّا رأيْتُمْ واقِدَ الحربِ قد خَبَا وطابَ لكم فيها المشاربُ والأكلُ
تَغافَلتُمُ عنّا كأنْ لم يكنْ لنا بلاءٌ وأنتمْ ما عَلِمْتُ لها فُعْلُ
تناسَيتُمُ مَسْعاتَنَا وبلاءَنا فَخامَرَكُمْ مِنْ سُوءِ بَغْيِكُمْ جَهْلُ
فَلا تَجْزَعُوا إنْ عَضَّتِ الحربُ مَرَّةً وزلَّتْ عن المَرْقَاةِ بالقدمِ النَّعْلُ
وإن رثَّ حَبْلُ الوصل وانقطع القُوىٰ أَلا ربَّما يُلْوىٰ فينقطعُ الحَبْلُ

ويجعل الوازعُ بن ذُؤالة استنكاره لتناسي بني أميّة مَوْقِفَ كلبٍ يوم مرج راهط مَدْخَلاً للفخر في أبيات سبقت في الحديث عن الفخر والحماسة ، ووجّه الكلام إلىٰ بعض أمرائهم ، وهو يريدهم جميعاً(٢) :

أتنسى الذي أسْدَيْتُه يومَ راهطٍ وقَد ضاقَ عنكَ المرجُ والمرجُ واسعُ

---

(١) الديوان : ٥٠٨ .
(٢) الديوان : ٦٢٩ ، وانظر ما سبق ص : ٢٩٩ .

ورأىٰ جوّاسُ بنُ القَعْطَل أنّ بني أميّة حاربوا بهم عدوَّهم ، فلمّا فرغوا واستقرّ لهم أمر الخِلافة تنكّروا لكلب ، فأعرضُوا عنها ، والتهوا عنهم بما نالوا من الدنيا ، ثم راح يمُنُّ عليهم بمواقف كلبٍ ودفاعها عنهم في مواطِنِ الكَرْبِ حتى فرّجوه عنهم ، وإذا كانت أميّة لم تشكر لهم ذلك فعند الله أجرُهم وجزاؤُهم(١) :

صَبَغَتْ أميّةُ بالدّماءِ رماحَنَا ... وطَوَتْ أميّةُ دوننا دُنياها

أأُمَيَّ رُبَّ كتيبةٍ مجهولةٍ ... صِيْدِ الكُماةِ عليكمُ دَعواها

كنّا وُلاةَ طِعانها وضِرابها ... حتى تَجَلّتْ عنكمُ غُمَّاهَا

فالله يجزي لا أُميّةُ سَعْيَنا ... وعُلاً شَدَدْنا بالرّماحِ عُرها

ثم خصَّ بالذّكرِ موقفَهم معهم يوم المرج بعدما طُرِدوا من الحجاز وبايَعَتْ جميع أجنادِ الشام لعبد الله بن الزُّبَيْرِ إلاّ حسان بن مالك بن بحدل الذي كان أميراً على فلسطين والأردن ، فقام مع قومِهِ بأمر مروان ، وشدَّ له الخِلافة ، وحاربَ معه الضحّاك بن قيس ومَنْ معه مِن قبائل قيس التي أظهرت عداوتَها الشديدة لبني أميّة :

جَئتُمْ من الحَجَرِ البعيد نِياطُهُ ... والشَّأْمُ تُنْكِرُ كَهْلُها وفَتاها

إذْ أقبلَتْ قيسٌ كأنَّ عيونَها ... حَدَقُ الكِلابِ وأظهَرتْ سِيماها

ولا تختلف المعاني التي تناولها جوّاس في هذه القصيدة عن معاني قصيدة أخرىٰ وجّه فيها الخِطابَ لعبد الملك بن مروان وهو يريد بني مروان كلّهم ، وذلك قوله(٢) :

أَعَبْدَ المليكِ ما شكرْتَ بلاءَنا ... فكُلْ في رخاءِ العيشِ ما أنتَ آكِلُ

بِجابيةِ الجَولانِ لولا ابنُ بحدلٍ ... هلكْتَ ولم ينطق لِقومِكَ قائِلُ

فلما عَلَوْتَ الشامَ في رأسِ باذخٍ ... مِنَ العزّ لا يَسْطِيعُهُ المُتَناوِلُ

نَفَحْتَ لنا سَجْلَ العَداوةِ مُعْرِضاً ... كأنّك ممّا يُحدث الدّهر جاهِلُ

---

(١) الديوان : ٤٦٤ .

(٢) الديوان : ٤٥٧ .

وكُنْتَ إذا أشرفْتَ في رأس هامةٍ	تضاءَلْتَ ، إنَّ الخائفَ المُتَضائِلُ
فلو طاوَعُوني يومَ بُطْنانَ أُسْلِمَتْ	لقيسٍ فُرُوجٌ منكمُ ومَقَاتِلُ

وأعاد جوّاسٌ في قصيدة أُخرى تذكير بني أميّة بصنائع كلب عندهم ، فما أكثر الأيام التي أزاحوا فيها عنهم أسباب الموتِ وأنقذوهم جاعلين أنفسَهم وِقاءً لهم بعدما كان الواحد منهم يتمنّىٰ الموتَ لِمَا أدركه من جهد البلاء(١) :

كَمْ مِنْ أَميرٍ قَبْلَ مَرْوانَ وابْنِهِ	كَشَفْنَا غِطَاءَ الموتِ عَنْهُ فَأَبْصَرَا
وَمُسْتَلْحَمٍ نَفَّسْتُ عنه وقد بَدَتْ	مقاتِلُهُ حتى أَهَلَّ وكَبَّرَا
وَعَرَّضْتُ نَفسي دونَه ومُقلِّصاً	شديد الشَّوى يُبقي لِكَرِّهِ مُحْضِرا
يقولُ : أرِحْني ، إنَّ في الموت راحةً	فقد غَثَتِ الدّنيا على مَنْ تفكَّرا

وبعدها هجا قيساً بأبياتٍ ثلاثةٍ سبق إنشادُها ثم عاد إلى بني أميّة ليمتَنَّ عليهم بيوم جيرون ويوم المرج وغيرهما من الأيّام التي صَدَقوا القِتالَ فيها عنهم ، فلا ينبغي أن ينكروا ذلك فيُظهروا الجفاءَ لكلبٍ بعد المودّة ؛ ثم يخصّ بالذكر عبدَ العزيز بن مروان الذي كانت أمُّه من بني كلب ، فيفضّل عليه يزيدَ بن معاوية الذي كانت أفْعَالُهُ فخراً لآبائِهِ من بني أمية وأخواله من بني كلب :

ضَرَبْنا لكم عن مِنْبَرِ المُلْكِ أهلَهُ	بجيرونَ إذْ لا تَستطيعونَ مِنْبَرَا
وأيّامِ صِدقٍ كلّها قد علمتُمُ	نَصَرْنا ، ويومَ المرج نصراً مُؤزَّرَا
فَلا تَكْفُروا حُسنى مضَتْ من بلائِنا	ولا تَمنَحُونا بَعْدَ لِيْنٍ تَجَبُّرَا
يُذَكِّرُني عبدُ العزيز وفِعْلُهُ	فتىً كان لِلآباءِ والخالِ مَفْخَرا
يَزيدَ أميرَ المؤمنينَ وقد أرىٰ	بأَنْ لا يزيدَ اليومَ إلاّ تَذَكُّرَا

ولا عجب أن نجد بعد ذلك جوّاساً يُهدّدُ بني أميّة بما تأتي به الأيام ، ذلك لأنّهم مَلَؤُوا قلوبَ كلبٍ غَيْظاً ، إذْ لا يجدون عند الشدائد إلاّ كلباً يستنجدون بها ، فإذا

---

(١) الديوان : ٤٤٨ .

ما انجلَتْ وطاب لهم المأكلُ والمشْرَبُ دَعَوْا غيرَهم[١] :

اللهُ يَعْلَـمُ مـا تُخفـي النفـوسُ لكُـمْ   يـا آلَ مـروانَ والأيـامُ تَلْتَبِـسُ
أَنـا المُنـادىٰ إذا مـا السَّيْـفُ أَرْهَقَكُـمْ   وفـي الـرَّخـاءِ فيُـدْعـىٰ دُونَنَـا حَـدَسُ

ويَجْمَعُ القطَع الّتي هُجِيَتْ فيها بنو أسدٍ بن خُزيمة كونُ الدافع إليها هو المهاجاة بين حكيم بن عيّاش الكلبيّ الملقّب بالأعور الكلبي وبين الكُميت بن زيد الأسديّ ، ففي قصيدةٍ لم يصل إلينا منها سوىٰ بيتٍ واحد نجد حكيماً يَلْمِزُهُمْ باللُّؤم الذي لا يُزَايلُهم أبداً[٢] :

لَـنْ يَبْـرَحَ اللُّـؤْمُ هٰـذا الحـيَّ مـن أَسَـدٍ   حَتَّـىٰ يُفَـرِّقَ بَيْـنَ السَّبـتِ والأَحَـدِ

وفي بيت لم يصل سواه من قصيدةٍ يُفضّلُ العبيدَ على بني أسد بن خُزَيمَة[٣] :

لا تَفْخَـرَنَّ بخـالٍ مـن بنـي أسـدٍ   فـإنَّ أكـرمَ منهـا الـزّنـجُ والنُّـوبُ

ويعيّرهم في بيتين آخَرَيْنِ بما كان مِنْ أَسْرِ النُّعمان بن جَبَلة الجُلاحيّ بشرَ بن أبي خازم الأسدي ، وإهدائِهِ إيّاه لأوسِ بن لأُم الطائيّ وإطلاقه بمشورةٍ من سُعْدىٰ أُمِّ أوسٍ[٤] :

رِمَـاحـي كبّلَـتْ بشـراً لأوسٍ   ولـولا المَـنُّ مِـن سُعـدىٰ لَطـاحَـا
جَـزاءُ الـوالبـيّ بيَـوْمِ بِشْـرٍ   ولا تـذكُـرْ لِـوَالِبـةَ الجُـلاحَـا

ومما نُسِبَ إلى حكيم في هجاء بني أسد بن خُزَيمة بيتان آخران ينازعه نسبتَهما المُسَاوِرُ بن هند العبسيّ ، حقّرهم فيها أيّما تحقير ، إذْ يأبىٰ أن يكون أخوالُه منهم ولَوْ ضَمِن الجنة بذلك ، مع إنْكاحِه مَنْ شاء مِنْ بناتهم وإعطائه مالاً عظيماً كلَّ يوم[٥] :

---

(١) الديوان : ٤٥٢ .
(٢) الديوان : ٤٩١ .
(٣) الديوان : ٤٩٠ .
(٤) الديوان : ٤٩٠ .
(٥) الديوان : ٤٩١ .

مـا سَـرَّنـي أنّ أمّـي مـن بنـي أسـدٍ ... وأنّ ربّــيَ نَجّــانــي مِــنَ النّــارِ
وأنّهــمْ زوّجــونــي مِــنْ بنــاتِهِــمُ ... وأَنَّ لــي كــلَّ يــومٍ ألــفَ دِينــارِ

ونجد ذا الإصبع حَفْصاً العُلَيْمِيّ يَلُومُ حكيماً علىٰ هجائِهِ بني أسد بن خُزَيمة ، لا لشيءٍ إلاّ لأنّها قبيلةٌ وضيعةٌ ليست برفعة كلب ، فكان على حكيم أنْ يترفّع عن هجائها ويهجُوَ قبيلةً تُعادِلُ كَلْباً في الشَّرَفِ لا هٰؤلاءِ الّذين لا يَرَونَ بأساً بالمَخازي لاعتيادِهم عليها ، فلا ينبغي لأحدٍ من كلب أن يقبل بما فعل حكيم[1] :

إذ جئتمــا أرضَ العِــراق فَبَلِّغــا ... بهـا الأعـورَ الكلبـيّ عنّـي القـوافِيـا
أَتـرضـىٰ لكلـبٍ دِقّـةً غيـرَ عَـدْلِها ... بدُودان؟! لا شِمْتَ السَّحَاب الغَوادِيا
فهـاجِ الـذُّرى ـ لا دَرَّ درُّك ـ بـالـذُّرى ... وهــاجِ قَبِيــلاً يُنْكِــرُونَ المَخَــازِيــا
لحَــىٰ اللهُ كَلْبِيّــاً يكــونُ بِسَبِّكُــمْ ... بَنِي أَسَدٍ ما عاش في الأرض راضيا

وإذا نظرنا فيما هجا به بعضُ شعرائهم هذا الرَّهْطَ أو ذاك من كلبٍ لاحظنا فيه ظهورَ الهجاء الخَلْقيّ ، فنرى جوّاس بن القعطل يُشَبّهُ بني قُنافة من بني حارثة بن جَنَاب بالقرود ، ويصفهم بالقَذارة وخُبْثِ الرائحة ، ويجرّدهم بعد ذلك من معنى السِّيادة والنّبالة[2] :

أَتَتْـكَ العِيْـسُ تَنْفُـخُ فـي بُـراهـا ... بِــوَفْــدٍ مــن قُنــافَــةَ كــالقُــرودِ
إذا النَّيْتُــونُ عَتّــنَ فــي لِحــاهُــمْ ... فَلَيْسُــوا بــالغَطَــارِفَــةِ الأُســودِ

ويشبّه عبدُ اللهِ بن دارم بني ربيعة بن حصن مِنْ بني عديّ بن جَنَاب بحجارةِ المستنجي التي زادَها نجاسةً ضربُ الكلاب بها ، ويزيد على ذلك أنّ الرَّجُل منهم تَسْتَحْكِمُ فيه الحماقَةُ مع السّنينَ على عكس سائر الناس الذين تستحكم عقولُهم ، وهذه سمة قديمة فيهم[3] :

---

(١) الديوان : ٥٨٨ .
(٢) الديوان : ٤٤٥ .
(٣) الديوان : ٦٧١ .

كـأنّ بنـي ربيعـةَ رَهْـطَ سَلْمَـىٰ حِجـارةُ خـارئٍ يَـرْمـي كِـلابـا
ويُعْـرَفُ مـن ربيعـةَ كُـلُّ كَهْـلٍ إذا يَـزْدادُ نُـوكـاً حيـنَ شـابـا
كَـذاكَ عَـرَفْـتُ أوَّلَهُـمْ قـديمـاً وآخِـرَهُـمْ إذا بَلَـغَ الشَّبـابـا

وسَفَّهَ المُثَلَّمُ الكلبي أحلامَ أُولئك الذين ٱدّعَوا الانتسابَ إلىٰ حِمْيَرَ من بني كلبٍ وسائرِ قضاعة . فتعجّب من انصرافهم عن نسبهم في معدّ ، لأنّهُ رأىٰ في هذا الانصراف اتّهاماً لأمّ قضاعة بالفاحشة ، مع أنّها كانت شريفةً لو رامَهَا يمانيٌّ بسوءٍ لَحَزَّتْ مَذاكيره[(١)] :

أبَيْتُـم أَنْ تكـونـوا مِـن نـزارٍ وخيـرُ النّـاسِ كلِّهـمُ نِـزارُ
وزنَّيتـمْ عجـوزكـمُ وكـانـتْ حَصـانـاً لا يُحَـلُّ لهـا إزارُ
حَصـانٌ لـو تلمَّسهـا يمـانٍ لـلاقـىٰ مِثْـلَ مـا لاَقـى يَسـارُ

واجتزأ بذكر نزار عن مَعَدّ لأنّه من وَلَدِهِ .

وبقيَتْ ثلاث قطعٍ من الهجاءِ القبليّ لا ينتظمها ناظمٌ ، ففي بيتٍ مُفْرَدٍ لم يصل إلينا غيرُه من قصيدة لعمران بن هلباء نجده يسخر من بعض القبائل التي ظنّت أنّ محاربة بني كلب سَهْلةٌ كما لو ذهب الرّجلُ يأكل طعاماً لذيذاً[(٢)] :

أكنتـم حَسِبْتُـم ضَـرْبَنـا وجِـلادَنـا على الحَجْرِ أَكْلَ الزُّبْدِ بالصَّرَفان؟!

ونجد حكيم بن عيّاش في بيت آخر يُعيّر مُضَر بسَجاحِ المتنبّئة ـ فيما ذكر الطبريُّ في مناسبة البيت ـ[(٣)] :

أَتَـوْكُـمْ بِـدِيْـنٍ قـائـمٍ ، وأُتِيتُـمُ بمُنْتَسَـخِ الآيـاتِ فـي مُصْحَـفٍ طَـبِّ

وثمّة بيتان آخران لحكيم بن عيّاش من أبيات قالَها عندما خرج زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافة هشام بن عبد الملك في

---

(١) الديوان : ٦٧٥ .
(٢) الديوان : ٥٠٢ .
(٣) الديوان : ٤٨٧ .

الكوفة ، فقاتله عبدُ اللهِ بن العباس بن يزيد الكندي والأصبغ بن ذؤالة الكلبيّ في جماعةٍ حتى قُتِل وصُلِبَ ، والظاهر أنّه خاطب بالأبيات بني هاشم أو أصحابَ زيدٍ من الشيعة الذين كانوا يُسَمُّونَهُ المهديّ ، فسخر من تسميتهم إيّاه بالمهديّ ، فها هو ذا زيدٌ يُصْلَبُ ، ومَنْ كان مهديّاً لا يصْلَب ، وإنما الصَّلْبُ للَّذين يسعون فساداً في الأرض[1] ، ويُسفِّهُ آراءَ أولئك الذين ينظرون إلى تفضيل عليٍّ على عثمان ـ رضي الله عنهما ـ[2] :

صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْداً عَلَىٰ جِذْعِ نَخْلَةٍ ... وَلَمْ أَرَ مَهْدِيّاً عَلَىٰ الجِذْعِ يُصْلَبُ
وَقِسْتُمْ بِعُثْمانٍ عَلِيّاً سَفَاهَةً ... وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأَطْيَبُ

والهجاء الشخصيّ في شعرهم الإسلاميّ ينصرف إلى المعاني الخُلُقية في معظمه ، وبعضُه يتعلّق بالآباء والأمّهات ، وقلّما تعرّض للمعايب الجَسَدية ؛ فنجد جوّاس بن القعطل يهجو الجُلاسَ بن عُمَيْرٍ الكلبي أحد بني عديّ بن جناب رهط جَوّاس ، وكان الجُلاس من أَصحاب عليّ بن أبي طالب فأَرسلَهُ مع رَجُلَيْنِ آخَرين يأخذون الزكاة من بكر بن وائل ومن كلب ، فالتقاهم زهير بن مكحول الكلبي ـ وكان معاويةُ قد أرسله هو الآخر في جماعة إلى السَّماوة لأخذ مالِ الزكاة ـ فاقتتلوا فانهزمَ أصحابُ عليّ وقُتِل منهم رجلٌ وأفْلَت الجُلاسُ فمرَّ بِرَاعٍ فأعطاهُ جُبَّةَ خزٍّ وأخذ منه عباءةً فلبسها وأخذ العُلْبَةَ في يده ، وأدرَكَتْهُ الخيلُ فلم يعرفوه ، فنجا ؛ فعيّرهُ جوّاس بذلك ، وقال من أبيات[3] :

ونجّى جُلاساً عُلْبَةٌ وعَباءَةٌ ... وقَوْلُكَ إنّي جيّدُ الصَّرِّ حالِبُ

وعَارَضَ جوّاسُ زُفَرَ بنَ الحارثِ الكِلابيَّ الذي فرَّ يوم مرج راهط وقال قصيدة

---

(١) يشير الشاعر بذلك إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة : ٥/ ٣٣].

(٢) الديوان : ٤٨٨ .

(٣) الديوان : ٤٤٤ .

يعتذر فيها عن فراره فسخر منه جوّاس لأنّه رآه يدعو امرأتَهُ أَنْ تُعِدَّ له سلاحَهُ للقتال ، وإذا به يَرْتَدّ مَذْعوراً حين أَبْصَرَ بني جَنَاب الكلبيّين بسلاحهم[(١)] :

دَعَـا بِسِـلاحٍ ثـم أَحْجَـمَ إِذْ رَأَىٰ   سُيـوفَ جَنَـابٍ والطِّـوالَ المَـذَاكِيـا

وعندما فرّ عُمَيْرُ بنُ الحُباب السُّلَميّ أمام حُمَيْد بن حريث الكلبي في بعض أيام العصبيّة بين كلب وقيس هَجَتْهُ عُفَيْرَةُ بنت حسّان ضمن قصيدة افتخرت فيها بفعل كلبٍ بقيس عيلان ، فوصفته بالهُجونة ـ أي بلَؤم النَّسَبِ من جهة أمّه ـ وصوّرَتْ طَريقةَ نَجاتِه ، إذْ راح يحثُّ فَرَسَهُ على الإسراع وهو يُفَدِّيه بنفسه أو بأمّه أو بأبيه حتى سلِم مِنْ تمزيق رماحِ بني كلب ، وقد تغيَّرَ لَوْنُ وجهه من شدّة الخوف واصفرَّ ، وكان في سُرْعةِ فِرارِه كالعُقاب المُنْقَضَّة[(٢)] :

وَأَلْفَيْنَـا هَجِيـنَ بَنـي سُلَيْـمٍ   يُفَـدِّي المُهْـرَ مِـنْ حُـبِّ الإيـابِ
فَلَـوْلا عَـدْوَةُ المُهْـرِ المُفَـدَّىٰ   لأُبْـتَ وأَنْـتَ سِـربـالُ الإهـابِ
وَنَجّـاهُ حثِيـثُ الـرَّكْـضِ مِنّـا   أُصَيْـلانـاً وَلَـوْنُ والـوَجْـهِ كـابِ
وآضَ كـأنَّـهُ يُطْلـىٰ بِـوَرْسٍ   وَدَفَّ هُـوِيَّ كـاسِـرَةٍ عقـابِ

ولم تمنع رئاسةُ حُمَيْدِ بنِ حُرَيْثٍ الكلبيّ شُبَيْلَ بنَ الجِنبّار من هجائه ، فقد فرّ أمام عُمَيْرِ بن الحباب يومَ الغُوَير ، فتَركَ مَنْ معه من بني كلب حتى استباحهم عُمَيْرٌ ومَنْ معه ، فعيّره قائلاً من أبيات[(٣)] :

وَلّـىٰ حُمَيْـدٌ ولـم يَنْظُـرْ فـوارِسَـهُ   قَبْـلَ التَّقِـرَّةِ والمَغْـرُورُ مَغْـرورُ
فَقَـدْ جَـزِعْـتَ غَـدَاةَ الـرَّوْعِ إذْ لَقِحَـتْ   أَبْطـالُ قيـسٍ عليهـا البَيْـضَ مَشْجُـورُ

فهذه القطع الأربع تُلِحُّ علىٰ معنىً واحد هو التّعييرُ بالفِرار أمام العَدُوّ وبتَرْك الإقْدام ولو كان فيه الموت . ومن المعاني الخُلُقية التي عَرَّج عليها شعراء كلب في

---

(١) الديوان : ٤٦٦ .
(٢) الديوان : ٥٦٣ .
(٣) الديوان : ٥٩٤ .

هجائهم : البُخْل ، فقد هجا جوّاس بن القعطل مُطَرِّف بن وَهْبٍ العُلَيميّ الكلبيّ بأنّهم نزلوا عليه زائرينَ فبَخِلَ عليهم بالطعام[1] :

ويَـوْمَ قُـراقـرٍ زُرْنـا ابـنَ وَهْـبٍ وكلبٌ يـومَ ذٰلِكُـمُ شُهـودُ
وكـم نفّـرتَنـا وضَنِنْـتَ لمَّـا تَغنّـى فـي حَـواضِـرِك الثّـريـدُ

وهجا (أبا القعقاع) بأنَّ له إبلاً ترعىٰ ، فيظن المحتاجُ أنّه إذا أتى أبا القعقاع نال منها خيراً ، وإنّما يعلّل نفسَهُ بالأمانيّ ؛ ولكنه هجاه قبل ذلك بأنّه رجلٌ فحّاشٌ يُسرعُ إلىٰ قول السُّوء ، وأنّه إذا كان أمرُ سوءٍ أطلع رأسَهُ وكشفَهُ ، وإذا دُعِي للخير والفعل الحَسَن خفض رأسَهُ وغطّاه[2] :

رأيـتُ أبـا القعقـاع لا يَكْـرَهُ الخَنَـا ولكنّـه يَسْـري إليـه فيُسـرعُ
يُحَسِّـرُ رأسـاً لا يُقَنِّـعُ للخَنَـا ولكنَّـهُ للمَكْـرُمَـاتِ يُقَنِّـعُ
وَلا خَيْـرَ فيـهِ غيـر أنَّ سَـوامَـهُ يُعَنِّـي الّـذي يَـرْجـو نَـداهُ ويَخْـدَعُ

وتحدّث خِرْقة بن نباتة عن ضجره هو وناقته الهزيلة عند حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية ، ولا طعام يُقَدَّم ، بل وَجَدَا من سوء المعاملة ما يكرهان ، حتى رأيا أنَّ اللَّيلَ قد طال عليهما[3] :

كأنّي ونِضْوي عِنْدَ حَرْبِ بنِ خالدٍ مِـنَ الجُـوعِ ذِئْبـاً قَفْـرَةٍ عَلِـزَانِ
وبَـاتَـتْ علينـا جَفْـوةٌ مـا نُحِبُّهـا وَبِتْنـا نُقـاسِـي لَيْلَـةً كَتَمَـانِ

ورأينا أنّ جفوةَ بني مروان لبعض بني كلب كانت سبباً لهجائهم بنُكران المعروف وتذكيرهم بما أسْدَتْ إليهم كلبٌ ، ولا سيّما من قِبَل جوّاس بن القعطل ، ومن هذا الباب هجاءُ جوّاسٍ أيضاً لعبد العزيز بن مروان ، عندما رآه يُقَدِّم الحُراق بن حُصَين الكلبي ويجفو مُحْرِز بن حُرَيث الكلبي ، وكانا قد استنقذا مروان بن الحكم يوم

---

(١) الديوان : ٤٤٦ .
(٢) الديوان : ٤٥٣ .
(٣) الديوان : ٥٤٧ .

المرج بعدما كاد يُقْتَل ، فقال في مطلع أبياتٍ افتخر فيها بإبائه[1] :

أَلا بِئْسَ امرؤٌ مِن ضَرْبِ حِصْنٍ   أَضاعَ قَرابَتي وَحَبا الحُراقا

ويعني بالمَرْءِ مِنْ ضَرْبِ حِصْنٍ عبدَ العزيز ، لأنَّ أمَّه كلبيّة من بني حِصْن بن ضمضم .

ومن الهجاء بسبب نكران المعروف قولُ هُرْدان العُليميّ ليزيد بن المهلّب ـ وكانَ هُرْدان دليلَه عندما هرب إلى العراق ، فأخطأ به الطريق ، فضربَهُ يزيد ـ[2] :

وسوّأ ظنّي بالأَخِلّاءِ أَنّني   وَجَدْتُ يَزيداً دُونَ ما كَانَ يَزْعُمُ

فَظُنَّ رُوَيداً بالصَّديق ولا تَكُنْ   بما عندَهُ مُستيقِناً ، سوفَ تَعْلَمُ

وهجا سفيان بن الأبرد هنداً امرأةَ الحجّاج بالكَذِب ، وذلك أنّه سألَها أن تُكَلِّم الحجّاج في أمرٍ فجعلَتْ تُماطِلُه[3] :

أُعاتِبُ هِنْداً ـ والسَّفاهُ عِتابُها ـ   وَماذَا أُرَجّي من مُعاتبتي هِنْدَا؟

أَغِيبُ فَتَنْسَىٰ حاجتي وتَصُوغُ لي   حَديثاً إذا ما جِئْتُهَا يَقْطُرُ الشَّهْدَا

ووَصَمَ مَكِيثٌ الكلبيّ بِشْرَ بنَ حَرْزم الكلبيَّ وعبدَ الله بن دارم الشاعِرَيْنِ بالحُمْق والسَّفَهِ ، ذلك أنّه جرَتْ بينهما مهاجاةٌ فكان كل واحدٍ منهما يهجو رهط صاحبه وكلاهما من بني عديّ بن جَنَاب ، فقال[4] :

فمَنْ مُبْلغٌ بشراً معاً وابنَ دارم   قصائدَ مِنّي قد أُمِنَّ بَرِيمُها

تَمَادَيْتُما في نُوكَةٍ فَكِلاكُما   يَسُبُّ عَدِيّاً جاهِداً ويَذِيمُها

وما في عديٍّ مِنْ مَعابٍ لعائبٍ   ولا حَلَمٍ يُطوىٰ عليه أديمُها

ووَجَد غَزِيُّ بنُ أُبَيّ في امرأته ضرباً آخر من الحُمْق ، إذْ رأى أنّهما كَبِرا وظهَرَتْ

---

(١) الديوان : ٤٥٥ ، وانظر ما سبق ، ص : ٣١٣ .

(٢) الديوان : ٦٠٣ .

(٣) الديوان : ٧٠١ .

(٤) الديوان : ٦٧٧ .

آثار الكبر عليهما فشابا ، ولكنّها لم تشأ أنْ تُقِرّ بذلك فجعلَتْ تتقنّع بنقابها الذي لا يبدو منه إلاّ عيناها لتخفي تجاعيدَ وجهها ، فهزىء من فعلها هذا[1] :

ألا قــالــت عجــوزُ بنــي تُــوَيْــلٍ : كَبِــرْتَ ، وقــد فَنِــي مِنْــكَ الشّبــابُ
فَقُلْــتُ لهــا ، وقــد شبنــا كِــلانــا : رأَيْتُــكِ قــد كَبِــرْتِ فَــأَنْــتِ نَــابُ
تَنَقَّــبُ تبتغــي فــي ذاكَ خيــراً! ومــا يُغنــي مِــنَ الكِبَــرِ النِّقَــابُ؟!

ومثل ذلك ما نجده عند أبي رجاءٍ الكلبي ـ وهو شاعرٌ لم نعرف عصره ـ إذ رأىٰ امرأتَهُ تأخذ مِيْرَةَ البيتِ وتدفَعُها إلى العَطّار لتشتريَ عطراً وحنّاءً وكُحْلاً ونَحْوَ ذلك من أدوات الزِّينة ، لتُخفيَ آثارَ الكِبَرِ ، فَسَخِرَ مِنها بأبياتٍ أطرف من أبيات غَزِيّ ، فقال[2] :

عَجُــوزٌ تُــرَجِّــي أَنْ تكــونَ فَتِيــةً وقد لُحِبَ الجَنْبانِ وٱحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ
تَــدُسُّ إلــىٰ العَطَّــارِ سِلْعَــةَ أَهْلِهَــا وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ
تُسَــائِلُنِــي عَــنْ نَفْسِهَــا هَــلْ أُحِبُّهَــا فَقُلْــتُ لهــا : لا والــذي أمــرُهُ الأَمْــرُ!
ومــا راعَنــي إلاّ خِضــابٌ بكَفِّهــا وكُحْــلٌ بعينَيْهــا وأثــوابُهــا الصُّفْــرُ
وجــاؤُوا بهــا قَبْــلَ المِحــاق بلَيْلَــةٍ فكــانَ مِحــاقــاً كُلُّــه ذٰلــكَ الشَّهْــرُ

وهجا عمرو بن عروة بن الغدّاء عمرَو بنَ عُتْبة بن أبي سفيان ، وكان عمُّهُ معاوية قد اسْتَعْمَلَهُ على صَدَقاتِ كلب فاعتدىٰ عليهم ، فبيَّنَ جَوْرَه ، إذ رأى أنّه لم يترك لهم شيئاً من الإبلِ ، مع أنَّه لم يَتَوَلَّ سوى سنةٍ واحدةٍ ، فلو تولّىٰ سنتين لصاروا لا مال عندهم تجب فيه الصدقة[3] :

سَعَــىٰ عِقــالاً فَلَــمْ يَتْــرُكْ لَنَــا سَبَــداً فَكَيْــفَ لَــوْ قَــدْ سَعَــىٰ عَمْــروٌ عِقــالَيْــنِ
لأَصْبَــحَ الحَــيُّ أَوْقَــاصــاً وَلَــمْ يَجِــدُوا عِنْــدَ التَّفَــرُّقِ فــي الهَيْجــا جِمــالَيْــنِ

---

(١) الديوان : ٦٧٣ .
(٢) الديوان : ٧٦٣ .
(٣) الديوان : ٥١٨ .

وتناول عمرُو بنُ عبد وَدّ الكلبيّ بلسانه عبدَ الله بن خالد بن أُسَيْدٍ الأمويَّ فانْتَقَصَ من أمّه ، وكي يكون الهجاءُ أنكىٰ راحَ يُفاضِلُ بينها وبين أم سَعيد بن العاص الأمويّ فهذه أمٌّ كريمةُ الأصل ، وتلك لئيمة ؛ قال[1] :

قَصَّـرْتَ يـا عَبْـدَ الإلٰـهِ عَـنِ العُـلا سَيَكْفِيـكَ مـا قَصَّـرْتَ عَنْـهُ سَعِيـدُ
فَتـىً أمُّـهُ مِـنْ آلِ حِسْـلٍ كـريمـةٌ وأُمُّـكَ يَنْمِيهـا بِـوَجَّ عَبِيـدُ

في حين راح عبدُ الجبّار بن يزيد يُفاضِلُ بَيْن نسبهِ الكريم ونسب بعض الرجال ، فأمّا هو فكان جدُّه صاحِبَ أفعال كريمةٍ ، ولذلك جاء عبد الجبار مثله كريمَ الفعال ، وأمّا ذلك الرّجل فأُمُّهُ أصيلةٌ في نسبها إلاّ أنَّ أباه خسيسُ الأصل ، كالبغل الذي أمُّه فَرسٌ وأبوه حِمار[2] :

أَبي ـ كان ـ فَكَّاكَ العُناةِ وحامِلُ الدْ . . . دِيـاتِ وَذُو المَسْعَـاةِ والنَّـائِـلِ الجَـزْلِ
أَبـي مُـدْلِـجٌ غيـرَ انتحـالٍ وإنّمـا يُبَيِّـنُ فـي أولادِهِ كَـرَمَ الفَحْـلِ
وأنـتَ امـرؤٌ نـالتْـكَ أمٌّ كَـريمـةٌ ولكنَّمـا أَزْرَىٰ بِكُـمْ شَبَـهُ البَغْـلِ

ورأى عُرْفُطة بن عفّان الكلبيّ أنّ حسّانَ بنَ مالك بن بحدل لا يستحق ما وصل إليه مِن مكانةٍ عند معاوية وابنه يزيد ، لأنَّ هِمَمَ رَهْطِه لا تسمو إلى هذه المواطن منَ الشّرف وما كان ذلك ممَا يَحْلُمون به ، ولكنّهم نالوا ذلك بسبب قرابتهم لميسون بنت بحدل أم يزيد[3] :

إذا مـا انتمـىٰ حسّـانُ يـومـاً فقـلْ لَـهُ : بِمَيْسُـونَ نِلْـتَ المَجْـدَ لا بـابـنِ بَحْـدَلِ
بِخُمْصـانـةٍ ريَّـا العِظـامِ كـأنّهـا مِنَ الوَحْشِ مكحولُ المَدامِعِ ، عَيْطَلِ
وَلَـوْلا ابـنُ مَيْسُـونٍ لَمَـا ظَلْـتَ عـامِـلاً تَخَمَّـطُ أَبنـاءَ الأكـارمِ مِـنْ عَـلِ
وَمَـا كـانَ يَـرْجُـو مـالـكٌ أَنْ يـرىٰ ابنَـهُ علـىٰ مِنْبَـرٍ يَقْضِـي القَضَـاءَ بِفَيْصَـلِ

ثُمّ ذهب إلى أنّ معاوية تزوَّج ميسونَ بسبب وَهْمٍ من رَسُولهِ الذي بعثه يَخْطُبُ ابنَةَ

(١) الديوان : ٣٦٨ .
(٢) الديوان : ٥٧٤ .
(٣) الديوان : ٦٢٤ .

بَهْدَلِ بن حسان بن عديّ من بني عُلَيْمِ بنِ جَنَاب فغلط وذهب إلىٰ بَحْدَل بن أنيف فزوّجَهُ ميسونَ ؛ وما أكبر الفرق في الفضل والشّرف بين هؤلاء وهؤلاء :

أَلا بَهْدَلاً كانوا أَرَادُوا فَضُلِّلَتْ ... إِلىٰ بَحْدلٍ نَفْسُ الرَّسُولِ المُضَلَّلِ
فَشَتَّانَ إِنْ قايَسْتَ بَيْنَ ابنِ بَحْدلٍ ... وَبَيْنَ ابنِ ذِي الشَّرْطِ الأَغَرِّ المُحَجَّلِ

كما هجا جوّاسُ بنُ القُعْطَل حسّانَ بنَ مالك ، فوصفه بقَذَارَةِ المَلْبَسِ وبأنّه لا يُنَزِّهُ نفسَهُ عن الخوض في الأقذار ، مثل الجُعَل الذي يُدحْرِجُ الرَّوثَ ونَحْوَه ويدفعه بأنفِهِ ، وهو فوق ذلك مُتمادٍ في غَوَايتهِ ، قليلُ المروءةِ ، شحيحُ العَطاء ، وله وَالِدانِ قميئان ، فأمُّه شبيهةٌ بالفأر السَّروق ، وأبوه ضعيف الرّأي نتن الرائحة كالوَبْرِ[(١)] :

هل يُهْلِكَنّي لا أَبَا لَكُمُ ... دَنِسُ الثِّيابِ كَطابِخِ القِدْرِ
جُعَلٌ تَمَطّىٰ في عَمَايتِهِ ... زَمِرُ المروءةِ ناقِصُ الشَّبْرِ
لِزَبابَةٍ سَوْداءَ حَنْظَلَةٍ ... وَلِعاجِزِ التَّدْبِيرِ كالوَبْرِ

فتلك كانت أشعارُ الهجاء القبليّ والفرديّ الشخصيّ في شِعْرِ ما بعد الإسلام ، ونلاحظ أنّه يرجعُ إلى عصر بني أميّة إلاّ قطعتين قِيلَتا قَبْلَ بداية العصر الأموي ، الأولى لجوّاس بن القعل قالَها في هروب الجُلاسِ بن عمير من أصحابِ عليّ أَمامَ أصحاب معاوية ، والثانية لعمرو بن عبد وَدّ الشاعر المخضرم في هجاء عبد الله بن خالد بن أُسَيْدِ ؛ ونلاحظ أيضاً أنّ ما وصل إلينا من هجائهم بعد الإسلام يفوق ما وصل من هجاء الجاهلية بقَدْرٍ كبير ، ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ الضّياعَ أصاب شعر الجاهليّة أكثر ممّا أصاب شعر ما بعد الإسلام ؛ وإذا نظرنا إلى دوافع هذا الهجاء وأساليبه ومعانيه بالمقارنة بهجائهم الجاهليّ تبيّن لنا أنّ الدوافع التي رأيناها في الهجاء الجاهليّ من صراع قبلي وسوء العلاقات الشخصية قد استمرّت ها هنا ، وأُضِيْفَ إليها دافعٌ رئيسي جديد هو الدافع السياسي ، ولا سيما في هجاء بني أميّة وعتابهم حينما كان شعراء كلب يرون إعراضاً أو جفاءً لبني كلب أو بعضهم فكنا نراهم

---

(١) الديوان : ٤٤٦ .

يَمْتُّون عليهم بموقفهم السياسيّ الحربيّ معهم ولا سيما يوم مَرْج راهط ، وإلى جانب هذا الدافع نجد دافعاً جديداً هو جَوْرُ بعضُ سعاةِ الصَّدَقة الذي رأينا له مثالاً وحيداً في شعر عمرو بن عروة بن الغدّاء ؛ كما أنّ أساليبَ الهجاءِ التي رأيناها في الهجاء الجاهليّ استمرّت أيضاً في الهجاء الإسلاميّ من تصوير الإيقاع بالخَصْمِ والسخرية منه ، والتّعيير بالنقائص الخُلُقية ، والتجريد من الفضائل ، وبرز إلى جانب ذلك تناوُلُ النَّسَبِ والأصل ووصفِهِ باللّؤم والمفاضَلَةُ بينه وبين غيره ، وبعض المَعايب الجَسَديّة ، ورأينا إِفحاشاً في بيتٍ واحدٍ من قطعةٍ واحدةٍ لعبد الله بن دارم ؛ في حين أنّ بعض المعاني المتعلّقة بالحياة الجاهليّة من سباءٍ وعبادة أصنام قد اختفت ، وظهرت بدلاً منها معانٍ تتعلّق بمظاهر الحياة الجديدة الدينية والسياسية ؛ وثمّةَ أمرٌ أَخِيرٌ يلفِتُ النَّظَر ، وهو أنّنا لا نجد إلاّ شاعِرَيْنِ اثنين أكثرا من الهجاء ، وهما جَوّاس بن القعطل وحكيم بن عيّاش ، ولا سيما جوّاس الذي كانت دوافع هجائه متعدّدة .

فهذا هو شأن الهجاء في شعر بني كلب ، طريقُه هُوَ الطَّريقُ اللاَّحب للهجاء العربيّ ، من حيث انقسامه إلى قسمين : جماعيّ وفرديّ ، ومن حيث دوافِعُه التي ترجع إلىٰ الصّراع القبليّ أو السياسي أو المذهبي وإلى الخِلاف في العلاقات الشخصيّة وما يَشُوبُ الحياة الاجتماعية من تنافس وتَحاسُدٍ واعتداء ، ومن حيثُ أساليبُ الهجاء المختلفة من سخرية وتعيير بالمثالب الخُلُقيّة ، وتجريدٍ من الفَضَائل ووَصْمٍ بالرَّذائل ، وتصوير للمعايب الخَلْقية ، وتصوير ما آل إليه العدو بعد اللّقاء ؛ فَقِسْمَا الهجاء ودوافِعُه وأساليبُه أمور مشتركة في موضوع الهجاء عند جميع القبائل ؛ فإذا وقفنا مثلاً عند الهجاء في شعر طَيِّىءٍ وَجَدْنا زيدَ الخيل الطّائي يهجو كعبَ بن زهير بن أبي سُلمى ، وكان زيد الخيل أَسْدىٰ يداً لزهير فأهداه فَرَسَ ابنه كعبٍ ، فاغتَاظَ كعبٌ وعَرّض بزيد الخيل ، فَرَدّ زيدُ الخيل ساخراً ، فقال من قصيدة[1] :

---

(١) شعراء قبيلة طيّىء ١ : ٥٩١؛ والمأتم: جماعة النّساء يجتمعن لحزنٍ أو فرحٍ. وفرسٌ مِحْمَرٌ: هَجين شبيه الصّفات بالحمير. وثوّبتموه: استنهضتموه مرّة بعد مرة. وما رُضَىٰ: أي ما رُضِيَ، وهي لغة طائية، يقلبون الياء المتحرّكة ألفاً ويفتحونَ ما قبلها.

أَفــي كــلِّ عــامٍ مَــأْتَــمٌ تبعثــونَــهُ   علــىٰ مِحْمَــرٍ ثــوَّبْتُمُــوه ومــا رُضَــىٰ
تُجِــدُّون خَمْشــاً بَعْــدَ خَمْــشٍ كَــأَنَّــهُ   علـى فـاجـعٍ مـن خيـرِ قـومِكُـمُ نُعَـىٰ

ونرىٰ يزيد بن قُنافة العدوي الطائي يهجو حاتماً الطائي ورهطه بني أخزم ، فيجرّده من خصال الخير ويُلْبِسُه خصالاً من الشرّ[1] :

أَيَقْظَــانُ فــي بَغْضَــائِنــا وهجــائنــا   وأنــتَ عــن المعــروفِ والبِـرّ نــائـمُ
فَحَسْبُـكَ أنْ قـد سُـدْتَ أَخْـزَمَ كُلَّهـا   لِكُــلِّ أُنــاسٍ ســادةٌ ودعــائِــمُ

في حين يصوّر عبد عمرو بن عمّار الطائي مَهْجُوَّهُ الأَبْرَدَ الغسّاني تصويراً يتكىء فيه على بعض معايبه الخَلْقية فيقول[2] :

كــأنّ ثنــايــاهُ إذا افْتَــرَّ ضــاحِكــاً   رُؤوسُ جَـرادٍ فــي إِريــنَ تُحَسْحَــسُ

ويقول في قصيدة أخرىٰ[3] :

تَعَلَّمَــنْ أَنَّ شَــرَّ النَّــاسِ كلِّهــمِ   الأَفْقَـمُ الأَنْـفِ والأضـراسِ كـالعَـدَسِ

ويُعيّر عارقٌ الطائيّ عمرو بن هند بما كان من غَدْرِهِ بهم بعدَ ما عقدوا بينهم العُهود على ترك الغزو ، فيقول[4] :

غَـدَرْتَ بـأمـرٍ كنْـتَ أَنْـتَ دَعَـوْتَنَـا   إليـه وبِئْـسَ الشِّيمَـةُ الغَـدْرُ بـالعَهْـدِ
وقَـدْ يَتْـرُكُ الغَـدْرُ الفتـىٰ وَطَعـامُـهُ   إذ هـو أمسـىٰ جُلُّـهُ مِـنْ دَمِ الفَصْـدِ

ولكنَّ الاختلافَ بين القبائلِ والشعراء في الهجاء يظهر في بُنَيَّاتِ الطَّريق ، أَيْ في الفُحْشِ أو في التَنَزُّهِ عنه وفي المَعاني المطروقة .

فقد لاحظنا أنَّ الفُحْشَ لم يتسرّب إلىٰ هجاء بني كلب إلاّ في بيتٍ واحد ، وهو

---

(١) شعراء قبيلة طيّء ١ : ٥٩١ .
(٢) شعراء قبيلة طيّء ١ : ٥٩٥ . والإرين : جمع الإرَة ، وهي حُفْرَةُ النّارِ ، وتُحَسْحَسُ : تنضج على الجمرِ .
(٣) شعراء قبيلة طيّء ١ : ٥٩٥ ، والأفقم الأنف : المعوجّ الأنف .
(٤) شعراء قبيلة طيّء ١ : ٥٩٤ .

ما لوحِظَ في هجاءِ بني ذبيان[١] ، وهجاء بني عُقَيْل[٢] ، ولم يخلُ شعرُ طيّىء من هذا الفحش[٣] ، بخلاف ما لُوحِظ في هجاء بني أسد إذْ أَكْثَرَ شُعراؤهم من نهش الأعراض وقذف المحصنات والفحش والبذاءة في اللفظ[٤] . ولقد تميّز شعراء بني كلب من غيرهم في عصر بني أميّة بمعنىً من الهجاء لم يشاركهم فيه شعراء القبائل الأخرى ، وذلك هو امتنانُهم علىٰ بني أميَّة بما كان من مُنَاصَرَتِهِمْ إيَّاهم وقيام كلب بأمرهم حتى ردّوا عليهم الخلافة بعدما كادت تصير لابن الزُّبَيْر ، ونجد بالمقابل شعراءَ هَمْدانَ بَرزَ لديهم الهجاءُ بالمعاني الدّينية بُروزاً واضحاً بَعْدَ الإسلام ولا سيّما في هجاء أعداء عليّ بن أبي طالب ، كقول حُجْر بن قحطان الهمدانيّ[٥] :

قَتَلْنَــا حُمــاةَ الشّــامِ لا درَّ درُّهــم ... بِسُمْـرِ العـوالـي والسيـوف البَـواتِـكِ
يَمانُون قد ذاقوا الحِمامَ وقدْ مَضَوْا ... علـى شـرِّ دِيـنٍ فـي جَحيـمِ المَهَـالِـكِ

وكقول سعيد بن قيس الهمداني[٦] :

بـؤسـاً لجنـدٍ ضـائِعـي الإيمـانِ ... مُسْتَـوسقيـنَ كـاتّسـاقِ الضَّـانِ
تهـوي إلـىٰ راعٍ لهـا وَسْنَـانِ

وكقول المجالد بن ذي مُرّان من قصيدة يذكر فيها عليّاً ويعرّض بعمرو بن العاص والوليد بن عقبة[٧] :

وَلَـهُ كُـلُّ مَـوْطِـنٍ يُـوجِـبُ الجَنْـ... ـنَـةَ جَـدْعـاً لِشَـانِئِيـهِ وَعَقْـرَا
لا كمَـنْ بـاعَ دينَـهُ أَبْخَـسَ البَيْـ... ـعِ بمصـرٍ ، ومَـنْ تجـرَّعَ خَمْـرا

---

(١) انظر شعر ذبيان : ١٢٩ـ١٣٧ .
(٢) انظر شعراء بني عقيل ١ : ١٧٦ـ١٧٨ .
(٣) انظر شعراء قبيلة طيّىء ١ : ٥٩٢ و٥٩٥ .
(٤) انظر شعراء بني أسد ١ : ٢٦٣ـ٢٦٥ .
(٥) شعر همدان : ٣٢٤ .
(٦) شعر همدان : ٣٣٤، والمستوسقون : المجتمعون .
(٧) شعر همدان : ٣٧٢ .

وغير ذلك[١] ؛ ويرجع هذا إلى ما كان من مَيْلِ معظَمِ همدان إلىٰ عليّ بن أبي طالب ضد معاوية وسائر بني أميّة ومَنْ معهم[٢] ، فكان مَيْلُهم هذا يدعوهم إلىٰ وَصْفِ مُخالِفيه بالخروج عن الدّين .

٣ ـ الرثاء :

إنّ النظر في المعاني الدَّالّة على موقفِ الحيّ من ميتٍ ما في لغة العرب تُعْطينا ثلاثة أضرُبٍ : **رِثاء ، ونَدْب ، وتَأْبين** ؛ فالرثاء : هو بكاء الميت سواءٌ أَرافَقَ ذلك البكاءَ تَعْدِيدُ مَحاسِنِهِ بشعر أو نثر أم لم يرافقه[٣] ؛ والنّدب : هو بكاء الميّت مع تعديد محاسنه[٤] ؛ والتّأبين : هو ذكرُ الميت بخيرٍ وتعديدُ محاسِنه ، وربّما كان معه بكاء[٥] ؛ ورأسُ هٰذهِ الأضرب الرِّثاء ؛ لأنَّ البكاء علىٰ الأقارب ـ وهو مادّةُ الرّثاء الأساسيّة ـ هو أوّلُ مَظاهِرِ موقف الحيّ من الميت ظهوراً في الحياة الإنسانيّة البِدائية ، ثمّ جاء من بعده تَعديدُ مَحاسِن القريب مع البكاء عليه في مرحلة أُخرى ، لأنّ القرابة هي العلاقة الأولى في الحياة ، ثم جاء تعديد محاسن الميتِ وإن لم يكن قريباً في مرحلة ثالثة عندما تطورت العلاقات الإنسانيّة وظهرت الصّداقة والرئاسة وغير ذلك ؛ ومن ثَمَّ يُطْلَق على الشعر الذي يتعلق بالميت بأضرُبِهِ الثلاثةِ اسمُ الرّثاء لأنّه رأسُهَا .

---

(١) انظر شعر همدان : ٣١٨ ، ٣٣٠ـ٣٣٢ ، ٣٨٣ـ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ .

(٢) انظر شعر همدان : ١١٩ـ١٣١ .

(٣) قال ابنُ منظور : «**رثى فلانٌ فلاناً** ، يرثيه رَثياً ومَرْثِيَةً : **إذا بكاه بعد موته** . قال : فإن مدحَه بعد موته قيل : رثّاه ويُرثّيه ترثيةً . ورثيت الميتَ رثياً ورثاءً ومرثاةً ومرثية ، ورثّيتُه : مدحتُه **بعد** الموت وبكيته . ورثوت الميت أيضاً : إذا بكيته وعدّدتُ محاسنه ، كذلك إذا نظمت فيه شعراً» اللسان (رثا) .

(٤) قال ابن منظور : «**نَدَبَ الميتَ : أي بكى عليه وعدّد محاسنهُ** ، . . . وهو من النَّدَبِ للجراحِ ، لأنّهُ احتراقٌ ولَذْعٌ مِنَ الحُزْنِ . . . » اللسان (ندب) .

(٥) قال ابن منظور : «قال ثعلب : **هو إذا ذكرتَهُ بعد موته بخير** ، وقال مَرَّةً : هو إذا ذكرتَهُ بعد الموت . وقال شَمِر : التأبين الثناء على الرّجُل في الموتِ والحياة . . . ، وأَبَنْتُ الشيء : رَقَبْتُهُ . . . ، **وقيل لمادح الميت مُؤَبِّنٌ لاتّباعه آثار فعاله وصنائعه** . والتأبينُ : اقْتِفارُ الأثر» اللسان (أبن) ، وقال قبل ذلك : «وأبّن الرّجُلَ تأبيناً وأبّلَهُ : مدحَهُ بعد موتِه وبكاه» اللسان (أبن) .

ومن ثَمَّ يمكننا أنْ ننظر في شعر الرثاء عند بني كلب في الجاهلية والإسلام من خلال هذه الأضرب الثلاثة : **الرثاء** الذي نجد فيه تصويرَ عاطفةِ الشاعر تجاهَ الميت بما فيها من حزنٍ وأسى وألم وحرقة ولوعة ، و**النّدب** الذي نجد فيه إلى جانب تصوير عاطفة الشاعر تعديداً لمآثر الميت ومحاسنه ، و**التأبين** الذي لا نَجِدُ فيهِ إلاّ تعديد المآثر والمحاسن .

فأما في **شعرهم الجاهليّ** ، فنرى أنّ هذا الموضوع ليس بالموضوع الواسع كموضوع الحماسة والفخر أو موضوع الهجاء ، إذ لا نجد فيه إلاّ إحدىٰ عَشْرَة قطعة موزّعة على الأضرب الثلاثة ، فمنها بيتان لقَرط بن حارثة يرثي فيهما أخاه المعلّى ، فهو يتمنّى لو أنّه مات أو فَقَد شيئاً من أعضائه قبل أن يسمع نَعْيَ أخيه ، ذلك النعي الذي هَدَّ رُكنَه فشاب وهَزَل من شِدَّة أَلَمِه[1] :

لَيْتَنِــي كُنْــتُ قبــلَ مَــوْتِ المُعَلّــىٰ ... مِــتُّ أو حُــزَّ مِــنْ يَمينــي بَنــانــي
إنَّمــا شَيَّــبَ الــذُّؤابــة مِنِّــي ... وبَــرَانــي تَنَــاصُــرُ الأَحْــزانِ

بينما تمنَّتْ أُمُّ قَطَن بن شُرَيْح أنّها لم تَعِشْ أبداً في هذه الدّنيا فلا ترى فاجعتها بابنها الذي اجتمع زمناً مع كبدها عند حملها له[2] :

يـا جـامعـاً جـامـع الأحشـاءِ والكَبِـدِ ... يَـا لَيْـتَ أُمَّـكَ لـم تُـولَـدْ وَلَـمْ تَلِـدِ

ورثى الأصبغُ بن عمرو ابنَه جُنْدُباً ، وكان قد مات في الرَّهن عند كسرى فَرَاحَ يتذكّر آخر لحظةٍ رآه فيها قبلَ أن يسوقَ ناقَتَهُ مُسْرِعاً كمن غَنِمَ مالاً كثيراً ، وهو يظن أنْ يراه ثانيةً ، إذ جعلَتْ عينا ابنِه تَذْرِفانِ فيقول له : إنّك راجع يا بُنَيّ ، وودَّعَه فكان آخِرَ العهد ، ثم راح يُعبِّر عن شدّة حزنه بالحِوار بينه وبين نفسه التي تُلحُّ عليه بذكريات ابنِه فيدعوها للصبر ، مع ما يُثقِلُ كاهِلَهُ من أَلَمٍ وحزنٍ علىٰ وَلده[3] :

---

(١) الديوان : ٢٨٢ .
(٢) الديوان : ٢٠٣ .
(٣) الديوان : ٣٧٤ .

نَسَـأْتُهـا وتـركـتُ خَلْفـي جُنْـدُبـاً مَـرْحـىٰ كـأَنّـي رُحْـتُ فـي مِـرْبَـاعِ
وَبكـىٰ إلـيَّ ، فقلـت : إنَّـكَ آيِـبٌ وَلَكَـانَ آخِـرَ مـا أقـول وَداع
وأقـولُ للنّفسِ اللَّجـوجِ إذا ارتقَـتْ : صَبْـراً! علـىٰ مـا كـانَ مِـنْ أوجـاعـي

وعندما رأَتْ امرأةُ قُرَاد بن أَجدع زوجَها وقد سيق منذ الصباح إلىٰ غَرِيَّي الحيرة ليُقتل هناك بَدَل الطّائي الذي كفل رُجوعَهُ فلم يرجع إلاَّ عند الغُرُوب ، قامت ترثي زوجها قَبل أنْ يُقْتَل وهي تظنّ أنّ الطّائيّ لن يرجع وقَد أَفْلَتَ مِن الموت ، فقد حُبِس زوجُها عند الملك لكي يُقْتَل لا لكي يرجع إلىٰ أهله ، فجاءه الموتُ بعيداً عن عشيرته[1] :

أيـا عيـن بكّـي لـي قُـرادَ بـنَ أَجْـدَعـا رَهينـاً لِقَتْـلٍ لا رَهينـاً مُـوَدَّعَـا
أَتَتْـهُ المَنـايـا بَغْتَـةً دُونَ قَـوْمِـهِ فَأمْسىٰ أَسيراً حاضِرَ البَيْتِ أَضْرَعَا

فهذه القطع الأربع لم نسمع فيها إلاّ صوتَ البكاء الحزينِ الذي دَفَعَ الشعراءَ إليه حرقةُ أكْبادِهم علىٰ الابن أو الأخ أو الزوج ، وما منهم إلاّ قريبٌ حَميم .

ولا نفتقد هذا الصوتَ في قطع أُخرى من شعرهم نَدَبَ فيها الشعراءَ بعضَ مَنْ فقدوا ، فراحوا يُعَدِّدُونَ مَحاسنهم ومناقبهم ، فهذه ليلى بنتُ الأحوص تَنْدُبُ ابنها بِسْطامَ بنَ قيسٍ الشيباني السيّد القائم في قومه ، وقد قُتِلَ في بعض حروبهِ ، فتدعو بني بكر بن وائل كلَّهم لمشاركتها في البكاء عليه ، لا بني شيبان وحدَهم ، ذلك أنّ فقدَهُ لم يَهِضْ جناحَهَا وحدَها ، بل هاضَ جناح بكرٍ كلّها ، لأن بسطاماً كان زينة القبيلة ، ففقدوها ، إذ كان فيهم واضح الجمال والبهاء كالقمر بين نجوم السماء ، وكان فوق ذلك في الحروب سيّدهم وفارسهم لا ترى العينُ مثلَهُ ، يكرُّ كرّةَ عزيز لا يضعُف جانبُه ، ويصمد للعدوّ حين يعجز الفتى ويفرّ ؛ وكان في العشيرة يحمل عنهم ما يعجزون عن حمله من أمور حياتهم ويحمي المضطرّ الخائف ، إليه يرحلون

---

(١) الديوان : ٢٨٠ .

في ذلك وعنده يحطّون الرّحال[1] :

لِيَبْكِ ابنَ ذي الجَدَّينِ بَكْرُ بنُ وائلٍ فَقَدْ بانَ مِنْها زَيْنُها وَجَمالُها
إذا ما غَدَا فيهم غَدَوْا وكأنّهم نُجُومُ سَماءٍ بينهنّ هِلالُهَا
فللهِ عَيْنا مَنْ رأىٰ مثلَهُ فتىً إذا الخيلُ يومَ الرَّوْعِ هَبَّ نِزالُهَا
عَزيزُ المكرِّ لا يُهَدُّ جناحُهُ وثَبْتٌ إذا الفِتْيانُ زَلَّتْ نِعالُهَا
وحَمَّال أثقالٍ وعائذُ مُحْجَرٍ تُحَلّ إليهِ كلَّ ذاكَ رِحالُها

ثم تستحضر ابنَها وكأنّه ماثلٌ أمام عينيها لتقول له : كم من أسيرٍ سيبكي لفقدك حين يقع في الأسر فلا يجد مَنْ يُطلِقَه كما لو كنت حيّاً ، وسيبكيك فرسانُ القبيلة لأنهم فقدوا بك سيّدهم ، وأولئك الذين أطلقتهم من الأسر ، وكثيرٌ من الأيتام وأمّهاتهم لأنّهم فقدوا بكَ الحانيَ عليهم :

سيبكيكَ عانٍ لم يَجِدْ مَنْ يَفُكُّهُ ويبكيكَ فُرْسانُ الوَغىٰ وَرِجالُهَا
وتبكيك أسرىٰ طالما قد فككتَهُمْ وأرملةٌ ضاعَتْ وضاعَ عِيالُهَا

لقد كان بسطام يكشف عن قومه عظائمَ الأمور ، ويخوض بهم المعاركَ حين اشتدادها ، فتمتّعوا بحياته زمناً ثم فجعهم به الأعداء فجيعةً لا تُجْبَرُ ، فأوجع قتلُهُ قومَه جميعاً ، بل أوجع كذلك الطير (الخيل؟) :

مُفَرجُ حَوْماتِ الخُطوب ومُدْرِكُ الـ . . . ـحُروبِ إذا صالَتْ وعَزَّ صِيالُها
فَعِشْنا بهِ حيناً كَذاك ، فَفَجَّعَتْ تَميمٌ بهِ أَرْماحُهَا ونِبالُهَا
فَقَدْ ظفِرَتْ منا تميمٌ بعَثْرَةٍ وتلكَ لَعَمْري عَثْرَةٌ لا نُقالُهَا
أُصِيبَتْ بهِ شَيْبانُ والحيُّ يشكُرٌ وطيرٌ يُرى إرْسالُها وَحِبالُها

وجزعَتْ عمرةُ بنت شدّاد على أخيها مسعود جَزَعاً شديداً عندما أَسَرَهُ الأسودُ بنُ عامرِ بن جُوَيْن من بني جَرْمٍ الطائيّين مع رجالٍ آخرين من كلب بعدما قَتَلوا أباه عامراً ، فقيّدهم وجعل أيديَهُمْ في إناءِ ماءٍ وكمَّم أفواهَهم وجعل يَقْتُلُ كلَّ يومٍ واحداً

---

(١) الديوان: ٨٦.

منهم ؛ فبكت عمرةُ أخاها وعدّدتْ محاسِنَهُ ، فراحت تدعو عينَيْها لتذرفا دموعَ الحزين الذي يعجز عن إخفاء حزنه علىٰ أخيها الذي لم يكن أحدٌ يُهْدِي إليه لَحْماً لأنه يعلم أنَّ مسعوداً نحّارٌ للإبل ، والذي كان يُكْرِم ضيفَهُ ويَهَشّ له في الزمن الشّديد الذي يجعل الناسَ يَبخلون بما عندهم ، والذي كان عزيزاً منيعاً ، لا يتّخذ منزله بعيداً عن الناس خوفَ الإغارة عليه(١) :

يـا عَيْـنُ بَكّـي لمسعـود بـن شَـدّادِ   بُكـاءَ ذِي عَبَـرَاتٍ حُـزْنُـهُ بـادِ
مَـنْ لا يُمَـارُ لَـهُ لَحْـمُ الجَـزُورِ وَلا   يَجْفُـو الضُّيـوفَ إذا مـا ضُـنَّ بـالـزَّادِ
وَلا يَحُـلُّ إذا مـا حَـلّ مُنْتَبِـذاً   خَـوْفَ الـرَّزِيَّـةِ بَيْـنَ الحَضْـرِ والبَـادي

وتتحسّر تحسّراً شديداً علىٰ أخيها كيفَ قَتَلَهُ بَنُو جَرْمٍ ظامئاً قد منعوه الماءَ ، وإنّما قتلوا فارساً ليس بالجبان ، ولا بالبخيل الذي يمنع المحتاجَ ما سألَهُ ، وإذا حضَرَ الحربَ طعن الفرسانَ طعْناً شديداً وخلاّهم في ساحتها قتلى قد نزفوا دماءهم :

أَلا سَقَيْتُـمْ بنـي جَـرْمٍ أَسِيـرَكُـمُ   نَفْسِـي فـداؤُكَ مِـنْ ذي كُـرْبَـةٍ صَـادِ
يـا فـارسـاً مـا قَتَلْتُـمْ غيـرَ جِعْثِنـةٍ   ولا بَخيـلٍ علـىٰ ذي الحـاجَـةِ الجَـادِي
قَـدْ يَطْعَـنُ الطَّعْنَـةَ النّجْـلاءَ يَتْبَعُهـا   مُضَـرِّجٌ بعـدَهـا تَغْلـي بـإِزْبـادِ
وَيَتْـرُكُ القِـرْنَ مُصْفَـرّاً أنـامِلُـهُ   كَـأَنَّ أَثْـوابَـهُ مُجَّـتْ بِفِـرْصـادِ

وعندما قتلت طيّىءٌ عديَّ بنَ جَبَلَة الكلبيَّ ـ وكان سيّدَ قومه ـ نَدَبه شاعران من بني كلب : القعقاع بن حُرَيث ، وامرأة لم يُعْرَف اسْمُها ، فنجد أنّ خبر قتلِهِ قد أوهَنَ عَزْمَ القعقاع وقَصَمَ ظهرَه ، واستحضر أمامَهُ صورةَ سيّدهم وجعل يخاطبه ، كأنه لم يُقْتَلْ ، بصفاتِه التي عَرَفها عنه ، إذ كان يحمِلُ الدّياتِ بَدَلَ أصحابها العاجزينَ عن حملها ، ويملأ آنيتَهُ خمراً لم يُسْبَقْ إلى شرائها فيسقي بها الرجال ، فكم من رجُلٍ سَتَضِيقُ به الحياة ويَضيق بها بسبب فَقْدِه(٢) :

---

(١) الديوان : ١٤٢ .
(٢) الديوان : ١٤٦ .

هَـــدَّ النُّعـــاةُ بِسُحْـــرَةٍ ظَهْـــرِي فكـــأنَّنـــي دَنِـــفٌ مِـــنَ الـــوَقْـــرِ
أَعَـــدِيُّ حَمَّـــالَ المِئِيـــنَ ومِتْـ . . . ـــرَاعَ الإنـــاءِ وســـابـــىءَ الخَمْـــرِ
وَلَـــرُبَّ قـــومٍ سَـــوْفَ يَحْبِسُهُـــمْ مَبْقـــاكَ أَمْـــسِ بمَحْبِـــسٍ أَصْـــرِ

ونجد المرأة تندبُه على عادة النّساء في ندبِ الميت بـ : يا فُلانا أو يا فلاناه ، وقد حُقَّ لها أن تندبَهُ للخيل التي فقدت فارسها وللسّبايا التي لن تجد مَنْ يسترجعها من يد الأعداء ؛ ثم وقفت لتنقل صورة مؤثّرة تبعث علىٰ الذُّهول ، وهي رجُوعُ فَرَسِهِ (الخضراء) مسرعةً دون فارسها وقد غطّتها دماؤه[1] :

يـــا عَـــدِيـــا يـــا عَـــدِيّْ مَـــنْ لِخَيْـــلٍ وَسُبِـــيّْ
جـــاءت الخضـــراءُ تَـــرْدِي وبهـــا نَضْـــحُ الـــدَّمِـــيّْ

وندب عمرُو بنُ الأسود ـ أو مكحول بن حارثة ـ سيّداً آخَرَ من سادات كلب ، ذلك هو وبرةَ بن رومانِس الكلبي أخو النّعمان بن المنذر لأمّه ، وكان قد مات بـ (البَرَدان) الموضع الذي أقطعَهُ إياه أخوه النعمان ، فإذا هُوَ يدعو عينَه للبكاءِ علىٰ سيّد قضاعة الذي مات بأرض العراق ، ويتفكّر في الموت الذي أصاب هذا السّيّدَ من ساداتهم وقد بلغ من الرّفاهية والعزّة والشّرف ما بلغ ليستخرج من ذلك حكمةً تكونُ عَزَاءً لِقَومِهِ ، وهي أنّ الخلودَ في الحياة مستحيلٌ ، فها هو ذا قد تخلّت الدّنيا عنه وتخلّى عنها ودفَنَه أهلُه ومَنْ حَوْلَهُ وتفرّقوا عَنْه ، ولو أن أحداً خلّده مجدُه وشرفُهُ وسَعْدُهُ لَخَلَدَ هٰذا السّيّد[2] :

أَلا يـــا عَيـــنُ جُـــودي بـــانْـــدِفـــاقِ علـــى مُـــرْدىٰ قُضـــاعـــةَ بـــالعـــراقِ
فمـــا الـــدُّنيـــا ببـــاقيـــةٍ لِحَـــيٍّ ولا حَـــيٌّ علـــىٰ الـــدُّنْيَـــا بِبَـــاقِ
لقـــد تـــركـــوا علـــىٰ البَـــرَدان قبـــراً ونـــادَوْا بـــارتحـــالٍ وانطـــلاقِ
فلَـــوْ أَبْقَتْـــكَ رابيَـــةٌ ومَجْـــدٌ وجَـــدٌّ صـــاعِـــدٌ لَـــوَقَـــاكَ واقِ

---

(١) الديوان : ٣٣١ .
(٢) الديوان : ٧١ و٢٠٧ .

وأظهر المنذرُ بنُ وبرة بن رومانس حُزْنَهُ وضيقَه بالحياة بعدما فتح جيشُ المسلمينَ الحيرة ، وهلك ملوكُ الحيرة وذَهَبُوا إلى غيرما رجعةٍ ، ثم راح يستذكِرُ حالَ العِزّ والمُلْكِ التي كانوا عليها ، إذ ملكوا ما بين دجلة والفرات يُؤْتى لهم خيرُ تلك البلاد من كل مكان ، وكانت لهم سيطرةٌ علىٰ أهل البادية من نجدٍ إلىٰ العراق ، ذلك المُلْك الذي ورثُوه عن أبيهم ، فتركهم الهلاكُ لا يملكونَ منه أقلَّ شيء[1] :

مَا فَلاحي بَعْدَ الأُلَىٰ مَلَكُوا الحِيْـ . . . ـرَةَ مـا إنْ أَرىٰ لَهُـمْ مِـنْ بـاقِ
وَلَهُـمْ مـا سَقَىٰ الفُـراتُ إلـىٰ دِجْـ . . . ـلَـةَ يُجبـىٰ لَهُـمْ مِـنَ الآفـاقِ
وَلَهُـمْ كـانَ كـلُّ مَـنْ ضَـربَ العَيْـ . . . ـرَ بِنَجْـدٍ إِلـىٰ تُخـومِ العِـراقِ
سُنّـةٌ سَنَّهـا أَبُـوهُـمْ فـأَمْسَـوْا مـا أَفـادوا مِنْهـا شِبـامَ عَنَـاقِ

ولعلّنا إذا ما رجعنا إلىٰ القطع السّتِّ السابقة لنتلمّس حرارةَ العاطفة فيها للاحظنا أنّ هنَالِكَ تَفاوُتاً بين عاطفة الحزنِ الممتزجة بالحُرْقةِ واللَّوعة في شعر مَنْ نَدَبَ قريباً حميماً ، وهما ليلى بنت الأحوص وعمرة بنت مسعود ، وبين عاطفة حُزْنٍ مجرّدٍ من تلك اللّوعةِ والحرقة حينما كان النّدب لسيّدٍ من سادة القبيلة أو غيرِها في سائر القطع .

وبقيت قطعة واحدة من الشعر الجاهليّ يؤبّن فيها زهيرُ بنُ جناب ابنَه عامراً ، دون أن نرىٰ أثراً للحزن في أبياتها ، فابنُه فارسٌ يحمي رفاقَهُ ويحفظهم بسيفٍ يهوي به علىٰ العدوّ سريعاً ملتمعاً كالبرق ، وهو في ساحة المعركة شديدُ الحذرِ مُديرُ النّظر سواءٌ أكان في مكانٍ واسع أم في مكان حَرِجٍ ، فالّذي يراه في المعركةِ وهو يحارب ها هنا ثم ها هنا يحسبه رجلاً متحيّراً لا يعرف أين طريقه[2] :

فَـارِسٌ تُكـلأُ الصُّحـابَـةُ مِنْـهُ بِحُسَـامٍ يَمُـرُّ مَـرَّ الحَـرِيـقِ
لا تـراهُ لَـدَىٰ الـوَغـىٰ فـي مَجـالٍ يُغْفِـلُ الطَّـرْفَ لا ولا فـي مَضِيـقِ

---

(١) الديوان : ٢١٤ .
(٢) الديوان : ٤٤ .

مَنْ يراهُ يخَلْهُ في الحرب يوماً أنّه أَخْرَقٌ مُضِلُّ الطَّريقِ

ولولا أنّ مناسبة الأبيات دلّت على أنّه يتحدّث عن ابنه وقد ماتَ لذهب بنا الظّنُّ إلىٰ أنّه مجرّدُ مديحٍ ، وربّما كان لهذه الأبيات تتمّة لم تصل إلينا بكى فيها زهيرٌ ولده فتكون القصيدة من باب النَّدْبِ ، وإلاّ فهي مُجرّد تابينٍ يعدّد فيه محاسنَ ابنِه ، ولعلّ زهيراً ـ وهو الفارس والحكيم الذي عركتْهُ السِّنونَ ـ صَبَرَ على مصيبته في ولدِهِ وتجلّد خشيةَ أنْ يشمتَ به الأعداءُ .

فذلك مجموعُ ما وصل إلينا من موضوع الرثاء في أشعار الجاهليّين من كلب ، ويمكننا أن نلاحظ فيه ثلاث ملاحظات : الأولى هي أنّ جميع قِطعهِ قيلَتْ في رجالٍ من بني كلب سواءٌ أكانوا أقرباء أم من فرسان القبيلة ، إلاّ قطعة واحدةً وهي التي ندبَ فيها المنذر بن وبرة بن رومانس ملوك الحيرةِ ، ولم يندبهم إلاّ لأنّ له بهم صِلَةَ قُرْبىٰ ، وذلك أن أباه وبرة بن رومانس كان أخا النعمان بن المنذر لأمّه[1] ؛ والملاحظة الثانية : هي بروز صوتِ الشّواعر في هذا الموضوع بروزاً واضحاً بالقياس إلى سائر الموضوعات ، ويرجع ذلك إلى أنّ هذا الجانب من الشعر أقرب إلى طبائعهنّ من سواه ، لأنّ المُصيبة تؤثّر فيهنّ أكثر مما تؤثّر في الرّجال ؛ والثالثة : أنّ الرّويَّ المكسورَ قد غلب على أشعار هذا الموضوع ، ولم يخرج عنه سوىٰ أبياتِ ليلى بنت الأحوص ، وبيتي المرأة التي رثَتْ عديَّ بنَ جبلة وبيتي امْرأةِ قراد بن أجدع ، وأَرىٰ أنّ أبيات ليلى التي جاء رَوِيُّها على اللام المضمومة ثم وصلَتْها بالهاء والألف لا تقصّر في قدرتها علىٰ كشف عاطفتها وحزنها عن الكسرة في رويّ تلك الأشعار ، لأننا نحسُّ ونحن نسمع هذين الحرفين بعد الرّويّ أنّهما يحملانِ تأوُّهَهَا وحرقة كبدها ، كما أنّ العينَ المفتوحةَ التي جاءت رويّاً في بيتي امرأةِ قُرادٍ لا تقلّ قدرتُها على كشف حزنها وألمها عن قُدْرَةِ الكسرة في تلك الأشعار ، لأنّ العين المفتوحة في بيتيها تحمل تعبيراً عن تفجُّعها وبكائها المرتفع أمام الملك علىٰ

---

(١) انظر ترجمة المنذر في الديوان .

زوجها ، إلى جانب أنّ حرفَ العين نفسَه كثير الاستخدام في شعر الرثاء لقدرتِهِ الصوتية على جلاء معنى الفجيعة وتصويرها .

وأمّا **في شعر ما بعد الإسلام** فنرى أن مكانة هذا الموضوع لا تختلف عن مكانته في شعرهم الجاهليّ ، من حيث قلّة الاتّساع ، إذْ وصل إلينا منه إحدى عشرة قطعة موزّعة على الأضرب الثلاثة : الرثاء ، والندب ، والتأبين ، وكلّها ترجع إلى العصر الأموي إلاّ قطعتين لنائلة بنت الفَرَافصة قالتهما في قتل زوجها عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، فقد رثته في أولاهما فتوجّهت إلى قبر النبي عليه السلام وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر بالشكوى وبأنّ لها عاذراً في شكواها ، إذ فقدت زوجَها وصارَتْ مَهِيضَةَ الجَناح ، لا يحميها النبيُّ وصاحباه ، ولا يردُّون سبب حزنها[1] :

أيـــا قَبْـــرَ النبـــيّ وصـــاحِبَيْـــهِ عَـذِيـري إنْ شكـوتُ ضيـاع ثَـوْبـي
فـــإنـــي لا سبيـــلَ فتمنعـــونـــي وَلا أَيـــديْكُـــمُ فـــي مَنْـــعِ حَـــوْبـــي

وندبَتْهُ في الثانية فبكتْهُ وأثنَتْ عليه خيراً ، فهو أفضل الناس بعد النبي وصاحبيه ، ولا عُذْرَ لها إن لم تبكِ هي وأهلها عليه ، وقد فقدوا بفقده مَنْ كانَ يُكْرِمُهُمْ ويتفضّل عليهم ، وكان إذا ما أَتاه آتٍ يُريدُ العَطَاءَ فَرِحَ بهِ وتهلّلَ وَجهُهُ[2] :

أَلا إِنَّ خَيْــرَ النّــاسِ بَعْــدَ ثــلاثــةٍ قَتِيْـلُ التُّجِيبِـيِّ الّـذي جَـاءَ مِـنْ مِصْـرِ
وَمَـا لِـيَ لا أبكـي وتبكـي قَـرابَتـي وقـد غُيِّبَـتْ عنّـا فضُـولُ أبـي عمـرو
إذا جِئْتَـهُ يـومـاً تُـرجّـي نـوالَـهُ بـدَتْ لـك سيمـاهُ بـأبيـض كـالبـدرِ

ونجد الرثاءَ الذي يقتصر على البكاء أو إظهار الحزن على الميت في قطعتين من الشعر الأموي ، فهذا حذافةُ الجنَابيّ ما كاد ينسىٰ حُزْنَهُ وأَلَمَهُ علىٰ موتِ بعضِ أهله حتى جاء نعيُ آخر منهم ، فأعاد نَكْءَ جُرْحٍ في قلبِه قارَبَ الالتئامَ ، فكان أشدَّ أَلَماً

---

(١) الديوان : ٣٤٤.

(٢) الديوان : ٣٤٦، وانظر الحديث عن نسبة البيتين الأولين للوليد بن عقبة، ص : ٢٦٠ .

علىٰ قلبه ، إذ زادَهُ حُزناً علىٰ حزنٍ ، وجعله يَسْكُبُ العَبَرَاتِ[1] :

وذكَّـرَنــي أَحْـزَانَ مـا قَـدْ سَلَـوْتُـهُ   مُصَـابُ قـريـبٍ ذي هـوىً وحَميـمِ
فهـاضَ فُـؤاداً قَـدْ تَمَـاثَـلَ كَلْمُـهُ   بِفَجْعَيْـنِ مِـنْ مُسْتَحْـدَثٍ وقـديـمِ
فَـأَضْعَـفَ أَحْـزانـي وأَسْبَـلَ عَبْـرَتـي   وآبَ حَميـداً وَهْـوَ غَيْـرُ ذَمِيـمِ

وتختلف حرارة العاطفة بين هذه الأبيات المُشْبَعَةِ بالحزنِ واللّوعةِ والحرقةِ على قريب أصابَهُ الموت وبين قطعةٍ أُخرىٰ للحُسامِ بنِ ضِرار قالها في قتيل ذكر أنّه لم يهدأ حتى قتل به تسعين رجلاً ، ويظهر أنّه بَعْضُ أشرافِ قومه ، فلمّا أراد أَنْ يُعَبّر عن حزنِهِ اكتفى بالقول : لو أن ميتاً يقبَلُ الموت بدلاً منه لافتداه الحسام بكفّه وأنامله[2] :

ولـو كـانـت المـوتـى تُبـاعُ اشتـريْتُـهُ   بكفّـي ومـا استثنيـتُ منهـا أنـاملـي

فنرى أنّ افتقار الحزن في هذا البيت إلى الحرقة واللوعة يدلّ على أنّ القتيلَ لم يكن قريباً حَميماً ، وتختلف حرارةُ العاطفةِ بين هذا البيت وبين بيتين آخرين له نَدَب فيهما ابنَه الخطّار ، فهو يخاطب رفيقين لابنِهِ ، داعياً أنْ يُبَارِكَ اللهُ فيهما ، مستخبراً عن آخر ما يعلمانه عنه ، وكأنّه ـ وقد فَقَدَ ابنَهُ ـ أراد أن يستدْرِك ذلك بمعرفةِ ما لم يعرفْهُ عنه فلا يفوتُهُ كما فاتَتْهُ رؤيتُه عند موته ، فيستخبرُ عن ذلكَ أعْلَمَ النّاس به ؛ ثم يستحضرُ صورةَ ابنِهِ الّذي لم يكن يجد في كثرة النَّوْم مَكْسباً ، بل كان يسهر في طِلاب المَجْدِ ، ولم يكن بالجبان الجَزِعِ عند النّوائب[3] :

أَلا خبّـرانـي بـارَكَ اللهُ فيكُمَـا   مَتَـىٰ العَهْـدُ بـالخَطّـار يـا فَتَيـانِ
فَتَـىً لا يَـرىٰ نَـوْمَ العَشِـيِّ غَنِيمـةً   ولا يَنْثَنِـي مِـنْ صَـوْلَـةِ الحَـدَثـانِ

ومن النّدب أيضاً في شعرهم الأمويّ أبياتٌ للجَرَنْفَشِ الزّهيري بكىٰ فيها عدداً

---

(١) الديوان : ٦٦١ .
(٢) الديوان : ٥٠٧ .
(٣) الديوان : ٥١٠ .

من أولاده وأثنى عليهم ، فقد رأىٰ أنّ عينيه لا تنامانِ حتّى أقلّ النّوم ، على حين كانتا تستطيبانِهِ قَرِيرَتَيْنِ بعِفَّةِ أبنائهِ وبرِّهم قبل أن يقضي الموتُ عليهم[1] :

ومِـنَ الحـوادِثِ أنّ عَينَـكَ بُـدّلَـتْ ... سُهْـدَ الهُمـومِ فمـا تـذوقُ غِـرارا
كـانَـتْ تنـامُ إلـىٰ رجـالٍ أصبحـوا ... تحـتَ القبُـور أعِفّـةً أبـرارا

ثم يبيّن الأثر الذي تركَهُ فَقْدُهم ، فيلتفِتُ إلى مَنْ بقي حيّاً من أَبنائه لتنبِّهَهم على اجتراءِ ذوي الأحقاد من قومهم عليهم وعلى أبيهم الذي لم تُضعفْهُ المصيبة أمامَ الرجال ، وإنما اجترؤوا عليهم وأظهروا العداوة بعدما رأوهم قلّوا وغاب كعبٌ وقرط والبَيْذار :

أَبَنـي الجَـرَنْفَـشِ إنّ كلبـاً أَصْبَحـوا ... مُتَعـاوِنيـنَ عَلَيْكُـمُ أَنْصَـارَا
نَظَـروا فَلَـمْ يُبْصِـرْ ذَوُو أَضْغـانِهـم ... كعبـاً ولا قـرطـاً ولا البَيْـذَارَا
غَمَـزَ الـرّجـالُ جـريـدتـي لِفِـراقِهـم ... فـوُجِـدْتُ لا قَصِفـاً ولا خَـوّارَا
ذَهبـوا وسُـوجِلَـتِ العَـداوَةُ بَعْـدَهُـمْ ... لَيْـتَ القبـورَ تخبِّـرُ الأخبـارَا

وللرَّباب بنت امرىء القيس أبياتٌ ندبَتْ فيها زوجَها الحسين بن علي رضي الله عنهما وحَمَّلت حديثَها عن مناقِبهِ ومحاسِنه ما في قلبها الجريحِ من الحزن ، وكيف لا تحزن وهذا الحسين الذي كان ضياءً للناس يهتدون به أمسى بأرض كربلاء مجدّلاً لا يجد مَنْ يقبره ، فتدعو الله تعالىٰ أنْ يجزيَهُ خير الجزاء إذْ كان مُعْتَصَمَها ومعتصَمَ سائر أهله المنيعَ الذي يلجؤون إليه ، على لين جانبهِ ورأفتِهِ وحسن عشرتِهِ ، واستقامَةِ دينه ، وكان مُعْتَصَماً وملاذاً للضعفاء والفقراء ؛ ثم تقسم أنّها ستبقى وفيّة لا تستبدل به زوجاً حتى تأخذ بيدها يدُ الموت[2] :

إنّ الـذي كـانَ نُـوراً يُستضـاءُ بـهِ ... بكَـرْبـلاءَ قتيـلٌ غَيْـرُ مَـدْفُـونِ
سِبْـطَ النَّبـيّ جـزاكَ اللهُ صـالحـةً ... عنّـا وجُنِّبْـتَ خُسـرانَ المـوازيـنِ

---

(١) الديوان : ٦١٥ .
(٢) الديوان : ٦٠٨ .

قَـد كنـتَ لـي جبـلاً صَعْبـاً أَلـوذُ بـه   وكنـتَ تصحَبُنـا بـالـرُّحْـم والـدّيـنِ
مَـنْ لليتـامـى ومَـنْ للسـائليـن ومَـنْ   يُغْنِـي ويَـأْوي إليـه كـلُّ مسكيـنِ
والله لا أبتغـي صهـراً بصِهْـرِكـمُ   حتـى أُغَيَّـبَ بيـن الـرّمـل والطّيـنِ

ونجد في شعر الأشعث بن عابس نَدْباً لامرأتِه جُلالة مثل ندبِ الرّباب زَوجَها الحسين ، فإذا كان الموتُ قد تركها في القَبْرِ لا حَراكَ بها ، تبعث في القلب الحزنَ فإنّها كانت قبلَ ذلك مصدراً لسروره يروقُه ويروقُ الناظرَ إليها حُسْنُها وإشراقُه ، وكانت الزوجة التي تسكن إليها نفسُه ، فغالَتْهُ المنيّةُ بها ففقد ذلكَ كلَّه ، ولئن أراد مكانَها امرأةً أُخرى فلن يجد شبيهاً لها[١] :

لعمـري لئـن كـانـت جُـلالـةُ أصبحـت   ضَنًـى فـي الفِـراشِ مـا تُصـرّفُ حـالا
لمـا قـد أَراهـا وهـي مُعْجِبـةٌ لنـا   وللنـاظـريـنَ بهجـةً وجمـالا
وكانت لنا ستراً إذا الرّيحُ أَعْصَفَتْ   وجـاءَتْ بشَفّـانٍ يكـون شَمـالا
ألا قـد أرىٰ أَنْ لا أُلاقـيَ مِثْلَهـا   ولكـنَّ أَبـدالاً تكـون عِيـالا

ونُلاحظ أن القطع الأربعة السابقة اقتصر النّدبُ فيها على الأبناء أو الأزواج ، ولا ريب أنّ فقد هؤلاء له أثرٌ عميقٌ في نفس الإنسان ، ولا سيما الأبناء ، ويظهر الفرق في عمق العاطفة وحرارتها بين ما جاءَ ندباً أو رثاءً للأقارب فتؤثر حرارتُها في الذي يسمعها ، وبين ما جاء تأبيناً لبعض الموتى مُجَرّداً من حرارة العاطفة ، فهذا جوّاس بن القعطل يكتفي بالدّعاء لعظام ذلك الذي كان صادقاً وفيّاً أن يسقيَه المطرُ ليخضرّ موضعُ قبره[٢] :

لا زالَ صـوبٌ مِـنْ رَبيـعٍ وصَيِّـفٍ   بِهَضْـبِ القَلْيـبِ ، فـالتِّـلاعُ بِـهِ خُضْـرُ
يُـروِّي عِظـامـاً لـم تكُـنْ فـي حيـاتهـا   يُـرِبُّ بهـا حِنْـثُ اليميـنِ ولا الغَـدْرُ

وأبّنَ عمرانُ بنُ هلباءَ خالدَ بنَ عبد الله القسري سيّد اليمانية حين قتله يوسف بن

---

(١) الديوان : ٦٤٨ .
(٢) الديوان : ٤٤٧ .

عمر الثقفي والي العراق للوليد بن يزيد ، فأدّى ذلك إلىٰ غضب اليمانية ومَنْ تيمَّنَ من بني كلب ، فكان تأبينُ عمران بن هلباء لأسبابٍ قبليّة سياسيّةٍ لا بدافع الحزنِ على خالد ، ولذلك لم يذرفْ دمعةً عليه ، بل هدّد بأنهم سوف يبكونه بالسيوف ولا يتركون أفعالَهُ الحسنة تضيعُ دون أنْ يَثْأَروا لها ، فقد كان خالد يُعيل الأيتام بينما كان الوليد مضيّعاً لهم ، وكان يحسِنُ إلىٰ الحيّ والميّت من بني نزار ويكرمهم ثم ها هم يقتلونه[1] :

سنبكـــي خـــالـــداً بمهنَّـــداتٍ ... ولا تـــذهَـــبْ صنـــائعـــه ضَـــلالا
ألـــم يـــكُ خـــالـــدٌ غيـــثَ اليتـــامـــىٰ ... إذ حَضَـــرُوا وكنْـــتَ لهـــم هُـــزالا
يُكفّـــنُ خـــالـــدٌ مَـــوْتـــى نـــزارٍ ... ويُثْـــري حَيَّهـــم نَشَبـــاً ومَـــالا

وعندما مات عبدُ الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وقف بعضُ شعراء كلب يؤبّنه ، فرأىٰ أنّ أمّ عبد الملك تنجب أولاداً لا تطول أعمارهم ، ولكنَّ مجدهم هو الطويل ، وأنَّ موتَ عبد الملك جعل كلباً ومُضَرَ تطأطىءُ رؤوسها حزناً عليه[2] :

إنـــي رأيـــتُ بنـــي أمّ البنيـــنَ لهُـــمْ ... مجـدٌ طـويـلٌ وفـي أعمـارهـم قِصَـرُ
مـاتَ الهُمَـامُ أبـو مـروانَ فـاختشعَـتْ ... كلـــبٌ لـــذاك وذلّـــتْ بعـــدَهُ مُضَـــرُ

فإذا بحثنا عن حزن الشاعر لم نجد له أثراً .

ومن التأبين العجيب ما جاء به بعضُ بني كلب عندما ماتَ سليمانُ بنُ عبد الملك بعدما أكل أكلاً كثيراً جدّاً ، فراح ذلك الكلبيُّ يستعيذُ بالله من شرّ الطعام الذي تكون عاقبتُه الموت ، كطعام سليمان ، ورأىٰ أنّ الطعام الذي أكله سليمان لو كان في بطن فِيلٍ لفَجّره ، ولملأ الأرضَ التي يقع عليها ما في بطنه ، وخاطب بعد ذلك شراهةَ سليمان بأنّها قد أدّتْ إلى هدم بناءِ المجد ، وتمنّى بعد ذلك لو أنّ سليمان بقي حيّاً

---

(١) الديوان : ٤٩٨ .
(٢) الديوان : ٧٣٩ .

ومات الذي أهداه الطعام[1] :

أعـوذُ بـربّ النـاسِ مـن شـرّ أكلـةٍ ... يكونُ كؤوسَ الموتِ صِرْفاً كِفاؤُهَا
كَـدَأْبِ سُليمـانَ الّـذي كـان داؤهُ ... رَدىٰ أكلـةٍ كـان الحِمـامَ دَواؤُهَـا
ولـو ضـمَّ بطـنُ الفيـلِ مـا ضـمّ بطنُـهُ ... لفُضّـتْ ضلـوعٌ وانْفَـرَتْ حـاوِيـاؤُهَـا
وما ضُمِّنَتْ في الأرض حتى تفتَّقَتْ ... حواياهُ واسْتَوْلىٰ على التُّرْبِ مَاؤُهَا
فَيـا نَهَمـاً أَرْدىٰ سُلَيْمَـانَ إنّمـا ... هَـدَمْـتَ العُـلا وَارْفَـضَّ مِنْهـا بِنَـاؤُهَـا
فَلَيْـتَ الَّـذِي أَهْـدَى فَـدَاكَ بِنَفْسِـهِ ... فسِيْـقَ إليهـا حَتْفُهَـا وفَنـاؤُهَـا

فَلم يُدْرَ أهجاهُ بهذا الشعر أم أبّنه .

وإذا رجعنا إلى ما وصل إلينا من شعر ما بعد الإسلام في هذا الموضوع لاحظنا أنّ الرّثاءَ والنّدبَ اللّذَيْنِ لا يخلُوانِ من الحزن قد اقتصرا على الأقارب أو أبناء القبيلة ، بينما وقفنا عند ثلاث قطع من التأبين المجرّد من الحزن فرأينا أنّ أُولاها قيلَتْ في رجلٍ لم يُعْرَف ، وأن الأُخْرَيَيْنِ قِيلَتا في رجلين ليسا من بني كلب ، ولعل المُصانَعَة التي دعَتْ إليها الأوضاعُ السياسيّة أو القبليّة الجديدةُ في عصر بني أميّة كانت وراء ذلك التأبين ، وهذا ما يفسّرُ خلُوَّها من الحزن ؛ كما نلاحظ أنّ صوت الشّواعر بقي ظاهراً مثلما كان في شعرهم الجاهليّ ، وظهرت بعضُ المعاني الدينيّة في رثاء عثمان بن عفّان والحسين بن عليّ خاصّةً ، في حين كانت سائر المعاني تقليديّةً من نحو المعاني التي كانت في رثائهم الجاهليّ .

وإذا كنا لاحظنا أنّ هذا الموضوع ليس بالموضوع الواسع في شعرهم ، فإنّ هذا الحكم ينطبق على سائر القبائل حين نستثني شعراء المراثي ـ كالخنساءِ السُّلَميّة ومُهَلْهِلٍ التغلبي ومتمِّمِ بن نُوَيْرة اليَرْبوعي ـ إلاّ بني أسد ، فقد لوحِظ أنَّ الرّثاءَ من الأغراض الواسعةِ في شعرهم لا يتقدّم عليه سوى غَرَضِ الفخر ، ذلك لأنّ هذه

---

(١) الديوان : ٧٣٥ .

القبيلة « تعرّضَتْ إلىٰ حروب شديدةٍ مُبيرةٍ ، جَدَعت الأنْفَ واستأصلَت الشأفة »[1] إذ كانت قليلة العدد غير مرهوبةِ الجانب .

وقد بيّن ابنُ رَشيق أنَّ ضِيق هذا الموضوع في الشعر راجعٌ إلى أنَّهُ أصعب الشّعر ، لأنّه لا يُعْمَل رغبةً ولا رهبةً ، وإنما يُعمل على الوفاء[2] ؛ فهذا التَّعليلُ يَصْدُقُ على رثاء غيرِ القريبِ الحميم من سيِّدٍ أو متفضِّل ، ولا يصدق على رثاء الأقارب ؛ وقد أشار الرافعيُّ إلىٰ ذلك التعليل ، ثم أرْجَعَ ضيقَ الرّثاء العربي إلىٰ طبيعةِ البداوَةِ وما يتعلق بها من أخلاق[3] .

ولا ريب أنَّ الأضرُبَ الثَّلاثة التي قسمنا إليها شعر بني كلب في هذا الموضوع من رثاء ونَدْبٍ وتأبين ، هي الأضرُب التي تتوزّع أشعارَ هذا الموضوع عند جميع القبائل إذا ما نظرنا في شعر كل قبيلة مجتمعاً كما نظرنا إليه في شعر بني كلب ؛ فإذا ما وقفنا عند شعر بني ذبيان مثلاً رأينا فيه الرّثاء الذي لا نجد فيه إلاّ بكاءً حزيناً على الميت ، كقول أبي الحكيم المُرِّيّ يرثي ابنَهُ وقد اختطفته يدُ المنون من بين يديه ، وكان يأمُلُ أنْ يكبر ابنُهُ فيحمل نعشه[4] :

وكنتُ أُرجّي من حَكيمٍ قيامُهُ عليّ إذا ما النعشُ زالَ ارتَدَانِيا
فَقُدّمَ قَبلي نعشُه فارتَدَيْتُهُ فيا ويح نَفْسي مِنْ رداءٍ عَلانيا

ورأينا النّدبَ الذي يمتزج فيه الحُزنُ بذكر مآثِرِ الميت ، كقول مَعِيّةَ بنِ الحُمام في رثاء أخيه الحُصَيْن[5] :

إذا لاقيتُ جَمْعاً أو فِئاماً فإنّي لا أرى كأَبي يزيدا
أَشَدَّ مَهابةً وأعزَّ رُكْناً وأصلَبَ ساعةَ الضَّرَّاءِ عُودا

---

(١) شعراء بني أسد ١ : ٢٦٦ ، وانظر علاقات أسد وأيّامها في المرجع نفسه ١ : ٢٨ـ٦١ .
(٢) العمدة : ٢٥١ .
(٣) تاريخ آداب العرب ٣ : ١٠٦ .
(٤) شعر ذبيان : ١٥٠ و٤٦٥ .
(٥) شعر ذبيان : ١٤٩ و٤١٩ ، الفئام : الجماعة ، والمُصَدَّر : الأسد القويّ الصدر .

صَفِيّــي وابــنُ أمّــي والمُــواسِــي إذا مــا النَّفْــسُ شــارفَــتِ الــوريــدا
كـــأَنّ مُصَـــدَّراً يحْبُـــو وَرائـــي إلـــىٰ أشبـــالِــهِ يبغـــي الأُســـودا

في حين لا نجد النابغة يُعاني شيئاً من الحزن النابع من عاطفةٍ صادقةٍ تبعث على البكاء والألم لفقد عزيزٍ ما ، وذلك في أبياتٍ أبّنَ فيها النُّعمانَ بنَ الحارث الغسّاني الذي كان يكرم النابغة ، فَهُوَ يقول[1] :

فـــلا تَبْعَـــدَنْ إنَّ المنيّـــة مَـــوْعِـــدٌ وكـلُّ امـرىءٍ يَـوْمـاً بـهِ الحـالُ زائـلُ
فمـا كـانَ بيـن الخيـر لـو جـاءَ سـالِمـاً أبـــو حُجُـــرٍ إلاّ ليـــالٍ قـــلائـــلُ
فإنْ تَحْيَ لا أَمْلَلْ حياتي وإنْ تَمُتْ فمـا فـي حيـاةٍ بعـد مـوتِـك طـائِـلُ
فـــآبَ مُصَلُّـــوه بعيـــنٍ جَلِيّـــةٍ وغُـودِرَ بـالجَـوْلانِ حـزمٌ ونـائِـلُ

فالنابغة تأثّر بموت النعمان لا لشيء إلاّ لأنّه لم يكن بينه وبين خير النعمان إلاّ ليالٍ معدودة ، ولأنّ نائلَ النعمانِ وعطاءَه وحَزْمَهُ دُفِنَ بالجولان ، فأيُّ خيرٍ في حياة النابغة بعد أن ذهب مَصْدَرُ رزقه؟ وإذا نظرنا في عيني النابغة وَجَدْناهما جامِدَتَيْنِ تَرْقُبان أَعْيُنَ أقارِبِ النعمان وقد رجعوا بعد دفنه وهي تذرفُ الدّموعَ! أفيحقّ لنا بعد ذلك أو لغيرنا أن نقول إنّ هذه القصيدة « تَقْطُرُ حُزْناً وألماً »[2]؟ إنّما هي مجرّد تأبينٍ بدافعٍ من الوفاءِ لملكٍ أسْدَىٰ مَعْروفاً .

٤ ـ المَدْح :

إن ما وصل إلينا من شعر بني كلب في المدح ليس بالقَدْرِ الكبير ، سواءٌ في ذلك شعرُ الجاهلية ، وشعرُ ما بعد الإسلام إلى آخر عصرِ بني أميّة ؛ ويكاد يخلو **شعرهم الجاهليّ** من المدح لولا ستّ قطع لستِّ شعراء ، فلا نجد شاعراً من شعرائهم بَرَزَ هذا الموضوعُ في شعره ، كما رأينا من بروز موضوع الهجاء مثلاً في شعر جوّاس بن القعطل ، ولعلّ ذلك يرجع إلى اختفاءِ ظاهرة التكسُّب في شعرهم الجاهليّ ، تلك

---

(١) ديوانه : ١٢٠ـ١٢٢ .
(٢) انظر شعر ذبيان : ١٤٧ .

الظاهرة التي جعلَتْ المدح موضوعاً بارزاً لدى بعض شعراء القبائل الأخرى كالنابغة الذبياني والأعشى البكريّ والحطيئة العبسيّ وحسّان بن ثابت الخزرجيّ . وقد لاحظ ابنُ رشيق أنّ هذه سمةٌ عامة في الشعر الجاهليّ كلّه ، وذلك حين قال : « كانت العرب لا تتكَسّب بالشعر وإنّما يصنع أحدهم ما يصنعُه فُكاهةً ، أو مكافأةً عن يدٍ لا يستطيع أداء حقّها إلاّ بالشعر إعظاماً لها . . . »[1] أمّا النابغة والأعشى والحطيئة وحسان فحَالات شاذّة .

وقول ابن رشيق السابق يُوقِفُنا على أَهَمّ دوافع المدح في الشعر الجاهليّ ، وهو الشّكر والعِرفان بالجميل ، وقد استأثر هذا الدافع بنصف القطع الستّ التي وقفنا عليها في شعر بني كلب الجاهليّ ، في حين كان الدافع إلى النصف الآخر هو الإعجاب بالممدوح لأسباب مختلفة ؛ فهذا زهير بن جَنَاب يَرْحَلُ مُسْرِعاً دون أن يعرّج على شيء إلى أن يصل إلى ملك الحيرة ، ليشكره على ما أعطاه من عطاءٍ جزيل[2] :

جـدّ الـرحيـل ومـا وقفْـ . . . ـتُ علـى لميـسَ الإرْأَشيّـةْ
ولَقَـىٰ ثـوائـي اليـومَ مـا عَلِقَـتْ حِبـالُ القَـاطِنيَّـةْ
حتـى أؤدّيَهـا إلـى الـ . . . ـمَلِـكِ الهُمَـامِ بـذي الثَّـوِيّـهْ
قـد نـالنـي مـن سَيْبِـهِ فـرجَعْـتُ مَحْمُـودَ الحَـذِيّـةْ

فلم يَزِدْ على أن وصفه بالشجاعة والسخاءِ ؛ ولا ريبَ أنّ الشّكر على العطاء من العِرْفانِ بالجميل ، وفرقٌ كبيرٌ بين أَنْ ينال المرءُ خيراً فيشكُرَ صاحبَه مكافأةً على يده هذه عنده ، وبين أن يمْدَحَهُ ليَسْتَدِرَّ خيره وعطاءَه متكسّباً .

ومَدَحَ خُثَيْمُ بن عديٍّ مسعودَ بن بَحْرٍ الكلبيّ لأنّه حمل عنه تكاليفَ أمرٍ أهمَّهُ ، فذهب إلىٰ أنّه وَجد فيه مزيّةً علىٰ غيرِهِ وشرفاً وكرماً ، فقد حمل عنه ذلك الحِمْلَ

---

(١) العمدة : ١٧٩ .
(٢) الديوان : ٦٢ .

الذي كان يصعُبُ على غيره ، وليست هذه السّمات بالشيء المستحدَثِ فيه ، بل هي عن مجدٍ رفيعٍ وَرِثَهُ عن أبيه الذي كان رجُلَ خير ، لا يلتفتُ إلى ما يتشاءم به الرّجالُ من غرابٍ وغيره فينصرفون عمّا عزموا عليه ، بل يتابع سيره إلى مُرادِه ولا ينصرف انصرافَ الرَّجُلِ المتطيّر[1] :

رأيتُ لمسعود بن بحرٍ مزيّةً ... وبَيْتاً وفَيْضاً يرتجيهِ الدَّعائمُ
حَمَلْتَ عن الرقّاصِ ثِقْلاً ولم يكُنْ ... لِيَحملَهُ ما دام يَدْفَعُ حازِمُ
وَجَدْتُ أباكَ الخيرَ بحراً بِنَجْوَةٍ ... بَناها لَهُ مَجْداً أشمُّ قُماقِمُ
وليس بِهيّابٍ إذا شدَّ رَحْلَهُ ... يَقولُ : عَداني اليومَ واقٍ وحاتِمُ
ولكنّه يَمْضي على ذاك مُقْدِماً ... إذا صَدَّ عن تلكَ الهَناتِ الخُثارِمُ

ولا يختلف دافعُ معاوية بن سِنان الكلبيّ عن دافع القطعتين السابقتين ، وذلك أنّه دعا أخاهُ لأمّه سنانَ بن أبي حارثة المرّيّ وأخاه عوفَ بنَ أبي حارثة لأمرٍ ما قَدْ نابَهُ ، فلم يَتَلَجْلَج ولم يبطىء ، ولا حدَّثَتْهُ نفسُه بذلك ، بل خفّ إلى حاجته مسرعاً ، ذلك أنّ أمّه نضَّجَتْ حَمْلَهُ فزادت فيه أيّاماً ، وولدتْهُ فذّاً لا تَوْءَماً فيضْعُفَ[2] :

سِناناً دَعَوْتُ وأَشْياعَهُ ... وعَوْفاً دَعَوْتُ أَبا قِهْطِمِ
فقامَ فتىً وَشْوَشِيُّ الذّرا... ع لَمْ يَتَلَبَّثْ ولم يَهْمُمِ
تَمَطّتْ بِهِ أُمُّه في النِّفا... سِ لَيْسَ بِيَتْنٍ ولا تَوْءَمِ

فهذه هي القطع التي كانت بدافعٍ من مكافأةِ الجميل بالشعر ؛ وأمّا التي كانت بدافع الإعجاب فأوّلُها لزهير بن جَنَاب الذي رأىٰ أنَّ (بني مالكٍ) عندما يَسيرون إلى الغزو لا يُعْرَفُ طعام هذا من ذاك ، حتى إذا كان اللّقاءُ رأيتهم مجتمِعينَ يقدّم كلُّ

---

(١) الديوان : ٩٩ .
(٢) الديوان : ٢٥٧ .

واحدٍ نفسَهُ على صاحبِه فداءَ الأخِ أخاه[1] :

إنَّ بنــي مــالــكٍ تَلْقــي غَــزِيَّهُــمُ   في الزَّادِ فَوْضىٰ ، وعِنْدَ المَوْتِ إخْوانا

ومَدَحَ غُطَيْفُ بن تُوَيْل ابنَ عمّهِ جَبَلَةَ بن إسافٍ الكلبيّ لأنّه رآه يمشي في قومِهِ يُصْلِحُ بينهم[2] :

حيــنَ سَعــىٰ الفَــارُوقُ فــي قَــوْمِــهِ   سَعْــيَ امــرىءٍ فــي قَــوْمِــهِ مُصْلِــحِ

وقد لُقِّبَ جبلة بسبب هذا البيت بـ (الفاروق) .

وكان بعضُ بني يشكُر سَبَّ النّعمانَ بنَ المنذِرِ مَلِكَ الحيرةِ ، فأمر بقتله ، فلمّا رأى اليشكريُّ السيفَ اشتدَّ خوفُه ، فلم يجد لنفسهِ قُدْرَةً إلاَّ أنْ يشتمَ النعمانَ ثانيةً ، فلما رأى النّعمان ذلك أشفق عليه وعفا عنه ، فأُعجِبَ قُرادُ بنُ أجدع ـ أو ابنُه ـ بهذا الفعلِ من النّعمان ، إذ وجد أنّهُ ملكٌ صاحِبُ هَيْبَةٍ ونجدةٍ وكرم ، ولولا رحمةٌ منه أدركت اليشكريَّ لقتله[3] :

نَطَــق اليَشْكُــرِيُّ مَنّــاً فَــأَبْــدىٰ   فَــرَقــاً مِــنْ مُصَمَّــمٍ هُنْــدُوانــي
ثُــمَّ ثَنّــىٰ بمثلِــهِ إذْ رَأَىٰ المَــوْ . . . تَ عِيــانــاً فــي لَحْظَــةِ النُّعمــانِ
فتــلافَتْــهُ رحمــةٌ مِــنْ مَليــكٍ   ذي بَهــاءٍ واري الــزِّنــادِ هِجــانِ
فلَــهُ الــويــلُ كيــفَ ســاغَ لَــهُ القَــوْ . . . لُ مُجِــدّاً أو مــازحــاً بــاللِّســانِ

فهذا جميع ما وصل إلينا من مدحهم في العصر الجاهليّ ؛ وإذا أعدنا النظر مُدَقِّقين في معانيه وجدنا أنّها تتعلّق بجليل الأفعال وكريم الأخلاق والصّفات من نجدةٍ وشجاعةٍ وكرمٍ ومجدٍ وحسبٍ أصيل ، وهي ابنةُ البيئة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشونها في البوادي وما فيها من تقاليد ومفاهيم .

وإذا وقفنا عند ما وصل إلينا من مديح **في صدر الإسلام** رأينا اختلافاً عن

---

(١) الديوان : ٥٩ .
(٢) الديوان : ٢٧٩ .
(٣) الديوان : ١٨٠ .

مديحهم الجاهليّ من حيث الدّوافع والمعاني إذ ظهر بعضُ المديح لدَواعٍ دِينية ، أو لِدَواعي التكسُّبِ ، وبرزت بعضُ المعاني الدينيّة ، إلىٰ جانب بعض الدوافع والمعاني التقليدية ؛ فنجد حارثةَ بن قطن يمدح النبيّ عليه السلام بدافع ديني محض عندما وفد عليه وأسلم ، فقد وجد أنّه أفضل الخَلْق جميعاً ، وأنّه كريم الأصل خالِصُه ، جميل المُحَيّا أبيض الوجه ، يعلوه حين تراه الأعين ضياءٌ كضياء البدر ، قد أوضحَ طريقَ الحقّ من الضّلال وقوّمَهُ بعدما كان دارساً ملتوياً ، وحَنَا علىٰ ضِعافِ الناس وعطف عليهم من يتامىٰ وغيرهم على كلّ حال[1] :

رأيتُــك يــا خيــرَ البَــرِيّــةِ كلّهــا ... نَبَـتَّ نُضـاراً فـي الأرُومـةِ مِـنْ كَعْـبِ
أغــرّ كــأنَّ البَــدْرَ سُنَّــةُ وجْهِــه ... إذا مـا بـدا للنّـاس فـي حُلَـلِ العَصْـبِ
أَقَمْـتَ سبيـلَ الحـقّ بعـد اعْـوجَـاجِـهِ ... ورِشْتَ اليَتامىٰ في السِّقايَةِ والجَدْبِ

وعندما أغارت بكرُ بن وائل على إبِلِ أُبَيّ بن الطفيل زمن عليّ بن أبي طالب أسرع إليه يشكوهم ، إذ جاؤُوا بداهيةٍ من الدَّواهي ، فأخذوا مالَهُ وقتلوا نَفْساً بغير نَفْسٍ ، وما قصد عَلِيّاً إلاّ لأنّه ملجأُ الناسِ الذي يحميهم بعدَ اللهِ تعالىٰ ، ويردُّ الحقّ على صاحبِه من المعتدي[2] :

أَجِــرْ فَتــىً عَلِــيُّ مِــنْ بَعْــضِ اللَّمَــمْ
مِــنْ غــارةٍ شَنْعــاءَ فــي مــالِ الأَصَــمّ
أَتــاكَ يَشْكُــو رَقْمــةً مِــنَ الــرَّقِــمْ
دَمــاً وَمــالاً أَخَــذوا مِــن غَيْــرِ دَمْ
فَــأَنْــتَ بَعْــدَ اللهِ كَهْــفُ المُعْتَصِــمْ
والآخِــذُ الحــقّ مِــنَ الألْــوىٰ الخَصِــمْ

وثمّة شاعرٌ كلبيٌّ مجهول مَدَحَ عُقْبَةَ بنَ أُهْبان الخُزاعيّ ، عندما بعثه عُمَرُ بنُ

---

(١) الديوان : ٣٧٩ .
(٢) الديوان : ٣٦١ .

الخَطَّاب أو عثمان بن عفّان علىٰ صدقاتِ كلب وغيرها ، وكان يُقال لأبيه أُهْبَان (مُكَلِّم الذئب) لأنَّ الذّئبَ كلَّمه في خبرٍ له فجاء النبيَّ في المدينةِ وأسلم ، ولم يصل إلينا من مدحهِ إلاّ بيتٌ واحدٌ نلمح فيه مظهراً من مظاهر التَّكَسُّب ، إذ ذكر أنّه رحلَ إلىٰ عُقْبة علىٰ ناقةٍ قويّة[1] :

إلىٰ ابنِ مُكلِّمِ الذّئبِ ابنِ أَوْسِ رحَلْتُ علىٰ عُذافِرَةٍ أَمُونِ

وقد كان وَصْفُ الرّحْلَةِ ومشاقّها ووَصْفُ الناقة التي يرحل عليها الشّاعر إلى ممدوحِه من أهمِّ مظاهر شعر التكسُّب .

ولكنّ قَتَادة بن شَعّاث رحلَ إلىٰ السَّرِيّ بن وَقّاص الحارثيّ ، وقطع المفازات وأهوالَها لا ليتكسَّبَ بل ليَشْكُرَهُ علىٰ معروفِه ، إذ حَمَل عنه حَمالةً بعدما سألَ قومَهُ بني كلب والمغيرةَ بنَ شُعْبَةَ الثقفيَّ فمنعوهُ[2] :

إلَيْكَ مِنَ الأَوْداةِ يا خَيْرَ مَذْحِجٍ عَسَفْتُ بها أهوالَ كلِّ تَنُوفِ
حَمَلْتَ عَنِ التَّيْميِّ ثِقْلاً وَقَدْ أَبَتْ حَمالَتَهُ كَلْبٌ وَجَمْعُ ثَقِيفِ

وفي **شعرهم الأمويّ** نجد أنواعاً مختلفةً من المدح تبعاً لِدَوَافعهِ ، فهناك مدحٌ لأسبابٍ سياسيّة ، ومدحٌ للتكسّب ، ومدحٌ للمكافأةِ علىٰ الجميل ، ومدحٌ لا لِسَبَبٍ سوىٰ الإعجاب ؛ فقد كانَ بعضُ شعراءِ الحجازِ هجا يزيدَ بنَ معاوية عندما أعلنَ أهلُ المدين المخالفةَ قبلَ يومِ الحَرَّة ، فقال في هجائه :

لَسْتَ مِنّا وليسَ خالُكَ مِنّا يا مُضِيعَ الصَّلاةِ للشَّهَوَاتِ

فردّ عليه بعضُ شعراء كلب ، فقال[3] :

أَنْتَ منّا وليسَ ذٰلك مِنّا يا مُجِيبَ الصَّلاةِ لِلدَّعَواتِ

وليس يخفىٰ أنّ وراء هذا المدح أسباباً سياسيّة .

---

(١) الديوان : ٤٣٦ .
(٢) الديوان : ٤١٤ .
(٣) الديوان : ٧٤١ .

ومن ذلك ما نجده في شعر القُطاميّ الكلبيّ ، إذ مدح يزيدَ بن المُهَلَّب حين هربَ من السِّجْنِ وتغلّب علىٰ البصرةِ ، وسار نحو الكوفةِ خارجاً على يزيد بن عبد الملك ، فهو يرىٰ أنّ ابنَ المهلّب ليس باللَّئيم الضَّجِر ولا الجبان الضعيف ، بل هو سيّدٌ ستخضع له الملوك وتذلّ أمامَهُ ، في حين يَفْرَح المتطلِّعون إلى خروجه[1] :

لَعَـــلّ عَيْنـــي أنْ تـــرىٰ يـــزيـــدَا   يَقُـــودُ جَيشـــاً جَحْفَـــلاً شَـــدِيـــدَا
تَسْمَـــعُ لِـــلأَرْضِ بِـــهِ وَئِيـــدَا   لا بَـــرَمـــاً هِـــدّاً ولا حَيُـــودَا
وَلا جَبـانـاً فـي الـوَغَـىٰ رِعـديـداً   تَـــرىٰ ذَوِي التَّـــاجِ لَـــهُ سُجُـــودَا
مُكَفِّـــريـــنَ خـــاشِعيـــنَ قُـــودَا   وَآخَـــريـــنَ رَحَّبُـــوا وُفُـــودَا

وابن المهلّب فوق ذلك رجلٌ يَفي بعهده ، وهو من قومٍ أشرافٍ ذوي كبرياء وعزّة يفتكون بأعدائهم كلَّ حينٍ ، كأنَّهم يُضَحّون بهم يوم العيد :

لا يَنْقُـــضُ العَهْـــدَ وَلا المَعْهُـــودَا   مِـــنْ نَفَـــرٍ كـــانـــوا هِجـــانـــاً صِيْـــدَا
تَـــرىٰ لَهُـــمْ فـــي كـــلِّ يـــومٍ عِيْـــدَا   مِـــنَ الأعـــادي جَـــزَراً مَقْصُـــودَا

ولكنّ القُطَاميَّ لم يَصْدُق الفِعْلَ كما صَدَقَ القَوْلَ ، إذ نجده يسيرُ مع الجيش الذي أرسله يزيدُ بن عبد الملك لمحاربة ابنِ المهلّب الذي تعجّب من القطاميّ فقال : ما أبعد شعر القطاميّ من فعلِهِ! .

وفي شعر الأحمر بن شجاع بيتان رحل فيهما ومدح (فتى الناس) ، ولكنْ أيُّ فتىً للناسِ هو؟ إنّه الفتى عِنْدَ العَطاءِ والجود ، وعند الحرب واللّقاء ، فهو كريم مبسوط الرّاحتين ، عزيزٌ منيعٌ عند الشدائد[2] :

إلـى فتـى النَّـاسِ للـدُّنيـا ونـائِلهـا   وللحُـــروب الّتـــي فيهـــا الأَمـــازِيـــجُ
سَبْـط اليَـدَيْـنِ أَشَـمّ الأنـفِ قـد علمـوا   إنْ كـان أمـرٌ لـه خـوفٌ ومَـرْجُـوجُ

والتكسّب واضحٌ في البيتين في التوجّه إلى (فتى الناس) وفي الإلحاح علىٰ وصفِهِ بالكَرَمِ .

---

(١) الديوان : ٥٥٢ .
(٢) الديوان : ٥٣٤ .

وكان عبدُ العزيز بن مروان رَجُلاً جَواداً كريماً مُمَدَّحاً ، وقد قصده بعضُ شعراء كلب ، فَمَدحه بأنّه « فتى قريش » وإليه رحل مَعَ آخرينَ الجِمالَ أَيّاماً طِوالاً[1] :

إلىٰ عبدِ العزيزِ فَتى قريشٍ رَحَلْنا العيسَ عَشْراً بعد عَشْرِ

وما رحلوا جِمالَهم إلاّ من أجل العطاء ؛ وهو السبب نفسُه الّذي دعا أعرابيّاً آخَرَ مِنْ كلبٍ إلى قَصْدِ مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان ، ذلك الأمير القائد الذي عَوَّدَهم أنْ يجدوا عنده المَعْرِفَةَ الواسعةَ والعطاءَ الجزيلَ ، وهو بعدُ ذو ثقةٍ كبيرةٍ بنفسِهِ فلا يَغْتَمُّ للأمور الشديدة الّتي تَنُوبُه ، بل تراه مُبْتَسِماً تتهلَّلُ أَساريرُه كما يَبْرُقُ السَّيْفُ الّذي أجادَ الجلاَّءُ صَقْلَهُ[2] :

نَزُورُ امْرَأً مِنْ آلِ مَرْوانَ لَمْ يَزَلْ لنا مِنْهُ عِلْمٌ لا يُحَدُّ ونائلُ
تراهُ إذا ما أظْلَمَ الخَطْبُ مُشْرِقاً كمِثْلِ حُسامٍ أخْلَصَتْهُ الصَّياقلُ

ونلاحظ التَّلَطُّفَ في السُّؤال ، فهو زائرٌ ضيفٌ لهذا الأمير الذي عَوَّدَهُ وعوّد غيرَهُ علىٰ العطاء ، والضّيفُ مِنْ حقّهِ الإكرام .

ولا نجد في مدحهم إلاّ قطعةً واحدةً كانت بدافعٍ من العرفان بالجميل ، فأبو الخطّار حسام بن ضرار يشكرُ (ابنَ بكرٍ) الذي أعانَهُ علىٰ جميع مشكلاتِه فأزاح عنه كلَّ همّ ، ويستنتج من مَوْقفِ ابن بكر معه حكمةً عظيمةً ، وهي أنّ المرءَ إذا أراد أن يصطفي صديقاً فليكن صاحبَ نسبٍ أصيلٍ ، وحسبٍ كريم ، ودِينٍ مَتِينٍ ، يعني مثلَ صاحبِه ابنِ بكر[3] :

إنّ ابنَ بكرٍ كَفاني كلَّ مُعْضِلَةٍ وحطّ عَنْ غاربي ما كانَ يُؤذِيني
إذا اتَّخَذْتَ صديقاً أو هَمَمْتَ بهِ فٱعْمِدْ لذي حَسَبٍ إن شئتَ أَو دِيْنِ

ودعا الإعجابُ ببعضِ الأشخاص عدداً من الشعراء إلىٰ مَدْحِهِمْ بتلك الصّفات

---

(١) الديوان : ٧٤٣ .
(٢) الديوان : ٧٤٠ .
(٣) الديوان : ٥١١ .

التي أثارت الإعجاب ، ففي أبياتٍ لعمرو بن المخلاة افتخر فيها بما كان منهم يوم مرج راهط حين قتلوا أشرافَ قيس عيلان ، وهجا قيساً[١] ، نجده يذكُرُ قَتْلَهم همّامَ ابنَ قبيصة النميريّ ، وكان الوازِعُ بنُ ذُؤالة الكلبيّ قد قتلَهُ ، فيمدح الوازع بأنّه رجلٌ شديد الصبر عند الشدائد ، مُقَوٍّ لأصحابِه ، وأنّه كريم الفِعال سيّدٌ معظّمٌ طويلُ القامة ، بيّن الشباب والرجولة[٢] :

وأَدْرَكَ هَمَّـــامـــاً بـــأَبْيَـــضَ صَـــارِم فَتـىً مِـنْ بَنـي عَمْـرٍو صَبُـورٌ مُشـايِـعُ
هُـوَ الأَبْيَـضُ القَـرْمُ الطـويـلُ نجـادُهُ مِــنَ القَــوْمِ لا فــانٍ ولا هُـوَ يـافـعُ

ورأى بعضُ مجاهيل شعرائهم الأمويّين في بعض بني رَقاشِ الكلبيّين صفاتٍ أعجَبَتْهُ فهو رجلٌ شريفٌ كريم الآباء ، وسيّدٌ سخيٌّ مُوَطّأ الأكناف ، ومنيعُ الجانب ، يُعطي مَنْ شاء تفضُّلاً منه ، ويَمْنَعُ من شاء ؛ فمدحَهُ بهذه الصّفات[٣] :

وَمِـــنْ رَقَـــاشِ مـــاجـــدٌ سَمَيْـــدَعُ
يَـــأْبـــىٰ فَيُعْطـــي عَـــنْ يَـــدٍ ويَمْنَـــعُ

في حين أنّ الهمّةَ العاليةَ والقَدْرَ العظيمَ والمقدرةَ علىٰ ضبط الأمور بثقةٍ ، هذهِ الصّفات التي أهّلَتْ قُسْطَنْطينَ الروميَّ مولىٰ معاوية بن أبي سفيان لأن يكون في خدمةِ معاوية ومقاتلة الروم وغزوهم في البَحْرِ ، دَعَتْ سَلَمَةُ بن الوليد الكلبي لأن يمدحَهُ[٤] :

بِهِمَّتِـــهِ وَمَبْعَـــدِهـــا وعُظْـــمٍ مِــنَ الخَطَــرِ السَّنـــيِّ بـــلا تَمَـــارِ
تَنَـاوَلَ خِـدْمَـةَ المَلِـكِ ابـنِ حَـرْبٍ فقـــامَ بهـــا وحَـــزْمٍ غيـــرِ عَـــارِ
وَأَغْنَـــــاهُ قِتـــــالُ بَنـــــي أَبِيـــــهِ مُنـــاجَـــزَةً لَـــدىٰ لُجَـــجِ البِحَـــارِ

وكان زَبّارُ بنُ الأبْرَد الكلبي شريفاً في قومِهِ ، فرأىٰ بعضُ شُعرائهم أنّ كلباً

---

(١) انظر ما سبق، ص: ٢٩٦، وص: ٣٢٦.
(٢) الديوان: ٤٧٤.
(٣) الديوان: ٧٣٩.
(٤) الديوان: ٦٦٥.

لا تخشىٰ المفاخرة من أيّة قبيلة من قبائل مَعَدّ ما دامَ زبّارٌ حيّاً لأنّه سيكفيهم أَمْرَهَا[1] :

لَسْنَـــا نَخَـــافُ مَعَـــدّاً أنْ تُســـاجِلَنـــا وَلا تُفـــاخِـــرَنـــا مـــا عـــاشَ زَبّـــارُ

ودعَتْ مَحَبَّةُ ميسون بنت بحدل لابنها يزيدْ بن معاوية لأنْ تُرَقِّصَهُ عندما كان طفلاً بأبياتٍ حَمَّلَتْها معانيَ مَدْحيّةً لِمَا سيكونُ عليه ابنُها ، إذ سيكون أفضلَ شبابِ العرب ، وأعظمَهُمْ حِلْماً ، يُعْطي دونَ سُؤَالٍ ، وإنْ سُئِلَ لم يَحْرِم سائلَه ، فهو يستحقُّ بعد هذا أنْ تفديَهُ من السُّوءِ بنفسها وأمّها وأبيها وعشيرتها[2] :

إنّ يـــــزيـــــدَ خيـــــرُ شُبّـــانِ العَـــرَبْ
أَحْلَمُهـــم عِنْـــدَ الـــرِّضـــا وَفـــي الغَضَـــبْ
يَبْـــدُرُ بـــالبَـــذْلِ وإنْ سِيْـــلَ وَهَـــبْ
تَفْـــدِيـــهِ نَفْسِـــي ثُـــمَّ أُمَّتِـــي وَأَبْ
وَأُسْـــرَتـــي كُلُّهُـــمُ مِـــنَ العَطَـــبْ

ويظهر ممّا سبق من مدائح العصر الأمويّ أنّهم خلطوا فيها بين المعاني التقليديّة التي كانت تردُ في مدائح العصر الجاهليّ وبين المعاني التي تولَّدَتْ لدى الشعراء بعد الإسلام ؛ إذ نجد المَدْحَ بالمجدِ والشّرفِ والشجاعةِ والكَرَمِ والحَزْمِ وغير ذلك من المعاني التقليديّة إلىٰ جانب المَدْحِ بالاستقامة في الدِّين وبالتّبحُّرِ في العلم[3] ،

---

(١) الديوان : ٧٤٣ .

(٢) الديوان : ٥٢٨ .

(٣) سبق في الحديث عن الفَخْر بيتانِ لعمرو بن عروة بن الغَدّاء قال فيهما :

أَوْضَحْـــتُ مِـــنْ سُبُـــلِ الآدابِ مـــا اشْتَكَلَـــتْ دَهْـــراً وأظهـــرتُ إغـــرابـــاً وإبـــداعـــا
حتـــى فتحـــتُ بـــإعجـــازٍ خُصِصْـــتُ بـــهِ للعُمْـــي والصُـــمِّ أَبْصـــاراً وأَسْمَـــاعَـــا

ونبّهتُ ثمة (ص : ٣١٥) علىٰ أنّ التاء في قوله (أوضحتُ) و(أظهرتُ) و(فتحتُ) و(خُصِصْتُ) ضُبِطَتْ أيضاً بالفتح ، فضبطُها بالضمّ يجعلها من الفخر ، وضبطها بالفتح يجعلها من المدح ، والمعنى الذي ذكره الشاعر من بلوغ الدَّرَجة العليا في العِلْمِ هو من المعاني الجديدة لعصر بني أميّة سواءٌ أكانت مدحاً أم فخراً .

وبخدمةِ الخلفاءِ ؛ وقد رأينا أن هذه المعاني توزّعت على أهداف مُتَبايِنَة للمدح .

فهذا هو حالُ المدْح عند بني كلب ، وقد رأينا أنّه لم يكن عندهم في الجاهليّة شاعرٌ مدّاحٌ متكسّبٌ كالذي نجده عند غيرهم ، كبني ذبيان قوم النابغة ، وبني عبس قوم الحطيئة ، وبني بكر قوم الأعشىٰ ، وبني الخزرج قوم حسان بن ثابت ، وبني أسد قوم بشر بن أبي خازم ، هؤلاء الشعراء الذين لولاهم لما كان هذا الموضوع بارزاً في الشعر الجاهليّ ، ولذلك تأخّرت مكانةُ هذا الموضوع في شعر بني كلب ، وبني قشير[١] ، وبني عقيل[٢] ، وبني تغلب[٣] ، وَطَيِّء[٤] ، وإنما كان مَدْحُ العربيّ من بني كلب أو من غيرهم بدافعٍ من الإعجاب أو الشكر على معروف سواءٌ أكان الممدوحون من القبيلة نفسها أم من سواها ، باستثناء شعراء التكسّب أولئك ؛ فهؤلاء مثلاً شعراء بني تغلب نجد فيهم ابنَ شِلْوَة قد مدح سَلَمة بن قُرْط التغلبيّ إعجاباً بقوّتِهِ وحُسْنِ قيادتِه الخيلَ في المعركة ، فقال[٥] :

حَلَفْــتُ يَمِينــاً غيــرَ ذي مَثْنَــويّــةٍ ... بــأَنَّ ابــنَ قُـرْطٍ مـاجـدٌ وابـنُ مـاجـدِ
سَما بالعَناجِيجِ الجيادِ علىٰ الوَجَىٰ ... يُنَكِّبُهـا بـالجَـرْيِ صُـمُّ الجَـلامِـدِ

وهذا عَمْرُو بنُ كلثوم مَدَحَ يَزيد بن عمرو الحنفيّ بعد أَنْ أَكْرَمَ مثواهُ وعمرٌو عنده أسير فقال[٦] :

أَلا أَبْلِــغ بنــي جُشَــم بــن بكــرٍ ... وتغلــبَ كلَّهــا نَبَــأً جُــلالا

(١) انظر شعراء بني قشير : ٢٤٠ .
(٢) انظر شعراء بني عقيل : ١٧٣ .
(٣) انظر شعراء تغلب ١ : ٢٩٩ .
(٤) انظر شعراء قبيلة طَيِّء ١ : ٥٩٧ .
(٥) شعراء تغلب ١ : ٢٩٩ ، ويمين غير ذي مثنوية : لا استثناء فيه ، والعناجيج : جياد الخيل ، والوَجىٰ : الوجع في حافر الفرس .
(٦) شعراء تغلب ١ : ٢٩٩ .

بـأَنَّ العـاجِـلَ البَطَـلَ ابـنَ عَمْـرٍو غَـداةَ نَطـاعِ قـد صَـدَقَ القِتـالا

ولا ريبَ في أنّ هذا يختلفُ عن قولِ نابغة بني ذبيان يمدح عمرو بن الحارث الغسّاني متكسّباً[1] :

أَثْـوى فـأكْـرَمَ فـي المثـوى ومَتَّعنـي بِجلَّـةٍ مِئَـةٍ لَيْسَـتْ بـأَبْكـارِ
كَـمْ قَـدْ أَحَـلَّ بِـدَارِ الفَقْـرِ بَعْـدَ غِنـىً عَمْـرٌو وكَـمْ راشَ عمـرٌو بعـدَ إقتـارِ
وَكَـم جَـزَانـا بـأيـدٍ غيـرِ ظـالمـةٍ عُـرْفـاً بعُـرْفٍ وإنْكـاراً بـإنكـارِ

وقولِ بشر بن أبي خازم الأسدي في مدح عَمْرو بن أُمّ أُنَاس الكِنْدي[2] :

فَـإلـى ابـنِ أمّ أُنـاسَ عمـرٍو أَرْقَلَـتْ رتَكَ النَّعامةِ في الجديب السَّبْسَبِ
بَحْـرٍ يَفيـضُ لِمَـنْ أَنـاخَ بِبـابِـهِ مِـنْ سـائـلٍ ، وثِمـالِ كـلِّ مُعَصَّـبِ

فَهُمَا يُلِحَّانِ على معنى العطاء والجود ، لأنّهما قصدا الممدوح بغية العطاء .

وإذا كنّا قد لاحظنا في مديح بني كلب في عصر بني أميّة تطوّراً ، إذْ ظهرَتْ آثار التكَسُّب في عدة مواضع من شعرهم ، فإنّ ذلك لم يكن مقتصراً عليهم ، بل شاركهم فيه غيرهم من شعراء عصر بني أميّة ، لأنّ أبواب بني أميّة كانت مفتوحة أمام المدّاحين ، وكانوا يجزلون لهم العطاء ، ولأنّ المصانعةَ في العصر الأمويّ جعلَتْ الشعراء يتقرّبون إلى صاحب الأمر والسّلطان رعايةً لمصالحهم ومصالح أقوامهم ، وكانت تلك المصانعة سمةً بارزةً لدى شعراء عصر بني أميّة حتى كان من شعراء الشيعة مَنْ يمدح بني أميّة وعمّالهم كالكميت بن زيد مثلاً ، ولم ينجُ من تلك المصانعة إلاّ شعراء الخوارج لتفانيهم في عقائدهم[3] .

---

(١) ديوانه : ١٨٣ .

(٢) ديوانه : ٣٨ ـ ٣٩، والرَّتَكُ : ضربٌ من السير السريع، والسَّبْسَب : المفازة ، والثِّمال : الغياث، والمُعَصَّب : الفقير .

(٣) انظر العجاج، حياته ورجزه : ٢٥٥ـ٢٥٧ .

٥ ـ الغَزَل :

لا يمثّل الغزل موضوعاً بارزاً في شعر بني كلب عامّةً ، لا في الجاهليّة ولا في الإسلام ، إذ لا نجد الغزل إلاّ في ستة مواضع من شعرهم الجاهليّ ، في حين نجده في سبعة مواضع من شعرهم بعد الإسلام ، وجميعها من شعر العصر الأمويّ ليس فيها موضع من شعر صدر الإسلام .

فأمّا ما جاء **في شعرهم الجاهليّ** فمنه أحد عشر بيتاً في مطلع قصيدةٍ قافيَّةٍ لزهير بن جَنَاب تبلغ ثلاثةً وعشرين بيتاً ، أي إنَّ الغزل استأثر بنصف القصيدة تقريباً ، تحدّث فيه عن طيف محبوبته ، وتذكّر موقفاً له بديارها ، ونلقى في شعر زهير أَيْضاً ثلاثةَ أبياتٍ من مطالعَ مُوجَزة جدّاً لثلاث قصائد أخرى ، ومنهُ سبعةُ أبياتٍ للمنذر بن درهم لا ندري أكانت قطعةً مفردة أم أنّها مطلع قصيدة لم يصل إلينا إلاّ غزلها ، ومنه ثلاثة أبيات لعرفجة بن سَلامة وقف فيها علىٰ المنازل وعرّج على ذكر النّساء ، وأغلب الظنّ أنها مطلع قصيدةٍ ذهبَتْ بسائرها الأيّام .

وتدلُّ المعاني التي تناولها زهير بن جَنَاب في مطلع قافيّتِهِ علىٰ أنّه كان يصدر عن عاطفة صادقةٍ وتجربة حبّ حقيقيّة ، ولم يكن وَراءَها الدافع الفنّي المحض من التمهيد للغرض الرئيسي بمقدّمة تلفِتُ النظر إلىٰ الشاعر وتشدّ القلوب إليه ؛ إذ نراه يصوّر شدّة تعلّقهِ بطيف سلمىٰ الذي زاره ليلاً وهو مرتحلٌ وبينهما صحراء واسعة ، ولكن هذا الطيف الذي زاره وهو مشتاق إلى حبيبتِهِ لم يَرْوِ ظمأَهُ ، فما إنْ حيّاه زهيرٌ حتى ردّ تحيّتَهُ وولّىٰ ، فترك زهيراً أشدّ شوقاً إلىٰ صاحبتِهِ التي يتمنّى لو صحّ منامُهُ فتمتّع برائحتها العطرة وجمالها الآسر[1] :

أمِنْ آلِ سَلْمىٰ ذا الخيالُ المؤرّقُ ... وقد يَمِقُ الطّيْفَ الطَّروبُ المُشَوَّقُ

وأنّىٰ اهتَدَتْ سَلْمى وسائلَ بيننا ... وما دُونَها مِنْ مَهْمَهِ الأرْضِ يَخْفِقُ

---

(١) الديوان : ٤٦ .

فَلَـمْ تَـرَ إلاّ هـاجعـاً عنـدَ حُـرّةٍ　　على ظَهْرِها كورٌ عَتيقٌ وَنُمْرُقُ
فَلَمَّـا رَأَتْنِـي والطَّليـحَ تَبَسَّمَـتْ　　كما انكلَّ أَعْلى عارِضٍ يتألّقُ
فحيّـــاكِ وَدٌّ زَوَّدينــــا تحيَّــــةً　　لعلَّ بها عَانٍ مِنَ الكَبْلِ يُطْلَقُ
فَرَدّتْ سلاماً ثُمَّ وَلّتْ بِحَلْقَةٍ　　وَنَحْنُ لعمري يا ٱبْنَةَ الخَيْرِ أَشْوَقُ
فَيَا طِيبَ ماريّا ويا حُسْنَ مَنْظَرٍ　　لَهَوْتُ به ، لو أنّ رؤياكَ تَصْدُق

فهذه الأبيات لا تخلو من تباريح الهوىٰ ولوعة القلب ، ولذلك نراه لا يكتفي بذكر طيف سلمىٰ بل يتذكّر يوماً له وقف فيه على ديارها وقد خلَتْ من أهلها فجعلَتْ عينَاهُ تَهْمِلانِ شوقاً إلىٰ سلمى ، وقلبُه يتوجّع حزناً بسبب فراقها ، ثم يخاطبها وكأنّها أمامَهُ ، فيذكّرها بالأيام التي قضياها بسعادة وسرور عندما كان حيّاهما مجتمعَيْنِ :

وَيَوْماً بأُبليٍّ عَرَفْتُ رُسُومَهَا　　وَقَفْتُ عَلَيْهَا والدُّموعُ تَرَقْرَقُ
فَكَادَتْ تَبينُ الوَحْيَ لَمَّا سَأَلْتُهَا　　فتُخْبِرُنَا لو كانَتِ الدَّارُ تَنْطِقُ
فَيَا رَسْمَ سَلْمَىٰ هِجْتَ للعَيْنِ عَبْرةً　　وَحُزْناً ، سَقَاكَ الوابلُ المُتَبَعِّقُ
أَلَمْ تَذْكُرِي إذْ عَيْشُنا بِكِ صَالِحٌ　　وَإِذْ أَهْلُنــا وُدٌّ وَلَــمْ يَتَفَــرَّقُــوا

ولكنّنا لا نجد وقدةَ الحبّ في سائر ما وصل إلينا من غَزَله ، إذ يقول في الأولى[1] :

حـيّ داراً تغيّـرت بـالجَنَـابِ　　أَقْفَـرَتْ مِـنْ كَـواعِـبِ أَتْـرابِ

وهذا هو البيت الوحيد الذي وصل إلينا من مطلع هذه القصيدة ، في حين أنَّ سائرها يتحدّث عن إيقاعهم ببني تغلب وبكر ابني وائل ؛ ويقول في الثانية[2] :

سائِلْ أُمَيْمَةَ عنّي هَلْ وَفَيْتُ لَها　　أَمْ هَلْ مَنَعْتُ مِنَ المَخْزاةِ جيرانَا

ثم ينطلق بعد هذا مفتخراً ؛ ويقول في الثالثة ذاكراً امرأته لميس الإراشيّة[3] :

جَـــدَّ الـــرَّحيـــلُ وَمَـــا وَقَفْـ. . . ـــتُ عَلَـىٰ لَميـسَ الإرْأَشِيَّـةْ

(١) الديوان : ٣٤ .
(٢) الديوان : ٥٩ .
(٣) الديوان : ٦٢ .

ويدع لميس بعد هذا البيت ليتناول بعضَ مقاصده في القصيدة ؛ فالهدف من وراء هذه المطالع إنّما هو هَدَفٌ فَنّي لمُراعاة التَّقليد المتَّبَع في نظام القصيدة الجاهليّة ، ولذلك خمدَتْ عاطفتها وصَغُرَ حيّزُها في تلك القصائد .

وإذا كان زهيرٌ قد ألمَّ في أبياته القافيَّة ببعض الأوصاف الجسديّة فإنّ المنذر بن درهم أخلصَ أبياتَهُ للحديث عن آلام قلبِه وما يعتلج فيه من مشاعر متأجّجة ، فهو يجد أن حُبَّ (أم الأَشْيَمَيْنِ) قد أوجع قلبَهُ وفَدحَه ، وجعلته شدّةُ شوقه إلىٰ رؤيتها يتمنّىٰ رؤية أيّ شيء يخصُّها حتى ولو كان كلباً من كلاب أهلها ، ويدعوه حبُّه الصادق أن يرجوَ لها ولأهلها أن تُسقىٰ أرضُهم بالمطر الكثير الذي يسعدهم(١) :

أمِنْ حُبّ أُمِّ الأَشْيَمَيْنِ وذكرها ... فؤادُكَ مَعْمودٌ لَهُ أَوْ مُقارِفُ
تَمَنَّيْتُهَا حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنْ أرىٰ ... من الوجدِ كَلْباً للوكيعَيْنِ آلِفُ
سَقَىٰ رَوْضَةَ المَثْرِيِّ عَنّا وأهلَها ... رُكامٌ سَرىٰ مِن آخرِ اللَّيْلِ رادِفُ

وهو لم يكن يُكْثر من زيارة ديارهم إلاّ بدافعٍ من هواه ، ويدعو خليلَهُ ليعرّجا على الديار ، ثم إنّه الآن يشكو الفراق ويتذكّر آخر مرّةٍ رآها وقد رَحِمَتْهُ وعَطَفَتْ عليه بسبب كثرة تردُّده على ديارهم ، فسألَتْهُ ألَهُ أقارب أو أصدقاء في الحيّ ، فلم يجد جواباً إلاّ أَنَّ لَهُ حاجةً يطلبُها في الحيّ ، وقد أربكَهُ سؤالُها :

أقولُ ، ومالي حاجةٌ في تَرَدُّدِي ... سِواها بأَهْلِ الرَّوْضِ : هَلْ أَنتَ عاطِفُ
وأَحْدَثُ عَهْدٍ مِنْ أُمَيْنَةَ نَظْرَةٌ ... عَلىٰ جانِبِ العَلْياءِ إِذْ أَنا واقِفُ
تَقُولُ : حَنانٌ ، ما أتىٰ بك ها هنا ... أَذُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بالحيّ عارِفُ؟
فقلْتُ : أَنا ذُو حاجَةٍ ومُسَلِّمٌ ... فَضُمَّ عَلَيْنَا المَأْزِقُ المُتَضايِفُ

فالغزل في أبيات المنذر وأبيات زهير ـ في قافيّته ـ غزلٌ وجدانيٌّ أثارتْ مشاعِرَهُ محبّةٌ صادقَةٌ لامرأةٍ مُحَدَّدةٍ حرّكَتْ قلبَ الشاعر وأثّرت فيه ؛ وليس كذلك الأمرُ في أبيات عَرْفَجَة بن سَلاَمة ، فهو وإن ذكر (أمّ جابرٍ) فإنّما جاء ذكرُها عابراً دون أنْ

---

(١) الديوان : ١٢٠ .

يخفِقَ له قلب ، بل راح يتتبّع ذكرَ المنازل التي أقفَرَتْ لتطوفَ بخياله ذكرى من كان ينزلها من الفَتَيَاتِ اللّواتي يُؤنَسُ بحديثهنّ اللّطيف الطيّب وبجمالهنّ الرائق(١) :

عَفـا أَبْـرَقُ العَـزّاف مِـنْ أُمِّ جـابـرٍ   فَمُنْعَـرَجُ الـوادِي عَفـا فَحَفِيـرُ

فَـرَوْضُ ثُـوَيْـرٍ عَـنْ يَمِيـنِ رُوَيَّـةٍ   كَـأَنْ لَـمْ تَـرَبَّعْـهُ أَوَانِـسُ حُـورُ

رِقـاقُ الثَّـنـايـا والـوُجـوهِ كَـأَنَّهـا   ظِبـاءُ الفَـلا فـي لَحْظِهِـنَّ فُتُـورُ

إنّ من أبرز مظاهر بُرودة العاطفة سُرْعَتَهُ في الانتقال من ذكر هذا الموضع إلى ذكر ذاك دون أن يَتَلَبَّث شيئاً قليلاً ؛ فأيْنَ هُوَ حديث العاطفة المتأجّجة والذكريات الجميلة والأحزان التي تركتها رؤيَتُهُ لهذه المنازل وقد عَفَتْ وخَلَتْ من أهلها ، ذلك الحديث الذي رأيناه في أبيات زهير؟ .

فنلاحظ أنّ غزلهم الجاهليّ منه ما جاء تقليديّاً لا أثر فيه للعاطفة ، ومنه ما جاء وجدانيّاً دفع إليه حبٌّ حقيقيّ وعاطفة صادقة غير مُصْطَنَعَة نلقى فيه تباريح الهوى ومعاناتَه ، وقد خلا من الغزل الماجن اللاّهي خلوّاً تامّاً .

وأمّا غَزَلُهم في **العصر الأمويّ** فقد أتىٰ في مطلع قصيدةٍ للأحمر بن شجاع لم يصل إلينا منه إلاّ الشطر الأوّل ذكر فيه الظعائن وحزنَهُ على رحيلهنّ(٢) :

خـفّ القطيـن فهـذا القلـب مشـؤوجُ   . . . .

وشكى حكيم بن عياش الفِراقَ وبُعْدَ الدّيار في بيتٍ لعلّه بقيّة مَطْلَعٍ غزليّ ، فأراد الرحيل إلى حبيبته على ظهر ناقة قويّة(٣) :

فهـل تُبْلِغَنِّيْهَـا علـىٰ نَـأْي دارِهـا   بِـذاتِ البِـراقِ اليَعْمَـلاتُ العَـرامِسُ

وجاء سائر غزلهم الأمويّ في خمسِ قطعٍ لا ندري أكانت مُقَطَّعاتٍ قائمةً بنفسها أم أنّها أجزاءٌ من قصائد ذات موضوعات متعدّدة ، وأيّاً كان الأمر فإن الغزل في أربعةٍ

---

(١) الديوان : ١٧٠ .
(٢) الديوان : ٥٣٤ .
(٣) الديوان : ٤٩٣ .

منها غزلٌ وجدانيٌّ خارجٌ من قلب صاحبه لا من طَرَفِ لسانِهِ ، ولذلك اختفى الوصف الحسّيُّ لجسد المرأة منها اختفاءً يكاد يكون تامّاً ، في حين لا نجد فيها إلاّ نبضات القلوب التي تستعر بالحب استعاراً ؛ فهذا جُماهر الكلبيّ ينكفىء على نفسه يخاطبها متألّماً من مماطلةِ (ظَريفةَ الزّاهريّةِ) إيّاه بِدَيْنِه من الحبّ عندها ، وقد وُفِّيَ كلُّ مُحِبٍّ سواه دَيْنَه من حبيبه ، وإنّه ليُخْفي ما بهِ من الوَجْدِ بالابتعاد عن ديار حَيّها الّذِين أحبّهم لحبّها حتى ليَحْسَبُ الناسُ أنّه كارهٌ لهم أو عدوٌّ مُجانِب ، بينما يضطرب فؤاده من شدّةِ الشّوق إذا ما ذُكِرَ اسمُها اضطراباً تَخْتَلّ له صِحَّتُهُ ، ويشرب الشراب فلا يرتوي ، ويَسْتَجْلِبُ النومَ فَيَنْفِرُ أشدَّ نِفار ، وقد زادَ من وجدِهِ أنَّ قومَها قد ابتعدوا فلا سبيل إلىٰ رؤيتها إلاّ بالسَّفَرِ الطَّويل على ناقة قويّة[1] :

قضىٰ كلُّ ذي دَيْنٍ ووَفَّىٰ غريمَهُ ... ودَيْنُكَ عِنْدَ الزَّاهِرِيَّةِ ما يُقْضَىٰ
أُكَاتِمُ في حُبِّي ظَريفةَ بالّتي ... إذا اسْتَبْصَرَ الواشُونَ ظَنُّوا بها بُغْضَا
صُدُوداً عَنِ الحَيِّ الّذين أَوَدُّهُمْ ... كَأَنّي عَدُوٌّ لا يَطُورُ لَهُمْ أَرْضَا
وَلَمْ يَدْعُ بِاسْمِ الزَّاهِرِيَّةِ ذَاكِرٌ ... عَلىٰ آلَةٍ إلاَّ ظَلِلْنَا لَهَا مَرْضَىٰ
وَمَا نَقَعَ الهَيْمَانُ بالشُّرْبِ بعدَهُمْ ... ولا ذَاقَتِ العَيْنانِ مُذْ فارقوا غَمْضَا
فَلا وَصْلَ إلاّ أَنْ تُقَرِّبَ بَيْنَنَا ... غُرَيْرِيَّةٌ تَشْكُو الأَخِشَّةَ والغَرْضَا

وكأنّما هبّت علينا نفحةٌ من نفحات الغزل العذريّ بهذه الأبيات .

وكانَ أَزْبَرُ بنُ غَزِيّ بن أُبَيّ يُشَبّبُ بالفَزْراءِ بنت عُمارة الكلبيّة قبلَ أَنْ يَتزوَّجَهَا أبوه ، ولم يصل إلينا ممّا شبّب بها إلاَّ بيتان اثنان ، يذكر فيهما أنّ حُبَّها جعلَهُ يزورُ بلاداً ما كان يزورها لولاها ، وجعله يشرب الخَمْرَ ولولا حبُّها ما شَرِبَهُ ، وجعلَهُ يحبُّ قوماً لولاها ما أحبَّهم[2] :

ولولا هوىٰ الفَزْرَاءِ لم تَكُ ناقتي ... بثُكْدٍ ولَمْ أَشْرَبْ طِلاءً ولا خَمْرَا

---

(١) الديوان : ٦١٧ .
(٢) الديوان : ٦٨٢ .

لَقَـد حَبَّبَـتْ شَعْـلاً إلـيَّ ولـم أكُـنْ أُحِـبُّ بهـا شَعْـلاً ولا النَّفَـرَ الـزُّعْـرَا

ولولا صدقُهُ في حبّه ما كانَ لهذا الحبِّ أَن يُحْدِثَ هذا التّغييرَ في تَصرُّفه .

وقد برّحَ حُبُّ (قُذُور) بحفصٍ العليميّ الذي بلغ من العُمْرِ ما استحكم معه عَقْلُهُ وصارت له أناةٌ في معالجة الأمور ، ودَبَّ إليه الشَّيْب ، وهو مع ذلك لا يرضىٰ لعقلِهِ أن يردّ قلبَهُ عن هواه ولا لِشيْبِهِ أنْ يُنفِّرَ الجميلاتِ عنه ، وقد كان في أيّامِهِ الخوالي يتلمّس أسبابَ المحبّةِ حَيْثُما تَوَجّهَ ، ونال ما أراد ، ولكنّه مُتَخوِّفٌ أنْ يكونَ اللهُ لم يُقَدِّرْ حبيبتَه هذه له ، فهو يدعو ربّه أنْ يقبضَها إليه فلا ينالَها أحدٌ غيرُه ، بل إنّه ليتمنّىٰ أنْ يكونَ البلاءُ عامّاً في الأحباب إذا ما ابتُلي في حبّه بالقطيعة والحِرْمان[١] :

أَقُولُ لِحِلْمي : لا تَزَعْني عَنِ الصِّبا وَلِلشَّيْـبِ لا تَـذْعَـرْ عَلَـيّ الغَـوَانِيَـا

طَلَبْـتُ الهَـوىٰ الغَـوْرِيَّ حتّـى بَلَغْتُـهُ وَسَيَّـرْتُ فـي نَجْـدِيِّـهِ مـا كَفـانِيـا

فيـا رَبِّ إنْ لـم تَقْضِهـا لـي فـلا تَـدَعْ قَـذورَ لَهُـم واقْبِـضْ قَـذور كمَـا هِيَـا

وَيــا لَيْــتَ أَنَّ اللهَ إنْ لَــمْ أُلاقِهــا قَضَــىٰ بَيْــنَ كـلِّ اثنيــنِ أَلاَّ تَـلاقِيَـا

ونلقىٰ خِرْقَةَ بن نُباتة وقد غلبتْهُ عيناه بالبكاء ، إذ طغىٰ عليه الشّوق والحنينُ إلىٰ أحبابِهِ في العراق فانكَسَرَتْ نفسُه من أَلَمِ الفِراقِ وبُعْدِ الشُّقَّةِ بينه وبينهم ، فراح يشكو إلى الله ما بِهِ بتَذَلّلٍ وضَراعَة[٢] :

إلـىٰ اللهِ أَشكــو عَبْــرَةً قــد أَطَلَّــتِ وَنَفْســاً إذا مــا عَــزَّهـا الشَّـوْقُ ذَلَّـتِ

تَحِـنُّ إلَــىٰ أَرْضِ العِــراقِ وَدُونَهــا تَنـائِـفُ لَـوْ تَسْـرِي بهـا الـرِّيـحُ ضَلَّـتِ

فالغزل في هذه القطعة وفي القطع الثلاث السابقة غزلٌ وجدانيٌّ تعدّدتْ معانيه الوجدانية من شكوى الحبيب المُماطِل ، وشكوى الفِراقِ ، وغَلَبَةِ الشَّوْقِ والحَنِينِ ، وخَوْفِ الحِرْمان ، وتأثير الحُبّ بحياةِ المُحِبّ .

وثَمّةَ قطعة أخيرةٌ في غزلهم لعصر بني أميّة نجدها خاليةً من المعاني الوجدانيّة

---

(١) الديوان : ٥٨٨ .

(٢) الديوان : ٥٤٥ .

السابقة ، وهي لشريح بن جوّاس تناوَلَ فيها معنىً عامّاً مُطْلَقاً غَيْرَ مُقَيَّدٍ بامرأةٍ معيَّنة ، إذْ يُحبّذُ نساءَ نجدٍ البِيضَ اللّواتي لم يُبْتَذَلْنَ بحراسة الزَّرع ولم يتأذّين بالبعوض كما تتأذّى به نساءُ القُرىٰ حيث الجَوُّ الوَبِيءُ ، يُحَبِّذُهُنَّ علىٰ نساء القرىٰ اللّواتي تسترخي بطونُهُنَّ وخَواصِرُهُنّ وتَعْظُمُ وَيَتَرَاكَمُ شَحْمُهُنَّ[1] :

لَبِيْـضٌ بِنَجْـدٍ لَـمْ يَبِتْـنَ نَـواطِـراً ... لِـزَرْعٍ وَلَـمْ يَـدرُجْ عَلَيْهِـنَّ جِـرْجِـسُ

أَحَـبُّ إِلَيْنَـا مِـنْ سَـواكِـنِ قَـريـةٍ ... مُثَجَّلَـةٍ دَايَـاتُهـا تَتَكَـدَّسُ

وبذلك نرى أنَّ غزلهم في العصر الأمويّ غلب عليه الطابع الوجدانيّ ، وقد خلا من الغزل الماجن تماماً مثلما خلا منه غَزَلُهم في العصر الجاهليّ ، كما أنّه لم يَرِد فيه شَيْءٌ من الوصف الحسّي للمرأةِ إلاّ وصف شريح بن جوّاس نساء البادية بالبياض ، ومن ثَمَّ ليس في غزلهم لعصر بني أميّة شيءٌ من التجديد الذي طرأَ على هذا الموضوع عند عددٍ من شعراء الحجاز ونَجْد .

وهكذا رأينا أنَّ الغَزَلَ في شعرهم عامّة كان ضيّقَ المَجال ، كما أنّ أحداً من شعرائهم لم يشتهر بهذا الموضوع منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أميّة ، وإنّما جاء في مقدّمات بعض القصائد وفي بعض المقطّعات لشعراء عدّة ؛ وهذا المقدار القليل من شعر الغزل غَلَبَتْ عليه العِفّة وخَلا من المُجون الذي يمكن ملاحظته في شعر امرىء القيس والأعشى وعَبِيْد بن الأبرص من الجاهليّين[2] ، وفي شعر عمر بن أبي ربيعة والفرزدق ويزيد بن الطثريّة من الإسلاميين[3] ؛ كما خلا من أوصاف المرأةِ الجسديّة خلوّاً يكاد يكون تامّاً ، فلا نجد فيه مثل ما نجد في قول أبي قُرْدُودَةَ

---

(١) الديوان : ٦٦٩ . وتفضيل الأعرابيّات علىٰ بناتِ القرىٰ ظاهرةٌ في الشِّعْرِ لَفَتَتْ نَظَرَ أبي الحَسَن عليّ بن محمّد المدائني فألّف كتاب (مَنْ فَضَّلَ الأعرابيّات على الحَضَريّات) ؛ انظر الفهرست ٢٠٦ .

(٢) انظر مثلاً : ديوان امرىء القيس : ٨ ، وديوان الأعشى : ٦٧ و٧٧ و١١٩ و٣٣٥ـ٣٣٧ وديوان عبيد : ٤٠ و١١٠ .

(٣) انظر ديوان عمر بن أبي ربيعة : ٦٥ـ٦٧ و١٤٤ وغير ذلك ، وديوان الفرزدق : ٢٥٩ـ٢٦١ ، ٤٣٧ ، ٨٣٥ مثلاً ، وشعر يزيد بن الطثرية : ٥٦ و٨٣ و٩٠ و١٠٢ .

الطّائيّ ، وهو جاهليّ[1] :

وقـامَـتْ تُـريْـكَ غـداةَ الفِـرا . . . قِ كَشْحـاً لَطِيفـاً وَفَخْـذاً وَسَـاقَـا
وَمُنْسَـدِلاً كَمَثـانـي الحِبـا . . . لِ تُـوسِعُـهُ زَنْبَقـاً أو خِـلاقَـا
وعَـذْبَ المَـذاقـةِ كـالأُقْحُـوا . . . نِ جـادَ عليـهِ الـربيـعُ البِـراقـا

أو قول العجّاج ، وهو أمويّ[2] :

قـامَـتْ تُـرِيْـكَ خَشْيَـةً أَنْ تُصْـرَمَـا ... سـاقـاً بَخَنْـدَاةً وكعبـاً أدْرَمَـا
وَكَفَـلاً وَعْثـاً وكَشْحـاً أَهْضَمَـا ... وَفَخِـذاً لَفّـاءَ تَمّـتْ عِظَمَـا
وَمَـأْكِمـاتٍ يَـرْتَجِجْـنَ وُرَّمَـا

كما أننا لا نجد في شعرهم قصائدَ أَنْشَأها الشّعراءُ لتكون مُفْرَدةً لِغَرَضِ الغزل مثل تلك القصائد التي نجدها في أشعارِ الغَزِلين من شعراء نجدٍ والحجاز في عصر بني أميّة سواء أكان شعراً لاهياً كشعر عمر بن أبي ربيعة ويزيد بن الطثريّة وأضرابِهما أم شعراً عفيفاً كشعر جميل بثينة والصِّمّة بن عبد الله القُشَيْري وأَضْرَابِهما .

٦ ـ الوصف :

إنَّ ما وَصَلَ إلينا مِنَ الوَصْفِ في شعر بني كلب منذ العصر الجاهليّ إلى آخر عصر بني أميّة ليس إلاّ لَمَحاتٍ سريعةً في تضاعيفِ الموضوعاتِ الأُخرى ، وقلَّما تَطُول ، أو في أبياتٍ مُفْرَدَةٍ من قصائد لم يبقَ منها إلاّ ذلك البيت وربَّما بعض الأبيات الأخرى التي تتناول طَرَفاً من موضوعٍ آخر ، وذلك لضياع قسمٍ كبيرٍ من شعرهم ؛ ولذلك يصعب علينا أن نتناول هذا الموضوع إلاّ تَلَمُّساً لمجالاتِهِ وجانِبَي التَّصوير الذّاتيّ الدّاخليّ والموضوعيّ الخارجيّ من خلالِ ما وصل إلينا من شعرهم إلىٰ آخر عصر بني أميّة ، وقد مرّت بنا أوصافٌ مختلفة في الموضوعات السَّابقة لأنّ الوَصْفَ

---

(١) شعراء قبيلة طيّىء ٢ : ٢٢٠ ، والكشح : الخَصْر ، والخِلاَق : ضَرْبٌ من الطّيب.

(٢) ديوانه ١ : ٤٠١ ، وساق بَخَنْداة : ضخمة ، وكعب أدرم : لا حَجْمَ له ، والكَفَلُ الوَعْثُ : العَجِيزة اللَّيِّنَةُ ، والأهضم : اللَّطيف ، والفخذ اللّفّاء : الضَّخْمَة ، والمَأْكِمات : رؤوس الأَوْرَاك .

يدخل في معظم موضوعات الشعر ، ولذا قال ابن رشيق : « الشعر إلاّ أقلّه راجعٌ إلى باب الوصف ، ولا سبيلَ إلىٰ حصرِه واستقصائه »[1] .

ونقف أولاً لنتلمّس هذه الأمور **في شعرهم الجاهليّ** ، فنجد فيه أَبياتاً تتناول وَصْفَ الدّيار والمنازل أو الوقوفَ المَحْضَ عندها ، وأخرىٰ تتناول وصفَ الخيل وبعض السلاح ، وبعض أبياتٍ في وصف الإبل ، وقطعة واحدة في وصف رحلةِ الظعائن ، وأكثر ما تناولوا في وصفهم الخيلَ ، لأنّها أهم أدوات الحرب ، وبها يتحصّنون كغيرهم من سائر العرب البُداةِ ؛ ولا نكاد نجد وُقوفاً عند الدّيار ووصف المنازل إلاّ في خمسة مواضع ، فهذا زهير بن جَنَاب يقول[2] :

حَــيِّ داراً تَغَيَّـــرَتْ بـــالجَنَـــابِ ... أَقْفَــرَتْ مِــنْ كَــواعِــبٍ أَتْــرَابِ

فلم يزد على أنّها اختلفت بَعْدَما تَركَتها الكواعبُ ؛ وذلك عرفجةُ بنُ سَلامة راحَ يتنقّلُ بين ديار (أم جابر) وقد أقفرتْ[3] :

عَفَــا أَبــرقُ العَــزّافِ مِــنْ أمّ جــابــرٍ ... فَمُنْعَــرَجُ الــوادي عفــا فَحَفيــرُ
فَــرَوضُ ثُــوَيْــرٍ عــن يميــنِ رُوَيَّــةٍ ... كَــأَنْ لَــمْ تــربَّعْــهُ أوانِــسُ حُــورُ

وذيّاكَ القعقاعُ بنُ حُرَيْث يقول[4] :

أتعــرفُ منــزلاً بيــن المُنَقَّــىٰ ... وبَيْــنَ مَجَــرٍّ نــائلَــةَ القَــديــمِ

فحدّد موضِعَ المنزل في هذا البيت المُفْرَد ؛ وللمنذر بن درهم[5] :

وروضٌ مــن ريــاضِ ذَواتِ بَيْــضٍ ... بِــهِ دَهْنــا يُخــالِطُهــا كثيــبُ

---

(١) العمدة ٢ : ٢٩٤ .
(٢) الديوان : ٣٤ .
(٣) الديوان : ١٧٠ .
(٤) الديوان : ١٤٦ .
(٥) الديوان : ١١٩ .

وله أيضاً[١] :

لِتُخْرِجَني عَنْ واحدٍ ورِياضِهِ   إلى عُنْصُلاءٍ بالزُّمَيْلِ وَعاسِمِ

فكان ذكره للرياض في هذين البيتين للدّلالة على خِصْبِ الموضِع وجمالِهِ .

وإذا أراد زهيرُ بنُ جَنَاب وَصْفَ فرسِهِ الذي ركبَهُ باكِراً للصَّيْدِ لم يَزِدْ على أَنَّهُ فرسٌ طويلٌ لا يَعْرُجُ مِنْ أَلَمٍ[٢] :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِفِ الـ . . . طَرَفَيْنِ لَمْ يَغْمِزْ شَظِيَّةْ
فأَصَبْتُ مِنْ حُمُرِ القَنا . . . نِ معاً ومِنْ حُمُرِ القَفِيّةْ

ولم يزد في وصف فرسٍ آخر أعدّه للأعداء علىٰ أنّه سريعٌ يعترضُ في مشيهِ من شدّة النشاط وتُفْتَلُ حِبَالُه فتلاً شديداً ليُكَفَّ بها عن جماحهِ[٣] :

ولِكلِّهِم أعددْتُ تَيْ . . . يَاحاً تُمارُ لَه الأَجِرّةْ

ولم يلفتْ نظرَ حارثةَ بن أوس إلاّ قوّة فرسهِ (حَوْمَل) في الوثبِ به حين نجا من الأعداء وكأنّها ظبيٌ نافر[٤] :

ولولا جريُ حَوْمَلَ يوم عُذْرٍ   لَمَزَّقني وإيّاها السِّلاحُ
تُثيبُ إثابَةَ اليَعْفورِ لَمّا   تَناولَ ربَّها الشُّعثُ الشِّحَاحُ

ولا ريبَ في أنّ سُرْعَةَ الفرسِ هي أهمّ صفةٍ يُوصَفُ بها ، وإذا ما أُضِيْفَتْ إليها صفاتٌ أخرى فإنّما هي صفاتٌ ثانويّةٌ ، فمن ذلك تسميةُ جبّار بن قرط فرسَهُ بـ (دُباس) لأنَّ لونَهُ قد ٱدْبَسَّ ، أي اسودّ ، مع وصفِهِ بأنه شديد السرعةِ يُدْرِكُ الأعداءَ به إنْ طلبهم وينجيه منهم إنْ طلبوه[٥] :

---

(١) الديوان : ١٢٢ .
(٢) الديوان : ٦٢ .
(٣) الديوان : ٤٢ .
(٤) الديوان : ١٢٧ .
(٥) الديوان : ٢٢٩ .

فـــإنّـــي لـــن يُفـــارقنـــي دُبـــاسٌ   ومُطَّـــرِدٌ أحـــدُّ مِـــنَ الـــرِّمـــاحِ
يُـــراخِينـــي إذا مـــا شئـــتُ مِنْهُـــمْ   ويُـــدْنينـــي إذا كَـــرِهـــوا جَنـــاحـــي

واسودادُ الفرسِ من علامات الأصالة[1] . ووصفَ حارثةُ بنُ أوس الكلبيّ فرسَ إياس بن قَبِيصة الطائيّ الذي فرّ عليه من بني كلب يوم سُيَيْف فرآه فرساً يسبح بيديه ورجليه سَبْحاً ، ويُبْقي مع ذلك مَقْدِرَةً على جري أسرع ، وإذا ما جرىٰ علىٰ أرضٍ غليظةٍ شديدةِ الحُزونة لم يبطىء بل يبقى مُسْرِعاً كأنّه يَضْطَرِم بِجَرْيِهِ اضطراماً ، ثم يصفُه بالأصالةِ ، ذلك أنّ الفرسَ المشهور والمعروف بـ (العُرْيان) هو أبو أمّه أو خالُه ، فهو مِنْ نَسْلِ خيلٍ كريمة[2] :

ونَجّـى إيـاسـاً سـابـحٌ ذو عُـلالـةٍ   مُلِـحٌّ إذا يَعْلـو الحَـزابـيَّ مُلْهِـبُ
أَبُـو أُمّـه العُـرْيـان أَوْ هُـوَ خـالُـهُ   إلـىٰ كـلِّ عِـرْقٍ صـالـحٍ يتَنَسَّـبُ

ونقل لنا العُبَيْدُ بن عامر وصفاً للخيل في ساحة المعركة حيث الرّماح المكسّرة التي تتعثّر بها فتكبو ثم تقوم ، وحيث يطعن الفرسانُ في صدورها ويَنْزِعُون الرِّماح فيتبعُهَا الدّم ، فإذا ما أجهدهنَّ الطّعنُ وكَرَبَهُنّ وجاءَهُنَّ من كلّ مكان حَبَسْنَ شكواهُنّ في صدورهنَّ إلاّ أَنْ تكون حَمْحَمَةً لا صهيلاً[3] :

عَشِيَّـةَ تكْبـو الخيـلُ فـي قِصَـدِ القَنـا   وتُنْـزَعُ مـن لَبَّـاتهـا تَـرْعُـفُ الـدَّمـا
إذا كَظَّهُـنَّ الطَّعْـنُ مِـنْ كُـلِّ جَـانِـبٍ   كَظَمْـنَ فمـا يَشْكُـونَ إلاّ تَحَمْحُمَـا

ووصَفَ حارثةُ بن أوس ضَرْباً آخرَ من السِّلاح وهو الدّرع ، فرأى أنَّ رؤوس مَساميرها تشبه في بروزها أَعْيُنَ الحيّات[4] :

عَلَيْهِـــم ســـرابيـــلٌ كـــأَنّ قَتيـــرَهَـــا   عيـــونُ أَفـــاعٍ تَنْطَـــوي وتَسِيـــبُ

---

(١) انظر اللسان (دهم).
(٢) الديوان : ١٢٦ .
(٣) الديوان : ١٦٧ .
(٤) الديوان : ١٢٧ .

ووصف زهير بن جَنَاب كتيبةَ قومِهِ في بعض الحروب ، فرأىٰ أنّها كتيبةٌ تموج موجاً لكثرتها ، تأخذ بلبّ الناظر إليها من الفَزَع فماتبصر فيها إلا السُّيوفَ والرماح والدّروع الموروثة والخيلَ المُعَدّةَ للحربِ[1] :

فجاؤوا إلى رجراجةٍ مُتْمَئِرَّةٍ — يَكادُ المُرَنّي نَحْوَها الطَّرْفَ يُصْعَقُ
سُيوفٌ وأَرْماحٌ بأيدي أَعِزّةٍ — ومَوْضُونةٌ مِمَّا أفادَ مُحَرِّقٌ
وخيلٌ جعلناها دَخيلَ كرامةٍ — عَتاداً ليومِ الحربِ تُحْفىٰ وتُغْبَقُ

ونجد وصفَ الإبلِ في شعر زهير بن جنَاب خاصّةً ، فعندما تغلّبَ على همّهِ وحُزْنهِ الذي هيّجهُ وقوفُه في ديار الأحبّة رَكِبَ ناقَتَهُ ، وراح يصفُها ، فهي ناقةٌ عظيمةٌ ضخمةٌ ، مُهَيّأةٌ للأسفار دائماً ، إذا ما امتطاها جاءَتْ بضروبٍ من السَّيْرِ ، فحيناً تَخُبُّ مُرَاوِحةً بين يديها ورجليها ، وحيناً تُعْنِقُ منبسطةً في سيرها ؛ وهي ناقةٌ وثيقةُ الخلق قويّة ، عالية السّنام ، ممتلئة الوَرِكين ، فتيّة ، مكتملةٌ ، لم تطعن في التاسعة من عمرها فيطلع ناباها إلاّ من زمنٍ قريب ، وقد كانَ حالَ بينها وبينَ فحولِ الإبل ، فلم تحمِلْ ، ولم تُرضِعْ ، فبقيت قوَّتُها فيها ، كما أنّه لم يَبْتَذِلْها لِحَمْلِ الأثقال ونَقْلِها فَيُنْهِكَها العمل ، وهي بَعْدُ ذكيّةُ الفؤادِ ، إذا ما زجرها ونهرها حاثّاً علىٰ الجَرْي انطلقَتْ بسَيْرٍ سريعٍ نشيطةً كأنّها ذكرُ نعامٍ طويل الجناحين مَذْعور[2] :

ولمّا اعْتَلَيْتُ الهَمَّ عَدَّيْتُ جَسْرَةً — زِورَّةَ أَسْفارٍ تَخُبُّ وتُعْنِقُ
جُماليّةٌ أمّا السَّنامُ فسَامِكٌ — وأمّا مكانُ الرِّدْفِ مِنْها فَمُحْنِقُ
شُوَيْقِيَةُ النّابَيْنِ لم يَغْذُ درُّها — فَصيلاً ولم يَحْمِلْ عليها مُوَسِّقُ
إذا قلتُ : عاجٍ ، جَلَّحَتْ مُشْمَعِلَّةً — كما ارْتَدَّ أَذْفىٰ ذو جناحَيْنِ نِقْنِقُ

وفي قصيدةٍ له ذكر فيها كثيراً من مَفاخِرِهِ ، نجده يفتخر بأنّه عَلا ظهر ناقَتِهِ وركبها دون رَحْلٍ ولا بَرْذعة ؛ مع أنّها ناقةٌ بازلٌ في ذروة قوّتها

(١) الديوان : ٤٦ .
(٢) الديوان : ٤٦ .

وشدّتها[1] :

ولقـــــد رَحَلْــــتُ البـــــازلَ الـ . . . ـــــوَجْنــــاءَ ليـــسَ لَهـــا وَلِيَّـــةْ

وينقلُ لنا صورةَ ناقته وهي تبرُكُ في مشهدٍ وَصْفِيٍّ لم يصل إلينا كاملاً ، ولذلك لم يتّضح بعضُ جوانبه ، فيُرينا إيّاها وقد نَكَّسَتْ رأسها وسَكَنَتْ سكونَ المعزَّىٰ ببعض أهله ثم رفعَتْه لتتسمَّعَ صوتاً ما ، ولها حَنَكٌ قَوِيٌّ علىٰ المَضْغِ والاجترارِ ، ثمّ بَسَطَتْ باطن عنقها بأرض (عِرْنانَ) وقد اطمأنّ صاحبُها إليها وعَلِمَ أنّها ستُنجيهِ مما يخاف وتنبّهُهُ عليه ، فنامَ قريرَ العين[2] :

هُـدوءَ المُـؤَسَّـىٰ ثـمّ نَصَّـتْ سَمِيعَـةً شــديـدةَ أعلــىٰ مـاضِـغٍ وجِتــارِ
فــأَلْقَــتْ بِعِــرْنــانَ الجِــرانَ مُنِيمَــةً وضمَّــتْ حَشــىً عَـنْ كَلْكَـلٍ وشَـوارِ

ووصف عديُّ بنُ غُطَيْفٍ ظعائنَ سارتْ نحو (صَرْخَدَ) في طريقها إلى حوران ، قد أصابهنَّ العطشُ ، وَما دعاهُنّ إلىٰ الارتحال إلاّ حرب قومهنّ مع البراجم ، فأَهزَلَ السَّيرُ الطويل جِمالَهُنَّ التي لا تجد عندها سيراً أسْرَع ممّا تسير ولو زَجَرْتَها ، وقد قَصَدَت الظعائنُ حورانَ لأنّها سَمِعَتْ أنّ بالجولان من أرض حوران أرضاً خصبةً ذات كلإٍ ناجعٍ فجعلْنَ (حارث الجَوْلان) ـ وهو قُلّة من قُلَلِ الجولان ـ كالعَلَمِ المَرْفوعِ أمامَهنّ يقصدْنَهُ ، فلمّا نزلْنَ موضعاً يُقال له (حَليمة) عند البلدة المشهورة (جاسمٍ) ـ وهي من حوران ـ ألقَيْنَ عِصِيّ التّسيار ورضيْنَ ذلك المكان منزلاً ؛ ذلك أنّهنّ وَجَدْنَ هنالك حَيّاً هُمْ خَيْرُ رَعايا المُلوك ، وملوكاً يعرفونَ حقَّ هذه الظُّعُن من الإكرام والحِباء[3] :

يــا مَــنْ رأىٰ ظُعُنـاً يُتَمِّـمُ صَـرْخَـداً يَحْــدُو بهــا حَــورانَ فَهْــيَ ظِمــاءُ
تَنْضُـو البَـراجِـمُ والحُـروبُ جِمـالَهـا لا أَنْ تُحَــثَّ وأَنْ تُحَـــثَّ سَـــواءُ

---

(١) الديوان : ٦٢ .
(٢) الديوان : ٣٩ .
(٣) الديوان : ١٠٩ .

أُخْبِـرْنَ بـالجـولان أرضَـاً مُمْـرِعـاً   وكـأنّ حـارِثَـهُ لهُـنَّ لـواءُ
لَمَّـا احْتَلَلْـنَ حَليمـةً مـن جـاسـمٍ   طُـرِحَ العِصِـيُّ وأُدْرِكَ الأهـوَاءُ
فحلَلْـنَ خَيْـرَ مَحَـلّ حـيٍّ سُـوقَـةٍ   وأتـىٰ لَهُـنَّ مـنَ المُلـوكِ جَـزاءُ

فذلك كان أهمَّ ما وصفه شعراءُ الجاهليّة من بني كلب ، ونلاحظُ فيه تقصيراً واضحاً ، إذ لا نرىٰ فيه وَصْفَ مشاهد الصّحراء المختلفة من غُدرانٍ وجبالٍ ورمالٍ ونحوها ، ولا وَصْفَ حيوان الصّحراء من حُمُرٍ أو بقرٍ أو ذئابٍ أو أسودٍ أو نعامٍ أو غير ذلك ، ولا وَصْفَ مشاهدِ الصَّيْدِ ، بينما استأثَرَت الإبلُ والخَيْلُ بمعظم أوصافهم .

وإذا رجعنا البَصَرَ في الأوصاف السابقة رأينا أنّ الغالِبَ عليها هو التصوير الخارجيّ الموضوعيّ للموصوف من حيثُ شكلُهُ وجِرْمُهُ وحَرَكاتُهُ وصوتُهُ ، وأنّ حاسّةَ البصر هي الأداة الرئيسيّة لنقل تلك الصّورة ، وتَرْفِدُها حيناً حاسّة السمع ، في حين أنّ التّصوير الداخليّ الذاتي بالتّغلغل إلىٰ داخلِ الموصوف للكشف عن عواطفهِ لم يكن إلاّ في بعض الأحيان ؛ فمثلاً فرسُ زهير بن جناب الأوّل « مشرفُ الطّرفين لم يغمز شظيّةً » وقد أعدّ للعدوّ فرسَهُ الثاني « تيّاحاً تُمارُ له الأجرّةُ » ، وفَرَسُ حارِثة بن أوس « تُثيبُ إثابةَ اليعفور » ، وفرس جبّار بن قُرْط سريعٌ يُراخيه ويبعده عن العدوّ حين يريد ، ويُدنيه منهم حين يريد ، فهذه كلُّها صفاتٌ خارجية لم تلمس شيئاً من داخل الموصوف ؛ ولكنَّ العُبَيْدَ بنَ عامر عندما وصف الخيل في ساحة العركة جاء بكلا الضَّرْبين من التّصوير ، إذْ راقبَ حَرَكَتَها فرآها « تكبو في قِصَدِ القنا » ، وتسيلُ الدِّماءُ منها حين تُطْعَنُ بالرماح ، ثم راقَبَ مشاعِرَ الخيل وقد « كَظّهُنَّ الطّعْنُ من كلّ جانبٍ » أي كَرَبَهُنَّ وضايقهُنَّ ، فلم يَبُحْنَ بأوجاعهنّ بل « كظمْنَ فما يشكونَ إلا تحَمْحُما » ، وكذلك فعل زهير بن جناب عندما وصف ناقَتَهُ التي ركبها منطلقاً بعد أن تغلّب على همّه ، فصوّرها لنا تصويراً خارجياً ، إذْ قدّمها علىٰ أنّها « جَسْرَةٌ » عظيمة الجِرْم ، « جُماليّةٌ » وثيقة الخَلْق ، « أمّا السَّنام فسامك » أي مرتفعٌ عالٍ ، وأمّا وركها « فَمُحْنِقٌ » أي سمينٌ ممتلىء ، وأسمَعَنَا صَوْتَ تناوُبِ

أَخْفافِها وهي « تخبُّ » حيناً « وتعنقُ » حيناً آخر ، ثم انتقل بنا إلىٰ ماضيها ليأتي بصفاتٍ تَدْعَمُ وَصْفَها بالقوّةِ ومتانة الخَلْقِ ، إذ إنّها « شُوَيْقِيَةُ النّابَيْنِ » لم تبلغ التاسعة إلاّ منذ زمن قريب ، وفي هذا السنّ تبلغ قوّة الإبل ذروتَها ، « ولم يَغْذُ دَرُّها فصيلاً » لأنّها لم تَلْقَحْ يوماً من الأيّام ولم تلد فَتَضْعُف ، « ولم يحمل عليها مُوسِّق » لأنّه لم يشأ أنْ يُنْهِكَها ويَبْتَذِلَها للعمل وإنّما تركها لتحمله في رِحَلِهِ ، ثم نراه بعد ذلك يُلْمِعُ إلىٰ وَصْفٍ ذاتيّ لهذه الناقة ، وهو أنها ناقةٌ ذكيّة الفؤاد يُرْعِبُها الزّجرُ فتنطلق مسرعة نشيطة « إذا قُلتُ : عاجِ ؛ جَلَّحَتْ مشمعلّةً » ، كما أنَّ زهيراً أَلْمَعَ إلىٰ هذه الصّفة في ناقتِهِ الأخرىٰ التي أراد أن يستريح ويُريحَها بـ(عِرْنان) ـ وهو مكانٌ فيه وحشٌ من ظباءٍ وبقرٍ ونحوها فلا ريب أنّ فيه أيضاً سِباعاً تصطادُ مِنْ وَحْشِهِ ، فالنازل فيه ينبغي أَنْ يكونَ علىٰ حَذَرٍ ـ فصوّر زهير حركتَها وهي تبرك ، إذْ نكست رأسَها ثم هدأَتْ « هُدوءَ المؤسَّىٰ » المعزّىٰ ببعض مَنْ مات من أهلِهِ ، ثم سمِعَتْ صوتاً ما فـ« نَصَّتْ سَميعةً » ، أي رفعت رأسَها لتعرفَ كُنْهَ ذلك الصوت ، وما ذلك إلاّ لأنّ فؤادَها ذكيٌّ سريع التنبُّه ، ثم عادَتْ « فأَلْقَتْ بعرنانَ الجرانَ مُنِيمةً » إذْ وجدَتْ أنّه ليس صوت ما يُخْشَىٰ ، فاطمأنّ صاحِبُها وعَلِمَ أنّها ستُنّجيه ممّا يَخاف فنام ، لِمَا عَلِم مِنْ ذكاء فؤادها .

ومع أنّنا نجد في شعرهم الجاهليّ كلا الضّربَيْنِ من التصوير الذاتيّ والموضوعيّ فإنّنا نلاحظ تقصيراً في كلِّ ضَرْبٍ منهما ، فإذا ما نظرنا في التصوير الموضوعيّ رأيناه تصويراً لا يستقصي جميعَ جوانِبِ الصّورة الخارجية للموصوف ، بل يقف الشاعر عند بعض الجوانب الّتي يراها مُهِمّةً ويدعُ سائر الجوانب ، وهو تصوير لا نجد فيه تنويعاً مُتَميّزاً في الْتِقاط الصُّوَرِ السّمعية مع البصريّة ، وحتى الصور البصرية لا نرىٰ فيها أثراً بيّناً في التنبُّه علىٰ الألوان ، أو علىٰ تحديد الإطار الزّماني أو المكاني للموصوف ؛ وإذا ما نظرنا في التصوير الذاتيّ وجدناه ضئيلاً حتى لا يكاد يُتَنَبّه عليه ، فلا أثر للمناجاة الداخليّة ، ولا الحوار ، ولا لِمَا يعتلج في نفس الموصوف ، ولا للمُفارَقات الفَنيَّة بين حالَيْنِ نفسيَّتَيْنِ تكشف إحداهما الأُخرىٰ

وتوضّحها .

فذلك هو موضوع الوَصْفِ في شعر جاهِلِيِّي بني كلب ، وقد لاحظنا فيه التقصير واضحاً فلعلّه ناتجٌ عن ضياع الكثير من شعرهم ؛ وأمّا ما جاء في هذا الموضوع في **شعرهم بعد الإسلام** إلى آخر عصر بني أميّة ، فليس في شعرهم لصدر الإسلام ما يستحقُّ الوقوفَ عنده إذ لا نكاد نجد فيه شيئاً من الوصف الفنّي ، ولذلك سيدورُ الحديثُ حولَ الوصف في العصر الأمويّ من حيث مَجالاتُه ، وجانبا التّصوير الذاتيّ والموضوعيّ كما دار الحديث حول الوصف في شعرهم الجاهليّ .

فكما رأينا في وصفهم الجاهليّ نجد هنا أبياتاً تصف الدّيار والمنازل ، وأُخرىٰ تصف الصحراءَ أو بعضَ مشاهد الطبيعة الحيّة أو الصامتة من حولهم ، وفئةً ثالثة تصف الإبل ، ورابعة تصف الخيل .

ولكن أبيات وصف الديار والمنازل لا تكاد تتعدّى ذِكْرَ أسمائها إلاّ في قطعتين اثنتين أُولاهما لِحَكيمِ بنِ عيّاش وَصَفَ فيها المِزَّة التي اتّخذها كثيرٌ من بني كلب منزلاً لهم بعدما استقرّ فيها أسامةُ بنُ زيد الكلبي رضي الله عنه ، فنراه يمزج بين الوصف والفخر ، فإذا ما امتُدِحَتْ قريةُ قومٍ ما فإنّ للمِزّة أَنْ تَبَاهىٰ لِما فيها مِنَ المَفَاخر ، لأنّ فيها أهلَ الدِّينِ والمَكارِم[1] :

إذا ذُكِــرَتْ أرضٌ لقــومٍ بنعمــةٍ فَبَلْــدَةُ قــومــي تَــزْدَهــي وتَطِيــبُ
بها الدِّين والإفضال والخير والنّدى فَمَــنْ يَنْتَجِعْهــا للــرَّشــادِ يُصيــبُ

وبعد أن يذكر أسامة بن زيد ونزولَهُ فيها ومكانته ومكانة أبيه زيد بن حارثة عند الرسول ﷺ مفتخراً بذلك نراه يعود إلىٰ وصف المزّة ، فيرىٰ أنّ أسامة اختار لهم هذه القرية الواسعة الكثيرة الخير الرَّغيدة العيش ، وقد جَمَعَتْ بين البداوة إذْ تُطِلُّ بجانبٍ منها على برٍّ خالٍ من الأشجار إلاّ من نباتِ الصَّحراء كالشيح ونَحْوِه ، وبين الحَضَرِ إذ يطلّ جانبُها الآخر على نهر بردىٰ بأشجاره الباسقةِ ومائه النَّمير :

---

(١) الديوان : ٤٨٩ .

فـأَسْكَنَهـا كلبـاً ، فـأضحَـتْ ببلـدةٍ لهـا منـزلٌ رحْـبُ الجَنَـابِ خَصِيـبُ
فَنِصْـفٌ علـى شِيـحٍ وَبَـرٍّ ونُـزْهَـةٍ وَنِصْـفٌ علـىٰ بَحْـرٍ ، أَغَـرُّ رَطيـبُ

والقطعة الثانية لعمرو بن عروة بن الغدّاء ، نجده يحدّد فيها اسمَ بعض منازل قومِه التي يتمنّىٰ أن ينام فيها ليلةً واحدة ، ويصف تلك المنازل بأنّها ذات رياضٍ أَصابها مطر الرّبيع فكانت أجملَ المنازل ، تنقضي ليالي السّامرينَ فيها وَهُمْ لا يشعرون لشدَّة السَّعادة والهَناء ، بل إنّه يُخَصُّ بالذِّكْرِ العذارىٰ المُنَعَّماتِ اللَّواتي يَغْلِبُهنَّ النّعاسُ فيرقُدْنَ باكراً ؛ ثم ينتقل من هذا الوصف إلىٰ الفَخْر ، فيجعل علامَةَ تلك الدّيار أنّك ترىٰ الجيادَ صَوَافِنَ أمامَ الخيام يقوم الغِلْمانُ على خدمتها وزينتها[١] :

ألا ليـت شعـري هـل أبيتَـنَّ ليلـةً بـإنْبِـطَ أو بـالـرَّوضِ شـرقـيَّ واحـدِ
بمنـزلـةٍ جـاد الـربيـعُ ريـاضَهـا قصيـرٍ بهـا ليـلُ العـذارىٰ الـرَّواقـدِ
وحيـث تـرىٰ الجُـرْدَ الجيـادَ صَـوافنـاً يُقَـوِّدُهـا غِلمـانُنَـا بـالقـلائِـدِ

وثمة أمرٌ يلفتُ النّظر حقّاً في شعر بني كلب ، إذْ نجدهم يُكثِرونَ من ذِكْرِ الرّياض ، وما ذلك إلاّ لكثرتها في ديارهم ، غير أنّنا لا نجد شاعراً واحداً وقف عند روضةٍ منها ليصف ما تراه العين ، أو تسمعه الأذن ، أو يشمّه الأنف ، أو تلمسه اليد ، أو يتذوّقه اللّسان ، وأَطْوَلُ وقفةٍ هي وقفة عمرو بن عروة بن الغدّاء في أبياتِهِ السابقة ، بينما لم يزد عمرٌو نفسه في موضعٍ آخر علىٰ أنّ روضة الخُرّ مكانٌ ينزلونه في الربيع ويرعون أموالهم[٢] :

روضـــةُ الخُـــرّ لنـــا مُـــرْتَبَـــعٌ نَـــرْتعـــي فيـــه ونَـــرْعـــىٰ النَّعَمَـــا

ونحو منه قوله أيضاً[٣] :

---

(١) الديوان : ٥١٥ .
(٢) الديوان : ٥١٨ .
(٣) الديوان : ٥١٦ .

وقــد يكــونُ لنــا بــالخُــرِّ مُــرْتَبَــعٌ   والـرَّوْضِ حَيْـثُ تَنـاهـىٰ مَـرْتَـعُ البَقَـرِ

ولم يزد مَكِيث بن درهم علىٰ أنْ قال[1] :

فقُلَّــةُ أَرْواضِ التُّخَيْلَــةِ عُــرِّيَــتْ   فَقِيعــانُ لَيْلَــىٰ بَعْــدَنــا فَهُــزومُهَــا

ومثله قول جابر بن درهم[2] :

ألا قــد أرانــا والجميــع بغِبْطَــةٍ   نُفَـوِّزُ مـن روضِ النَّجـود إلـىٰ الـرِّجْـلِ

وقول مَكِيث بن معاوية[3] :

إلـى هَـزْمَتَـيْ لَيْلـىٰ فمـا سـال فيهمـا   ورَوْضَيْهِما والرَّوضِ روضِ المَمالِحِ

وقول الحَزَنْبَل بن سَلامة[4] :

فـروضُ الثُّـوَيْـرِ عَـنْ يَميـنِ رُوَيَّـةٍ   كَـأَنْ لَـمْ تَـدَيَّـرْهُ أَوانِـسُ حُـورُ

ولجوّاس بن القَعْطَل[5] :

تَعَفّـى مـن جُـلالَـةَ رَوْضَ قُبْلـىٰ   فَـأَقْـرِيَـةُ الأَعِنّـةِ فـالـدَّخُـولُ

ولبسطام بن شُرَيْح[6] :

لَمَّـا تَـوازَوْا عَلَينـا قـال صـاحِبُنـا   رَوضُ الكَـرِيَّـةِ غـالَ الحـيَّ أو زُفَـرُ

ولا نكاد نقف علىٰ وَصْفٍ للصحراء وأهوالها في شعرهم ، إلاّ في بيت واحدٍ وصفها فيه خِرْقة بن نُباتَة وَصْفاً عَرَضيّاً ، إذْ يرىٰ أنَّ ما بينه وبين أَحْبابه الذين يحنُّ إليهم في العراق صحارىٰ لا تهتدي فيها الريحُ سبيلاً لسعتها[7] :

---

(١) الديوان : ٨٠٣ .

(٢) الديوان : ٧٩٢ .

(٣) الديوان : ٦٧٩ .

(٤) الديوان : ٥٨١ . ويُنْسَبُ البيت لعرفجة بن جُناة ضمن أبيات .

(٥) الديوان : ٤٥٩ .

(٦) الديوان : ٧٠٧ .

(٧) الديوان : ٥٤٥ .

إلــىٰ اللهِ أشكــو عَبْــرةً قــد أطلّــتِ ونفســاً إذا مــا عــزّهــا الشــوقُ ذلَّــتِ
تحــنُّ إلــى أرض العــراق ودونَهــا تَنـائِفُ لـو تَسْـرِي بهـا الـريـحُ ضَلَّـتِ

وما أقلّ المشاهد التي نقلوا إلينا صُوَرها من الطبيعة التي تحيط بهم ، ومن ذلك القليل أبياتٌ للحَزَنْبَلِ بنِ سَلامة وصف فيها السحاب وَصْفاً رائعاً ، فقد سار ذلك السحاب ليلاً ما شاء اللهُ له أن يسير ، فقابَلَتْهُ ريحُ جنوبٍ باردة ساقته شمالاً ، ثم راح يَسْكُبُ ماءَهُ دُفَعاً دُفَعاً من أجزائهِ التي تهيّأت للمَطَرِ فَرَعَدَتْ وبرقَتْ ، وكأنّها امرأةٌ في حالِ طَلْقٍ ووِلادة والرياحُ كالقَوابل ، ليكون ذلك المطر خِصْباً للعباد والبلاد في (الضِّلعِ) وفي منزلهم بالشتاء حيث أَلقىٰ السَّحَابُ أَحْمالَهُ ؛ ولم ينقطع بَرْقُ ذلك السَّحَاب ورَعْدُهُ ليلاً ، ثمّ جاءَ الصباح فأخفىٰ ضياءُ الشمس لَمْعَ بَرْقهِ ، وبقي صوتُ الرَّعْدِ يتردّدُ من أوائله وأواخِرِه[1] :

سرىٰ ما سرىٰ من ليله ثم أنجدَتْ بــه ذاتُ شَفّــانٍ جَنــوبٌ تُعــادِلُــهْ
وبــاتَ يَجُــوبُ المــاءَ مِــنْ مُتَخيَّــلٍ تخيَّــلَ مَحْضــاً ، والــرّيــاحُ قَــوابِلُــهْ
حيّــاً لعبــادِ الله والمــاءُ مُــرْسَــلٌ علىٰ الضِّلْعِ فالمَشْتاةِ حَلَّتْ مَحامِلُهْ
فلمّـا أمـاتَـتْ بَـرْقَـهُ الشَّمْـسُ ثَـوَّبَـتْ بِــرَعْــدِ الضُّحــىٰ أَعْجــازُهُ وكَــوَاهِلُــهْ

ومنه أبياتٌ لعمرو بن عروة بن الغدّاء وَصَف فيها نجومَ السَّمَاء ، فرأىٰ النَّجْمَ ـ أي الثُّريا ذات النجوم السَّبْعِ المجتمعة ـ عند السَّحَر مثل عنقودٍ في السَّماء ، ورأى بناتِ نعشٍ اللّواتي ليس بينهنّ نجم آخر كأنّهنّ نعشٌ عليه ثوبٌ جديد ، لأنّه لا يظهر من ورائهنَّ إلاّ السَّماء ؛ ورأىٰ نجومَ الجوزاءِ التي تعترض في السَّماء وتطلع بعد الثّريا مثل سُرادقٍ مَبْنِيٍّ حول البيت[2] :

وبــدا النّجــم فــي السّمــاء سُحَيْــراً مُسْتَقِـــلاًّ كـــأنَّـــهُ عُنْقُـــودُ
وتَــدَلَّــتْ بنــاتُ نَعْــشٍ فَعــادَتْ مِثْــلَ نَعْـشٍ عليــه ثــوبٌ جــديــدُ

---

(١) الديوان : ٥٨٢ .
(٢) الديوان : ٥١٦ .

وكـــأَنَّ الجَـــوْزاءَ لَمَّـــا اسْتَقَلَّـــتْ   وتَـــدَلَّـــتْ سُـــرادِقٌ ممـــدودُ

فنراه يحدّد الزمن الذي وقف فيه يَرْقُبُ النّجوم ، وهو السَّحَر ، ثم راح يُنَقّلُ طَرْفَهُ في أعلام النجوم ليصوّر كلَّ واحدٍ على حِدَة .

والْتَفَتَ عبد الجبار بن يزيد إلىٰ القمر الذيْ كان في السماء حين كان دليلاً لبني المهلّب وقد هربوا من سجن الحجّاج فقطع بهم باديةَ السَّماوة ، فوجد ذلك القمر هِلالاً صغيراً يشبه السّوار(١) :

ولا قمـــرٍ إلاّ ضئيـــلاً كـــأَنَّـــهُ   سِـوارٌ حَنـاهُ صـائغُ السُّـورِ مُـذْهَـبِ

وللأحمر بن شجاع قصيدة جيميّةٌ يظهر ممّا وصل إلينا منها ، وهي أبيات متفرّقة ، أنّه ارتحل فيها فوصف الصّحراءَ وسعتها ، وبعضَ حيوانها ، كالحمار الوحشيّ وأُتُنه ؛ إذ نجد فيما وصل إلينا بيتاً يذكر أنَّ الإبل المَهْرِيّة يصيبها الهزال وتغورُ أَعيُنُها بعد أنْ تجتازَ براكبيها خِمْساً بعد خِمْس(٢) :

مـن بعـدِ خمْـسٍ وخِمْـسٍ فـي ذِنـابَتـهِ   تُمْسـي المهـارىٰ بـه فِيهـنّ تهجيـجُ

ونجد أبياتاً متفرّقة أخرى يُرجَّح أنها في وصف حمارٍ وحشيّ مع أُتُنِهِ ، فيبرزُه لنا وقد ظهرَتْ فيه علاماتُ القتال مع الحمير الأخرىٰ دفاعاً عن أُتُنِهِ من جِراحٍ في عُنُقِهِ سبَّبَها عضُّ الحمير إيّاه فصار مكانَها خُرّاجاتٌ ودُمَّلٌ(٣) :

كـــأنَّ هـــادِيَـــهُ ممّـــا تَفَتَّجَـــهُ   إذا تكلَّـــمَ فـــي الإدْلاجِ مَـــوْلُـــوجُ

ويبرزُهُ في بيتٍ آخرَ وقد جعلَتِ الأُتُنُ تخاف من شراستِه وغَيْرَتِهِ عليهنّ فتُذْعَرُ ، وهو سريعٌ خفيفُ القوائم يَرْجُمُ بها الأرضَ رَجْماً ، ويتلَفَّتُ يميناً وشمالاً في عدوِهِ من شدّة النّشاط :

يَخْشَيْـــنَ مِنْـــهُ عَـــرامـــاتٍ وغَيْـــرَتُـــهُ   وأَنَّـــهُ رَبِـــذُ التّقـــريـــبِ يـــأْجُـــوجُ

---

(١) الديوان : ٥٧١ .
(٢) الديوان : ٥٣٤ .
(٣) الديوان : ٥٣٤ .

ولثُمامة بن قيس بيتٌ وصل إلينا مُفْرداً يصف فيه موضعاً ، رَأىٰ فيه آثارَ الحيّات علىٰ الأرضِ باكراً ، فَشبَّهَهَا بآثار السُّيور المجدولة علىٰ طاقَيْنِ[1] :

كـأنّ مـزاحِـفَ الهَـزْلـىٰ صَبـاحـاً خُـدودُ رَصـائـعٍ جُـدِلَـتْ تُـؤَامـا

وعندهم مواضع قليلة وَصَفوا فيها الإبلَ وَصْفاً لم يتلبّثوا فيه أمامَ مَوْصُوفهم ، إذْ نجد أَطْوَلَ وقفةٍ لهم عند هُرْدان العُلَيميّ الذي صَوَّرَ نتاجَ بعض النُّوق الفَتِيَّةِ ، فذكر أنّ فَحْلاً ضَخْماً طويلاً سريعاً كريماً من غير فحول الحيّ كان قد عارضَها فحملَتْ منه ؛ فلمّا نزل وَليدُها من بطنها مُخْرِجاً معه الجِلْدَ الرَّقيق الذي كان مَلْفوفاً به في بطنها كَبَّر الرّاعيانِ فَرَحاً بسلامتِه وسلامةِ أمّهِ ، وبسبب ما رأيا من طولِ قامتِهِ وصحّةِ جسمِهِ ، فما عَتَّبَ أَنْ قام علىٰ أطرافِهِ الضَّعيفة قبل أَنْ يَيْبَسَ ما على وَبَرِهِ من الرُّطوبة[2] :

لَمَـلَّ بُكَيْـرَةً لَقِحَـتْ عِـرَاضـاً لِقَـرْعِ هَجَنَّـعٍ نـاجٍ نَجيـبِ
فَكَبَّـرَ راعِيـاهـا حيـن سَلَّـىٰ طـويْـلَ السَّمْـكِ صـحَّ مِـنَ العُيـوبِ
فَقـام علـىٰ قَـوائِـمَ لَيِّنـاتٍ قُبَيْـلَ تَجَفْجُـفِ الـوَبَـرِ الـرَّطيـبِ

وأعارَ عبدُ الجبار بن يزيد طَرْفَهُ عَرَضاً للإبل التي قطع بها هو ويزيد بن المهلب وإخوته باديةَ السَّماوة هَرَباً من الحجّاج ، فوصفها بأنّها نوقٌ ضامِرَةٌ وَقّادةُ القلْبِ ، تبدو ضلوعُها حين تُرْفَعُ عنها الرّحالُ مثلَ أعوادِ المِشْجَبِ[3] :

علـى كـلِّ حُـرْجـوجٍ كـأنّ ضُلـوعَهـا إذا حُـلَّ عنهـا الكُـورُ أعـوادُ مِشْجَـبِ

وجَوّاسُ بن القعطل يتركُ اللَّئيمَ إذا ما جَفاهُ ويرحَلُ عنه علىٰ بعيرٍ نشيط مُختَالٍ يَحُكّ نابَهُ بسنّهِ فيُسْمَع له صَرِيف[4] :

---

(١) الديوان : ٦١٢ .
(٢) الديوان : ٦٠٢ .
(٣) الديوان : ٥٧١ .
(٤) الديوان : ٤٥٤ .

وَكَفــانــي جَفَــاءَ مَــنْ يَــزْدَرِيْنــي قَطْعِــيَ الخَـرْقَ بـالمَـروحِ الحَـرُوقِ

ويتمنى حَكيم بن عَيّاش أنْ يأتيَ ديار الأحبّةِ بذاتِ البراق علىٰ ظهر ناقةٍ من النُوقِ السّريعةَ النّجيبة الصّلبة[1] :

فَهَــلْ تُبْلِغَنّيهــا علــىٰ نَــأْيِ دارِهَــا بــذاتِ البِـراق اليَعْمَـلاتُ العَـرامِـسُ

وليس حال الأبيات التي وصفوا فيها الخَيْل بأفضل من حال ما وصفوا فيه الإبل ، فشُبَيْلُ بن الجِنبَّار حين عَيَّر حُمَيْدَ بن حُرَيْث بن بحدل الكلبيّ هَرَبَه وتَرْكَهُ فوارِسَهُ للعدوّ من بني سُلَيْم وسائر قيس عيلان ، خصَّصَ بيتين من مقطَّعته لِوَصْفِ فَرَسِهِ (الحُسَامِيّة) ، فقد سَلِمَتْ تلك الفرسُ الواسعةُ الصَّدْرِ من الأعداء لأنّها راحت تُلِحُّ وتجتهدُ في عَدْوِهَا وتشتدّ في سرعتها وهي مذعورة كما لو أنَّ بخاصرتَيْهَا زنابيرَ تلسعُها ، فهي تسرع لتتخلّص منها[2] :

نَجَّــىٰ الحســاميّــةَ الكَبْــداءَ مُبْتَــرِكٌ مِـنْ جَـرْيِهَـا وَحَثيـثُ الشَّـدِّ مَـذْعـورُ
كــأنّمــا يَلْــدَغُ الأقــرابَ إذْ حَمِيَــتْ مـن شـدّهـابحصىٰ الأرض الـزّنـابيـرُ

ووصف في بيت آخر خَيْلَ قيسٍ وهي تخرج عليهم من الإكليل مثلَ جرادٍ انتشر من حَرَّةٍ :

يَخْرُجْـنَ مـن بَـرَضِ الإكْليـلِ طـالِعَـةً كــأنّهُــنَّ جَــرادُ الحَــرَّةِ الــزُّورُ

وصنّف عمرو بن مخلاة الخَيْلَ التي أمر حُمَيْدُ بنُ حُرَيْث فرسانَهُ برُكوبها للإيقاع ببني فزارة : فمنها ذكورٌ طويلة القوائم غليظَتُها منضمّة البطون ، تكسر اللُّجُمَ إذا ما عضَّتْ عليها ، ومنها إناثٌ جيادٌ سريعةٌ تسبح في جريها سَبْحاً[3] :

بكــلِّ مُقَلِّــصٍ عَبْــلٍ شَــواهُ يَــدُقُّ بِــوَقْــعِ نــابَيْــهِ اللِّجــامــا
وكُــلِّ طِمِــرَّةٍ مَــرَطــىٰ سَبُــوحٍ إذا مــا شَــدَّ فــارسُهــا الحِـزامـا

---

(١) الديوان : ٤٩٣ .
(٢) الديوان : ٥٩٤ .
(٣) الديوان : ٤٧٩ .

وله أبيات أُخرى افتخر فيها بما كان من هزيمة قيس وما كان من قتلاها بأيدي فرسان كلب الذين جاؤوا على ظهور خيلٍ مُضَمَّرَةٍ لا يَيْبَسُ العَرَقُ عن أَجِلَّتِها ، لأنَّهم ينتقلون من معركةٍ إلى معركة[1] :

بـأَيْـدي كُمـاةٍ فـي الحُـروبِ مَسـاعِـرٍ عَلـىٰ ضـامِـراتٍ مـا تَجِـفُّ لُبُـودُهَـا

وللأحمر بن شُجاع بَيْتٌ يذكر فيه خَيْلَهم ، فهي إمّا جُمَيْلِيَّةٌ منسوبةٌ إلى جُمَيْل بن عَيَّاش الكلبيّ من بني عديّ بن جَنَاب ، وإمّا مُكْعِتِيَّةٌ ضامرةٌ نسبةً إلىٰ مُكْعِت بن سُوَيد من بني عديّ بن جناب أيضاً ، فتجد في الفضاء غُبَاراً مرتفعاً إذا ما عَدَتْ وضَرَبَتْ بحوافِرِها الأرض[2] :

جُمَيْلِيَّـــةً أو شُـــزَّبـــاً مُكْعِتيَّـــةً لآثـارِهـا مــن كَلْمِهـا البِيـدَ عِثْيَـرُ

ولو أعدنا النّظر في أوصافهم لعصر بني أميّة لوجدنا الأمرَ نَفْسَه الّذي وَجَدْناه في وَصْفِهِمْ للعصر الجاهليّ ، وهو أنّهُ وَصْفٌ فيه تقصير واضحٌ ، لم يتناول إلاّ أموراً يسيرةً من أمورٍ كثيرةٍ جدّاً يمكن لشاعرٍ واحدٍ من شعراء البادية أن يتناولها ، فعندما وقفوا علىٰ الدّيار مثلاً ، لم يتجاوزوا ذِكْرَهَا إلاّ قليلاً ، ولم يتعرّضوا لِشَيْءٍ من آثار الدِّيار من نُؤْيٍ وأثافيّ ورماد ، ولا لما فعلَتْهُ الرّياحُ فيها والسُّيولُ ، ولا للوَحْشِ الّتي سكنتها بعد الأحبّة ولا لما نبتَ فيها من نَبَات ، إلى ما هنالك من أمور ، وكذلك الأمر عندما جاؤوا بأوصافٍ لبعض مظاهر الطبيعة الصّامتة أو الحيّة ، لم يظهر لنا أنَّهم أعاروها اهتمامهم ، فمع التسليم بأنَّ وَصْفَ الحَزَنْبَل بن سَلامة للسّحاب وإمطارِه كان رائعاً ، وأنّ الأحمر بن شجاع قد جاء في قصيدته الجيميّة لو وصلَتْ إلينا كاملة بوَصْفٍ مُثيرٍ للحمار الوحشيّ وأُتُنِه ، نتساءل : أين هي آثارُ وصف التّنوفة المُضِلّة ، والحرارة الشّديدة ، والبرد الأشدّ ، والسُّيُول ، والآجام ، والمَنَاهل ، وغير ذلك؟ وأين آثار وصف الطُّيور الجارحة ، والسِّباع الضارية ، والوُعول والظِّباء

---

(١) الديوان : ٤٧١ .

(٢) الديوان : ٥٣٦ .

والنَّعام والبَقَر؟ .

ثُمَّ إنَّ إعادةَ النَّظر مَرَّةً أُخرى في هذه الأوصاف تكشف لنا عن تقصيرٍ آخر ، وهو انصراف الشعراء ـ فيما وصل إلينا ـ إلى التصوير الموضوعيّ دون التصوير الذاتيّ ، إلاّ في البيت الذي كشف فيه الأحمرُ بن شجاع عنْ خَوْفِ الأُتُنِ وذعرِهنّ من شراسَةِ الحمار الوحشيّ ، وعن غَيْرَتِهِ عليهنّ ، بينما توجّه سائرُ التّصوير إلىٰ خارج الموصوفات ، ومع ذلك لم تُوَفَّر لهذا التصوير الخارجيّ العناصر الموحية التي تجعله تصويراً مُتكامِلاً متميّزاً يَشُدُّنا إليه باستفادتِهِ من جميع الحواسّ ، وإنّما نجد أنّ حاسّة البصر هي التي تسيطرُ على أوصافهم ، ولا نقف على صورةٍ سمعيّةٍ إلاّ في وَصْفِ السَّحاب للحزنبل بن سلامة حيث أعار الرَّعْدَ سَمْعَهُ ، وحتى حاسّة البصر لا نجدهم يوظّفونها توظيفاً حاذقاً تضعنا أمام مشاهِدَ فنّية ذات إطار عامّ وخطوط رئيسية وألوان وجزئيّات وحركات ، بل نجد الشاعر يحدّق في النقطة التي لَفَتَتِ انتباهَهُ في الموصوف دون الالتفات إلى غيرها غالباً . وبذلك رأينا أنَّ هذا الموضوع لم يكن الموضوع البارز في شعر بني كلب الذي وصل إلينا منذ الجاهليّة إلىٰ آخر عصر بني أميّة ، ولعلَّ السّبب الرئيسيّ يرجع إلىٰ ضياع قسم كبير جدّاً من شعرهم .

وبذلك يتبيّن لنا أنَّ شعراءَ بني كلب لم يَتَلَبَّثوا عند موصوفاتهم ، ولم يعطوها حقّها ، وإنما كانوا يَمُرُّون بها في الغالب مَرّاً سريعاً ، فلم نجد فيهم شاعراً واحداً ـ علىٰ كثرةِ شُعَرائِهم ـ اشتهر بشيء من الوصف اشتهار كَثِيرٍ من الشعراء ، كاشتهار طفيل الغنوي بوصف الخيل ، وأوس بن حجر بوصف السّلاح ، والأعشىٰ بوصف الخَمْر ، والرّاعي النّميري وحميد بن ثور الجَمّال الهلاليّ بوصف الإبل ، وذي الرّمّةِ والعجّاج بوصف مشاهد الصحراء .

وقد كنّا نتوقّع أنْ يبرز في شعرهم وَصْفُ الرِّياض لكثرتها في ديارهم ، ولكن شعراءَهم لم يكن لهم أكثر من ذكرها ، على حين كَثُرَ وصف القَطَا والحَمام عند شعراء القبائل القاطنة في حُدودِ الحجاز ونجد كبني هلال وبني قُشَيْر وبني عُقَيْل وهي بُطون من بني عامر بن صعصعة ، ولعلّ ذلك راجعٌ إلى كثرة القطا والحمام في تلك

البلاد[١] ؛ وكانت كثرةُ النّخل واتّخاذها بيوتاً في جبال هُذَيْلٍ داعياً إلىٰ وَصف اشتيار العَسَل عندهم[٢] ؛ وكَثُر وَصْفُ الإبل عند الشّعراء البُداة ، أمثال الراعي النّميري وذي الرمّة والشّماخ وحميد بن ثور[٣] .

ولم يَفُقْ وَصْفُ شعراء بني كلب وَصْفَ غيرهم بشيء ؛ فإذا كانت أبيات زهير بن جَنَاب الكلبيّ في وصف ناقته هي أفضل ما وصل إلينا من وَصْفِها عندهم ، مع أنّه لم يأتِ إلاّ علىٰ وَصْفِ ضخامَتِها وضَرْبَيْ سَيْرِها وسنامها ووركها ، فإنّ ذلك الوصف لا يرقىٰ إلى ما وصل إليه وصف الناقة في معلّقة طرفة بن العبد الذي راح يدقّق في كلّ عضوٍ من أعضائها ويصفُه[٤] ، ولا إلىٰ ما وصل إليه وَصْفُ جَمَلِ المحبوبةِ وإبلِ الظَّعائن في ميميّة حميد بن ثور الهلالي فاستغرق ذلك الوصف أكثر من ثلاثين بيتاً[٥] ، ولكنْ لَنا أَنْ نقول إنّ وصف زهير بن جناب يقارب مثلاً وصفَ الناقة في قول عمرو بن شأس[٦] :

وخَطْمٌ كَبِرْطِيْلِ القُيونِ ومِشْفَرٌ ... خَرِيعٌ كنَعْلِ السُّنْدُسِيِّ بن أَقْوَسِ
وَعَيْنٌ كَمِرْآةِ الصَّناعِ ، وهامةٌ ... كَجَنْدَلَةِ الضَّبِّ الأَصَمِّ المُجَرَّسِ
تَدُقُّ الحَصىٰ بِمُجْمِراتٍ ومَنْسِمٍ ... أَصَمَّ علىٰ عَظْمِ السُّلامىٰ مُكَدَّسِ

---

(١) انظر حميد بن ثور الهلالي، حياته وشعره: ١٩٣ ـ ١٩٤، ٢١١ ـ ٢١٥، ٢٢٩، ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ٣٠٥، ٣٢٤ ـ ٣٢٥، ٣٩٣ ـ ٣٩٩؛ وشعراء بني عقيل ١ : ١٥٤ ـ ١٥٨؛ وشعراء بني قُشَير ١ : ١٩٣ ـ ١٩٧ .

(٢) انظر ديوان الهذليين: ٤١ـ٤٣، ٧٥ـ٨٠، ٨٧ـ٨٩، ١٤١ـ١٤٤، ١٥٨، ١٧٧ـ١٨٢ مثلاً.

(٣) انظر ديوان الراعي النُّمَيْري: ٤١، ٦١، ٦٧، ١١٠، ١٢٦، ١٤٢، ٢٠٨ وغير ذلك، وديوان ذي الرمّة: ٤١، ١٤٩، ١٦٤، ١٧١، ٢٠٤ وغير ذلك، وديوان الشمّاخ: ٦٧، ٨٤، ١١٤، ١٣٣، ١٥٣، ١٦٥، ١٧٥ وغير ذلك، وحميد بن ثور الهلالي، حياته وشعره: ٢١٠ـ٢١١، ٢٣١، ٢٤١ـ٢٤٣، ٢٤٨ـ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٧٤ـ٢٧٥، ٢٧٩ـ٢٨٣، ٣١٥ـ٣١٦، ٣٢١ـ٣٢٨، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٦٠ـ٣٧٠، ٤٠٨.

(٤) انظر ديوان طرفة: ١٢ـ٢٦.

(٥) انظر حميد بن ثور حياته وشعره: ٣٦٠ـ٣٧٠.

(٦) شعر عمرو بن شأس: ٢٩ـ٣٠، والخَطْم: مقدّم الأنف، والبِرْطيل: حَجَر مستطيل عظيم، وخَريع: رَخْو، والصَّناع: المرأة الحاذقة، والجَنْدلة: الحَجَر، والمُجْمِرات: الحوافر الصلبة.

ويُقَصِّرُ وصفُ الظّعائن عند عديّ بن غطيف الكلبي عن وصفها عند زهير بن أبي سلمى الذي استأثر بتسعة أبيات من معلّقتهِ تناول فيها وصف ما علىٰ الهوادج من ثياب ، بألوانها وأنواعها ، ووَصَفَ النِّسوةَ ، ثم رافَقَ الظَّعائن وتابعهنَّ في سيرهنّ من مكان إلىٰ مكان فلما وصَلْنَ إلىٰ مَقْصِدِهنّ وصفَ الماءَ الذي نزلْنَ عليه[1] . كما أنّ وصف السحاب والمطر عند الحَزَنْبَل بن سَلامة الكلبيّ لا يسمو إلى الدَّرجة التي بلغها وصفُه عند أوس بن حجر[2] ، ولكن يمكن أن يُقال إنّه قريب المستوى من قول أبي قُردودة الطائيّ[3] :

أصاحِ ترىٰ البَرْقَ لم يَغْتَمِضْ ... طَوارقُهُ يأتَلِقْنَ ائْتِلاقَا
يُضيءُ حَبِيّاً دنا بَرْكُهُ ... يُقيم فُواقاً ويَسْري فُواقا
فألقىٰ علىٰ أجإٍ بَرْكَهُ ... كأنَّ علىٰ عَضُدَيهِ رِفاقا
ثلاثَ ليالٍ وأيَّامَهُنْ... نَ يَنْدَفِقُ الماءُ منه اندفاقا

ومن ثَمَّ يمكن القول إنّ أوصاف شعراء بني كلب ليست في مَصافِّ أوصافِ فحول الشّعراء كطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وأوس بن حجر وأمثالهم ، بل تتأخّر عن أوصافهم لتلحق بأوصاف الطبقات الأدنىٰ من الشّعراء .

٧ ـ الشَّكوىٰ من الهَرَمِ ، والحكمةُ :

تكثر الشكوى من الهَرَم وما تُوحي به الأيام من حكمة واعتبار عادةً في شعر الذين تطولُ أعمارهم ، وقد لَفَتَتِ الأَنْظَارَ منذ بداية تدوين الشعر العربيّ ظاهِرَةُ المُعَمَّرين وما أُثِرَ عنهم من شعر وحكمةٍ ووَصاةٍ ، مع ما في تقديرِ أعمار بعضهم من مُبَالَغة أحياناً ، فألّفَ عددٌ من العلماء كُتُباً في أخبارهم وأشعارهم ، منها (كتاب

---

(١) انظر شرح شعر زهير : ١٩ـ٢٢ .
(٢) انظر ديوان أوس بن حجر : ١٣ .
(٣) شعراء قبيلة طيّىء ٢ : ٢٢٢ .

المعمَّرين) لهشام بن محمد الكلبي[1] و(كتاب المُعَمّرين) للهيثم بن عديّ[2] ، و(كتاب المعمّرين) لأبي حاتم السّجستانيّ يُكثر فيه النَّقلَ عن ابن الكلبي ، وهو كتاب مشهورٌ مطبوع .

ويُلاحَظُ أنَّ ما وصل إلينا من أشعار بني كلب في الشكوىٰ من الهرم **يرجع كلُّه إلىٰ العصر الجاهليّ** ، ولعلّ السبب في ذلك اختلافُ النَّظَر إلىٰ المعمّر بعد الإسلام عن النّظر إليه في الجاهليّة ، إذ تدلُّ الأخبارُ التي وصلَتْ إلينا من أخبار المُعَمَّرين أنّه « كان من عادةِ العرب في الجاهليّة إذا أَسَنَّ فيهم كبيرٌ أنْ يتركُوه لَقىً في الدّار كالمَتاع ، ويُجروا عليه طَعَامَهُ وشرابَهُ ، فإذا رَحَلوا حَمَلُوهُ ، وإذا حَطُّوا أَلْقَوْهُ هَمَلاً دونَ توقير ، ولذا فقد كَثُرَتِ الشّكوى من المُعَمَّرين بهذا الخُصوص . . . ، يعرضون شكواهم علىٰ أبنائهم في ذِلّةٍ وانكسار استدراراً للعطف ونَيْلاً للرِّضا والتَّوْقير ، وكانوا في هذا يَأْلَمُونَ أشدَّ الأَلَم نفسيّاً وعُضْويّاً ؛ وقد نهىٰ الإسلامُ عن هذه العادة المَرْذُولَة في قوله تعالى : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء : ١٧/٢٣] ودعا لتركها رسولُ الله ﷺ ، فطالبَ المُسْلِمَ بإكرام ذي الشَّيْبَة في قوله : (ليس منّا مَنْ لم يُوَقِّرْ كبيرَنا . . .)[3] » ، فلم تعد ظاهرةُ الشكوى من الهرم ظاهرةً بعد الإسلام ظهورَها في الجاهليّة .

وقد وصلَتْ إلينا شكوى ثمانية من شعراء بني كلب بلغوا من الكِبَرِ عِتيّاً ، وهم : هُبَلُ بن عبد الله ، وسَعْنَةُ بن سَلامة ، وامرؤ القيس بن الحُمام ، وحارثة بن مُرَّة ، وزهير بن جَنَاب بن هُبَل ، ومَسْعُود بن مَصاد ، وحارثة بن العُبَيْد ، وبحر بن الحارث ؛ فحملت أشعارُهُم الأسىٰ والحزن على أيّام شبابهم الخالية وما كان لهم فيها من عِزٍّ ومَناقب ، وحَمَلَتْ وَصْفاً لِمَا آلَتْ إليه أحوالهم الجسميّة من عجزٍ وضعف ، ولما آلت أحوالهم النفسيّة من مَلَلٍ وترقُّبٍ للموت .

---

(١) الفهرست : ١٩١ .

(٢) الفهرست : ١٩٨ .

(٣) المعمَّرون : ف (مقدمة التحقيق) .

فهذا هبل بن عبد الله بلغ سنّاً عاليةً حتى خَرِف ، وغَرِضَ أهلُه منه ، حتى إنَّ بني بنيه وبني بناته وبني أخيه كانوا يضحكونَ منه ومن اختلاطِ كلامهِ ، فجاءه يوماً بعضُ قومِهِ يَسْخَرُونَ منه ، ولم يكونوا مثلَه في الشّرفِ ولا مثلَ وَلَدِه ، منهم حَجَلٌ وجُبَيْلٌ ابنا عمرو من بني عبد وَدّ ، فَحَزَّ ذلك في نفسِه وراح يتذكّرُ أيّام عِزّهِ وغنَاه حين كانت منزلته أعلىٰ من أَنْ يخاطِبَهُ أو يُجالِسَه هؤلاء[1] :

رُبَّ يَـومٍ قَـدْ يُـرىٰ فيـهِ هُبَـلْ ذا سَـوام ونَـوَالٍ وَجَـذَلْ
لا يُنـاجيـهِ ولا يَخْلُـو بِهَـلْ عَبْـدُ وَدٍّ وجُبَيْـلٌ وَحَجَـلْ

ولم يكن حالُ حفيدِه زهير بن جَنَاب بأفضل مِنْ حالِه ، إذ كان أيامَ رئاستِهِ سيّداً مطاعاً شريفاً ، فلمّا كَبِر طَمِعَ ابنُ أخيه عبدُ الله بن عُلَيْم بن جَنَاب بالرئاسة ، فأظهر الخِلاف علىٰ عمّه ، في خبرٍ لهما ، فأنشأ زهيرٌ يقول[2] :

وكَيْـفَ بِمَـنْ لا أَسْتَطِيـعُ فِـراقَـهُ ومَـنْ هُـوَ إِنْ لا تَجْمَـعِ الـدَّارُ لاهِـفُ
أمِيـرُ خِـلافٍ إِنْ أُقِـمْ لا يُقِـمْ مَعـي ويَرْحَلُ ، وإنْ أَرْحَلْ يُقِمْ ، ويُخالِفُ

ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات .

وتذكّر سعنةُ بنُ سَلامة من أحفادِ زهير أيّامَ عِزّه بعدما كَبِر واختلط ، فرجع إلى تلك الأيام حين كان يَظْعَنُ معه قومه إذا ظعن ، ويُقيمونَ إنْ أقام ، لا يخالفه أَحَد ، ثمّ يستخلص حكمتَهُ بأنَّ طولَ السَّلامةِ مُنْتَهاها إلىٰ الهَرَم والبِلى[3] :

لقَـد عَمِـرْتُ زَمـانـاً مـا يُخـالِفُنـي قومي ، إذا قلتُ : جِدُّوا سَيْرَكُمْ ، سَاروا
وإنْ أَرَدْتُ مُقـامـاً قـال قـائِلُهـم : يـا سَعْنَةَ الخَيْـرِ قـد قَـرَّتْ بنـا الـدَّارُ
فـإنْ بليْـتُ لَقَـدْ طـالَـتْ سَـلامَتُنـا والـدَّهْـرُ قِـدْمـاً لـه صَـرْفٌ وإِصْـرَارُ

ونجد امْرَأَ القَيْسِ بنَ الحُمَام يضعنا أمامَ مُفَارَقة بين يومِهِ وأمسِهِ لِيُشْعِرَنا ببالغ

(١) الديوان : ٢٦٢ .
(٢) الديوان : ٤٤ .
(٣) الديوان : ١٤٠ .

حُزْنِهِ علىٰ أيّام شبابه ، حين كان يُغير فيغنم الإبل الكثيرة التي تملأ الحيَّ بأصواتها[١] :

إمّا تَرَيْني بِجَنْبِ البيت مُضْطَجِعاً لا يَطَّبيني لَدَىٰ الحَيَّيْنِ أَبْكَارُ
فَرُبَّ نَهْبٍ تُصِمُّ القَوْمَ رَجَّتُهُ أَفَأْتُهُ ، إنَّ بَعْضَ القَوْمِ عُوَّارُ

ثم يخرجُ من ذلك بحكمةٍ يحملُ في طيّاتها ملالَتَهُ العيشَ وانتظارَهُ الموتَ ، وأساهُ علىٰ رَغَدِ العيش القديم :

إنَّ الكبيرَ إذا طالت زمانَتُهُ فإنّما حَمْلُهُ جِنَازةً عارُ
ومَنْ يَعِشْ زَمَنَاً في أهلِه خَرِفاً كَلّاً عليهم إذا حَلُّوا وإنْ سَارُوا
يَذْمُمْ مَرَارةَ عيشٍ كانَ أوّلُهُ حُلْواً ، وللدَّهْرِ إحلاءٌ وإمْرَارُ

ونسمع في أبياتٍ لحارثة بن مُرّة أنِينَهُ تحت وَطْأَةِ الدَّهر ، مُلْقِياً عليه اللاّئمة في كلِّ ما يرى من حاله ، بعدما اسْتَنْزَفَ عُمُرَهُ كُلّه إلاّ بقيّةً يَسيرةً وتركَهُ مَحْنِيَّ الظَّهْرِ أبيضَ الشَّعَرِ مثل نَسْرٍ أحدبَ واقفٍ علىٰ أصلِ شجرةٍ أو حائط ، بعدما انتَهَبَ كلَّ أَمْوالهم[٢] :

لَمْ يَدَعِ الدَّهْرُ لَنا ذَخِيرَةْ وَلَمْ يَدَعْ شَحْماً وَلا مَرِيْرَةْ
وَلا لَنَا حَامٍ ولا بَحِيرَةْ وَشَيَّبَ العارِضَ والغَدِيرَةْ
فَصِرْتُ كالنَّسْرِ عَلَىٰ الجَذِيرَةْ بُرَاضَةً مِنْ عُمُرٍ يَسِيْرَةْ

وفي شعر زهير بن جَنَاب غيرما قطعة في هذا الموضوع[٣] ، نقف عند ثلاثةٍ منها صوَّرَ في الأولىٰ حالَهُ وقد غيّرته الأيام ففضّل موتَهُ علىٰ حياتهِ تلك ، وجلس في الثانية ينتظر الموتَ انتظارَ المَشُوق وقد مَلَّ الحياةَ ، ونطق في الثالثة بحكمةٍ بالغة ؛ فها هو ذا قد ضَعُفَ بَصَرُه فلا يستطيع أن يُبصرَ النّجمَ إلاّ أنْ يرفَعَ حاجِبَيْهِ بيده

---

(١) الديوان : ٨١ .
(٢) الديوان : ١٥٣ .
(٣) هي القطع : ١ ، ٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ .

مُحَدِّقاً ، ولَزِمَ البيتَ فَسَمِعَ بعضَ نسائه تتكلّم بما لا ينبغي لامرأةٍ أنْ تتكلّم به عند زوجها ، فنهاها ، فقالت له : اسكت وإلاّ ضربتُكَ بهذا العَمُودِ ، فواللهِ ما كنتُ أَراكَ تسمع شيئاً ولا تَعْقِلُه ؛ فقال يفضّل الموت علىٰ بقائه مع النّساء[1] :

أَلا يـا لَقَـومـي لا أرىٰ النَّجْـمَ طـالِعـاً　　مِـنَ اللَّيْـلِ إلاّ حـاجِبـي بيَمينـي
مُغَـزِّبَتـي عِنْـدَ القَفـا بِعَمُـودِهـا　　يكـونُ نَكيـري أَنْ أقـولَ : دَعينـي
أَمينـاً علـىٰ سِـرِّ النِّسـاءِ ورُبَّمـا　　أَكُـونُ علـىٰ الأسـرارِ غَيْـرَ أَميـنِ
ولَلْمَـوْتُ خَيْـرٌ مِـنْ حِـداجٍ مُـوَطَّـإٍ　　مَـعَ الظُّعْـنِ لا يَـأْتـي المَحَـلَّ لِحِيْـنِ

وأظهر في أبياتٍ أخرى ضَجَره من طول عمره ، وأنّه لم يَعُدْ يخشىٰ قدومَ الموت ، ثم ذكر بعضَ الحوادث المتباعدة في التاريخ والّتي أدركها[2] :

لَقَـدْ عُمِّـرْتُ حتّـى مـا أُبـالـي　　أَحَتْفـي فـي صَبـاحـي أَوْ مَسـائـي
وحُـقَّ لِمَـنْ أَتَـتْ مِئَتـانِ عـامـاً　　عَلَيْـهِ أَنْ يَمَـلَّ مِـنَ الثَّـواءِ
شَهِـدْتُ المِحْضَـأَيْـنِ عَلَـىٰ خَـزَازٍ　　وبـالسُّـلاَّنِ جَمْعـاً ذا زُهَـاءِ
وَنَـادَمْـتُ المُلُـوكَ مِـنَ آلِ عَمْـرٍو　　وَبَعْـدَهُـمُ بَنـي مـاءِ السَّمـاءِ

وخرج من طول عُمُره بحكمةٍ ألقاها عن تجربة ، فهو يرى أنّ موت الإنسان وفيه قوّةٌ خيرٌ من أن يُعَمَّرَ فتقودَه الأولادُ الصِّغار[3] :

فـالمَـوْتُ خيـرٌ لِلْفَتـىٰ　　فَلْيَهْلِكَـنْ وَبِـهِ بَقِيَّـةْ
مِـنْ أَنْ يُـرَىٰ تَهْـدِيـهِ وِلْـ　　ـدانُ المُقـامَـةِ بـالعشيّـةْ

ويتحدّث مسعود بن مصاد عمّا فَعَلَ الكِبَرُ والحَدَثانُ به فأنقَصَ فعلُهما من قَدْرِه بعد أن لم يَعُدْ منه فائدة ، ويرسم لنا ملامِحَ جَسَدِهِ الضّعيف ويُعَمِّقُ خطوطها ببعض المُفَارَقات ، فهو غير قادر علىٰ حَمْلِ سلاحِهِ كما كان قديماً ، وغير قادرٍ علىٰ ركوبِ

---

(١) الديوان : ٥٦ .
(٢) الديوان : ٢٩ .
(٣) الديوان : ٦٢ .

ناقتهِ باكراً ليتسلّىٰ عن الهموم ، وكان علىٰ ذلك قادراً أيّامَ شبابهِ ، وإذا أرادَ المشيَ لم يقدرْ عليه إلاّ أنْ تُسْعِفَ العَصَا قَدَمَيْهِ وتُعِينَهُمَا ، وقدِ اشْتَعَلَ رَأْسُه شيباً ، فما أبعد هذا الزّمان عن زمانِ شبابهِ ، وما أَطْوَلَ السّنينَ الّتي مرّ بها ، وما يَحُزُّ بالنّفْسِ ويؤلِمُها أشدَّ الألم الفَرْقُ الكبيرُ بين زمانِ الشَّباب الذي ابتعد علىٰ رَغْمِ الشاعر لِيَخْلُفَهُ زمانٌ أعور[1] :

أَصْبَحْـتُ يـا أُمَّ بَكْـرٍ قَـدْ تَخَـوَّنَنـي ... رَيْبُ الزَّمانِ ، وَقَدْ أَزْرىٰ بِيَ الكِبَرُ
لا أستطيـع نهـوضـاً بـالسِّـلاح ولا ... أُمْضِـي الهُمـومَ كمـا قـد كنـتُ أبْتكِـرُ
أمشي على مِحْجَني ، والرّأسُ مشتعلٌ ... هَيْهاتَ هيهاتَ ، طالَ العيش والعُمُرُ
قـد كنـتُ فـي عُصُـرٍ لا شـيءَ يَعْـدِلُـهُ ... فَبَـانَ مِنّـي وهٰـذا بَعْـدَهُ عُصُـرُ

وقد ملّ حارثةُ بن العُبَيْدِ حياتَهُ وملّ طولَ العيش مثلما كان من زهير بن جَنَاب وامرىء القيس بن الحُمَام ، فهو يتمنّى أنْ يأتيَهُ الموتُ ، والموتُ مُعرِضٌ عنه لا يُلَبّي أُمْنِيّته ، وما ذاك إلاّ أنَّ النّوائبَ وطولَ العيش تَرَكاهُ رابضاً في البيت لا يتحرّكُ مُرْغَماً كما كان الرّجُلُ في الجاهلية يَتْرُكُ ناقَتَهُ في الصّحراء إذا ما أهْزَلَها السَّيْرُ فلم تعد تستطيع بَراحاً ولا انبعاثاً ، حتى إنَّ أهْلَهُ اسْتَثْقَلُوا حياتَهُ بينهم ومَلُّوا منه! ولذلك نراه يتساءل عَنْ موتِهِ أين هو؟ فهو يبحث عنه ويريدُهُ اليوم قبل غدٍ كمن أضاعَ شيئاً ولا يجده[2] :

أَلا يَـا لَيْتَنِـي أَنْضَيْـتُ عُمْـري ... وَهَـلْ يُجْـدي عَلَـيَّ اليَـوْمَ لَيْتـي
حَنَتْنِـي حـانِيـاتُ الـدَّهْـرِ حتّـىٰ ... بَقِيـتُ رَذِيّـةً فـي قَعْـرِ بَيْتـي
تَـأَذّىٰ بـي الأقـارِبُ إذْ رَأَوْنـي ... بَقِيـتُ ؛ وأَيْـنَ مِنّـي اليَـوْمَ مَـوْتـي

وما أظنّ أنّ هنالك إحساساً بالغُرْبَةِ أشدّ مِنْ الغُرْبَةِ بين الأهل والولد والأقارب ؛ وقاسَمَهُم تلك الأُمنيَّةَ وذلك المَلَلَ وهذا الإحساس بالغُرْبَةِ بَحْرُ بنُ الحارث بعدما عاش مئةً وخمسين عاماً فجلس يترقّبُ الموت ترقُّبَ الغائب المُنْتَظَرِ ، لأنّه أمسىٰ في بيتهِ كأيّ شيء لا قيمةَ له فَيُنْبَذُ جانباً ، فهو لا رأيَ له ولا مَنْفَعَةَ منه ، ولذلك أحسَّ

---

(١) الديوان : ٩٦ .
(٢) الديوان : ١٥٨ .

بأنّ عَيْشَهُ كَدِرٌ حتّى عافَتْهُ نَفْسُه وكرهَتْهُ كما كَرِهَهُ له أهلُه[1] :

مَنْ عاشَ خَمْسِينَ حَوْلاً بعدها مئةٌ مِنَ السِّنينَ وأَضْحَىٰ بَعْدُ يَنْتَظِرُ
وَصَارَ في البَيْتِ مِثْلَ الحِلْسِ مُطَّرَحاً لا يُسْتَشَارُ وَلا يُعطِي ولا يَذَرُ
مَلَّ المَعاشَ ، ومَلَّ الأَقْرَبُونَ لَهُ طُولَ الحياةِ ، وشَرُّ العِيشةِ الكَدَرُ

ولكنّ طولَ حياةِ عديّ بن غُطَيْف لم يَدْعُهُ إلىٰ التضَجُّرِ كما دَعا غيرَهُ ، بل دعاه إلى التأمّلِ والاعتبار ، فنظر في الدَّهر الذي لا يصيبه الهَرَم فيهجم وهو فتيٌّ على الإنسان ، ونظر في بعض مظاهرِ الطّبيعة ليستدلّ بها على أنَّ هنالِكَ مَنْ يُدَبِّرُ هذا الكون ويُصَرِّفُ ما فيه ، وتأمّل في حياة الناس واختلاف فِرقِهم ، وفي أممٍ عظيمةٍ قد خَلَتْ من قَبْلُ ، كيف أفْنَاها الدَّهر ، ليستنتج من ذلك أنّ ما أصابَهُ من شَيْبٍ أو صَلَعٍ ليس ممّا يُنْكَرُ على الدَّهْرِ القويّ الشَّابِّ دائماً[2] :

أَهْلَكَنَا اللَّيْلُ والنَّهَارُ مَعَا والدَّهْرُ يَعْدُو عَلَى الفَتَى جَذَعَا
والشَّمْسُ في رَأْسِ فَلْكَةٍ نُصِبَتْ رَفَّعَها في السَّماء مَنْ رَفَعَا
أَمْرٌ بَلِيطِ السَّماءِ مُكْتَتَمٌ والنَّاسُ في الأَرْضِ فُرِّقُوا شِيَعَا
كَمَا سَطَا بِالآرام عَادٌ وَبالـ . . . ـحِجْرِ وأَرْعَىٰ لِتُبَّعٍ تَبَعَا
فَلَيْسَ ممّا أصابَنِي عَجَبٌ إنْ كُنْتَ شَيْباً أنْكَرْتَ أَوْ صَلَعَا

فتلك كانت أشعارُهم فيما يتعلّق بالهَرَم ، وقد رأينا أنّ الشكوىٰ وما يتبعُها من تضجُّر وتمنٍّ للموت مِنْ قِبَلِ الشّعراء أنفسهم ومِنْ قِبَل أَهْلِيهم مع إلقاء اللاّئمة على الدهر في تغيير الأحوال هي أهمّ المعاني التي طَرَقَها الشّعراء ؛ وقد لاحظنا أنّ الحكمة كانت تُواكِبُ هذه المعاني في معظم الأحيان ، وهي حكمةُ شيوخ عَرَكَهُم الدّهرُ عَرْكَ الرَّحىٰ بثِفالِها ، ولذلك انْصَرَفَتْ في معظمها إلىٰ الدّهر وَتَقَلُّبِهِ وصُروفِهِ .

وإذا نظرنا في أشعار عددٍ من القبائل التي جُمِعَ شِعْرُها ودُرِسَ كبني قُشَيْرٍ وعُقَيل وهمدان وذبيان وتغلب وأسد وطيّىء لم نجد فيها شعراً للمعمَّرين بهذا القَدْرِ الذي

---

(١) الديوان : ٢٢٢ .
(٢) الديوان : ١١٠ .

وجدناهُ في شعر بني كلب ، وإنّما هي قِطع قليلة لا تُؤَلِّف مَوْضوعاً بارِزاً[١] . ولا تختلف المعاني التي طرقها المعمَّرون من سائر القبائل عن المعاني التي طرقها معمَّرو بني كلب ، فهذا قُشَيْر بن عَطِيّ القشيري يشكو من الهرم وطولِ العيش وتغيّر الحال كما اشتكى عدد من شعراء كلب ، فهو يقول[٢] :

كفــــىٰ حَــــزَنــــاً أَلاّ أَرُدَّ مَطِيَّتــــي ... لِرَحْلي ولا أَغْدُو مَعَ القَوْمِ في وَفْدِ
وإِنْ أمْـرَعَـتْ قِـرْيـان نَجْـدٍ ونَـوَّرَتْ ... مِـنَ البَقْـل لَـمْ أَنْظُـرْ بعينـيَّ فـي نَجْـدِ
وأَنْ أَسْـأَلَ الأَوْغـادَ مـا كـان شـأنُهُـم ... ولا أَشْهَـدَ الشُّـورىٰ لِغَـيٍّ ولا رُشْـدِ
وقد كُنْتُ أُعطي السَّيْفَ في الرَّوْعِ حَقَّهُ ... حيَـاءً إذا جَـرَّدتُ سَيْفـي مـن الغِمْـدِ

ومثله قول هاجر بن عبد العزّىٰ الخزاعيّ[٣] :

بَلِيـتُ وأَفْنـانـي الـزَّمـانُ وأَصْبَحَـتْ ... هُنَيْـدَةُ قَـدْ أَنْضَيْـتُ مِـنْ بَعْـدِهـا عَشْـرَا
وأَصْبَحْـتُ مِثْـلَ الفَـرْخِ لا أَنـا مَيِّـتٌ ... فَـأُسلـىٰ ولا حَـيٌّ فـأُصْـدِرَ لـي أَمْـرَا
وقد كنتُ دَهْراً أَهْزِمُ الجيشَ واحداً ... وأُعْطِـي فَـلا مَنّـاً عَطـائـي وَلا نَـزرَا

وقد رأينا عدداً من شعراء كلب يتمنّونَ الموتَ بسبب الملل وسوء الحال والشعور بالغربة فكذلك تمنّاه عدد من الشعراء المعمّرين مثل كَعْب بن رَدَاةَ النَّخعيّ الذي يقول[٤] :

لَقَـدْ مَلّنـي الأَدْنـىٰ وأَبْغَـضَ رُؤْيَتِـي ... وَأَنْبَـأَنَـي أَنْ لا يَحِـلُّ كَـلامـي
عَلَـىٰ الـرَّاحَتَيْـنِ مَـرَّةً وَعَلَـىٰ العَصَـا ... أَنُــوءُ ثَــلاثــاً بَعْــدَهُــنَّ قِيــامــي
فَيَا لَيْتَنِي قَدْ سِخْتُ في الأَرْضِ قَامَةً ... ولَيْـتَ طَعـامـي كـانَ فيـهِ حِمـامـي

ومثل ثعلبة بن كعب الأَوْسيّ في قوله[٥] :

---

(١) انظر شعراء بني قشير ٢ : ١٤٢ ، وشعراء بني أسد ٢ : ١٢ ، ٥٧ ، وشعراء قبيلة طَيِّىء ٢ : ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ وما بعد هذه الصفحات .
(٢) شعراء بني قشير ٢ : ١٤٢ .
(٣) المعمرون : ٩٢ ، وهُنَيْدة : اسمٌ للمِئَة .
(٤) المعمرون : ٩٣ . والحِمام : قضاء الموت وقَدَرُه .
(٥) المعمرون : ٩١ ، والخُفات : الموتُ الفجأة . وقُباء : قريةٌ قرب يَثْرِب (المدينة المنوّرة) .

لَقَـدْ صَـاحَبْـتُ أَقْـواماً فَـأَضْحَـوْا ... خُفـاتـاً مـا يُجـابُ لَهُـمْ دُعَـاءُ
وَقَـوْمـاً بَعْـدَهُـمْ قَـدْ نـادَمُـونـي ... فَـأَضْحـىٰ مُقْفِـراً مِنْهُـمْ قُبَـاءُ
مَضَـوْا قَصْـدَ السَّبيـلِ وَخَلَّفـونـي ... فَطـالَ علـيَّ بَعْـدَهُـمُ الثَّـواءُ
فَـأَصْبَحْـتُ الغَـداةَ رَهِيـنَ بَيْتِـي ... وَأَخْلَفَنـي مِـنَ المَـوْتِ الـرَّجـاءُ

وقد رأينا أنَّ الحكمة رافقت أشعار المعمَّرين من بني كلب ، فكانَ طول العمر مصدراً من مصادر الحكمة في شعرهم ، ولكنّ **الحكمة في شعرهم الجاهليّ** لم تكن دائماً مقترنةً بالشكوى من الهرم والدّهر ، إذ نجدها كذلك وليدةَ طول الحياة دون أن يُرافقها الشكوى ، وقد تكون وليدة التجربة في الحياة الاجتماعية ، أَوْ سِعَةِ العَقْلِ والإدراك والتفكير ؛ وتأتي هذه الحكمة عَرَضاً في أثناء بعض الموضوعات ، وقد تأتي مُفْرَدةً في بعض المقطّعات .

ونُصادفُ مُعْظَمَ تلك الحكمة عند زهير بن جَنَاب ، فمن ذلك مُقَطَّعةٌ أراد زهيرٌ أَنْ تكونَ رسالةً يحذّر فيها (سناناً) و(قيساً) أَمْراً ما ، فجعل لَبِناتِ تلك المقطَّعة حكمةً خالصة ، أخذ بعضَ معانيها مِنْ تأمُّلِهِ في الأيّام ، وفي حياة الناس ، وبعضَها ممّا كان يعرفُه الجاهليّون عمّن سبقهم من الأقوام ، فقال[1] :

يـا راكبـاً إمّـا عـرضْـتَ فبلِّغَـنْ ... سنـانـاً وقيسـاً مُخْفِيـاً ومُنَـادِيَـا
أَلَـمْ تَـرَ أنَّ الـدّهْـرَ يـومٌ وليلـةٌ ... وأنّ الفتـىٰ يسعـىٰ لِغـارَيْـهِ عـانِيـا
يـروح ويغـدو والمَنِيّـةُ قَصْـرُهُ ... ولا بُـدَّ مـن يـوم يَسُـوقُ الـدَّواهيـا
ضَـلالاً لِمَـنْ يَرْجـو الفَـلاحَ وقـد رأىٰ ... حـوادِثَ أيّـام تَحُـطّ الـرَّوابِيـا
أَصَبْـنَ سُلَيْمـان الّـذي سُخِّـرَتْ لَـهُ ... شَيـاطيـنُ يَحْمِلْـنَ الجِبَـالَ الـرَّواسِيـا

وحين أَرْسَلَتْ أختٌ لزهير كانت متزوّجة في بلقين إلىٰ أخيها تحذّره جيشاً لِبَلْقَيْنِ أراد الإغارة عليهم ، وكان مجاوراً للجُلاَح الكلبيّ وآلِه ، أخبرهم زهيرٌ بذلك فرفضوا تركَ ديارهم لقول امرأة ؛ فتركهم زهير غيرَ مُبْغِضٍ لهم ، ولكنَّه رأيُ الحازم

---

(١) الديوان : ٦١ .

الذي يرىٰ أنّ الارتحال والسلامة خيرٌ من البقاء والهلاك ، ولا ضيرَ عليه في ذلك ما دام أنّه بدويٌّ لا بدّ له من الإقامة بعد الارتحال ولا بد له من الارتحال بعد الإقامة[1] :

أَمَّـا الجُـلاحُ فـإنَّنـي فـارَقْتُـه لا عَـنْ قِلـىً ، وَلَقَـدْ تَشُـطُّ بنا النَّـوىٰ
فَلَئِـنْ ظَعَنْـتُ لأُصْبِحَـنَّ مُخَيِّمـاً وَلَئِـنْ أَقَمْـتُ لأَظْعَنَـنَّ عَلَـىٰ هَـوَىٰ

ونَظَرَ نظرةً في أخلاق الناس ، فرأى أُناسيَّ لهم مالٌ كثير يروح ويغدو ولكنّهم أحْوَجُ الناسِ إلىٰ الغِنى ، غِنى النّفس ، ورأىٰ آخرين وُلِدوا وقد بَنَىٰ لهم آباؤهم مجداً بالكرم ، فأخربوه باللُّؤم[2] :

ألا رُبَّ ذي فَقْـرٍ وإنْ كـان مُثْـرِيـاً يـروح عليـه شـاؤه وأبـاعِـرُهْ
وكـم مُخْـرِبٍ مجـداً تـولّـىٰ بنـاءَه سـواهُ ، فـأَودىٰ عِـزُّهُ ومَفـاخِـرُهْ
تَحَيَّـفُ منـه اللّـؤْمُ أكنـافَ مَجْـدِهِ فقـد خَـرِبَ البيتُ الـذي هـو عـامِـرُهْ
وزال عَمُـودَاهُ ورثَّـتْ حِبـالُـهُ وأُصْلِـحَ أُولاهُ وأُفْسِـدَ آخِـرُهْ

وجاء زهير بحكمةٍ ممزوجةٍ بمعنىً من معاني الغزَل فكانت حكمةً مؤثّرة تأثيراً عاطفيّاً، ذلك لأنّ مثل هذه الحكمة تخرجُ من القلب لتخاطِبَ القلب وتحرّكه ، بخلاف الحكم التي تخاطِبُ العَقْلَ فَتُنَمِّيهِ وتثير الإعجابَ ولكنّها لا تحرّك القلب ؛ قال[3] :

إذا مـا شِئْـتَ أَنْ تَسْلـىٰ حبيبـاً فـأكثِـرْ دونَـهُ عَـدَدَ اللَّيـالـي
فَمَـا يُسْلِـي حبيبَـكَ مِثْـلُ نَـأْيٍ ولا يُبْلـي جـديـدَكَ كـابتِـذَالِ

وعلّمتِ الحياةُ عَمْرَو بنَ الأسود أنّ الصّداقة كثيراً ما تَؤُولُ إلىٰ عَداوة لأسبابٍ مختلفة ، فها هم أولاء قومٌ تحوّلُوا إلى عدوّ مَخُوف بعدما كانوا العين التي يُبصر بها والأُذن التي يسمع بها ؛ ولذلك يَرىٰ أنّ الحازمَ الحازمَ مَنْ يعرف حُدودَ الصَّداقة فلا يتَجاوزها[4] :

---

(١) الديوان : ٦٧ .
(٢) الديوان : ٤٢ .
(٣) الديوان : ٥١ .
(٤) الديوان : ٧٠ .

أَفِــرُّ مِنْهُـــمْ فِـــراراً أنْ أُلاقِيَهُـــمْ وقبـلَ ذلـك كـانـوا السَّمْـعَ والبَصَـرَا
إنَّ الصَّــديـق ـ فـلا تـأمَـنْ بـوائِقَـهُ دُونَ العَـدُوِّ ـ إذا مـا سُــؤْتَــهُ ثَــأَرا

كما علَّمَتِ الحياةُ أوسَ بنَ حارثة أنّه رُبَّ أمرٍ كَرِهَهُ الإنسانُ وهو خَيْرٌ له ، مثلما كان مِنْ بعض بني كنانة الكلبيّين ـ وأوس منهم ـ عندما كَرِهوا حَرْبَهم لإخوةٍ لهم من بني رُفَيْدَة(١) :

سُقْنَـا رُفَيْـدَةَ حتـى احتَـلّ أَوَّلُهـا تَيْمـاءَ يُـذْعَـرُ مِـنْ سُـلاّفِهـا حَـدَدُ
سِـرْنـا إليهـم وفِيْنـا كـارِهُـونَ لنـا وقـد يُصـادَفُ فـي المَكْـرُوهَـةِ الـرَّشَـدُ

ووقف قُرادُ بن أجدع موقفاً جعلَهُ ينطِقُ بحكمةٍ ذهبَتْ مثلاً ، ذلك أنّه كَفِلَ عودةَ الطّائيّ الذي جاءَ المنذرَ بنَ ماء السماءِ في يوم نَحْسِهِ بعد عام فيقتُلَه على عادتِه ، فلمّا لم يبقَ إلاّ يومٌ واحد وقال له الملك : ما أراك إلاّ هالكاً غداً ، جَعَلَ يَترقّبُ عَوْدَةَ الطّائيّ غداً علىٰ أملٍ ممزوجٍ بالوَجَل ، فقال(٢) :

فـإنْ يَـكُ صَـدْرُ هٰـذا اليـوم وَلّـىٰ فـإنَّ غَـداً لِنَـاظِـرِهِ قَـريـبُ

ذلك شأن الحكمة في شعرهم الجاهليِّ ؛ وأمّا شأنُها **في شعرهم بعد الإسلام** ، فالمُعَوَّلُ فيه على ما وَصَل إلينا من حكمةٍ في شعرهم لعصر بني أميّة لأنّه لم يرد في شعرهم لصدر الإسلام إلاّ بيتٌ واحدٌ من الحكمة المُرافِقة للحماسة ، وذلك في قول حَمَل بن سَعْدانة(٣) :

لَبِّثْ قليلاً يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ
لا بأْسَ بالمَوْتِ إذا حانَ الأَجَلْ

ومصادِرُ الحكمة في شعرهم الأمويّ لا تكاد تختلف عن مصادرها في شعرهم الجاهليّ لولا فقدانُ الحكمةِ المستمدّة من طول العيش ، ولولا ظهور أثرٍ ضئيل

(١) الديوان : ٢١٩ .
(٢) الديوان : ١٨٠ .
(٣) الديوان : ٤٠٤ .

للمعاني الإسلاميّة في حكمتهم ؛ فثمةَ حِكَمٌ استُمِدَّت من حياة الأجيال السابقة ، وحكمٌ أَمْلَتْها تَجاربُ الحياة ومواقفها والتفكُّر في طبائع البَشر وحياتهم ؛ وغالباً ما ورَدَتْ حكمتهم هذه في سياق موضوعاتٍ أخرىٰ .

فقد حذَّر جَوَّاسُ بنُ القعطل الكلبيّ بعضَ بطونِ بني كلبٍ قومهِ من التعدّي عليهم لأنّ عاقبة ذلك غير محمودة ، ولهم أن يعتبروا بما كان من حَرْبِ البَسُوس بين بكر وتغلب ابنَيْ وائل بسبب ظُلْمِ كُلَيْبٍ ، أو بما كان من حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان من أولاد غَطَفان[1] :

يـا قَـوْمَنَـا لا تَظْلِمـونـا حَقَّنـا ... والظُّلْـمُ أَنْكَـدُ غِبُّـهُ مَشْـؤُومُ
قَـدْ نـالَ بـالقَصْبـاءِ منـه وائـلاً ... يَـوْمٌ أَصَـمُّ علـىٰ الـرِّقَـابِ غَشُـومُ
وتهـالكَـتْ غَطَفـانُ فيـه فـدارُهـا ... مـوروثَـةٌ وإنـاؤهـا مثلـومُ

وبيّنت التجربة لعُفَيْرة بنت حسّان وما كان من إيقاع حُمَيْد بنِ حُرَيْث بقيس عَيْلان أنّ انقياد العدوّ للحقّ لا يكون إلاّ بالقوّة والعصبيّة[2] :

فلـم أرَ للمَقَـادةِ كـالعَـوَالـي ... ولا للثّـأرِ كـالقَـوْمِ الغِضـابِ

وخرجَ الحسامُ بنُ ضِرار بحكمةٍ من تجربته الاجتماعية إذْ أعانَه صديقُهُ ابنُ بكرٍ وفرّج عنه ما كان يُثْقل كاهِلَه ، ذلك لأنّ ابنَ بكرٍ رجلٌ ذو أصل شريف ودين مَتين ، فينبغي للإنسان إذا أراد اختيارَ صديق أن يختاره مُتَمَتِّعاً بهاتَيْن الصِّفَتَيْنِ ؛ كما أنّ تجربَتَهُ في حياتِهِ وإيمانَهُ بالقضاء والقَدَر أكّدا له أنَّ قضاءَ الله تعالى لا بدّ أن يكون ولو هربَ الإنسانُ منه إلى أبعد مكان يستطيعه[3] :

إنَّ ابـنَ بكـرٍ كَفَـانـي كُـلَّ مُعْضِلَـةٍ ... وَحَـطَّ عَـنْ غَـارِبـي مـا كَـانَ يُـؤْذِينـي
إذا اتَّخَـذْتَ صَـديقـاً أَوْ هَمَمْـتَ بِـهِ ... فاعْمِدْ لِذي حَسَبٍ إنْ شِئْتَ أَوْ دِينِ
مـا يَقْـدُرُ اللهُ فـي مـالـي وفـي وَلَـدي ... لا بُـدَّ يُـدْرِكُنـي لـو كنـتُ فـي الصِّيـنِ

---

(١) الديوان : ٤٦٢ .
(٢) الديوان : ٥٦٣ .
(٣) الديوان : ٥١١ .

وإذا كانت التجربة دَلّتِ الحسامَ على أنّ الصديق ينبغي أن يُخْتار ذا دِينٍ وحسبٍ ، فإنّ تأمُّلَ زياد بن عصام في هذا الجانب من جوانب الحياة الاجتماعيّة أراهُ أنّ صَدَاقَةَ رَجُلٍ ذي كَرَمٍ في أصلِهِ وأخلاقِهِ من لقاءٍ واحدٍ خيرٌ من أُخوَّةٍ يَدَّعيها خَسِيْسُ الطَّبْعِ وإن لم يزلْ ذلك الخسيس يظهر مودَّتَهُ ، فإنَّ خيانَتَهُ غَيْرُ مأمونة[1] :

وِدَادُ كَـريـمٍ عَـنْ لِقـاءٍ وَمَـوْقِـفٍ أَبَـرُّ وأَزْكـىٰ مِـنْ إخـاءِ لَئِيـمِ
وإنْ كـانَ لا ينفَـكُّ خِـدْنـاً مُسَـاعِـداً فمـا مِثْلُـهُ لـي بـالـوَفـاءِ زعيـمُ

وتأمّلَ سَليم بن خَنْجَرٍ في جانبٍ آخر من العلاقات الاجتماعية، فوجد أنّ الإنسانَ إذا صار كَلَّاً علىٰ غيره في كلّ أموره ، فإنَّهُ سوفَ يُسْأَمُ منه وإنْ كان مِنْ أقرب الناس[2] :

وَمَـنْ لا يَـزَلْ عِبْئـاً يُمَـلُّ مكـانُـهُ وإنْ كـان ذا رِحْـمٍ قـريـبَ المنـاسـبِ

بل إنَّهم سيضجرون منه ولو كانَتْ أموالُهم كثيرة ، كما وَجَدَ سُلَيْم[3] :

ويَسْـأَمُـكَ الأدنـىٰ وإن كـان مُكْثِـراً إذا لـم تَـزَلْ عِبْئـاً عليـهِ ثَقيـلا

وسِعَةُ عقل حِبَال بن حِصْن وكَرَمُ نَفْسِهِ أنطَقَتْهُ بالحكمةِ ، إذْ رأىٰ أنّ امرأتَهُ تلومُهُ علىٰ كرمهِ فيُؤذيهِ ذلك ، فَضَرَبَ لها مثلاً ممَّنْ كان يعيش معهم في الحيّ ، فهذان رجلان : عديٌّ الذي كان يَذْبَحُ للنّاس والأضياف كلَّ يوم خمسينَ شاةً ، ورجلٌ آخر بَخِيل أشدّ البُخْلِ ، فإذا رأتْ أنَّ عديّاً سيموتُ من جُوعِهِ بسبب كثرة جودهِ وأنّ ذلك البخيلَ سَيُخَلّد في الحياة ، فَلْتَلُمْهُ حينئذٍ ، ثم خرجَ من ذلك بحكمةٍ لا رَيْبَ أنّ امرأتهُ لن تنكرها ، وهي أنَّ الجَوادَ يموتُ ولكن يبقىٰ من بعدهِ الذِّكْرُ الحَسَنُ الذي لا يموت ، وأنّ المالَ يَذْهَبُ عن البخيل الذي يموت دون أن يُذْكَرَ بخير[4] :

إنْ مـاتَ هَـزْلاً عَـدِيٌّ مـن سَمـاحتِـهِ أو خَلَّـد الغُـسُّ فـي قـومـي فَلُـومينـي

---

(١) الديوان : ٦٩٠ .
(٢) الديوان : ٦٦٧ .
(٣) الديوان : ٦٦٧ .
(٤) الديوان : ٦٣١ .

يَبْقىٰ الثَّناءُ وَيَخْلَىٰ المالُ عَنْ لَجِزٍ   يَخْشىٰ عَواقِبَ دَهْرٍ غَيْرِ مَأْمونِ

فتلك هي الحِكْمةُ في أشعار بني كلب ، وهي كما نرىٰ حكمةٌ لا تجري على مَذْهَبٍ ولا تدور على نِحْلَةٍ فلسفيّة أو دينيّة ، سواء في ذلك ما كان قبل الإسلام منها وما كان بعد الإسلام إلى آخر عصر بني أميّة ، وشأنُ حكمتهم في ذلك شأنُ الحكمةِ في الشعر العربيّ عامّة منذ الجاهليّة إلىٰ آخر عصر بني أميّة ، ذلك أنّ أساسَ الحكمةِ عند العرب في هذه المدّة من الزّمن هو رسوخُ الأَخْلاق فيهم وتفكُّر كلّ امرىءٍ في الحياة وفيما توحي به تجاربُها ، ولذلك صَرَفَ شعراؤهم الحكمةَ إلىٰ ما يتعلّق بالأخلاق والحياة ، دون مُبَالاةٍ بتقرير دِينٍ من الأديان أَوْ نِحْلَةٍ من النِّحَل ، إلاّ ما كان من تأثُّرِهم ببَعْضِ المعاني الإسلاميّة ؛ وهي حِكَمٌ تَرِدُ في ثنايا القصائد ، فتأتي حكمةً نابضةً بالحياة ، لا يُفْرِدُونَها وَحْدَهَا إلاّ نادراً ، علىٰ خلافِ ما صارَتْ عليه الحكمةُ في العصر العبّاسيّ ، حين صارَتْ مَوْضوعاً مُنْفَرِداً تُخَصَّصُ له القصائد الطّوال والمقطّعات الكثيرة ، كما في شعر صالح بن عبد القدوس وأبي العتاهية ومحمود الورّاق وغيرهم حَتَّى عِيْبَ على بَعْضِهم جَفَافُ شِعرهِ وقلّة طَلاوَتِه لذلك[١] .

فمثلما تفكّر زهيرُ بنُ جَنَاب في الحياة ورأى أنّ الموت غايةُ كلّ حيٍّ ولم ينجُ منه حتى سليمان الذي سُخِّرتْ له الشياطين ، فكذلك رآه إياسُ بنُ قَبيصة الطّائيّ[٢] :

أرىٰ الموت ممّن شاركَ الماءَ غايةً   لـه أثـرٌ يجـري إليـهِ ومُنْتَهىٰ
يُبَيِّتُ أهلَ الحِصْنِ والبابُ مُغْلَقٌ   ويأتي الجبالَ من شماريخها العُلا
فلا ذا نَعيمٍ يَتْرُكَنْ لنَعيمِهِ   وإنْ قال : فَرِّطْني وخُذْ رِشْوَةً ، أَبَىٰ
ولا ذَا بُؤُوسٍ يَتْرُكَنْ لِبُؤُوسِهِ   فَتَنْفَعَهُ الشَّكْوىٰ إذا هُوَ ما اشْتَكىٰ

وقد مرَّ بنا أنَّ جوّاس بن القعطل الكلبيّ رأى أن « الظُّلم أنكد غِبُّهُ مشؤوم » فحذَّرَ بعضَ بطون كلبٍ منه ودعاهم إلىٰ الاعتبار بما أدّى إليه ظُلْمُ كليبِ وائلٍ من

---

(١) انظر العمدة : ٤٨٧ ، وتاريخ آداب العرب ٣ : ١٢٦ .
(٢) شعراء قبيلة طَيِّء ٢ : ٢٧ .

تفرّق بكر وتغلب ، فكان جوّاسٌ في ذلك مثلَ العبَّاس بن مِرْداس السُّلَميّ الذي خرج بالحكمة نفسها وحَذَّرَ كُلَيْبَ بن عَهْمَةَ السُّلَميّ مَغَبَّةَ الظُّلْمِ وضَرَبَ له المثل نفسه[1] :

أَكُلَيْـبُ مـالَـكَ كـلَّ يـوم ظـالِمـاً والظُّلْـمُ أَنْكَـدُ وَجْهُـهُ مَلْعُـونُ
فـافْعَـلْ بِقَـوْمِـكَ مَـا أرادَ بِـوَائـلٍ يَـوْمَ الغَـدِيـرِ سَمِيُّـكَ المَطْعُـونُ

والحكمة التي احتجّ بها حِبال بن حِصْنٍ على أمرأته حين رآها تَلُومُه علىٰ كرمِهِ تُشْبِهُ حكمَةَ حاتم الطائي الذي يقول[2] :

دَعيني يكُـنْ مـالـي لِعِـرْضِـيَ جُنَّـةً يَقي المـالُ عِـرْضـي قَبْـلَ أنْ يَتَبَـدَّدَا
أَرِينـي جَـواداً مـاتَ هَـزْلاً لَعَلَّنـي أرىٰ مـا تَـرَيْـنَ ، أَوْ بَخِيـلاً مُخَلَّـدَا

ولو ذهبْنَا نتتبّع أشعارَ العرب لَوَجَدْنا أمثلةً كثيرةً من الحكمة التي تشبه الحكمةَ الواردةَ في أشعار بني كلب ، ذلك أنّ مصادِر هذه الحكمة واحدةٌ ، ترجعُ إلىٰ التأمُّلِ والتجارب .

وبذلك ينتهي الحديث عن موضوعات أشعار بني كلب ، وثمّة قِطعٌ في أشعارهم لا تؤلِّفُ مَوْضوعاً له أبعادُه المختلفة ، كبعض أبياتٍ يتناول فيها الشعراءُ ما كانوا يُؤمنون بِهِ[3] ، وبعضِ الأبيات في التَّشَوُّق إلىٰ الولد والبكاء لفراقِهِ[4] ، وبعضِها في الحنين إلىٰ الأوطان[5] ، أو في الحديث عن الخمر[6] ، أو في الهزل[7] .

❊ ❊ ❊

---

(١) شعر العبّاس بن مرداس : ١٥٦ .
(٢) ديوانه : ٢١٨ .
(٣) انظر شعر عمرو بن زيد ، وشعر حارثة بن أوس ، وشعر عبد عمرو بن جبلة في الديوان .
(٤) انظر شعر حارثة بن صَخْر ، وشعر حارثة بن شراحيل في الديوان .
(٥) انظر شعر ميسون بن بَحْدَل ، وشعر عمرو بن عروة بن الغَدّاء في الديوان .
(٦) انظر شعر الحارث بن زهير ، وشعر الحزنبل بن سلامة ، وشعر أزبر بن غَزِيّ في الديوان .
(٧) انظر شعر حكيم بن عياش في الديوان .

الفصل الرابع

الخَصَائِصُ الفَنِّيَّةُ

يتناولُ هذا الفصلُ مُجْمَلَ الخصائص الفنّيّة لِمَا اجتمع لدينا من أشعار بني كلب منذ العصر الجاهليّ إلىٰ آخر عصر بني أميّة ، وذلك من جانبين اثنين : أوّلهما الخصائص المعنوية من حيث الوضوح والغموض والصور البيانية التي تُبْرِز المعاني وتزيد في وضوحِها من تشبيه واستعارة وكناية ، ومن حيث ما يُعْرَف بالمحسّنات المعنويّة كالطباق والمقابلة ، ومصادر معانيهم المختلفة من البيئة المحيطة بهم ، ومن معتقدات الجاهليّة وأوابدها ومن أمثال العرب ، ومن الشعر الجاهليّ ، وممّا استجدّ من أفكار وتعاليم بعد الإسلام ، ومن حيث ما أَخَذَ الشعراءُ عَنهم ؛ وثانيهما الخصائص اللّفظية ، من حيث منهج القصيدة ، وموسيقى الشعر الخارجيّة والداخليّة ، والظواهر اللّغويّة والنَّحْوِيّة في شعرهم ؛ مع مُقارنة كلا الجانبين بما ورد في أشعار غيرهم عند الحاجة إلىٰ المقارنة .

١ـ الخَصَائِص المعنويَّة :

إنَّ قراءة ما اجتمع لدينا من شعر بني كلب تُبَيِّن أنّ **معانِيَهُمْ واضحةٌ في عامّتها** ، بسيطة ليس فيها شيء من التعقيد ولا التكلّف في تناوُلِ موضوعاتهم المختلفة ، وليست هذه بالسّمَةِ الخاصّة بأشعار بني كلب ، بل هي عامّةٌ لمعاني الشعر العربيّ في الجاهلية وصدر الإسلام وعصر بني أميّة ، وقد أرجع الدكتور شوقي ضيف ذلك إلى أنّ الشاعرَ العربيّ لم يكن يَفْرِض إرادتَهُ الفَنّيّة على الأحاسيس والأشياء ، بل يحاول نقلها نقلاً أَمِيناً دونَ أن يُدْخِلَ عليها ما يَمَسّ جوهَرَها ، ومن ثَمَّ كانت أشعارُهُم وثيقةً دقيقةً للباحث حول حياتهم وبيئتهم بجميع جوانبها[1] .

---

(١) انظر العصر الجاهلي : ٢١٩ .

ولكنّنا قد نُحْجَبُ عن معاني بعض أشعارهم لأسباب مختلفة مثل غرابة الألفاظ ، وضَيَاع أبياتٍ تتعلّق بها المعاني ، وتحريف الشعر وتصحيفه وغير ذلك ؛ ولا عَجَبَ أَنْ تُصَادِفَنا الألفاظ الغريبة في شعرهم لأنّنا أمام شعرٍ قديمٍ ، على أنّ غرابة الألفاظ في أشعارهم ليست بالكثيفة إلاّ في مواضع قليلة ، إذْ ليس في شعرائهم مَنْ عُرِفَ بكثرة الغريب كما عُرِف به أمثالُ ابن مقبل وابن أحمر وحُمَيْد بن ثور والرّاعي النميريّ ومُزاحِم العُقَيْليّ والعَجّاج ورؤبة[١] ، ومن ثَمَّ ليس لنا أن نتوقّع الوقوفَ علىٰ قطعٍ خالية من الغريب خلوّاً تاماً إلاّ نادراً كقول زهير بن جَنَاب[٢] :

لقـد علـم القبـائـلُ أن ذِكـري ... بعيـدٌ فـي قضـاعـةَ أو نـزارِ
فمـا إبلـي بمُقْتَـدَرٍ عليهـا ... ولا حلمـي الأصيـلُ بمُسْتَعَـارِ
سَتمنَعُهـا الفـوارسُ مـن بَلِـيٍّ ... ونمنعُهـا فـوارسُ مِـنْ صُحـارِ
ويمنَعُهـا بنـو القيـن بـن جَسْـرٍ ... إذا أوقَـدْتُ للحَـدَثـان نـاري

فهذه أبياتٌ لا غرابة في ألفاظها ولا معانيها إذا علمْنَا أنّ ما ذكره أسماء قبائل ؛ وقد تأتي الأبياتُ واضحة وإن شابَهَا قليلٌ من الألفاظ الغريبة كقول جُمَاهِر الكلبيّ[٣] :

قَضـىٰ كـلُّ ذي دَيْـنٍ ووفّـى غـريمَـهُ ... ودَيْنُـكَ عنـد الـزَّاهِـريّـةِ مـا يُقْضَـىٰ
أَكـاتِـمُ حُبّـي مِـنْ ظَـرِيفَـةَ بـالّتـي ... إذا اسْتَبْصَرَ الواشونَ ظَنُّوا بها بُغْضَا
صُـدوداً عَـنِ الحـيِّ الّـذيـن أَوَدُّهُـمْ ... كـأنّـي عـدوٌّ لا يَطُـورُ لَهُـمْ أَرْضَـا
ولـم يَـدْعُ بـاسـمِ الـزَّاهِـريّـةِ ذَاكِـرٌ ... عَلـىٰ آلَـةٍ إلاَّ ظَلَلْنَـا لهـا مَـرْضَـىٰ
ومـا نَقَـعَ الهَيْمـانُ بـالشُّـرْبِ بعـدَهُـمْ ... ولا ذاقـتِ العَيْنـانِ مُـذْ فـارَقُـوا غَمْضَـا

فهذه الأبياتُ واضحةٌ مَعَ أنّ كلمة (آلة) وكلمة (الهيمان) غريبتان ، لأنّ ما قبلهما وما بعدهما كشف عن المُراد منهما .

وربما جاءَت الألفاظ الغريبة أكثر كثافةً ، ولكنّها لا تَحْجب المعنى وتجعله

---

(١) انظر المصون في الأدب : ١٦٩ ، والعجاج ، حياته ورجزه : ٤٠٦ .
(٢) الديوان : ٤٠ .
(٣) الديوان : ٦١٧ .

غامضاً مُبْهَماً ، بل تُعَنّي القارىءَ شيئاً ما ، كقول امرىء القيس بن الحُمام[1] :

لآلِ هنـــدٍ بجَنْبَـــيْ نَفْنَـــفٍ دارُ ... لَـمْ يَمْـحُ جِـدَّتَهـا رِيـحٌ وأَمْطـارُ
إمَّـا تَـرَيْنـي بِجَنْـبِ الـدَّارِ مُضْطَجِعـاً ... لا يَطَّبينـــي لَــدَىٰ الحَيَّيْــنِ أَبْكــارُ
فَــرُبَّ نَهْــبٍ تُصِــمُّ القــومَ رَجَّتُــهُ ... أَفَــأْتُــهُ إنَّ بَعْــضَ القــومِ عُــوَّارُ

ولكنَّ تلك الألفاظ الغريبة تأتي في بعض الأحيان شديدةَ الكثافة ، فتقف حاجزاً مَنِيعاً أمام فهم المعنى ، حتى إذا ما كشفنا عن تلك الألفاظ في المعجمات فزالت غرابتها وجدنا معانيَ الأبيات واضحةً لا غُموضَ فيها ، وذلك كقول هُرْدان بن عمرو العُلَيميّ يصفُ ناقةً تُنْتَجُ[2] :

لَمَــلَّ بُكَيْــرَةً لَقِحَــتْ عِــراضــاً ... لِقَــرْعِ هَجَنَّــعِ نــاجٍ نَجيـــبِ
فَكَبَّــرَ راعِيــاهــا حيــنَ سَلَّــىٰ ... طَـويـلَ السَّمْـكِ صَـحَّ مِـنَ العُيـوبِ
فقــامَ عَلَــىٰ قــوائِــمَ لَيِّنــاتٍ ... قُبَيْـلَ تَجَفْجُـفِ الـوَبَـرِ الـرَّطِيـبِ

وكقول الأحمر بن شجاع في أبيات وصلت إلينا متفرّقة من قصيدة يظهر أنّها كثيرة الغريب ، فمنها هذه الأبيات التي يصف فيها حِماراً وحشيّاً وأُتُنَه[3] :

كــأنَّ هــاديَــهُ مِمَّــا تَفَجَّــهُ ... إذا تَكَلَّــمَ فــي الإدْلاجِ مَــوْلُــوجُ
كــأنَّــهُ أَنْــدَرِيٌّ مَسَّــهُ بَلَــلٌ ... مِــنَ المُغِيْــرَةِ حَقَّتْــهُ المَــداريــجُ
يَخْشَيْــنَ مِنْــهُ عَــرامــاتٍ وغَيْــرَتَــهُ ... وأَنَّــهُ رَبِــذُ التّقــريــبِ يَــأْجُــوجُ

وقد يزيدُ في الغموض أحياناً ضياعُ أبياتٍ سابقةٍ تتعلّق بها الأبيات التي وَصَلَتْ إلينا كقول حكيم بن عيّاشٍ في بيتين يصف فيهما ناقته[4] :

ويَنْعَشُهــا إذا رَكَعَــتْ مُمَــرٌّ ... كَحُلقــومِ القَطــاةِ مِــنَ الــرُّكُــوعِ
يَقُــومُ إذَا الفَتِيــنُ عَــلا وَجَــالَــتْ ... كَمَـا قـامَ الخِشـاشُ عَلـىٰ السُّلُـوعِ

---

(١) الديوان : ٨١ .
(٢) الديوان : ٦٠٢ .
(٣) الديوان : ٥٣٤ .
(٤) الديوان : ٤٩٤ .

فنجد إلىٰ جانب غرابة عددٍ من الألفاظ أنّ في قوله (يقوم) ضميراً لا ندري علىٰ أيّ شيءٍ يعود ؛ وكقول جَوّاس بن القَعْطَل[1] :

يَــزَعُ الجِيــادَ بقَــوْنَــسٍ وكَــأَنَّــهُ ... بــازٍ تَقَطَّــعَ قَيْــدُهُ مَخْــرُوطُ

فنجد في الفعل (يزعُ) ضميراً علىٰ غائبٍ لا ندري ما هو ، كما نجد في قوله (وكأنه) ضميراً آخر لا ندري أيرجع إلىٰ (قونس) أم إلىٰ شيءٍ آخر مذكور في أبيات سابقة؟ وأحياناً يكون ضياعُ سائر الشعر سبباً في غموض المعنىٰ وإنْ لم يكن فيما وصل إلينا ألفاظ غريبة ، كقول زهير بن جَنَاب يذكر امرأتَهُ عاتكة[2] :

أَلا قُــولا لِعــاتِكَــةَ : ٱعــذِرينــي ... وَلَــوْ فــي جَيْــشٍ مــا عِنْــدَ القِبَــابِ

فلا ندري : أيُّ شيء هو (جيش ما عند القِباب)! .

وربّما كان احتمالُ بعضِ ألفاظِ البيت الغريبة لأكثر من معنىً سبباً في شيءٍ من الغموض والاختلاف في تفسيره ، وذلك مثل قول زهير بن جَنَاب[3] :

مِــنْ كُــلِّ مــا نــالَ الفَتــىٰ ... قــد نِلْتُــهُ إلاّ التَّحِيَّــةْ

فـ(التحيّة) تحتمل معنى : البقاء ، ومعنى : المُلْك ، وقد اختلف العلماءُ تبعاً لذلك في تفسيره ؛ ومثله قول الأحمر بن شجاع في جيميَّتِهِ[4] :

مِـنْ بَعْـدِ خمسٍ وخمسٍ فـي ذِنـابَتِـهِ ... تُمْسِـي المَهـارىٰ بِـهِ فيهـنَّ تَهْجيـجُ

فقد ذهب بعض العلماء إلىٰ أنّ التّهجيجَ هو التَّخَدُّد في اللّحم من الهُزَالِ ، وذهب بعضُهم إلىٰ أنّه غُؤُور العينين في الرأس من الجوع أو العطش .

وأحياناً ما يكون الغُمُوضُ ناتجاً عن التحريف أو التصحيف ، وهو في مواضعَ كثيرةٍ من أشعارهم ، وقد اهتديتُ إلىٰ الصّواب أو إلىٰ ما هو أقرب إلىٰ الصَّواب في

---

(١) الديوان : ٤٥٣ .
(٢) الديوان : ٣٦.
(٣) الديوان : ٦٢ .
(٤) الديوان : ٥٣٤ .

معظم تلك المواضع ، ويظهر ذلك في شرح ما جمعتُه من أشعار القوم ، غير أنّ أبياتاً عدّةً بقيت غامضةً لم أَهْتَدِ إلى صَوابها حتى سألتُ شيخي الأستاذ الدكتور عَبْد الحَفِيظ السَّطلي عنها فأَعَانَني عليها ، فمن ذلك قولُ الأُدَيْرِد الكلبيّ(١) :

هَلْ ما جَزَيْناهُمُ قَتْلىٰ علىٰ لَثَمٍ   وفي الطَّلاقةِ مِنْ بُؤْسٍ بإنعامِ
كُنّا سواءً فَزادُونا فزادَهُمُ   فَكُمِّلَتْ باخْتِيارٍ رَمْيَةُ الرَّامِي

فيدلُّ ظاهرُ الشِّعر على أنّ قوله (على لثم وفي الطلاقة) يعني به موضعين ولكنّني راجعتُ كُتُبَ البلدان فلم أقف على ذكر لهما ، ثم إنّ بيته الثاني هكذا ورد في مصدرهِ فقلّبتُ البيتَ وجهاً لظهر وظهراً لوجه تحريفاً وتصحيفاً فما اهتديت إلى معنىً سليمٍ ؛ فلمّا عرضْتُ ذلك على الشيخ قال : « لعلّ في البيت الأوَّلِ تحريفاً أو تصحيفاً » كما رجَّحَ أن يكون في البيت الثاني تصحيف أو تحريف وقال : « فلعلّ الصَّواب (كُنّا سواءً فَزِدْناهُمْ مَزَادَهُمُ) أراد : كنّا سواءً في عَدَد القتلىٰ ، فقتلنا آخَرين منهم كما قَتَلوا آخَرين منّا ، فكان ذلك علىٰ التَّساوي رَمْيَةً مِنْ غيرِ رامٍ » .

ومن ذٰلك أيضاً قولُ حارثة بن عَدِيّ المُلَقَّب برأس الطِّين(٢) :

أأَعْجَبَكَ الزُّخْرُفُ رَحْلُ قيسٍ   أَلا فَتَحَ النَّمارِقَ والشَّلِيلَ

فهذا البيت هكذا وَرَدَ مُخْتَلَّ الوَزْنِ مضبوطاً ضَبْطاً لا يستقيم له معنى ، فجئتُه عن يمين وشمال ومن فوقه ومن تحتِهِ ، فما عرفتُ له وجهاً سليماً ، فعرضته على الشَّيْخِ فقال : « لعلَّهُ :

أَأَعْجَبَكَ الزَّخارِفُ رَحْلَ قَيْسٍ   أَلا فُتِحَ النَّمارِقُ والشَّلِيلُ

أي (من رحل قيس) فنصب (رحلَ) بنزع الخافض ، فيكون أراد ذَمَّ الرّجُلِ أي : لا يَغْرَنَّكَ ظاهرٌ حسنٌ منه ، فَإنَّ الباطِنَ يَسُوءُكَ إنْ كشَفْتَ عنه ، ويكون (فُتِح) بمعنى : كُشِفَ » .

---

(١) الديوان : ٢١٧ .
(٢) الديوان : ٢٨٥ .

وإذا كنّا قد لاحظنا وجودَ ألفاظ غريبة في أشعارهم فإنّ ذلك يرجع إلىٰ سقوط بعض الألفاظ من الاستعمال مع الأيّام ، فهذه الألفاظ الغريبة في نظرنا لم تكن كذلك عند أبناء تلك العصور ، كما أنّ ما ضاعَ من أشعارهم أدّىٰ إلىٰ غُموضِ أشعار أخرىٰ لم تكن كذلك في عصورهم ، ومن ثَمَّ كانت السّمة العامة لشعرهم هي الوضوح وبسط المعنى حتى لا يشوبَهُ غُموض ؛ ولا تقتصر هذه السّمة على شعر بني كلب وحدهم ، بل هي عامّة في أشعار العرب ، فثمّة عدد من القبائل التي دُرِسَتْ أشعارها كقُشَير وتغلب وأسد وَطَيِّء لُوحِظ بعد دراسةِ أشعارها أيضاً أنّها تتّسم بالوضوح والبعد عن التعقيد ؛ لأنّها ابنة البيئة البسيطة التي نبتت فيها ، ولكن تشوبُها غرابةُ الألفاظ التي تُزِيلُها المعجمات فلا يبقى الشعر في حاجةٍ إلى جهدٍ وإعمالِ فكرٍ لجلاء معناه وكشف غموضهِ ، كما أنّ بعض معانيهم كانت تستغلق بسبب الضّياع الذي لحق شعرهم[1] .

فالوضوح وبسط المعاني من السّمات الأساسية لشعر كلب وغيرهم منذ الجاهليّة إلىٰ آخر العصر الأمويّ ، وهذه هي السِّمَةُ الغالبةُ على صنعة الشّعر القديم كما ذكر ابنُ رشيق إذ رأى أنّها كانت تعني النَّظَرَ في فصاحة الكلام وجزالتِهِ وبَسْطِ المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام قوافيه ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض[2] ؛ ويمكننا ملاحظةُ هذه الصفة في معاني أشعار بني كلب ، إذْ نجدهم يعتمدون علىٰ **الصور البيانيّة** المختلفة من تشبيه واستعارة وكناية لإبراز معانيهم وزيادة إيضاحها ، إلى جانب فصاحة الكلام وجزالته التي كانوا يتميَّزون بها كغيرهم من العرب .

ولو تتبّعنا هذه الصُّور البيانيّة للاحظنا أنَّها لا تخرج في **مصادرها** عن الصور البيانية لأشعار العرب في العصر الجاهليّ والإسلامي إلىٰ آخر عصر بني أميّة ، فهي مُسْتَمَدَّةٌ من بيئة البادية المادية المحيطة بهم ، فإذا وقفنا على **التشبيه في شعرهم**

---

(١) انظر شعراء بني قُشَير ١ : ٢٦٤ـ٢٦٥ ، وشعراء تغلب ١ : ٣٢٠ ، وشعراء بني أسد ١ : ٣٠٦ وشعراء قبيلة طيّىء ١ : ٦٥٢ـ٦٥٣ .

(٢) انظر العمدة : ٢٥٨ـ٢٦٧ .

وجدنا بني بكر وتغلب حين هربوا بَعْدَ هزيمتهم كانوا مثلَ النّعام الشّارِد ، كما يقول زهير بن جَنَاب[1] :

وهُـــمُ هــــارِبــــونَ فــــي كــــلّ فَــجٍّ كَشَـــرِيـــد النَّعـــامِ فَـــوْقَ الـــرَّوابـــي

وناقةُ زهير بن جناب إذا ما صَوَّتَ بها لتُسْرِع انطلقَتْ مسرعةً مثل ذكر نعامٍ مذعور[2] :

إذا قُلْـتُ : عـــاجِ جَلَّحـــتْ مُشْمَعِلَّـةً كمـا ارتـدّ أدفـىٰ ذو جَنَـاحيـن نِقْنِـقُ

ولم يجد خِرْقة بن نباتة لنفسهِ ولبعيره شبهاً في جوعهما وضَجَرِهما عند حرب بن خالد بن يزيد إلاّ ذئبَيْنِ ضَجِرَيْنِ من ذئابِ القَفْرِ[3] :

كأنّي ونِضْوي عِنْدَ حَرْبِ بنِ خالِدِ مِـــنَ الجُـــوعِ ذِئْبَـــاً قَفْـــرَةٍ عِلْـــزَانِ

ورؤوس مساميرِ الدُّروع تُشْبِه في بُروزِها عند حارثة بن أوس الكلبي عيونَ الأَفاعي[4] :

عليهـــم سَـــرابيـــلٌ كـــأنَّ قَتِيـــرَهَـــا عُيُـــونُ أَفـــاعٍ تَنْطَـــوي وتَسِيْـــبُ

وحارثة بن مرّة يرىٰ أنّه وقد كَبِر وانْحَنىٰ ظهرُه انحناءً شديداً يُشْبِهُ انحناءَ ظَهْرِ النَّسْرِ الواقف على أَصْلِ شجرةٍ[5] :

فَصِـــرْتَ كَـــالنَّسْـــرِ عَلَـــىٰ الجَـــذِيـــرَةْ

وعندما كان بنو كلب يقطعون رؤوسَ بني القين رأىٰ زهيرُ بنُ جَنَاب أَنَّهم يُشْبِهون قوماً يَقْطَعونَ ثمارَ الحَنْظَل[6] :

---

(١) الديوان: ٣٤.
(٢) الديوان: ٤٦.
(٣) الديوان: ٥٤٧.
(٤) الديوان: ١٢٧.
(٥) الديوان: ١٥٣.
(٦) الديوان: ٥٩.

إذا ٱرجَحَنُّوا عَلَوْنا هامَهُم قُدُماً كَأنّما نَخْتَلي بالهَامِ خُطْبَانَا

ورأى الأحمر بن شجاع في كثرة خيلهم وكثافة جيشهم شبهاً بدُجىٰ اللّيل بل هم أشد كثافة[(١)] :

بجأواءَ تُغْشِي النّاظِرين كأنَّها دُجىٰ اللّيلِ، بَلْ هِيْ مِنْ دُجَىٰ اللَّيْلِ أَكْثَرُ

ووجد عامر بن سَلَمة الماءَ الذي يَسيلُ من صَدْعِ الجَبَلِ شَبيهاً بِدَم بعض قتلاه[(٢)] :

تجري الدّماءُ على مَحَاسِنِ وَجْهِهِ والنَّفْسُ ساجِمَةٌ كماءِ المَفْصِلِ

فهذه الأمثلة وكثير من أشعارهم إنّما استقى الشّعراءُ تشبيهاتِهم فيها ممّا يحيط بهم في تلك البيئة التي كانوا يعيشون فيها ، من حيوان الصّحراء ونباتها ومظاهرها المختلفة .

وثمة أمثلةٌ أخرىٰ من التشبيه لم تُؤخذ من الطبيعة ، ولكنّها تبقى في إطار البيئة الحسيّة التي تُبْصَرُ بالعين وتُسمَع بالأذن ، فقد نَظَرَ بَحْرُ بْنُ الحارث إلىٰ نَفْسِهِ وقد كَبِرَ وانْتُبِذَ جانباً لا يُسْتَشَار في أمرٍ ولا يقوم بعملٍ فرآها شبيهةً بالحِلْسِ الذي يُلْقَىٰ جانباً ، ولا يُرْفَعُ إلاّ ليوضع تحت الرّحل عند السّفر[(٣)] :

وَصَارَ في البيت مِثْلَ الحِلْسِ مُطَّرَحاً لا يُسْتَشَارُ ولا يُعْطِي ولا يَذَرُ

وثُمامة بن قيس رأى آثار الحيّات على الأرض وهي تتلوّى شبيهةً بآثار السُّيور المجدولة علىٰ طاقين حين تُجَرُّ علىٰ الأرض[(٤)] :

كأنَّ مزاحِفَ الهَزْلىٰ صباحاً خُدُودُ رَصائعٍ جُدِلَتْ تُؤَامَا

ونظر عمرو بن عروة بن الغَدّاء نظرةً إلىٰ النّجوم فرأىٰ نجومَ الثّريّا شبيهةً بالعنقود ، ورأى بناتِ نعش مثلَ ثوبٍ جديد على نعش ، ورأىٰ نجومَ الجوزاء ممدودةً مثل

---

(١) الديوان: ٥٣٦ .
(٢) الديوان: ٢٤٨ .
(٣) الديوان: ٢٢٢ .
(٤) الديوان: ٦١٢ .

سُرادقِ البيت[1] :

وَبَـدَا النَّجْـمُ فـي السَّمـاءِ سُحَيْـراً   مُسْتَقِـلاًّ كَـأَنَّـهُ عُنْقُـودُ
وتـدلّـتْ بنـاتُ نعـشٍ فعـادَتْ   مثـل نعـشٍ عليـه ثـوبٌ جـديـدُ
وكـأنَّ الجـوزاءَ لمّـا استقلّـتْ   وتـدلّـتْ سُـرادِقٌ ممـدودُ

وأخذ زهير بن جناب صورةً من حياة الناس يومذاك ، فكثيراً ما يرون تُجّار العبيد يسوقونَ الإماءَ لتُبَاع ، فشبَّه نساءَ بني تغلب ـ وقد سباهُنَّ بنو كلب ـ بتلك الإماء[2] :

تَبّـاً لتغلـبَ إذْ تُسـاق نِسـاؤُهـم   سـوقَ الإمـاءِ إلـىٰ المَـواسـمِ عُطَّـلا

وَتصوّر عبدُ المالكِ بن النعمان أنَّ ربَّ السَّمٰوات ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لو شاءَ لطواها مثلما يَطْوِي تُجّارُ اليمن البرودَ[3] :

والسَّبْـعُ رَبّـي لـو تَشَـاءُ طَـوَيْتَهـا   طَـيَّ التِّجـارِ بِحَضْـرَمَـوْتَ بُـرُودَا

فهذه التشبيهات جميعاً لا تخرج عن الإطار الحسّي الماديّ .

وإذا بحثنا عن وظيفة التشبيه في هذه الأمثلة وفي غيرها من شعرهم وجدناها تأتي لهدفَيْن اثنين ، فإمّا أنها جاءَتْ توضيحاً لمعنىً يريده الشاعر وتأكيداً له ، كما هو في تشبيهِ زهير بن جناب الهاربين من بني بكر وتغلب بشريد النّعام ، لأنَّ شريدَ النَّعام يكون سريعَ العَدْو من جهةٍ ، ولا ينثني إلىٰ الموضع الذي ذُعِرَ منه من جهة أُخرىٰ ، فكذلك كان الهاربون من هؤلاء ؛ وكما هو أيضاً في تشبيه الأحمر بن شجاع كثرة جيشهم وكثافة كتيبتهم بدجىٰ اللّيل ، وكما في قول جوّاس بن قعطل في هجاء بني قُنافة الكلبيّين[4] :

أتَتْـكَ العِيـسُ تَنفُـخُ فـي بُـراهـا   بِـوَفْـدٍ مـن قُنـافَـةَ كـالقُـرودِ

---

(١) الديوان : ٥١٦ .
(٢) الديوان : ٥٤ .
(٣) الديوان : ٢٧٥ .
(٤) الديوان : ٤٤٥ .

يريد بهذا التشبيه تقبيحَ صُوَرِهم ، وكقول عمرو بن مخلاة في يومِ المرج[1] :

ويـومٍ تُـرىٰ الـرايـاتُ فيـه كـأنّهـا عَـوائـف طيـرٍ : مستـديـرٌ ووَاقِـعُ

يريد أنّ بعض تلك الرّايات قد وقعت من أيدي الأبطال حين قُتِلوا أَوِ انْهَزَموا ، وبعضها بقي يرفرف وهو رايات المنتصرين ؛ وإمّا أنّها تأتي زينةً يُزَيّن بها الشاعر شعرَهُ ، كما في وَصْفِ ثُمامة بن قيسٍ لمزاحِفِ الحيّات ، وكما في أبيات عمرو بن عروةَ بن الغدّاء في وَصف نجوم السَّماء ، وكما نجده في قول زهير بن جَنَاب يصف تبسُّمَ حبيبته[2] :

فلمّـا رأتنـي والطليـح تَبَسَّمَـتْ كمـا أنكـلَّ أَعْلـىٰ عـارضٍ يتـألَّـقُ

وكما في قول بعض شعراء العصر الأمويّ من بني كلب مادحاً[3] :

تـراه إذا مـا أَظْلَـمَ الخَطْـبُ مُشْـرِقـاً كمِثْـلِ حُسَـامٍ أَخْلَصَتْـهُ الصَّيَـاقِـلُ

ويأتي التشبيه في أشعار العرب لهدفٍ ثالثٍ لا نجده فيما وصل إلينا من أشعار كلب ، وذلك لنقل الوَصْفِ من موضوع إلىٰ موضوع ، كما في قول العجّاج ، وكان يصف جيشاً فشبَّهَ كثرتَهُ باللَّيْلِ ، وجلبَتَهُ بجَلَبَةِ مَطَرٍ جاء به سحابٌ أَتَىٰ من جِهَةِ العَيْنِ[4] :

كـأنّمـا زُهـاؤُهُ لِمَـنْ جَهَـرْ لَيْـلٌ ، وَرِزٌّ وَغْـرِهِ لِمَـنْ وَغَـرْ
سـارٍ سَـرىٰ مِـنْ قِبَـلِ العَيْـنِ فَجَـرْ عِيـطَ السَّحـابِ والمَـرابيـعَ الكُبَـرْ

ثمّ راحَ يصفُ ذلك السَّحابَ وقَطْرَهُ ؛ ومثل قول حُمَيْد بن ثَوْرٍ الهلاليّ منتقلاً من

---

(١) الديوان : ٤٧٤ .
(٢) الديوان : ٤٦ .
(٣) الديوان : ٧٤٠ .
(٤) ديوان العجّاج ١ : ٢٦ ، وانظر العجّاج حياته ورجزه : ٣٣٢ـ٣٣٤ ؛ وزُهاؤه : قَدْرُه . وجَهَرَ : نَظَر . والرِّزّ : صوت السماء من المطر . والوَغْر : صوت الجيش . والعِيط : خِيار الإبل ، علىٰ التشبيه ، والمرابيع : النُّوق معها أولادها .

التغزّل بـ(جُمْلٍ) إلىٰ وصفِ الظّبية[1] :

كـأنَّ الـرِّعـاثَ والنِّطـافَ تَصَلْصَلَـتْ ... لَيـالِـيَ جُمْـلٌ لِلـرِّجـالِ خَلُـوبُ
بِـوَحشِيّـةٍ أَيْمـا ضـواحـي متـونِهـا ... فَمُلْـسٌ وأيمـا كَشْحُهـا فقَبِيـبُ

ثم راح يصف تلك الظبية ؛ وربّما يرجع فقدان هذا الهدف من أهداف التشبيه إلىٰ أنّه لم تصلْ إلينا قصائد كاملة من أشعار القوم إلاّ نادراً ، ولعلّ فيما ضاع من شعرهم أمثلة من هذا الضّرب .

وللاستعارة أيضاً سلطانٌ علىٰ أشعارهم ولكنّ هذا السّلطان يختلف انتشاره في شعر الجاهليّين منهم عن انتشاره في شعر مَنْ جاءَ بعد الإسلام ، نلاحظ ذلك إذا قارنا بين الاستعارة في شعر أكثر الجاهليّين منهم شعراً وهو زهير بن جَنَاب الذي بلغ مجموعُ ما وصل إلينا من شعره (١٤٠) بيتاً ، وبين الاستعارة في شعر أكثر مَنْ جاء بعد الإسلام منهم شعراً ، وهو جوّاس بن القعطل الذي بلغ مجموع شعره (٨٧) بيتاً ؛ إذْ لا نكاد نقف إلاّ علىٰ مواضع قليلة من الاستعارة في شعر زهير بن جناب كقولِه[2] :

وكـم مُخْـرِبٍ مجـداً تـولّـىٰ بنـاءَه ... سـواه فـأودىٰ عِـزُّهُ ومَفَـاخِـرُهْ
تحيّـف منـه اللّـؤمُ أركـانِ مجـدهِ ... فقـد خـربَ البيـتُ الـذي هـو عـامِرُهْ
وزال عمـوداه ورثّـتْ حِبَـالُـهُ ... وأُصْلِـحَ أُولاهُ وأُفْسِـدَ آخِـرُهْ

فالمجد عنده بيتٌ له أركانٌ وأعمدة وحبالٌ تُثَبِّتُهُ ، إذا ما سكنَهُ لئيمُ الطَّبْعِ فإنّه سيُخْرِبُه ؛ ومن الاستعارة في شعره أيضاً ما جاءَ في قوله[3] :

واستـدارَتْ رَحـىٰ المنـايـا عليهـم ... بليـوثٍ مـن عـامـرٍ وجَنـابِ

---

(١) ديوانه: ١٩٨، وانظر حميد بن ثور الهلالي، حياته وشعره: ١٣٩ـ١٤٠، والرّعاث: القُروط. والنطاف: اللّآلىء الصافية. وتصلصلت: صَوّتَتْ. والوحشيّة: الظبية. وأيْمَا: أمَّا. وضَواحي المَتْن: ما بَرَزَ منه للشمس. والكَشْح: الخَصْر. والقَبِيب: الضامر.
(٢) الديوان: ٤٢.
(٣) الديوان: ٣٤.

طحَنَتْهم أرحاؤُها بطَحُونٍ ذات ظُفْرٍ حديدةِ الأنيابِ

فالموت رحىً تدورُ على أعدائهم فتطحَنُهم ، ومُدِيْرُو تلك الرحىٰ ليسوا رجالاً بل هم أسودٌ من بطون كلب ، والحربُ سَبُعٌ له أظافر وأنياب من حديد ، فهاتان أبرز استعارتَيْنِ في شعر زهير ، وقد نقفُ على استعاٰراتٍ أخرىٰ ولكنّها قليلة ؛ في حين كان سلطان الاستعارة في شعر جَوَّاس أوْسَع ، فمن ذلك قوله في هجاء حسان بن مالك بن بحدل[1] :

جُعَلٌ تمطَّىٰ في عمايَتِهِ زمِرُ المروءَةِ ناقِصُ الشَّبْرِ
لِزَبَابَةٍ سوداء حنظلةٍ ولعاجزِ التّدبيرِ كالوَبْرِ

فحسّان عندَه ليس إلاّ جُعَلاً ، وأمُّه ليست إلاّ زَبابة سوداء ؛ ومن ذلك قولُه مُمْتَنّاً على بني أميّة[2] :

كَمْ مِنْ أَميرٍ قَبْلَ مَرْوانَ وابنِه كَشَفْتُ غطاءَ المَوْتِ عَنْهُ فَأَبْصَرَا

فالموت الذي كادَ يُهْلِكُ أولئك الأمراء من بني أميّة كان يَحْجُبُ أبصارَهُم عن النّظر حتى أزالَهُ عنهم ؛ ومن ذلك قوله في عِتَاب عبد المَلِك بن مروان[3] :

فلمّا علوتَ الشّامَ في رَأْسِ باذخٍ مِنَ العِزِّ لا يَسْطيعُهُ المُتَناوِلُ
نَفَحْتَ لَنا سَجْلَ العداوَةِ مُعْرِضاً كأنَّكَ ممّا يُحْدِث الدَّهْرُ جاهِلُ

فالعزّ الذي ارتقاه عبد الملك جبلٌ شديد العُلُوّ ، والعَداوةُ الّتي أبداها بعدما نال مرادَهُ دَلْوٌ عظيمة مَمْلوءةٌ ؛ وكقوله مُحَذّراً من نتائج ظُلْمِ الأقاربِ[4] :

وتَهَالَكَتْ غطفان فيه فدارُها موروثَةٌ وإناؤها مثلومُ

فغطفان صارت إناءً أصابَهُ كَسْرٌ لا يُشْعَبُ ؛ ومنها أيضاً في شعره ما خاطبَ به بني

---

(١) الديوان : ٤٤٦ .
(٢) الديوان : ٤٤٨ .
(٣) الديوان : ٤٥٧ .
(٤) الديوان : ٤٦٢ .

أميّةَ يُحَرِّضُهم على ابنِ الزّبير[1] :

إنّ الخــلافــة يــا أميّــة لــم تكُــنْ أبــداً يَــدُرُّ لِغَيْــرِكُــمْ ثَــدْيَــاهَــا
فَخُــذوا خِــلافَتَكُــمْ بــأَمْــرٍ حــازِمٍ لا يَحْلُبَــنَّ المُلْحِــدونَ صَــرَاهَــا

فالخلافةُ ناقةٌ أو شاةٌ لا يدرّ ثدياها إلاّ لبني أميّة ، وقد احْتَفَلَ في ضَرْعِها لَبَنٌ كثيرٌ فلا ينبغي أنْ يَدَعُوها لابنِ الزُّبير رضي الله عنه فيحتلِبَهَا ؛ فتلك هي أبرز الاستعارات في شعر جوّاس ، وقد نَجِدُ استعاراتٍ أُخرىٰ في شعره ، ونلاحظ أنّها أكثر من تلك التي وردت في شعر زهير بن جَنَاب ، فهذه الملاحظة تُناسِبُ التَّطَوُّر الذي طرأ علىٰ الشعر العربي منذ العصر الجاهليّ إلىٰ عصر بني أميّة ، إذ لُوحِظَ أنَّ الاستعارة أصبَحَتْ في أشعار أَوَاخِرِ العصر الجاهليّ وما بعدَه تحتلّ مكاناً أوسع من مكانها في أشعار الجاهليين الأوائل ، وزهير بن جَنَاب مِن أقدم شعراء الجاهليّة[2] .

ولا تختلف الاستعارة من حيثُ **مصدرُها** الحسيُّ الماديّ عن التشبيه ، وهذا ما نراه إذا رجعنا إلىٰ الاستعارات السابقة في شعر زهير وجوّاس ؛ وقد **أدَّتْ عَمَلاً** مُهِمّاً حين نقلتِ التَّعبيرَ عن أشياء معنوية تُفْهَمُ بالعَقْل إلى أشياء مادّية تُلْمَسُ بالحواسّ ، فصوّر زهير المجْدَ بناءً ، والموتَ رحىً ، وصوّر جوّاسٌ الخلافةَ ناقةً ذاتَ ثَدْيَيْنِ ، والعداوةَ سَجْلاً ، فزاد ذلك في وضوح المعاني التي أرادها إلىٰ جانب ما يوفّره التعبير عن المرادِ بالاستعارة من جمالٍ فنّيٍّ .

ونجد أمثلة تؤدي هذين الغَرَضَيْن من جمالٍ فنّي وتوضيح المعنى المراد في أشعار الشّعراء الآخرين من بني كلب ، فالدَّهْرُ الذي هو مُدْرَكٌ عَقْليّ يُصَوِّرُه لنا عَدِيُّ بن غُطَيْف سَبُعاً في عُنْفُوان قوّتِه وقد عَدا على الإنسان[3] :

أهلكنــا اللَّيْــلُ والنّهــارُ معــا والـدَّهْـرُ يعـدو علـى الفَتَـىٰ جَـذَعـا

---

(١) الديوان : ٤٦٣ .
(٢) انظر العجاج ، حياته ورجزه : ٣٣٥ .
(٣) الديوان : ١١٠ .

وأحزانُ قُرط بن حارثة على مَنْ فَقَد من أهله أعداءٌ اجتمعَتْ وتناصَرَتْ في حربه[1] :

إنّمــا شَيَّــبَ الــذّؤابــةَ مِنّــي وشَجــانــي تَنــاصُــرُ الأَحْــزانِ

وعُمُرُ حارِثة بنِ العُبَيْدِ بعيرٌ يَتَمَنّىٰ لو أنّهُ أَنْضاهُ وارتاح[2] :

أَلا يــا ليتنــي أَنْضَيْــتُ عُمْــرِي وهَــلْ يُجْـدِي علــيَّ اليــومَ لَيْتــي

والسحاب الذي جاء بمطرٍ شديدٍ ما هو في نظر الحَزَنْبَلِ بنِ سَلاَمةَ إلاّ امرأةٌ حاملٌ تمخّضَتْ بولدها في الظلام ، والرِّياحُ كالقابلة التي تتلقّى الولد[3] :

وبــات يَمُــجُّ المــاءَ مــن مُتَخَيَّــلٍ تَمَخَّـضَ قَصْـراً ، والـرِّيـاحُ قـوابِلُـهْ

ونفْسُ الجرنفش الزهيري بعد فقدِهِ أبناءَه رُمْحٌ ليس بالضّعيف ولا المكسور حين يُجَرِّبُها الرجال[4] :

غَمَـزَ الـرجـالُ جَـرِيـدتـي لِفِـراقِهِـمْ فــوُجِــدْتُ لا قَصِفــاً وَلا خَــوّارا

وأشباه هذه الصور في أشعارهم كثيرة .

وثمّة أسلوبٌ آخر من التعبير البياني استخدمَهُ شعراء بني كلب بُغْيَةَ توضيح معانيهم وتقديمها جَليّةً جميلةً فنيّاً ، وذلك هو **الكناية** ، فإذا أراد زهير بن جناب أنْ يعبّر عن غيظ عدوّهم وانصياعِه للحق مُرْغَماً قال[5] :

أبى قومُنا أن يقبلوا النُّصْحَ فانْتَهوا إليــه وأَنْيَــابٌ مــن الحَــرْبِ تَحْــرُقُ

فلم يُقل إنهم انتهوا إليه مُرْغَمين ، بل عَبّر عن ذلك بقوله (فانتهوا إليه وأنيابٌ من الحرب تَحْرُقُ) فدلّ ذلك علىٰ أنّهم أَذْعَنُوا للحق كارِهينَ ، وبأنّ ذلك لم يكن إلاّ بعد حَرْبٍ .

---

(١) الديوان : ٢٨٢ .
(٢) الديوان : ١٥٨ .
(٣) الديوان : ٥٨٢ .
(٤) الديوان : ٦١٥ .
(٥) الديوان : ٤٦ .

وإذا ما أراد زهير أيضاً أنْ يُعَيِّر مهلهلاً بالجوع والقِلّةِ وبِعَجْزِهم عن الغَزْوِ كما تغزو كلبٌ قال[1] :

إنـــا مُهَلْهِـــلُ لا تطيـــشُ رمـــاحُنَـــا أَيّـــامَ تَنْقُـــفُ فـــي يَـــدَيْـــكَ الحَنْظَـــلا

فصوّر مهلهلاً وهو ينقف الحنظل كنايةً عن ذلك المعنى المراد ، لأنَّ العرب كانت تَسْتَخْرِجُ حَبَّهُ وتُعالجُه لتأكُلَه عند عَدَمِ الزّاد .

وحين أرادت عُفَيْرَة بنت حَسّان تصوير ذُلِّ قيسِ عَيلانَ قالت[2] :

أَرَاقَ البَحْـــدَلِـــيُّ دِمـــاءَ قَيْـــسٍ وأَلْصَـــق خـــدَّ قيـــسٍ بـــالتُّـــرابِ

ومثل ذلك أيضاً قولُ جَوَّاس بن القَعْطَل[3] :

هُـــمُ قَتَلـــوا بنـــي بـــدر وعَبْســـاً وأُلْصِـــق حُـــرّ وَجْهِـــكَ بـــالتُّـــرابِ

فَقَدَّما لنا صورةَ قيسٍ وصورة ذلك المُخاطَب علىٰ تلك الهيئة الدّالة على الذُّل والقهر .

وإذا كنّا قد لاحَظْنا أنّ تلك الصّور البيانية استُلْهِمَتْ من البيئة الحسّية الماديّة في أشعار كلب ، فإنها ليست بالملاحظة الخاصّة بأشعار كلب ، بل هي ملاحظةٌ عامّةٌ في أشعار قبائل العرب منذ الجاهليّة إلىٰ آخر العصر الأموي ، ولا يشذّ عن هذا الحُكْمِ إلاّ النادر من صورهم[4] ؛ ولا ريب في أنّ **اختلافَ البيئة** التي كان يعيش فيها الشعراء كان **يؤدّي إلى اختلاف الصّور** ، ذلك أنّ بيئة البادية غير بيئة الجبال ، وغير بيئة القُرى ، وغير البيئة القريبة من الأنهار ، فإذا ما تنقّل الشاعر في هذه البيئات المختلفة جاءتْ صُوَرُه مُتَنَوِّعة ، فبكر بن وائل مثلاً كانت تَسْكُن بالقربِ من شواطىء الخليج العربيّ وغربيّ الفرات ، ولذلك كَثُرَ في أشعارهم تشبيه الظعائن بالسُّفن ،

---

(١) الديوان : ٥٤ .
(٢) الديوان : ٥٦٣ .
(٣) الديوان : ٤٤٣ .
(٤) انظر العصر الجاهلي : ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

كقول طرفة بن العبد البكريّ[١] :

كــأن حُــدوجَ المــالكيّــة غُــدْوةً خــلايــا سَفيــنٍ بــالنَّــواصِـفِ مِــنْ دَدِ

وكقول المرقّش الأكبر البكري[٢] :

لِمَــنِ الظُّعْــنُ بــالضُّحــىٰ طـافِيــاتٍ شِبْهُهَــا الــدَّوْمُ أَوْ خَــلاَيــا سَفِيــنِ

في حين أكثرَ شعراءُ البوادي من تشبيه الظّعائن وما عليها من ثياب حمر وصُفْرٍ بالنَّخْلِ مكمَّماً أو غير مكمَّم ، كقولِ عَبِيد بن الأبرص الأسديّ[٣] :

كــأن ظُعْنَهُــم نَخْــلٌ مُــوَسّقَــةٌ سُــودٌ ذَوَائِبُهَــا بــالحِمْـلِ مكمُــومَـهْ

وقول بشر بن أبي خازم الأسديّ[٤] :

كــأنَّ حمــولَهُــمْ لَمَّــا اسْتَقَلَّــتْ نخيــلُ محلِّــمٍ فيهــا انحنــاءُ

وكقول امرىء القيس الذي عاش طفولَتَهُ مع أبيه في بني أسد[٥] :

وحَـدِّث بـأَنْ زالَـتْ بليـلٍ حُمـولُهُـمْ كَنَخْـلٍ مِـنَ الأَعْـراضِ غَيْـرِ مُنَبَّـقِ

وكقول حُمَيْد بن ثور الهلاليّ ، وكانت ديارهم بين الحجاز ونجد[٦] :

ولقـد نظـرتُ إلـىٰ الحُمـولِ كـأنَّهـا زُمَـرُ الأشيــاءِ بجــانِبَــيْ حَــرْسِ

وكقول حميد أيضاً[٧] :

فـآنَسْــتُ أَدْبــارَ الحُمُــولِ كَــأَنَّهــا مَخــارِفُ نَخْـلٍ لَـمْ تُكَمَّـمْ حَـوامِلُـه

---

(١) ديوانه : ٧ ـ ٨ . والحِدْج : مِن مَراكب النساء . والخلايا : السُّفُنُ العِظامُ . والنّواصف : مجاري الماء إلىٰ الأودية . ودَد : اسم موضع ؛ أراد : كأنّ حدوجَها بالنّواصِف خلايا سفينٍ .

(٢) المفضّليات : ٢٢٧ . والدَّوْم : ضَرْبٌ من الشَّجَر .

(٣) ديوانه : ١٢٨ ، وموسّقه : محمّلة بالثمار ، وذوائبها : أي أطرافها ، شديدة الاخضرار من الريّ .

(٤) ديوانه : ٢ ، ومحلّم : اسم نهر .

(٥) ديوانه : ١٦٨ ، والأعراض : قرى الحجاز ، وغير منبّق : غير مسطور في سطر واحدٍ .

(٦) ديوانه : ٩٧ ، والأشاء : النَّخل الصغار ، وحَرْس : جبلٌ في ديار عبس .

(٧) ديوانه : ١١٨ . والمخارف : جماعةُ النَّخْلِ . ولم تُكَمَّم : لم تُغَطَّ .

ولا ريب أنّنا إذا تتبّعنا أشعارَ كلِّ بيئة لاحظنا أَثَرَ البيئة في صُوَرِ شعرائها التي تأتي توضيحاً لمعانيهم .

ولا تقتصر الأساليبُ التي اتَّبعها شعراءُ كلبٍ لتوضيح معانيهم على التَّصويرِ البَيانيّ من تشبيه واستعارة وكناية ، بل نجد أَساليبَ أُخرى أَسْهَمَتْ في ذلك ، وهي ما نجده مِنْ استخدامٍ لما يُعْرَف **بالمحسّنات المعنويّة** ، ولا سيّماالطّباق والمُقابَلَة ، وكلاهما مبنيّ على أساسٍ مِنَ الجَمْعِ بين الأضداد في الشعر والنثر ، فإذا كان الجمعُ بين ضِدَّيْنِ كان طباقاً ، وإذا كان بين أكثر من ضِدّين كان مقابلةً[1] ، وأهمَّ ما يُؤدّيه الطّباقُ والمقابلة هو جلاءُ صورةِ كلِّ ضدٍّ ومعناه بضدّهِ ، إذْ تقومُ في العَقْلِ مُقارنةٌ بين كل منهما ، أو الجَمْعُ بين ضدّين للحكم عليهما بحكمٍ واحدٍ ، فمن الطِّباق قَوْلُ جَبَّار بن قرط في وَصْفِ فرسهِ[2] :

يُــراخينـــي إذا مـــا شِئْـــتُ مِنْهُـــمْ ويُــدْنينــي إذا كَــرِهُــوا جَنَــاحــي

فطابَقَ بين (يُراخيني) أي يُباعدني ، وبين (يُدنيني) ليثبّت في الذّهْنِ أنّ فَرَسَهُ يُنيْلُهُ مَطْلَبَهُ أيّاً كان ؛ ومن ذلك أيضاً قول الرَّبيع بن عَقِيل يخاطب أعداءَه متوعّداً إيّاهم بيومٍ يهزمونَهُم فيه بَدَلَ هزيمة قومِهِ[3] :

وتَسْخُــنُ مِنْكُــمْ أعيــنٌ بــاقتضــائنــا كمــا قــرَّ منكــم فيــه أمــسِ عيــونُ

فطابق بين (تسخنُ أعين) وبين (قرَّ عيون) ليبيّنَ الفرق بين فَرَحِهِمْ بالنّصر أمسِ وألَمِهِم للهزيمة غداً ؛ ومنه قول سُوَيْد بن الحارث بن حصن[4] :

آليــتُ لا أُعطيــكَ قَسْــراً ظُــلامَــةً ولا طــائعــاً مــا قَــدَّمَــتْ رِجْلَهــا قَــدَمْ

فطابق بين (قسراً) و(طائعاً) ليدُلّ علىٰ شدّةِ إبائِهِ وأَنَفَتِهِ ؛ وكقول امرىء القيس بن

---

(١) انظر العمدة: ٥٧٦ و٥٩٠ .
(٢) الديوان: ٢٢٩ .
(٣) الديوان: ١٦٣ .
(٤) الديوان: ١٩٦ .

الحُمام يشكو من هرمه[1] :

ومَـنْ يعـشْ زمنـاً فـي أهلِـهِ خَـرِفـاً ... كَـلاًّ عليهـم إذا حَلُّـوا وإنْ سـاروا
يَـذْمُـمْ مَـرارةَ عيـشٍ كـانَ أوّلُـهُ ... حُلْـواً ، وللـدَّهْـرِ إحْـلاءٌ وإمْـرارُ

فطابق في البيت الأوّل بين (حَلُّوا) و(ساروا) وعَلّق بهما صفةً واحدةً للشّيخ الفاني ، وهي كونه عبئاً علىٰ قومهِ في كِلْتا الحالَيْن ، ليؤكّد بذلك فِقْدانَ الحياةِ لِمَعْناها القائم في نَفْعِ القوم ؛ وطابق في البيت الثاني بين (مرارة العيش) التي بات يُحِسُّ بها وبين حلاوة أوله ، ليعمّق بذلك الإحساس بالمرارةِ من خلال تذكُّرِ حلاوة ما مضىٰ ، ثم عاد في آخر البيت ليجمع بين الإحلاء والإمرار في إناءٍ واحدٍ هو الدَّهر الذي ينضح بهذا تارةً وبذاك تارة أُخرىٰ .

ومن ذلك مطابقةُ جُماهِر الكلبيّ بين (الحُبّ) و(البُغض) ثم بين (الوُدِّ) و(العداوة) في قوله[2] :

أُكـاتِـمُ حُبّـي مـن ظـريفـة بـالتـي ... إذا استَبْصَرَ الواشونَ ظنّوا بها بُغضا
صُـدوداً عـن الحـيّ الـذيـن أَوَدُّهُـمْ ... كـأنّـي عـدوٌّ لا يَطُـورُ لهـم أرضـاً

ليدلّ بذلك علىٰ شدّة كتمانِهِ حُبَّه ، ومبالغته في مجانبة ديار الأحبّة .

ومنه مطابقة الوازِع بن ذؤالة بين (ضاق المرج) و(المرج واسع) ، وذلك في قوله[3] :

أتنسـىٰ الـذي أسـديْتُـهُ يـومَ راهِـطٍ ... وقد ضاقَ عنك المَرْجُ والمَرْجُ واسِعُ

ليؤكّد بذلك شدّةَ الكَرْبِ الذي كان فيه صاحبه يوم المرج حتى وَجَدَ أنّ المرجَ ضيّقٌ علىٰ رَغْمِ اتّساعِهِ .

إلىٰ غير ذلك من أمثلة الطباق الكثيرة في شعرهم الجاهليّ وغير الجاهليّ ،

---

(١) الديوان : ٨١ .
(٢) الديوان : ٦١٧ .
(٣) الديوان : ٦٢٩ .

والتي نجد إلى جانبها أمثلةً من المقابلة حين يأتي الشّاعر في شعره بلفظَيْنِ أو أكثر ثم يقابل ذلك بأضداده ؛ فمن ذلك قول زهير بن جَنَاب في أبياتهِ التي استعار فيها البِنَاءَ لمَجْدِ الآباء الذي تولاّه لئيمٌ من أبنائهم فأخْرَبَهُ[1] :

وزالَ عَمُــوداه ورثّــتْ حِبَــالُــهُ   وأُصْلِــحَ أُولاهُ وأُفْسِــدَ آخِــرُهْ

فقابل بين (أُصْلح أولاه) و(أُفْسِد آخِرُه) ليثبّت في الأذهان حقيقةَ ما يقومُ بهِ اللِّئام بمقارنة فعلهم بفعل الكِرام .

ومن ذلك قولُ زهير بن جَنَاب أيضاً يَصِفُ مُخالَفَةَ ابنِ أخيه إيّاه[2] :

أميـرُ خِـلافٍ : إنْ أقِـمْ لا يُقِـمْ معـي   ويَـرْحَـلْ ، وإن أَرْحَـلْ يُقِـمْ وَيُخـالِـفُ

فقابل بين (إنْ أُقِم لا يُقِمْ ويرحَلْ) وبين (إنْ أَرْحَل يُقم) ، ليؤكّد بذلك أَنَّهُ مخالفٌ له على كلّ حال .

ومنه قول مالك بن جَنَاب الأصمّ الكلبيّ[3] :

أصـمٌّ عـن الخنـا إنْ قِيْـلَ يـومـاً   وفـي غيـر الخَنَـا أُلْفَـىٰ سَمِيعـا

فقابل بين (أصمّ) و(الخنا) وبين (غير الخنا) و(سميعا) ، ليؤكّد بذلك شدّة انصرافِه عن الإصغاءِ للسَّيِّىء من القول ؛ ومن ذلك قول حِبال بن حِصْن[4] :

إنْ مـاتَ هَـزْلاً عَـدِيٌّ مِـنْ سَمـاحتِـهِ   أَوْ خَلَّـدَ الغُـسُّ فـي قـومـي فَلُـومينـي

فقابل بين (مات) و(عدي) الذي كان رجلاً شديد الكرم ، وبين (خَلَّد) و(الغُسّ) أي اللّئيم البخيل ؛ ليؤكّد بذلك لزوجهِ أنّه ما من أَحَدٍ يموتُ بسبب كرمِهِ وما من أحدٍ يُخَلِّدُهُ بُخْلُهُ .

---

(١) الديوان : ٤٢ .
(٢) الديوان : ٤٤ .
(٣) الديوان : ٣١٠ .
(٤) الديوان : ٦٣١ .

ومن ذلك أيضاً قولُ ثُمامة بن قيس وهو يعني مروانَ بنَ الحَكَمِ وَالضَّحّاكَ بن قيس الفهريّ يوم المَرْج(١) :

إِمامانِ : أمّا واحدٌ فعلى الهُدىٰ　　وآخَرُ يَدْعُو للضَّلالَةِ كاذِبُ

فقابل بين (واحد على الهدى) و(آخر يدعو للضلالة) وزاد على ذلك أنْ وصف بـ (كاذب) ؛ وجاء في بيته هذا بضربٍ آخر من المُحَسّنات المعنوية ، وهو التّقسيم ، ذلك أنّه قسّم أئمّة الناس أي رؤساءَهم إلىٰ ضَرْبَيْن : مَهْدِيٌّ وضَالّ ، وهذان هما صنفا الرؤساء لا ثالث لهما ؛ ومن التقسيم أيضاً ما جاء في قول زهير بن جَنَاب يُصَوّر حالَ بني بكر وتغلب بعد وقعةٍ لهم مع بني كلب(٢) :

فَهُمُ بين هاربٍ لَيْسَ يَأْلُو　　وَقَتِيلٍ مُعَفَّرٍ بالتُّرابِ

فجعلهم علىٰ ضربين : إمّا هارب وإمّا أَسير ؛ ولكنَّ هنالك قسمين آخرين لم يذكرهما ، وهما الأسرىٰ ، والسَّبْي ، ذلك لأنّه جاء علىٰ ذِكْرِهما في بداية القصيدة حين قال :

إِذْ أَسَرْنَا مُهَلْهِلاً وأَخاهُ　　وابنُ عمرٍو في القِدِّ وابنُ شِهابِ
وسَبَيْنا مِنْ تَغْلِبٍ كلَّ بَيْضا . . . ءَ رَقودِ الضُّحىٰ بَرُودِ الرُّضابِ

وثمّة أَضْرُبٌ أُخرىٰ من المحسنات المعنويّة التي شاركت في توضيح معانيهم وإبرازها مثل تأكيد الهجاءِ بما يشبه المدح ، كما في هجاء جوّاس بن القَعْطَل بعضَ القوم ، وقد استشهد به الخالديّان علىٰ هذا الضّربِ من أنواع البديع(٣) ، إذ قال جَوّاس(٤) :

رأيتُ أبا القعقاع لا يكرَهُ الخَنَا　　ولكنّه يسري إليه فيُسْرِعُ

(١) الديوان: ٦١١.
(٢) الديوان: ٣٤.
(٣) انظر حماسة الخالديين: ٣١٠.
(٤) الديوان: ٤٥٣.

يُحَسِّـــر رأســـاً لا يُقَنِّـــع للخَنَـــا ولكنّـــه للمَكْـــرُمَـــاتِ يُقَنِّـــعُ
ولا خَيْـــرَ فيـــهِ غَيْـــرَ أنَّ ســـوامَـــهُ يُعنِّـــي الّـــذي يَـــرْجُـــو نَـــداهُ ويَخْـــدَعُ

وقد جمع جوّاسٌ في بيتهِ الثاني بين تأكيد الذّم بما يشبه المدح وبين المقابلة ، إذْ قابلَ بين (يُحَسِّرُ رأساً لا يقنّع للخنا) وبين (للمكرمات يُقَنِّع) ، وزيَّن هذين الضّربين من المحسّنَات المعنويّة بمحسّنة لفظية هي رَدُّ العَجُز علىٰ الصَّدْر حين قال في أوّل البيت (يُقَنِّع) ثم كرّر اللّفظ نفسه في قافية البيت (يُقَنِّعُ) ، فجاء البيتُ مُجَلْجِلاً يتردّدُ صدىٰ أوّله في آخره .

ومن تلك المحسّنات المعنويّة ما يسمّىٰ بحُسْنِ التخلُّص ، فقد وجدتُ ذلك في قول القَعْقَاع بن حُرَيْث[1] :

تَبَصَّـــر يـــا بـــنَ مَسْعـــودِ بـــنِ قيـــس بعَيْنِـــكَ هـــل تـــرى ظُعُـــنَ القَطيـــنِ
خَـــرجْـــنَ مِـــن الغِمـــار مُشَـــرّقـــاتٍ يَميـــــلُ بهـــــنّ أزواجُ العُهـــــونِ
بِـــذَمّـــكَ يـــا امْـــرَأَ القَيْـــسِ اسْتَقَلّـــتْ رِعـــانُ غَـــوارِبِ الجَبَلَيْـــنِ دُونـــي

فقد بدأ بوصف الظعائن ثم تخلّص منها إلىٰ هجاء امرىء القيس بن عديّ الكلبيّ حين جَعَل تلك الظعائن تَحْمِلُ على ظهورها ذمّاً لامرىء القيس ؛ وهذا المكانُ هو الوحيدُ فيما اجتمع لدينا من أشعار بني كلب من حسن التخلُّصِ ، ولا عجب في ذلك لأنَّ شعراء العرب القدماء لم يكونوا يهتمّونَ كثيراً بأمر الانتقال من غرضٍ إلى آخر من أغراض قصائدهم ، وكان أشهر أساليبهم أن يقول أحدهم (دع ذا) أو (عَدِّ عن ذا) ثم يأخذ فيما يريد ، أو أن يأتي بـ (إنّ) المشدّدة في ٱبتداء الغَرَض الجديد الذي يريده ، بينما اهتمَّ بهذا الضّرب المُوَلَّدون[2] .

ومنها ما يُسَمَّىٰ بالتشكيك ، وقد عدّه ابنُ رشيق « مِنْ مُلَح الشِّعْرِ وطُرَفِ الكلام ، وله في النّفس حلاوةٌ ، وحُسْنُ موقعٍ ، بخلاف ما للغُلُوِّ والإغراق ،

---

(١) الديوان : ١٤٧ .
(٢) انظر العمدة : ٤١٥ .

وفائدتُه الدّلالَةُ علىٰ قُربِ الشَّبَهيْنِ حتى لم يُفْرَق بينهما ، ولا يُميَّزُ أحدهما من الآخر[1] » ، وضرب علىٰ ذلك مثالاً بقول زهير بن أبي سُلمى[2] :

وما أدري ـ وسوفَ إخالُ أدري ـ أقومٌ آل حِصْنٍ أَمْ نساءُ

وذَكَرَ أنّ هذا أمْلَح من أن يقول : هُم نساء ؛ ووقفتُ على مثالٍ واحدٍ في أشعار كلب ، وهو قول عمرو بن الأسود الكلبي يحضُّ قومَهُ علىٰ بطنٍ آخر من بني كلب[3] :

وإنْ يكُ صادِقاً بالتَّيْمِ ظنّي يَشُبُّ الحَرْبَ ألْوِيَةٌ كِرَامُ
فما أدري ـ وعلّي سوف أدري ـ أَحِلٌّ مالُ أَهْبٍ أَمْ حرامُ

فهذا يُظْهِرُ أنّه لا يدري أكانَ يحلّ لهم أنْ يغنموا أموال بني أَهب أم لا يحلّ ، مع أنّه دعا إلى حربهم التي تجرُّ أَسْرَ الرّجالِ وسَفْكَ الدّماء ؛ ولا ريب أنّ ذلك أملحُ من أن يقول : إنّ أموالَهم حِلٌّ لكم .

ومن ذلك التَّكْرارُ ، وهو أن يكرّر الشّاعر لفظاً أو معنىً من المعاني ، وأكثر ما يقع ذلك في الألفاظ دونَ المعاني ، وله مواضع يَحْسُنُ فيها ومواضِعُ يقبُحُ فيها ، ويكونُ التكرار لأسباب مختلفة ، فمنها ما يكون على جهة التَّشَوُّق ، ومنها ما يكون على جهةِ الاستعذاب ، ومنها ما يكون على سبيل التّنويهِ بالممدوح والتعظيم له ، أو على سبيل التوبيخ للمهجوّ أو الهزء به ، أو على سبيل التَّوجُّع للمَرْثيّ ؛ وقد استُحْسِنَ ذلك في باب الرّثاء كما في شعر الخَنْساء ومتمّم بن نويرة[4] ، ومن أشهر ما استُحْسِنَ من تكرار شعراء بني كلب قولُ ميسون بنت بحدل[5] :

لَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأرواحُ فيهِ أحبُّ إلَيَّ مِنْ قَصْرٍ مُنِيفِ

---

(١) العمدة: ٦٧٠.
(٢) ديوانه: ٦٥.
(٣) الديوان: ٧٢.
(٤) انظر العمدة: ٦٨٣ـ٦٩٤.
(٥) الديوان: ٥٢٨.

وبَكْــرٌ يَتْبَــعُ الأظعــانَ صَعــبٌ أحــبُّ إلــيَّ مِــنْ بَغْــلٍ زَفُــوفِ
وكلــب ينبــحُ الطُّــرَّاقَ دونــي أحــبُّ إلــيَّ مِــنْ قِــطٍّ أَلُــوفِ
ولُبْــس عَبــاءةٍ وتَقَــرَّ عَيْنــي أَحَــبُّ إلــيَّ مِــنْ لُبْــسِ الشُّفــوفِ
وَخِــرْقٌ مــن بنــي عَمّــي نَجيــبٌ أحــبُّ إلــيَّ مِــنْ عِلْــجٍ عَلِيــفِ

وقد أرادَتْ من ذلك التكرار كلّه تأكيدَ معنىً واحد وهو أنَّ عيشها في البادية مَعَ خشونته أحبُّ ممّا هي فيه من عيشٍ منعَّم في قصر زوجها الخليفة معاوية بن أبي سفيان .

ومن التكرار في أشعارهم ما جاء في قول عبد العزّى بن امرىء القيس حين أراد الحارث بن مارِيَةَ الغسّاني قتله في خبرٍ لهم بعدما كان عبدُ العزىٰ قد أهدىٰ له أفراساً[١] :

جَــزانــي ـ جَــزاهُ اللهُ شــرّ جــزائِــه ـ جَــزاءَ سِنِمَّــارٍ ومــا كــانَ ذا ذَنْــبِ

فكرّر كلمةَ الجزاء في هذا البيت أربع مرّات ليدلَّ بذلك على استنكاره جَزاء المَلِكِ إيّاه ، دون أن يكون في ذلك التكرار ما يُسْتَقْبَح ، لأنّه عَلّق كلَّ واحدةٍ منها بمعنى يختلف عن المعنى الآخر ، ففي المرّة الأولى التفت إلى جزاء الحارث له ، وحمّل الثانية الدُّعاءَ عليه ، وبيّن في الثالثة أنّ جزاءَهُ كان شَرّاً ، واستحضر في الرابعة قصَّة سِنِمَّار وجزائه في خبره مع بعض الملوك .

ومن التكرار ما جاء في قول ليلى بنت الأَحْوَص تَرْثي ابنَها بِسْطامَ بن قيس الشيبانيّ وكان فارساً سيِّداً[٢] :

سيبكيـكَ عـانٍ لـم يجـدْ مَـنْ يفكُّـهُ ويبكيـكَ فـرسـانُ الـوغـىٰ ورجـالُهـا
وتبكيـك أسـرىٰ طـالمـا قـد فككتهـم وأَرْمَلَـةٌ ضـاعَـتْ وضـاعَ عيـالُهـا

فكرّرت لفظ البكاء لتؤكد أنّ الرُّزءَ به عامٌّ لِمَنْ افتدىٰ من الأسرى ولمَنْ كان يحارب

---

(١) الديوان : ١٠٤ .
(٢) الديوان : ٨٦.

معه ، ولمَنْ سيقع في الأسر ، وللأرامل واليتامى .

ومنه قولُ زهير بن جَناب يهزأ بغطفان[1] :

فخلِّـــي بعـــدهـــا غَطَفـــانُ بُسّـــاً وَمـــا غطفـــانُ والأرضُ الفضـــاءُ

فكرّر ذكر (غطفان) هزءاً بهم واستصغاراً لهم ، فحَسُنَ تكراره ، ولولا ذلك لأَبْدَلَهُ بالضَّمير .

ومنه قولُ حارثة بن صَخْرٍ يبكي ابنَه جَناباً حين أسلم وهاجر إلى المدينة[2] :

فـــلا وأَبيـــكَ مـــا بـــالَيْـــتُ وَجْـــدِي ولا شَـــوْقـــي الشَّـــديـــدَ ، ولا اكتئـــابـــي
ولا دَمْعـــاً تجـــودُ بـــه المـــآقـــي ولا أَسَفـــي عليـــكَ ، ولا انْتِحـــابـــي
فعَمْـــرَكِ لا تَلُـــومينـــي ولُـــومـــي جَنـــابـــاً حيـــن أزْمَـــعَ بـــالـــذَّهـــابِ
إذا هَتَـــفَ الحَمـــامُ علـــىٰ غُصـــونٍ جَـــرَتْ عَبَـــراتُ عَيْنـــي بـــانْسِكـــابِ
يُـــذَكِّـــرُنـــي الحَمـــامُ صَفِـــيَّ نَفْسِـــي جَنـــابـــاً ، مَـــنْ عَـــذِيـــري مِـــنْ جَنَـــابِ

فكرّر في البيتين الأوّلين النفي بـ(ما) و(لا) سبع مرّاتٍ ، للتعبير عن عدم اكتراث ابنِه بمشاعره ومَوَاجِدِهِ ، ثم كرَّر في الأبيات التّالية اسمَ ابنِه الذي فارقَهُ ثلاث مرّات ، ليكشف ذلك التكرارُ عن شدّةِ اشتياقه إليه وتعلُّق نفسِه به .

ولو أنّنا ذهبنا نبحث عن ضروب أُخرىٰ من المحسّنات المعنوية لوقفنا على أمثلة لها في شعرهم ، ولكنّ الغرض هو الوقوف عند أَهَمِّ ما يُلاحَظ ويلفت النظر من تلك المحسّنات ، لتأكيد الهدف من وُرُودِها ، وهو تَوضيح مَعانيهم وتأكيدها .

وكما كانَتِ الصُّوَرُ البَيانيّة والمُحَسنات المعنوية وسيلةً لتوضيح معانيهم وإبرازها كذلكَ استخدموا **الأمثال الحسّية** للغرض نفسه ، ذلك أنَّ المثل يتوفّر فيهِ من أسباب البيان ما يجعله وسيلةً راقيةً من التّعبير ، إذ نجده يكثّف قِصّةً في كلمات مُوجَزة مع

---

(١) الديوان : ٣١.

(٢) الديوان : ١٤٠ .

إصابته للمعنى ، وجودة التشبيه باستخدامه[١] ، فَغَايَةُ المَثَلِ أَنَّهُ يجلو المعنى ويؤكّده ويُثبّتُه في الذّهن ويقرّبه إلى المُتَلَقّي لكونه ممّا عَرَفَ وحَفِظَ مِنْ قَبْلُ[٢] ، والمَثَلُ فيما اجتمع لدينا من أشعار بني كلب منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أميّة يجري مجراهُ في أشعار العرب لذلك الزَّمان ، أي إِنَّهُ إنَّما يأتي في ثنايا الشّعر قليلاً دون تكلُّفٍ ، ليكونَ زينةً في الشعر كالشّامة في خَدِّ الحَسْناء مع ما يُقدّمه من جلاء المعنى المُراد ؛ فالمَثَلُ في شعرهم يختلف عن المَثلِ في شعر بعض المُوَلَّدين الذين أُغْرِموا به وتكلّفوه فأكثروا منه في أشعارهم كصالح بن عبد القدوس[٣] ؛ فعندما أراد زهير بن جناب أنْ يُصوّر تفرّق بني نهد القضاعيّين في القبائل وتشتُّتَهم في البلاد قال[٤] :

ولَـم أرَ حيّـاً مِـن مَعَـدٍّ تَفَـرَّقـوا   تَفَـرُّقَ مِعْـزىٰ الفِـزْرِ غيـر بنـي نَهْـدِ

وتفرُّق مِعْزى الفِزْرِ مَثَلٌ عند العرب ، إذ كانَ لِسَعْدِ بنِ زيدِ مَنَاة بن تميم مِعْزىٰ ، فأمر أبناءَه واحداً بعد واحدٍ برَعْيها وهم يأبَوْنَ عليه ، فجمع الناسَ وقال : من أَخَذَ منها واحدةً فهي له ، ولا يُؤخَذُ منها فِزْرٌ ، أي اثنان فأكْثَرَ ، فأَخَذَهَا الناس في ساعةٍ وتفرّقَتْ في البلاد ، فلُقِّبَ بالفِزْر ، وقيل في المثل : (لا آتيكَ مِعْزى الفِزْر) أي حتى تجتمع ، وهي لا تجتمع أبداً .

وكان عبدُ العزّى بن امرىء القيس قد أَهْدىٰ للحارث بن مارِيَةَ الغسّانيّ الملك أَفْراساً وحدّثَهُ فأُعجِبَ بهِ وقرّبَه ، ثم أراد الحارثُ قَتْلَهُ في خبرٍ له ، فضرب عبدُ العُزَّىٰ لذلك مثلاً من أمثال العرب وهو (جزاء سِنِمَّار) ، فقال[٥] :

جَـزانـي ـ جـزاهُ اللهُ شَـرَّ جَـزائِـهِ ـ   جَـزاءَ سِنِمَّـارٍ وَمَـا كـانَ ذَا ذَنْـبِ

ثم استَطْرَدَ يَقُصُّ خَبَرَ سِنِمَّارٍ المشهور في عددٍ من أبيات قصيدتِهِ متّخذاً من تلك

---

(١) انظر مجمع الأمثال ١ : ٦ .
(٢) انظر العجّاج ، حياته ورجزه : ٣٥١ .
(٣) انظر العمدة : ٤٨٧ .
(٤) الديوان : ٣٨ ، وثمّة مصادر المثل .
(٥) الديوان : ١٠٤ ، وثمة مصادر المثل .

القصة معادلاً لقصّتِه مع ابن ماريَة .

وأراد مسروحُ بنُ أَدْهَمَ أنْ يَهْجُوَ النابغة الذّبيانيّ ويبيّن شِدَّةَ كراهته لبني كلبٍ وقد أفْلَتَ منهم بعدما أشرف علىٰ الهلاك ، فضربَ له مَثَلَيْن في بيتين ، فقال[1] :

ولقد رأيتُ فواساً من قومنا غَنَظُوكَ غَنْظَ جَرادَةِ العَيَّارِ
ولقد رأيتَ مكانَهم فكرِهْتَهُم ككَراهَةِ الخِنْزِيرِ للإِيغارِ

فأفادَ في البيت الأول من ضَرْبِ العربِ المَثَلَ بجرادةِ العيّار ، وكان العَيَّارُ رجلاً من بني كلب صادَ جَراداً وهو جائعٌ ، فَدَسَّهُنَّ في رَمادٍ وجَعَل يُخْرِجُهُنَّ واحدةً بعد واحدةٍ فيأكلهنَّ أحياءً وهو لا يشعر من شدّةِ الجوع ، فأخَذَ واحدةً فطارتْ ، فقال : واللهِ إنْ كنتِ لأَنْضَجَهُنَّ ، وقيل : إنّه كان أَثْرَمَ فخرجَت الجرادةُ بعدما وَضَعَها في فمِه من موضعِ الثَّرمِ بعد مُكابَدَةِ العَناء ؛ فضَرَبَتِ العَرَب بها المثَلَ لكلِّ مَنْ نَجا بعد إشرافهِ علىٰ الهلاكِ . وأفاد في البيت الثاني من قول العرب في المثل (كَرِهَتِ الخنازيرُ الحميم الموغَرَ) ، ذلك أنّ قوماً كانوا يأخذون الخنزير فيضَعُونَهُ في الماء وهو يغلي وينتفونَهُ حيّاً .

ونجد أمثلةً أخرى أفادوا فيها من أمثال العرب في شعرِ دِحْيَةَ الكلبيّ[2] ، وشعر جَوّاس بن القعطل[3] ، وشعر المُثَلّم الكلبي[4] .

وإذا كانت تلك الأمثالُ ممّا كان شائعاً بين العرب فإنَّ بعضَ أشعار كلبٍ تحوّلَتْ إلى أمثال ، مثلَما تحوّلَ كثيرٌ من أشعار العرب إلىٰ أمثال ، ولكنّ ذلك في أشعار كلب قليل ، إذْ لم أجد إلاّ بيتين ، أحدهما قولُ قراد بن أَجْدَع[5] :

فإنْ يَكُ صَدْرُ هٰذا اليومِ وَلّىٰ فإنَّ غَداً لِناظِرِهِ قَريبُ

---

(١) الديوان : ٢٥٤ ، وثمّة مصادر المثلين .
(٢) انظر الديوان : ٣٥٧ ، في التعليق على البيتين الخامس والثامن .
(٣) انظر الديوان : ٤٥٠ ، في التعليق على البيت السابع .
(٤) انظر الديوان : ٦٧٥ ، في التعليق على البيت الثالث .
(٥) الديوان : ١٨٠ ، وانظر تخريجه ، ص : ٨٦٥ .

إذ صار الشطر الثاني مثلاً ؛ والثاني هو قول زهير بن جناب[(١)] :

قـد تُخْـرِجُ الخَمْـرُ مـنَ الضَّنيـنِ

وهذا ليسَ بشيءٍ إذا ما قِيسَ بما ذَهَبَ مَثَلاً مِن أشعار بني أَسَد[(٢)] ، أو ما ذهب مَثَلاً مِن شعر هذا الفحل أو ذاك مِن فحُولِ الشُّعَراء ، كالفرزدق[(٣)] .

إنَّ ما سبقَ الحديثُ حولَهُ من الصُّور البيانية والمحسّنات المعنوية والأمثال ، يُعَدُّ ضَرْباً من الصَّنْعةِ في الشّعْرِ ، ولكنّ هذه الصَّنعة كما لاحظنا لم تكن مُتكلِّفة كما هو الحالُ لدى أصحاب الصنعة من شعراء العصر العبّاسي كأبي تَمّام ومُسْلِم بن الوليد وأشباههما ، وإنّما هي وَسيلةٌ من وسائل التعبير الفنّي عند الشعراء عامّة ، نجد أمثلتها في أشعارهم كما نجد لها أمثلةً في أشعار سائر القبائل ، وتتميّز عندهم جميعاً بمزيّة واحدةٍ هي الطّبْعُ وعدم التّكَلُّف .

ولا شكَّ في أنّ الأمثال التي استمدّها شعراءُ بني كلب ممّا تَوارَثَه العرب تُعَدُّ مِنْ **مَصْادِرِ المعاني** التي وردتْ في أشعارهم ؛ ونجد إلى جانب هذا المصدر مصادرَ أخرى ، منها معتقدات الجاهليّة وأعرافها وأوابدها في أشعار الجاهليّين منهم خاصّة ، وأخبارُ العصور السابقة وعِبَرُها ، وأشعار السابقين ، وما استجدَ بعدَ الإسلامِ من أفكار دينية أو سياسيّة ، مع التأثير القرآنيّ في أشعار مَنْ جاء بعد الإسلام خاصّة .

فنجد في أشعار الجاهليّين أَثَرَ تلك الحياة التي كانوا يَحْيَوْنَهَا ، والعقائد التي يعتقدونَها ، والعادات والأعراف التي كانوا يُراعُونها ؛ فمن ذلك أنّه كان من أوهامهم وأوابدهم أنّ الجنَّ تتراءَىٰ للنّاس وتخطفهم وتقول الأشعار ، ومنهم من كان يزعم أنّه تزوج ببعضها ، إلىٰ ما هنالك من أمور ، وقد وَرَدَ ذكرُ الجنّ في شِعْرِ

---

(١) الديوان : ٥٩ ، وانظر تخريجه ، ص : ٨٤٣ .

(٢) انظر شعراء بني أسد ١ : ٣١٤ـ٣١٩ .

(٣) انظر : الفرزدق : ٤٧٢ـ٤٧٣ .

مُرَيْنٍ الكلبيِّ ، وكان لصّاً مُغِيْراً ، فٱختفىٰ اثنان من إخوتِهِ وكان غائباً في خبرٍ لهم ، فزعموا أنّ الجنَّ اختَطَفَتْهُما ، فذهب مُرَيْنُ يطلبُ ثأرَهُ ، فزَعَمَ أنّه غزا الجنَّ وحكىٰ خبره معهم ، وأنّه قتَل جِنّيّاً تراءَىٰ له بهيئةِ ذَكَرِ نعامٍ ، ثمَّ ناداه آخَرُ من رأسِ صخرةٍ داعياً عليهِ ببيتين من الرّجز لقتله ذكَرَ النّعام ، فردّ عليه مُرَين ، ثم أصابَتْهُ حُمّىٰ فجاءَ الجنّيُّ فأخذَهُ ، ثم خلّىٰ سبيلَهُ بَعْدَ ذلك ، فحكى ذلك في أبياتٍ له مطلعها[1] :

ألا مَــنْ مبلــغٌ فِتْيــانَ قــومــي ... بمــا لاقيــتُ بعــدَهُــمُ جميعــا

وقد سبق أن ناقشت هذه الأبيات من قبل[2] .

وكان منهم من يتطيّرُ بالغرابِ ونحوهِ من الطّيور ، ومنهم مَنْ ينكر ذلك ، وقد مَدَحَ خُثَيْمُ بنُ عديّ بعضَ قومهِ بأنّه لا يلتفتُ إلىٰ شيءٍ من ذلك فيرجع عَنْ مَقْصدِهِ كما يرجعُ الرّجالُ الضُّعَفَاء ، فقال[3] :

وليــسَ بهيّــابٍ إذا شــدَّ رَحْلَــهُ ... يقــولُ : عَـدَاني اليـومَ واقٍ وحـاتِـمُ
ولكنَّــه يَمْضــي علــىٰ ذاكَ مُقْــدِمــاً ... إذا صَـدَّ عَـنْ تلـكَ الهنـاتِ الخُثَـارِمُ

ومنهم مَنْ كان يؤمِنُ بأثَرِ الكواكب والنّجوم في المواليد ، كما أنّه كان من عاداتهم أنْ يُعلّقُوا الحَلْيَ علىٰ اللّديغِ خشيةَ أنْ ينامَ فيسري فيه السُّمُّ ؛ وقد ذكر ذلك خُثَيْمُ بن عديّ فقال[4] :

ولكنِّــي وُلِــدْتُ بنَجْــمِ نَحْــسٍ ... لِبَيْضَــاءِ الــذّوائِــبِ حَيْــزَبُــونِ
يَظَــلُّ سَلِيمُهــا تَجْــرِي عَلَيْــهِ ... جُــروسُ الحَلْــيِ مُخْتَلِـفَ الشُّــؤُونِ

وممّا كان من الأعراف لدى الجاهليّين أنْ يأخُذَ رئيسُ القوم ربع الغنيمة ، وهو المِرْبَاعُ ، وذكر ذلك الأصبغُ بن عمرو في شعره وهو يبكي ابنَهُ جُنْدُباً[5] :

---

(١) الديوان : ٩١ .
(٢) انظر ما سبق ، ص : ٢٦٨ .
(٣) الديوان : ٩٩ .
(٤) الديوان : ١٠١ .
(٥) الديوان : ٣٧٤ .

نَسَـأْتُهـا وتـركْـتُ خلفـي جُنْـدُبـاً   مَـرْحـىٰ ، كـأنّـي رُحْـتُ فـي مِـرْبـاعِ

ومن أعرافِهم أنّ الرَّجُلَ إذا أَخَذَ رَهِيناً وحانَ الوَقْتُ المشروط كان ذٰلك الرهينُ من حَقّ المرتَهِنِ ؛ فيُقال عندئذٍ للرهين : قد غَلِقَ ، فذكر ذلك سويد بن الحارث فقال[١] :

أمـا تـرضـىٰ بِـدَخْنَـةَ دونَ زَيْـدٍ   وعَـزَّ علـيَّ لـو غَلِـقَ الـرَّهيـنُ

إلى غير ذلك من أعرافٍ ومعتقداتٍ يَرِدُ ذكرها في شعرهم[٢] .

كما كانت معرفتهم بالأخبار والأيّام ترفِدُهم بمعانٍ أُخرىٰ ، فهذا زهيرُ بنُ جَنَاب يذكُرُ فِعْلَ الأيام بالنّاس ، وأنّها لا تُبْقي علىٰ أحد ، ثم يضربُ علىٰ ذلك مثلاً بِنَيْلها من سليمان عليه السَّلام ، ويذكر طَرَفاً من خبرهِ يدلُّ علىٰ ما كان له من التّمْكِين في الأرض ، فيقول[٣] :

ضَـلالاً لِمَـنْ يَـرْجُـو الفَـلاحَ وَقـد رأىٰ   حَـوادثَ أيّـامٍ تَحُـطُّ الـرَّوَابِيَـا
أَصَبْـنَ سُلَيْمَـانَ الّـذِي سُخِّـرَتْ لَـهُ   شَيـاطيـنُ يَحْمِلْـنَ الجبـالَ الـرَّواسِيَـا

ولا عجبَ في ذلك لأنَّ سليمانَ عليهِ السَّلامُ معروفٌ عند العرب قبل الإسلام[٤] .

وكذلك استفادَ جوّاس بن القَعْطَل من معرفتِه بالحروب التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الإسلام ، ومنها حربُ سُمَيْرٍ وحربُ حاطبٍ ، فقال[٥] :

وَلَـوْ ثَقِفَتْـهُ بـالكَثيـبِ خُيُـولُهُـمْ   لأَوْدَىٰ كَمَـا أَوْدَىٰ سَمِيْـرٌ وَحَـاطِـبُ

واستفاد جوّاسٌ أيضاً من معرفتِه بأخبار كُلَيْبِ وائلٍ وتعدِّيهِ على قومهِ الّذي أدّىٰ

---

(١) الديوان : ١٩٦ .
(٢) انظر شعر زهير بن جناب ، ص : ٤١ ؛ وشعر عبد العزّى بن امرىء القيس ، ص : ١٠٤ ، وشعر حارثة بن العبيد ، ص : ١٥٨ ؛ وشعر عمرو بن زيد ، ص : ١٧٤ .
(٣) الديوان : ٦١ .
(٤) انظر ديوان النابغة : ٢٠ ، وديوان الحطيئة : ١٢٨ .
(٥) الديوان : ٤٤٤ .

إلىٰ قَتْلِهِ ، وإلى افتراق بكر وتغلب وحروبهما ، ومن معرفتهِ أيضاً بحروب داحس والغبراء بين حَيَّيْ غَطَفان عبسٍ وذُبيان ، فقال(١) :

يــا قَــوْمَنــا لا تَظْلِمُــونــا حَقَّنــا ... والظُّلْــمُ أَنْكَــدُ غِبُّــهُ مَشْــؤُومُ
قــد نــالَ بــالقَصْبَــاءِ منــهُ وائــلاً ... يــومٌ أصــمُّ علــىٰ الــرّقــابِ غَشُــومُ
وتهــالكــتْ غطفَــانُ فيــه فــدارُهــا ... مــوروثــةٌ ، وإنــاؤُهــا مثلــومُ

علىٰ أنّ أبيات جَوّاسٍ هذه ربّما يكون مَصْدَرُ بعض معانيه فيها تأثُّرَهُ بأبياتٍ لعبّاس بن مرداس السُّلَمِيّ ، وذلك أنّ عبّاسَ بن مرداس خاطبَ كُلَيْبَ بْنَ عَهْمَةَ السُّلَميّ ويحذّرُهُ غِبَّ الظُّلْمِ(٢) :

أَكُلَيْــبُ مَــالَــكَ كُــلَّ يــومٍ ظــالِمــاً ... والظُّلْــمُ أَنْكَــدُ وَجْهُــهُ مَلْعُــونُ
فــافْعَــلْ بقَــوْمِــكَ مــا أرادَ بــوائــلٍ ... يــومَ الغَــدِيــرِ سَمِيُّــكَ المطعــونُ

مع أنَّ وصف الظُّلم بأنّه أنْكد ممّا وَرَدَ عند شعراء آخرين ، كقول حُجْر بن عُقْبَةَ الفزاريّ(٣) :

أَيَــا لَــوْمَــةً مــا لمــتُ نفســي عليهِــمُ ... وهــم ظَلَمُــونــي ، والتَّظــالُــمُ أنْكَــدُ

فأشعار السّابقين ومعانيهم المُتَدَاوَلة كانت من مصادر أشعار بني كلب أيضاً ، ونجد ذلك في قول المنذر بن وبرة الكلبيّ يَرْثي ملوكَ الحيرةِ وأبناءَهم بَعْدَ فتحها من أبيات(٤) :

سُنَّــةٌ سنَّهــا أبــوهــم فَــأَمْسَــوْا ... مــا أفــادوا مِنْهــا شِبــامَ عَنَــاقِ

فإنّ هذاالبيت يشبهُ في وَزْنِه وقافيتِه وصورتِه قول عدي بن زيد العباديّ ، وهو من شعراءِ الحيرة(٥) :

---

(١) الديوان : ٤٦٢ .
(٢) شعر عباس بن مرداس : ١٥٦ ، وانظر الأغاني ٥ : ٣٨ .
(٣) الوحشيّات : ٨٢ .
(٤) الديوان : ٢١٤ .
(٥) اللّسان (شبم) .

لَيْسَ للمَرْءِ عُصْرَةٌ من وِقاعِ الدْ . . . دَهْرِ تُغْنِي عَنْهُ شِبامَ عَنَاقِ

فقد ضرب كلا الشاعرين من العُودِ الذي يُوثَقُ مُعْتَرِضاً في فمِ العَنَاقِ مِنْ وَلَدِ المَعْزِ لئلاّ يرضع ـ ضَرَبا ذلك مثلاً للشيء القليل ؛ ويُرَجِّح هذا التشابُهُ أن يكون المنذرُ قد تأثّر بعديّ .

ونجد عمرَو بن مَخلاةِ الكلبيّ يتحدّث عن هروب بعض فرسان قيس عيلان يوم مرج راهط فيقول[1] :

ونجّىٰ حُبَيْشاً مُلْهِبٌ ذو عُلالةٍ وقد حُزَّ مِنْ يُمنىٰ يَدَيْهِ الأصابعُ

فهذا البيتُ يكاد شطره الأوّل يُطابق الشَّطْرَ الأوّل من قولِ حارثة بن أوس الكلبيِّ يصفُ فِرارَ إياس بن قَبيصةَ منهم يوم سُيَيْفٍ في الجاهليّة[2] :

ونجّىٰ إياساً سابحٌ ذو عُلالةٍ مُلِحٌّ إذا يعلو الحَزَابيَّ مُلْهِبُ

وقد ورد التعبير نفسُه في شعرٍ للنجاشي الحارثي قاله في حَرْبِ صِفّين ، فقال[3] :

ونجّىٰ ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالَةٍ أَجَشُّ هَزيمٌ والرِّماحُ دَوانِ

وممّا ورد في شعر النجاشي ذلك قولُه[4] :

حَسِبْتُم طِعانَ الأَشْعَرَيْنِ ومالِكٍ وكندةَ أَكْلَ الزُّبْدِ بالصَّرَفانِ

والصَّرفان ضَرْبٌ جيّدٌ من التَّمْرِ ، ونجد في شعر عمران بن هلباء الكلبيّ هذا المعنى في قوله[5] :

أكنتُم حسبتُمْ ضَرْبَنَا وجِلادَنا علىٰ الحجْرِ أَكْلَ الزُّبْدِ بالصَّرَفَانِ

فإمّا أن تكون هذه العبارة ممّا كان شائعاً ، أو أنّ عمرانَ أخذها عن النّجاشي لتقدُّمه .

---

(١) الديوان : ٤٧٤ .
(٢) الديوان : ١٢٦ .
(٣) انظر وقعة صفّين : ٦٠١ـ٦٠٥ .
(٤) انظر المصدر نفسه .
(٥) الديوان : ٥٠٢ .

ومِنْ مصادر شعرهم معانٍ تداوَلَها الشُّعَراءُ منذُ القديم ، ومن تلكَ المعاني الإنكار علىٰ بعض الناس لجوءَهم إلىٰ الشّاعر أو قومِه عند الضّرّاء ، وتَناسيَهُمْ عند السَّرَّاء كقول طُفَيْلٍ الغنوي[1] :

أَفِــي الله أنْ نُــدْعــىٰ إذا مــا فَــزِعْتُــمُ ... ونُقْصَــىٰ إذا مــا تــأمَنُــونَ ونُحْجَــبُ

وقول رجلٍ من طيّىء[2] :

إذا ما هِيَ احْلَولَتْ نَفَىٰ حَظَّ مَقْسِمي ... ويَقْسِــمُ لــي منهــا إذا مــا أَمَــرَّتِ

أي الدنيا ، وكقول الرَّبيع بن أَبي الحُقَيْق[3] :

أَنَــا ابــنُ عَمِّــكَ مــا نــابَتْــكَ نــائبــةٌ ... ولَسْــتُ مِنْــكَ إذا مــا كَعْبُــكَ اعْتَــدَلا

فنجد هذا المعنى في شعر جَوّاس بن القَعْطَل الكلبيّ إذ يقول[4] :

أَنَــا المُنــادىٰ إذا مــا السَّيْــفُ أَرْهَقَكُــمْ ... وفــي الــرَّخــاءِ فيُــدعــىٰ دُونَنَــا حَــدَسُ

ومن المعاني المُتداوَلة التعيير بأخذ الدِّيَة ، أو النّهي عن أخذها ، لأنّ المالَ يَذْهبُ وتبقىٰ مَذَلّةُ تَرْكِ الأخذ بالثأر ، نجد ذلك مثلاً في قول عَبْدَةَ بن تَوْءَم العِجْليّ من أبيات[5] :

وَقَــدْ يــذهــبُ المــالُ الكثيــرُ زُهَــاؤُهُ ... وتَبْقَــىٰ دنيّـــاتُ الأمـــورِ تَلُـــوحُ

وقول الجَرَّاح بن عبد الله بن الجَوْشَن الغَطَفانيّ من أبيات[6] :

أَلَــمْ تَــرَ أَنَّ المــالَ يــذهَــبُ دَثْــرُهُ ... وتَغْبُــرُ أقــوالٌ وتبقــى المَعــايِــرُ

وقول بلال بن جرير[7] :

---

(١) الوحشيّات : ٩١ ، ونبّه المحقّق على أنّه ليس في ديوانه ، ويُروى لغيره .
(٢) الوحشيّات : ٩١ .
(٣) الوحشيّات : ٩٢ .
(٤) الديوان : ٤٥٢ .
(٥) الوحشيّات : ٧٩ .
(٦) الوحشيات : ٨٠ .
(٧) الوحشيّات : ٨٠ .

رَأَيْتُكُمَا يـا ابْنَـيْ أَخِـي قـد سَمِنْتُمـا ولا يُـدْرِكُ الأوتـارَ إلاّ المُلَـوَّحُ

وجاء هذا المعنى في شعر جَوّاس بن القعطل الكلبي إذ يقول[1] :

تَبْقـى خَـزايـةُ قَـوّالٍ ومَصْـرَعـه بَنـي أُبَـيٍّ ومـا تَبْقـىٰ الـدَّنـانيـرُ

ومن المعاني المتداولة أيضاً الفَخْرُ بترك المَواضِع الخَفِيّة والنزول في مواضع بارزة ثقةً بقوّة العشيرة ومَنَعَتِها ، أو الهجاء بعكس ذلك ؛ فمنه قول الأخنس بنِ شِهاب التّغلبيّ[2] :

ونَحْـنُ أُنـاسٌ لا حِجـازَ بـأَرْضِنَـا مَعَ الغَيْثِ ما نُلْقىٰ ومَنْ هُوَ غالِبُ

وقول حميد بن ثور الهلاليّ[3] :

إلـىٰ أنْ نَـزَلْنـا بـالفَضَـاءِ ومـا لَنَـا بِـهِ مَعْقِـلٌ إلاّ الـرِّمـاحُ الشَّـواجِـرُ

ومن أقدم من جاء بهذا المعنى زُهَيْر بن جَنَاب الكلبيّ ، إذ يُعَدُّ من أوائل الشّعراء الذين وصلَتْ إلينا أخبارهم وأشعارُهم ، وذلك في قوله مُلِحّاً علىٰ هذا المَعْنى[4] :

فـإنّـا حيـث لا نَخْفَـىٰ عليكُـمْ لُيُـوثٌ حيـثُ يَحْتَضِـرُ اللِّـواءُ
فَخَلِّـي بعـدَهـا غَطَفـانُ بُسّـاً ومـا غطفـانُ والأرْضُ الفضـاءُ
فقـد أضحـىٰ لحـيٍّ بنـي جَنَـابٍ فضـاءُ الأرْضِ والمـاءُ الـرُّواءُ

ثم قال :

وأَلْهـىٰ القَيْـنَ عَـنْ نَصْـرِ المَـوالـي حِـلابُ النِّيـبِ والمَـرْعـىٰ الضَّـراءُ

أي المرعى المَخْفِيّ .

---

(١) الديوان : ٤٤٨ .
(٢) المفضّليات : ٢٠٦ ، والحجاز : الحاجز ، وانظر تداول هذا المعنى عند الشّعراء في خزانة الأدب ٦ : ٢٢٢ و٧ : ٣٢ .
(٣) ديوانه : ٨٩ .
(٤) الديوان : ٣١ .

ومن تلك المعاني أنَّهم إذا وصفوا سرعةَ الدَّابّةِ قالوا كأنَّ هِرّاً أو نحوه يَخْمِشُها أو يفعل بها فعلاً يُذْعِرُهَا فيجعلها تُسْرِع ، مثل قول أَوْس بن حَجَر[1] :

كـأَنَّ هِـرّاً جَنيبـاً تَحْـتَ غُـرْضَتِهـا   واصْطَـكَّ دِيـكٌ بِـرِجْلَيْهَـا وخِنْـزِيـرُ

وقول عنترة[2] :

وكـأنّمـا يَنْـأىٰ بجـانـبِ دفّهـا الـ. . . ـوَحْشِـيِّ بَعْـدَ مَخِيلَـةٍ وتَـزَغُّـمِ
هِـرٌّ جنيـبٌ كُلّمـا عَطَفَـتْ لَـهُ   غَضْبَـىٰ اتّقـاهـا بـاليـديـنِ وبـالفَـمِ

وقول الأعشى[3] :

بِجُـلالـةٍ سُـرُحٍ كـأنّ بِـدَفِّهـا   هِـرّاً إذا انتقَـلَ المطـيُّ ظِـلالَهـا

وقول الشَّمّاخ[4] :

كـأنّ ابـنَ آوىٰ مُـوثـقٌ تحـت غُـرْضِهـا   إذا هـو لـم يَكْلَـمْ بِنـابَيْـهِ ظَفَّـرا

ومنه قول شُبَيْل بن الجِنبّار الكلبيّ[5] :

كـأَنَّمـا يلـدَغُ الأقـرابَ إذْ حَمِيَـتْ   مـن شَـدِّهـا بِحَصـىٰ الأَرْضِ الـزَّنـابيـرُ

إلىٰ غير ذلك من المعاني المشتركة لدى الشعراء .

وإلىٰ جانب المعاني التي استمدّها شعراءُ كلب من الشعر الجاهليّ وغيره ، نجد في أشعار مَنْ كان منهم بعد الإسلامِ خاصّةً بعضَ المعاني التي استمدّوها من الدّين الإسلاميّ ، منها ما يظهر فيه الأثر القرآني واضحاً ، ومنها ما يظهر فيه أثرُ المعاني

---

(١) ديوانُه : ٤٢ ، والجنيب : المجنوب ، والغُرضة : حزام الرَّحْل ، واصطكّ : احتكّ .
(٢) ديوانه : ٢٠٢ ، والدَّفّ : الجَنْبُ . والوحشيّ : الأيمن . والمَخِيلةُ والتَّزَغُّم : النشاط .
(٣) ديوانه : ٧٧ . والجُلالة : الضخمة . والسُّرُح : السهلة .
(٤) ديوانه : ١٣٦ . والغُرْض : حزام الرَّحل . ولَم يكْلَم : لم يَجْرَح .
(٥) الديوان : ٥٩٤ .

الدّينية دون أن يكون فيه أثرٌ قُرْآنيّ ، ومنها بعض المعاني السياسيّة المأخوذة عن مفاهيم دينيّة ، فَمِمَّا ظهر فيه أثرُ القرآن الكريم قولُ الحسام بن ضِرار[(١)] :

قَتَلْتُ بِهِ تسعينَ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ   جُذوعُ نَخيلٍ صُرِّعَتْ في المَسايِلِ

فهذه الصّورةُ مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[(٢)] ؛ ومن ذلك قول عبد الله بن عُمَيْر[(٣)] :

حَتّى يَذُوقَ القَوْمُ مَسَّ الحَرْبِ

فهذا كأنّه مأخوذٌ من قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾[(٤)] ؛ وكذلك قول ثُمامة بن قيس[(٥)] :

إِمَامانِ : أَمَّا واحِدٌ فَعلى الهُدىٰ   وآخَرُ يَدْعُو للضَّلالَةِ كاذِبُ

فكأنه متأثّرٌ بقوله تعالى ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[(٦)] .

ومن أشعارِهم التي جاءَ متأثّرة بالمعاني الدينية دون أن يظهر فيها الآثر القرآني قولُ حارثة بن قطن يمدح النّبيَّ عليه السّلام[(٧)] :

أَقَمْتَ سَبِيلَ الحَقِّ بعدَ اعْوِجاجِهِ   ورِشْتَ اليَتامىٰ في السَّغابَةِ والجَدْبِ

وقول عَبْدِ عمرو بن جَبَلَة[(٨)] :

---

(١) الديوان : ٥٠٧ .
(٢) الحاقة ٦٩/ ٧ .
(٣) الديوان : ٥٥٨ .
(٤) القمر ٥٤/ ٤٨ .
(٥) الديوان : ٦١١ .
(٦) سبأ ٣٤/ ٢٤ .
(٧) الديوان : ٣٧٩ .
(٨) الديوان : ٣٩٤ .

أَجَبْتُ رسولَ اللهِ إذْ جاء بالهُدىٰ فأَصْبَحْتُ بَعْدَ الحَمْدِ للهِ أَوْجَرَا
ووَدَّعْتُ لَذَّاتِ القِدَاحِ وقد أُرى بها سَدِكاً عُمْرِي وللَّهْوِ أَصْوَرا
وآمنْتُ باللهِ العَليِّ مكانُهُ وأَصْبَحْتُ للأَوْثانِ ما عِشْتُ مُنْكِرا

وقول حفصٍ العُلَيْميّ مُلِحّاً علىٰ فكرة القضاء والقدر[1] :

فيا ربِّ إنْ لَمْ تَقْضِها لي فلا تَدَعْ قَذُورَ لَهُمْ ، واقْبِضْ قَذُورَ كَما هِيَا
وَيا لَيْتَ أَنَّ الله إِنْ لَمْ أُلاقِهَا قضىٰ بين كلِّ اثنينِ أَلاَّ تلاقيا

وممّا جاء في شعرهم من المعاني السّياسيّة المتكئة على مفاهيم دينية قول المُسَيَّب بن الرَّفَل يذكر قَتْلَ يزيد بن المُهَلَّب حين خرج على بني أميّة[2] :

فما كانَ من أهلِ العراقِ مُنافِقٌ عن الدِّينِ إلاّ مِنْ قُضاعةَ قاتِلُهْ

فوصفَ يزيدَ بن المهلّب وغيرَهُ من الخارجين علىٰ الخلافة بالنّفاق ؛ ونحو هذا قولُ جوّاس بن القعطل يخاطب بني أميّة[3] :

لا تَتْرُكُنَّ مُنافِقينَ بِبَلْدَةٍ إلاَّ أَمَلْتُمْ بالسُّيوفِ طُلاهَا

ومن ذلك قول امرأة خالد بن يزيد بن معاوية وهي أعرابيّةٌ من كلب تُخاطب عبدَ الملك بن مروان[4] :

يا بنَ الذَّوائِبِ مِنْ أُمَيَّة والَّذي أَفْضَتْ إليهِ خِلافَةُ الجَبَّارِ

فقولها : (أفضَتْ إليهِ خلافةُ الجَبَّارِ) يُساير ما كان يذهب إليه بنو أميّة من أنّهم يَحْكُمونَ بِقَدَرٍ من الله تعالى ، وأنّ الخلافةَ للهِ يَضَعُهَا حيثُ شاءَ وقد وضَعَها فيهم ، فعلىٰ الناس أن يطيعوا ويسمعوا[5] ؛ ومثله قول جَوَّاس بن القعطل يخاطب بني أميّة[6] :

---

(١) الديوان : ٥٨٨ .
(٢) الديوان : ٥٧٩ .
(٣) الديوان : ٤٦٣ .
(٤) الديوان : ٥٦٨ .
(٥) انظر العجّاج ، حياته ورجزه : ٣٩ .
(٦) الديوان : ٥٦٨ .

فَخُـــذوا خـــلافَتَكُـــمْ بـــأمـــرٍ حـــازمٍ   لا يَحْلُبَـــنَّ المُلْحِـــدونَ صَـــرَاهَـــا

ومن ذلك قولُ حَكِيم بن عَيَّاش ، وهو يسخر من أصحابِ زيدِ بنِ عليّ بن الحُسَيْن وتسمِيتِهِم إيّاهُ بالمَهْديّ[1] :

صَلَبْنـا لكُـمْ زيـداً علـىٰ جِـذْعِ نَخْلَـةٍ   وَلَـمْ أَرَ مَهْـدِيّـاً عَلَـىٰ الجِـذْعِ يُصْلَـبُ

إلىٰ غير ذلك .

وقد رأينا مِمَّا سَلَف أنّ شعر القَوْمِ اشتركَتْ في تكوين نَسِيْجِهِ المعاني المُسْتَمَدَّة من تراث الجاهليّة المختلف من أشعار وأمثال وعقائد ، والمعاني المستمدّة من الدين الإسلامي ، على أنّ تلك الخيوط الدينيّة تتَّسِم بالوضوح والبساطة مع الإيجاز ؛ بخلافِ ما نجدُهُ لدىٰ شعراء القُرون التّالية ، ولا سيّما المُتَصَوّفة منهم ؛ وهذه سمةٌ عامةٌ للمعاني الإسلامية لعصر صدر الإسلام وعصر بني أميّة .

ونلاحظُ إلىٰ جانب تلك المعاني المُسْتَمَدّة من التراث الجاهليّ والدّين الإسلاميّ أنّ هنالك معانيَ اخترعها شعراءُ كلبٍ فَأَخذها الشّعراءُ عنهم ، فمن ذلك ما نبّه عليه اللَّخْميُّ في شرحِ قولِ ابنِ دريد[2] :

مِـنْ كـلّ مـا نَـالَ الفَتَـىٰ قَـدْ نِلْتُـهُ   والمَـرْءُ يَبْقـىٰ بَعْـدَهُ حُسْـنُ الثَّنـا

فقال : « وأَخَذَ القَسِيْمَ الأوّلَ من هذا البيت لفظاً ومعنىً من قول الشاعر :

ولَكُـلّ مـا نـالَ الفتـى   قـد نِلْتُـهُ إلاّ التحيّـةْ »

وهذا الشاعر هو زهير بن جَنَاب الكلبيّ .

ونبّه ابنُ رشيق وغيرُه علىٰ أنّ ذا الرّمَّة أَخَذَ من شعر زهير بن جَنَابٍ أيضاً ، فقال ابنُ رشيق : « ومن قَبيحِ الأَخْذِ وفاضِحِ السَّرِقَةِ . . . ومثلُهُ قول زهير بن جناب الكلبي :

---

(١) الديوان : ٤٨٨ .

(٢) شرح مقصورة ابن دريد ـ للّخمي : ٤٧١ .

فيـا دارَ سلمـىٰ هِجْـتِ للعَيْـنِ عَبْـرةً　　فمـاءُ الهَـوىٰ يَـرْفَـضُّ أو يَتَـرَقْـرَقُ

أخذه ذو الرّمَّةِ فقال : (أداراً بحُزْوىٰ) وأتى بالبيت على سياقه »[1] .

ومن ذلك قول زهير بن جَنَاب[2] :

إذا مـا شئـتَ أنْ تَسْلـو حبيبـاً　　فَـأَكْثِـرْ دُونَـهُ عَـدَدَ اللّيـالـي

فَمَـا سَلَّـىٰ حَبِيبَـكَ مِثْـلُ نَـأْيٍ　　وَلا أَبْلَـىٰ جَـدِيـدَكَ كَـابْتِـذالِ

فقد ذكر ابن عساكر[3] والرّاغب الأصفهاني[4] أنّه قيل لجميل بثينة : أما سمعْتَ قولَ ابنِ عمّك زهير بن جَنَاب : (البيتين) ، قالوا : لو نَأَيْتَ عنها لَسَلَوْتَ ؛ فخرج ليلةً ثم رَجَعَ وهو يقول :

أَشَـوْقـاً ولَمَّـا تَمْـضِ لـي غيـرُ ليلـةٍ　　رُوَيْـدَ الهَـوىٰ حَتَّـىٰ تَغِيـبَ لَيـالِيـا

لَحـىٰ اللهُ أَقْـوامـاً يَقُـولـونَ إنّنـا　　وَجَـدْنـا طَـوالَ النَّـأْيِ للحُـبِّ شـافيـا

فأوحى بيتا زهير إلى جَمِيلٍ بهٰذين البيتين ؛ كما أنّ البِصْريّ أنشد بيتَيْ زُهَيْرٍ ثُمَّ قال : « جَوابُهُ ، ولكن ما عُرِفَ لِمَنْ :

لَقَـد أكْثَـرْتُ فـي عَـدَدِ اللّيـالـي　　وخِلْـتُ بـأَنَّنـي أَنْسـىٰ الحَبِيْبَـا

فَلَـم تُفِـدِ النَّـوىٰ غيـرَ اشتيـاقِ　　رأيـتُ لِلَفْظِـهِ معنـىً عجيبـا »[5]

وقال زهير بن جَنَاب يُوَبِّخ بني القَيْنِ بنِ جَسْرٍ[6] :

مَـوَالـي يَميـنٍ لا مَـوالـي عَتَـاقـةٍ　　أَشـابَـةُ حـيٍّ لَيْـسَ فيهـم مُـوَفَّـقُ

فوجَدْتُ للنّابغة الجعديّ قولَهُ[7] :

---

(١) قراضة الذهب : ١٠٤ـ١٠٥ ؛ وانظر التعليق على بيت زهير في الديوان ، ص : ٤٦ .

(٢) الديوان : ٥١ .

(٣) تاريخ دمشق ٦ : ٤٥٤ .

(٤) محاضرات الأدباء ٢ : ٦٨ .

(٥) الحماسة البصرية ٢ : ٢١٩ .

(٦) الديوان : ٤٦ .

(٧) اللسان (ولي) .

مَـوالـيَ حِلْـفٍ لا مَـوالـي قَـرَابَـةٍ ولكِـنْ قَطينـاً يَسْـأَلُـون الأتَـاوِيـا

فلعلّ النابغة الجعديّ أخذ هذا المعنى من ابن جَناب .

وأنشد محمد بن أَيْدَمِرَ قولَ جُماهِر الكلبيّ[(١)] :

قَضـىٰ كُـلُّ ذِي دَيْـنٍ وَفَـاءَ غَـريمِـهِ ودَيْنُـكَ عِنْـدَ الـزَّاهِـرِيَّـةِ مـا يُقْضَـىٰ

ثم قال : « فأخذه كُثَيِّرٌ فاشتهر به فقال :

قَضَـىٰ كُـلَّ ذِي دَيْـنٍ فَـوَفَّـىٰ غَـرِيمَـهُ وعَـزَّةُ مَمْطُـولٌ مُعَنَّـىً غَـرِيمُهَـا »[(٢)]

ونَبّه العَمِيديُّ والبَدِيعيُّ علىٰ أنَّ أَبَا الطَّيّب المُتَنَبّي سَرَقَ بعضَ معاني شعره المشهورة من عمرو بن عروة بن الغَدّاء[(٣)] ، وذلك قول المتنبّي[(٤)] :

أَنَـا الّـذي نَظَـرَ الأَعْمـىٰ إِلـىٰ أَدَبِـي وَأَسْمَعَـتْ كَلِمَـاتِـي مَـنْ بِـهِ صَمَـمُ

أخذه من قول عمرو[(٥)] :

أَوْضَحْتُ من طُرُق الآدابِ ما اشْتَكَلَتْ دَهْـراً وأَظْهَـرْتُ إغـرابـاً وإبـداعَـا

حَتّـى فَتَحْـتُ بـإعجـازٍ خُصِصْـتُ بِـهِ للعُمْـيِ والصُّـمِّ أَبْصـاراً وأَسْمَـاعَـا

كما نبّه ابنُ رشيقٍ علىٰ أنَّ عبدَ الجَبَّار بن يزيد الكلبيّ فَتَح للمتنبّي باباً لبعضِ معانيهِ المُسْتَطْرَفَةِ ؛ قال ابنُ رشيق : « والشاعر يُورِدُ لَفْظاً لِمعنىً ، فَيَفْتَحُ لصاحبهِ معنى سواه لَوْلا هُوَ لم يَنْفَتِحْ ؛ . . . كقول دليل آل المهلّب حين هربوا من سجن الحَجّاج بن يوسف :

وقـوم هُـمُ كـانـوا الملـوكَ هَـدَيْتُهُـمْ بِظَلْمَـاءَ لا يَبْـدُو بِهَـا ضَـوْءُ كَـوْكَـبِ

---

(١) الديوان : ٦١٧ .

(٢) الدر الفريد ١ : ١٢٣ـ١٢٤ ، ومثله في المصدر نفسه ٤ : ٣٢٧ .

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٣٨ ، والصبح المنبي : ٨٩ ، وحُرّف اسم جَدّ الشاعر فيهما إلى (العبيد) بدل (الغَدّاء) ؛ انظر ترجمته في الديوان .

(٤) ديوانه ٣ : ٣٦٧ .

(٥) الديوان : ٥١٧ .

نَفِــرُّ فِــرارَ الشَّمْــسِ مِمَّــا وَراءَنــا ونُـدْلِـجُ فـي داجٍ مـن اللَّيْـلِ غَيْهَـبِ

ففتح بقوله هذا (فِرار الشمس) لأبي الطيّب قولَهُ :

وأَلْقـىٰ الشَّـرْقُ منهـا فـي ثيـابـي دَنـانيـراً تَفِــرُّ مِــنَ البَنــانِ »[1]

ودليلُ آل المهلّب هٰذا هُوَ عبدُ الجَبَّار بن يزيد .

وممّا أُخِذ عنهم من المعاني ما نبّه عليه الخالديّان إذ قالا : « [قال] أعرابيٌّ من كلبٍ يمدح مَسْلَمة بن عبد الملك :

نَـزورُ امْـرَأً مِـنْ آل مَـرْوانَ لـم يَـزَلْ لَنَـا مِنْـه عِلْـمٌ لا يُحَـدُّ ونـائِـلُ

تَـراهُ إذا مـا أظْلَـمَ الخَطْـبُ مُشْـرِقـاً كَمِثْـلِ حُسَـامٍ أخْلَصَتْـهُ الصَّيـاقِـلُ

أخذه البحتري فجوّد فيه :

يتــوقَّــدْنَ والكَــواكــبُ مُطْفَــا تٌ ويَقْطَعْــنَ والسُّيــوفُ نَــوابِ »[2]

وأرىٰ أنّ المتنبّي أخذ معنى البيت الثاني من بيتي الأعرابي الكلبي ، وذلك في قوله يمدح سيف الدولة[3] :

تمـرُّ بـكَ الأبطـالُ كَلْمـىٰ هَـزيمـةً ووجْهُـكَ وضّـاحٌ وثغـرُكَ بـاسِـمُ

وقد قصّر المتنبي ، إذْ فاتَه حُسْنُ التشبيه في بيت الأعرابي الّذي شَبَّه المَمْدُوح ـ وهو مِنْ أَشْهَرِ الأُمَراءِ القادةِ الأمويّين ـ بالسيف الصَّقِيل المُشْرِق ، في حين اكتفى المتنبِّي بأخذ المعنى دون التّشبيه الذي زادَ المعنى وُضوحاً وإشراقاً في شعر الأعرابيّ .

ووجَدْتُ في شعر جَوّاس بن القعطل قولَهُ لبني أميّة[4] :

إنَّ الخـلافـة يـا أُمَيَّـةُ لـم يَكُـن أبـداً يَـدُرُّ لِغَيـرِكُـمْ ثَـدْيَـاهَـا

(١) قراضة الذهب : ٤٣ـ٤٤ ، وبيت المتنبي في ديوانه ٤ : ٤٨٩ ، وانظر شعر عبد الجبار في الديوان : ٥٧١ .

(٢) حماسة الخالديين ١ : ١٣٤ ، وبيت البحتري في ديوانه ١ : ٨٥؛ وانظر شعر الأعرابي الكلبي في الديوان : ٧٤٠ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٨٧ .

(٤) الديوان : ٤٦٣ .

وكأنّ هذا البيت هو الذي فتح لأبي العتَاهية قولَه المشهور في مدح المهدِيّ[1] :

ولَــــوْ رامَهَـــا أَحَـــدٌ غَيْـــرُهُ　　لَــزُلْــزِلَــتِ الأرضُ زِلــزالَهــا

هذا مع الاختلاف في تناوُلِ المعنى ، إذ اتّكأ جوّاسٌ علىٰ الاستعارة من البيئة المُحيطةِ بهِ حين جعل الخلافةَ ناقةً ذات دَرٍّ ، واتّكأ أبو العتاهية في إبراز المعنى علىٰ الاقتباسِ من القرآن الكريم .

وهكذا رأينا أنَّ شعراء بني كلب تركوا أثراً في الشعراء الذين جاؤوا من بعدهم ، مِثْلَما أنّهم تأثّروا بغيرهم ؛ وهذا حكمٌ عامٌّ علىٰ شعراء قبائل العرب ، إذ نجدهم متأثّرين ومؤثّرين[2] ، بل هُوَ حُكْمٌ عامّ على الشّعراء كافّةً ؛ إذْ لا بُدَّ للشّاعر أنْ يُثقّفَ نفسَهُ بحفظ أشعار المُتَقَدّمين ، إلىٰ جانب امتلاكِهِ أَدواتِ الشّعر الأساسية من وَزْنٍ ونَحْوٍ ولغةٍ ، هذا مع ضَرُورة اطّلاعهِ علىٰ أشعارِ مُعاصِرِيهِ ، وقد نبّه النقّاد على ذلك[3] ؛ ولذلك تمتزج في شعر كل شاعر معانٍ مُستَمَدَّةٌ من تجربته الخاصّة في الحياة بمعانٍ استمدّها من تجارب الآخرين .

٢ـ الخصائص اللّفظيّة :

إنّ مِن أهم الأمور التي يمكن للباحث الأدبيّ أن يقف عندها في دراسة الخصائص اللّفظية عند شاعرٍ ما ، أو عند طائفة من الشعراء ثلاثة أمور ، أوّلها : المنهج المَسْلُوك في بناء النصوص الشعريّة ، وثانيها : الجانب الموسيقيُّ ، وثالثها : الجانب اللّغويّ والنّحويّ .

فأما **المَنْهَجُ** الذي اتّبعه شعراء بني كلب في بناء نصوصهم الشعريّة فإنّ أوّل ما نلاحِظُه هو قِلّةُ القصائد الكاملة فيما وصل إلينا بالقياس إلى المقطّعاتِ والأبيات

---

(١) ديوانه : ٦١٢ .

(٢) انظر العجّاج ، حياته وشعره : ٣٥٩ ـ ٣٧٤ ، وشعراء تغلب ١ : ٣١٨ ـ ٣١٩ ، وشعر بني أسد ١ : ٣٢٨ ـ ٣٤٥ وشعراء قبيلة طيّء ١ : ٦٥٥ و٦٥٩ ـ ٦٦٣ .

(٣) انظر العمدة : ٣٦١ـ٣٦٤ ، ومنهاج البلغاء : ٢٧ .

المفردةِ ، وذلك إذا عَدَدنا القصيدة ما بلغ سبعة أبيات أو جاوزها ، والمقطّعة ما بلغ أقلّ من ذلك على رأي بعض النقّاد[1] ، إذْ بلغ عدد القصائد عندهم بضعاً وثلاثين قصيدةً فقط ، في حين زادَ عددُ المقطّعات علىٰ خمسين ومئة مقطّعة ، وثمَّةَ أبياتٌ مُفْرَدَةٌ كثيرة لا ندري أهي بقايا قصائد أم بقايا مُقَطَّعات .

ونجد أنّ **الشّعراء الجاهليين** اعتمدوا في بعض **قصائدهم** علىٰ المنهج التقليديّ ، وتَخَلَّوْا عنه في بعضها الآخر ، فنرىٰ الشاعر منهم يأتي بمقدّمةٍ ما لقصيدته ثم ينتقل بعد ذلك إلى غرضهِ الرئيسي ، وخير ما يمثّل هذا المنهج من شعرهم الجاهليّ قصيدة زهير بن جَنَاب الّتي مطلعُها[2] :

أَمِـنْ آلِ سَلْمـىٰ ذا الخيـالُ المُـؤَرِّقُ وقـد يَمِـقُ الطَّيْـفَ الطَّـروبُ المُشَـوَّقُ

فجاء بسبعةِ أبيات أخرى تحدّث فيها عن طيف الحبيبة ، ثم التفت إلىٰ الوقوف على الأطلال مُتَذَكّراً ما كان منه يومَ وقف عليها بثلاثة أبيات أوّلها :

ويـومـاً بـأُبْلِـيٍّ عَـرَفْـتُ رُسُـومَهـا وَقَفْـتُ عليهـا والـدُّمـوعُ تَـرَقْـرَقُ

ثم رحل على ناقتهِ ووصفها في أربعةِ أبياتٍ بعدما تغلّب على همّهِ :

ولَمَّـا اعْتَلَيْـتُ الهَـمَّ عَـدَّيْـتُ جَسْـرَةً زِورَّةَ أَسْفَـارٍ تَخُـبُّ وتُعْنِـقُ

فلما انتهى من وصف النّاقة هجم على موضوعِه في ذكر محاربتهم بني القين دون أن يتأتّىٰ له بحُسْن التخلّص فقال :

أبـىٰ قَـوْمُنـا أنْ يَقْبَلـوا الحـقَّ فـانْتَهَـوْا إلَيْـهِ وأنيـابٌ مـن الحَـرْبِ تَحْـرُقُ

فتناوله بثمانية أبيات .

ولزهير قصيدتان أُخْرَيان اعتمد فيهما النهجَ التقليديّ ، فأمّا إحداهما فلم يصل

---

(١) انظر العمدة : ٣٥٠ .

(٢) الديوان : ٤٦ .

إلينا من مقدّمتها إلاّ مطلعها الذي يقول فيه[١] :

حَــيِّ داراً تَغَيَّـــرَتْ بـــالجَنَـــابِ أقفـــرَتْ مـــن كَـــواعـــبٍ أتـــرابِ

فقد أنشد أبو الفرج هذا المطلع بعدما ذكر مناسَبَتَها عن أبي عمرو الشيباني ثم قال : « يقول فيها :

أَيــنَ أيــنَ الفِــرارُ مــن حَــذَرِ المَــوْ . . تِ وإذْ تتّقــونَ بــالأســـلابِ »[٢]

وأنشد سائر الأبيات الّتي تُمَثِّلُ الغَرَضَ الرئيسيّ وهو الفخر بتغلُّبهم علىٰ تغلب ؛ وأما الثانية فبدأها بالحديث عنِ الرِّحْلَة ، وأنّه لم يقف على امرأته لميس الإرْأشيّة[٣] :

جَـــدَّ الـــرَّحيـــلُ ومـــا وَقَفْـ . . . ـــتُ عَلَـــىٰ لَمِيـــسَ الإرْأَشِيّـــةْ

فجاء بثلاثة أبيات أخرىٰ بيّن فيها أنّ رحلتَهُ تلك كانت إلىٰ بعض ملوك الحيرة ، ثم هجم على غَرَضِه الرئيسي وهو وصيّته لأبنائه بالحفاظ على المجد الذي أورثهم إيّاه والفخر بنفسه فقال :

أَبَنِـــيَّ إنْ أَهْلِـــكْ فَقَـــدْ أَوْرَثْتُكُـــمْ مَجْـــداً بَنِيَّـــهْ

فتناوله بأَحَدَ عَشَرَ بيتاً .

وثَمَّة قصيدةٌ أخيرة من شعرهم الجاهليّ سارت علىٰ النّهج التّقليدي ولم تصل إلينا كاملة ، وهي لامرىء القيس بنِ حُمامٍ ، يقول في مطلعها[٤] :

لآلِ هنـــدٍ بِجَنْبَـــيْ نَفْنَـــفٍ دارُ لَـــمْ يَمْـــحُ جِـــدَّتَهَـــا رِيـــحٌ وَأَمْطَـــارُ
إمّـــا تَـــرَيْني بِجَنْبِ الـــدَّارِ مُضْطَجِعَـــاً لا يَطَّبِينـــي لَـــدَىٰ الحَيَّيْـــنِ أَبْكَـــارُ
فَـــرُبَّ نَهْـــبٍ تُصِـــمُّ القَـــوْمَ رَجَّتُـــهُ أَفَـــأْتُـــهُ إنّ بعـــضَ القـــوم عُـــوَّارُ

فتحدّث في البيت الأول عن الدّيار حديثاً سريعاً لم يلبث أن انتقل بعدَه إلى مخاطبة

(١) الديوان : ٣٤.
(٢) الأغاني ١٩ : ١٩.
(٣) الديوان : ٦٢.
(٤) الديوان : ٨١.

امرأةٍ مقارناً بين يومِهِ وقد هرم وضَعُفَ فلا تَسْتَميلُهُ الأبكار ، وبين أمْسِه حين كان فارساً مُغيراً ؛ فنرىٰ أن المقدّمة لم تتجاوز البيت الأوّل ثم انتقل إلىٰ عَرْضِهِ الرئيسي ، وهو الشّكوى من الهرم ، وقد وصلَتْ إلينا ثلاثة أبياتٍ أُخرى من الوزن والرويّ نفسه لابن الحُمام تحدَّث فِيها عن الهزم ، وهذا يرجّح كونَها ممّا قال في غَرَضِهِ الرئيسيّ ؛ وامرؤ القيس بن حُمام الكلبيّ هو الذي ذكره امرؤ القيس بن حُجْرٍ الكنديُّ وكان مُصاحِباً له ، فقال ابنُ حُجْرٍ[1] :

عُوجا علىٰ الطّلَلِ المُحيلِ لَعَلَّنا نبكي الدّيارَ كما بكى ابنُ حُمامِ

وكان ابنُ حمام معاصراً لزهير بن جَنَابٍ الكلبي ، غير أنّ ابنَ جناب كان أقدم منه ومن امرىء القيس بن حُجْرٍ ؛ وقد رأينا أنّ ابنَ جَنَابٍ وقف على الدّيار أيضاً ، وهذا يعني أنّ الوقوفَ علىٰ الديار كان سُنّةً لدىٰ الشعراءِ قبلَ ابنِ حُمام ، ولعلَّ بعضهم بكاها ، غير أَنَّ بيت امرىء القيس بن حُجْر جعل النّاسَ يَظُنُّونَ أنَّ ابن حمام هو أوّل من وقف علىٰ الدّيار وبكاها ، وقد تَبَيَّنَ لنا ممّا سبق أن هذا غير صحيح .

ونجد سائرَ قصائدهم الجاهليّة تتخلَّى عن المقدّمات التقليديّة ، فتأخذ الموضوع الرئيسيّ من فورها ، وذلك بالاعتماد على بعض الألفاظ المناسبة للغرض ؛ فعندما رثت ليلى بنت الأصبغ ابنَها افتتحَتْ قصيدتَها بالأمر بالبكاء[2] :

لِيَبْكِ ابنَ ذي الجدَّيْنِ بكرُ بنُ وائلٍ فقد بانَ منها زَيْنُها وجَمالُهَا

وعندما أرسل عبدُ العزّى بنُ امرىء القيس أبياتَهُ إلى قومِهِ يخبرهم خبره مع الحارث بن مارية الغسّانيّ وما كان من سوء مجازاتهِ إيّاه بدأها بقولهِ[3] :

جَزاني ـ جَزاهُ اللهُ شرَّ جَزائهِ ـ جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذا ذَنْبِ

ومن ذلك قصيدةُ حارثة بن صَخْرٍ التي خاطبَ بها ابنَهُ جَنَاباً حين أسلم وهاجر

---

(١) ديوانه : ١١٤ ، وانظر ترجمة ابن الحُمام في الديوان .
(٢) الديوان : ٨٦ .
(٣) الديوان : ١٠٤ .

إلىٰ المدينة المنوّرة وكان أَبواهُ كبيرَيْنِ ، فبدأها حارثة بقوله[1] :

تــــركْـــتَ أبــــاكَ بــــالأوداةِ كَــــلاًّ وأُمَّــكَ كــالعَجُــول عَلــىٰ الظِّــرابِ

ولا يختلف شعراء بني كلب **في الإسلام** عن أسلافهم في الجاهليّة في منهج القصيدة ، إذْ ساروا على المنهج التقليديّ حيناً وتخلَّوا عنه أحايينَ كثيرة ، غير أنّ ما التزموا فيه المنهج التقليدي فيما وصل إلينا من شعرهم كان نادراً ، فنجد عمرانَ ابنَ هلباء يبدأ قصيدتَه بمطلع غزليّ يَنِمُّ علىٰ الموضوع الرئيسيّ للقصيدة التي أنشأها يعارضُ الوليدَ بنَ يزيد بعدما قُتِلَ خالدُ بنُ عبد الله القسريّ سيد اليمانية فعيّرهم الوليد بقتله ، فقال عمران[2] :

قِفــي صَــدْرَ المَطِيَّــةِ يــا جــلالا وَجُـذِّي حَبْـل مَـنْ قَطَـعَ الـوِصَـالا
أَلَـمْ يَحْـزُنْـكِ أَنَّ ذَوي يَمـانٍ يُـرىٰ مَـنْ حـاذَ قَيْلَهُـمُ جُـلالا

فأعْجلَهُ الغَرَضُ الرئيسيُّ عن مخاطبةِ تلك المرأةِ ، ليكون خطابُها مَدْخَلاً مَحْضاً لغرض القصيدة في الدعوة للثورة بالوليد .

وتدلُّ بقايا قصيدةٍ للأحمر بن شجاع على أنّه سار فيها على المنهج التقليديّ ، إذ وَصَلَ إلينا شطرٌ ذكر فيه الظّعائن ، ويظهر أنّه الشّطر الأوّل من مطلع القصيدة ، وهو قوله[3] :

خـفـتَّ القطيـنُ فَهـذا القلـبُ مَشـؤوجُ ....

وثمة أبياتٌ كانت مُتَفَرِّقة من هذه القصيدة تحدّث في بعضها عن الصحراء ، ووصف في بعضها حِمارَ الوَحْشِ وأُتُنَهُ ؛ ويظهر أنّه ارتحل على ناقتِهِ إلى بعض ممدوحيهِ ، إذْ نراه يقول في تلك الأبيات :

إن فتـىٰ النّـاسِ للـدُّنيـا ونـائِلهـا وللحـروبِ التّـي فيهـا الأمـازيـجُ

---

(١) الديوان : ١٤٠ .
(٢) الديوان : ٤٩٨ .
(٣) الديوان : ٥٣٤ .

سَبْط اليَدَيْنِ أَشمّ الأنْفِ قد عَلِموا إنْ كانَ أمرٌ له خوفٌ ومَرْجوجُ

ووصل إلينا من شعر ذي الإصبع حفصٍ العليميّ ثمانية أبياتٍ على وزنٍ واحدٍ وقافية واحدةٍ ، منها أربعة أبياتٍ في الغزل ، وأربعة أُخرى في مُعاتبةِ الأعور الكلبيّ علىٰ رِضاهُ بهجاء بني أسد بن خزيمة ، ومَصادِرُ الأبيات مختلفة[1] ؛ فإذا صحّ أنّها من قصيدةٍ واحدةٍ فهي ممّا جرىٰ على المنهج التقليديّ .

في حين تتخلّىٰ سائرُ قصائدهم عن هذا المنهج ، فتأخذ بناصِيَة الموضوع الرئيسي من فَوْرها ، فهذا جوّاسُ بن القَعْطل مثلاً يتّجه إلىٰ عبد الملك بن مروان بالمَلامة قائلاً[2] :

أَعَبْدَ المَليكِ ما شَكَرْتَ بَلاءَنا فَكُلْ في رَخاءِ الأَمْنِ ما أَنْتَ آكِلُ

ثم تأخذ الأبياتُ بعضُها برقابِ بعض لتأدِيَةِ غَرَضٍ واحد ؛ ونجده يفعل الفعلَ نفسَهُ عندما أرادَ أنْ يمتنَّ علىٰ بني أميّة فيبدأ القصيدة بقوله[3] :

كَمْ مِنْ أميرٍ قَبْلَ مروانَ وابنِهِ كَشَفْنا غِطاءَ المَوْتِ عَنْهُ فأبْصَرا

وهي اثنا عشر بيتاً في غَرَضٍ واحد .

ومثل ذلك فعلُ عمرو بنِ مخْلاة ، حين أرادَ الفَخْرَ بما كان منهم يوم مرج راهط ، إذْ بدأ ذلك بقوله[4] :

ويومٍ ترىٰ الراياتِ فيه كأنَّها عوائِفُ طيرٍ : مستديمٌ وواقعُ

وكذلك حين عيّر بني ذبيانَ أخْذَهُم الدِّيَاتِ من أُعطياتِ قُضاعة ، وافتخر بما قام به حُمَيْد بن حُرَيْثُ الكلبيّ فَقَتَّل منهم[5] :

---

(١) انظر شعر ذي الإصبع في الديوان : ٥٨٨ .
(٢) الديوان : ٤٥٧ .
(٣) الديوان : ٤٤٨ .
(٤) الديوان : ٤٧٤ .
(٥) الديوان : ٤٧٩ .

خُــذوهَــا يــا بَنــي ذُبيــان عَقْــلاً   عَلــىٰ الأَجْيــادِ واعْتَقِــدوا الخِــدامــا

وغير ذلك من أشعارهم التي تَخَلُّوا فيها عن المُقَدّمات التّقليديّة .

إنّ غلبة القصائد التي تَخَلَّوا فيها عن المقدّمات التقليدية في شعرهم لعصر بني أميّة على تلك التي التزموا فيها تلك المقدّمات يُعَدُّ إسهاماً في تطوير منهج القصيدة العربيّة وتمهيداً أمام شعراء العصر العبّاسي لإسقاط المقدّمات واتخاذ المطالع القويّة وبراعة الاستهلال عوضاً عنها ، مع مَنْ أسهم في ذلك من شعراء العصر الأمويّ[1] ؛ وقد أدّى هذا إلى تطويرٍ آخر في منهج القصيدة العربية ، وهو جَعْلُ القصيدة ذات موضوعٍ واحد بعدما كانت تتّسع لأكثر من موضوع .

ونجد في شعرهم إلى جانبِ القصائد مَنْهَجاً آخر ، وهو **منهج المُقَطَّعة** ، وهي ما كان عدد أبياتهِ أقلّ من سبعةِ أبياتٍ ، وقد كان هذا المنهج معروفاً عند شعراء الجاهليّة ، وتغلب المُقَطَّعات على أشعار بني كلب ، إلاّ أَنْ يكون كثيرٌ منها بقايا قصائد كاملة ، على أنّ كثيراً من مقطّعاتهم لا تدعو إلىٰ الشَّكِّ في أنّها كانت بقايا قصائد ، إذْ لا نجد في المصادر أبياتاً علىٰ أوزانها وقوافيها ، وإن كان ذلك لا يمنَعُ أن يكون سائر تلك القصائد قد ضاعَ كلُّه ؛ فممّا جاء على هذا المنهج **في شعرهم الجاهليّ** قولُ زهير بن جَنَاب يهجو بني تغلب في خمسةِ أبياتٍ مطلعها[2] :

تَبّــاً لِتَغْلِــبَ إِذْ تُســاقُ نِســاؤُهُــمْ   سَــوْقَ الإمــاءِ إلــىٰ المــواسِــمِ عُطَّــلا

وأُخرىٰ له يشكو فيها من الهَرَمِ في أربعة أبيات مطلعها[3] :

أَلا يــا لَقَــوْمــي لا أَرىٰ النَّجْــمَ طــالِعــاً   مِــنَ اللَّيْــلِ إلاّ حــاجِبــي بيَمِينــي

ومقطّعة لمسعود بن مَصّاد يشكو من الهرم أيضاً في أربعة أبيات مطلعها[4] :

---

(١) انظر العجاج حياتُه ورجزه : ٣٧٩ .
(٢) الديوان : ٥٤ .
(٣) الديوان : ٥٦ .
(٤) الديوان : ٩٦ .

أَصْبَحْـتُ يـا أُمَّ بَكْـرٍ قـد تَخَـوَّنَنـي   رَيْـبُ الـزَّمـانِ وقـد أَزْرىٰ بـيَ الكِبَـرُ

وأُخرى لحُرَيْثِ بن عامر يهدّد بعضَ بني عمّه في ثلاثة أبيات مطلَعُها[١] :

أَرىٰ قَـوْمـي بنـي قَطَـنٍ أَرادوا   بـأَلاّ يَتْـرُكُـوا بيَـدَيَّ مَـالا

فهذه المقطّعات لشعراءَ جاهليّين ؛ ومن **مقطّعات صدر الإسلام** مقطّعة لحارثة بن قطن يمدحُ بها رسول الله ﷺ في ثلاثة أبيات مطلعها[٢] :

رأيتُـك يـا خَيْـرَ البَـرِيّـةِ كلِّهـا   نَبَـتَّ نُضَـاراً فـي الأَرومـةِ مِـنْ كَعْـبِ

وأُخرىٰ لعروة بن العشبة ذكر فيها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في أربعة أبيات مطلعها[٣] :

أَبْلِـغْ أَبـا حَسَـنٍ إذا مـا جِئْتَـهُ   يُـدْنِيْـكَ مِنْـهُ الصُّبْـحُ والإمْسَـاءُ

ومن **مقطّعات الأمويّين** مقطّعة لجوّاس بن القعطل في خمسة أبيات مطلعها[٤] :

أَلا بئـسَ امـرؤٌ مـن ضَـرْبِ حصـنٍ   أضـاعَ قـرابتـي وحبـا الحُـراقـا

ومقطّعة له في بيتين هجا بهما بني قُنافة الكَلْبِيِّين مطلعها[٥] :

أَتَتْـكَ العِيْـسُ تَنْفُـخُ فـي بُـراهـا   بِـوَفْـدٍ مِـنْ قُنـافَـةَ كـالقُـرودِ

ومقطّعة لعمروبن مخلاة في أربعة أبيات مطلعها[٦] :

بِمـا جَـرَمَـتْ كفّـاكَ لاقَيْـتَ مـا تَـرىٰ   فـلا يُبْعِـد الـرحمٰـنُ غَيْـرَكَ هـالِكَـا

---

(١) الديوان: ٢٣١.
(٢) الديوان: ٣٧٩.
(٣) الديوان: ٣٦٥.
(٤) الديوان: ٤٥٥.
(٥) الديوان: ٤٤٥.
(٦) الديوان: ٤٧٧.

ومقطّعة لعُرفُطَة بن عُثْمان يهجو حسّان بن مالك بن بَحْدَل في ستّة أبيات مطلعها[1] :

إذا ما ٱنْتَمىٰ حسّانُ يوماً فقُل له : بِمَيْسونَ نِلْتَ المَجْدَ لا بابنِ بَحْدَلِ

ويمكننا القولُ بالنظر إلىٰ ما وصل إلينا من شعر بني كلب إنّ شعراءَهم كانوا أَقْدَر علىٰ المقطّعات منهم علىٰ المُطَوَّلات ، إذْ رأينا أنَّ منهج المقطّعة يغلب علىٰ شعرهم ، في حين انحسر منهج القصيدة انحساراً واضحاً ، بل إنّ قصائدهم علىٰ قلّتها لم تأتِ على المنهج التقليديّ إلاّ نادراً ، ويمكن إرجاعُ ذلك إلىٰ عواملَ ، أهمُّها تأخُّرُ شعراءِ كلب في المُسْتَوى الفنّيّ وفي المقدرة على الإطالة عن مستوىٰ الفُحُول من الشعراء ، وهذا ما جعل ابن سلام لا يَسْلُك في طبقاتِ فحول الشعراء الجاهليّين والإسلاميّين أيَّ شاعر من شعراء بني كلب ، وإنما أشار إلى زهير بن جَنَاب في مقدّمتهِ علىٰ أنّه من الشعراء القدماء ، كما أنّ هذا السّبب هو الذي جعلَ ابنَ قتيبة لا يترجم إلاّ لزهير بن جَنَاب من بين شعرائهم في كتابه الشعر والشعراء ، وهو السّبب نفسه الذي دعا ابنَ ميمون إلى أَنْ يختار قصيدةً واحدةً من شعر كلب هي قافيَّة زهير بن جَنَاب وكان من شرط كتابهِ ألاَّ يختار إلاَّ القصائد ؛ وربّما كان ضعفُ شعراءِ كلبٍ عن الإطالة راجعاً إلىٰ طبيعةٍ عَرَفَتْها العربُ في بني كلب ، وهي قِلّة الكلام ، حتى سمَّتْهم (خُرس العرب)[2] ؛ وقد يكون ضمورُ موضوعِ المَدْح في شعرِهم من أَسْبابِ نُدْرة قصائِدهم التي جاءت علىٰ المنهج التقليديّ ، ومن ثَمَّ قلّة قصائدهم عامّةً ، لأنّ الغالب علىٰ قصيدة المدح منذ العصر الجاهليّ إلى عصر بني أميّة أن تلتزم المنهجَ التقليدي ، بيد أنَّ التزامَ المنهج التقليدي ليس لِزاماً أن يكون في قصيدةِ المدح ، إذْ رأينا زهيرَ بنَ جناب يلتزم هذا المنهج في بعض شعره دون أن يكونَ غَرضه الرئيسي مدحاً ؛ كما يمكن ردّ قلّة القصائد وكثرة المقطّعات إلى ضياع قسمٍ

---

(١) الديوان : ٦٢٤ .

(٢) انظر : البيان والتبيين ١ : ٢٧٠ ، وأخبار أبي تمّام : ٢٥٨ ، والبصائر والذخائر ٢ : ٣٠٠ـ٣٠١ ، والمستجاد من فعلات الأجواد : ٢٤٨ ، والتذكرة الحمدونية ١ : ٣٥٨ .

كبير من شعرهم قد يكون بعض تلك المقطّعات أجزاءً منها .

ويبدو أنّ ظاهرة بروز منهجِ المقطعة بالقياس إلى منهج القصيدة من الظّواهر العامّة في أشعار العرب منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أميّة ، إذا ما استثنينا من هذا الحكم فُحولَ الشّعراء من كل قبيلة ، إذ أشار إلى هذه الظاهرة دارسو أشعارِ تغلب وأسد وَطيِّىء[1] ، وهذه الظاهرة ملاحَظَةٌ فيما جُمِعَ من أشعار قُشَيْرٍ وعُقَيْل وهمدان وذُبيان ، وإنْ لم أقف علىٰ إشارة إلى ذلك لدارسي أشعار هذه القبائل .

فذلك هو منهج شعراء كلب في بناءِ النّصوص الشعريّة . وأمّا **الجانب الموسيقي** ، وهو الجانب الثاني الذي نقف عنده في دراسة الخصائص اللّفظيّة لشعرهم ، فإنّ ما لا خِلافَ حَوْلَهُ أنّ صيغةَ الشّعْرِ صيغةٌ موسيقيّة ، وأنّ هذه الموسيقى تنقسم إلىٰ موسيقى خارجيّة وموسيقى داخليّة ، فالموسيقى الخارجيّة تقوم على أساسَيْنِ هما الوزن والقافية ، والموسيقى الداخلية تقوم على أمور أهمُّها ما أسماها علماءُ البلاغةِ بالمحسِّنات اللّفظيّةِ ؛ فنقف أوّلاً عِنْدَ أبْرز عناصر مُوسيقى الشعر وهو الوزن ، فننظر في البحور الّتي صاغ شعراءُ كلبٍ عليها أشعارَهم ، وفي أهم ما يُلاحَظُ من ظواهر عَرُوضيّةٍ فيها ، ثم نقف عند قوافيهم فننظُر في أكثر الحروف التي جاءت رويّاً لأشعارهم ، وفيما أصابَ قوافِيَهُمْ من عيوبٍ تَشِينُها ، ثم نختم الحديثَ عن الجانب المُوسيقي بالوقوفِ علىٰ عددٍ من المُحَسِّنات اللّفظية التي أَغْنَتْ هذا الجانبَ وزادَتْ في جَمال الشعر .

فبُحور الشعر العربيّ الّتي نظم عليها شعراءُ بني كلبٍ قصائدهم ومقطّعاتِهم التي اجتمعَتْ لدينا هي عَشَرةُ أَبْحُر من بحور الشعر المعروفة ، وهي : الطَّوِيل والوافِر والبَسيطِ والكامل والرَّجَز والخفيف والرّمل والمتقارب والمنسرح والسريع ؛ ويبيّن جدولٌ إِحصائيٌّ للبحور ولعدد النُّصُوص التي جاءت علىٰ كلِّ بحرٍ أنَّ القومَ أكثروا من

---

(١) انظر شعراء تغلب ١ : ٣٢١، وشعراء بني أسد ١ : ٣٥٢ ـ ٣٥٣، وشعراء قبيلة طيّء : ١ : ٦٦٥ـ٦٦٦ .

استخدام البحورِ الَّتي شاعَ استخدامُهَا في الشّعر الجاهليّ أكثر من غيرها ، وهذا هو[1] :

	البحر	عدد النّصوص	
١	الطويل	١٤٣	
٢	الوافر	٨٣	(منها نص واحد على مجزوء الوافر)
٣	البسيط	٤٣	
٤	الكامل	٤٢	(منها خمسة نصوص على مجزوء الكامل)
٥	الرجز	٢٨	(منها نص واحد على مجزوء الرجز)
٦	الخفيف	١٣	
٧	المتقارب	٦	
٨	الرمل	٥	(ثلاثة منها على مجزوء الرمل)
٩	السريع	٣	
١٠	المنسرح	٢	

فقد استأثر البحرُ الطويل بأكبر عددٍ من نصوصهم وهو مئة وثلاثة وأربعين نصاً ، وجاء من بعدهِ الوافر الذي استأثر بثلاثة وثمانين نصّاً ، ثم جاء البسيط في ثلاثةٍ وأربعين نصّاً ، فالكامل في اثنين وأربعين نصّاً ، فالرجز في ثمانية وعشرين نصّاً ، فالخفيف في ثلاثة عَشَر نصّاً في حين جاء نظمهم على سائر البحور العشرة نادراً فنظموا علىٰ المتقارب ستة نصوصٍ ، وعلىٰ الرمل خمسة ، وعلىٰ السريع ثلاثة ، وعلىٰ المنسرح اثنين .

---

(١) أدخلتُ في هذا الجدول ما صحّت نسبتُه إلىٰ شعراء بني كلب، وما نُسِب إليهم وإلى غيرهم ورجّحتُ كونَه لهم، في حين أسقطتُ ما ثَبَتَ أنّه لغيرهم يقيناً، أو ترجيحاً، وما بقيَ مُتَنازَعاً دون أنْ أقف على مُرَجّح في نسبتها، وعَدَدْتُ النصَّ المنسوبَ إلى غيرِما شاعرٍ من كلبٍ مرّةً واحدة، ولم ألتفت إلى عدد أبياتِ النص، فهو نصٌّ سواءٌ أكَثُرَتْ أبياته أم قَلَّتْ .

ولا يقتصر الإكثارُ من استخدام البحر الطويل والوافر والبسيط والكامل والرجز والخفيف على شعراء بني كلب ، بل إنّ الدراسات حول أشعار كلّ من تغلب وأسد وطيّيء وذبيان انتهت إلى النتيجة نفسها ، وكان البحر الطويل أكثر البحور استخداماً في أشعار تلك القبائل جميعاً ، ويليه الوافر في مُعظمها[1] ، ونبّه أبو العلاء المعرّي على أنّ البَحر الطّويل هو أكثر بحور الشعر العربي استخداماً وذكر بعده البحر البسيطَ[2] ، وقد رأينا أَنَّ الوافِرَ يتقدّم على البسيط في أشعار عدد من القبائل ومنها بنو كلب .

وتَسْتَوْقِفُنا في شعرِ كلبٍ ظاهرةٌ عَرُوضيّة نبّه ابنُ رشيق على كثرةِ وُرودها في أشعار العرب ، وهي الخَرْمُ ، فقال : « وقد يأتُونَ بالخَرْمِ كثيراً ، وهو ذهابُ أَوّلِ حركةٍ من وَتَدِ الجزء الأوّل من البيت ؛ وأكثر ما يقع في البيت الأوّل . . . »[3] ، ثم نبّه على أنّ أصلَ الخَرْمِ هو عيبٌ في الأنفِ ، ومن ثَمَّ هُوَ كذلك عيبٌ في الشعر ، ثم علّل كثرة وُرودِهِ في أشعار العرب القُدَمَاء فقال : « وإنّما كانتِ العربُ تأتي به لأنّ أَحَدَهُمْ يتكلّم بالكلام على أنّه غير شعرٍ ، ثمَّ يرىٰ فيه رأياً ، فيصرفه إلىٰ جهة الشعر ، فمن ها هنا احتُمِل لهم ، وقَبُحَ من أفعال غيرهم »[4]. وذكر التبريزي أنّ الخَرْمَ يقع في كلّ بَحْرٍ يبدأ بتفعيلةٍ أَوَّلُها وَتَدٌ مجموعٌ وهُنّ ثلاث تفعيلات : (فعولن) و(مفاعيلن) و(مُفاعَلَتُنْ)[5] ، فهو لذلكَ يقع في الطّويل والمتقارب لأنّهما يبدأانِ بـ(فَعُولُنْ) ، وفي الهَزَج لأنه يبدأ بـ(مفاعيلن) ، وفي الوافر لأنّه يبدأ بـ(مُفَاعَلَتُنْ) ؛ ولكنّ هذا لم يقع إلاّ في عَشَرَةِ نصوصٍ من البحر الطويل في

---

(١) انظر شعراء تغلب ١ : ٣٣٠، وشعراء بني أسد ١ : ٣٦٠، وشعراء قبيلة طيّيء ١ : ٦٩٢ وشعر قبيلة ذبيان : ٢١٩ .

(٢) انظر الفصول والغايات : ٢١٢ .

(٣) العمدة : ٢٧٦ .

(٤) العمدة : ٢٧٧ .

(٥) الوافي في العروض والقوافي : ٤٢ـ٤٣ .

أشعار بني كلب ، فمنها قولُ زهير بنِ جَنَاب[1] :

إنْ تُنْسِنِــي الأَيّــامُ إلاّ جُــلالــةً   أَمَـتْ حيـن لا تَـأْسَـىٰ عَلَـيَّ العَـوَائِـدُ

وقول امرىء القيس بن عديّ[2] :

أَبْلِــغْ أَبَــا أَفْعَــى عــديَّ بــن مَعْقِــلٍ   وقد كُنْتُ شَوْلَ الرُّمْحِ إذْ غَابَ مَعْشَرِي

وقول سويد بن الحارث[3] :

أقسمــتُ لا أُعْطِيــكَ حقّــا ظُــلامــةً   ولا حــاجـزاً مـا انْتَعَلَـتْ نَعْلَهـا قَـدَمْ

وقول مرّة بن جنادة[4] :

يـا كلـبُ ذُبُّـوا عـن حَـريـمِ نسـائِكُـمْ   كمـا ذبَّ فَحْـلُ الشُّـوْلِ بيـن عشـارِهـا

وقول جوّاس بن القَعْطَل[5] :

لا زال صــوبٌ مــن ربيــعٍ وصيّــفٍ   بِهَضْـبِ القَليـبِ فـالتِّـلاعُ بـهِ خُضْـرُ

وقد نبَّهْتُ على الخرم في هذه المواضع وفي سائر المواضع في التعليق على أشعارهم .

ووقَعَ الوَقْصُ في موضع واحد من شعرهم ، ويكون الوَقْصُ بحذف الحرف الثاني المتحرّك من تفعيلة الكامل (مُتَفَاعِلُنْ) فتتحوّل إلى (مَفَاعِلُن) ، ويكون في أي تفعيلة فيه[6] ، وذلك الموضع هو قولُ الأصبغ بن عمرو[7] :

نَسَـأْتُهـا وتـركْـتُ خَلْفـي جُنْـدُبـاً   مَـرْحـىٰ كـأنّـي رُحْـتُ فـي مِـرْبـاعِ

---

(١) الديوان : ٣٨ .

(٢) الديوان : ٤٠١ .

(٣) الديوان : ١٩٦ .

(٤) الديوان : ٣٣٦ .

(٥) الديوان : ٤٤٧ .

(٦) انظر الوافي في العروض والقوافي ٩٢ـ٩٣ ، والمعيار في أوزان الأشعار : ٢٥ .

(٧) الديوان : ٣٧٤ .

ولا ريب أنّ ما جاء في شعرهم من خَرْم أو وَقْصٍ أدّى إلىٰ اضطرابٍ بسيط في أوزانِ بعضِ أشعارهم ، إلاّ أنّ ذلك ليس في أشعارهم خاصّةً ، كما أنّ له ما يُسَوِّغُه فيما سبق من كلام ابن رشيق .

وقد غَلَبَت حروفُ الرّويّ السّلسةُ اللّيّنة كالرْاء والباء واللاّم والميم على **قوافي أشعار بني كلب** ، ولم يأتِ في شعرهم من القوافي الوَعِرة المعتاصة إلاّ نصّانِ علىٰ رويّ الجيم ونصٌّ على رويّ الطّاء[1] ، ويبيّن الجدولُ التالي عَدَدَ النّصوص التي وردت على كل رويّ[2] :

	حرف الرويّ	عدد النصوص		حرف الرويّ	عدد النصوص		حرف الـرويّ	عـدد النصـوص
١	ر	٥٤	٨	ق	٨	١٥	هـ	٣
٢	ب	٤٤	٩	الهمزة	٧	١٦	ج	٢
٣	ل	٤٠	١٠	ح	٦	١٧	ض	١
٤	م	٣٢	١١	ي	٦	١٨	ط	١
٥	ن	٣١	١٢	ت	٥	١٩	ك	١
٦	د	٢٢	١٣	س	٤	٢٠	الألف	١
٧	ع	١٣	١٤	ف	٣			

ويتّضح من هذا الجدول أنّ شعراء كلب أكثروا من اتّخاذ الرّاء والباء واللاّم والميم والنون والدّال رويّاً لقصائدهم ، ولا ريب أنّ كثرة استخدامهم الراء رويّاً راجع إلى أنّ هذا الحرف هو أكثر حروف العربيّة دوراناً على ألسنتهم ، يُلاحظ هذا

---

(١) انظر القطعة (١) من شعر الأحمر بن شجاع ، وشعر الراعي الكلبي ، والقطعة (١٢) من شعر جواس بن القعطل .

(٢) راعيتُ في هذا الجدول ما راعيتُه في الجدول الذي صنعتُه لبحور الشعر المستخدمة في شعرهم ، ص : ٤٦١ .

الأمرُ بالنّظر السريع في المقدار الذي تأخذه الكلمات التي تنتهي أصولُها بحرفِ الرّاء في المعجمات الّتي تأخذ بأواخر الكلمات كاللّسان والقاموس والتاج ؛ كما أنّ هذا الأمر مُلاَحظٌ في الباء واللام والميم والنون والدال .

كما يتّضح أنَّ شعرهم خلا مِنْ رَوِيّ الثّاء والخاء والذّال والزّاي والشين والصّاد والظّاء والغَيْن والواو ، ولا شكّ في أنّ سبب ذلك هو صعوبة النّظم على رويّ هذه الأحرف لقِلّة الأصول العربيّة التي تنتهي بها ، ولأنَّ معظَمها لا يحمل من جَمالِ الجَرْس ما تحمله تلك الأحرف التي أكثروا من استخدامها رويّاً .

ومع أنّ شعراء كلب تخيّروا لقوافيهم حروفَ رويٍّ سلسة ليّنة تطرب لِجَرْسِها الأُذُنُ لم تخلُ قوافيهم من بعض العيوب التي تَشُوبها ، كالإقواء ، والسِّناد ، والإيطاء ؛ إذْ جاء الإقواءُ ـ وهو اختلافُ حَرَكَةِ الرَّويّ ـ في ستّة نصوص من شعرهم ، وجميعُها لشعراء جاؤوا بعد الإسلام ، فمن ذلك قولُ مرّة بن جُنَادة في أبياتٍ قالَها في وقعة صِفِّين[1] :

يـا كلـبُ ذبُّـوا عـن حـريـم نسـائِكـم كَمَـا ذَبَّ فَحْـلُ الشُّـوْلِ بيـنَ عِشَـارِهَـا

فجاء رويّ أبياتِه ـ وهو الرّاء ـ مكسوراً إلاّ في قولِه :

إِذَا نُـدِبـوا للحـربِ سـارَعَ مِنهُـمُ فَـوارِسُ حَـربٍ كـالأسـودِ ابتكـارُهَـا

فجاءَ به مضموماً ؛ وأقوىٰ مُرَّةُ بن جنادة في أبياتٍ أخرى قالها في وقعة صفين ، وذلك حين قال[2] :

أَلاَ سـألـتِ بنـا غَـداةَ تَبَعْثَـرَتْ بَكْـرُ العِـراقِ بِكُـلِّ عَضْـبٍ مِقْصَـلِ

فجاءت أبياتُه مكسورةَ الرّويّ إلاّ قوله :

والخيـلُ تَضْبِـرُ فـي الحـديـدِ كـأنّهـا أُسْـدٌ أصـابَتْهَـا بليـلٍ شَمْـأَلُ

(١) الديوان: ٣٣٦.
(٢) الديوان: ٣٣٦.

فجاء به مضموماً ، ولا ريب أنّ الموقف كان يمنع مرّة بن جنادة أنْ يُثَقِّفَ شعرَهُ ويراجِعَه ويتنبَّه على ما فيه من إقواء ، إذْ كان في ساحة حربٍ ، ومن ثَمَّ كان يقول شعره ارتجالاً ؛ كما أقوىٰ ثُمامَةُ بنُ قيسٍ في أبياتٍ قالها يومَ مرجِ راهط ، فقال[1] :

أَرَىٰ عَسْكَـراً جَمْعـاً لِسَفْـكِ دِمـائِنـا وعَمَّـا قليـلٍ لا نَشُـكُّ نُحَـارِبُ

فجاء بأبياتِه مضمومةَ الرّويّ إلاّ قولَهُ :

وعَهْدي بهم في المَرْجِ حين تَنَصَّرَتْ مَشَـايـخُ قَيْسٍ غيـر شيخَـيْ مُحـارِبِ

وكأنّ الشاعرَ أَلْحَقَ هٰذا البيتَ بالقصيدة فيما بعد فلم يتنبّه لاختلافِ حركةِ الرويّ ، لأنّ أبياته تلك تَتَحدّث عمّا سيكون في المعركةِ في حين أنَّ هذا البيت يتحدّث عمّا كان ، وإلاّ يَكُنْ كذلك فإنّ المَوْقِفَ كان يَحُولُ بينَه وبين التَّنَبُّهِ علىٰ هذا الإقواء .

فهذه المواضع الثلاثة أمكن الاعتذارُ لِوُرودها في شعرهم ، وبقي موضعان آخران في شعر عمرو بن مخلاة وزياد بن عصام[2] ، ولا أجد لذلك عذراً إلاّ ما ذكره الأَخْفَشُ من أَنَّ الإقواء يأتي كثيراً في شعر العرب[3] .

ووقع السِّنادُ في شعرهم مَرَّةً واحدةً ، والسِّنادُ هو كلُّ فَسادٍ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيّ في القافية ، وهو أنواعٌ ، منها سنادُ الحَذْوِ ، وذٰلِكَ إذا اختلفت الحركاتُ قبلَ الرِّدْفِ بين فتح وكسر ، أو فتح وضمٍّ ، وهو عيبٌ من عيوب القافية[4] ، وهذا النوع هو الذي جاء في شعرهم ، وذلك في قول عمرو بن حُجْر[5] :

ألا مَـنْ مُبْلِـغٌ قيسـاً رَسُـولاً بـأَنّـا قـد شَفَيْنَـا واشْتَفَيْنَـا
غـداةَ المَـرْجِ نَضْـرِبُكُـمْ بِبِيـضٍ صَـوارِمَ فـي المَهَـزَّةِ يَلْتَـوِينَـا

(١) الديوان : ٦١١ .
(٢) انظر الديوان : ٤٧١ ، ٦٩٠ .
(٣) انظر كتاب القوافي : ٤٦ .
(٤) انظر قوافي الأخفش : ٥٩ـ٦١ ، والعمدة : ٣١٧ ، والوافي في العروض والقوافي : ٢٤٤ـ٢٤٨ .
(٥) الديوان : ٦٥٧ .

فَلَـــمْ تَحْمُـــوا هُنَـــالِكُـــمُ ذِمــاراً　　وَلا عَطَفَـــتْ كَتـــائِبُكُـــمْ عَلَيْنَـــا
فَـــأَشْبَعْنـــا ضِبَـــاعَ الأَرْضِ منْكُـــمْ　　وأَقْـــرَرْنَـــا بِقَتْلِكُـــمُ العُيُـــونَـــا

فالرِّدْفُ في هذه الأبيات هو الواو والياء قبل النُّون التي هي حرف الرّوي ، فجاءَ الرّدفُ مدّاً في البيتين الثاني والرّابع إذْ سُبِقَتْ الياء والواو بما يناسبهما من الحركات ، وجاءَ حَرْفَ لِيْنٍ في البَيْتَيْنِ الأوّل والثّالث ، إذْ سُبِقَت الياء بالفتح ؛ وذكر ابنُ رشيقٍ أَنَّ السّنادَ كان يأتي كثيراً في شعر العرب ، ولكن لا يجوز للمولَّد أن يأتي به في شعره ، لأَنَّهُ عَرَفَ العيب فيه(١) .

ووقَعَ الإيطاءُ في شعرهم مرّةً واحدةً أيضاً ، والإيطاءُ أن يتكرّر لفظُ القافية ومعناها ، وهو عيبٌ من عيوبِ القافية إذا تكرَّرَ قَبْلَ سبعةِ أبياتٍ ، لأنّه ضربٌ من العِيِّ ، أمّا إذا تكرَّر بعد سبعة أبيات فليس بعيب ، وإذا تكرّر اللّفظُ دون معناه لم يكن عَيْباً عند معظم علماء العروض(٢) ؛ وجاء ذلك في قول زهير بن جَنَاب(٣) :

لَمَّـــا أَبَـــىٰ جيـــرتـــي إلاَّ مُصَمِّمَـــةً　　تَكْسُـو الـوُجُـوهَ مِـنَ المَخْـزاةِ أَلْـوانَـا

ثم قال بعد بَيْتَيْنِ :

كَـمْ مِـنْ كـريـمٍ هَـوَىٰ لِلْـوَجْـهِ مُنْعَفِـراً　　قَـدِ اكْتَسَـىٰ ثَـوْبُـهُ فـي النَّقْـعِ أَلْـوانَـا

فكرّر لفظ (ألوانا) في بيتينِ مُتَقَارِبَيْنِ ؛ فهذه هي أهمُّ عيوبِ القافية في شعرهم ، وهي كما رأينا قليلةٌ جدّاً ، ولها نظائر في أشعارِ العَرَب في الجاهليّة والإسلام .

ولا ريب في أنّ قلّة هذه العيوب مَرَدُّها إلى عناية القوم بشعرهم ، ولكنّها ليست تلك العناية التي عرفها شعراء العصر العبّاسي ، بل هي العناية التي كان عليها سائر العرب منذ الجاهلية إلى آخر عصر بني أميّة ووَصَفَهَا ابنُ رشيق بأنّها كانت تقوم على

---

(١) الاشتقاق : ٣١٧ .

(٢) انظر قوافي الأخفش : ٦١ ، والعمدة : ٣١٩ـ٣٢١ ، والمعيار في أوزان الأشعار : ١٢٧ ، والوافي في العروض والقوافي : ٢٤٢ .

(٣) الديوان : ٥٩ .

النّظر في : « فصاحةِ الكَلام وجَزالَتِهِ ، وبَسْطِ المعنىٰ وإبرازِهِ ، وإِتقان بنية الشّعر ، وإحكام عَقْدِ القَافِية ، وتَلاحُمِ الكَلام بَعْضِه ببعض »[1] .

ووردَتْ في أشعار بني كلب ضروبٌ ممّا سمّاهُ علماءُ البَلاغةِ في العصر العبّاسي **بالمحسّنات اللّفظية** ووضَعُوا لكلّ ضربٍ اسماً ، وهذه المحسنات تأتي في الشّعر فتزيده حسناً في موسيقاه ، بَيْد أنّها تتميّز في أشعار بني كلب بالسّلامةِ من التكلُّف والتصنُّع التي يتميّز بها معظم شعر العرب قبل العصر العبّاسي ، إِذْ تأتي في أشعارهم عَفْوَ الخاطِرِ دونَ استدعاء ، وكأنَّ الشّاعر لا يجد له عنها مصرفاً .

فمن تلك المحسّنات ما يُسمّىٰ بالجِناس ، إذ ورد في مواضع ليست بالكثيرة في شعرهم ، وأَوْضَحُها ما جاء في قول عمرو بن الأسود[2] :

وبَيْضٍ فَلَقْنَا هامَهُ بسيوفنا　　　وبَيْضٍ أَخَذْنا عَنْوةً لم تُفَلَّقِ

فجاء به جناساً تامّاً ، إِذْ جَانَس بين (بيض) الأولى والتي أراد بها الخُوذَ علىٰ رؤوس الفرسان و(بَيْضٍ) الثّانية التي أراد بها جماعةَ النّساءِ على التشبيه ببَيْضِ النَّعام في صفائِه . ومما جاء واضحاً قولُ عديّ بن غُطَيْف[3] :

كما سطا بالآرام عادٌ وبالـ　　　ـحِجْرِ وأَرْكىٰ لِتُبَّعٍ تَبَعَا

فجانَسَ بين (تُبَّع) وهو أحد تبابعةِ اليَمَن ، و(تَبَعَا) بمعنى التَّابع ؛ وفي قول مَصاد بن أسعد[4] :

فَهَلّا بني عَيْناءَ عايَنْتَ جَمْعَهُمْ　　　بحالةَ إِذْ سُدَّتْ عَلَيْكَ المَصَادِرُ

فجانَسَ بين (عَيْناء) و(عايَنْتُ) ؛ وفي قول العبيد بن عامر[5] :

---

(١) العمدة : ٢٥٨ـ٢٥٩ .
(٢) الديوان : ٧٠ .
(٣) الديوان : ١١٠ .
(٤) الديوان : ٣٩٦ .
(٥) الديوان : ١٦٧ .

إذا كَظَّهُنَّ الطَّعْنُ من كلِّ جانبٍ كَظَمْنَ فما يَشْكُونَ إلاّ تَحَمْحُمَا

فجانس بين (كظّهنّ) و(كَظَمْنَ) ؛ فهٰذه أبرز أمثلةِ الجناس في شعرهم الجاهليّ .

وممّا جاءَ من الجناس في شعرهم بعد الإسلام قولُ حِبال بن حِصْن[1] :

حَسْبِي إذا احْتَمَلُوا أَنْ يَحْمِلوا ثِقَلِي ومِلءُ كَفِّيَ عند الجُهْدِ يَكفيني

فجانس بين (كفّي) و(يكفيني) ؛ وقولُ جوّاس بن القَعْطَل[2] :

شَهِدْتُ لَهَا وغابَ أبو بُرَيْدٍ مَجالسَ لَوْ رآها الشَّيْخُ غارا

فجانس بين (غاب) و(غار) .

وقول عمرو بن عروة بن الغَدَّاء[3] :

روضةُ الخُرِّ لنا مُرْتَبَعٌ نَرْتَعي فيها ونَرْعى النَّعَما

وقوله[4] :

وقد يكونُ لنا بالخُرّ مُرْتَبَعٌ والرَّوْضِ حيثُ تناهىٰ مرتعُ البَقَر

فجانس في البيت الأول بين (مرتبع) و(نَرْتعي) وفي الثاني بين (مُرْتبع) و(مَرْتع) ؛ وقول عمرو بن مخلاة[5] :

خَبَطْتُ بهم مَنْ كادَني من قَبيلةٍ فَمَنْ ذا إذا عَزَّ الخُطُوبُ يَرومُها

فجانس بين (خبطْتُ) و(الخطوب) .

فهذه الأمثلة من الجناس تجتذبُ الأُذن ، لأنّ هذا الجناس ضربٌ من تكرارِ الصوتِ الذي تستحسنُه الأذن ويأخذها به التّطريب ، ولا سيّما أنّه يأتي في شعرهم دون استكراه .

---

(١) الديوان : ٦٣١ .
(٢) الديوان : ٤٥٢ .
(٣) الديوان : ٥١٨ .
(٤) الديوان : ٥١٦ .
(٥) الديوان : ٤٧٨ .

وفي شعرهم من المحسّنات اللّفظيّة التي تُغْني موسيقى الشعر ما يعرفُ عند البلاغيّين بردّ العجز علىٰ الصّدر ، وهو أن تأتيَ في أوّل البيت بلفظ ثم تأتي به أو بما يشاركه في الاشتقاق في آخره[1] ، فهو شبيهٌ بالجناس من حيث قيمته الموسيقيّة من استحسان المُكَرَّر والطّرب له ، ويزيد علىٰ الجِناس بأنّه يُحْدِث تآلُفاً وترابُطاً بين الموسيقىٰ الداخليّة المتمثّلة بالتكرار وبين الموسيقى الخارجيّة المتمثّلة بالقافية ، وذلك أنّ الشاعر يجعل المكرَّر من الألفاظ والحروف في قافية البيت وما يسبقها ؛ فَمِن ذلك قول عمرو بن الأسود[2] :

فمَا الدّنيا بباقيةٍ لحيٍّ ... ولا حيٌّ على الدّنيا بباقِ

وقول زهير بن جَنَاب[3] :

وقد كنَّا رَجَوْنا أنْ تُمِدُّوا ... فَأخْلَفَنَا مِنِ ٱخْوَتنا الرَّجاءُ

وقوله[4] :

أَميناً على سِرّ النّساء وربَّما ... أكُونُ علىٰ الأسرارِ غير أمينِ

وقول الربيع بن عقيل[5] :

وتَسْخُنُ منكم أعينٌ باقتضائنا ... كما قرَّ منكم أمسِ فيه عُيونُ

وقول مسعود بن مصاد[6] :

قد كنتُ في عُصُرٍ لا شيء يعدلُه ... فبانَ منّي وهذا بعدَه عُصُرُ

---

(١) الوافي في العروض والقوافي : ٢٧٢ ، وشرح الكافية البديعية ـ للحِلّي : ٨٢ ، وقانون البلاغة : ١٠٢ .
(٢) الديوان : ٧١ .
(٣) الديوان : ٣١ .
(٤) الديوان : ٥٦ .
(٥) الديوان : ١٦٣ .
(٦) الديوان : ٩٦ .

فهذه الأمثلة من أشعار الجاهليّين ، ونجد في أشعار الأمويّين قول جوّاس بن القعطل[١] :

لعمري لقد أبقَتْ وقيعةُ راهطٍ على زُفَرٍ داءٍ من الداءِ باقيا

. . . .

يُبَكّي علىٰ قتلىٰ سليم وعامرٍ وذبيانَ معذوراً ويُبْكي البواكيا

وقوله[٢] :

يُحسِّر رأساً لا يُقَنِّعُ للخنا ولكنّه للمَكْرُماتِ يُقَنِّعُ

وقول عمرو بن عروة بن الغدّاء[٣] :

سَعىٰ عقالاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرٌو عِقالَيْنِ

وقول ذي الإصبع حفص العليميّ[٤] :

ويا ليتَ أَنَّ الله إنْ لم أُلاقِها قَضىٰ بين كلّ ٱثنين أَلاّ تلاقيا

وقول جُماهر[٥] :

قضىٰ كلُّ ذي دَيْنٍ فَوفَّىٰ غَريمَهُ ودَيْنُكَ عند الزاهريّةَ ما يُقضىٰ

وغير ذلك .

فنلاحظ أنّ هذين الضَّرْبَيْنِ يَرْفِدانِ الموسيقى الخارجية للشعر بجوّ من الموسيقىٰ الداخليّة ، إذْ تأتي الكلمة في حشو البيت ثم لا يَلبث صداها أنْ يتردّد في موضع آخر منه فتطرب له الأذن طَربَها للصَّدىٰ .

---

(١) الديوان : ٤٦٦ .
(٢) الديوان : ٤٥٣ .
(٣) الديوان : ٥١٨ .
(٤) الديوان : ٥٨٨ .
(٥) الديوان : ٦١٧ .

وممّا يرفِدُ موسيقىٰ الشعر بعناصر جديدة ما يسمّىٰ بلزوم ما لا يلزم ، وهو أن يلتزم الشاعرُ في قوافيه ما لا يجب الْتِزامُهُ من الحروف ، ويكون في بيتين أو أكثر[1] ، فمن ذلك التزامُ زهير بن جَنَاب الرّاءَ المفتوحة المشدَّدة في مقطّعةٍ مطلعها[2] :

فــــي آلِ مُـــــــرَّةَ شُنَّــــــــأٌ لـــــي قـــد علمـــــتُ وآلِ مُـــــرَّةْ

وإنّما حرف الرَّويّ هو الرّاء المفتوحة فالتزم الرّاءَ الساكنة قبلها في جميع الأبيات ؛ ومثل ذلك التزامُه الياءَ المشدّدة في قصيدةٍ مطلعها[3] :

جـــدَّ الــــرَّحيـــلُ ومـــا وقفـ . . . ـــتُ علـــى لميـــس الإرْأَشيَّـــةْ

وإنّما حرف الرّويّ الياء المَفْتوحة . فالتزم الياءَ الساكنة قبلها في أبيات القصيدة . ومن ذلك التزامُ زهير بن جَنَاب الواوَ في بيتين من قصيدة رائيّة مُرْدفة بالألف ، وهما قوله[4] :

إذا طـــالَ التَّجـــاوُلُ فـــي الغِـــوارِ ويَمْنَعُهــــا بنـــو نَهْـــدٍ وجَـــرْم
وأَهْيَـــبُ عـــاكِفُـــونَ علـــىٰ الـــدَّوارِ بكــــلّ مُنَــــاجِـــدٍ جَلْـــدٍ قُـــواهُ

والْتَزَمَ عمرُو بنُ الأسود الرّاءَ في بيتين من مقطّعة ميميّةٍ مُرْدَفةٍ بالألف ، فقال[5] :

فــإن يَــكُ صــادِقــاً بــالتَّيْــمِ ظنّــي يَشُــبُّ الحَــرْبَ أَلْـــويـــةٌ كِـــرامُ
فمـــا أدري وعَلِّـــي ســـوف أدري أحِـــلٌّ مَـــالُ أَهْـــبٍ أَمْ حـــرامُ

والْتَزَمَ عدِيُّ بنُ غُطَيف الواوَ في ثلاثة أبيات من مقطّعةٍ همزيّةٍ مُرْدَفة بالألف[6] :

---

(١) جواهر البلاغة : ٤٠٧ ، وانظر شرح الكافية البديعيّة : ٢٠٣ـ٢٠٤ .
(٢) الديوان : ٤٢ .
(٣) الديوان : ٦٢ .
(٤) الديوان : ٤٠ .
(٥) الديوان : ٧٢ .
(٦) الديوان : ١٠٩ .

تَنْضُو البراجِمُ والحروبُ جمالَها   لا أَنْ تُحَثَّ وأَنْ تُحَثَّ سَوَاءُ
أُخْبِرْنَ بالجَوْلان رَوْضاً مُمْرِعاً   وكأَنّ حارِثَهُ لهنَّ لِوَاءُ
لَمَّا احْتَلَلْنَ حليمةً مِنْ جَاسِمٍ   طُرِح العِصِيُّ وأُدْرِكَ الأَهْوَاءُ

فهذه أمثلةٌ من بعض ما جاء في أشعار الجاهليّين ، ووردت أمثلةٌ أُخرىٰ في أشعارهم بعد الإسلام ؛ فمنها الْتِزامُ جَوّاس بن القَعْطَل الكافَ في بيتين من قصيدةٍ يائيّة ، فقال[1] :

يُبكِّي على قتلى سُلَيْمٍ وعامرٍ   وذبيانَ معذوراً ويُبكي البواكيا
دَعا بسِلاحٍ ثمّ أَحْجَمَ إذْ رأىٰ   سُيوفَ جَنابٍ والطِّوالَ المَذَاكيا

والْتَزَمَ عمرو بن مِخْلاَة القافَ في بيتين من قصيدةٍ عينيّة ، فقال[2] :

ويومٍ تُرى الراياتُ فيه كأنّها   عوائفُ طيرٍ : مُسْتَديمٌ وواقعُ
خَلا أَرْبَعٌ بعد اللّقاء وأربعٌ   وبالمَرْج باقٍ من دمِ القوم ناقِعُ

والْتَزَمَ الرّاءَ في بيتين من قصيدةٍ ميميّة مُرْدَفَةٍ ، فقال[3] :

إذا خَطَرتْ حَوْلي قُضاعَةُ بالقَنا   تَخَبَّطُ فِعْلَ المَصْعَباتِ قُرُومُهَا
خَبَطْتُ بِهِمْ مَنْ كَادَنِي مِنْ قبيلةٍ   فمَنْ ذا إذا عَزَّ الخُطوبُ يَرُومُهَا

والتزمَ حفصٌ العليميُّ النُّونَ في بيتين من قصيدةٍ يائيّة ، فقال[4] :

أقولُ لِحِلْمي لا تَزَعْني عنِ الصِّبا   وللشَّيْبِ لا تَذْعَرْ عَلَيَّ الغَوانِيَا
طلَبْتُ الهَوىٰ الغَوْريَّ حتّى بَلَغْتُهُ   وسيَّرتُ في نَجْدِيِّهِ ما كَفانِيَا

والتزمَ جُماهر الرّاءَ في بَيْتَيْنِ من قصيدةٍ على الضّاد ، فقال[5] :

---

(١) الديوان : ٤٦٦ .
(٢) الديوان : ٤٧٤ .
(٣) الديوان : ٤٧٨ .
(٤) الديوان : ٥٨٨ .
(٥) الديوان : ٦١٧ .

صُـدُوداً عَـنِ الحَـيِّ الَّـذيـنَ أَوَدُّهُـمْ   كَـأَنِّـي عَـدُوٌّ لا يَطُـورُ لَهُـمْ أَرْضَـا
وَلَـمْ يَـدْعُ بـاسْـمِ الـزَّاهِـرِيَّـةِ ذاكِـرٌ   علـىٰ آلَـةٍ إلاَّ ظَلِلْنَـا لَهَـا مَـرْضَـىٰ

وهذا الضّربُ من ضروب المحسّنات اللّفظيّة من محاسِنِ الشِّعر ، لأنَّ الأُذُنَ إنّما تنتظر تكرارَ حرفِ الرَّوِيِّ الذي هو رُكْنٌ أساسيّ من الموسيقىٰ الخارجيّة للقصيدة لا بدَّ منه ، فإذا ما شَفَعَ الشاعرُ حرفَ الرّويّ بحرفٍ آخر قبلَ الرَّويِّ طَرِبَتْ له الأذن وارتاحت له النَّفْسُ .

وثمّة ضربٌ آخر من المحسّنات اللّفظيّة يُغْني موسيقى الشعر ، وهو التَّصريع ، وذلك بأَنْ يَقْصِدَ الشاعِرُ إلى جَعْلِ آخِرِ المِصْراع الأَوّل من البيت كآخِرِ المصراع الثاني في الوزن والرّويّ والإعراب ، وأحسن ما يكون التّصريع عندما يأتي في أثناء القصيدة[1] ؛ وقد ورد هذا الضّرب من المحسّنات اللَّفظيّة في مطالع عددٍ ليس بالكثير من أشعار بني كلب ولم يأتِ شيءٌ منه في أثنائها ؛ فمن ذلك في أشعار الجاهليّين قولُ زهير بن جَنَاب[2] :

أَمِـنْ آل سَلْمَـىٰ ذا الخيـالُ المُـؤَرِّقُ   وقـد يَمـقُ الطَّـيْـفَ الطَّـروبُ المُشَـوَّقُ

وقوله[3] :

حَـيِّ داراً تَغَيَّـرَتْ بـالجَنـابِ   أَقْفَـرَتْ مِـنْ كَـواعِـبٍ أتـرابِ

وقوله[4] :

لَيْـتَ شِعْـري والـدَّهْـرُ ذُو حِـدْثَـانِ   أَيَّ حيـنٍ مَنِيَّتـي تَلْقَـانـي

وقول امرىء القيس بن حُمام[5] :

---

(١) انظر شرح الكافية البديعية : ١٨٨ ، وقانون البلاغة : ١٢٨ .
(٢) الديوان : ٤٦ .
(٣) الديوان : ٣٤ .
(٤) الديوان : ٥٨ .
(٥) الديوان : ٨١ .

لآلِ هنـــدٍ بجَنْبَـــيْ نَفْنَـــفٍ دارُ   لـم يمـحُ جـدّتَهـا ريـحٌ وأمطـارُ

وقول عمرو بن الأسود[1] :

أَلا يـا عَيْـنُ جُـودي بـاَنْـدِفـاقِ   عَلـىٰ مُـرْدَىٰ قُضـاعـةَ بـالعِـراقِ

وغير ذلك ؛ ومن التّصريع في أشعارِ مَنْ جاء بعد الإسلام قولُ عمرو بن مخلاة[2] :

شَفىٰ النَّفْسَ قتلى لم تُوسَّد خُدُودُهَا   تُلِـمُّ بهـا طُلْـسُ الـذِّئـابِ وَسُـودُهَـا

وقول عِمْران بنِ هَلْباء[3] :

قِفـي صَـدْرَ المَطِيَّـةِ يـا جُـلالا   وجُـذّي حَبْـلَ مَـنْ قَطَـعَ الـوِصـالا

وقول خِرْقَة بن نُباتَة[4] :

إلـىٰ الله أَشْكُـوْ عَبْـرَةً قَـدْ أَطَلَّـتِ   وَنَفْسـاً إذا مـا عَـزَّهـا الشَّـوقُ ذَلَّـتِ

ويرجع حُسْنُ هذا الضَّرْبِ إلى أَنَّ الأُذُن تنتظرُ الرَّويّ في آخر البيت ، فإذا به يَفْجَؤُها في آخر الشّطر الأوّل ، ويكون ذلك أحسن وأطرف إذا ما جاءَ في أثناء القصيدة بعدَ البيت الأوّل ، لأنّ الأذن تكون قد اعتادَتْ على وُرودِ حرف الرّويّ في القافية وَحدَها فإذا بها تَلْتَقِيهِ به في موضع لا تتوقَّعُه ولا تنتظرُهُ فيه .

فهذه المُحَسِّنات اللَّفظيّة المختلفة من جناس وَرَدّ عجز على صدر والتزام ما لا يلزم وتصريع تُؤمّن للشعر جمالاً موسيقياً يؤثّر في المتلقّي ، فيُسْهِمُ إذْ تَرْتَاحُ لَهُ النَّفْسُ في جَلاء المَعْنى وإيضاحِهِ ؛ وهذه الأمور المُتَعلّقة بموسيقى الشعر سواءٌ أكانت تلك المتعلّقة بالأوزان أم بالقوافي أو بالمحسّنات اللّفظية لا تختصّ بشعراء كلب ، بل هي عامّةٌ في فنّ الشّعر ، نجدها في أشعار العرب كلّهم ، ما كان من هذه الأمور حسناً أو عيباً .

---

(١) الديوان : ٧١ .

(٢) الديوان : ٤٧١ .

(٣) الديوان : ٤٩٨ .

(٤) الديوان : ٥٤٥ .

وأمّا الجانب الثالث الذي نقف عنده في دراسة الخصائص اللّفظيّة لشعر بني كلب فهو **الجانب اللّغويُّ والنّحوي** ، ويمكننا تناول هذا الجانب من خلال عدّة أمور هي : غريب اللُّغة ، والحفاظ على بعض ألفاظها ، والتوليدُ في أبنيتها ، والتّصرّف فيها ، ثمَّ التصرُّف في قواعد النحو .

وقد اضطَّرنا الحديث عن خصائص شعرهم المعنويّة من قبلُ إلى الحديث عن الألفاظ الغريبة فيه ، وذلك حين رأينا أنّ معانِيَهُمْ تتَّسم بالوضوح الذي تشُوبُه بعض الألفاظ الغريبة بين الحين والحين ، وأنّ تلكَ الألفاظ الغريبة قلّما جاءَتْ شديدة الكثافة في شعرهم تحجب المعنىٰ وتجعله غامضاً حتى تُزالَ غرابَةُ الألفاظ[١] ، فالغريبُ في شعر بني كلب لم يكن كثيراً كثرتَهُ في شعر بني أسد[٢] ، ولا كثرتَهُ لدىٰ شُعراءِ هُذَيْلٍ وعَدَدٍ من شعراء الغريب الذين قال عنهم الأصمعيّ فيما نقل أبو أحمد العسكري عنه : « تَقُولُ الرُّواة والعلماء : مَنْ أراد الغريبَ فَعَلَيْهِ بشعر هُذَيْلٍ ورَجَزِ رؤبة والعَجّاج ، وهؤلاء يجتمع في شعرهم الغريب والمعاني ؛ ومن أراد الغريبَ في شعر المحْدَث ففي أشعار ذي الرّمَّةِ ؛ ومن أراد الغريبَ الشّديدَ الثّقة ففي شعر ابن مُقْبِل وابنِ أحمر وحُمَيْد بن ثور الهلاليّ والرّاعي ومُزَاحمٍ العُقَيْليّ »[٣] ، فالغريبُ في أشعار كلب بالقياس إلىٰ ما في أشعار هؤلاء من الغريب قليلٌ جدّاً ، وما يُصادِفُنا من الغريب فيه إنَّما يرجع إلى طولِ العهد وترك استعمال تلك الألفاظ ، لا إلى تَعَمُّدِ شعراء كلب المجيءَ به في شعرهم ، ويظهر أنّ سبب قلّة الغريب في شعرهم راجعٌ إلىٰ أنَّ وَصْفَ الصَّحراء وحيوانها المختلف لم يكن غرضاً بارزاً في شعرهم كما في شعر أصحاب الغريب ، وهم يُشْبِهون في ذلك شعراء بني تغلب[٤] ، وشعراء طيّىء[٥] .

---

(١) انظر ما سبق ، ص : ٤١٢ .

(٢) انظر شعراء بني أسد ١ : ٣٧٣ـ٣٧٥ .

(٣) المصون في الأدب : ١٦٩ ؛ وانظر العجاج حياتُه ورجزه : ٤٠٦ .

(٤) انظر شعراء تغلب ١ : ٣٢٥ .

(٥) انظر شعراء قبيلة طيّىء ١ : ٦٨١ـ٦٨٣ .

ونجد في أشعار بني كلب عدداً من الألفاظِ التي لم ترد معانيها في المعجمات الواسعة كالعين وتهذيب اللّغة ومقاييس اللّغة والصّحاح والقاموس واللّسان والتاج ، فشاركوا بذلك في الحفاظ على بعض اللُّغة من الضّياع ؛ فمن تلك الألفاظ ما جاء في قول زهير بن جَنَاب[1] :

وإنْ عِفْتَ هذا فادْنُ دونَك إنّني ... قليلُ الغِرارِ والشَّريحُ شعاري

فقد قال أبو عمرو الشيباني : « وقال الكلبيُّ الزُّهيريّ : كلَّمَهُ فما غارَّهُ حَتّى أجابَهُ ، أي لم يحبِسْهُ بالجواب ؛ قال زهير بن جناب : (البيت) »[2] أراد أنّ (الغِرار) في بيت زهير هو مصدر الفعل (غارَّهُ) إذا أسرع بالإجابة ولَمْ يتأخَّر بها فَيَحبِس المُخَاطَب ؛ ولم يرد هذا المعنى في المعجمات .

ومن تلك الألفاظ أيضاً ما جاءَ في قول الأحمر بن شجاع[3] :

كأنَّه أَنْدَرِيٌّ مَسَّهُ بَلَلٌ ... مِنَ المُغيرةِ حَقَّتْهُ المَداريجُ

فقال أبو عمرو الشيبانيّ بعد البيت : « المَداريجُ : البَكَرةُ والمَحَالَةُ »[4] ، ولم يرد هذا المعنى في سائر المعجَمات ، وإنّما جاءَ : أدرَجْتُ الدَّلْوَ إذا مَتَحْتَ بهِ في رِفْقٍ ، وأنتَ مُدَارِجٌ : تفعل ذلك كثيراً[5] .

ومنها ما جاء في قول الأحمر بن شجاع من القصيدةِ نفسها :

فَرَّت صَحابَتُهُ عَنْهُ وغادَرَهُ ... نَوْمٌ فَأَيْقَظَهُ ذُعْرٌ وتَفْثيجُ

فقال أبو عمرو بعد البيت : « تقول : فَثَّجَني هذا الأمر أي أثقلني »[6] ، ولم يرد هذا

---

(١) الديوان : ٣٩ .
(٢) الجيم ٣ : ٧ .
(٣) الديوان : ٥٣٤ .
(٤) الجيم ١ : ٢٤٨ .
(٥) اللّسان (درج) ومثله في التاج (درج) .
(٦) الجيم ٣ : ٣٠ .

المعنى في المعجمات ، وإنّما جاء فيها : أَفْثَجَ الرّجُلُ ، وأُفْثِجَ : إذا أَعْيَا وانْبَهَرَ[١] .

ومنها ما جاء في قول هُردان بن عمرو[٢] :

حكى مِشْيَةَ المَخْمُورِ من غير قُدْرَةٍ　　عَلى مُزْلَئِجّاتٍ من الوِقْرِ فُتَّرِ

فقال أبو عمرو الشيباني بعد البيت : « يعني قوائِمَهُ وقد أُثقِلْنَ فما يَكدْنَ يَخْطُونَ »[٣] ولم أجد الفعل (ازلأجَّ) ولا شيئاً من مُشْتَقّاتهِ في المعجمات .

ونقف في أشعارهم على ضربٍ آخر من المحافظة على اللُّغة وهو ظهور أثرِ بعضِ لُغَاتِ القبائل فيها ، وقد أشار ابنُ جنّي إلى أنّ ذلك ممّا يفعلُه الشعراء ، وأفْرَدَ باباً في كتابه (الخصائص) حول : « الفَصيح يجتمع في كلامِه لُغَتانِ فَصاعداً »[٤] فَفَصَّلَ فيه وضَرَبَ الأمثلة ؛ فمن هذا أنَّ (السَّدِكَ) بمعنى المُولَعِ بالشيء لغةٌ خاصة بقبيلة طيِّء[٥] وقد وردَتْ في شعر طيِّء[٦] ، فاستخدم عبد عمرو بن جبلة الكلبيّ هذا اللّفظ بهذا المعنى الذي تستخدمُه طيّء فقال[٧] :

ووَدَّعْتُ لَذّاتِ القِداحِ وقد أُرىٰ　　بِهَا سَدِكاً عُمْري وَلِلَّهْوِ أَصْوَرا

وهو شَبيهٌ بقول الأعرج المَعْنيّ الطّائي[٨] :

ووَدَّعْتُ القِداحَ وقد أُراني　　بها سَدِكاً وإنْ كانَتْ حَراماً

ومن ذلك أنّ طيّئاً كانت تَقْلِبُ الياء المتحرّكة المكسورِ ما قبلها ألفاً وتفتح

---

(١) اللسان والقاموس والتاج (فثج) .
(٢) الديوان : ٦٠٣ .
(٣) الجيم ٢ : ٥١ .
(٤) الخصائص ١ : ٣٧٠ ، ومثله في المزهر ١ : ٢٦٢ .
(٥) اللسان والتاج (سدك) .
(٦) انظر شعراء قبيلة طيّء ١ : ٦٧٥ .
(٧) الديوان : ٣٩٤ .
(٨) شعراء قبيلة طيّء ١ : ٦٧٠ .

ما قبلها فتقول : (شَقَىٰ) بدل (شَقِيَ) و(بَقَىٰ) بدل (بَقِيَ) ، و(فَنَىٰ) بدل (فَنِيَ) و(نُعَىٰ) بدل (نُعِيَ)[١] ، وقد قال زهير بن جَنَاب[٢] :

ولَقَــىٰ ثَــوائــي اليــومَ مــا   عَلِقَــتْ حِبَــالُ القــاطِنيَّــةْ

أي ولَقِيَ ؛ وأثّرت هذه اللُّغة في تسميتهم أَوْدِيَتَهُمْ باسم (الأَوْداة) بدل (الأَوْدِية) ، ومن ثَمَّ قِيل : أَوْداةُ كلبٍ[٣] ؛ وجاء ذكرُها في ثلاثة مواضع من شعرهم أَوَّلُها قولُ قَتَادة بن شَعَّاث[٤] :

إِلَيْـكَ مِـنَ الأَوْداةِ يـا خَيْـر مَـذْحِـجٍ   عَسَفْــتَ بِهــا أَهْــوالَ كُــلِّ تَنُــوفِ

والثاني قول ابنة الربيع بن مِخْمَر[٥] :

نَفَيْـتَ عـن الأَوْداةِ بكْـرَ بـنَ وائـلٍ   وتَغْلِـبَ قـد أَحْجَـرْتَهَـا كـلَّ مَحْجَـرِ

والثالث قول حارثة بن صخر[٦] :

تَــرَكْــتَ أَبــاكَ بــالأَوْداةِ كَــلاًّ   وأمَّــكَ كــالعَجُــولِ مــنَ الظِّــرابِ

وممّا ورد في شعرهم من أثر لغات القبائل الأُخرى أَنَّ أَسداً وقيساً يُسَكّنون الواو والياء في (هُوَ) و(هيَ)[٧] ، وجاءَ ذلكَ في عدة مواضع من شعر كلب ، كقول الأحمر بن شجاع ، مثلاً[٨] :

بِجَـأْواءَ تُعْشِـي النَّـاظِـريـنَ كـأَنَّهـا   دُجىٰ اللَّيْلِ بل هِيْ مِنْ دُجىٰ اللَّيْلِ أكْبَرُ

ومن ذلك أنَّ مِنَ القبائلِ مَنْ يُثْبِتُ أَلِف (أَنَا) في الوَصْلِ كما يثبتونَها في

---

(١) انظر شعراء قبيلة طيّىء ١ : ٦٧٠ .
(٢) الديوان : ٦٢ .
(٣) انظر رسم (أوداة كلب) في معجم بلدان بني كلب الملحق بهذه الدراسة .
(٤) الديوان : ٤١٤ .
(٥) الديوان : ٧١٣.
(٦) الديوان : ١٤٠ .
(٧) انظر شعراء بني أسد ١ : ٣٦٤ـ٣٦٥ .
(٨) الديوان : ٥٣٦ .

الوَقْفِ ، نُسِبَ ذلك إلىٰ بعضِ قيس وربيعة وإلى تميم[١] ، فجاء ذلك في قول حميد بن حريث[٢] :

أَنـا سَيْـفُ العشيـرةِ فـأعـرفـونـي حُمَيْـداً قـد تَـذَرَّيْـتُ السَّنـامـا

وجاء المنذرُ بنُ درهم بكلا اللُّغَتَيْن في قصيدةٍ واحدة ، فقال في بعض أبياتها[٣] :

وأَحْـدثُ عهـدٍ مـن أُمَيْنَـةَ نَظْـرَةٌ إلـىٰ جـانِـبِ العَلْيـاءِ إذْ أَنَـا واقـفُ

فحذف الألف ، ثم قال :

فقلـتُ : أَنَـا ذُو حـاجـةٍ ومُسَلِّـمٌ فَضُـمَّ علينـا المَـأْزِقُ المُتَضـايِـفُ

فأَثْبَتَها ؛ ولا ريب في أنّ ظهورَ أثر لغة هذه القبائل ولا سيّما طيّىء ناتجٌ عن المجاورة بينهم وبين كلب ، كما رأينا في الحديث عن منازل بني كلب[٤] ؛ وظهورُ أثر لغات القبائل الأخرىٰ في أشعار العرب من الظّواهر العامّة ، وقد سبقت إشارة ابن جنّي إلىٰ ذلك .

وظهـور أثـر لغـات بعـض القبـائـل فـي شعـرهـم يستـدعـي السـؤال عـن أثـر لغة القبيلة نفسها في هذا الشّعْرِ ، وهذا يدعونا إلى الوقوف عند ما ذكر العلماء من أمورٍ متعلقة بلغة قُضاعةَ الجِذْم الذي ينتمي إليه بنو كلب ، وعندَ ما يتعلّق بلغة كلب خاصّة ؛ فقد وَصَفَ بعضُ فُصَحاءِ العربِ لغةَ قريشٍ فنفىٰ عنها عدداً من العُيُوب الظّاهرة في لَهَجات القبائل الأخرى ، ومِن ذلك الوصفِ قولُه : « ليست لهم غَمْغَمةُ قضاعة »[٥] ، وهي أَنْ تسمعَ الصّوت ولا يَتَبَيَّنُ لك تقطيعُ

---

(١) انظر معاني القرآن ـ للزجاج ٣ : ٢٨٧ ، وإيضاح الوقف والابتداء : ٤١١ ، والجليس الصالح ١ : ٣٠٥ ، والصّحاح والتكملة واللّسان والتاج (أنن) ، وشرح اللّمع : ٤٨٣ ، والمرتجل : ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢٨ ، وخزانة الأدب ٥ : ٢٤٢ .

(٢) الديوان : ٦٥٤ .

(٣) الديوان : ١٢٠ .

(٤) الديوان : ٦٣ .

(٥) البيان والتبيين ٣ : ٢١٢ ، والكامل ـ للمبرد : ٧٦٥ ، وغريب الحديث ـ لابن قتيبة ٢ : ٤٠٣ـ٤٠٤ وغريب الحديث ـ للخطّابي ٢ : ٢٥٤ ، والعقد الفريد ٢ : ٤٧٥ ، ودرّة الغوّاص : ١٨٣ ، واللسان والتاج (غمم) ، وخزانة الأدب ١١ : ٤٦٤ .

الحروف[١] أي إنَّهم لا يُعْطُونَ الحروفَ حقَّها من مخارجها فلا يكاد السامع يُمَيِّز الحروف ؛ ونُسِبَتْ إلى قضاعة أيضاً ظاهرةٌ أُخرىٰ هي العَجْعَجَة ، وذلك أنَّهم يُحَوِّلون الياءَ جيماً مَعَ العين ، فيقول : هذا راعجَّ خَرَجَ مَعِجْ ، أي : هذا راعيَّ خَرَجَ معي[٢] ، ومِنَ العلماء مَنْ ذهبَ إلىٰ أنَّهم يفعلونَ ذلك في الياء المشدَّدة ولم يَشْترطوا أَنْ تسبقَهَا عينٌ ، فيقولون : تميمجّ ، أي : تميميّ[٣] ، ومن ذلك ما دَلَّ عليه قولُ ابنِ جنّي : « فأما ما حكاه الكسائيُّ عن قضاعة ، من قولها : مَرَرْتُ بَهْ ، والمالُ لِهْ ، فإنَّ هذا فاشٍ في لغتها كلّها لا في واحدٍ من القبيلة »[٤] ؛ وتخالفُ قضاعةُ غيرها في شأنِ لَفْظِ (غير) ، فهذا اللفظ إمّا أَنْ يأتيَ صفةً فَتَتْبَعَ حركتُه حركةَ الموصوف ، وإمّا أَنْ يُسْتَثْنَىٰ به ، فيُعرَب إعرابَ الاسم الذي يأتي بعد إلاّ ، ولكنَّ قضاعةَ وبعضَ بني أسد يَنْصِبونَ هذا اللّفظ إذا اسْتُثْنِي به علىٰ كلّ حالٍ سواءٌ أَتَمَّ الكلامُ قبلَها أَمْ لم يتمّ ، فيقولون : (ما جاءَني غيرَك) ، و(ما جاءَني أحدٌ غَيْرَك)[٥] ؛ وذُكِرَ أنَّ العرب تلفظ كلمة (اسم) على عدّة أوجُهٍ ، فمن تلك الأوجه أَنَّ قضاعةَ تقول فيه : (سُمٌ) بضمّ السّين ؛ كما أنّ العَرَبَ تختلف في لفظ الضمير (أَنا) في الوقف والوصل فذُكِرَ أَنَّ قُضاعة تقول في الوصل (آنَ فَعَلْتُ) مثل : عانَ فعلتُ[٦] ؛ ولم يظهر أيُّ أثر لهذه الأمور المتعلّقة بلغة قضاعة في شيءٍ من شعر كلب إلاّ قولَ قضاعة (سُمٌّ) فقد أُنْشِد في ذلك أبياتٌ لرجلٍ مجهولِ الاسم والعصر من بني

---

(١) غريب الحديث ـ لابن قتيبة ٢ : ٤٠٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٤٧٦ ، ودرة الغوّاص : ١٨٥ ، واللسان والتاج (غمم) وخزانة الأدب ١١ : ٤٦٤ .

(٢) الصحاح واللسان والتاج (عجج) .

(٣) الاقتراح : ٢٠١ ، والمزهر ١ : ٢٢٢ ، والتاج ١ : ٨ (مقدّمة المؤلف ـ الطبعة القديمة و١ : ٢٢ طبعة الكويت) ، والبلغة في أصول اللّغة : ١٦٣ .

(٤) الخصائص ١ : ٣٩٠ .

(٥) انظر الصحاح واللسان والتاج (غير) ، والجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢٣٣ ، واللّسان : (شهل) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٧ : ٢٨ ، وانظر التعليق على البيت الأول من شعر حميد بن حريث الكلبي ، في الديوان ص : ٦٥٤ .

كلب[١] ، ولا رَيْبَ أنّ هذا يرجع إلى أنَّ معظم تلك الأمور ظواهر لَهْجيَّة لا تظهر إلاّ بالسّماع والتّلَقّي من جهة ، ولأنّ الشعراء كانوا عندما ينظمون شعرهم يرتفعون عن لهجة قبائلهم إلى اللّهجة الأدبيّة العامّة وهي لهجة قريش ، ولذلك « اخْتَفَتْ جملةُ الخصائص التي تميَّزت بها كلُّ قبيلة في لهجتها ، فلم تتَّضح في شعر شعرائهم إلاّ قليلاً »[٢] .

ومن الظَّواهر اللَّهْجِيَّة المتعلّقة بلغة كلبٍ (الوَكْم) و(الوَهْم) ، فالوكم « في لغة ربيعة وقومٍ من كلب ، يقولون : عَلَيْكِمْ ، وبِكِمْ ، حيثُ كان قبل الكاف ياءٌ أو كسرة »[٣] ، والوَهْمُ « في لغة كلب ، يقولون : مِنْهِمْ ، وعَنْهِمْ ، ونَبِّئْهِمْ ، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة »[٤] ، وعامَّةُ العرب على أنّ هاء (هم) تُكْسَرُ بشرط أن تكون مسبوقةً بياء أو كسرة ، مثل (عليهِمْ) و(فيهِمْ) و(من بَيْنِهِمْ) ؛ ومن ذلك ما ذكره ابنُ جنّي من أنَّ كلباً « تقلب السِّينَ مع القاف خاصّةً زاياً فيقولونَ في سَقْر : زَقْر ، وفي ﴿ مَسَّ سَقَرَ ﴾ : مسَّ زَقَر ، وشاةٌ زَقْعَاء في : صَقْعاء ؛ ومثله في الصّاد : (ازْدُقي) في : اصْدُقي ، و(زَدَقَ) في : صَدَق ؛ . . . . وقال آخر :

يــــزيـــدُ زادَ اللهُ فـــي خَيْـــراتِـــهِ حـــامـــي نـــزارٍ عنـــد مَـــزْدُوقـــاتِـــهِ

أي : مصدوقاتِهِ »[٥] ، وقال القرطبيّ : « حكى سَلَمَةُ عن الفرّاء قال : (الزِّراط) بإخلاصِ الزّاي لغةٌ لِعُذْرةَ وكلب وبني القَيْنِ ؛ قال : وهؤلاء يقولون في (أَصْدَق) : أَزْدَق ؛ وقد قالوا : الأَزْد والأَسْد ؛ ولَسِق به ولَصِق به »[٦] ، وهذه

---

(١) انظر القطعة (٧) من أشعار مجاهيل الأسماء والعصور في الديوان .
(٢) العصر الجاهلي : ١٣١ .
(٣) الاقتراح : ٢٠٠ ، ومثله في المزهر ١ : ٢٢٢ ، والتاج ١ : ٨ (من مقدمة الطبعة القديمة = ١ : ٢٢ من طبعة الكويت) والبلغة في أصول اللغة : ١٦٣ ، وانظر كتاب سيبويه ٤ : ١٩٧ ، وارتشاف الضرب ١ : ٤٦٨ .
(٤) الاقتراح : ٢٠٠ ، ومثله في المزهر ١ : ٢٢٢ ، والتاج ١ : ٨ (مقدمة الطبعة القديمة = ١ : ٢٢ من طبعة الكويت) ، والبلغة في أصول اللغه .
(٥) سر صناعة الإعراب ١ : ١٩٦ ، وشاة صَقْعاء : في وَسَطِ رأسها بياض .
(٦) الجامع لأحكام القرآن ١ : ١٤٨ .

القبائل الثلاث : عذرة وكلب وَبلقين كلها من قضاعة ، وذلكَ يدلّ على أنّ إبدال الزاي من الصاد لهجةٌ لقضاعة لا لكلب وحدها ، ويؤكّد ذلك ما رواه الخطّابيُّ بسنده إلى الأصمعي قال : « اختلَفَ رجلٌ من مُضَر ورجلٌ من ربيعة ، فقال المضريّ : السَّقْر ، وقال الرَّبَعيّ : الصَّقْر ، فأقبل رجلٌ من قضاعة فأخبراه ، فقال : لا أقولُ كما قلتما ، إنّما هو الزَّقْرُ »[1] . ومن لغةِ كلب أنّهم يقولون : (بَنْ والله لا أتيك) يريدون : بَلْ والله ، فيجعلون اللام نوناً ، ويشارك كلباً في هذا بنو سعد وبنو باهلة[2] ؛ وتقول كلبٌ : فاضَتْ نَفْسُهُ تفيضُ فيضاً وفُيوضاً ، بدل فَاظَتْ ، ويشاركها في هذا بنو تميم[3] ؛ وكلب تقول : قِنْيان ، بينما يقول أهلُ الحجاز : قِنْوان ، وتقول قيسٌ : قُنْوان ، وتقول تميم وضبّة : قُنْيان[4] ؛ وواحدةُ النمارق عند العرب : (نُمْرُقة) بضمّ النونّ والرّاء ، وسُمِع عن بعض كلبٍ : (نِمْرِقة) بكسرِهما[5] ؛ والعرب تفتح النّون من حرف الجرّ (مِنْ) إذا جاء بَعْدَه ألف وَصْل أو لام التعريف فتقول : مِنَ القوم ، ومِنَ ابنِكَ ، وحُكيَ عن كلب وطيّىء : مِنِ القومِ ، ومِنِ ابنِك ، واطْلُبوا مِنِ الرحمٰن[6] ؛ وتقول كلبٌ : وِجْنَةٌ بكسر الواو ، بدل وَجْنَة بفتحها ، ومن العرب من يقول وَجَنَة ، ووُجْنَة ، وأُجْنَة[7] ؛ والعربُ تقولُ : صَدَّهُ عن الأمر ، وكلبٌ تقول : أَصَدَّهُ[8] ، وذكر التبريزيُّ أنّ العربَ تقول : أَوْغَرْتُ وَغِيرَةً إذا سَخَّنْتَ اللَّبَنَ المَحْضَ وحدَهُ حتّى يَنْضَجَ ، وربّما جُعِل فيه السَّمْنُ ، بينما تقول كلبٌ في لغتها : أوغرت إيغاراً إذا سَخَّنْتَ الحجارةَ ثمّ أَلْقَيْتَهَا

---

(١) غريب الحديث ١ : ٣٨٣ .

(٢) انظر تهذيب اللغة ١٥ : ٣٩٤ واللسان والتاج (بلل) و(بلا) و(بنن) .

(٣) انظر تهذيب اللّغة ١٢ : ٨٠ و١٤ : ٣٩٧ ، والصّحاح (فيض) ، واللسان والتاج (فيض) و(فوظ) و(فيظ) .

(٤) اللسان (قنا) .

(٥) اللسان (نمرق) .

(٦) اللسان (منن) .

(٧) انظر إصلاح المنطق : ١١٧ .

(٨) انظر الكشاف ٣ : ١٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣ : ٣٢٢ ، والبحر المحيط ٧ : ١٣٧ .

في الماءِ لِتُسَخِّنَهُ[١] ، في حين ذكر ابن منظور هذا المعنى ولم يجعله خاصّاً بلغة كلب ، ووَرَدَ الإيغارُ في قوْلِ مسروح بن أدهم النّعاميّ الكلبيّ[٢] :

ولقد رأيتَ مكانَهم فكرهتَهُمْ   ككراهَةِ الخنزيرِ للإيغارِ

ونبّه أبو عمرو الشَّيْباني في كتابه المعروف بالجيم وهو كتابُ النوادر[٣] على عدد من الألفاظ التي تحمل دِلالَةً خاصّة في لغة كلب ، فقال : « كلب تقول : ماءٌ ضَلَلٌ ، أَيْ كثير ؛ قال :

بِلاداً تَرَبَّعَ وَسْمِيَّهَا   نشاصُ الثُّرَيَّا بماءٍ ضَلَلْ »[٤]

ولم يظهر لنا مَنْ هو الشاعر ، وهل هو من كلب أو من غيرهم ، فإنْ كان من كلبٍ فهذا يدلّ علىٰ أثرِ لغتهم في شعرهم ؛ وقال أبو عمرو في موضعٍ آخر : « وقال أبو خليل الكلبيّ : هذا ماءٌ ضَلالٌ ، إذا كان كثيراً مُتَحَيِّراً لا يدري أين يَأْخُذُ »[٥] ، وفي موضع ثالث : « وقال الكلبيّ : ضَلِّلْ ماءَك ، أي سَرِّحْهُ في البلاد »[٦] .

وقال : « كلبٌ تقول : أرضٌ حَدِبَةٌ ، كثيرةُ النَّصِيِّ ، والحَدبُ : النَّصِيُّ في لغة كلب »[٧] وقال : « وقال أبو الخَرْقاء : اليَلَبُ : العَظيمُ في لغة كلب ، وأنشد :

رَأَتْني بنو بكرِ بْنِ عَوْفٍ كَفَيْتُهَا   غَداةَ تَسامىٰ سَرْبَها اليَلَبانِ »[٨]

---

(١) تهذيب إصلاح المنطق : ٧٢٤ .
(٢) الديوان : ٢٥٤ .
(٣) انظر الفهرست : ١٣٥ .
(٤) الجيم ٢ : ١٩٩ .
(٥) الجيم ٢ : ١٩٦ .
(٦) الجيم ٢ : ٢٠١ .
(٧) الجيم ١ : ١٥٧ ، والنَّصِيّ : ضَرْبٌ من النَّبْتِ ، وجاء في كتاب الشوارد في اللّغات للإمام الصّغانيّ : «أرضٌ حَدِبَةٌ : كثيرة الحَصَىٰ ؛ والحَدَبُ : الحصىٰ بلغة كلب» مجلة مجمع اللغة العربية مجلد ٦٢ ، جزء : ١ ، ص ١٤٠ ، حيث نُقِل النَّقْصُ الواردُ في النسخة المطبوعة من كتاب الشوارد ؛ وهُوَ تحريفٌ صوابُه ما جاءَ في الجيم ؛ انظر القاموس ، والتاج (حدب) .
(٨) الجيم ٣ : ٣٢٧ .

وفي بني كلبٍ بنو بكر بن عوف بن عُذْرَة بن زيد اللاَّت بن رُفَيْدَةَ بن ثور بن كلب بن وبرة وفيهم بطون كثيرة[1] ، فَإذا كان الشاعر منهم فهذا يدلّ أيضاً علىٰ أثرِ لغةِ القوم في شعرهم .

وقال : « وقال الكلبيُّ : نَدْعُو عَقَبَةً في ظاهر وَظِيفِ الرِّجلِ : القَطاةَ »[2] .

وقال : « كلبٌ تقول : لَبَّبَ بالثوب ، أي أشارَ به »[3] .

ونَقَلَ في مواضِعَ كثيرةٍ عن (أَبي خليلٍ الكلبيّ) وعن (الكلبيّ) وعن (الزُّهَيْرِيّ) نسبةً إلىٰ زهير بن جَنَاب[4] ، وكثير ممّا نقله عنهم مِنْ نوادر اللّغة التي لا نجد لها ذكراً في المعجمات الأُخرىٰ ، وقد سبقت أشياءُ من ذلك في الحديث عن حفاظ شعراء كلب علىٰ عددٍ من ألفاظ اللّغة .

وإذا رجعنا إلىٰ شعر بني كلب المجتمع لدينا لم نجد أيَّ أثرٍ للظواهر اللَّهجيّة من وَكْمٍ ووَهْمٍ وإبدالٍ ونحو ذلك ممّا يُعَوَّلُ فيه علىٰ التلقّي والسّماع من أفواه الأعراب ، في حين ظهرت الدلالات الخاصّة لبعض الألفاظ في لغتهم عند عدد من الشُّعراء ، منهم مَنْ هو كلبيّ ، ومنهم مَنْ لم يَتَبيّن اسمُه ولا من أيّ القبائل هو .

وثمّة أمرٌ يَحْسُن التنبيه عليه هنا وهو أنّ أَبا نَصْرٍ الفارابيَّ ذكر في (كتاب الحروف) أنّ « سكان البَرّيّة في بيوت الشَّعَرِ أو الصّوف والخيام والأَخْبِيَةِ من كلّ أمَّةٍ أجفىٰ وأَبْعَدُ من أنْ يَتْرُكُوا ما قد تمكَّن بالعادة فيهم ، وأَحْرىٰ أن يُحصّنوا نفوسَهم

---

(١) انظر الحديث عن نسب بني كلب، ص: ٣٥.
(٢) الجيم ٣: ٨٠.
(٣) الجيم ٣: ١٩٢.
(٤) انظر الجيم ١ : ٦٨ و٧٨و ٨٤ و٩١ و١٠٥ و١٠٨ و١١٥ و١٢٧ و١٤٧ و١٦٠ و١٦٤ و١٧٤ و١٧٩ و٢٢٣ و٢٢٦ و٢٣١ و٢٣٤ و٢٤٣ و٢٨٠ و٢٩٢ و٢٩٨ و٣٠٠ و٣٠٣ و٣٠٧ و٢ : ٤٩ و٥٣ و٨٧ و٩٣ و١١١ و١٣١ و١٣٨ و١٥١ و١٧٢ و١٩٦ و١٩٨ و٢٠١ و٢١٢ و٢١٣ و٢٣٧ و٢٣٨ و٢٤٥ و٢٥٣ و٢٥٥ و٢٩١ و٣٠١ و٣٠٢ و٣: ١ و٤ و٦ و٨ و١٢ و٣١ و٧٠ و١٧٢ و١٨٨ و١٩٢ و١٩٣ و١٩٥ و٢٣٦ و٢٤٧ و٢٧١ و٢٨٠ و٣٢٤.

عن تخيّل حروف سائر الأمم وألفاظهم وألسنتهم عن النطق بها »[١] ، وذكَرَ أنَّ سُكّان المُدُنِ والقُرَىٰ علىٰ عكسِهم ، فلذلك رأىٰ أنّه « كانَ الأفضل أَنْ تُؤخَذَ لُغاتُ الأمّة عن سكان البراري منهم مَتَى كانت الأُمَمُ فيها هاتان الطائفتان ، ويُتَحرّى منهم مَنْ كانَ في أوسط بلادهم ، فإنَّ مَنْ كان في الأطراف مِنْهم أَحْرىٰ أَنْ يُخالطوا مُجاوِريهم من الأمم فتخلط لغاتهم بلغات أولئك » ، ثم ضرب على ذلك مثالاً بما فعلته العرب حين تشاغَلَتْ بجمع لُغَتِها ، قال : « وكان الذي تَوَلّى ذلكَ من بينِ أمصارِهم أهلُ الكوفةِ والبصرةِ من أرضِ العراقِ ؛ فتعلّموا لغتَهم والفصيحَ منها من سكان البراري منهم دون أهلِ الحضرِ ، ثمَّ مِنْ سكّان البراري مَنْ كان في أوسط بلادهم ، ومِنْ أشدّهم توحُّشاً وجفاءً وأبعدهم إذعاناً وانقياداً ، وهم : قيس وتميم وأسد وطيّىء ، ثم هذيل ، فإنّ هؤلاء هم معظم مَنْ نُقِل عنه لسان العرب ، والبَاقُون لم يُؤْخَذْ عنهم شيءٌ ، لأنّهم كانوا في أطرافِ بلادهم مُخالِطينَ لغيرهم من الأُمَمِ . . . من الحبشة والهند والسّريانيّين وأهل الشام وأهل مصر »[٢] .

ومن أولئك الباقينَ قُضاعَةُ ومنهم كلب بن وبرة ، وكانت ديارُهم قريبةً من الشام ؛ ونقل السُّيُوطي عن أبي نصر الفارابيّ نصّاً آخر ذكر فيه الَّذين نُقِلَتْ عنهم اللّغة العربية غريباً ونَحْواً وتصريفاً ، وذكر في ذلك النصّ أنّه لم يؤخذ عن قضاعة ولا عن غسان ولا عن إياد ، لأنهم كانوا مُجاوِرينَ لأهل الشام ، وأَكْثَرُ أهلِ الشام في الجاهليّةِ نصارىٰ يَقْرَؤُونَ في صَلاتِهم بغير العربية[٣] ، وبنو كلب بعضُ قضاعة ؛ وقد رأينا فيما سبق أن العلماءَ نَبَّهوا على ظواهر عدّة في لغة قضاعة ولغة كلب خاصّة ، ونقلوا عنهم اللّغة ، ونبّهوا على ألفاظٍ ذات دلالة خاصة في كلامهم ، كما رأينا في الحديث عن مصادر شعر بني كلب أنَّ كتب اللُّغَةِ من معجمات وغيرها استشهدت بعددٍ ليسَ بالقليل من أشعارهم للدلالة على معاني الألفاظ ، وهذا كلُّه

---

(١) كتاب الحروف : ١٤٦ـ١٤٧ .

(٢) كتاب الحروف : ١٤٧ .

(٣) الاقتراح : ٥٦ـ٥٧ .

ينقُضُ ما ذكره أبو نصر الفارابيّ ، إذ كان ينظرُ إلى الأمر بعَيْنِ الفيلسوف الذي يريد أن يضع قاعدةً عامّة ، فأصابَ حين تحدّث عن هذه القضيّة على العموم ، فلما أراد التمثيل لها أصابَ في بعض ما مثّلَ وأخطأ في بعضِهِ وهو حديثُه عن قُضاعة وعدد من القبائل الأخرى ، ولَعَلّ السّبب أنّ الرّجُلَ تعلّمَ عِلْمَ العربية مُتَأخِّراً[١] ، ومن ثَمَّ كانَ الرّأي مَا رآهُ ابنُ جنّي حين قال : « اللّغاتُ على اختلافها كُلُّها حُجَّة . . . فليس لك أنْ تَرُدَّ إِحدىٰ اللُّغَتَيْن بصاحِبَتِها ، لأنّها ليست أحقَّ بذلك من الأُخرىٰ ، لكنَّ غاية ما لَكَ في ذلك أنْ تتخيَّرَ إحداهُما فَتُقَوّيَها على أختها وتعتقد أنّ أقوىٰ القِيَاسَيْنِ أَقْوىٰ لَها ، وأَشدُّ أُنْسَاً بها ، فأمّا ردُّ إحداهما بالأُخرى فلا »[٢] ، ثم ضَرَبَ علىٰ ذلك مثالاً من لغة قضاعة ، وابنُ جنّي هُوَ مَنْ هو في علم العربيّة .

وإلى جانب تلك الأمثلة التي حافظ فيها شعراء كلب على بعض ألفاظ اللّغة ، أو ظهر فيها أثرٌ من لغات بعض القبائل ، نجد في أشعارهم بعضاً من صيغ الألفاظ الّتي لم ترد في معجمات اللّغة الواسعة ، وهذا يدلّ علىٰ أنّهم ارتجلوا تلك الصيغ ارتجالاً ، فمن ذلك ما جاء في قول عبد عمرو بن جبلة[٣] :

وودَّعْـتُ لَـذَّاتِ القِـداحِ وَقَـدْ أُرَىٰ ... بِهَـا سَـدِكـاً عُمْـري وَلِلَّهْـوِ أَصْـوَرَا

فأراد بـ (القِداح) جمع القَدَح من أقداح الخمر ، وإنّما جَمْعُه في المعجمات (أقداح) ، غير أَنَّ (فِعال) صيغةُ جمعٍ تَطَّرِدُ في (فَعَل) ما لم تَكُنْ لامُهُ مُعْتَلَّةً أو مُضَاعفة ، مثل : جَبَل وجِبَال ، وجَمَل وجِمَال ، وبَلَد وبلاد[٤] ، وهذا الشّرط مُحَقّقٌ في (قَدَح) ، فلذلك جمعَهُ على (أقداح) .

ومنه ما جاء في قولِ مُرَّةَ بن جُنادة[٥] :

---

(١) انظر مقدّمة تحقيق (كتاب الحروف).
(٢) الخصائص ٢ : ١٠ .
(٣) الديوان : ٣٦٤.
(٤) انظر شرح ابن عقيل ٤ : ١٤٥ .
(٥) الديوان : ٣٢٧.

لا ينكِلُــونَ إذا تَقَــوَّضَ صَفُّهُــمْ جَـزَعـاً عَلـىٰ الإخـوانِ عِنْـدَ جِـلامِهَـا

أي : جِلام الحَرْب ؛ وأراد بها جَلْمَها ، وهو ما يكون فيها من القَطْع والجَزِّ ، فجاءَ بـ (جِلام) ، وهو مَصْدَرُ جَالَمَ ، بَدَلاً من (جَلْمٍ) ، وذلك بناءً على أنَّ (فَاعَلَ) يأتي أحياناً بمعنى (فَعَل) مثل قولهم : سَافَرَ ودافَعَ ، ولم يَرِد الفعل (جَالَمَ) ومَصْدَرُهُ في المعجمات .

ومنه ما جاءَ في قول امرأَةِ خالد بن يزيد بن معاوية ، وكانت أعرابيّةً من كلب[١] :

فَلَئِـنْ رَأَيْـتَ سَحيـق شَمْلـي بـاليـاً إنّـي لَمِـنْ قَـوْمٍ ذَوِي أَخْطـارِ

فأرادَتْ بالسَّحِيقِ السَّحْقَ ، وهو الثَّوْبُ البالي ، ولم ترِد هٰذه الصِّيغَةُ في المُعْجَماتِ بهذا المعنى ، ولكنّ القياس لا يمنع ذلك ؛ كما أنها أرادَتْ بالشَّمْل الشَّمْلَةَ ، وهي الثوب الذي يُشْتَمَلُ به ، ولم يرد لفظ (الشَّمْل) بهذا المعنى في المعجمات ، وهو مُرادُ الشّاعرة .

ومنه ما جاءَ في قول جَوّاس بن القَعْطَل[٢] :

تبقـىٰ خَـزَايـةُ قَـوّالٍ ومَصْـرَعـه بَنـي أُبَـيٍّ ، ومـا تَبْقـىٰ الـدَّنـانِيـرُ

فأراد بالخَزايةِ الهَوانَ والفَضيحةَ ؛ وإنّما معنى الخَزاية لغةً : الاستحياء ، ويقال للهوان والفضيحة : الخِزْي ؛ قال ابن منظور : « خَزِي الرَّجُلُ خِزْياً ، مِنَ الهَوان ؛ وخَزِيَ يَخْزىٰ خَزايةً ، من الاستحياء . . . [و] رَجُلٌ خَزْيان ، وامرأة خَزْيا ، وهو الذي عَمِل أمراً قبيحاً فاشتدَّ لذلك حياؤه وخزايَتُه »[٣] ، فحمل جَوّاسُ الخزايةَ علىٰ معنىٰ الخِزْي .

---

(١) الديوان : ٥٦٨ .
(٢) الديوان : ٤٤٨ .
(٣) اللسان (خزي).

ومنه ما جاءَ في قول شُبَيْلِ بن الجِنبَّار[1] :

لَـكَ الـويـلُ هَـلاّ كُنْـتَ شِبْـلاً لأَجْفَـرٍ تَشَبَّهْـتَ أَوْ لَيْثـاً بِخَفَّـانَ ضَيْغَمـا

فأرادَ بـ(الأجفر) الأسد الشّديد ، ولم يَرِدِ الأَجْفَرُ بهذا المعنى في المُعْجَماتِ ، وإنّما هو (الجَيْفَرُ)[2] .

ونجد شعراء كلبٍ يَتَصَرَّفُونَ أحياناً في أبنيةِ عددٍ من الألفاظ ، غير أنّ هذا التَّصَرُّف ينحصر في عدد من القواعد التي تدخل ضمن ضرائر الشعر المعروفة التي يلجأ إليها أيُّ شاعر عندما يضطر لإقامةِ الوزن ، وقلّما خرجوا عن هذه القواعد ؛ فمن ذلك تسكين المُتَحَرِّك لضرورة الشِّعْرِ ، كما في قول أُبَيّ بن طُفَيْلٍ[3] :

أَتـاكَ يَشْكـو رَقْمَـةً مِـنَ الـرَّقِـمْ

أراد (رقِمَةً من الرَّقِمِ) ، والرَّقِمُ ، بكسر القاف : الداهيةُ وما لا يُطاقُ ولا يُقامُ به ، فَجَعل الرَّقِمَ اسمَ جِنْسٍ كالشجر والثّمر ، وجعل الرّقِمَةَ واحدةً منه ، ثُمَّ سكّن الميم للضّرورة ؛ ومثله ما جاء في قَول حسام بن ضرار[4] :

تَغـافَلْتُـمُ عَنّـا كـأَنْ لَـمْ يَكُـنْ لَنـا بَـلاءٌ ، وأَنْتُـمْ مـا عَلِمْـتُ لَهـا فُعْـلُ

أراد : فُعُلٌ ، جَمْع فَعُول بمعنى فاعل ؛ فسكَّنَ العَيْنَ للضّرورة .

ومن ذلك قَصْرُ المدود كما في قول عامرٍ المتمنّي بنِ عبد الله[5] :

تَمَنَّيْـتُ أَنْ أَلْقَـىٰ رَقـاشِ فَنِلْتُهـا وَأَسْـرَ ابْـنِ بَـدًّا بـالسُّيـوفِ القَـوَاضِـبِ

أراد : بَدّاءَ بنَ الحارثِ بنِ بدّاء ، فنسبَه إلى جدّه وقَصَرَهُ لضرورة الشعر .

---

(١) الديوان : ٥٩٦ .
(٢) اللسان والقاموس والتاج (جفر) .
(٣) الديوان : ٣٦١ .
(٤) الديوان : ٥٠٨ .
(٥) الديوان : ٢٩٩ .

ومن ذلك التصرُّفِ تسهيلُ الهمزة ، كما في قول زهير بن جَنَاب[1] :

ونــادمْــتُ المُلــوكَ مِــنَ آلِ عَمْــرٍو   وَبَعْــدَهُــمُ بَنــي مــاءِ السَّمــاءِ

فسهّل الهمزةَ من المدّ في (آل) وألقى حركتها على الحرفِ السّاكن قبلها وهُوَ نُونُ (من) ، فالتقى ساكنان في (اال) فَحَذَفَ إحداهما .

وكما في قول زهير أيضاً[2] :

وقــد كنّــا رَجَــوْنَــا أنْ تُمِــدُّوا   فَــأَخْلَفَنَــا مِــنِ اخْــوتِنــا الــرَّجــاءُ

فسهّل همزة (إخوتنا) وألقى حركتها علىٰ الحرف الساكن السابق لها .

ومثله قول دِحية الكلبيّ[3] :

وتــدبيــرِ ربِّــكَ أَمْــرَ السَّمــاءِ   والاَرْضِ فَــأَغْضَــىٰ ولــم يُنْكِــرِ

فسَهَّل همزة (الأرض) وألقى حركتها على اللاّم الساكنةِ أصلاً .

ومن ذلك قولُ بعض مَجاهيل كلب في العصر الأمويّ[4] :

أَتَجْعَــلُ نَعّــاقِــي سَبَــا وَنَبِيطَهَــا   كَــرَوْقَــيْ مَعَــدٍّ لَيْــسَ ذَاكَ بِكــائِــنِ

فَسَهَّل همزة (سبأ) .

ولهذا الضرب من التصرُّف في الألفاظ أشباهٌ كثيرةٌ في أشعار العرب[5] .

ومن التصرُّفِ في الألفاظ بسببِ الضَّرورةِ ما جاءَ في قولِ جَوّاس بن القعطل[6] :

وَعَــرَّضْــتُ نَفْسِــي دُونَــهُ وَمُقَلِّصــاً   شَــدِيدَ الشَّــوىٰ يُبْقِــي لِكَــرِّهِ ، مُحْضِــرا

---

(١) الديوان : ٢٩ .

(٢) الديوان : ٣١ .

(٣) الديوان : ٣٥٧ .

(٤) الديوان : ٧٤٠ .

(٥) انظر ضرائر الشعر لابن عصفور : ٩٨ و١١٦ .

(٦) الديوان : ٤٤٨ .

فنجده قد حذف الياءَ الواقعة صلةً لضمير الغائبِ المتحرّكِ ما قبلَه في قوله (لِكَرِّهِ) ضرورةً ، في حين أَبْقاها في قوله (دُونَهُ) ؛ ولهذه أشباهٌ في أشعار العرب[١] .

ومنه أنْ يتصرّف في اسم الرّجُلِ ، ويَشْتَق من اسمه اسماً آخَرَ ، كقول عمرو بن عبد وَدّ يهجو عَبْدَ الله بن خالد بن أُسَيْدٍ ويمدح سَعِيدَ بنَ العاص[٢] :

قَصَّـرْتَ يَـا عَبْـدَ الإلٰـهِ عَـنِ العُـلا ... سَيَكْفِيـكَ مـا قَصَّـرْتَ عَنْـهُ سَعيـدُ

فقال (عبد الإله) ، وهو يريد عبد الله ، ومثله قول جَوّاس بن القَعْطل يخاطب عبدَ الملك بن مَرْوَان[٣] :

أَعَبْـدَ المَلِيـكِ مـا شَكَـرْتَ بَـلاءَنـا ... فَكُـلْ فـي رَخـاءِ العَيْـشِ مـا أَنْـتَ آكِـلُ

ومن التصرُّفِ ما جاءَ في قول هُبَل بن عبد الله[٤] :

رُبَّ يـومٍ قـد يُـرىٰ فيـه هُبَـلْ ... ذا سـوام ونَـوالٍ وجَـذَلْ
لا يُنـاجِيـهِ ولا يَخْلُـو بِهَـلْ ... عَبْـدُ وَدٍّ وَجُبَيْـلٌ وَحَجَـلْ

قال أبو حاتم بعد الأبيات : « بهل : يريد (به) واللام زائدة »[٥] ، فزادَ اللاّم وحَرَّكَ الهاءَ بالفتح لتستقيم له قافيةُ البيت مع إخوتِهِ ، وهذا الضَّرْبُ من التّصرّف له أمثلة في أشعار العرب ، ولكنّها من النُّدْرَةِ والقِلَّةِ بحيثُ لا يجوز القياس عليها إذا ما اضطرّ الشاعر المُوَلَّد[٦] ؛ ونحوٌ من هذا في قلّتِهِ في أشعار العرب وعدم جَواز القياس عليه أن يحذف الشاعرُ حرفاً من آخر الكلمة ، دون أن يكون ذلك ترخيماً[٧] ، وقد ورد

---

(١) انظر ضرائر الشعر لابن عصفور : ١٢٢ـ١٢٥ .
(٢) الديوان : ٣٦٨ .
(٣) الديوان : ٤٥٧ .
(٤) الديوان : ٢٦٢ .
(٥) المعمرون : ٣٧ .
(٦) انظر ضرائر ابن عصفور : ٥٥ـ٥٦ .
(٧) انظر ضرائر ابن عصفور : ١٤٢ .

هذا في شعر بني كلب مرّةً واحدة ، وذلك في قولِ عطّاف بن شَعْفَرة[١] :

فَمَا ذرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ　　بِذِي النَّعْفِ مِنْ نَيَّا نعامٌ نَوَافِرُ

قال البكري بعد البيت : « أراد : نَيَّان ، فحذف »[٢] .

فهذه الأمثلة من التصرّف في أشعار كلب إنّما ألجأتهم إليها الضرورة ، ولم تُؤدِّ إلىٰ غُمُوضٍ ما إلاّ في المثالَيْنِ الأخيرَيْنِ ، إذْ لو لم يُنَبِّه العلماءُ علىٰ ما أصابهما من تصرُّفٍ لاحتاج الوقوفُ علىٰ المراد فيهما إلىٰ تأمُّلٍ وتردُّدٍ ، ومع ذلك نجد في أشعارِ العربِ نَظَائِرَ لهما ، كما أنَّ في أشعارِ العربِ نظائرَ كثيرةً لسَائرِ ما تصرّفوا به .

ولا يختلف تَصَرُّفُ شعراءِ كلب في قواعد النّحو عن تصرُّفهم في أبنية الألفاظ ، إذْ يغلب عليه كونُه مُنْحَصِراً في عددٍ من القواعد التي تدخل ضمنَ ضرائر الشعر المعروفةِ التي يلجأ إليها الشاعر لإقامةِ الوَزْنِ ؛ وأكثر ضروبِ هذه الضرائر أمثلةً في شعرهم هو صَرْفُ ما لا يَنْصَرِفُ ، وهو أمرٌ مألوفٌ عند شعراء العرب جميعهم ، ولا يكاد يخلو منه ديوانُ شاعر ، وإنّما نَضْرِبُ ها هنا أمثلةً من أشعارِ القومِ ، وذلك دونَ استقصاءٍ لكثرتها ، فمنه قول زهير بن جَنَاب[٣] :

حَيِّ داراً تَغَيَّرَتْ بالجَنَابِ　　أَقْفَرَتْ مِنْ كَوَاعِبٍ أَتْرابِ

فـ(كواعب) ممنوعٌ من الصَّرْف لأنّه جاء علىٰ صيغة مُنْتَهىٰ الجُموعِ ، وكلُّ ما جاء على وزن (مَفاعِل) أو (مُفاعيل) سواءٌ أكانَ مبتدئاً بميمٍ أم غير مبتدىء بها فإنّ العرب تمنَعُه من الصرف في كَلامها[٤] ، إلاّ أنْ يضطر الشاعِرُ كما فَعَلَ زهير بن جَنَاب ، وكما فعل الأَحْمَرُ بن شجاع في قوله[٥] :

---

(١) الديوان : ١١٥ .
(٢) معجم ما استعجم (نيّان) .
(٣) الديوان : ٣٤ .
(٤) شرح شذور الذّهب : ٥٨٦ـ٥٨٧ ، وشرح قطر النّدى : ٣١٨ .
(٥) الديوان : ٥٣٦ .

ونحنُ صَقَعْنَا قيسَ بن عيلانَ صَقْعَةً بَكتْهَا مَعَاويلٌ مِنَ الثُّكْلِ حُسَّرُ

فصرف (معاويل) للضرورة .

ومن ذلك أنّ العرب لا تصرف أسماء الأعلام إذا كانت على وزنِ الفِعْلِ ، أو إذا كانت مصروفة عن وزنٍ آخر ، أو إذا كانت أعجميّةً[1] ، فهذا زهير بن جَناب وقد صرفَ (تغلب) وهو اسم علم على قبيلة من قبائلِ العرب ، على وزن الفعل ، فقال[2] :

وَسَبَيْنَا مِنْ تَغْلِبٍ كُلَّ بَيْضَا . . . ءَ رَقُودِ الضُّحىٰ بَرُودِ الرُّضَابِ

وصرفَ هُردان العليميُّ (يزيد) وهو اسم علمٍ على وزنِ الفعل المضارع فقال[3] :

وسَوَّأَ ظَنّي بالأخِلاَّءِ أنني وَجَدْتُ يزيداً دُونَ ما كانَ يَزْعُمُ

وصرفَ يحيىٰ بن معاذ (زُفَرَ) وهو اسم عَلَمٍ معدولٍ عن (زافِر) فقال[4] :

أَلا مَنْ مُبْلغٌ زُفَراً رسولاً وَمُبْلِغُهُ عُمَيْرَ بْنَ الحُبَابِ

وصرف عبدُ العزّى بن امرىء القيس (سِنِمّارَ) وهو اسم علم على رجلٍ أعجميّ فقال[5] :

جَزاني ـ جَزاهُ اللهُ شَرَّ جزائِهِ ـ جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذَنْبِ

ثم قال :

وظنَّ سنمّارٌ متى تَمَّ أنَّهُ يَفُوزُ لَدَيْهِ بالمَوَدَّةِ والقُرْبِ

والشاعر عندما يلجأ إلى هذا الضَّرْبِ من التَّصرُّفِ في قواعد النحو فيصرف

---

(١) انظر شرح شذور الذهب : ٥٨٨ ، وشرح قطر الندى : ٣١٩ .
(٢) الديوان : ٣٤ .
(٣) الديوان : ٦٠٣ .
(٤) الديوان : ٦٤٥ .
(٥) الديوان : ١٠٤ .

ما لا ينصرف إنّما يردُّهُ إلىٰ أصلِهِ الذي أُخْرِجَ عنه لعلّةٍ من العِلَلِ المانِعةِ للصَّرْفِ ، ولذلك ساغَ هذا التَّصرُّفُ من الشعراء وكَثُرَ عندهم[1] ، في حين تقبُح الضَّرُورةُ المُعاكِسةُ عندما يَمْنَعُ الشاعرُ اسماً مَصْروفاً من الصَّرْفِ ، لأنّه يخرج بذلك من الأصل إلى الفَرْعِ ، إذ الأصلُ في الأسماء أن تكون مصروفةً ، ولذلك اختلف البصريُّون والكوفيّون في جواز ترك صرف ما لا ينصرف فأجازه الكوفيّونَ وبعضُ البصريين ، ومنعه أكثر البصريين[2] ، ولكن ورودُ ذلك في أشعار العرب يُرَجّحُ جوازَهُ في ضرورة الشعر[3] ؛ وقد وردَتْ هذه الضرورة القبيحة في شعر كلبٍ مَرّتَيْنِ ، أُولاهما في قول أَحَدِ مجاهيلِ الجاهليّة[4] :

كُلَيْبُ العَيْرُ أَيْسَرُ مِنْكَ ذَنْباً غَداةَ يَسُومُنَا بالفِتَكْرِينِ

فمنع كليباً من الصَّرْفِ ، والثاني في قول شُرَيْح بن جَوّاس[5] :

اقرأ علىٰ عمرِو السَّلامَ وقُلْ لَهُ : ما بالكرامةِ والهَوانِ خَفَاءُ

فَمَنَعَ عَمْراً من الصرف .

ومن تَصَرُّفِهم في قواعد النّحو حَذْفُ علامةِ الإعراب أَو البِنَاء ، نجد ذلك في قول عمران بن هلباء[6] :

سَنَبْكِي خَالداً بِمُهَنَّداتٍ ولا تَذْهَبْ صنائِعُه ضَلالا

إذْ حَذَفَ الضَّمَّة من (تَذْهَبْ) ؛ وفي قول غَزيّ بن أُبَيّ[7] :

أَلا قالتْ عَجُوزُ بني تُوَيْلٍ كَبِرْتَ وقَدْ فَنِيْ مِنْكَ الشَّبابُ

---

(١) انظر ضرائر ابن عصفور : ٢٢ـ٢٥ .
(٢) انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ : ٤٩٣ ، وشرح المفصّل ١ : ٦٨ـ٦٩ .
(٣) انظر ضرائر ابن عصفور : ١٠١ـ١٠٥ .
(٤) الديوان : ٣٣٠ .
(٥) الديوان : ٦٦٩ .
(٦) الديوان : ٤٩٨ .
(٧) الديوان : ٦٧٣ .

إِذْ حَذَفَ الفَتْحَةَ من آخر الفعل الماضي (فَنِيَ) ؛ وقول جوّاس بن القَعْطل[1] :

سِيـروا إلـىٰ البَلَـدِ الحـرامِ وشَمِّـرُوا ... لا تَصْلُحُـوا وَسِـواكُـمُ مَـوْلاهَـا

إِذْ حذف النون التي هي علامة رفع الفعل المضارع (تَصْلُحونَ) دون أن يَسْبِقَهَا ناصبٌ أو جازم ؛ ولهذا الضَّرْب من التَّصَرُّفِ أمثلةٌ في أَشْعَارِ العرب[2] .

ومن تصرُّفِهم حَذْفُ حرفِ الجَرّ ووَصْل العامل إلىٰ المعمولِ بنفسِهِ ، تشبيهاً له بالعامل الّذي يَتَعَدّىٰ بنفسِه ، والشُّعَراءُ ممّا يفعلون ذلك[3] ، وقد جاء في قول عمران بن هلباء[4] :

يَـذَرْنَ بكـلِّ مُعْتَـرَكٍ قَتِيـلاً ... عَلَيْـه الطَّيْـرُ قَـدْ مَـذِلَ السُّـؤَالا

فقال : مَذِلَ السُّؤالا ، وإنّما يُقال : مَذِل بالشيءِ إذا ضَجِر منه ، والفعل يتعدّىٰ بالباءِ فعدّاه بنفسِهِ .

وألجأتِ الضرورةُ زهيرَ بنَ جَناب إلىٰ تَصَرُّفٍ آخر ، وذلك في قولِهِ[5] :

وحُـقَّ لِمَـنْ أَتَـتْ مِئَتـانِ عـامـاً ... عَلَيْـهِ أَنْ يَمَـلَّ مِـنَ الثَّـواءِ

وحُكْمُ المِئة والألف وتثنيتهُما وجمعهما أن تكون مُضافةً إلىٰ المعدود ، فأَثْبَتَ زهيرٌ النّونَ في (مئتين) للضّرورة ، ونَصَبَ المَعْدُودَ علىٰ التّمييز تشبيهاً لها بالعشرين ونَحْوِها من ألفاظِ العقود ممّا تُثْبَتُ نُونُه ويُنْصَبُ ما بعدها ، كما فعل الرَّبيعُ بنُ ضبعٍ الفزاريّ في بعض شعرِهِ[6] .

---

(١) الديوان : ٤٦٣ .
(٢) انظر ضرائر ابن عصفور : ٨٧ـ٨٩ و٩٣ـ٩٨ و١٠٩ـ١١٠ .
(٣) انظر ضرائر ابن عصفور : ١٤٥ـ١٤٦ .
(٤) الديوان : ٤٩٨ .
(٥) الديوان : ٢٩ .
(٦) انظر كتاب سيبويه ١ : ٢٠٨ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ١ : ٢٦٣ ، وتحصيل عين الذهب ١ : ١٠٦ و٢٩٣ ، وضرائر الشعر للقزّاز : ١٢٩ـ١٣٠ .

وربّما ألجأتِ الضَّرورة الشّاعِرَ إلىٰ تَرْكِ إعمالِ العامل في معمولهِ ، وقد وقفتُ على مثالين اثنين من هذا في شعر زهير بن جناب ، أوّلهما قوله[1] :

فَحَيَّـــــاكِ وَدٌّ زوّدينـــــا تحيّـــــةً لعـــلَّ بهـــا عـــانٍ مـــن الكبـــلِ يُطْلَـــقُ

فلم يُعْمِل (لعلَّ) باسمها ، فقال (لعلّ بها عانٍ من الكبل يُطْلَق) لضرورة الشّعر ، ولهذا نظائرٌ في أشعار العرب[2] ، علىٰ أنّهُ يُروى : « لعلّ بها العاني . . . » .

وثانيها قولُه[3] :

مَـــنْ يَـــراهُ يَخَلْـــهُ فـــي الحـــربِ يَـــوْمـــاً أَنَّـــهُ أَخْـــرَقٌ مُضِـــلُّ الطَّـــريـــقِ

فترك إعمالَ (مَنْ) في فعل الشّرط (يَرَاه) ، فلم يحذف حرف العلّة ، وأعْمَلَهُ في الجواب (يَخَلْهُ) ، وهي ضرورةٌ يقع مثلها للشعراء فَيُثْبِتُونَ حرفَ العلّة في الموضع الذي يجب حذفه فيه[4] .

ومن التَّصَرُّفِ الذي يُضْطرُّ إليه الشُّعراءُ أَنْ يُخْبِروا بالمعرفة عن النكرة ، وقد وقع ذلك مرّةً واحدةً في شعر بني كلب ، وذلك في قولِ حكيم بن عَيّاش[5] :

تَـــأَتّـــىٰ لَهـــا خَـــالـــي أُســـامـــةَ مُنْـــزِلاً وَكـــانَ لِخَيْـــرِ العَـــالَمِيـــنَ حَبيـــبُ

فأخبر بالمعرفة ـ وهو الضَّمِير المستتر بعد كان ـ عن النكرة (حبيبُ) ، ولهذا أمثلة في أشعار العرب[6] .

وهكذا رأينا أنَّ تصرُّفَ شعراء بني كلب في أبنية الألفاظ وفي قواعد النحو التي علىٰ أَساسها تُبنىٰ الجُمَلُ لم تكن كثيرةً إلاّ فيما أكثرت منه العرب ، وهٰذا من

---

(١) الديوان : ٤٦ .
(٢) انظر ضرائر ابن عصفور : ٩١ ، والخزانة ١ : ٤٨٤ .
(٣) الديوان : ٤٤ .
(٤) انظر ضرائر ابن عصفور : ٤٢ـ٤٧ .
(٥) الديوان : ٤٨٩ .
(٦) انظر ضرائر ابن عصفور : ٢٩٥ـ٢٩٧ .

الأسباب التي جعلَتْ الاستشهاد بِشِعْرِهم في كتب النحو نادراً بخلاف الشعراءِ الذين أكثروا من التَّصرُّف كالفرزدق والعجّاج ورؤبة والأعشىٰ ، مثلَما أنّ قلّةَ الغريبِ في شعرهم جعلَتِ الاستشهاد به في كتب اللّغة والمعجمات قليلاً بالقياس إلىٰ الاستشهاد بشعر أصحاب الغريب ؛ يُضَافُ إلىٰ ذلكَ أسبابٌ أُخرىٰ تتعلّقُ بعدد الشعراء المُبَرِّزين في القبيلة ، وبالمستوى الفنّي الذي بلغَهُ شعراؤها ، وبالبُعْدِ عن البصرةِ والكوفةِ اللَّتَيْن نَشِطَتْ فيهما حركةُ الروايةِ وظَهَرتْ فيهما مَدْرَسَتَا النّحْوِ الشَّهِيرَتان .

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊

الخَاتِمَـة

تشكّل الدراسة السابقة أحد قسْمَي البَحْثِ الذي قمتُ بإعداده حولَ شعراءِ بني كلب بن وبرة منذ الجاهلية إلى آخر عصر بني أميّة ، وطَمَحْتُ في هذه الدراسة أنْ أتعرّفَ شعراء بني كلب من خلال أخبارهم وأشعارهم ، ومِنْ ثَمَّ قَسَمْتُها إلى أربعة فصول في كلّ فصلٍ منها جانبٌ مهمٌّ يتعلق بحياةِ الشعراء أو بقضايا شعرهم .

فرأيتُ أن يكونَ الفَصْلُ الأول لتعرُّف القبيلة التي ينتمي إليها شعراء هذا البحث من حيث أصولُها وفروعها ومواطنها وعلاقاتُها وعقيدتُها ، لأنّ أولئك الشعراء عاشوا في أزمنةٍ كان الارتباطُ بالقبيلة فيها وَثيقاً ؛ فوقفتُ على الأصل الذي ينتمي إليه بنو كلب ، وهو قضاعة ، فوجدتُ أنَّ خلافاً وقع في نَسَبِهم ، فمن قائلٍ إنهم من معدّ بن عدنان ومن قائل إنّهم يرجعونَ إلى مالك بن حمير من اليمن ، فبحثتُ في الأدلّة الجاهليّة المختلفة من أشعار وأخبار وانتهيتُ إلىٰ نتيجةٍ هي أنّ القوم كانوا يُعَدَّون في قبائل معدّ في الجاهليّة ، ثم بيَّنْتُ السّبب الذي أدّىٰ إلىٰ الاختلاف في نسبهم ، وهو نشوبُ العصبيّة القبليّة بين بني كلب وبين قيس عيلان المُضَرِيّة المَعَدِّيّة ، فحالفت كلبٌ قبائل اليمن المُقيمة بالشام ، ثُمَّ ادَّعىٰ قومٌ منهم الانتساب إلى حِمْيَر فكان ذلك الخِلاف ؛ ووقَفْتُ بعد ذلك عند أهم الفروع التي تفرّع إليها بنو كلب بن وبرة ، فتبيّن أنّ فيهم بطوناً كثيرة ، وأنّ القوم كانوا مِنَ الكثرةِ بمكانٍ ؛ والتفتُّ إلى ظاهِرَتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ في الحديث عن النّسب ، وهما المُصاهرة بينهم وبين القبائل الأُخرى ، والنّواقل التي انتقلتْ إليهم من القبائل الأخرى أو التي انتقلت منهم ودخلت في غيرهم ، ليتبيّن بذلك طرفٌ من البيئة الاجتماعية التي كان يعيش فيها القوم ، فلاحظنا أنّ كثيراً من أشرافِ العَرَبِ رغبوا في الإصهار إلى بني كلب ولا سيّما أشرافُ قريشٍ بعد الإسلام ؛ وصنعتُ شجرةً لِنَسَب القبيلة ضمَّنتُها أهمَّ البطون التي نجد لها ذكراً في شعرهم وأهم الأعلام التي كان لها أثرٌ في أخبارِهم ، كما ضَمّنْتُها أنساب

الشعراء الذين وقفتُ علىٰ نَسَبِهم كاملاً ، وجعلتُ هذه الشجرة في ملحقات الدراسة ؛ ثم بحثتُ في مَواطِنِ القوم لمعرفة البيئة الطبيعيّة التي عاشوا فيها ، فوجدتُ أَنَّهم كانوا باديءَ الأمر مُقِيمينَ مع إخوتهم من قضاعة في تِهامةَ هم وسائر بني مَعَدّ ، ثم وقعت الحربُ بينهم وبين أبناء نزار بن معدّ فَغَلَبتهم نزار ، فما زالوا يتنقّلون حتّى استقرّوا في شماليّ جزيرة العرب ، فكانت لهم باديةُ السَّماوةِ الممتدّة على رقعةٍ واسعةٍ من جزيرة العرب وتدخل في بلاد الشام والعراق ، وسكنوا دُومة الجندل من القرىٰ الحاضرة وما حولَها من البلاد المتّصلة ببادية السماوة ، وكان يجاورهم في دُومة الجندل قومٌ من السُّكون من كِنْدَة ، وكانت ديارهم تلك متّصلة بديارِ عدد كبير من قبائل العرب منها : طَيِّيء ، وبكر بن وائل ، وتميم ، وغطفان ، وغسّان وغيرها ؛ وقد صنَعْتُ معجماً لبلدان القبيلة تَرْجَمْتُ فيه لكلّ بلدٍ من بلدانهم ، ووقفتُ عند أهم الأحداث المتعلّقةِ به ، وأَفَدْتُ من دراسات الباحثين المُعَاصرين في جزيرة العرب حول بلادهم في الوقوف على أسماء البلدان التي بقيت معروفةً إلى اليوم وتلك الّتي تغيّرت أَسْماؤها ، وفي تحديد مواضع تلك البلدان ، ولا سيَّما دراسة الشيخ حمد الجاسر حول شماليّ المملكة العربية السعودية ، وجعلتُ ذلك المعجم في ملحقات هذه الدراسة ؛ ثمَّ تَتَبَّعْتُ علاقات القوم وأيّامهم منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أمية ، فوقفتُ علىٰ أخبارهم المختلفة مع قبائل العرب ومع مملكةِ الحيرة بالعراق ، ومملكة غسّان بالشام ومع دولتي الفرس والرّوم ، ومع يهودَ ، ثم مع الدولة التي أنشأها النَّبيّ عليه السَّلام والخلفاءُ الرَّاشِدونَ من بعده ، وأخيراً مع خلفاء بني أميّة ، وكان أهمّ ما لَفَتَ النَّظَرَ أنَّ علاقتهم بقيس عيلان ولا سيّما غطفان منها كانت سيّئة وأنّ علاقتهم ببني أميّة كانت قوية حتى كَثُرَ في دولة بني أمية القوّاد والأمراء من بني كلب ؛ ورأيتُ في الحديث عن عقيدتهم أنّهم كانوا كغيرهم من العرب في الجاهليّة يعبدون الأصنام ويعظّمونَها ، وأنّ لهم صنَمهم الخاصّ الذي يُقال له (وَدّ) ، وكان منصوباً بدومة الجندل حاضِرَتِهِمْ ، فلمّاجاء الإسلام كان موقفهم منه لا يختلف عن موقفِ سائر العرب ، ولا سيّما أنّ ديارهم كانت بعيدةً عَنْ مركز الدعوة ، غير أنّ عدداً من الأفراد كانوا قد أَسْلَمُوا منذ بداية

الدعوة ، وكان لهم أثرٌ بيّن فيها كزيد بن حارثة ودحية بن خليفة ، ثم دَخَلَ عددٌ كبيرٌ منهم في الإسلام عندما بعثَ النبيُّ عليه السلام إليهم عبدَ الرّحمن بنَ عوف سنة ستّ للهجرة فحاصرهم بدومة الجندل ثلاثاً ثم أسلم رئيسهم وعددٌ كبيرٌ منهم ، ولمّا كانت السنة الثامنة أرسل رسول الله ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى مَنْ بقيَ منهم على الوثنيّة لكسر وَثَنِهم (وَدّ) فحاربوه ، فهزمهم وحطّم الصَّنَم ، فلمّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ عليه السّلام كان موقفهم كموقف سائر العرب ، فمنهم مَنْ بَقِيَ علىٰ دينِه ، ومنهم مَنْ ارتدَّ ، فدعا أبو بكر مَنْ بقيَ منهم على الإسلام إلى النّهوض لقتال مَنِ ارتدّ ، ثم جاء خالد بن الوليد فأوقع بجموع المرتدّين الذين تجمّعوا عند دومة الجندل من كلب وغيرهم ، فأجارَ المسلمونَ من بني تميمٍ كلباً لِحِلْفٍ قديمٍ كان بينهم في الجاهليّة فَنَجَوْا وعادوا إلى الإسلام ، وكانت لبني كلب مشاركةٌ في فتوح الشام ؛ وناقشتُ في الحديث عن عقيدتهم قضيَّة النَّصرانيّة ودخولها فيهم ، فبيّنتُ بالأدلّةِ الواضحةِ أنَّ النَّصرانيةَ لم تدخل فيهم إلاّ في زمنٍ مُتَأَخّرٍ ، وأنّها لم تدخل إلاّ في عددٍ قليلٍ من الأفرادِ والأُسَرِ ، في حين كان سائرهم على الوثنيّة .

وكان هنالكَ فصلٌ بعدَ هذا الفصل خَصَصْتُهُ لتراجمِ الشّعراء ، ثمّ رأيتُ عندما شَرَعْتُ أطبعُ هذه الرسالة أن أنقلَ هذا الفصل إلى الديوان وأضعَ ترجمة كلّ شاعر قبلَ شعرِه ، فوقفْتُ في ترجمةِ كلِّ شاعرٍ عند نسبهِ وناقشْتُ ما وقع فيه من خلاف بين المصادر مُحاوِلاً الوُقوفَ علىٰ وَجْهِ الصَّوابِ ، كما وَقَفْتُ في ترجمةِ كلّ شاعرٍ عندَ أُسْرَتِه ، والشّعراء من رهطه ، وأخباره المختلفة ، وكنت أخرج من ذلك كلّه إلى تحديد العصر الذي عاشَ فيه ، ومقدار ما وقفت عليه من شعره . وكثيراً ما كنت أَلْجأُ حين تُعْوِزُني الأَدِلّة إلىٰ مقارنة نسبِ الشاعر بنسبِ عددٍ من الأعلام الذين عُرِفَتْ عُصورهم من رهطِهِ أو غيرهم من بني كلب للوقوف على تحديدٍ مُقاربٍ للصَّواب لعصره ، ومع ذلك بقيَ عددٌ من الشُّعراءِ الّذين لَمْ أَعْرِفْ عُصُورَهُمْ ، كما أنّي وَجَدْتُ عدداً من الشّعراء نُسِبُوا إلى بني كلب وليسوا منهم ، فاضْطُرِرْتُ إلى ترجمةِ كلّ شاعر بما يدلّ علىٰ نَسَبِهِ الصّحيح ، ولذلك جعلتُ الشعراءَ خمسة أقسام ، ترجَمْتُ في القسم الأوّل لشعراء العصر الجاهليّ ، وفي الثاني للمخضرمين وشعراء صدر

الإسلام ، وفي الثالث لشعراء العصر الأمويّ ، وفي الرابع للشعراء الذين لم تُعْرَف عُصُورُهُمْ ، وفي الخامس للشعراء الذين نُسِبُوا إلى كلبٍ وليسوا منهم ؛ وقد ضَمَّنْتُ شجرةَ النسبِ التي ألحقتُها بهذه الدراسةِ أنسابَ الشعراء الذين وقفت علىٰ نسبهم كاملاً .

ولَمَّا وزّعتُ هذا الفَصْلُ في الديوان كان لا بدَّ من الانتقال إلىٰ الحديث عن شعر القبيلة وأَنْ يكون الفصلُ الثاني خاصّاً بالوقوفِ عند مصادره وتوثيقهِ ، قبل أنْ نقف عند أغراض هذا الشعر وخصائصه الفنّية ، وذلك لسبب منطقيّ ، وهو أنّ الحديث عن أغراض شعرهم وخصائِصِه يجب أنْ يُبنىٰ على ما صَحَّتْ نسبتُه لهم ، فبدأتُ هذا الفَصْلَ بالحديث عن شعر القبيلة قبلَ التّدوين إلى أنْ دُوّن في كتابٍ خاصّ ، ونَقَلَ عنه الآمديُّ في مواضع عدّة من كتابه المؤتلف والمختلف ، غير أنّ كتابهم ضاعَ فيما ضاعَ من كتب أشعار القبائل ، ومن ثَمَّ كان لا بُدَّ من إعادةِ جمع أشعارهم ، وهو ما فعلْتُه باديءَ الأمرِ قبل أَنْ أَبدأَ بشيءٍ من الدراسة ، ثم وَقَفْتُ عند أهمّ المصادر التي جمعتُ منها أشعارَهم ، فكانت كتب التّراجم المختلفة من تراجم الشعراء والصّحابة والأعلام المتّصفة بصفةٍ ما أهم المصادر من حيث موضوعاتها ، وتليها كتب الاختيارات الشعريّة المختلفة ، كما أنّني وقفتُ عند أهم مصادر شعرهم بحسب القرون الهجريّةِ قرناً قرناً ؛ ولأنَّ شعرهم أصابَهُ الاضطرابُ في نسبةِ عدد من نصوصهِ كما أصاب شعرَ غيرهم ، كان من الواجبِ تخصيصُ جانبٍ من هذا الفصل للحديث عن هذه القضيّة فتحدثْتُ أولاً عمّا اضطربَتْ نسبته بين شعراء كلب أنفسهم ، ثُمَّ عمّا اضْطَرَبَتْ نسبته بينهم وبين شعراء القبائل الأخرى ، فوجَدْتُ ذلك كلَّه على ثلاثة أضربٍ : ضرب عرفنا صاحِبَه بالدّليل القاطع ، وضرب رجّحنا نِسْبَتَهُ إلى هذا الشاعر أو ذاك ببعض الأدلّة ، وضرب بقي مُتَنَازَعَ النسبَةِ لحاجتِهِ إلى الدليل القاطع أو المُرَجِّح ؛ ثم وقفتُ عند قضيةٍ أخرى هي قضيّة النَّحْل ، فتبيّن لي أنّ هذه الآفة لم تُصِبْ شِعْرَهُمْ يقيناً إلاّ في موضعٍ واحدٍ نَبَّهَ عليه العُلَماء ، في حين وقفتُ علىٰ عدد من النّصوص الّتي يُمْكِنُ أنْ يُشار إليها بإصبع الاتّهام ، فرأيتُ أنَّ أَوْجُهَ الاتّهام يُمْكِنُ رَدُّها بِرُدودٍ مختلفة ، ولذلك أبقيتُ تلك النُّصوص ضِمْنَ ما يُوَثَّقُ حتى يَثْبُتَ بالدليل القاطع نقيضُ ذلك .

وبعد أنْ أَزَلْتُ بهذا الفصل العقبة عن طريق دراسة موضوعات شعرهم وخصائصِهِ رأيتُ أنْ أجْعَلَ الفصل الثالث للحديث عن موضوعاته ، فتبيّنَ أنّ القومَ تَنَاوَلُوا موضوعاتِ الشّعر الرئيسية ، من فخرٍ وحماسةٍ وهجاءٍ ورثاءٍ ومدح وغزل ووصف وحكمة وشكوى من الهرم ، وأنّ هذه المْوضوعات تتفاوت في الاتّساع ، إذْ كانت الحماسَةُ والفخر أهمَّ موضوعات شعرهم في الجاهليّة وفي الإسلام ، واتّبعتُ في الحديث عن موضوعاتهم مَنْهَجاً واحداً ، وهو أنْ أتَنَاوَلَ ما جاءَ في شعرهم الجاهليّ من كلّ موضوع ، ثم أُعقبه بما جاءَ منه في شعرهم بعد الإسلام ، مُبَيِّناً ما أصابَهُ من التَّغيير ما وَجَدْتُ ذلك ، ثمّ أُقارنُ ذلك بما وَرَدَ عند شعراء بعض البيئات أو القبائل مُعْتَمِداً علىٰ عددٍ من الدّراسات التي تناولَتْ أشعار بعض القبائل العربيّة ؛ واستثْنَيْتُ من هذا المنهج موضوعَ الشَّكوىٰ مِنَ الهرم فإنّني قارنْتُ ما جاءَ فيه بما جاءَ في أشعار عددٍ من المُعَمَّرين مِن العرب من قبائل شتّىٰ .

ثم كانت دراسة الخصائص الفنّيّة لشعر بني كلب معنويّةً ولفظيّةً موضوعاً للفصل الرّابع ، فبدأتُه بالحديث عن الخصائص المعنويّة التي كان أبرزها وُضوح المعاني وبساطتها وبُعْدُها عن التعقيد ، وأنّ هذا الوضوح قلّما حجَبَتْهُ الألفاظ الغريبة التي تصادفُنا في الشعر القديم ، لأنَّ الغريبَ لم يَغْلِبْ على أحدٍ من شعرائهم غَلَبَتَهُ علىٰ عددٍ من الشعراء المشاهير الذين يَنْتَمُونَ إلى قبائل أخرىٰ ؛ ورأينا أنّ عدداً من الأمور أَسْهَمَتْ في توضيح تلك المعاني ، ومن أهمِّها الاعتماد على الصُّور البيانية المختلفة من تشبيهٍ واستعارةٍ وكناية ، تلك الصور التي كانت تُسْتَمَدُّ من البيئة الحسّيّةِ التي كان القوم يعيشونَ فيها ، كما أَسْهَمَ الاعتمادُ علىٰ ما أسماهُ علماءُ البلاغةِ بالمحسّنات المعنوية في توضيح معانيهم ، فكان من أبرز تلك المحسّنات الطباق والمقابلة ، إلىٰ ضروبٍ أخرىٰ من المحسّنات ، وأهم ما تتّسمُ بهِ تلك المحسّنات العفويّةُ والبُعْدُ عن التّكَلُّفِ ، وهي السِّمَةُ العامة للصَّنعة في شعر الجاهليّة وصدر الإسلام وعصر بني أميّة ؛ وتناول الحديث في هذا الفصل أيضاً مَصادِرَ معانيهم المختلفة فَوَجَدْنَا أنّهم اعتمدوا على أَمْثَالِ العَرَب ، وأشعارها ، ومُعْتَقَدَاتِها ، وأَوابدها ، وعاداتها ،

وعلى ما جاء به الدين الإسلاميّ والمفاهيم الّتي جَدَّتْ بعد الإسلام ، كما وقفنا عند المعاني التي استمدّها سائِرُ شعراء العرب من شعراء بني كلب .

وفي دراسة الخصائص اللّفظيّة وقَفْتُ على ثلاثة أمور : المنهج الذي اتّبعه الشعراء في بناء نصوصهم ، والجانب الموسيقي ، والجانب اللّغوي والنّحوي ؛ ففي الحديث عن منهج بناء النّصوص رأيناهم يتَّبعون في بعضِه المنهجَ التقليديَّ لبناء القصيدة العربيّة ، ولم يرد هذا المنهج في شعرهم كثيراً ، وأنشؤوا قصائد أخرى تَخَلَّوا فيها عنه وهي أكثر من تلك التي اتَّبَعُوهُ فيها ، في حين غَلَب على سائر شعرهم منهج المقطّعة التي لا تزيد على ستّةِ أبيات ، وهذه هي المناهج الثلاثة المُتَّبَعَةُ في بناء النّص الشّعري العربيّ ؛ وفي الجانب الموسيقيّ تناوَلَ الحديثُ الموسيقىٰ الخارجيّةَ المُعْتَمِدَةَ على الوزن والقافية ، فوقفنا عند البحور التي نظموا أشعارهم عليها ، فرأينا أنّهم نظموا على عشرة أبحرٍ من بحور الشعر الستة عشر ، ولكنّهم أكثروا من النظم على الطويل والوافر والبسيط والكامل والرجز ، وهي البحور التي كثر النظم عليها في الشعر العربي عامّة ؛ ووقفتُ عند الحروف التي اتّخذوها رَوِيّاً لشعرهم فرأيناهم يُكْثِرُونَ من استخدامِ الرّاء واللاّم والباء والميم والنون والدّال ، وهي الأحرف التي أكثر العرب من اتّخاذها رويّاً لسهولة مخارجها وجمال جَرْسِها ؛ ورَصَدْتُ بعد ذلك عدداً من عُيوبِ القافية التي أساءَتْ إلى موسيقىٰ شعرهم فوجدتُها عيوباً قليلة الأمثلة ؛ ثم رصدتُ عدداً من العناصر الموسيقيّة التي وفَّرَتْ لشعرهم موسيقى داخليةً رَفَدَتْ موسيقاهُ الخارجيّة ، وهي ما أسماه علماء البلاغة بالمحسّنات اللّفظيّة ، فكان من أهمها الجِنَاس ، وردّ العجز على الصّدر ، ولزوم ما لا يلزم ، والتصريع . وفي الجانب اللّغوي والنّحوي تناوَلَ البحثُ عدداً من الأمور ، وهي : غريب اللّغة في شعرهم ، والحفاظ علىٰ عدد من ألفاظ اللُّغة ، والتّوليد في أبنيتها ، والتّصَرُّف في أبنية ألفاظها ، ثمَّ التصرّف في قواعد النّحو ؛ فظهر أنّ الغريب لم يكن كثيراً في شعرهم كثرتَهُ في أشعار أصحاب الغريب وبعض القبائل ، وكان هذا من أهم الأسباب التي جعلَت الاستشهادَ بشعرهم قليلاً في كتب اللّغة ، ووقفتُ في الحديث عن الحفاظ علىٰ اللّغة والتوليد في أبنيتها علىٰ جميع ما ورد في شعرهم من

ذلك ، وهي أمثلة ليست بالكثيرة ، وتبيّن في الحديث عن تصرّفِهم في الألفاظ أنّه كان يأتي غالباً ضمن قواعد محدّدة ممّا أجازه العلماء وجعلوهُ من بابِ الضّرائرِ الشّعريّةِ التي جاءَتْ في أشعار العرب ، فأتيتُ بجميع ما ورد من ذلك في شعرهم ، لأنّها أمثلةٌ قليلة ؛ كما أنّ تَصَرُّفَهُمْ في قواعدِ النحو لم يخرج عن باب الضَّرائر الشّعرية التي نجدها في أشعار العرب جميعاً ، وكان أبرز صنوف التصرف بقواعد النحو هو صرف ما لا ينصرف الذي كان كثيراً بالقياس إلىٰ سائر تصرّفهم الذي قلّت أمثلته الأُخرىٰ ، وصرفُ ما لا ينصرف كثير في شعر العرب عامّةً ، لا في شعر كلب خاصّة ؛ وتصرُّفهم في قواعد النحو لم يُؤدِّ إلىٰ شيءٍ من الاختلاف بين النّحويين ، ومن ثَمَّ قَلَّ الاستشهادُ بشِعْرِهم في كتب النّحو مِثْلَما أنّ قلّةَ الغريبِ أدّتْ إلىٰ قلّةِ الاستشهاد به في كتب اللّغة ؛ وقد نبّهتُ في قضايا هذا الفصل علىٰ مواطن الاختلاف والاتّفاق بين شعراء كلب وشعراء بعض القبائل ، أو بينهم وبين شعراءِ العربِ عامّةً .

وبعدُ : فإنّ هذه الدراسة قامَتْ على ما اجتمع لدينا من أخبار هذه القبيلة وأخبار شعرائها وأشعارهم ، وقد بذلتُ في جَمْعِ ذلك كلَّ ما استطعت بذله لَدَيَّ من جهدٍ ووقتٍ ، ولكنَّ ما اجتمع لديَّ لا يُمَثّل كلَّ أخبارهم وأشعارهم ، ومن ثَمَّ تبقىٰ نتائج هذا البحث رَهْناً بما يُعْثَرُ عليه من أخبارٍ وأشعار جديدة ، ربّما قَوَّمَت كثيراً من جوانب الدّراسة أو غيّرت شيئاً من الأحكام الواردة فيها أو أَكّدَتْها ، وقد أخْلَصْتُ في ذلك النيّة ، وإنّما لكلِّ امرىءٍ ما نوى .

* * *

* *

*

مُلْحَقَاتُ الدِّرَاسَة

١ ـ مُعْجَمُ مَواضِع بَني كَلْبٍ
٢ ـ خَرِيطَة بلاد كلب
٣ ـ شَجَرَة أَنْسَاب البطونِ وَالشُّعراءِ وأهم الأعلام

مُعْجَمُ مَوَاضِعِ بَنِي كَلْب

أُبْلِيّ :

ذكر الهجريّ أنّه علىٰ وَزْنِ عُبْلِيّ ، وأنّه وادٍ مِن (أوداةِ كَلْب) أي أودية كَلْب ؛ ويقع بين وادي عَرْعَر ووادي تُبَل ، فَعَرْعَر في جَنوبه وتُبَل في شماله[١] .

أُبْلِيّ ، أَيْضاً :

جَبَلٌ لبني كلب عندَ أَجأ وسلمىٰ جَبَلَيْ طيّىء[٢] ؛ وجاء ذِكرُه في خَبَرِ مُرَيْنٍ الكلبيّ الشاعِر وأَخَوَيه ، وذَكَرَه في شِعْرِه[٣] .

أُجَارِد :

بضمّ أوّله ؛ قال ياقوت : « وادٍ مِنْ أَوديةِ كَلْبٍ ، وهي أَوْديةٌ كثيرة تَنْشَلُّ مِن المَلْحاءِ ، وهي رابيةٌ مُنقادةٌ مستطيلةٌ ، ما شَرَّقَ منها هُوَ الأَوداةُ ، وما غرَّبَ فَهُوَ البَياضُ »[٤] ، ونقله الشيخ حمد الجاسر ثمَّ علّق عليه بقوله : « والبَياضُ هٰذا يُدعىٰ (الحَماد) يقع شمال وادي السّرحان . والمَلْحاءُ : أرضٌ مرتفعةٌ تقع شمالَه ، خَشِنَةٌ ذاتُ تِلالٍ وجِبالٍ ، ومنها تنحدرُ الأَوديةُ المعروفةُ الآنَ باسم (أودية عَنَزَة) وأشهرهاعَرْعَر وحَامِر ، وأُجَارِدُ هٰذا منها »[٥] .

---

(١) التعليقات والنوادر ١ : ٧٠ ، والمعجم الجغرافي للبلاد العربيّة السعودية (شمال المملكة) : ٣٤ ، وانظر رسمَ (الأوداة) فيما يأتي .

(٢) معجم البلدان (أُبليّ) ، والمعجم الجغرافيّ : ٣٣ـ٣٤ .

(٣) انظر ترجمة مُرَين وشعرَه في الديوان .

(٤) معجم البلدان (أُجارِد) .

(٥) المعجم الجغرافي : ٥١ ، وانظر رسم (البَياض) و(أُحامِر) و(الملحاء) فيما يأتي .

الأَجْدَادُ :

يأتي مُعَرَّفاً وغَيْرَ معرَّف ، وهي مياهٌ لكَلْبٍ بالسَّماوَة ، والسَّماوَةُ هي باديةُ كلبٍ ، وسيأتي ذكرُها في موضِعه ، ويُضاف إلى الأجداد إحدىٰ رياض بني كلب ، وهي روضة الأجداد[١] .

أُحَامِر :

ذكره الهجري بهذا اللفظ وهو يُعَدُّ من أوداة كلب ، وهي أوديتهم ، وذكره البكري وياقوت باسم (حامر) ، وهو وادٍ من أوديتهم يقع بين وادي ذي القور ووادي عَرْعر ، فذو القور في جنوبه وعَرْعَر في شماله ، وذكر ياقوت أنه وادٍ بالسَّماوة من ناحية الشام لبني زهير بن جناب من كلب وأنَّ فيه حيات كثيرة[٢] ، وقال الشيخ حمد الجاسر : « حامرٌ هذا وادٍ لا يزال معروفاً ، ينحدر من جبال بهذا الاسم تقع غرب (بَدَنة) ، ويتّجه مشرقاً إلىٰ قرب الفرات . . . وهو من أطول الأودية وأقواها ، ومن روافده وادي الجندلي »[٣] .

الأَحْوَرَانِ :

« كأنّه تثنية أَحْور ، موضع رملٍ معروف بديار كلب »[٤] .

أُدَيَّات :

« كأنّه جمع أُدَيّة ، مُصَغَّر : موضعٌ بين ديار فزارة وديار كلب »[٥] .

الأَعْزَلُ :

---

(١) معجم البلدان (أجداد)، والمشترك وضعاً : ١٤ ، وانظر رسم (روضة الأجداد) فيما يأتي .
(٢) التعليقات والنوادر ١ : ٧٠، ومعجم ما استعجم (حامر)، ومعجم البلدان (حامر).
(٣) المعجم الجغرافي ١ : ٣٧٦، وانظر المصدر نفسه ١ : ٥٧ .
(٤) معجم ما استعجم (الأحوران).
(٥) معجم البلدان (أُديّات).

« ماءٌ في ديار بني كلب في وادٍ لهم . . . »[1] .

إلاهَةُ :

هي قارةٌ بالسَّماوة من ديار كلب ، وهي بين ديار تغلب والشَّام[2] ، وقال الشيخ حمد الجاسر : « وإلاهَةُ في بلاد كلب قديماً ، لا تزال معروفة ، ولكنهم يسمّونَها الآن (لاهة) فيحذفون الألف ، وهي التي في السَّماوة ، وهي قارة تقع في الشمال الشرقي من بلدة (طُرَيْف) بقرب الحدود ، داخلة في الحدودالسعودية ، تبعد عن طُرَيْف بما يقارب (٤٠) كيلاً ، وهي تُشاهَد من طُريف[3] » . والقارة في لغة العرب تُطْلَق علىٰ الأرض ذات الحجارة السُّود ، أو الجُبَيْل الصغير المُنقطع عن الجبال .

الأَنْبَارُ :

مدينة مشهورةٌ علىٰ الفرات في غربيِّ بغداد ، ذكر ابن الكلبي أنَّ ناساً فيها يَدَّعونَ النَّسب إلىٰ العَيَّار ، وهو قُرْط بن حارثة بن عامر المُذَمَّم بن عوف بن عامر الأكبر الكلبي[4] . فإذا كان انتسابُهم إليه صحيحاً فإنّ ذلك يدلّ علىٰ أنّ بعض بني كلب سكنوا الأنبار .

إِنْبط :

كإِثْمِد أو كأحمد ، ضبطه كإِثمد ياقوتٌ والفيروز اباديُّ والزبيديُّ ، ونبَّهَ ياقوتٌ علىٰ أنّه يقال أَنْبط بوزن أحمد ، وذكروا أنه موضع في ديار كلب بن وبرة[5] .

---

(١) معجم البلدان (الأَعْزَل) .

(٢) معجم ما استعجم (إلاهة)، ومعجم البلدان (أُلاهة)، والقاموس والتاج (أله)، غير أنها ضُبطتْ في معجم البلدان بضم الهمزة .

(٣) المعجم الجغرافي ١ : ١٢٣ـ١٢٤ .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٦٣ .

(٥) معجم البلدان (إنبط) والمشترك وضعاً : ٢٧ ، والقاموس والتاج (نبط) .

وضبطه البكريّ بفتح الهمزة والباء مُعَرَّفاً هكذا : الأَنْبَط ، وقال : « نقاً صغير من رَمْلٍ فَرْد ، من الرَّملة التي يقال لها جَراد . . . . قالها أبو حاتمٍ عن الأصمعي ، وأنشد للراعي :

لا نَعْـمَ أَعْيُـنُ أقـوام أقـولُ لَهُـمْ بـالأَنْبَـطِ الفَـرْدِ لَمَّـا بَـدَّهُـمْ بَصَـرِي
هَـل تُـؤنِسـون بـأعلـىٰ عـاسِـمٍ ظُعُناً وَرّكْـنَ فَحْلَيْـنِ واستقْبَلْـنَ ذا بَقَـرِ

فَحْلان : جبلان صغيران هناك . وذو بقر : قاعٌ هناك يَقْرَىٰ فيه الماء . . . »[1] و(عاسم) من ديار كلب ، وسيأتي ذكره في موضعه ؛ وقد جاء ذِكرُ (إنبط) في شعر عمرو بن عروة بن الغدّاء الأجداريّ الكلبي وذلك قوله[2] :

أَلا لَيْـتَ شعـري هـل أبيتـنَّ ليلـةً بـإنبـطَ أو بـالـرّوضِ شـرقـيَّ واحِـدِ

و(واحد) جبلٌ لبني كلب يأتي ذكره في موضعه ؛ وذكر الشيخ حمد الجاسر أن إنبطَ يقع في الجانب الشمالي الشرقي من النفود ، بين مرتفعات اللَّبَّة التي تنحدر منها أودية صغيرة صَوْبَ الشمال ، منها : خُرُّ شُخَيْر ، والهَلْباء ، وخُرُّ مسعود ، ودُوَيْخِلَةُ مسعود ، والأرطاوي ، وتنتهي هذه الأودية على مقربة من (جالِ الرَّعن) ، وعند التقاء هذه الأودية يَقَعُ الأَنْبَطُ في نهاية شَعيب دُوَيخِلة مسعود وشَعيب خرّ مسعود شمالهما ، وغرب (عِرْق الأُبَيْتر) ، وشَرْق مَفِيض وادي الهَلْباء[3] .

الأَوْدَاةُ ، أَو : أَوْدَاةُ كَلْبٍ :

ذكر الهجريّ أنّه إنَّما هي الأودية ، ولكنَّها لُغَةُ طيّىء ، وقالَ محدِّداً المواضع في طريق الخارج من فَيْد إلىٰ بالس وحمص من الشام من الجنوب إلىٰ الشمال : « فأوَّلُ وادٍ من أودية الأوداة : ذو القُور ، ثمَّ أُحامِر ، ثم عَرْعَر ، والغمارُ بِرَكٌ تمتليء من

---

(١) معجم ما استعجم (الأنبط).
(٢) انظر شعره في الديوان.
(٣) المعجم الجغرافي : ١ : ١٤٠ـ١٤١ .

ماء السماء مثل الحياض ، ثم أُبْلِيّ ـ وَزْن عُبْليّ ـ ثم تُبَل ، ثم بطن ظَبْي ؛ هذه كلها أودية »[١] . وأنشد البكري شعراً لقتادة بن شعاث الكلبيّ في خبر له ، ذكرها فيه[٢] ، وذكر ياقوت أنها « أودية كثيرة تَنْسَلّ مِنَ المَلْحاءِ ، وهي رابيةٌ مستطيلة ما شرَّق منها فهو الأوداة ، وما غَرَّبَ فَهُوَ البياض »[٣] ؛ وقال الشيخ حمد الجاسر : « ويطلق علىٰ الأوداة الآن اسم (الوديان) أو : الأودية السبعة ، وهي أودية تنحدر من المرتفعات الواقعة شرق الحماد ، متجهة صَوْب الشرق ، حتىٰ تفيض في سهول العراق الغربية ، ومن أشهرها : وادي المِراء ، وحامر (أحَامِر) ، وَعَرْعَرْ ، وأبو القُور . . . »[٤] . ثم ذكر أن (الأودية السبعة) لا يراد به العَدَد نفسه ، بل الكثرة ، ونقل عن بعضِ الخَبيرينَ بتلك المنطقة أنّ الأودية السبعة يقال لها (وديان عَنَزَة) ، وعَدَّها عَشَرَة أودية .

الأَوْعَارُ :

ذكر ياقوت والزَّبيدي أنّه أرض بِسَمَاوَةِ كلب[٥] .

الأَوْقَةُ :

ذكرها الهجري بهذا اللّفظ ، فذكر أنها ماءَة عَذْبةٌ في حَزيزِ كَلْب ، هي والهُبَكَةُ[٦] ؛ وسَمّاها ياقوت اللَّوقَة ، وذكر أنَّها « بقُرب اللِّوىٰ بين جبل طيّيء وزُبالة ، بها ركايا طِوَالُ »[٧] أي آبار طِوال ؛ وقال الشيخ حمد الجاسر : « يُعْرف

---

(١) التعليقات والنوادر : ١ : ٦٩ـ٧٠ .
(٢) معجم ما استعجم (الأوداة) ، وانظر شعر قتادة في الديوان .
(٣) معجم البلدان (الأوداة) .
(٤) المعجم الجغرافي ١ : ١٤٧ .
(٥) معجم البلدان (الأوعار) ، والتاج (وعر) ، وذكر الفيروز أبادي أنّه موضِعٌ ، ولم يحدّد مكانه ؛ القاموس (وعر) .
(٦) التعليقات والنوادر ١ : ٦٩ .
(٧) معجم البلدان (اللَّوْقة) .

الآن باسم لَوْقة ، بفتح اللام بدون تعريف ، وسُكِنَتْ بَعْدَ مدِّ أنابيب النّفط الواقع شمالها على مقربة منها ؛ وتقع في الحزُول (حَزْن كلب قديماً) في شَرْقِها بني (الدُّوَيْدِ) و(رَفْحاء) . . . ؛ ويتبع مركزَ لَوْقة من موارد المياه : الهُبَكَةُ ، والهُبَيْكةُ ، والمُنْدَسَّةُ ، والرَّوْض ، والرّكعيّة (الرُّقعية) »[١] .

البرَدَانُ :

ذكر ابنُ الكلبي أنّ وَبرَة بن رومانس الكلبي كان أخا النعمان بن المنذر لأُمِّه ، « فأقْطَعَهُ (لَعْلَعَ) و(البرَدان) في طريق الشام »[٢] ، ثم ذكر أن وبرة « مات بالبرَدان من طريق الشام »[٣] ؛ وعند ياقوت والزَّبيديّ أنّ البرَدان ماءٌ بالسَّماوة دونَ الجَناب وبعد الحِنْي من جهة العِراق ، وقريةٌ « بالكوفةِ ، وكان منزل وَبَرَة بن رومانس »[٤] ، ونَقَلا قَوْلَي ابن الكلبيّ ، ثمّ قالا : « فيجوز أن يكونَ البرَدان الذي بالسّماوة »[٥] ، وعندَ الفيروزأباديّ أنها ماءٌ بالسماوة[٦] ؛ وأنشد ياقوت والزّبيديّ قولَ مكحول بن حارثة الكلبيّ يرثي وبرة ، من أبيات[٧] :

لَقَدْ تَركوا علىٰ البَرَدانِ قَبْراً   وهَمُّوا للتَّفرُّقِ بانطلاقِ

البِرِّيتُ :

قال ياقوت : « بوزن خِرِّيت ، ماءٌ بالبادية كثير الرّمل ، وقال نصر : البِرِّيت : من مياه كلب بالشام »[٨] ، وذكر الهمداني أنّه عن يسار فَلْجٍ ، وأنّ عن يَسارِهِ طريق

---

(١) المعجم الجغرافي : ١١٦٥ـ١١٦٦ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣١٥ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٧٨ .
(٤) معجم البلدان (البرَدان)، والمشترك وضعاً : ٤٣ ، والتاج (برد).
(٥) معجم البلدان (البردان) ، والتاج (برد) .
(٦) القاموس (برد) .
(٧) الديوان : ٢٠٧ .
(٨) معجم البلدان (بِرِّيت).

الجادَّةِ إلىٰ العراق نحو الكوفة[١] ، ونقل الشيخ حمد الجاسر ما سبق وغَيْرَه ، ثم قال : « ويظهر ممّا تقدّم أنّ البرّيت كان يطلق علىٰ أرض واسعة فيها ماءٌ بهذا الاسم ؛ وكذا الآن ، والبِرِّيت من أشهر المَناهِل الواقعة في شرق الجزيرة ، وهو داخل في الحدود العراقية في فيضة وادي (عَرْعَر) و(أبا قور) بعد اجتماعهما ، وهو شمال الأَمغرِ »[٢] .

بَطْنُ ظَبْيٍ :

عَدّه الهَجَريُّ أحد أَوْداةِ كلب وبَيّن أنه يَلي وادي (تُبَلَ) من أوداة كلب ، في شماله[٣] ، ونقل البكريُّ أقوالاً كثيرة تدل على أنَّ (ظبياً) يُطلق علىٰ عدة مواضع في بلاد العرب ، ومن ذلك قوله : « وقال المفجَّع : هما ظَبْيان : ظَبْيٌ رملٌ معروف ، وظبيٌ وادٍ معروف . . . وقال الطوسي : الظبي اسم كثيب ، وأنشد لامرىء القيس :

سما لك شوقٌ بعد ما كان أقصرا وحلَّتْ سُلَيْمىٰ بَطْنَ ظبيٍ فَعَرْعَرَا

قال : ظبي وَعَرْعَر منزلان بالعالية »[٤] ، ولا يصح قول الطوسي ؛ ذلك أنَّ سُلَيْمىٰ الّتي يتغزل بها امرؤ القيس هي سلمىٰ بنت العُبَيّد بن تيم الله بن عامر الأجدار الكلبية أم جعفر بن أبي خلاّس الشاعر الكلبيّ[٥] ، وعَرْعَر لا شك في كونه وادياً من أودية كلْب ، ولا يزال معروفاً مشهوراً بهذا الاسم إلىٰ زماننا هذا ، وسيأتي ذكره في موضعه ، ومن ثَمَّ لا شك في أنّ مراد امرىء القيس بـ(بطن ظبي) بَعْض منازل بني كلب ، وهو هذا الوادي الذي ذكره الهجري ، وقال ياقوت « ظبي . . . بلفظ الظبي الغزال ، . . . وبطن ظبي : موضع بين الكوفة والشام ؛ قال امرؤ القيس :

. . . . وحلّتْ سُلَيْمىٰ بطنَ ظبيٍ فَعَرْعَرا

---

(١) صفة جزيرة العرب : ٢٥٦ .

(٢) المعجم الجغرافي : ١٨٩ـ١٩٠ .

(٣) التعليقات والنوادر ١ : ٧٠ ، وانظر رَسْم (الأوداة) .

(٤) معجم ما استعجم (الظبي) .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٥٦ ، وانظر ترجمة جعفر في الديوان .

قيل : ظبيٌ اسمُ أرضٍ لكلب . . . »[١] . وذكر الهَمْدانيّ أنّ ظبياً ماءٌ لكلب[٢] .

البِقَاعُ :

قال ياقوت : « البقاع : جمعُ بُقْعة ، موضع يقال له بِقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهو أرضٌ واسعة بين بَعْلَبَكّ وحمص ودمشق ، فيها قرىٰ كثيرة ومياه غزيرة نميرة . . . »[٣] ، وذكر الفيروزأباديّ أنّ بقاع كلب موضعٌ قرب دمشق[٤] ، وقال شارحه : « قلتُ والذي نُسِبَ إليه هو كلب بن وبرة ، لنزول وَلَدِه به ، وهو الذي يُعْرَف ببقاع العزيز الآن . . . »[٥] ، والبِقاعُ الآن تابع للُبنانَ .

بُقْعٌ ، ويُعَرَّف :

موضع بالشام في ديار كلب بن وبرة استقر فيه طُلَيْحةُ بنُ خُوَيْلِد الأسدي لمَّا هرب يوم بُزَاخة من حروب الردة بعدَما تَنَبَّأ[٦] .

بَنَاتُ قَيْنٍ :

ذكر البكري أنَّها « إكام معروفَة في ديار كلب ، كانت بها وقعة لبني فزارة علىٰ كلب . . . »[٧] . وذكر ياقوت أنّها مياه لبني كلب بالسَّماوةِ ، وكانت عندها وقعةٌ

---

(١) معجم البلدان (ظبي) ومثله في المشترك وضعاً: ٥٩، غير أنه جاء في معجم البلدان: (وعين ظبي موضع) تحريفٌ عن (بطن ظبي) لأنّه استشهد عليه ببيت امرىء القيس: وفيه (بطن ظبي) لا (عين ظبي).

(٢) صفة جزيرة العرب: ٢٩٤.

(٣) معجم البلدان (البقاع).

(٤) القاموس (بقع).

(٥) التاج (بقع).

(٦) معجم البلدان (بُقْع) والمشترك وضعاً: ٦٢، والتكملة ـ للصغاني (بقع)، وكذلك في اللسان والقاموس والتاج: (بقع)؛ وفي تاريخ الطبري ٣: ٢٦١، وتاريخ ابن خلدون ٢: ٤٩٧ أنه (النّقع)، بالنون وهو تصحيف.

(٧) معجم ما استعجم (بنات قين).

لفزارة ببني كلب أيامَ عبد الملك بن مروان[١] .

البيَاضُ :

قد سبق قولُ ياقوت في رسم (الأوداة) إنَّ ما شرّقَ مِن (المَلْحاءِ) فهو الأوداة ، أوداة كلب ، وما غرَّبَ منها فهو البَياض ؛ ولكنّه لم يُتَرْجم للبَياض هذا في معجمه ، وقال الشيخ حمد الجاسر : « وهذا البياض الذي يقع غَرْبَ (الملحاء) صحراءٌ واسعة تنعَدِمُ فيها الجبال ، لكنّها تُحاط بالآكام من كل جهاتها وتمتدّ من الجنوب من المرتفعات الواقعة شرقَ شمال واحة الجَوْف حتّىٰ مُلْتَقَىٰ الحدود الشمالية بحدود الأردن ، ويحفّ بها من الشرق الأرض المرتفعة التي كانت تُعْرَف قديماً بـ(الملحاء) ، ومن الغرب حَرَّة الرَّحا التي تمتدّ منها آكامٌ ومرتفعات حتىٰ واحة الجَوْف ، وهذه الآكام تفصل بين البياض وبين وادي السرحان »[٢] ، ثمّ بَيَّنَ أنَّ البَياضَ هوَ ما يُعْرَف الآن باسم (الحَماد) .

تُبَلُ :

عدّه الهجريّ أحد أوداة كلب ، وبيّن أنه بين وادي (أُبْليّ) ووادي (بطن ظبي) ، شمال وادي (أُبْليّ) وجنوب وادي (بطن ظبي)[٣] ، وقال ياقوت : « قال نصر : تُبَل وادٍ على أميال يسيرة من الكوفة ، وقصرُ بني مقاتل أسْفَلَ تُبَل ، وأعلاه متّصل بسماوة كلب »[٤] ، وقال الشيخ حمد الجاسر : « وأقول : تُبَل : وادٍ ينحدر من المرتفعات الواقعة شمال الحماد ، وهو في الحدود العراقية »[٥] .

---

(١) معجم البلدان (بنات قين)، والمشترك وضعاً: ٣٦٦؛ وانظر خبر يوم بنات قين ومصادره في الصفحة ٩٤ ـ ٩٥ من هذا البحث.

(٢) المعجم الجغرافي ١ : ٢٣٦.

(٣) التعليقات والنوادر: ١ : ٧٠، وانظر رسم (الأوداة).

(٤) معجم البلدان: (تبل).

(٥) المعجم الجغرافي: ٢٤٨.

تَبُوْكُ :

قال ابن سعيد المغربي المتوفى سنة (٦٨٥ هـ) في حديثه عن قبيلة كلب بن وبرة : « تَدَيَّرتْ في الجاهلية دومة الجندل ، وتَيْمَاء ، وتَبُوك ، وأطرار الشام »[١] ، وتابعه على ذلك أبو الفداء وابن الوردي وابن خلدون والقلقشندي[٢] ؛ ولم أقف على ذلك عند أحدٍ من المتقدّمين ؛ وفي حديث ابن سعيد عن بني كلب أمورٌ أُخرىٰ لا يُسَلّم له بها .

وهي موضعٌ بين وادي القرىٰ والشام بين جبل حِسْمىٰ وجبل شَرَوْرىٰ ، حِسْمىٰ غَربيّها وشَرَوْرىٰ شَرقيّها ، وهي حِصْنٌ به عينٌ ونَخْلٌ لبني سعدٍ من عُذْرة بن سَعْد هُذَيم[٣] .

تَدْمُرُ :

مدينة مشهورة قديمة ، ذكر الهمداني أنها جانب السماوة سماوة كلب[٤] ، وقال الهجريّ : « قرية كبيرة وحول هذه القرية بطونُ بني عديّ بن جناب من كلب ، وزهير بن جناب »[٥] ، وذكر الأصفهاني أنه كان يجاورهم فيها قوم من بني نُمَير بن عامر بن صعصعة ، من قبائل قيس عيلان ، فأوقع بهم بنو كلب في العصبية التي وقعت بين بني كلب وقيس عيلان[٦] ، وذكر الطبري في خبر خروج يزيد بن الوليد الناقص على الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنّ الأَبْرَش الكلبيّ أحد بني عامر الأجدار أشار على الوليد بالسير إلى تدمر ، فقال له : « يا أمير المؤمنين ، تدمر حصينة وبها

(١) نشوة الطرب ١ : ١٧٢ ، وأطرار الشام : أطرافها .
(٢) تاريخ أبي الفداء ١ : ١٢٦ ، وتاريخ ابن الوردي ١ : ١٣٩ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٩٩ ، وصبح الأعشى ١ : ٣١٥ ، وقلائد الجُمان : ٤٦ .
(٣) معجم البلدان (تبوك) ، وانظر المفصَّل ـ لجواد علي ٤ : ٢٥١ .
(٤) صفة جزيرة العرب : ٢٤٦ .
(٥) التعليقات والنوادر ١ : ٧٠ .
(٦) الأغاني ١٩ : ١٩٨ـ١٩٩ ، وانظر خبر ذلك في الصفحة ٩٢ ـ ٩٣ من هذا البحث .

قومي يمنعونك ؛ فقال : ما أرى أن نأتي تدمر وأهلها بنو عامر ، وهم الذين خرجوا عليّ . . . »[1] ، أي بنو عامر الأجدار ، وخرجوا عليه مع يزيد بن الوليد ؛ وذكر البلاذري في خبر عصبيّة قيس وكلب ويوم بنات قين أنّ زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ القيسيّ غزا تدمر « وعليها عامر بن الأسود الكلبي ، من بني عامر الأجدار بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت »[2] ، وذكر ابن الأثير في حوادث سنة (١٢٧هـ) أن أهل حمص انتقضوا على مروان بن محمد الخليفة الأموي ، قال : « وأرسل أهل حمص إلى مَنْ بتدمر من كلب ، فأتاهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي ، وأولاده ، ومعاوية السكسكي ـ وكان فارس أهل الشام ـ وغيرهما في نحوٍ من ألف من فرسانهم »[3] ، وعدّ الهمداني تدمر في القرى الواقعة في ديار كلب[4] ؛ ففي هذه الأقوال كلّها دلالة واضحة علىٰ أنّ بني كلب اتّخذوا تدمر وما حولها من البادية منزلاً لهم ، فكان في المدينة بنو عامر الأجدار ، وفيما حولها بنو زهير بن جناب وبنو عديّ بن جناب .

تُرْبَانُ :

نقل ياقوت عن نَصْرٍ أنه « صقع بين سماوة كلب والشام »[5] .

تَيْمَاءُ :

ذكر ابن سعيد المغربيّ تيماء في البلدان التي نزلتها كلبٌ في الجاهلية[6] ، ولم أقف على ذلك عند أحدٍ من المتقدّمين ؛ وإنما كان بتيماء قوم من يهودَ سكنوها على آثار العرب العاربة ، ولحق بهم بنو حِشْنَةَ بن عُكارمة بن بَلِيّ فأبت يهود أن يدخلوهم

(١) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ .
(٢) أنساب الأشراف ٥ : ٣٠٨ .
(٣) الكامل في التاريخ ٥ : ٣٢٨ .
(٤) صفة جزيرة العرب ٢٤٦ .
(٥) معجم البلدان (تُرْبان) .
(٦) نشوة الطرب ١ : ١٧٢ .

وهم على غير دينهم فتهوّدوا فأدخلوهم ، ومنهم أَبو الذّيّال اليهودي[١] ، وذكر البكري أن قبائل كلبٍ لمّا وقعت الحرب بينها تفرّقت ، قال : « فظعنت قبائل من بني عامر بن عوف بن بكر إلى أطراف الشام وناحية تيماء ، فيمن لحق بهم وكان معهم ، ونزلت كنانة ومَنْ حالفهم وصار معهم من قبائل كلب بِخَبْتِ دومةَ إلى ناحية بلاد طيّيء من الجبلينِ وحيّزهما ، إلى طريق تيماء . . . فقال أوس بن حارثة الكلبي ، جاهلي ، في الحرب التي كانت بينهم :

سقنــا رُفَيْــدَةَ حتّــى احتــلّ أوّلُهــا   تَيْمـاءَ يُـذعَـرُ مـن سُلاَّفها حَـدَدُ »[٢]

وحَدَد جبلٌ مطلٌّ على تيماء سكنه بنو كلب ، ومن ثَمَّ فإنّ أوس بن حارثة لا يريد بقوله : (احتلّ أولها تيماء) أنهم سكنوها ، بل يعني أنهم سكنوا بالقرب منها .

ثُكُدٌ :

قال ياقوت : « ماء لبني نمير ، وقد ضم الأخطل كافَهُ فقال :

حَلَّـتْ صُبَيْـرةُ أمـواه العُـدادِ وقـد   كـانـت تحـلُّ وأدنـىٰ دارهـا ثُكُـدُ

وقيل في تفسيره : ثكد : ماءٌ لكلب ؛ وقال نصر : ثُكُدٌ : ماءٌ بين الكوفة والشام »[٣] ، ويُرَجِّحُ كَوْنَهُ لكلب قولُ نصر بأنه بين الكوفة والشام ، وثَمَّةَ كانت منازلُ كلب لا منازلُ نمير ، وأنّ أزبر بن غُزَيّ الكلبي ذكره وهو يتغزّل بالفزراء بنت عمارة بن زياد الكلبية فقال[٤] :

ولـولا هـوى الفـزراء لـم تـكُ نـاقتـي   بِثُكُـدٍ ولـم أشـرب طِـلاءً ولا خمـرا

---

(١) انظر معجم ما استعجم ٢٩ (المقدّمة)، ومعجم البلدان (تيماء).

(٢) معجم ما استعجم : ٥٠ (المقدمة) وفيه : (ونزلت كلب ومن حالفهم) تحريف، وانظر رَسْمَ (دومة الجندل)، والحاشية (١) ص٥٤٠ .

(٣) معجم البلدان (ثكد).

(٤) انظر شعره في الدّيوان.

الجَدِيْرُ ، جَديرُ كَلْبٍ :

هو من منازلهم القديمة في تهامة أيّامَ كانوا فيها مع سائر وَلَدِ مَعَدّ ، قال البكريُّ فيما نقل من حديث افتراق ولد مَعَدّ عن ابن الكلبي وعُمَر بن شبّة بسندهما إلى عبد الله بن عباس : « فاقْتَسَمَ وَلَدُ مَعَدّ بن عدنان هذه الأرض على سبعة أقسام ، فصار لعمرو بن معد بن عدنان ـ وهو قضاعَةُ ـ لمساكِنِهم ومَراعي أنعامهم : جُدّةُ ، من شاطىء البحر وما دونها إلى منتهى ذات عِرْق إلى حيِّز الحَرَم ، من السهل والجبل ، وبها موضع لكلب يُدعى الجَديرَ جديرَ كلب ، وهو معروف هنالك »[١] ، على أنّ البكريّ لم يُتَرْجِم لـ(جَدير كلب) في كتابه .

جَلْحٌ :

قال ياقوت : « من مياه كلب ، ثم لبني تُوَيْل منهم »[٢] ، أي لبني تُوَيْل بن عديّ بن جناب .

الجَمِيْلَةُ :

ذكر ابن الكلبي أنّها أرضٌ لبني كعب بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ، وأنّ بِشْرَ بنَ جعفر بن أبي خلاّس الكَلْبيّ حَماها[٣] .

الجِنَابُ :

موضع كثير الذِّكر في أخبار العرب وأشعارهم ، وتختلف الأقوال في تحديد أصحابه ، فقد ذُكر أنّه لِغَطَفَانَ ، وقيل : لبني فزارة منهم ، وقيل : بين بني مرّةَ بن سعد بن ذبيان وبني ليث بن سُود بن أَسْلُم بن الحاف بن قضاعة ، وقيل : لفزارة

---

(١) معجم ما استعجم : ١٧ (المقدمة) .

(٢) معجم البلدان (جلح) .

(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٥٦ .

ولِعُذْرة وبَلِيّ ، وقيل : لفزارة وكلب ، ولعذرة شركة فيه ؛ وغير ذلك[1] . وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر كثيراً ممّا ورد في النّصُوص القديمة من ذكر الجناب وما يساعد على تحديده ، وقال : إن جميع ما قِيل حقّ ، وهي تتصل ببلاد هذه القبائل جميعها ذلك أن الجناب أرضٌ ذات أودية وسهول واسْعة والجبالُ فيها قليلة ، ووقف عند عددٍ من المواضع التي لا تزال معروفةً بأسمائها القديمة منذ الجاهلية والمواضع التي تغيّرت أسماؤها ، ومنها جَبَلُ (حَدَدٍ) وهو لبني كلب مُطِلٌّ على تيماء يُعْرَفُ اليوم باسم غُنَيْمٍ ، وهذه الأرض يُطلق عليها الآن اسم (الجهراء) وكل أوصاف المتقدّمين تنطبق على هذه الأرض ، وبيّن أنّ (الجهراءَ) لغةً هي ما استوى من الأرض لا شجر فيها ولا آكام وإنما هي فضاء ، وهو سبب تسميتها بهذا الاسم[2] .

جَوْشٌ :

قال النابغة يذكر إيقاع جيشٍ للنعمان بن الحارث الغَسّاني ببني ذبيان حين تَرَبَّعوا واديَ ذي أُقُر ، وكان النعمان قد احتماه ، وكان النابغة قد حذّرهم ؛ فقال لمّا أوقع بهم[3] :

ساقَ الرُّفَيْداتِ مِن جَوْشٍ ومن حَدَدٍ ومـاشَ مِـنْ رهـط رِبْعِـيٍّ وحَجَّـار

قال ابن السكّيت : « جَوْش : أرض لبني القين ، وحَدَد عند ابن الأعرابي : أرض لكلب ، في قول ابن الكلبي ؛ وقال أبو عبيدة : جبلٌ على الحدّ فيما بين جوش والجِناب . وماشَ : خلط . وربعي وحجار : من بني الحارث بن سعد هُذَيم ابن زيد بن عمرو بن أسلُم بن الحاف بن قُضاعة ، وهم في إخوتهم عذرة بن

(١) انظر ديوان عدي بن الرقاع : ٥١ ، والنقائض : ١٠٣١ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ١٢٠ ، ١٦٤ ، وبلاد العرب : ٣٩٨ . ومعجم ما استعجم : ١٣ (المقدمة) و(الجناب) . ومعجم البلدان (برد) و(جناب) و(نجد) .

(٢) انظر المعجم الجغرافي : ٣٤٠ـ٣٤٦ و٣٦٥ .

(٣) ديوانه ـ صنعة ابن السكيت : ٥٨٢ .

سعد»(١) ؛ وذكر البكريّ أنه « أرض لبني القَيْن ، وحجّار من بني عذرة بن سعد ، قال النابغة : (البيت) . . . وحدد : أرض لكلب »(٢) ؛ وعند ياقوت أنه « جبل في بلاد بَلْقَيْن بن جَسْر ، بين أذرعات والبادية . . . وقال البَعيث :

تجـاوَزْنَ مـن جَـوْشَيْـنِ كُـلَّ مفـازةٍ   وهُـنَّ سَـوَامٍ فـي الأَزِمَّـةِ كـالإِجْـلِ

قال السكّري : أراد جَوْشاً وحَدَداً ، وهما جبلان في بلاد بني القَيْن بن جسر شمالي الجناب نزلها تيم وحَملٌ وغيْرهما ؛ قال النابغة (البيت) . . . حَدَد : أرضٌ لكلب ، عن الكلبي »(٣) ، وجاء في (النقائض) في شرح بيتِ البَعيث مثلُ قول السكّريّ(٤) ؛ ويظهر ممّا سبق أنَّ جَوْشاً كان لبني القين ، وأنه كان ينزل جانباً منه قومٌ مِن الرُّفيدات الكلبيين معهم .

ونقل الشيخ حمد الجاسر قول ياقوت وقول صاحب النقائض وغيرهما ، ثم قال : « والذي فهمته مما قرأت من النصوص عن جوش أنه هو ما يُعرف الآن باسم الطُّبَيْق ـ بضم الطاء وفتح الباء ـ وهو جبال وآكام صخرية تقع بقرب الحدود الأردنية شمال منهل مُغَيراء يُشاهَدُ رأيَ العين »(٥) .

حَامِرٌ :

انظر (أُحَامِر) .

الحَدَالىٰ :

قال ياقوت : « موضع بين الشام وبادية كلب المعروفة بالسماوة وهو

---

(١) ديوان النابغة ـ صنعة ابن السكيت : ٨٢ ؛ ورواه الأعلم هكذا (من جوشٍ ومن عِظَم) ثم قال : «و(جوش) و(عظم) موضعان في أرض كلب» ديوان النابغة ـ صنعة الأعلم : ٧٧. وأظنّ لفظ (عظم) محرّفاً عن (حدد) لقرب اللفظين في رسم الحرف الأندلسي، وهما : ، .

(٢) معجم ما استعجم (جوش).

(٣) معجم البلدان (جَوْش) وفيه (جَدَد) بالجيم بدل (حدد) وهو تصحيف، وستأتي ترجمته في موضعها.

(٤) النقائض : ١٣٥ ؛ والسّوامي : أي الرّوافعُ الرؤوس مِن النشاط . والإجل : القطيعُ من البقر.

(٥) المعجم الجغرافي : ٣٥٥ـ٣٥٨.

لكلب »[١] . وقال الصاغاني : « وَحَدَال : اسم أرض بالشام ، قال الراعي :

فـي إثـر مَـنْ قُـرِنَـتْ منّـي قَـرِينَتُـه يَـومَ الحَـدَالِ بتسبيـبٍ مـنَ القَـدَرِ

ويروى يوم الحَدَالىٰ »[٢] ، وتابعه الزَّبيدي، في حين اكتفىٰ الفيروز أبادي بأنّ (الحدال) موضع بالشام[٣] . ونقل الشيخ حمد الجاسر قول ياقوت ، ثم قال : « والحدالىٰ تُنطق الآن بكسر اللام بعدها ياء (الحَدَالِي) ، وهي تلال وآكام تقع في الشمال الشرقي من بلدة طُرَيْف بما يُقارب (١٠٠) كيلٍ في البلاد السُّورِيّة »[٤] .

حَدَدٌ :

سبق بيتُ النابغة في رسم (جَوْش) وطَرَفٌ من أقوال العلماء فيه وفي (جَوْش) وقال البكريّ أيضاً : « حَدَد . . . على مثال عَدَد : موضع من أرض كلب ، وقد تقدّم ذكره في رسم (جَوْش) والشاهد عليه من شعر النابغة ، وقال أوس بن حارثة بن أوس الكلبي ، جاهليٌّ :

سُقْنـا رُفَيْـدَةَ حتّـى احتـلَّ أوَّلُهـا تَيْمـاءَ يُـذْعَـرُ مِـنْ سُـلاّفِها حَـدَدُ »[٥]

وقال ياقوت أيضاً : « حَدَدٌ . . . وهو جَبلٌ مطلٌّ على تيماء »[٦] . ثم نقل قول ابن السكيت في شرح بيت النابغة . وذكر الهمدانيّ أنّه : « أرض لكلب »[٧] . وعند الصغاني والفيروز أبادي والزَّبيدي أنّ اسم (حدد) يُطلق على موضعين : جبل

---

(١) معجم البلدان (الحدالى).
(٢) التكملة (حدل).
(٣) انظر القاموس والتاج (حدل).
(٤) المعجم الجغرافي: ٤٠٢.
(٥) معجم ما استعجم (حدد). وأنشد البكري البيت في مقدّمته: ٥٠، وذكر أنّ أوساً قاله في الحرب التي كانت بين بطون كلبٍ، وجاءَ في ذلك الموضع (جُدَد) بدل (حَدَد) وهو تصحيف، إذ لم يذكر البكري (جُدد) في معجمه.
(٦) معجم البلدان (حدد).
(٧) صفة جزيرة العرب ٢٩٦.

بتيماء ، وأرض لكلب[١] ، فإن صحّ ما ذهبوا إليه كان ذلك دليلاً علىٰ أنّ أرض كلب التي يقع فيها الجبل كان يُقال لها حَدَدٌ ، وإلاّ فهو الجبلُ وَحْدَه ، ونقل الشيخ حمد الجاسر قول ابن السّكيت السابق في رسم (جوش) وقول ياقوت وغيرهما ، ثم قال : « كلّ الأقوال المتقدّمة تنطبق على جبل (غُنَيْم) المطلّ على بلدة تيماء من الناحية الجنوبية ، بمَيْلٍ نحو الشرق على مقربة منها ، يُرى رأي العين ؛ وقد عُثِرَ في ذلك الجبل على آثار وكتابات نقلنَا بعضَها في كتاب (شمال غرب الجزيرة) »[٢] .

حُرَّا :

« بالضمّ ، ثم التشديد ، والقصر ، موضع ؛ قال نصر : أظنه في بادية كلب »[٣] .

حَزْنُ كَلْبٍ ، أو : حَزِيز كَلْب :

الحَزْنُ في كلامِ العرب : ما غلُظ من الأرض ، والجمع الحزون[٤] . والحزيز : المكانُ الغليظ المنقاد ، وقيل مع إشرافٍ ـ أي ارتفاع ـ قليل وجمعه : حُِزّان بضم الحاء وبكسرها ، وأَحِزّة[٥] ، فالمعنى واحد ؛ فأما حزن كلب فقد عدّه الأصمعي ـ فيما نقل ياقوت ـ والحَسَن بنُ عبدِ الله الأصفهاني والزمخشري أحدَ الحزونِ في جزيرة العرب ، وهي ثلاثة : حَزْن بني يَرْبوع ، وحزن بني غاضرة من بني أسد ، وحَزْنُ بني كلب ؛ ونقل ياقوت عن أبي سعيد الضرير أنها : حزنُ بني جعدة وحزن بني يربوع وحزن غاضرة[٦] ؛ وقال الأصفهاني : « فهذه الحُزونُ

---

(١) التكملة والقاموس والتاج (حدد) .
(٢) المعجم الجغرافي ٤٠٢ـ٤٠٣ .
(٣) معجم البلدان (حُرّا) .
(٤) اللسان والقاموس والتاج (حزن) .
(٥) اللسان والقاموس والتاج (حزز) .
(٦) بلاد العرب ١٠٣ و٢٨٢ ، الجبال والأمكنة والمياه : ٦٢ـ٦٣ ، ومعجم البلدان (حزن بني جعدة) و(حزن غاضرة) و(حزن كلب) و(حزن يربوع) .

المعروفةُ المُسَمّاةُ ، وهي كلها قِفافٌ ، وكلها مَرِيئة »[1] .

وأما (حزيز كلب) فقد ذكَرَهُ الهجري وهو يصف الطريق من فَيد نحو بالس وحمص من الشام ، وفيه : « ثم تهبط اللَّعْط فيْ أوّل رَمْل عالجٍ ، ثمّ الحَزِيز حَزِيزِ كلب ، وبه الهُبَكة والأَوْقَةُ ، وهُنّ عِذابٌ ؛ ثم تهبط من حزيز كلب في الوصل بين الأوداة وبين حزيز كلب ـ وإنما هي الأودية ، ولكنها لغة طَيِّء ـ فأول وادٍ من أودية الأوداة : ذو القور . . . »[2] ؛ وذكره ياقوت ، فقال : « حزيز : . . . وهو في مواضع كثيرة من بلاد العرب ، منها حَزيز الثَّلَبُوت . . . وحزيز مُحارب . . . وحزيز غَنِيّ . . . وحزيز عُكْل . . . و . . . وحزيز كلب ، في بلادهم »[3] ؛ وقد أشار الشيخ حمد الجاسر إلى قول ياقوت والأصفهاني في حزن كلب ثم قال : « ويفهم من كلام المتقَدّمين أنه يقع شمال (لِينَةَ) و(زُبالَةَ) ، شمال حزن بني يربوع ، ومن مياهه الهُبَكات والرَّوَض ؛ ومن أعلامه مَرْكوز ، وواحد (انظر الحزول) »[4] ، ثم قال في رسم (الحزول) : « جمع حَزْل . . . لم أرَ لهذه الكلمة معنى في اللغة وأرى صوابها (الحزون) بالنون فأبدلتها العامة لاماً . واسم الحزول يطلق على ما كان يعرف قديماً باسم الحزون ، جمع حزن ، وقد يقصرونه على حزن كلب ، وهو حزيزها كما سيأتي . وتقع الحزول شرق شمال الدهناء ، وهي من (الحَجْرة) ، **وتكثر فيها الرياضُ التي تجودُ بأحرار البَقول ، وتقِلّ فيها الجبال ، وفيها مياهٌ وأودية** ؛ فمن مياه الحزول ١ـ لَوْقة ، ٢ـ الرَّوَضُ ٣ـ الرَّكْعاء ٤ـ المُنْدَسّة

---

(١) بلاد العرب : ١٠٣ .

(٢) التعليقات والنوادر ١ : ٦٩ـ٧٠ ، وقد ورد النص مصحّفاً ومحرّفاً مُفْسَداً في مواضع متعدّدة وقد أثبتّ الصواب من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة) : ١٤٧ـ١٤٨ و٤٢٩ حيث أثبت الشيخ حمد الجاسر الصواب . وقد كان الشيخ حمد الجاسر كتب عدداً من المقالات في نقد تحقيق كتاب الهجري واطّلعت على المقالتين : الثانية في الجزء ٧ـ٨ محرم وصفر ١٤٠٢هـ من مجلة العرب ، والرابعة عشرة في الجزء ١١ـ١٢ جمادى الأولى والآخرة ١٤٠٤هـ .

(٣) معجم البلدان (حَزيز) ، ونحوٌ منه في المشترك وضعاً : ١٣٣ .

(٤) المعجم الجغرافي : ٤٢٥ .

٥ـ الهُبَكَةُ ٦ـ الهُبَيْكَةُ ؛ ومِن الأودية ، ١ـ وادي الخَدّ ، بالدّال بعد الخاء المعجمة ، ينحدر مِن النَّفود مُشْمِلاً ، فيفيضُ في لَوْقَةَ ٢ـ أَبَا القِدّ ، بالقاف والدّال ، يَفيضُ مِن نَوازي عَقارب ، ويتّجه شمالاً حتّىٰ يَحير في فيضةٍ تُدعىٰ الكَسْر شَرْقَ لَوْقة ٣ـ أُعَيْوِج ، تصغيرُ أَعْوَج ، ينحدر مِن شَرْق عَقارب ، فَيَحيرُ في نَواظِرِ الحَجْرَةِ شَرْقَ لَوْقة ٤ـ وادي الخُرّ ، بالرّاء ، وهُوَ أَعْظَمُ أَوْدِيَةِ الحُزول ، يَنْحَدِرُ من الدّارات في الشّمال الشّرقيّ مِن اللَّبَّة ـ لَبَّةِ النَّفود ـ ويتّجه شمالاً شرقيّاً حتّىٰ يفيضَ في الصَّحْن شمال غرب لَوْقَة ٥ـ أبا الرُّواث : ينحدر مِن نازِيةِ أُمّ رَضَحة غَرْب عَذْفا حتّىٰ يَفيض في فياض العُوَيقليّةِ غَرْباً »[1] ، وقال في موضع آخر : « **وتكثر الرّياض في حَزْن كلبٍ (الحُزول وما حولها) ، ولهذا يكثرُ ذكرُ الرياض في شعر شعرائهم** »[2] ، أي شعراء كلب ؛ ويؤكّد ذلك ما وقفتُ عليه من أسماء الرّياض في ديارهم ، وهي عشرٌ ، وسيأتي ذكرُها وما جاء فيها مِن أشعارهم في مواضعها .

وقال في موضعٍ آخر بعدَ ما نقل قولَ الهجريّ السابق في حزيز كلب : « حزيز كلب هو ما يُعْرَف أيضاً بحزن كلب ، ويُعْرَف الآن باسم الحزول ، جَمْع حَزْل . . . »[3] .

حَضْرَمَوْتُ :

ناحية واسعة مشهورة في شرق عَدَن من اليمن ، فيها مُدُنٌ وقِلاعٌ وقُرَىٰ[4] ، وكانَ يَسكُنها جَهْبَلُ بنُ سَيْفٍ الجُلاحيُّ الكلبيُّ وأهلُه ، بقريةٍ يُقال لها رَحْبَة ؛ وجهبلٌ هوَ الذي ذَهَبَ بموتِ النبيّ إلىٰ حَضْرَموت فَنَعاهُ لهم ، وهو الذي يقول[5] :

أنــا الكَلْبــيُّ لَيْــسَ بِحَضْــرَمِــيٍّ ولٰكِنّــي أَنَخْــتُ بِهــا دِيــارا

---

(١) المعجم الجغرافي : ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .
(٢) المعجم الجغرافي : ٦٠٩ .
(٣) المعجم الجغرافي : ٤٢٩ .
(٤) معجم البلدان (حضرَموت) .
(٥) انظر ترجمة جهبل بن سيف في الديوان .

حَضَنٌ :

نقل البكريّ عن ابن الكلبيّ بسنده إلىٰ ابنِ عبّاس خَبَرَ افتراق ولد معدّ ، كما نقل ياقوت عن أبي المنذر ـ وهو ابنُ الكلبيّ ـ في (.كتاب الافتراق) ، أنَّ قضاعةَ كلَّها ظَعَنَتْ مِنْ غَوْرِ تِهامة بَعْدَما كان مِن حرب بني نزار لهم وإجلائهم إيّاهم ، وساروا مُنْجِدينَ ، فمالت كلب بن وبرة إلىٰ حَضَن والسِّيّ وما صاقبهما من البلاد ، غيرَ شُكْمِ اللاّت بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب ، فإنّهم انضمّوا إلىٰ فهم بن تيم اللاّت بن أسد بن وَبرة أخي كلب بن وبرة وصاروا معهم ، ولحِقَتْ ببني كلب عُصَيْمَةُ بن اللَّبْو مِن النَّمِر بن وبرة فانضمّت إليهم ، ولحقت بهم قبائل من جَرْم بن ربّان مِن قضاعةَ ، فَثَبَتوا معهم بِحَضَنٍ فأقاموا هنالك ، وانتشرت سائر قضاعة في البلاد[١] .

ثمّ ذكر البكريّ أنّهم ما زالوا هم وعُصَيْمة وجَرْم في منازلهم هذه وما والاها من ظواهِرِ أرض نجد حتّىٰ انتشرت قبائل نزار بن معدّ وخرجت من تهامةَ إلىٰ ما يليها مِن نجد والحِجاز ، فأزالوهم عن منازلهم ، فافترقت هذه القبائل مِن قضاعة كلٌّ إلى بلادٍ جديدة[٢] ، قال : « وانحازت كلبٌ من منازلها التي كانوا بها مِن حَضَنٍ وما وَالاها إلى ناحيةِ الرَّبَذَةِ وما خَلْفَها إلى جَبَلِ طَمِيَّةَ ، وفي ذٰلك يقول زهير بن جَناب الكلبيّ وهو يُوصي بَنِيهِ ويَذْكُرُ منزلَهُ طَمِيّةَ :

وَلَقَدْ شَهِدْتُ النّارَ لِلسْـ . . . ـسُلاّفِ تُوقَدُ في طَمِيّةْ

يعني يومَ خزاز حينَ أَوْقَدوا »[٣] .

وحَضَنٌ هذا : « جَبَلٌ بأعلىٰ نَجْدٍ ، وهُوَ أَوَّلُ حدودِ نَجْدٍ ؛ وفي المَثَلِ : أَنْجَدَ

---

(١) معجم ما استعجم : ٢٥ (المقدمة) ، ومعجم البلدان (حضن) ، غير أنّه جاء في معجم ما استعجم : (نهد ابن زيد اللاّت بن أسد) وهو تحريف ، لأنّه ليس في وَلد أسد بن وبرة مَن اسمه (زيد اللات) ، وإنّما هو تيم اللاّت الّذي وَلَدَ (فَهْماً) لا نَهْداً ، ووَلَدَ أيضاً قُثَماً ، وخُزَيمةُ ، كما ذكر ابن الكلبيّ في النسب الكبير ٢ : ٤٠٣ ، وعنه وعن معجم البلدان (حضن) وجمهرة أنساب العرب : ٤٥٣ أثبتُّ الصوابَ .

(٢) معجم ما استعجم : ٤٥ (المقدّمة) .

(٣) معجم ما استعجم : ٤٩ (المقدّمة) .

مَنْ رَأَىٰ حَضَناً ، أي : مَن شاهَدَ هذا الجَبَلَ فقد صارَ في نجدٍ . . . ، وقال نَصْرٌ : حَضَنٌ جَبَلٌ مُشْرِفٌ علىٰ السِّيِّ إلى جانِبِ ديار سُلَيْم ، وهو أشهَرُ جبالِ نَجْدٍ ؛ وقيل : جبلٌ ضخمٌ بناحية نجدٍ ، بَيْنَهُ وبَيْنَ تِهامةَ مَرْحَلَةٌ »[١] ، وعدّه الهمدانيّ من الجبالِ المشهورة عند العرب[٢] .

الحَمَادُ :

انظر رسمَ (البَيَاض) .

حَمَاةُ :

مَدينة مشهورة من مُدُنِ الشّام ، ذكر ياقوتُ أنَّها مدينةٌ كبيرةٌ عظيمةٌ في زمانه ، ويُحيطُ بها سُورٌ ، وبظاهِرِ المدينة حاضِرٌ كبيرٌ جِدّاً ؛ وهذا الحاضِرُ في زماننا هذا حيٌّ كبيرٌ مِنْ أحيائِها ، وهو يُعْرَف باسم (الحاضِر) ؛ وقال ياقوت : « وهي مدينة قديمةٌ جاهلية ، ذكرها امرؤ القيس [بن حُجْرٍ] في شعرِه ، فقال :

تَقَطَّعُ أَسبابُ اللُّبانَةِ والهَوَىٰ عَشِيّةَ جاوَزْنا حَماةَ وَشَيْزَرا

. . . .

إلاّ أنّها لم تكن قديماً مثلَ ما هي اليومَ مِنَ العِظَمِ بسُلطانٍ مُفْرَدٍ ، بل كانت مِن عَمَلِ حمصَ »[٣] ، ثمّ نَقَلَ عن بعضِ علماء القرن الثالث الهجريّ ما يَدُلُّ على أنها كانت في زمانه أواخِرَ القرن الثالث قريةً ؛ وقال البكريُّ : « حماة . . . موضعٌ في ديار كلبٍ ؛ قال امرؤ القيس : (الشطر الثاني من البيت) »[٤] ؛ وعَدّ الهمدانيّ حماةَ في القرى الواقعة في ديار كلبٍ[٥] .

---

(١) معجم البلدان (حَضَن) .
(٢) صفة جزيرة العرب : ٢٣٩ .
(٣) معجم البلدان (حماة) .
(٤) معجم ما استعجم (حماة) .
(٥) صفة جزيرة العرب : ٢٤٦ .

حِمْص :

مدينة مشهورة من مُدُنِ الشّام ، وتدلّ الأخبار علىٰ أنّ قوماً من بني كلبٍ سكنوا فيها بعدَ فتحها ، فمن ذلك أنّ النعمانَ بنَ بشير الأنصاريّ كان عاملاً علىٰ حمص فبايَعَ لابنِ الزُّبيرِ بعدَ وفاة معاويةَ بن يزيد بن معاوية ، فلما انكَشَفَتْ وقعة مرج راهط عن هزيمة الضحاك بن قيس ومَنْ مَعَهُ مِنَ الزُّبيريّةِ هَرَبَ النعمان بأهلِه ، وفيهم نائلةُ بنت عِمارة الكلبيّة ، ثُمَّ أُدْرِكَ فَقُتِلَ وجيءَ بأهلِه ؛ قال الطبريُّ : « فجاءت كلبٌ مِن أهلِ حمصَ ، فأخذوا نائلةَ وَوَلَدَها »[١] ، ومن ذلك أنّ عَبّادَ بن يزيد الكلبي شَهِدَ صِفّين مع معاوية بن أبي سفيان فكانَ علىٰ قُضاعةِ حمصَ[٢] ، وفي هذا دليلٌ علىٰ أنّه كان في حمصَ عددٌ غير قليل من بني كلب ؛ وعَدَّ الهمدانيُّ حمصَ في القرىٰ الواقعة في ديار كلب[٣] .

حُوّارِينُ :

قريةٌ تابعةٌ لمدينة (حمص) ، معروفةٌ حتى الآن بهذا الاسم ، تقع قربَ (القَرْيَتَيْنِ) ؛ وذكَرَ ياقوتُ أنّها كانت حصناً في القديم ، وأنّ خالد بن الوليد مَرَّ بها في مَسيرهِ من العراقِ إلى الشام ، وأنّ يزيد بن معاوية ماتَ فيها سنةَ أربع وستين[٤] ؛ وجاء في تاريخ الطبريّ في بعض أخباره : « فَوَجَّهَ يزيدُ بنُ الوليد [بن عبد الملك] مسرورَ بنَ الوليد والوَليدَ بنَ رَوْحٍ في جمعٍ كبيرٍ ، فَنَزَلُوا حُوّارينَ ، وأَكْثَرُهُم بنو عامرٍ مِنْ كلبٍ »[٥] .

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٣٩ .

(٢) تاريخ خليفة : ٢٢٢ ، والأخبار الطّوال : ١٧٢ ، وتاريخ دمشق ٨ : ٨٨٤ ، غير أنّه جاءَ في تاريخ خليفة (على قضاعةِ مصر) وهو تحريف ، ذلك لأنّ ابن عساكر نقل عن خليفة ، وعنده : قضاعة حمص .

(٣) صفة جزيرة العرب : ٢٤٦ .

(٤) معجم البلدان (حوّارين) .

(٥) تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٣ .

الحُوَّةُ :

قال عديّ بن الرّقاع العامليّ يَصفُ إبلاً[١] :

فَتَنَجْنَا قَنَاعِساً رَعَتِ الحُوْ . . وَةَ أَوْ جَوْشَ فَهْيَ قُعْسٌ نِواءُ

فقال أبو العباس ثعلب شارحاً : « والحُوَّةُ : حَرَّةٌ لكلبٍ »[٢] ، وقد سَبَق تعريفُ (جَوْش) في موضِعه ؛ وذكر الجوهريُّ وياقوتُ وابنُ منظور والزَّبيديّ أنَّ الحُوَّةَ موضِعٌ ببلادِ كلبٍ ، وأنشدوا لعديّ بن الرقاع[٣] :

أو ظَبْيَةٌ مِنْ ظِباءِ الحُوَّةِ ابْتَقَلَتْ مَذانِباً فَجَرَتْ نَبْتاً وحُجْرانا

وقولُ ثعلب أَدقُّ ، ويدلُّ على ذلك أنّ مِن معاني الحُوّةِ الحُمْرَةُ الضاربةُ إلى السَّوادِ ، وهو لَوْنُ الحَرّةِ ، لأنّ حجارتها سُودٌ .

ونقل الشيخ حمد الجاسر قولَ الزَّبيديّ وبَيْتَ عديّ بن الرقاع عن معجم البلدان (جوش)[٤] ، ثمّ قال : « ويَظْهَرُ مِنْ ذِكْرِه مع (جَوْش) أنّه بقربه ، في غَرْبِ النَّفود ، وذٰلِكَ مَرَبٌّ للظِّباءِ إلىٰ عَهْدِنا »[٥] .

الحِيْرَةُ :

مدينة قديمة منذ الجاهلية ، كانت على مسافة قصيرة من الكوفة موضع النَّجَفِ ، وكان فيها مُلْك المناذرة من لَخْم[٦] ؛ وتدل الأخبار على أن فرقة من بني

---

(١) ديوانه : ١٥٧ ، والقناعِسُ : الشِّداد . ونِواءٌ : سِمانٌ .

(٢) ديوان عدي : ١٥٧ ، وفيه (حرّة الكلب) بزيادة أَلِفٍ قبلَ اللاّم . وهي من زيادات النُّسّاخ التي لم يتنبّه عليها محقّق الديوان ، وأمثالُه من التصحيف والتحريف كثيرة في هذا الدّيوان .

(٣) الصّحاح واللسان والتاج (حوا) ، ومعجم البلدان (الحوّة) ، وبيت عديّ في ديوانه : ١٦٨ ، وقال ثعلب في شرحه : «الحوّة : موضع . ابتقلت : رَعَتِ البَقْلَ . المذانب : مجاري الماء إلى الرياض» .

(٤) ورد البيت في معجم البلدان (جوش) محرّفاً ، فنبه الشيخ الجاسر على بعضه وفاته بعضه .

(٥) المعجم الجغرافي ٤٧٤ـ٤٧٥ .

(٦) معجم البلدان (الحيرة) .

رفيدة من بني كلب ، وهم بنو شكم اللات بن رفيدة ، سكنوها قديماً مَعَ مَنْ سكنها من العرب مع مالك بن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تيم اللات بن أسد بن وبرة أخي كلب بن وبرة ، ثم مع مَنْ خلّف فيها تُبّع أبو كَرب ممّن كان معه من قبائل العرب ومَنْ انضم إليهم فيما بعد[١] . كما تدل المصادر على أنّ فِرَقاً أُخرى من بني كلب نزلت الحيرة وانضمت إلى من كان فيها منهم ، فقد ذكر ابن الكلبي أنّ بني عمّار بن عبد المسيح بن قيس بن حَرْمَلَةَ بن علقمة بن عَشير بن الرّمّاح بن عامر المُذَمَّم بن عوف بن عامر الأكبر كانوا يسكنون الحيرة ، وكان لهم قَصْر العَدَسيّين ، ويُقال للرَّماح بن عامر المذمَّم وأخيه عوف المِشَظّ بن عامر المذمّم ، ومَن وَلَدا : بنو عدسة ، نسبة إلى أمّهم[٢] ؛ وكان قصر العَدَسيّين في طَرَف الحيرة ، وهو أوّل شيء فتحه المسلمون لمّا ساروا نحو العراق[٣] ؛ كما ذكر ابن الكلبي أنّه كان في الحيرة قومٌ من بني امرىء القيس بن عوف بن عامر الأكبر ـ وامرؤ القيس أخو عامر المذمَّم ـ وهم بنو غوث بن أبي سَلْمى بن لَيْل بن امرىء القيس ، وهم عُبّادٌ بالحيرة[٤] ، وذكر أيضاً أنّ قوماً من بني خليفة بن مصاد بن كعب بن عليم بن جناب كانوا فيها « قدموا مع أُكيدر أيّامَ خرجوا من دومة »[٥] وهو أُكيدر بن عبد الملك السكوني الكندي ، وسيأتي خبره في رسم (دومة الجندل) .

وممّن له ذكرٌ من النازلين بالحيرة من بني كلب : قُراد بن أجدَع الذي كفِل الطائي في الخبر المشهور[٦] ؛ والمتجرّدةُ زوج النعمان بن المنذر اللّخمي ، وزوجُها الذي كانت عنده قبل المنذر ، فالمتجرّدة هي : ماوية ـ وقيل هند ـ بنت

---

(١) انظر تاريخ الطبري ١ : ٥٦٦ـ٥٦٧ و١ : ٦٠٩ـ٦١٠ ، والأغاني ١٣ : ٧٨ وما بعدها ، وتجارب الأمم ١ : ٤٦ ، ومعجم ما استعجم : ٢١ـ٢٥ (المقدّمة) ، وتاريخ دمشق ٢ : ٦٠ـ٦١ ، ومعجم البلدان (الحيرة) ، والكامل في التاريخ ١ : ٢٧٦ـ٢٧٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٣١٠ـ٣١١ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٦٥ .

(٣) فتوح البلدان للبلاذري : ٤٠١ـ٤٠٢ ، ومعجم البلدان (قصر العدسيين) .

(٤) النسب الكبير ٢ : ٣٦٤ .

(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٣٢ .

(٦) انظر ترجمة قراد وشعره في الديوان .

المنذر بن الأسود الكلبية ، وزوجها هو أسود بن المنذر بن حارثة الكلبي ، وكان يُقال له جَلْم ، فطلّقها في خبرٍ له مع المنذر بن المنذر والد النعمان ، فتزوّجها المنذر ثم خلف عليها من بعده النعمان نكاحَ مَقْتٍ(١) .

خَالةُ :

قال النابغة الذبياني يمدح النعمان بن جَبَلة الجُلاحيَّ الكلبيّ من قصيدة ، وكان سبى ابنتَهُ ونساءً وأسرى من غطفان في خبر لهم ، ثم أطلقهنّ حين علم أنها ابنة النابغة وأطلق الأسرىٰ(٢) :

وَلَوْلا أَبُو الشقراءِ ما زالَ ماتِحٌ ... يُعالِج خُطّافاً بإحدىٰ الجَرائرِ
بِخالةَ أو ماءِ الذِّنابَةِ أو سَوىً ... مَظِنَّةَ كلبٍ في مياهِ المَناظِرِ

قال ابن السِّكِّيت شارحاً . « وخالة : موضع . مَظِنَّة كلب : حيث يُظَنّون ؛ يقال : موضع كذا وكذا مظنة بني فلان ؛ أي مكان لهم »(٣) . وقال ياقوت عن خالة : « وهو ماء لكلب بن وبرة في بادية الشام »(٤) ، وأنشد بيتَ النابغة ثم نقل خبراً لِعَديّ بن الرِّقاع ، وفيه أنّه استقى بني بَحْرٍ من بني زهير بن جناب الكلبيّين على ماء خَالَةَ(٥) ؛ فدلّ بذلك على أنّ بني بحر كانوا يقيمون عنده . وعَدّ الهمدانيُّ خالة من بلاد بني كلب فقال : « ومن بلد كلب : خالة ، وماءُ الذِّنابة ، وسَوىً ، ومياهُ المناظر ، وقُراقِرُ ماءٌ لهم ، وذُو أُرَل . . . وحَدَد أرض لهم . . . »(٦) .

---

(١) انظر ديوان النابغة ـ لابن السكيت : ٢٧ و١٩٤ ، والمحبّر : ٤٣٧ ، والأغاني ٢١ : ١ـ٢ ، وتمثال الأمثال : ٤١٩ .

(٢) ديوان النابغة ـ لابن السكيت : ١٧٣ ، وللأعلم الشنتمري : ١٧٥ ، وأبو الشقراء هو النُّعمان بن جبلة ، يقول له : لولا إعتاقك أسرانا لما زال الواحد منهم يستقي لكم بإحدىٰ آبار مياهكم بخالة أو غيرها .

(٣) ديوان النابغة ـ لابن السكيت : ١٧٣ ، ومثله في ديوانه صنعة الأعلم : ١٧٥ ، ومعجم ما استعجم (سَوى) وأحالَ في رسم (خالة) إلى هذا المكان من كتابه .

(٤) معجم البلدان (خالة) .

(٥) انظر أيضاً خبر عديّ وشعرَهُ في طبقات فُحُول الشعراء : ٧٠٣ـ٧٠٤ .

(٦) صفة جزيرة العرب : ٢٩٦ .

خَبْتٌ :

الخَبْتُ ، لغةً : هو المتَّسَع المطمئنّ من بطون الأرض فيه رَمْلٌ ؛ وذكر ياقوت والفيروزأباديّ أنّ خَبْتاً ماءٌ لكلب[١] ، وزاد الزَّبيديُّ أنّه بالشام[٢] ، وقال البُرْجُ بن مُسْهِر الطائيّ أحدُ بني جديلة ، وكان بنو جديلة جاوروا كلباً بعدَ حربِ الفَساد بينهم وبين الغَوْث من طيّىء أيضاً ، فلم يَحْمَدِ البُرْجُ جِوارَهم ، فقال مِن أبيات حماسيّة[٣] :

فَنِعْمَ الحيُّ كلبٌ غيرَ أنّا ... رأينا في جوارِهم هَناتِ
فإنَّ الغَدْرَ قد أضحى وأمسى ... مُقيماً بين خَبْتَ إلى المَساةِ

فذكر المرزوقيُّ في شرحه أنّه ماءٌ لكلب . وقال الأخنس بن شهاب التغلبيّ من قصيدتِهِ المُفَضَّليّة التي ذكر فيها منازلَ كثير من القبائل[٤] :

وكلب لها خَبْتٌ فرملةُ عالجٍ ... إلى الحرَّة الرَّجْلاءِ حَيْثُ تُحارِبُ

فذكر التبريزيّ في شرح المفضليات أنّ خَبتاً : « منازلُ لكلب من نحوِ هِيت »[٥] .

وقال امرؤ القيس[٦] :

سما لكَ شوقٌ بعدما كان أقصرا ... وحَلَّت سُلَيْمى بَطْنَ خَبْتٍ فَعَرْعَرَا

ويُروى (بَطْنَ ظَبْيِ)[٧] ، فذكر ابنُ الكلبيِّ أنَّ (سُلَيْمى) هذه هي سَلمى بنت العُبَيْد الكَلْبِيَّةُ أُمُّ جعفر بن أبي خَلاّس الشاعر الكلبيّ[٨] ،

---

(١) معجم البلدان (خبت)، والقاموس (خبت) وفيه (لكليب) تصحيف.
(٢) التاج (خبت).
(٣) الحماسة ١ : ٢١٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣٥٩، وللتبريزي ١ : ٣٣٦.
(٤) المفضّليات : ٢٠٥.
(٥) شرح اختيارات المفضل : ٩٣٠.
(٦) ديوانه : ٥٩.
(٧) انظر رسم (بطن ظبي).
(٨) النسب الكبير : ٣٥٦.

و(عَرْعَرٌ) وادٍ من أودية بني كلب[١] .

وذكر البكريُّ فيما نقل عن ابن الكلبي من خبر افتراق وَلَدِ مَعَدّ أنّ حرباً وقعت بين بطون كلب حين كانوا إلى ناحية الربَذَةِ وما خلفها إلى جبل طميّة ، فكان بنو عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللاّت وبنو عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات وأحلافهم يداً على بني كنانة بن عوف بن عذرة وأحلافها ، فظهرت بنو كنانة على تلكما العِمارتين ، فافترق بنو كلب ، قال : « ونزلت كنانة ومَنْ حالفهم وصارَ معهم من قبائل كلب بِخَبْتِ دُومَةَ إلى ناحيةِ بلادِ طيّيء من الجبلين وحَيِّزهما ، إلى طريق تيماءَ »[٢] ، فأضاف خبتاً إلى دُومة ، ثم ذكر في رَسْمِ (خبت) أنّها في ديار كلبٍ ، ونقل عن أبي حاتم قوله : « وخَبْتُ دُومَةَ : مكانٌ آخر »[٣] .

وقد نقل الشيخُ حمد الجاسر معظم هذه الأقوال ثم خَلَصَ منها إلى أنَّ اسمَ خَبْتٍ كان يُطْلَقُ على منخفض الجَوْف ـ والجوفُ هي ما كان يُعرَف قديماً باسم دُومةِ الجندلِ ـ إذ يقع وادي عَرْعَر الذي قَرَنَهُ امرؤ القيس به إلى الشرق من هذا المنخفض ؛ وذكر أنّ تفريق أبي حاتم بين (خبت دومة) و(خبت) الذي في بلاد كلب غيرُ سَليم ، لأنّ خبتَ دومة من بلاد كلب ؛ ونبّه على أنّ قولهم إنَّ خبتاً ماءٌ لهم ناتجٌ عن كون العرب تُطْلق الاسم على الموضع وما فيه من ماء أو جبل أو واد أو غيره ، كما نبه على أن قول الأنباري والتبريزي بأنه « نحو هيت » فيه توسُّعٌ ، وإنّما يُراد به أنَّه من جهة هِيت الواقعةِ في العراق بقرب الفُرات ، وهي بعيدة عن خبتِ دومة ؛ ونَبَّه أيضاً على أنّ قولَ الزَّبيدي إنَّه في الشام فيه تَجَوُّزٌ ، إذ كان المتقدّمون

---

(١) انظر رسم (عرعر).

(٢) معجم ما استعجم: ٥٠ (المقدّمة)، وفيه: (ونزلت كلب ومن حالفهم. . .) ولا يستقيم الكلام بذلك لأنه قال بعد ذلك (ومن حالفهم وصار معهم من قبائل كلب)، ويؤكد ذلك أن ياقوتاً ذكر أنّ دومة كانت من منازل كنانة بن عوف؛ معجم البلدان (دومة الجندل).

(٣) معجم ما استعجم (خَبْت).

يَعُدُّونَ منطقة الجوف وشمالَ النَّفود من الشام[١] .

ويؤكد ما ذهب إليه الشيخ الجاسر من أنَّ خبتَ دومة هو المنخفضُ المحيطُ بها أنّ دومة وردت في بعض شعر الأخطل مضافة إلى خَبْت ، وذلك قوله[٢] :

أَلا يــا ٱسْلَمــا عَلَــى التَّقَــادُم والبِلَــىٰ بــدومَــةِ خَبْــتٍ أَيُّهَــا الطَّلَــلانِ
فلـو كنـتُ مَحْصـوبـاً بـدُومـةَ مُـدْنَفـاً أُسْقَـىٰ بِـرِيـقٍ مـن سُعـادَ شَفـانـي

وقد ذهب ياقوتٌ إلى أنّ (دُومة خبت) غير (دومة الجندل) ، وأَنْشَدَ بَيْتَي الأخطل[٣] ؛ والراجح أنه موضع واحدٌ هو دومة الجندل ، فأُضيفت إلىٰ (خبتٍ) لأن خبّاً مُحيطٌ بدُومة ، كما أُضِيف خبتٌ إلى دومة لأنها القَرْيَةُ التي يجتمع إليها مَنْ بِخَبْت .

الخُرُّ :

قال ياقوتٌ : « ماءٌ في ديار بني كلب بن وبرة بالشام ، قريبٌ مِن (عاسِم) ماءٍ آخر لهم ، وقال ابنُ الغَدّاء الأجداريُّ ثمّ الكَلْبِيُّ :

وقــد يكــونُ لنــا بــالخُــرِّ مُــرْتَبــعٌ والرَّوضِ حيثُ تَناهىٰ مَرْتَعُ البَقَرِ »[٤]

ونقل الشيخ حمد الجاسر قول ياقوت وغيره ، واستخلص منها أوصاف هذا الموضع ، ثم قال : « والأوصاف المتقدّمة كلها تنطبق على وادي الخُرّ الكبير الذي لا يزال معروفاً . . . وهو من فحول الأودية »[٥] ثم وصف في كلام فيه طولٌ الواديَ والأماكنَ التي تنحدر منها فروعُه ، ومنها المرتفعاتُ الواقعة غرب الهُبَكَة والهُبَيْكَة ـ وهما من مياه بني كلب ـ وعدَّد الأماكنَ التي يمرّ فيها حتى ينتهي إلى منخفضات

---

(١) المعجم الجغرافي : ٤٩٠ـ٤٩٢ .
(٢) ديوانه : ٢٩٢ .
(٣) معجم البلدان (دومة خبت) .
(٤) معجم البلدان (الخرّ) .
(٥) المعجم الجغرافي : ٤٩٥ .

وادي الفرات ؛ وبيّن أنّ قولهم إنَّه ماءٌ لا يُنافي كونه وادياً ، لأنّ الأودية تكثر فيها المياه غالباً .

خَمَّاءُ :

قال ياقوت : « موضعٌ جاء في أشعار بني كلب بن وبرة »[١] ، وقال الصَّغانيُّ : « خَمّاءُ : موضع »[٢] ، وعند الفيروز أباديّ أنّه موضع وضَبَطه بكَسْرِ الخاء كالحِنّاء ، ولم يذكر لِمَنْ هُوَ ، ونبّه الزَّبيديُّ على أنّ نصراً ضَبَطه بفتح الخاء ، وأنّه موضع في أشعار كلب[٣] .

الخَنَافِسُ :

ذكر الطبريّ وغيره أنَّها سوقٌ قرب الأنبار كان يجتمع بها تُجّار مدائنِ كسرىٰ وسَواد العراق ، وكانت تخفِرُهُم خَيْلانِ مِن رَبيعةَ وقُضاعة ، فكان على قضاعة رُومانِس بن وبرة ، وعلىٰ ربيعةَ السَّليلُ بن قيس ، فأغار عليهم المُثنّى بنُ حارثة الشيبانيّ فانتسف السُّوق وما فيها ، وسَلَبَ الخُفَرَاء ، وذلك في سنة اثنتي عشرة أو ثلاث عشرةَ[٤] ، ورُومانِس هو أخو المنذر بن وبرة بن رومانس الكلبيّ الشاعر[٥] ، والسَّليلُ بن قيس هو أخو بِسطام بن قيس الشيباني الفارس الشاعر الجاهليّ ، وأمّهما ليلى بنت الأحوص الكلبية الشاعرة[٦] . وذكر الطبريّ في حوادث سنة اثنتي عشرة أنّه كان في السوق جمعٌ لقضاعة وبكر ، وأن خالد بن الوليد أرسل إليهم المثنى ، ولم يذكر الخفراءَ وقائِدَيْهِم .

---

(١) معجم البلدان (خماء) .

(٢) التكملة (خمم) .

(٣) انظر القاموس والتاج (خمم) .

(٤) تاريخ الطبري ٣ : ٣٨٥ ، ٤٧٢ـ٤٧٣ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٤٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥٢٣ـ٥٢٤ ، ونهاية الأرب للنويري ١٩ : ١٨٧ ، وذكر الفيروز أبادي أنّ الخنافس موضع قرب الأنبار ، وأضاف شارِحُه أنّه كان يُقام بها سوقٌ للعرب ؛ والقاموس والتاج (خنفس) .

(٥) انظر ترجمته في الديوان .

(٦) انظر ترجمتها في الديوان .

دَجُوْجٌ :

قال البكري : « رملة بأرض غَطَفان دون الحَرَّة . . . ، وقال أحمدُ بن عُبيد : دَجُوج : موضع من أرض كلب . . . »[1] . وعند الزَّمخشري أنها « رملةٌ في بلاد بني كلب »[2] وقال ياقوت : « دَجوج : رملٌ مُتّصِل بعَلَم السَّعْد ، [ودَجوج] : جَبَلان من دُومة على يومٍ واحد . ودَجوج : رملٌ مَسيرةَ يومين إلى دون تيماءَ بيوم يخرج إلى الصحراء ، بينه وبين تيماء . . . وقال الغوريّ : هو رمل في بلاد كلب . . . وقال الأسوَد : دَجوج رملٌ وجِرَعٌ ومنابتُ حمضٍ بفلاةٍ من أرض كلب »[3] ، وقال في موضع آخر : « وعَلَمُ السَّعْدِ ودَجوج : جبلانِ من دومةَ على يوم ، وهما جبلان مُنيفان ، كل واحد منهما يتّصل بالآخر ، ودَجوج : رملٌ متّصلٌ مسيرة يومين إلى دون تيماء بيوم ، يُخْرَج منه إلى الصحراء »[4] ؛ ويظهر من الأقوال السابقة أنّ دجوج كانت من منازل كلب وغطفان ، ذلك أن منازلهما متجاورة .

ونقل الشيخ حمد الجاسر قول البكريّ وياقوت ، ثم نقل عن بعض الرّحّالة الأوربيين : « لقد بقي اسم دجوج يطلق على (نَوازي دَجوج) الواقعة إلى الجنوب الغَرْبيّ من عُلَيْم السَّعْد ؛ وبالاتجاه إلى الجنوب الغربي عَبْر منبسطاتِ دَجوج الرّمليّة يمكن الوصول إلى أرض الخَنْفة بيومين ومنها يمكن الوصول إلى واحة تيماء بعد يومٍ واحد »[5] .

---

(١) معجم ما استعجم (دجوج) .

(٢) الجبال والأمكنة والمياه : ٩١ .

(٣) معجم البلدان (دجوج)، وجاء فيه (ومناة حمص) تصحيف، وأثبتُّ الصوابَ وما بين معقوفتين من المصدر نفسه (اليَقاع) .

(٤) معجم البلدان (العَلَم) ومن ثَمّ يكون غير صحيح ما ظنّه الشيخ حمد الجاسر في المعجم الجغرافي : ٥٢٩ من أنّ قول ياقوت في رسم (دجوج) : (جبلان من دومة على يوم) صوابه : حَبْلان، أي حَبْلا رمل بدليل قوله : (رمل متّصل بعلم السّعد) .

(٥) المعجم الجغرافي : ٥٢٩ـ٥٦٠ .

الدَّسْتُ :

قال البكري « أرض في ديار كلب »[1] .

دِمَشْقُ :

المدينة المشهورة ، سكنها كثير من بني كلب من بعد فتحها سنة أربع عشرة للهجرة ، كما سكنها غيرهم من قبائل العرب ، وكان منهم عددٌ من أعلام العصر الأموي ، منهم :

حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي : كان سيّد كلب في زمانه ، وهو الذي شدّ الخلافة لمروان بن الحكم بعدما بايعت معظمُ أقطار الإسلام لعبد الله بن الزُّبير ، وكان عاملاً على فلسطين لمعاوية ويزيد الذي زاد عليه عملَ الأردن[2] ؛ وأخوه سعيد بن مالك بن بحدل ، كان والياً على قنّسرين[3] ؛ وابن عمّه حُمَيْد بن حريث بن بحدل كان على شُرَط يزيد بن معاوية ، وله شعر[4] ؛ وتُوَيْل بن بِشر بن حنظلة من بني أبي جابر بن زهير بن جناب ، قُتل يوم صفّين مع معاوية ومعه اللّواء ، وقد وَليَ حَفيداه بشر وحنظلة ابنا صفوان بن تويل مِصْرَ وإفريقية لهشام بن عبد الملك وغيرِه ، وكان لهم شرفٌ بدمشق[5] ؛ ويزيد بن بشر الكلبي دمشقي من شُرَط عمر بن عبد العزيز[6] ؛ ومُحرِز بن حُرَيْب كان من أفاضل أهل الشام ، بعثه يزيد بن معاوية مع أهل بيت رسول الله ﷺ حين ردّهم من دمشق إلىٰ المدينة بعد مقتل الحسين ، قيّماً عليهم يحفظهم ، وشهد وقعة مرج راهط مع مروان بن الحكم ، واستنقذ هُوَ

---

(١) معجم ما استعجم (الدَّسْت).
(٢) تاريخ دمشق ٥ : ٣٩٤ ، ومختصره ٦ : ٣٠٩.
(٣) تاريخ دمشق ٧ : ٣٤٨.
(٤) انظر ترجمته في الديوان.
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٤٤ و٣٤٧.
(٦) تاريخ دمشق ١٨ : ٢٥٤.

والحُرَاق بن حُصين الكلبيُّ مروان بعدما كاد يُقتل[١] ؛ وطُفَيْل بن حارثة الكلبي وصالح بن الأصهب الكلبي من قدريّة دمشق ، كانا ممّن سعى في قتل الوليد بن يزيد الخليفة[٢] ؛ والأبرشُ الكلبيُّ الشاعر ، والضحّاك بن أيمن الكلبي كانا مع الوليد بن يزيد حين قُتِل[٣] ، وغير هؤلاء كثير كثير[٤] .

الدِّمْعَانَة :

بكسر الدال وسكون ثانيه ، قال ياقوت : « ماء لبني بحر مِن بني زهير بن جناب الكلبيّين بالشام »[٥] ؛ وذكر ابن سلام الجمحي خبراً لعدي بن الرِّقاع العاملي مع بني بحر ، وفيه أنه استسقاهم وهو على ماء الدِّمعانة لهم فلم يسقوه ، فذكر ذلك في شعره[٦] .

الدَّنَا :

قال البكريّ : « موضعٌ في أرض كلب ؛ قال الشاعر :

فـأمـواه الـدَّنـا فَعُـوَيْـرِضـاتٍ ... دَوارِسُ بعـدَ أحيـاءٍ حِـلالِ »[٧]

وهذا البيت للنّابغة الذبيانيّ[٨] ، أنشده ياقوت مع بيت آخر وقال قبلُ يُعْرِّف الدَّنا : « موضع بالبادية ؛ وقيل : في ديار بني تميم بين البصرة واليمامة »[٩] ، واكتفى

---

(١) تاريخ دمشق ١٦ : ٢٧٦ .

(٢) تاريخ دمشق ٨ : ١٨٥ ، ٥١٢ .

(٣) انظر ترجمة الأبرش في الديوان ، وتاريخَ دمشق ٨ : ٤٠٠ .

(٤) راجع فهارس تاريخ دمشق تجد دليلاً على كثرة بني كلب بدمشق .

(٥) معجم البلدان (الدِّمعانة) .

(٦) طبقات فحُول الشعراء : ٧٠٣ ، وأبيات عدي في ديوانه : ٢٤٦ (الملحق) نقلاً عن ابن سَلاَّمٍ وغيرِه .

(٧) معجم ما استعجم (الدَّنا) .

(٨) ديوانه بشرح ابن السكّيت : ١٣٦ ، وذكَرَ أنّ الدَّنا موضع ، ولم يَزِدْ على ذلك شيئاً ، ومثلُه في شرح الأعلم : ١٤٩ .

(٩) معجم البلدان (الدَّنا) .

الفيروزأبادي بالقول إنه موضع[١] ، ونبّه شارحُه على أنّ ذلك قولُ الجوهري ، ونقلَ عن نصرٍ ما جاء عند ياقوت ، ثم قال : « وفي (المُحْكَمِ) أنّه أرضٌ لكلب ، وأنشد لِسَلامة بن جندل :

مـن أخْـدَرِيّـاتِ الـدَّنـا الْتَفَعَـتْ لَـهُ بُهمـىٰ الـرِّقـاعِ وَلَـجَّ فـي إِحنـاق »[٢]

دُومَةُ الجَنْدَلِ :

يُروى بفتح الدّال وبضمّها : مدينة قديمة جداً ، تقع بالقرب من جبلي طيّىء ما بين الحجاز والشام ، وهي إحدى القُرَيَّات ، وهي : دومة وسَكاكة وذو القارة ؛ وعلى دومةَ سُورٌ يُتَحَصَّنُ به ، وفي داخل السّور حصن مَنيع يُقال له : مارد ، ويُضرَب به المثل في المَنَعَةِ ، وفيه وفي (الأبلق) حصنِ تيماءَ قالتِ الزَّبّاء لَمَّا غزتهما فامتنعا عليها : (تمرّد ماردٌ وعَزّ الأبلق) ، وأرضها خِصبةٌ ، فيها نخلٌ وزرعٌ يُسقىٰ من عين ماء في غربها[٣] ؛ وورد اسمُها في التّوراة ، وفي الكتابات الآشورية بلفظ (أَدُوماتو) ، وفيها ما يُفيد أنّ الملك الآشوري (سنحاريب) استولى عليها سنة ٦٨٨ قبلَ المِيلاد ، فحمل آلهتها ، وأسر مَلِكتَها ثمّ أطلقها ، فَحَالَفَتِ البابليين ضِدَّه ؛ وكانت مركزاً دينياً مهماً للقبائل العربية في القرن السابع قبل الميلاد[٤] . وذكر ياقوت عن أبي عبيد السكوني أنه كان فيها بنو كنانة من كلب[٥] ، ويؤكد ذلك ما رواه البكري عن الحرب التي قامت بين بني كنانة بن عوف بن عذرة وأحلافها ، وبين بني عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة وبني عامر الأكبر بن عوف بن

---

(١) القاموس (دنو).

(٢) التاج (دنو)، وبيت سلامة في ديوانه : ١٤٢ .

(٣) انظر معجم ما استعجم (دومة الجندل)، ومعجم البلدان (الأبلق) و(دومة الجندل) و(مارد)، والمشترك وضعاً : ١٨٦ ، وتاريخ الإسلام (المغازي) : ٢٥٧ـ٢٥٨ ، والمغانم المطابة : ١٣٩ـ١٤١ .

(٤) المعجم الجغرافي : ٥٣٨ ، ذكر مؤلفه أنّه نقل ذلك عن مقال للدكتور عبد الرحمن الأنصاري في مجلة (الدارة) ج١ : ٨٣ـ٨٤ بعنوان (لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غرب الجزيرة) .

(٥) معجم البلدان (دومة الجندل) .

بكر بن عذرة وأحلافهم يوم كانوا مُقيمين في ناحية الرَّبَذَة وما خلفها إلى جبل طميّة ، فظهرت كنانةُ على بني عامر وبني عبد الله ، ثمّ تفرّقت كلبٌ بعد اجتماعها ؛ قال : « فظعنت قبائل من بني عامر بن عوف بن بكر إلى أطراف الشام وناحية تيماء ، فيمن لحق بهم وكان معهم ، وليست لعامر بادية ، ونزلت كنانة ومن حالفهم وصار معهم من قبائل كلب بخبت دومة إلى ناحية بلاد طيّيء من الجبلين وحيّزهما إلى طريق تيماء ، وبدومة غلبهم بنو عُلَيم بن جناب »[1] ، وقد وضع بنو كلب صنمهم (ودّاً) في دومة الجندل[2] ؛ وكان يقيم معهم قومٌ من السَّكون من كِنْدة ، وأصلهم من عِبَادِ الحيرة ، ومنهم أُكيدر بن عبد الملك السَّكوني صاحب حصن مارد ، وبنو كلب أخوالُه ، فذكر ابن خلدون فيما نقل عن ابن سعيد المغربي أن المُلك في دومة كان دُولَةً بينهم ، وجاء الإسلام والدولة فيها لأكيدر بن عبد الملك ، وكان أوّل مَن ملكها من كلب دُلجة بن قُنافة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبيّ[3] .

ودومة سوقٌ من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية ، قال ابن حبيب يذكر هٰذه الأسواق : « فمنها سوق دومة الجندل . . . وقيامها في أوّل يومٍ من شهر ربيع الأول إلى النصف منه ، ثمّ ترِقُّ فلا تزال قائمة إلى رأس الشهر ، ثم يفترقون عنها إلى مثلها مِن قابل ، وكانت كلب وجديلة طيّيء جيرانها ، وكان ملكها بين أكيدر العِباديّ ثم السكوني وبين قُنافة الكلبيّ ؛ فكان العِباديُّون إذا غلبوا وَليها أكيدر ، وَإذا غلب الغسَّانيُّون ولَّوها قُنافة الكلبي ؛ وكانت غَلَبَتْهُم أنّ المَلِكين كانا يتحاجَيان فأيّما

---

(١) معظم ما استعجم : ٤٩ـ٥٠ (المقدّمة) وفيه : (ونزلت كلب ومن حالفهم) تحريف والصواب (كنانة) كما يدلّ عليه السياق وكلام ياقوت . وانظر خبرَ هذا اليوم في الصفحة : ٦٨ ـ ٦٩ من هذا البحث .

(٢) انظر الحديث عن عقيدتهم ص : ١٧٠ ـ ١٧٥ وثمة مصادره .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢ : ٢٩٩ ، غير أنه جاء عنده : (دجانة بن قنافة بن عدي بن زهير بن جناب) بتحريف اسم (دُلَجة) وبإسقاط (حارثة) من النسب ، ولا يصحّ ذلك لأن زهير بن جناب لم يكن له ولد اسمه (عدي) وإنما هو ولد زهير بن حارثة بن جناب ، فوَلَدَ عديٌّ قُنافةَ وغيره من الأبناء ، وولد قُنافة : دُلَجة وغيره ، وليس فيهم مَنْ اسمه (دجانة) . ولذلك رأيت أنه تحريف عن (دلجة) . وانظر فتوح البلدان : ٧٢ـ٧٣ ، ومعجم ما استعجم ومعجم البلدان (دومة الجندل) ، والمشترك وضعاً : ١٨٦ ، والمغانم المطابة : ١٣٩ .

ملك غَلَبَ صاحبَه بإخراج ما يُلقى عليه تَرَكه والسوقَ فصنع فيها ما شاء ، ولم يبع بها أحدٌ شيئاً إلاّ بإذنه حتى يبيع الملك كل ما أراد بيعه ، مع ما يصل إليه من عشورها . وكان لكلب فيها قِنٌّ كثير في بيوت شعر ، فكانوا يُكرِهون فَتَياتِهم على البِغاء ، وكانوا أكثر العرب [فيها] »(١) . ثم ذكر أنهم كانوا يَتَبايعون في تلك السوق بإلقاء الحجارة على السلع التي يُراد الشراء منها ، وهو ضرب من بيوع الجاهلية تدخُلُه المُقامرة ، وقد أبطله الإسلام(٢) . نجد اليعقوبي يعدّد أسواق العرب ، ومنها سوق دومة الجندل ، ثم يقول : « وكان في العرب قومٌ يستحلّون المظالم إذا حضروا هذه الأسواق ، فسُمُّوا المُحِلّين ، وكان فيهم مَنْ ينكر ذلك وينصّبُ نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر ، فَيُسَمَّوْن : الذَّادة المُحْرِمين ، فأما المحلّون فكانوا قبائل من أسد وطيّيء وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقوماً من بني عامر بن صعصعة ؛ وأمّا الذّادة المحْرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم . . . وقوم من بني كلب بن وبرة ، فكان هؤلاء يلبسون السلاحَ لدفعهم عن الناس »(٣) ؛ فهذا

---

(١) المحبر : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، ويكاد يطابق ما جاء في الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٦١ ـ ١٦٢ نقلاً عن أبي المنذر ، وهو هشام بن محمد الكلبي ؛ وابنُ حبيب صاحبُ المحبَّر ممّن أخذ عن ابن الكلبيّ ، وكان لابن الكلبيّ كتاب اسمه (أسواق العرب) ذكره ابن النديم في الفهرست : ١٩٢ ، وهذا يعني أنّ ابن حبيب والمرزوقيَّ صاحبَ الأزمنة والأمكنة نَقَلا عن كتابه هذا . وقد جاء في الأزمنة والأمكنة : (فكانوا أكثر العرب قنّاً) ؛ وانظر أيضاً : تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٧٠ـ٢٧١ ، والإمتاع والمؤانسة ١ : ٨٣ ـ ٨٤ ، ونهاية الأرب ـ للقلقشندي : ٤٦٤ ، وقد جاء في تاريخ اليعقوبي أن رؤساء السوق هم : «غسّان وكلب ، أيُّ الحيَّيْن غَلَبَ قامَ» ، والقرائن تدلّ على أنّ الصحيح ما قاله ابن الكلبي وابن حبيب ، إذ كان لأكيدر وأهل بيته وقبيلته علاقات قوية مع الحيرة ، وكان منهم عِباديّون فيها ، وكانت ابنةٌ لأُكيدر عند بعض عِباد الحيرة ـ انظر النسب الكبير ١ : ١٣٢ـ١٣٣ و١٣٦ و١٤٠ و٢ : ١٨٧ ، وجمهرة أنساب العرب : ٤٢٩ ـ في حين كانت علاقة كلبٍ مع الغساسنة أقوىٰ من علاقاتهم مع الحيرة . كما جاء في نهاية الأرب : «فيعشرهم رؤساء آل بدر في دومة ، وربما غلب على السوق بنو كلب فيعشرهم بعض رؤساء كلب» فقوله (آل بدر) تحريفٌ عن (أكيدر) ، وهو ما جاء في الإمتاع والمؤانسة ، وتكاد عبارة النهاية تطابق عبارة الإمتاع ، وهذا يرجّح نقل الأوّل عن الثاني ، فلمّا قرأ صاحب النهاية (آل بدر) بدلاً من (أُكيدر) وظنّهم قوماً زادَ قبلها كلمة (رؤساء) ليوافقَ قولَه فيما بعد (رؤساء كلب) .

(٢) بلوغ الأرب ١ : ٢٦٤ـ٢٦٥ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٧٠ـ٢٧١ .

أهمّ ما وقفت عليه من أمر دومة في الجاهلية .

وأمّا في الإسلام فقد قصدتها جيوشُ المسلمين ثلاث مرات في حياة رسول الله ﷺ ، فكان أول جيش بقيادته ، قال ابن حبيب في أحداث سنة خمسٍ للهجرة : « فيها تهيّأ النبي ﷺ لغزوة دومة الجندل ، وكان تجّارُ العربِ شكوا إليه ظُلْم أكيدر بن عبد الملك السّكونيّ ، فخرج عليه السلام في مستهل المحرّم يوم الاثنين ، فبلغ أكيدراً إقبالُه فهرب وخلّى السوقَ ، ورجع عليه السلام من الطريق في صدر صفر ، ولم يلق كيداً »[1] ؛ وقيل غير ذلك في سبب هذه الغزوة ، فذُكِرَ أنَّ جمعاً كبيراً تجمّعوا بها وأنّهم يظلمون مَنْ مرّ بهم ، وأنهم يُريدون الدنوّ من المدينة ، فندب الناسَ فخرج إليهم في ألف من المسلمين ، وذُكِرَ أنّ أُكيدراً ـ وكان في طاعة هرقل ـ كان يعترض سَفْرَ المدينة وتجّارها ، فلذلك غزاهم عليه السلام ؛ وذُكِر أنه عليه السلام أراد أن يقرب من أدنى الشام ليُرهب قيصر ، وبلغه خبر ذلك الجمع وظلمهم مَنْ مَرَّ بهم ، فغزاهم[2] . وبعث عليه السلام في المرة الثانية عبدَ الرحمٰن بن عوف في شعبان من السنة السادسة إلى بني كلب بدومة الجندل ليدعوهم إلى الإسلام في سبع مئة رجل ، فدعاهم إلى الإسلام ثلاثاً ، فأبوا أن يعطوه إلاّ السيف ، وكان رأسُهم الأصبغُ بن عمرو الكلبي نصرانياً ، فلمّا كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ ، وأسلم معه ناسٌ كثير من قومه ، وأقام مَنْ أقام على إعطاء الجزية ، وتزوّج عبدُ الرحمن ابنته تُماضِر[3] . ثم إنّ النبي عليه السلام بعث سنة تِسْعٍ خالد بن الوليد في أربع مئة وعشرين فارساً سَرِيّة إلى أُكيدر بن عبد الملك بدومة مُنْصَرَفَ النبيِّ من غزوة تبوك ، فقال خالد : يا رسول الله كيف لي به وَسْط بلاد كلبٍ وإنّما أنا في أُناس يسير ، فقال : ستجده يصيد البقر فتأخُذُه ؛ فلما جاءهم استأسَرَ أُكيدر

(١) المحبر : ١١٤ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣ : ٢٢٤ ، وطبقات ابن سعد ٢ : ٦٢ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٥٦٤ ، والتنبيه والإشراف : ٢١٤ ـ ٢١٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ١٧٧ ، والبداية والنّهاية ٤ : ٩٣ ، ونهاية الأرب ـ للنويري ١٧ : ١٦٢ ـ ١٦٣ ، وتاريخ الإسلام (المغازي) : ٢٥٧ـ٢٥٨ .

(٣) انظر مصادر الخبر في ترجمة الأَصبغ بن عمرو في الديوان .

وامتنع أخوه حسان فقُتِل ، وأجاره من القتل حتى يأتي به رسولَ الله ، على أن تُفْتَح له دومة ، ففُتِحت ، ثم قدم به وبأخيه مَصاد ـ وكان داخل الحصن ـ النبيّ عليه السلام فصالحه رسول الله ﷺ على الجزية وحَقَنَ دمُه ، وكتب له كتاباً ، فلما قُبِض النبي عليه السلام نقض العهد ؛ وقيل : إنه أسْلَمَ ، ثم ارتدّ لما قُبض النبي عليه السلام ، والأكثر على أنه لم يُسْلِم[1] . كما ذُكِرَ أنّ النبي عليه السلام بعث خالداً من غزوة تبوك لهدم (وَدّ) صنم بني كلب بدومة الجندل ، فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ودّ وبنو عامر الأجدار ؛ فقاتلهم خالد وكسره ، فكان فيمن قُتِل يومذاك : حسّان بن مَصاد ابن عم أكيدر صاحبِ دُومة الجندل[2] ؛ كل ذلك يعني أنّ النّبيّ بعث خالداً لأمرين اثنين : إلى أُكيدر ، ولهدم وَدّ .

ثم إنّ خالداً عاد في خلافة أبي بكر رضي اللهُ عنه سنة اثنتي عشرة فافتتحها هو وعياض بن غَنَم رضي اللهُ عنهما ، ذلك أن أكيدراً عندما قُبِض رسول الله ﷺ سنة إحدى عشرة نقض العهد ، وخرج من دومة فلحق بنواحي الحيرة فابتنى بناءً قرب عين التَّمر سمّاه دُومة باسم دومة الجندل ، فكان يتردّد بينهما[3] ؛ ثمّ إنَّ خالداً عندما

---

(١) انظر النسب الكبير ١ : ١٣٣ . والمغازي للواقدي : ٧ و١٠٢٥ ، والطبقات الكبرى ٢ : ١٦٥ـ١٦٦ ، وتاريخ خليفة : ٦٤ ، والمحبر : ١٢٥ ، وفتوح البلدان : ٧٢ـ٧٣ ، وتاريخ الطبري ٣ : ١٠٨ ـ ١٠٩ ، والعقد الفريد ٢ : ٤٧ ـ ٤٨ ، والتنبيه والإشراف : ٢٣٥ـ٢٣٦ ، ومختصر تاريخ دمشق ٥ : ١٩ـ٢٢ ، وأسد الغابة ١ : ١٣٥ و٣ : ٥٠٩ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٢٨٠ ، ونهاية الأرب للنويري ١٧ : ٣٦٥ ، وتجريد أسماء الصحابة ١ : ٢٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٠٨ و٢ : ٤٦٨ ، وتاريخ الإسلام (المغازي) : ٦٤٥ ، وإمتاع الأسماع ١ : ٤٦٣ ، والسيرة الحلبية ٣ : ٢٣٣ .

(٢) الأصنام : ٥٤ ـ ٥٦ ، وعنه في معجم البلدان (وَدّ) ، وانظر بلاغات النساء : ١٧٦ ، وتعليق من أمالي ابن دريد : ١٢٧ ، وذيل الأمالي : ٤١ ، وانظر الحديث عن عقيدتهم ص : ١٧٤ ـ ١٧٥ من هذا البحث .

(٣) وفي رواية أخرىٰ أنه كان منزله أولاً بدومة الحيرة ، وكانوا يزورون أخوالهم من كلب ، وإنه لَمَعَهُمْ ، وقد خرجوا للصيد إذ رُفِعَتْ لهم مدينة متهدّمة لم يبقَ إلاّ حيطانها ، وهي مبنية بالجندل ، فأعادوا بناءها وغرسوا فيها ، وسمَّوها دومة الجندل تفرقةً بينها وبين دومة الحيرة ؛ فكانوا يتردّدون بينهما ، ثم إنّ رسول الله عليه السلام صالحَ أُكيدراً بعدما أسره خالد مُنْصَرَفَ رسولِ الله من غزوة تبوك ، فلما كانت خلافة عمر ، أجلاه فيمن أَجلىٰ مِن مُخالِفي دين الإسلام من جزيرة العرب ؛ انظر فتوح البلدان : ٧٣ ، ومعجم البلدان (دومة الجندل) ، والمشترك وضعاً : ١٨٦ ، والمغانم المطابة : ١٤١ ؛ وهذه الرّواية=

فرغ من عين التمر بالعراق ، وصل إليه كتابُ عياضٍ يستمدّه على مَن اجتمع إلى أهل دومة الجندل من كلب وبهراء بقيادة وَدِيعة الكلبي ومُسَانَدةِ وبرة بن رومانِس الكلبي ، ومن الضجاعم السَّليحيّين ، ومن غسّان ، ومن تنوخ ، وكانوا على رئيسين : أكيدر بن عبد الملك ، والجُوديّ بن ربيعة الغَسّاني ؛ فسار خالد إليهم ، فلما بلغهم دنوُّ خالد اختلفوا ، إذ أَرادَهم أكيدر على المصالحة فأبَوا عليه ، فخرج لِطِيَّتِه ، فأرس إليه خالدٌ عاصم بن عمرو التميمي فأخذه ، فأمر به خالدٌ فضُرِبَت عنقه ، وجعل دومة بينه وبين عياض ، فاقتتلوا ، فهزمهم المسلمون ، فلجؤوا إلى الحصن فلم يحملهم جميعاً ؛ فنادى عاصم بن عمرو : يا بني تميم ، حُلَفاؤُكم كلبٌ ، آسوهم وأَجيرهم ، فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ، فكان ذلك سبب نجاتهم يومئذٍ ؛ ودعا خالدٌ بالأسرى فضرب أعناقهم ، إلاّ أُسارىٰ كلبٍ ؛ ثم أخذوا الحصنَ قهراً[(١)] .

وذكر ابن الكلبي أنّ قوماً من بني كلب ، وهم بنو خليفة بن مصاد بن كعب بن عُلَيْم ، كانوا بالحيرة ، وأنّهم قدموا مع أكيدِر أيّام خرجوا من دومة[(٢)] ، فيكون خروجُهم هذا معه حين نقض العَهْدَ ، ولحق بنواحي الحيرة فابتنى دومة الحيرة .

وأهمّ ما يتعلّق بهذه المدينة في عهد الخلفاء الراشدين هو أنّ اجتماع أبي موسىٰ الأشعريّ وعمرو بن العاص سنة سبع وثلاثين أو ثمانٍ وثلاثين للتحكيم بين عليّ ومعاوية كان فيها ، وقيل : بأَذْرُح ؛ والقول الأول هو الصحيح[(٣)] .

= ضعيفة ، ذلك لأنّ مصدر هذه الرواية هو (فتوح البلدان) للبلاذري ، وقد روى البلاذري هذه الرواية عن «بعض أهل الحيرة» وهو مجهول ، والدليل الأقوىٰ على ضعفها ، بل على خَطَئِها ، ورود اسم دومةِ الجندلِ في التوراة وفي الكتابات الآشورية ، وهذا يدلّ على أنّ اسمها (دومة) قديم وأنّها لم تُسَمَّ باسم دومة الحيرة .

(١) انظر النسب الكبير ١ : ١٣٣ ، والمحبَّر : ١٢٥ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٣٧٧ـ٣٧٩ ، وتاريخ دمشق ٣ : ٧٦ـ٨٠ ، ومختصره : ٥ : ١٩ـ٢٢ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٩٥ـ٣٩٦ ، وأسد الغابة ١ : ١٣٥ ، والبداية والنهاية ٦ : ٣٥٤ـ٣٥٥ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٢ .

(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٣٢ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى ٤ : ١٨٢ و٢٥٦ و٥ : ٣٣٢ ، وتاريخ خليفة بن خياط : ٢١٦ ، والأخبار الطوال : =

بقي أن نذكر أنّ ممّن سكن دومة الجندل من بني كلب شاعرين صحابِيَّيْنِ ، وهما : حارثة بن قَطَنٍ العُلَيميّ ، وحَمَلُ بنُ سعدانة العُلَيميّ ، وقد وَفَدا على رسول الله ﷺ ، فأسلما ، فكتب كتاباً لحارثة وَلِمَنْ بدومة الجندل من كلب ؛ وعقد لواءً لحَمَل شَهِدَ بهِ صفِّين مع معاوية[1] .

وتُعرف دومةُ الجندل اليومَ باسم (الجَوْف) ، ولا زالت آثارُها ماثلةً ، ومنها حِصْنُ مارِدٍ ؛ وذكر الشيخُ سَعْدُ بنُ جُنَيْدِل في مَقالٍ عن (دومة الجندل) أنّه مِن ناحية الجنوب من المدينة ، يتكوّن مِن أدوار وأبراج للمُراقبة ، وأَثْبَتَ لَهُ صورةً التُقِطَتْ سنةَ إحدىٰ وأربع مئة وألف للهجرة[2] ، وهي هذه التي في الصفحة التالية .

ذَاتُ ٱلبِرَاقِ :

قال ياقوت : « وذات البِراق : في بلاد كلب ؛ قال حكيم بن عيّاش :

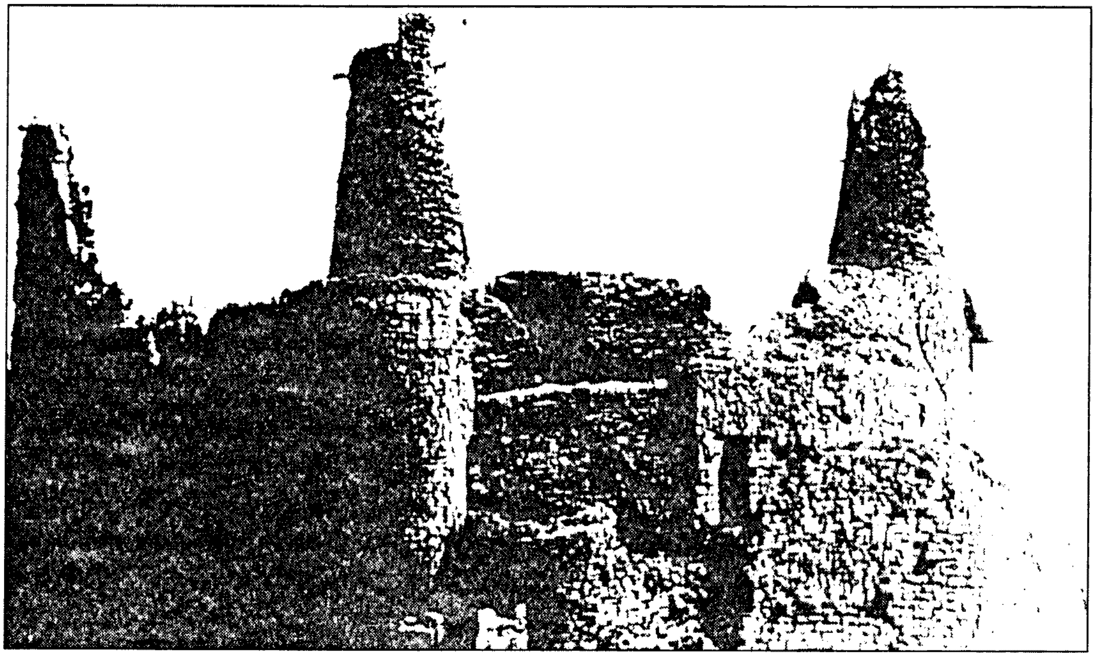
هــل تُبْلِغَنّيهــا ، عَلــى نــأي دارهــا ... بذاتِ البراقِ اليَعْمَلاتُ العَرامِسُ[3] »

= ١٩٤ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٥٧ و٦٧ ، والتنبيه والإشراف (الطبعة الأوربية) : ٢٩٦ ، ومُروج الذهب ٢ : ٣٩٥ ، والكامل في التاريخ ٣ : ٣٢٠ـ٣٢١ و٣٢٩ـ٣٣٠ ، والبداية والنهاية ٧ : ٣٠٧ و٣١٢ ، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين) : ٥٤٨ و٥٥٠ و٥٥٢ ، وتاريخ الخميس ٢ : ٢٧٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٦٣٤ . وتفرّد ياقوت بالقول : «وقد ذهب بعض الرواة إلى أنّ التحكيم بين علي ومعاوية ـ رضي اللهُ عنهما ـ كان بدومة الجندل ، وأكثر الرواة على أنه كان بأذرح» معجم البلدان (دومة الجندل) ، في حين أنّ جميع المصادر السابقة نصّت على أنّ الاجتماع كان بدومة الجندل . ولم أجد من ذكر أنه كان بأذرح إلاّ الواقدي ، فيما نقل عَنْهُ الذهبيّ في تاريخ الإسلام ، ونقل معه القول إنّ ذلك كان بدومة . وانظر ما جاء في مقال بعنوان (دومة الجندل) للشيخ سعد بن جنيدل في مجلة العرب : (ج٧ و٨ ، س١٦ ، وصفر سنة ١٤٠٢هـ ، ص٥٨٠ـ٥٨٢) وجاء في معجم ما استعجم (دَوْحة) قوله : «دَوْحَة ، على لفظ الدّوحة من الشجر : مدينة بالعراق ، وفيها اختلف الحكمان : عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري» ولم يذكر شيئاً عن التحكيم في رسم (دومة الجندل) وهذا يدل على أنّ (دوحة) إنّما هي وهم من البكري بسبب تحريف دومة إلى (دوحة) .

(١) انظر ترجمتيهما في الديوان .

(٢) مجلة العرب (ج ٧و٨ س١٦ ، محرم وصفر سنة ١٤٠٢هـ) ص٥٧٣ـ٥٩٢ ، وانظر أيضاً : المعجم الجغرافي : ٣٥٩ـ٣٦٤ و٥٣٧ـ٥٤٤ .

(٣) المشترك وضعاً : ٤١ ، ومثله في معجم البلدان (البراق) ، قال : «البِراق ، مضاف إليها (ذات) . . . .»=



حصن (مارِد) كما هو مشاهد سنة ١٤٠١هـ

نقلاً عن مجلة (العرب) ، ج ٧و٨ ، س١٦ ، محرّم وصفر ، سنة ١٤٠٢ ، ص : ٥٨٤

ذَاتُ المَرَاوِدِ : انظر رسم (المراود) .

الذِّنَابَةُ :

سبق في رَسْم (خالة) شعرُ النابغة الذبياني الذي مدح فيه النعمان بن جَبَلَة الجُلاحيَّ الكلبي ، فذكر فيه أن (خالة) و(الذِّنَابة) و(سَوى) من مظانّ كلب ، أي من بلادهم ، فجعل الذّنابة من مواضع بني كلب ؛ وعدّ الهمداني ماءَ الذّنابة مِن

= غير أنه جاء في كلا المصدرين : (في بلاد كلاب) ونبّه محقّق المشترك وضعاً على أنّه في بعض النسخ (في بلاد كليب)، وكلاهما غير صحيح، ذلك أنّ ياقوتاً أنشد قول حكيم بن عيّاش دليلاً علىٰ أنّ هذا الموضع في ديارهم، وحكيمٌ شاعر كلبيّ، وليس بالكلابيّ ولا الكُلَيْبي .

بلاد بني كلب[١] ؛ وقال البكري في رسم (سَوى) : « سَوَى : . . . وهُوَ تِلْقاء الذِّنابة . . . ، وقال النابغة :

بخالةَ أَو ماءِ الذِّنابة أَوْ سَوى مَظِنَّةِ كلبٍ في مياه المَناظِرِ

وقال الشيبانيّ : خالةُ والذِّنابةُ : أرضان . ومَظِنّة كلب : حيث تكون كلبٌ »[٢] ، في حين ذكر في رسم (الذِّنابَة) أنه موضِعٌ ، وأنّ معنىٰ الذِّنابة : الوادي ، ونبّه على أنَّه ذكره في رسم (سَوى) .

ذُو أُرَل :

عدّه الهمداني من بلاد كلب ، ولم يحدّده[٣] .

ذُو ٱلرِّجْلِ :

قال ياقوت : « رِجْل : بكسر أوّله ، بلفظ إحدى القدمين . . . وذو الرِّجْل : موضع من ديار كلب »[٤] ، ورجّح الشيخ حمد الجاسر أن يكون المقصود بهذا هو الوادي المسمّىٰ بـ(شَعِيْب سَبْع رِجَل) ، والرِّجَل : جمع الرِّجْلة ، وهي مَسِيلُ الماءِ يُنبِت البقلَ ، وهو وادٍ يفيضُ في جنوب الحُزول ـ وهو ما كان يُقال له (حَزْن كلب) ـ في غربيّ لُوقَةَ ، وهي ماءةٌ عذبةٌ في حَزْن كلب ، سمّاها الهجري (الأوقة)[٥] .

ذُو القُورِ :

ذكر الهجريّ أنّه أوّل وادٍ من أَوْداة كلب ؛ أي أوديتها ، ثم يأتي من بعده من

---

(١) صفة جزيرة العرب : ٢٩٦ ، وانظر رسم (خالة) .
(٢) معجم ما استعجم (سوى) ، وانظر رسم (خالة) .
(٣) صفة جزيرة العرب : ٢٩٦ ، وانظر رسم (خالة) .
(٤) معجم البلدان (رجل) .
(٥) المعجم الجغرافيّ : ٥٩٧ـ٥٩٨ ، وانظر ما سبق في رسم (الأوقة) و(حَزْن كلب) .

جهة الشمال وادي أُحامر[١] .

ذُو هَاشٍ :

قال البكري : « موضعٌ قد تقدّم في رسم الجِواء ، وقيل : إنه بديار كلب ، قال أرطأة بن سُهَيَّة :

تـركنـا بـذي هـاشٍ أَبـاكَ ولحمُـهُ   بمُخْتَلَفٍ تَسْفي عليـهِ الأَعـاصِرُ »[٢]

ونقل محقّقُه عن هامش بعض النسخ عبارةً تقول : « عن ابن الأعرابي : هاش : ماء » ؛ وذكر الصّغانيّ أنه موضعٌ ولم يحدّده[٣] ، وكذلكَ الفيروزأَباديُّ والزَّبيديُّ[٤] .

وقد ذكر زهيرٌ هذا الموضعَ في قصيدته الهمزية التي هجا فيها آل حِصْنٍ من بني عُلَيْمٍ ، فقال[٥] :

عفـا مـن آل فـاطمـةَ الجـواءُ   فيَمْـنٌ فـالقـوادم فـالحَسَـاءُ

فـذو هـاش فَمَيْـثُ عُـرَيْتِنـاتٍ   عَفَتْهـا الـرّيـحُ بعـدكِ والسَّمـاءُ

وذكر الشيخ حمد الجاسر أنّ (يَمناً) من مياه (الجِناب) ، وأنه ما يزال معروفاً بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا[٦] ؛ وقد سبق في رسم (الجِناب) أنه أرضٌ واسعة تتّصل بديار بني كلب وغطفان وغيرهما من قبائل العرب ، وهذا يرجّح أنّ ذا هاش بديار كلب ، ذلك أنّ أرطأة من بني مرّة من غطفان وديارهم تجاور ديار كلب عند الجِناب .

---

(١) التعليقات والنوادر ١ : ٦٩ـ٧٠ ، وانظر ما سبق في رسم (الأوداة) و(أُحامر) .

(٢) معجم ما استعجم (ذو هاش) ، وذكر ياقوت في تحديده أنّه موضع ، وأنشد فيه شعراً للشمّاخ وزهير ، معجم البلدان (هاش) .

(٣) التكملة (هوش) .

(٤) القاموس والتاج (هوش) .

(٥) ديوانه ص : ٥٢ .

(٦) انظر المعجم الجغرافي : ٣٤٥ .

الرَّبَذَةُ :

من قُرىٰ المدينة على ثلاثة أيام ، قريبة من ذات عِرق[1] ، وسبق في رسم (حضن) ما ذكره البكريّ من أنّ بني كلب انتقلوا إليها من حَضَنٍ والسيّ وما صاقبهما من البلاد بعدما انتشرت قبائل نزار فأزالوهم عن منازلهم . ثم ذكر البكري أنّ الحرب وقعت بين قبائل كلب فتفرّقت كلب كلُّها ، وتباينت في ديارها ومنازلها[2] .

رِجْلٌ :

انظر (ذو الرِّجْل) .

رَحْبَةُ :

سبق في رسم (حضرموت) أنَّ رحبة هو اسم القرية التي كان يسكنها جهبل بن سيف الجُلاحيّ الكلبي ورهطه بحضرموت .

الرُّقَيْدَاتُ :

ماءٌ لبني كلب[3] .

رَوْضَةُ الثُّوَيْرِ :

ذكره ياقوت ولم يحدّده ، وإنما أنشد قول الحَزَنْبَل بن سَلامة الكلبي[4] :

فَـرَوْضُ الثُّـويْـرِ عـن يميـنِ رُوَيَّـةٍ   كَـأَنْ لـم تَـدَيَّـرْهُ أوانِـسُ حُـورُ

رَوْضَةُ الخُرِّ :

قال ياقوت : « في ديار كلب ، قال ابن الغَدّاء الأجداريّ :

---

(١) معجم البلدان (الرَّبَذَة).

(٢) معجم ما استعجم : ٤٩ـ٥٠ ، وانظر الحديث عن حرب قبائل كلب ص : ٦٧ : .

(٣) معجم البلدان (الرُّقيدات)، والقاموس والتاج (رقد).

(٤) معجم البلدان (روضة الثُّوير)، وانظر شعر الحزنبل في الديوان.

رَوْضـــةُ الخُـــرِّ لنـــا مُـــرْتَبَـــعٌ   نَـرْتعـي فيهـا ونُـرْوي النَّعَمـا »[1]

رَوْضَةُ ذَاتِ بيَْضٍ :

ذكرها ياقوت ولم يحدّدها ، وأنشد لمنذر بن درهم[2] :

وروضٌ مــن ريــاضِ ذواتِ بَيْــضٍ   بــه دَهْنــا مُخــالِطُهــا كثيــبُ

والمنذر من شعراء كلب .

رَوْضَةُ قُبْلَىٰ :

قال ياقوت : « روضة قُبلىٰ في ديار بني كلب ، . . . ، قال جوّاس بن القعطل الجنابيّ :

تعفّــىٰ مِــنْ جُــلالــةَ رَوْضُ قُبلــىٰ   فــأقــرِيَــةُ الأعِنَّــةِ فــالــدَّخــولُ »[3]

وقال أيضاً : « قُبْلىٰ ، بضم أوّله وسكون ثانيه والقصر : ببلاد كلب ، وبلادُ كلب وديارهم ما بين غُرّب إلى الرَّيَّان ؛ وقال ابن الطُّرَامةِ الكلبيّ :

وإنّــا لمَمْــدُودُونَ مــا بَيْــنَ غُــرَّبٍ   إلــى جبــل الــرَّيّــان مجــداً وَسُــؤْدَدا

وقال جوّاس بن القعطل الجنابيّ : (البيت) »[4] . وذكر الصَّغاني والفيروز أبادي والزّبيدي أنّه موضعٌ بين غُرَّب والرَّيّان[5] . .

---

(١) معجم البلدان (روضة الخُر)، والمشترك وضعاً: ٢١٨، وفيهما (ابن العدّاء) بالعين وهو تصحيف، انظر ترجمته في الديوان.

(٢) معجم البلدان (روضة ذات بيض)، والمشترك وضعاً: ٢٩.

(٣) معجم البلدان (روضة قُبْلىٰ)، والمشترك وضعاً: ٢٢٣، وفيهما (الحِنّائي) تصحيف، والصواب (الجَنابيّ) نسبة إلى (جَناب) أحد آباء الشاعر، انظر ترجمته في الديوان.

(٤) معجم البلدان (قُبلى)، وفيه: (وبلادُ كلاب وديارهم. . . أبو الطرامة. . . جواس بن قعطل الحنائي) تصحيف وتحريف؛ انظر ترجمة ابن الطُّرامة، وترجمة جواس في الديوان.

(٥) التكملة والقاموس والتاج (قبل)؛ غير أنه جاء في القاموس (عُرّب) بالعين المهملة، وهو تصحيف نبّه عليه الشارح.

رَوْضَةُ الكَرِيَّةِ :

قال ياقوت : « روضة الكَرِيَّة : قال أبو عذّام بسطام بن شُريح الكلبي ، وهي في بلادهم :

لمّـا تَـوازَوْا علينـا قـال صـاحِبُنـا رَوْضُ الكَرِيَّةِ غالَ الحَيَّ أَو زُفَرُ »[١]

وذكر في رسم (الكَرِيَّةِ) أنّه موضعٌ في ديار كلب ، ثم أنشد قول أبي عذّام[٢] .

ونقل الشيخ حمد الجاسر قول ياقوت عن روضة الكَرِيّة ثم قال : « ويُعرف هذا الروض الآن باسم القِرِّيات إذ يحدث الخَلْطُ بين حرف القاف والكاف عند العامة كثيراً ، ويقع شمال شرق عَرْعَر ؛ ووادي القَرِيَّةِ هو وادي الجندليّ ، يجتمع مع وادي عرعر بوادي حامر »[٣] ؛ وقال في (القِرِّيَّات) : « رياضٌ تقع شرق وادي عَرْعَر بِمَيْلٍ نَحْو الشمال ، في وادي الجندليّ ، وصواب الاسم (الكِرِّيّات) »[٤] .

رَوْضَةُ المَثْرِيِّ :

ذكرها ياقوت ولم يحدّدها ، وأنشد لمنذر بن درهم الكلبي أبياتاً أوّلها[٥] :

سقـى روضـةَ المَثْـرِيِّ عنّـا وأهلَهـا رُكـامٌ سـرىٰ مِـن آخـرِ اللَّيْـلِ رادفُ

رَوْضَةُ المَمَالِحِ :

قال ياقوت : « روضةُ المَمالح . . . في بلاد كلب ، قال مَكِيْث بن معاوية الكلبي :

---

(١) معجم البلدان (روضة الكرية)، والمشترك وضعاً: ٢٢٣ .

(٢) معجم البلدان (الكرية).

(٣) المعجم الجغرافي: ١١٤٨ .

(٤) المعجم الجغرافي: ١٠٩٠ .

(٥) معجم البلدان (روضة المثري)، والمشترك وضعاً: ٢٢٤، ولم ينشد سوىٰ هذا البيت محرَّفَ القافية، وانظر شعر المنذر وتخريجه في الديوان.

إلـى هَـزْمَتَـيْ لَيْلَـىٰ فمـا سـال فيهمـا   وروضيهما، والروضِ روضِ الممالح »[1]

رَوْضَةُ النَّجُودِ :

قال ياقوت : « روضة النَّجُود ، بفتح أوّله ؛ وضَمّ الجيم ؛ قال حابس بن درهم الكلبي :

ألا قــد أرانــا والجميــعُ بِغِبْطــةٍ   نُفَـوِّزُ مـن رَوْضِ النَّجـودِ إلىٰ الـرِّجْلِ

ويرویٰ (نُغَوِّر) وهو أجود »[2] .

رَوْضَةُ النُّخَيْلَةِ :

ذكرها ياقوت ولم يحدّدها ، وأَنْشَدَ لِمَكِيْث بن درهم[3] :

فقُلَّــةُ أرواضِ النُّخيلــة عُــرِّيَــتْ   فقيعــانُ ليلــىٰ بعــدنــا فَهُــزومُهــا

ومَكيث شاعرٌ كلبيٌّ ، ويدلّ قولُه (بعدنا) على أنَّها من ديارهم .

رَوْضَةُ وَاحِدٍ :

قال ياقوت : « روضة واحد : جبلٌ لكلب ، قال منذر بن درهم الكلبيّ :

لِتُخْــرِجَنــي مــن واحــدٍ وَريــاضِــهِ   إلـى عُنْصُـلاءٍ بـالـزُّمَيْـلِ وعـاسِـمِ »[4]

يريد أنّ (واحداً) هو الجبل ، ذلك أنه قال في رسم (واحد) : « بلفظ العدد الواحد : جَبَلٌ لكلب ؛ قال عمرو بن الغدّاء الأجداري ثم الكلبيّ :

ألا ليــت شعــري هــل أبيتــنَّ ليلــةً   بـإِنْبِطَ أو بـالـرَّوض شـرقـيَّ واحـدِ

---

(١) معجم البلدان (روضة الممالح)، والمشترك وضعاً: ٢٢٥ .

(٢) معجم البلدان (روضة النجود)، ونحو منه في المشترك وضعاً: ٢٢٥، وفيه (جابر بن درهم) بدل (حابس) وانظر ترجمة جابر بن درهم في الديوان .

(٣) معجم البلدان (روضة النُّخَيْلَةِ)، والمشترك وضعاً: ٢٢٥ .

(٤) معجم البلدان (روضة واحد)، وفي المشترك وضعاً: ٢٢٦ .

بمنـزلـة جـاد الـربيـعُ ريـاضَهـا   قصيـرٍ بهـا ليـلُ العَـذارىٰ الـرَّواقـدِ
وحيـثُ تـرىٰ الجـرْدَ الجيـادَ صَـوافِنـاً   يُقَـوِّدُهـا غِلمـانُنـا بـالقـلائـدِ »[1]

رُوَيَّةُ :

ورد ذكره في شعر الحزنبل بن سلامة الكلبيّ ، فذكر أنّ روضة الثُّوير عن يمينه ، وقد سبق في رسم (روضة الثوير) ، واكتفى ياقوت في تحديده بأنه : « ماءٌ في بلادهم »[2] ، وأنشد فيه شعراً للفرزدق والأخطل ، وعند الصَّغاني والفيروز أبادي والزَّبيدي أنَّ (الرُّوَيَّةَ) بالتعريفِ : ماء »[3] .

الرَّيَّانُ :

سبق في رسم (روضة قُبْلى) قولُ ياقوت : « وبلاد كَلْب وديارهم ما بين غُرَّب إلىٰ الرَّيَّان » وإنشادُه قول ابن الطرامة الكلبي :

وإنّـا لممـدودون مـا بيـن غُـرّبٍ   إلـى شُعَـبِ الـرَّيَّـانِ مجـداً وسُـؤْدَدَا

والرَّيَّانُ : جبلٌ أسودُ عظيم في بلاد طَيِّىء ، وهو أطول جبالِ أجأ أحدِ جَبَلَيْ طَيِّىء ، ولا يزال يسيل منه الماء[4] ، ويُطلَق هذا الاسم على مواضع أخرى من بلاد العرب ، ولكن هذا الجبَلَ هو المقصودُ في قول ابن الطُّرَامَة الكلبيّ ؛ ذلك أنّ بلادهم مجاورةٌ بلاد طَيِّىء ؛ فليس الرّيّان من بلاد كلبٍ إذاً ، ولكنّ بلادهم تمتدُّ إليه .

الزُّمَيْلُ :

قال ياقوت : « الزُّمَيْلُ ، تصغيرُ زَمَلٍ : موضعٌ في ديار كلب ، قال :

---

(١) معجم البلدان (واحد)، وفيه (العدّاء) بالعين، تصحيف؛ انظر ترجمته في الديوان. وانظر ما سيأتي في رسم (واحد).
(٢) معجم البلدان (رُوَيّة).
(٣) التكملة والقاموس والتاج (روي).
(٤) معجم البلدان (الرّيّان).

لتُخْـرِجَنـي عــن واحــدٍ وريــاضِــهِ إلـى عُنْصُـلاءٍ بـالـزُّمَيْـلِ وعـاسِـمِ »[1]

السَّمَاوَةُ :

قال الخليل : « السماوة : ماءٌ بالبادية ، وسُمّيت أمُّ النعمان بذلك ؛ وكان اسمها : ماء السماوة ، فسمّتها الشعراء : ماء السماء ؛ وتتصل هذه البادية بالشام وبالحَزْنِ حَزْنِ بني جعدة »[2] . وقال الهمداني : « وأما كلبٌ فمساكِنُها السماوة ، ولا يخالط بطونها في السماوة أحد »[3] ، وقال البكريّ : « مفازة بين الكوفة والشام ، وقيل : بين الموصل والشام ؛ وهو من أرض كلب . وقال أبو حاتمٍ عن الأصمعي وغيره : السماوةُ أرضٌ قليلةُ العرضِ طويلةٌ . . . وقال الخليل : السماوة ماء بالبادية . . . إلخ »[4] ، وذكر أبو فرج الأصفهانيّ طَرَفاً من خبرِ افتراق وَلَدِ مَعَدّ ، وفيه أنّ بني كنانة بن خُزَيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر أغاروا على بني كلب « فقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، فانهزموا ولحقوا بالسماوة فهي منازلهم إلى اليوم »[5] ، وقال الزمخشري : « السماوة أرض كلب »[6] ، وقال ياقوت : « قال أبو المنذر : إنّما سُمّيتِ السماوةَ لأنَّها أرضٌ لا حَجَر بها ؛ والسماوةُ : ماءةٌ بالبادية ، وكانت أم النعمان سُمِّيت بها ، وكان اسمها ماء [السماوة] فسمّتها العرب : ماء السماء ؛ وبادية السماوةِ : التي هي بين الكوفة والشام قَفْرىٰ ، أظنُّها

---

(١) معجم البلدان (الزُّميل)، وفيه (في ديار بكر) تحريف، يدلّ على ذلك أنّ البيت للمنذر بن درهم الكلبي، وأنّ ياقوتاً أنشده في رسم (روضة واحد) و(عنصلاء) وفي المشترك وضعاً: ٢٢٦، فذكر أنّ (واحداً) جبلٌ لكلب، وذكر في رسم (عاسم) أنه ماءٌ لكلب أيضاً، فَدَلّ هذا علىٰ أنَّ الصواب (في ديار كلب) فحُرِّف إلى (بكر).

(٢) العين: ٧: ٣١٩.

(٣) صفة جزيرة العرب: ٢٤٣.

(٤) معجم ما استعجم (السماوة).

(٥) الأغاني: ١٣: ٧٨ وما بعدها ونقل ذلك البكريُّ عنه في معجم ما استعجم: ٢٤ (المقدمة).

(٦) الجبال والأمكنة والمياه: ١٣٠.

مُسَمَّاةً بهذا الماء ؛ وقال السكّري : السماوةُ : ماءَةٌ لكلب »[١] ؛ وذكر الهمداني أن مدينةَ تدمُر إلى جانب السماوة[٢] ؛ وذكر أبو عمرو الشيباني أنّه يُقَال : « هذا وادٍ مُسْمٍ ، إذا جاء من السماوة »[٣] .

ونقل الشيخ حمد الجاسر ما ذكره الهمداني والبكري وياقوت ، ثم نقل أسماء المواضع التي لها صلةٌ ببادية السماوة سواء أكانت لبني كلب أم لغيرهم وتتصل بالسماوة ، وذكر مختصر ما قيل في هذه المواضع ثم قال : « ويظهر من أقوال المتقدّمين أنّ اسم السَّماوة يُطلَق على شمال الجزيرة من رمالِ الدَّهناء جنوباً إلى حدود الشام شمالاً ، ومن أرض الجِناب (الجَهراء) بقرب تيماء غرباً إلى سواد العراق شرقاً ، فيدخل فيها : بلاد الجوف ، ووادي السرحان ، وأودية كلب (الأوداة قديماً) المعروفة اليوم باسم وديان عَنَزَة »[٤] .

ومن أشهر الأخبار المتعلقة بالسماوة هو خبر شخوص خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق من العراق إلى الشام بأمرٍ من أبي بكر على عَجَلٍ ليكون مَدَداً لجيوش المسلمين بالشام على مَنْ اجتمع عليهم من الرّوم ومن متنصّرة العرب ، وذلك في خبر وقعة اليرموك ، فرأى أن يجتاز بادية السماوة ، فأغار على قُراقِر ، وهو وادٍ لكلب بالسماوة من ناحية العراق ، ثم أراد أن يُفَوِّز إلى (سَوى) وبينهما خمس ليالٍ ، فلم يتهدِ الطريق ، فالتمس دليلاً فَدُلّ على رافع بن عُمَيْرَةَ الطّائي[٥] .

ومما يتعلّق بشعراء بني كلب من أمرِ السماوة أنّ عبد الجبار بن يزيد الكلبي الشاعر كان دليل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وأخوته حين هربوا من سجن الحجاج

---

(١) معجم البلدان (السماوة).

(٢) صفة جزيرة العرب : ٢٤٦ .

(٣) الجيم ٢ : ٩٧ .

(٤) المعجم الجغرافي : ٦٨٩ .

(٥) انظر فتوح البلدان للبلاذري ١١٨ـ١١٩ ، وفتوح الشام : ٧٣ـ٧٧ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٤١٥ ، ومعجم البلدان (حاضر) و(سوىٰ) ، والكامل في التاريخ ٢ : ٤٠٧ـ٤٠٨ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٥١٥ـ٥١٧ .

إلى الشام سنة تسعين للهجرة ، فسلك بهم السماوةَ فتحيّر يوماً فيها ، وكان له خبر مع يزيد بن المهلب[١] .

سُمُكٌ :

قال ياقوت : « ماءٌ بين تيماء والسماوة في أرض كلب ، وقال أبو الحسين : سُمُك : اسمُ ماءٍ مِنْ تيماء سَمْتَ القِبْلَةِ »[٢] .

سَوَىٰ :

بفتح أوله غيرَ مصروف ، ويُضْبَط بضمها ويُصْرَف : سَبَق في رسم (خالة) شعرُ النابغة الذبياني في مدح النعمان بن جَبَلة الجُلاحيّ الكلبيّ ، فذكر فيه أنّ (خالة) و(الذِّنابة) و(سَوى) مِن مَظَانِّ كَلْبٍ ، أي من بلادهم ؛ وعدّ الهمداني (سَوىٰ) من بلاد بني كلب[٣] ، وذكر البلاذُريّ في خَبَر شُخوصِ خالد بن الوليد إلى الشام قبلَ وقعة اليرموك أنه أغار في طريقه على ماءِ قُراقر لكلب ، قال : « ثم فوّز منه إلى سَوىٰ ، وهو ماءٌ لكلب أيضاً ، ومعهم فيه قومٌ من بهراء ، فقتل حُرْقُوص بن النعمان البهرانيّ من قضاعة ، واكتسح أموالهم »[٤] ؛ وساق الطبري خبر شُخوصِ خالد ، فلما وصل إلى ذكر (سَوى) قال : « وهو ماءٌ لبَهْرَاءَ »[٥] ؛ وقال ياقوت : « اسم ماءٍ لبهراء من ناحية السَّماوة ، وعليه مرّ خالد لمّا قصد من العراق إلى الشام . . . »[٦] ؛ فلعل الطبريّ وياقوتاً ظَنّا أنه لبهراء لمّا رأيا أنّ حُرْقوصاً البَهرانيّ قُتِل حين مرّ خالدٌ بسوى ؛ في حين أنَّ شعرَ النّابغة صريح في أنّ (سوى) لبني كلب ، ويؤيّده قولُ البلاذري والهمدانيّ ، كما يؤكّده قول ابن الصَّفّار المُحاربيّ

---

(١) انظر ترجمته في الديوان .
(٢) معجم البلدان (سمك) .
(٣) صفة جزيرة العرب : ٢٩٦ ، وانظر رسم (خالة) .
(٤) فتوح البلدان : ١١٨ .
(٥) تاريخ الطبري ٣ : ٤١٥ .
(٦) معجم البلدان (سوى) .

القيسيّ في أبيات ذكر فيها إيقاعَ عُمَيْرِ بن الحُباب السُّلَمِيّ القيسيّ ببني كلب في خبر العصبيّة بين كلب وقيس عيلان[1] :

أخنَتْ علىٰ كلبٍ صُدورُ رِماحِنا ما بين أقْبِلَةِ الغُوَيْرِ إلى سوىٰ

وقال البكريّ : « وهو تِلْقاء الذِّنابة »[2] وأنشد شعر النابغة ، وقد سَبَقَ في رسم (الذِّنابة) أنَّها لكلبٍ .

ومرورُ خالد بسوىٰ مفوّزاً من قُراقِر إليها ، وبينهما خمس ليالٍ هو أشهرُ الأخبارِ المتعلّقة بهذا الموضع[3] .

السِّيُّ :

ذكر البكري وياقوت أنَّ السِّيَّ ما بينَ ذات عِرْق إلى وَجْرَةَ على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة[4] . وقد سبق في رسم (حَضَن) أنّ بني كلب ظعنوا حين ظعنت قُضاعة بعد الحرب بينها وبين بني نزار ، فمال بنو كلب إلى حَضَنٍ والسِّيِّ وما صاقَبَهُ من البلاد غيرَ بني شُكْمِ اللاّت بن رُفَيْدَةَ ، وانضَمّ إليهم بعض بني النمر بن وبرة وقبائل من جرم بن ربّان ، فأقاموا هنالك ، حتى انتشرت قبائل نزار فأزالوهم عن منازلهم فانتقلوا إلى ناحية الرَّبَذَةِ وما خلفها إلى جبل طَميّة .

صِنَّار :

موضعٌ في ديار كلب بنواحي الشام[5] .

صَوْءَر :

ذكر القالي في خبر مُعاقَرَةِ غالب بن صعصعة التميمي أبي الفرزدق وسُحَيْم بن

---

(١) الأغاني ٢٤ : ٣٤.

(٢) معجم ما استعجم (سوى).

(٣) انظر مصادره في رسم (السماوة).

(٤) معجم ما استعجم (وَجْرة)، ومعجم البلدان (السّيّ).

(٥) معجم البلدان (صِنّار).

وَثيل الرِّياحيّ التميمي في زمن علي بن أبي طالب أنّ بني تميم أَسْنَتُوا ـ أي أصابتهم سنةٌ وقحطٌ وأجدبوا ـ : « فانتجعوا أرضاً من أرضِ كلبٍ من طرفِ السماوة ، يُقال لها صَوْءَر ، من الكوفةِ على عَقَبَةٍ أو مَآبةٍ ، وهو يومٌ عَطَوَّدٌ طويل »[١] ، أي إنَّها تبعد عن الكوفةِ مسافة سير يومٍ طويل[٢] ، ثم ذكر خَبَرَ المعاقرةِ ؛ وذهب البكريّ إلى أنّه : « في بلدِ بني تميم ، وكانت كلبٌ تنزِلها »[٣] ، وقال : « وهو من ديار بني تميم ، وفيه عاقَرَ غالبٌ أبو الفرزدق سُحيم بن وثيل الرياحي . . »[٤] ، وقد تفرّد البكري بهذا ، فلعلّه ذهب إلى ذلك حين رأى ما كان من أمر المُعاقَرة ، في حين ذكر القالي سبب انتجاع بني تميم هذا المكان من بلاد كلب ، وأجمعت سائر المصادر على أنه لبني كلب ، فقال الزمخشري والصغاني وياقوت : « صَوْءَر : ماء لكلب فوق الكوفة ممّا يلي الشام »[٥] .

وذكر الزبيدي أنه موضع « من أرض كلب من طرف السَّماوة ، مسافة يوم وليلة من الكوفة ممّا يلي الشام ، عاقر فيه سُحَيْم بن وثيل الرياحي غالبَ بن صعصعة أبا الفرزدق »[٦] ، ويؤكّد أنَّه من ديار كلب أيضاً ما ذكره الأصفهاني من خبر المعاقرة ، وفيه « أجدبت بلادُ بني تميم ، وأصابت بني حنظلة سَنَةٌ في خلافة عثمان ، فبَلغهم خصبٌ عن بلاد كلب بن وبرة ، فانتجعها بنو حنظلة ، فنزلوا أقصى الوادي . . . . (الخبر) »[٧] ، ثم ذكر خبر المعاقرة وإمساكَ سُحَيْمٍ ، ثم إنه عاد فَنَحَرَ في خلافة عليّ ، فلم يُغْنِ عنه شيئاً .

---

(١) ذيل الأمالي والنّوادر : ٥٢ .

(٢) لم يرد في اللسان والقاموس والتاج هذا المعنى للعَقَبة أو المَآبة .

(٣) معجم ما استعجم (القُفال) .

(٤) معجم ما استعجم (صوءر) .

(٥) الجبال والأمكنة والمياه : ١٤٦ ، والتكملة والذيل والصلة (صور) ، ومعجم البلدان (صوءر) ؛ غير أنّه جاء في الجبال والأمكنة : (صِوار) وهو غلط ، وطبعةُ الكتابِ كثيرةُ التصحيف والتحريف ؛ وانظر خبرَ المُعاقرة في اللّسان (صأر) .

(٦) التاج (صأر) .

(٧) الأغاني ٢١ : ٢٨٢ .

طَمِيَّةُ :

جبلٌ في طريق مكة مقابلة جبل فايد[١] ، وذكر الشيخ حمد الجاسر أنه لا يزال معروفاً بهذا الاسم يَدَعُه الطريق من القَصيم إلى المدينة المنوّرة يسارَه « ويُشاهَدُ من عُقْلَة الصقور رَأْيَ العين ، وهو منها في الجنوب الغربيّ على نحو ثمانينَ كِيلاً »[٢] ؛ وسبق في رسم (حَضَن) ما ذكره البكريّ من أنّ بني كلب انتقلوا إليه من حَضَنٍ والسِّيِّ وما صاقبهما من البلاد بعدما انتشرت قبائل نزار ، فأزالوهم عن منازلهم . ثم ذكر البكريّ أنّ الحرب وقعت بين قبائل كلب فتفرّقت كلب كلها ، وتباينت من ديارها ومنازلها[٣] .

ظَبْيٌ : انظر رسم (بطن ظبي) .

عَادِيَةُ :

قال ياقوت : « موضعٌ في ديار كلب بن وبرة ، قال المُسَيَّب يمدحهم :

ولو أنّي دعوتُ بجوّ قَوٍّ ... أجابتني بعاديةٍ جَنابُ
مَصاليتٌ لدىٰ الهيجاء صِيْدٌ ... لهم عَدَدٌ له لَجَبٌ ونابُ »[٤]

والمسيَّبُ هو ابنُ الرَّفَل الكلبي ؛ ونقل الشيخ حمد الجاسر قولَ ياقوت ، ثم قال : « ويظهر أنه في جهاتِ تيماء بقرب قَوٍّ »[٥] .

عَاسِمٌ :

قال ياقوت : « وعاسم : اسم ماء لكلب بأرض الشام ، بقُرْبِ

---

(١) معجم البلدان (طمية) .
(٢) المعجم الجغرافي : ٨٣٦ـ٨٣٧ .
(٣) معجم ما استعجم : ٤٩ـ٥٠ وانظر الحديث عن حرب قبائل كلب ، ص : ٦٧ .
(٤) معجم البلدان (عادية) .
(٥) المعجم الجغرافيّ : ٨٦٩ .

الخُرّ »[1] ، وانظر ما سبق في رسم (الخُرّ) ؛ وذكره المنذر بن درهم الكلبي في قوله[2] :

لتُخرجَني عن واحدٍ ورياضِهِ إلى عُنْصُلاءٍ بالزُّميلِ وعاسِمِ

ونقل الشيخ الجاسر ما قال ياقوت عن (عاسم) ثم قال : « وقوله : (بأرض الشام) تجوّزٌ ، لأنَّ ما شمالَ رَمْلِ عالج كانوا يضيفونه إلى الشام ، وكذا أكثر بلاد كلب ، لِصِلتهم بالشام ؛ وإلاّ فوادي الخُرّ تنحدر فروعُه من شرقيّ بلاد الجوف ، مخترقاً شَرْقَ الدَّهْناء حتى يفيضَ في سهول العراق ، وهو بَعيدٌ عن الشام . والظَّاهر أنّ عاسماً بين وادي الخُرِّ وبين النّفود ، أو في طرف النفود ؛ إذ أورد ياقوت قولَ الجوهري : (عاشِم ـ بالشين المعجمة ـ نقاً في رمل عالج) وأرى الاسمين لمسمّىً واحد »[3] .

عَالجٌ :

قال ثعلب شارحاً بيت عديّ بن الرِّقاع :

أو مَهاة تبلّجَ اللَّيلُ عنها باللِّوىٰ بينَ عالجٍ فالجِنابِ

« وعالجٌ رملٌ بين فزارة وطيّىء ، ولكلب شيء من أعجازه . والجِناب : أرضٌ لفزارة »[4] وانظر ما سبق في رسم (الجِناب) ؛ وقال البكري : « عالج ، بالجيم المعجمة : وهو الذي يُنْسَب إليه رملُ عالج ، وهو في ديار كلب ؛ قال الأخنسُ بن شهاب :

وكلبٌ لها خَبْتٌ ورَملةُ عالجٍ إلى الحَرَّةِ الرَّجلاءِ حيث تُحاربُ

وخالفَ هذا أبو عمرٍو فقال : رملة عالج لبني بُحْتُر من طيّىء ، ولفزارة أدانيه

---

(١) معجم البلدان (عاسم).
(٢) انظر شعره، في الديوان.
(٣) المعجم الجغرافي: ٨٦٩ـ٨٧٠.
(٤) ديوان عدي بن الرقاع: ٥١.

وأقاصيه »[1] . ثم نقل عن أبي زياد الكلابي وَصْفَ عالج وامتدادَه ، ثم قولَه : « وأكثر أهل عالج طيِّء وغطفانُ ، فأمّا طيّء فهم أهله عن يمين زَرُود الذي يلي مهبَّ الجنوب حتى يجاوز جبلي طيّء مَسيرةَ ليالٍ ، ثم تلقاكَ فزارة ومُرّة وثعلبة أولاد ذُبيان[2] في طَرَفِ رَمْلِه الغربيّ ؛ ولقضاعة ما يلي الشامَ ومهبَّ الشمال من رمل عالج . . . ، ورمل عالج يحيط بأكثر أرض العرب »[3] . وعند ياقوت أنه لبني بُحْتُر من طيّء[4] ؛ ونقل الشيخُ حمد الجاسر قولَ البكري وياقوت ، ثم قال : « ويُطلَق على عالجٍ الآن اسم النفود الكبير »[5] ، ثم ذكر حدودَ النفود وامتدادَه .

عَثَانِينُ :

قال البكريّ : « رملٌ بأرض كلب ، قال الراعي :

وأعرضَ رملٌ من عثانينَ تَرْتَعي نِعَاجُ الملا عُوذاً به ومَتَاليا

ويُروى : عُثَنِّين »[6] ، وذكر عن ثعلبٍ قولَه : « والمَلا : من أرض كلب »[7] .

العَجْبُ :

قال الجاحظُ ، وأنشد قول ابنِ أَبي مقبل[8] :

ولم أصطبح صهباءَ صافيةَ القَذىٰ بأكْدَرَ مِن ماءِ اللِّهابة والعَجْبِ
ولم أَسْرِ في قومٍ كِرامٍ أعِزّةٍ غطارفةٍ شُمِّ العَرانينِ مِنْ كلبِ

---

(١) معجم ما استعجم (عالج).
(٢) ذبيان من قبائل غطفان، انظر جمهرة أنساب العرب: ٢٥٠.
(٣) معجم ما استعجم (عالج)، وفيه: (في طرف رمل الغربيّ)، ونقله الشيخ حمد الجاسر ورجّح أنّ الصواب (في طرف رمله الغربيّ).
(٤) معجم البلدان (عالج).
(٥) المعجم الجغرافي: ٨٧٤.
(٦) معجم ما استعجم (عثانين)، وبيت الراعي في ديوانه: ٢٩٢.
(٧) المصدر نفسه (ضَرْغَد).
(٨) ديوانه: ٣٥٢.

« اللِّهابة والعَجْبُ : ماءان من مياه كلب موصوفانِ بالعذوبة ، وهي في ذلك كَدِرة »[1] ، وقال ياقوت : « موضع بالشام في قول عديّ بن الرّقاع حيث قال [وأنشد أبياتاً ، ومنها] :

فــلا هُــنَّ بــالبُهمــىٰ وإيــاه إذْ شتــا جنوبَ إراشٍ فاللِّهابة فالعَجْبِ »[2]

عَدِيدٌ :

ضبطه ياقوت بفتح أوّله ، وقال : « هو ماء لَعِميرةَ ، بَطْنٍ من كلب »[3] ؛ ونقل الشيخ حمد الجاسر عن نَصْرٍ أنّه بضمّ العين ، ونبه على ضبطِ ياقوت ، ثم قال : « ويظهر أنّه بقربِ عُراعِر الّذي لبني عَمِيرةً »[4] .

العُذَيْبُ :

ماءٌ في ديار كلب ، لبني عُلَيْمٍ منهم[5] .

عُرَاعِر :

ذكر البكري أنّه موضعٌ في ديار كلب[6] ، وقال ياقوت : « اسم ماء مِلْحٍ لبني عَمِيرة ؛ عن صاحب (التكملةِ) وهي أرضٌ سَبْخَةٌ ؛ قال :

ولا تُنْبِــتُ المــرعــىٰ سِبــاخُ عُــراعِــرٍ ولــو نُسِلَــتْ بــالمــاءِ ستَّــةَ أَشْهُــرِ

نُسِلت : أي غُسِلَتْ ؛ وقيل : عُراعر ماءةٌ مُرَّةٌ بِعَدَنةَ في شماليّ الشَّرَبَّة ؛ وقال نصر :

---

(١) الحيوان ٧ : ٢٥٦ .

(٢) معجم البلدان (عَجْب) وفيه : (. . . فاللّهالة) تحريف ، وبيت عدي لم يرد في ديوانه .

(٣) معجم البلدان (عَدِيد) .

(٤) المعجم الجغرافي : ٨٨٨ .

(٥) المشترك وضعاً : ٣٠٥ ، وذكر في معجم البلدان (العُذَيْب) عدة مواضع بهذا الاسم ، ولم يذكر منها هذا الماء .

(٦) معجم ما استعجم (عُراعِر) .

عُراعر ماءٌ لكلب بناحية الشام »[1] ؛ وبنو عميرة من بني كلب[2]؛ وذكر الهمداني أنّه «ماء بين كلب وذبيان»[3]، وعندَ الفيروز أبادي أنه موضع يُجْلَب منه الملح[4] ، وزاد شارحه : « ومنه : ملحٌ عُراعِرِيّ . . . ، قلت : وهو ماءٌ لكلب بناحية الشام »[5] ؛ ونقل الشيخ حمد الجاسر قولَ ياقوت والهمداني ثم نقل عن البكريّ تحديده للمواضع التي يُمَرّ بها في الطريق بين فيد وتيماء ، ومنها عُراعر ، ثم خَلَصَ إلى أنّ عُرَاعِر يقع شمالَ بلاد الجوفِ شرقَ العَبْسِيّة التي لا تزال معروفة وأنّه قبلَها إلى جَبَلَيْ طيّيء ، واستدلّ من كون أرضِهِ سبخَةً علىٰ أنه جانبٌ من وادي السّرحان حيث تكثر السبخات[6] ؛ وكان في هذا الموضع يومٌ بين بني كلب وبني عَبْس[7] .

عَرْعَر :

عدّه الهَجَريّ من أوداةِ كلب ـ أي أوديتها ـ فذكر أنه شمال وادي أُحامر ، وجنوب وادي أُبْليّ[8] ، وقال الهمداني : « . . . وظبي : ماء لكلب أيضاً ، وعَرْعَر : وادٍ لطيّيء . . . »[9] ، ونقل الشيخ حمد الجاسر رأي الهجريّ وقول الهمداني ثم قال : « والجمع بين القولين : أنَّ طَيّئاً المجاورة لقبيلة كلب حلّتْ بلادَها ، ومنها هذا الوادي ، بعد ضعف قبيلة كلب وانتشار فروع قبيلة طيّيء بعد الإسلام »[10] ؛ وأنشد ياقوت شعراً للمسيّب بن علس استدلّ به على أنه وادٍ ولم

---

(١) معجم البلدان (عُراعِر) .
(٢) انظر رسم (عَديد) .
(٣) صفة جزيرة العرب : ٢٩٥ .
(٤) القاموس (عرعر) .
(٥) التاج (عرعر) .
(٦) المعجم الجغرافي : ٨٩٢ـ٨٩٣ .
(٧) انظر خبر هذا اليوم ص : ٨٨ ـ ٩٠ .
(٨) التعليقات والنوادر ١ : ٧٠، وانظر رسم (الأوداة) .
(٩) صفة جزيرة العرب : ٢٩٤ .
(١٠) المعجم الجغرافي : ٨٩٦ .

يحدّده ، ثم أنشد قول امرىء القيس[١] :

سما لَكَ شوقٌ بعدما كان أَقْصرا   وحلّت سُليمىٰ بطنَ قَوٍّ فعرعرا

وسبق في رسم (بطن ظبي) أنه يُروى (بطن ظِبي فعرعرا) ، وأنّ بطن ظبي مِن أوداة كلب ؛ وذكر ابنُ الكلبي أنّ سُلَيمى هذه هي سلمى بنتُ العُبَيْد بن تيم الله بن عامر الأجدار الكلبية أمُّ جعفر بن أبي خلّاس الشاعر الكلبي[٢] ؛ ولا يزال وادي عَرْعَر معروفاً بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا ، وذكر الشيخ حمد الجاسر أنّه من أعظم أودية الجزيرة العربية وأشهرها[٣] .

العُرَيْجُ :

قال ابن حبيب في شرح قول جرير :

ومـا لُمْنَا عَميرةَ غَيْرَ أنَّا   نَزَلْنا بالعُرَيْجِ فما قُرينا

العُرَيْجُ : ماءٌ لكلب »[٤] ، ومثلُه عند البكري[٥] ؛ وعَمِيرةُ بطنٌ مِن بني كلب ، وهم بنو عَمِيرةَ بنِ عامر بن بكر بن عامر الأكبر[٦] .

العَصْرانِ :

شَرَحَ ثعلبٌ قولَ عديّ بن الرّقاع :

وكيف يَنْصُرُني قومي وقد بُنِيَتْ   بُيُوتُهم بِصَفَا العَصْرينِ مِنْ بُسَرَا

فقال : « العَصْران : ماء لبني كلب ، وقيل : عامر بن عوف »[٧] ، ولا خِلافَ ،

---

(١) معجم البلدان (عرعر)، وهو في ديوانه : ٥٩ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٣٥٦، وانظر ترجمة جعفر في الديوان .
(٣) المعجم الجغرافي : ٨٩٧ .
(٤) شرح ديوان جرير : ٤٣٨ .
(٥) معجم ما استعجم (العريج) .
(٦) النسب الكبير ٢ : ٣٦٦ و٣٧٠ .
(٧) ديوان عدي بن الرقاع : ١٨٨ .

فبنو عامر بن عوف من بني كلب ، إذْ هو عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات الكلبي[1] .

عُنْصُلاءُ :

ذكر ياقوت أنه موضعٌ ، وأنشد قول المنذر بن درهم الكلبي[2] :

لتُخْـرجَنـي عـن واحـدٍ وريـاضِـهِ إلـى عُنْصُـلاءٍ بـالـزُّمَيْـلِ وعـاسِـم

وهذه المواضع (واحد) و(الزُّميل) و(عاسم) لبني كلب بن وبرة ، فدلّ ذلك على أنّ عُنْصُلاء لهم أيضاً .

غُرَّب :

قال ياقوت : « اسم جبل دون الشام في ديار بني كلب ، وعنده عين ماءٍ تُسمّى غُرَّبَة ، قال المتنبي :

... ... عَشيـةَ شَـرْقيِّـي الحَـدالـىٰ وغُـرَّبُ »[3]

وقال ياقوت في موضع آخر : « وبلاد كلب وديارهم ما بين غُرّب إلى الرَّيّان ؛ وقال ابنُ الطُّرامَة الكلبيّ :

وإنّـا لَمَمْـدودُونَ مـا بيـن غُـرَّبٍ إلى شُعَبِ الرَّيّان مجداً وسُؤدَدَا »[4]

ونقل الشيخ حمد الجاسر ما قال ياقوت ، ثم قال : « وغُرّب هذا جُبَيْلانِ صغيران أسوَدان واقعان شرق وادي ثَجْرٍ بما يُقارب (٤٠) كيلاً ، في الجنوب

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٥٧ .
(٢) معجم البلدان (عُنْصُلاء) .
(٣) معجم البلدان (غُرّب) وفيه : (شرقيّ الحدالى) والصواب ما أثبتّه عن ديوان المتنبي بشرح العكبري ١ : ١٧٧ ، و(شرقيّي) : مبتدأ، و(الحدالى) : خبرٌ. واكتفى ياقوت في المشترك وضعاً : ٣٢٣ بأنه جَبَل بالشام في بلاد كلب؛ وانظر المحكَم ٥ : ٣٠٢، واللسان والقاموس والتاج (غرب) .
(٤) معجم البلدان (قُبْلى) ، ونَصُّه فيه تحريف سبق التنبيه عليه في رسم (الريّان) .

الشرقي من بئر ثَجْر (فَجْر) . . . »[1] . وثَجْرٌ : ماءٌ لبني القين بن جسر بِجَوْشٍ[2] . وسبق في رسم (الحدالىٰ) تحديدُ موضِعه .

غُرَيْب :

وادٍ في ديار بني كلب[3] .

الغُوَيْرُ :

قال ياقوت : « هو ماء لكلبٍ بأرض السماوة بين العراق والشام »[4] ومثلُه عِنْدَ الفيروز أباديّ والزَّبيديّ[5] .

قُرَاقِر :

جاء في قصيدة النابغة التي مدح فيها النعمان بن جبلة الجُلاحيّ الكلبي ، فوصف فيها قدور آل الجُلاح[6] :

يظلُّ الإماءُ يبتدرْنَ قَدِيحهَا كما ابتدرت كلبٌ مياهَ قراقر

فذكر ابن السِّكِّيت والأعلم في شرحه أنّ قراقر « ماءٌ لبني أسد قريبٌ من ذي قار » ، وقُراقِر هذا الذي ذكراه غير الذي أراده النابغة في بيته ، ذلك أن هذا الاسم يُطلق على عدة مواضع ، منها موضع بين الكوفة والبصرة قريب من ذي قَار وهو اسم ماء بعينه ، وموضعٌ بالسماوة من أرض كلب تسيل إليه أوديةُ ما بين جبلَيْ طيّيء ، وقاعٌ مستطيل

---

(١) المعجم الجغرافي : ٩٨٣ .
(٢) معجم البلدان (ثجر) ، وانظر المعجم الجغرافي : ٢٣٨ و٢٨٠ و١٠٢٢ .
(٣) معجم البلدان (غريب) ، والتكملة ـ للصغاني (غرب) .
(٤) معجم البلدان (الغوير) ، والمشترك وضعاً : ٣٢٧ .
(٥) القاموس والتاج (غور) .
(٦) ديوان النابغة ـ بشرح ابن السكيت : ١٧٣ ، وبشرح الأعلم : ١٧٥ ؛ وقَديحها : أي قديح القدور ، وهو المِغْرَفة .

بالدهناء[1] ؛ وذكر الهمدانيّ والزمخشريّ أنه ماءٌ لكلب[2] ، وعند البكري أنه « موضعٌ في ديار كلب »[3] ، وأنشد بيت النابغة ؛ ونقل ياقوت عن الغوري أنه ماء لكلب ثم قال : « وقراقر أيضاً : وادٍ لكلب بالسماوة من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قصده الشام ، وفيه قيل :

لله درُّ رافـــــعٍ أنّـــــى اهتـــــدىٰ ....

.... فـــوّزَ مـــن قُـــراقِـــرٍ إلـــى سُـــوَىٰ

... وقال ابن الكلبي في كتاب الجمهرة : اختصمت بنو القين بن جسر وكلبٌ في قُراقِر كلٌّ يدّعيه ، فقال عبد الملك بن مروان : أليس النابغةُ الذي يقول : (البيت) فقضىٰ بها لكلب بهذا البيت »[4] ، وذكر ياقوت في كلامه عدّة مواضع يُطلَق عليها هذا الاسم ، ووقع في كلامه وهم ، ونقل الشيخ حمد الجاسر ما ذكره ياقوت ، ونبه على الوهم فيه ، ثم قال : « أمّا قُراقِرُ كلبٍ فيقع في شمال وادي السرحان ، وكان من أشهر مناهل هذا الوادي ؛ ويظهر أن هذا الاسم قديماً يطلق على جزء من الوادي ، وهو الآن يطلق على موضعٍ يُدعى جَوّ قراقر ... ويقع جوّ قراقر في الجانب الشرقي من الوادي ... ويبعد قُراقر عن (النَّبْكِ) القاعدةِ بـ(٤٣) كيلاً تقريباً ، وقراقر هذا هو الذي مرّ به خالد بن الوليد عندما جاء بجيشه من العراق ماراًّ بدومة الجندل لإنجاد المسلمين في وقعة اليرموك سنة ١٣هـ »[5] ، ثم ساق مُلَخَّصَ خبر مسير خالد ؛ وانظر ما سبق في رسم (سوى) .

---

(١) انظر معجم البلدان (قراقر)، والقاموس والتاج (قرر).

(٢) صفة جزيرة العرب: ٢٩٦، والجبال والأمكنة والمياه: ١٩٠، وفيه (قُرافِز) تصحيف.

(٣) معجم ما استعجم (قراقر).

(٤) معجم البلدان (قراقر)، وَورد قولُ ابن الكلبي في النسب الكبير ٢ : ٣٦٠.

(٥) المعجم الجغرافيّ: ١٠٧٥.

القَفِيَّةُ :

موضع جاء في شعر زهير بن جناب ، فقال[١] :

ولقــد غَــدَوْتُ بمشــرِف الـ . . . ـقُطْــرَيْــنِ لــم يغمِــزْ شَظِيَّــةْ
فــأصَبْــتُ مِــنْ حُمُــرِ القَنــا . . . نِ وَصِــدْتُ مِــن حُمُــرِ القَفِيَّــةْ

ذكرَه الزمخشريُّ وحدَه ، وأنشد قولَ زهيرٍ شاهداً ، غير أنه لم يحدّد لِمَنْ هو ولا أَيْنَ يقع[٢] .

كَبِدُ الوِهَادِ :

موضعٌ في سماوة كلب[٣] .

الكَرِيَّةُ :

انظر ما سبق في رسم (روضة الكَرِيَّة) .

الكُوفَةُ :

مدينة مشهورة بالعراق ، وكان تمصيرها في زمن عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه ، وكان يقع بظاهرها مِنَ المنازل : الحيرة والنَّجَف والخَوَرْنَق والسَّدير والغَرِيّان ، فهجرها الناسُ وصاروا إلى الكوفة[٤] ؛ وكانت هذه المدينة من المدن التي سكن فيها قوم من بني كلب ، فقد ذكر ابن الكلبي أنّ لبني هند بن عامر بن زهير بن جناب خطّة فيها[٥] ، وذكر أنّ حُسَيْنَ بن عُبَيْدِ بن بَرْهَمَة أحد بني عبد الله بن عُلَيْم بن جناب كان شريفاً بالكوفة ، وأنشد لحمزة بن بِيض الشاعر الأُمويّ بيتاً

---

(١) انظر شعره في الديوان .
(٢) الجبال والأمكنة والمياه : ١٩١ .
(٣) معجم البلدان (كَبِد) ، والتكملة والذيل والصلة (كبد) .
(٤) انظر معجم البلدان (الكوفة) .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٤٣ .

يرثيه[١] ، كما ذكر أنّ المقطّع بن سَنْبَرِ بنِ خالد أحد بني وَهْب بن جُشَم من تيم اللاّت بن رُفَيْدَةَ كانت له خُطّة بالكوفة وكان مِطعاماً للطعام ، وأنشد لعديّ بن الرقاع مدحاً فيه[٢] ؛ وممّن كان فيها من بني كلب عبدُ الله بن عُمَيْر الشاعر الكلبي الذي قُتِل مع الحسين رضي اللهُ عنه[٣] . ومع ذٰلك كانَ ساكنوها من كلبٍ قليلاً ، ولذلك نجد أنّ أبا السَّمَّال الأسديّ الشاعر المخضرَم ـ وكان قد نزل الكوفة ، وكان لا يُغلِقُ بابه أمامَ ضيف ـ كان له منادٍ يُنادي : « لينزِلِ الأعرابُ مِنْ منازل أبي السَّمَّال ، أَلاَ وكلبٌ خاصةً ؛ فقيل له : لِمَ خصصتَ كلباً؟ قال : لأنهم ليس لهم بالكوفة كثيرُ أهلٍ »[٤] .

اللِّهَابَةُ :

سبق في رسم (العَجْبِ) شعرُ ابن أَبي مقبل الذي ذكرها فيه ، وقولُ الجاحظ إنَّ العَجْبَ واللِّهابة من مياه كلب موصُوفان بالعُذوبة ، ومياهُهما مع ذلك كَدِرة ؛ وذكر ياقوت موضعاً بهذا الاسم في ديار بني ضبّة ، ولم يذكر هذا الذي لبني كلب[٥] .

لُؤلُؤَة :

ماءٌ بسَماوة كلب[٦] .

لَيْلَىٰ :

قال ياقوت : « ليلىٰ ، اسمُ المرأة : جبلٌ ؛ وقيل : هَضْبَة ؛ وقيل : قارَةٌ ؛ قال مَكِيث الكلبيّ :

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٤١ .
(٢) النسب الكبير ٢ : ٤٠٠ .
(٣) انظر ترجمته في الديوان .
(٤) الوافي بالوفيات ١٥ : ٤٥٢ ، وانظر ترجمة أبي السَّمَّال في (شعراء بني أسد ، أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام) ١ : ١٢٤ـ١٢٦ .
(٥) معجم البلدان (اللِّهابة) .
(٦) معجم البلدان (لؤلؤة) .

إلـى هَـزْمَتَـيْ ليلـىٰ فمـا سـالَ فيهمـا ورَوْضَيْهما والرَّوْضِ رَوْضِ المَمالحِ

وقال بدر بن حِزّان الفَزاريّ :

ما اضطرّكَ الحِرْزُ مِنْ ليلىٰ إلى بَرَدٍ تَخْتـارُهُ مَعْقِـلاً مـن جُـشٍّ أعيـارِ »[1]

وسبق في رسم (روضة الممالح) قولُه إنّ هذه الروضة في بلاد كلب ، واستشهادُه على ذلك ببيت مكيث بن معاوية الكلبي هٰذا ، وأنشد ياقوت في موضع آخر لمكيث بن درهم الكلبي[2] :

فقُلّـــةُ أرواضِ النُّخَيْلَـــةِ عُـــرِّيَـــتْ فَقِيعـــانُ ليلـــىٰ بَعْـــدَنـــا فَهُـــزومُهـــا

فدلّ قوله : (بعدنا) على أنّ ليلىٰ وقيعانَها وهزومَها ـ أي ما انخفض واطمأنّ من أَرضِها ـ كانت من ديارهم .

ونقل الشيخ حمد الجاسر ما قال ياقوت في رسم (ليلى) ثم قال : « ويظهر أنّ الاسم يُطْلَقُ على مواضع ، وهو في قول الشاعر الكلبيّ والشاعر الفَزاريّ ليس واحداً ؛ فهناك ليلى لا تزال معروفة وهي في بلاد كلب قديماً ، وهي أكمةٌ مرتفعةٌ من أَشْهَرِ الأعلام البارزة في الحَرَّةِ الواقعةِ شمالَ الجَوْف ، في وَسَطِها شرقَ شَعيب (أبو سُلَيْلِيات) الواقع شرق حَضوْضىٰ ؛ وشمال ليلىٰ عَلَمانِ بارِزان هما : لُسّ ثمّ العاقِر . وهناك حرَّةُ ليلىٰ التي تقدّم ذِكرُها وهي الواردة في شعر الفزاريّ ، وهي الحرّة المتّصلة بحرّة خَيْبَر شمالها . وقد يُطْلَق على الحرّة الواقعَة في بلاد كلب بقرب وادي السرحان شمالَ الجوفِ اسم : حرّة ليلىٰ ، أيضاً ؛ فيقع الخَلْط بين الحرّتين »[3] .

مُرَامِر :

قال البكري : « ومُرَامِر : في ديار كلب ، دلّ على ذلك قولُ تأبَّط شرّاً ، وكانت عَدْوانُ حالفت رَهْطاً من كلب ، فأَخْفَرَتْهَا وقاتلتها :

---

(١) معجم البلدان (ليلى) .

(٢) معجم البلدان (روضة النّخيلة) .

(٣) المعجم الجغرافي : ١١٦٦ـ١١٦٧ .

لقد أطلَقَتْ كلبٌ إليكم عهودَكم ولستم إلى إلٍّ بأفقر من كَلْبِ
وهُمْ أَسْلَمُوكم يومَ نَعْفِ مُرامِرٍ وقد شمّرت عن ساقها جَمْرَةُ الحربِ »[١]

المَرَاوِدُ :

قال البكريّ : « موضع بين ديار بني مُرَّة وديار بني كلب ؛ وقيل : بل هو في ديار بني ذبيان ، والشاهد لذلك قول النابغة :

لعمري لِنِعْمَ الحيُّ صبَّح سِرْبَنا وأبياتنا يوماً بذات المَراوِدِ

والحجّة للقول الأوّل أنَّ النعمان بن جَبَلة إنّما أطلق السّبْيَ للنابغة بذات المَراوِد ؛ وإنما أراد : لنعمَ الحيُّ بذات المُراوِد صَبّح سِرْبَنَا »[٢] ، والنّعمانُ بنُ جبلة هو أحد بني الجلاح ، من بَني كلب ، وكان سبى نساءً من بني مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وفيْهنّ عقرب بنت النابغة ، ثم أطلقهنَّ والأسرىٰ في خبرٍ لهم فمدحه النابغة[٣] ؛ على أنَّ النظر في بيت النابغة مع ما يأتي بعدَه من الأبيات يدلّ على أنَّ المَراوِد لبني ذبيان ، ذلك أنه قال بعد هذا البيت[٤] :

يقودُهُم النعمانُ منه بِمُحْصَفٍ وكَيْدٍ يَعُمُّ الخارجيَّ مُناجِدِ
فآب بأبكارٍ وعَونٍ عقائلٍ أوانِسَ يحميها امرؤٌ غَيْرُ زاهِدِ

فدلّ قولُه هذا على أنه غزاهم بذات المراود ، وهو يقود القومَ ، فآب بالسبايا ؛ ولم يكن إطلاقُه لهنّ بذات المراود .

المِزَّةُ :

قال ياقوت : « قرية كبيرة غنّاء ، في وَسَطِ بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق

---

(١) معجم ما استعجم (مُرَامِر) ، وبيتا تأبّط شرّاً في ديوانه : ٦٦ .
(٢) معجم ما استعجم (المراود) ، وبيت النابغة في ديوانه بشرح ابن السِّكِّيت : ١٦٨ ، وفيه (بذات المرابد) ونبّه على أنه يُروىٰ (بذات المراكد) وأنّهما موضعان ؛ وبشرح الأعلم : ١٣٨ .
(٣) انظر الصفحة : ٨٥ ـ ٨٨ من هذا البحث.
(٤) ديوانه ـ بشرح ابن السكيت : ١٦٧ ، وبشرح الأعلم : ١٣٧ .

نصف فرسخٍ ، وبها ـ فيما يُقال ـ قبرُ دحية الكلبيّ صاحب رسول الله ﷺ ؛ يُقال لها مِزَّة كلب ؛ قال ابن قيس الرُّقَيّات :

حَبَّـذا لَيْلَـىٰ بمِـزَّة كلـبٍ ... غـالَ عنِّـي بهـا الكَـوانيـنَ غُـولُ
بِـتُّ أُسقـىٰ بهـا وعنـدي مَصَـادٌ ... إنَّـه لـي وللكِـرامِ خليـلُ
مَقَـدِيّـاً أحلَّـه اللهُ للنَّـا ... سِ شـرابـاً ومـا تَحِـلُّ الشَّمُـولُ

. . . (الأبيات) »[1] .

وقال القِزويني : « قرية كبيرة غنّاء في وسط بساتين دمشق ، على نصف فرسخٍ منها ، مِنْ جميع جهاتها أشجار ومياه وخُضَرٌ ؛ وهي من أنزه أرض الله وأحسنها ؛ يُقال لها : مزّة كلب ، يقصدها أرباب البطالة للّهو والطَّرَب »[2] .

ولا تزال المزّة معروفة بهذا الاسم إلى يوم النّاس هذا ، ولكن دون إضافتها إلى كلب ، وهي إلى الغرب من دمشق وقد اتّصل العمران بينها وبين دمشق وذهبت بساتينها ، فهي اليوم تُعَدّ في أحياء دمشق ، ولا يزال قَبْر دِحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه معروفاً يُزار في مقبرتها بالمزة القديمة ، وكان دحية ممّن سكنها من بني كلب[3] ؛ وممّن سكنها من بني كلب أيضاً : أسامة بن زيد بن حارثة حِبّ رسول الله ﷺ وابنُ حِبّه ، قَدِمَ دمشق وسكن المزّة مدّة ، ثم انتقل إلى المدينة المنوّرة فمات بها ، ويُقال : مات بوادي القرى[4] ؛ ومنهم مَصاد بن زياد بن عبّاد الكلبي

---

(١) معجم البلدان (المزّة) ، وأبيات عُبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه : ١٤٤ . والمَقَديّ : المنسوب إلى مَقَى ، قرية بحمص . وأحلّه الله للناس : أي طُبِخَ قليلاً ولم يكن خمراً . واكتفىٰ البكريّ بأنّها قرية من قرىٰ دمشق ، ثم ساق خبراً عن دحية الكلبيّ ؛ معجم ما استعجم (المزّة) .

(٢) آثار البلاد : ٢٦٣ .

(٣) انظر ترجمته في الديوان .

(٤) انظر : تاريخ دمشق : ٢ : ٦٨٠ و٥ : ٢٦٨ـ٢٦٩ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٤٧ ، وتهذيب الكمال ٢ : ٣٣٨ـ٣٤١ ، وسير أعلام النبلاء ٢ : ٤٩٦ ، والمعزّة فيما قيل في المزة : ٨٠ ، وانظر ترجمة زيد بن حارثة في الديوان .

الذي ذكره ابن قيس الرقّات في شعره ، وكان من أَعَفّ الناس[1] ، وأبناؤه : عبد الرحمن ومعاوية وهشام ، وكان معاوية سيّد أهل المزّة ، وكانوا أبطالاً أشدّاء ، وهم ممّن قام في أمر يزيد بن الوليد الناقص حين خلع الوليد بن يزيد وخَرَج عليه[2] . وحُمَيْد بن شملة ، من بني ربيعة بن عامر الأكبر ، وصفه ابن الكلبي بأنه « صاحب المِزّة ، مزّة كلب بدمشق »[3] ، ومنصور بن جمهور الكلبي من أهل المزّة وكان قدرياً ، خرج على يزيد بن الوليد[4] ، وأخوه منظور بن جمهور[5] ، وسلمة بن وبرة الكلبي من بني عبد ودّ ، والطفيل بن عمير الكلبي كلاهما من أهل المزّة ، كانا ممّن تخلّف عن القيام بأمر يزيد بن الوليد الناقص ، وتغيّبا بالبِقاع بِقاع كلب ، فلما ظهر أمرُه عادا[6] ؛ وحكيم بن عيّاش الشاعر الملقب بالأعور الكلبي[7] .

المَسَاتُ :

سبق في رسم (خبت) شعرُ البُرْج بن مُسهِر الطائي في ذَمٍّ بني كلب حين جاورهم هو وقومُه بنو جديلة بعد حرب الفساد بين بطون طيّىء فلم يحمدهم ، فقال من أبيات :

فـإنّ الغـدر قـد أضحـى وأمسـى ‌ ‌ ‌ ‌ مُقيمـاً بيـن خَبْـتَ إلـى المَسـاتِ

وذكر المرزوقي وياقوت أنّ (المَسَات) ماءٌ لبني كلب[8] ، وعند البكري أنها

---

(١) النسب الكبير ٢ : ٣٧٠ .
(٢) انظر : تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٠ـ٢٤٢ ، وتاريخ دمشق ١٠ : ٢٠١ و١٦ : ٧٨٠ ومختصره ١٥ : ٤٨ و٢٥ : ١٠٧ .
(٣) النسب الكبير ٢ : ٣٧٤ .
(٤) انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٣ و٢٤٤ـ٢٤٨ ، وتاريخ دمشق ١٧ : ٢١٤ـ٢١٥ ، ومختصره ٢٥ : ٢٥٤ .
(٥) تاريخ دمشق ١٧ : ٢٤١ .
(٦) تاريخ دمشق ٧ : ٥١٧ و٨ : ٥٢٠ .
(٧) انظر ترجمته في الديوان .
(٨) شرح ديوان الحماسة : ٣٦٠ ، ومعجم البلدان (المسات) .

(المساة) : « على وزن فَعَلَة موضع في ديار كلب »[1] .

المَسَانِي :

سبق في رسم (الأكادر) قولُ البكري إنّ المساني والأكادر من بلاد كلب .

مُسْحُلانُ :

قال ابن السكيت في شرح بيت النابغة :

سَأَكْعَمُ كلبي أن يريبَكَ نَبْحُهُ وإن كنتُ أرعى مُسْحُلانَ فحامِرا

« مُسحلان وحامر : واديان بالشام »[2] . وسبق في رسم (حامر) أنّ حامراً من أودية بني كلب . وفي خبر استيلاء الحارث بن عمرو الكندي جدِّ امرىء القيس الشاعر على الحيرة أنه عندما رجع المنذر بن ماء السماء إليها هرب الحارث واتّبعته خيل المنذر ففاتهم ، وبلغ مسحلان فقتله كلب[3] ، وكان الربيع بن زياد الكلبي أغار على بني شيبان في جيش من قومه ، فظفِرت بهم بنو شيبان ، وذلك يوم مُسْحلان[4] . وفيما سبق دليلٌ على أنّ هذا الوادي كان بين ديار بني كلب وديار بني شيبان ، فكان ينتجعه هؤلاء وهؤلاء .

المِعَا :

موضعٌ كان فيه وقعةٌ لبني فزارة ببني كلب ؛ فقد جاءَ فيما نقل التبريزي عن أبي رياش ما كان في خبر العصبية بين كلب وقبائل قيس عيلان أنّ بني فزارة « أرسلوا الخيل في بطن المِعَا . . . وقتلوا مَنْ أدركوا من كلب . . . وقال عويف القوافي في يومِ بناتِ قينٍ ، وهو الموضع الذي وقعت فيه هذه الوقعة :

---

(١) معجم ما استعجم (المساة) و(خبت).

(٢) ديوان النابغة بشرح ابن السكيت : ٦٩ .

(٣) جمهرة الأمثال ٢ : ٤٣١ ، ونشوة الطرب ١ : ٢٤٦ .

(٤) انظر خبر هذا اليوم ومصادره ص : ١٠١ من هذا البحث .

كـــأنّ الخيـــلَ يـــومَ بنـــاتِ قيـــنٍ يَـــرَيْـــنَ وراءَهـــم مـــا يبتغِينـــا »[1]

فقوله : (بطن المعا) يدلّ على أنه وادٍ ، وقوله عن بناتِ قين إنه الموضع الذي وقعت فيه الوقعة يدلّ علىٰ أنّ المِعا عند بنات قينٍ ؛ وذكر ياقوت عدداً من المواضع باسم المِعا ليس فيها واد ، ثم قال : « ويوم المِعا : من أيام العرب قُتِل فيه عبد الله بن الرائش الكلبي . . . »[2] .

مَغْرَةٌ :

موضعٌ بالشأْم من ديار كلب[3] .

المَلْحَاءُ :

سبق في رسم (الأوداة) أوداة كلب قولُ ياقوت إنَّ المَلْحاء « رابية مستطيلة ، ما شرّق منها فهو الأوداة ، وما غرّب فهُو البياضُ »[4] ، غير أنه لم يُتَرجِم للملحاء في معجمه ؛ وقال الشيخ حمد الجاسر : « وهذه الملحاء أرضٌ واسعةٌ كثيرة الآكام والشّعاب والأودية ، يحدّها من الجنوب الغربيّ واحة الجوف ، ومن الجنوب النفود ، ومن الشرق تتّصل بالحزول[5] التي هي امتداد لتلك الأرض ، وبالسهولِ الواقعةِ غربَ الفراتِ ، حيثُ يفيضُ أكثر الأودية فيها ، كما تتّصل شمالاً بتلك السهول ؛ وتقع مدينة عرعر في طرفها الجنوبي الشرقي ، وبلدةُ بَدَنَة في طرفها الشرقيّ ، ويحدّها من الغَرْب صحراءُ الحَماد (البَياض قديماً) »[6] .

---

(١) شرح ديوان الحماسة ٢ : ١٠٠ .
(٢) معجم البلدان (المعا) .
(٣) معظم البلدان (مغرة) ، والتكملة والذيل والصلة والقاموس والتاج (مغر) .
(٤) معجم البلدان (الأوداة) .
(٥) الحزول هي حَزْن كلب ، انظر هذا الرسم في موضعه فيما سبق .
(٦) المعجم الجغرافي : ١٢٦٣ـ١٢٦٤ .

مِيَاهُ المَنَاظِرِ :

عدّه الهَمْداني من بلاد كلب[1] ، وسبق في رسم (خالة) قولُ النابغة في قصيدته التي مدح فيها النعمان بن جبلة الجُلاحيّ الكلبيّ :

بخالةَ أو ماء الذِّنابة أو سُوىً مَظِنّةِ كلبٍ من مِياهِ المناظرِ

فجعل مياهَ المناظر وتلك المواضع التي ذكرها مَظِنّةً لبني كلب ، أي من ديارهم التي يكونون فيها . وعندَ ياقوت أنّ المناظر : « موضع في البريّة الشاميّة قرب (عُرْض) وقُرب (هيت) أيضاً »[2] ، وأنشد شاهداً عليه أبياتاً لعديّ بن الرقاع العامليّ يقول فيها يصف حماراً وحشياً وأتانَه[3] :

وثوىٰ القتامُ على الصُّوىٰ فتذاكرا ماءَ المناظِرِ قُلْبَها فأضاها

وذكر ياقوت أنّ (عُرْضاً) بُلَيْدٌ في برّية الشام بين تدمر والرّصافةِ رُصافةِ هشام[4] .

نِجَالٌ :

موضعٌ بين الشام وسماوة كلب[5] .

النَّقْعُ :

جاء في تاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون أنّ طُلَيْحةَ الأسدي فَرّ يوم بُزاخة بعدما كان تنبّأ فحاربه خالد بن الوليد : « ومضى طُلَيْحَةُ حتى نزل في كلب على (النقع) . . . »[6] . وهو تصحيف صوابه (البُقْع) ؛ فانظر ما جاء في رسم

---

(١) صفة جزيرة العرب : ٢٩٦ ، وانظر رسم (خالة) فيما سبق .
(٢) معجم البلدان (المناظر) .
(٣) البيت في ديوانه : ١٠٦ ، وعند ياقوت (وثوى القيام) تصحيف .
(٤) معجم البلدان (عُرْض) .
(٥) معجم البلدان (نجال) .
(٦) تاريخ الطبري ٣ : ٢٦١ ، وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٤٩٧ .

(البُقْع) . أما (النقع) فهو موضعٌ قرب مكة في جنبات الطائف[١] ، وليس من بلاد كلب .

نِهْيَا :

قال ياقوت : « ماءٌ لكلب في طريق الشام ؛ ورأيتُ أنا بينَ الرُّصافةِ والقَرْيَتَيْنِ من طريق دمشق على البرّيّة بلدةً ذات آثارٍ وعمارةٍ ، وفيها صهاريج كثيرة وليس عندها عينٌ ولا نهر ، يقال لها : نِهيا ، ذكرها أبو الطيّب فقال :

وقـد نُـزِحَ الغُـوَيـرُ فـلا غُـوَيْـرٌ وَنِهيـا والبُيَيْضَـةُ والجِفـارُ »[٢]

والغُوَيْرُ : ماءٌ لكلب بأرض السماوةِ ، سبق ذكره في رسم (الغُوَير) .

هُبَكاتُ كَلْبٍ ، وَالهُبَكَةُ :

قال الهَجَريُّ وذكر المواضع في الطريق بين فَيْدٍ وبالِس وحمص : « ثم الحَزِيزُ ، حزيز كَلْبٍ ، وبه الهُبَكَةُ والأَوْقَةُ ، وهُنَّ عِذابٌ ، ثم تهبط من حزيز كلب في الوصل بين الأوداة وبين حزيز كلب .. »[٣] ، وذكر الزمخشري والصغاني وياقوت والفيروزأبادي والزبيدي أنّ هُبَكَاتِ كلب مياهٌ لهم[٤] ؛ ونقل الشيخ حمد الجاسر قول الهجريّ وقول ياقوت ، ثم قال : « وتُعرف الهُبَكاتُ الآن باسم الهُبَكة والهُبَيْكَةِ ، آبار تقع في الحزول (حَزْن كلب قديماً) على مَقْرَبة من لُوقة (الأَوْقة لدى الهجري) . . . وتقع الهبكة والهبيكة غَرْب بلدة لوقة بما يقارب ٣٥ كيلاً ، وسَيْلُهما يتّجه نحو الشمال الغربي حتى يفيض بوادي الخُرّ ، فوق الدُّوَيد (دُوَيْد

---

(١) معجم البلدان (النّقع).

(٢) معجم البلدان (نِهيا)، وفيه (العَوِيرُ فلا عويرٌ) تصحيف، وأثبتُّ الصواب عن ديوان المتنبي ٢ : ١٠٦ وذكر شارحه أنّ هذه التي ذكرها مياهٌ معروفة.

(٣) التعليقات والنوادر ١ : ٦٩، والنصّ في المطبوع محرَّف، وأثبتُّ الصوابَ عن المعجم الجغرافي: ١٤٧ـ١٤٨ و٤٢٩.

(٤) الجبال والأمكنة والمياه: ٢٣٠، والتكملة والقاموس والتاج (هبك)، ومعجم البلدان (هبكات). غير أنّه جاء في الجبال والأمكنة: (هبكان كلب) وهو تصحيف.

القُلبان) ؛ وآبار الهُبَكات الآن ثلاثٌ مُتَجاوراتٌ في أسفلِ شِعْبِ المُرَىٰ شمالَه ، غَرْبَ خَبراءِ الموزةِ »[١] .

وَاحِدٌ :

قال ياقوت : « واحد ، بلف العدد الواحد : جَبَلٌ لكلب »[٢] ، ثم استشهد عليه بأبيات لعمرو بن عروة بن الغدّاء الأجداري الكلبي ، منها قوله :

ألا ليــت شعــري هــل أبيتَــنَّ ليلــةً بـإِنْبِـطَ أَو بـالـرَّوْضِ شـرقـيَّ واحـدِ

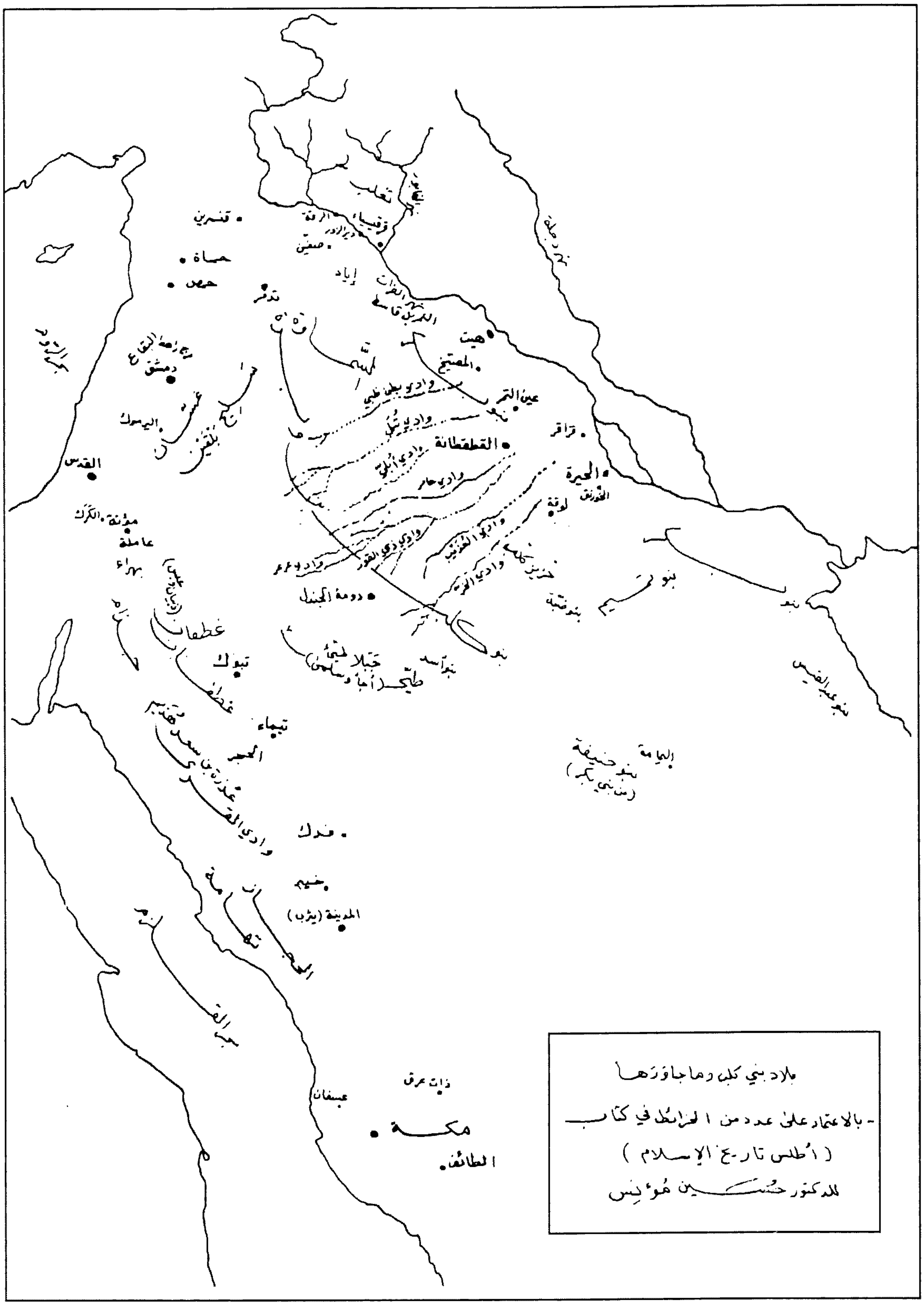
وإنبط موضع لبني كلبٍ سبق تحديده ، ونقل الشيخ حمد الجاسر قول ياقوت ثم قال : « يظهر أنّ هذا هو جَبَلُ المَرْكوز ـ من رَكَزَ ـ وهو جُبَيْلٌ مُلَمْلمٌ صغير بارزٌ ليس بقربه شيء من الجبال ، إذا كنت في (الدُّوَيْدِ) فهو هناك في الجنوب الشرقي ، تُشاهِدُه رأيَ العَيْن ، والمسافة بينهما تقارب عشرين كيلاً ؛ ويَقَعُ عن الرَّوَض ـ أحد مياه الحُزول ـ شمالاً . . . »[٣] . وقال في موضع آخر : « جبلٌ يحفُّ به خطّ الأنابيب بعد مُجاوزة بلدة رَقْحا ، وقبل الوصول إلى العُوَيْقليّةِ ، ويقع جنوب هذه بنحو (٥٠) كيلاً شرق الحُزول (حزن كلب قديماً) . . . »[٤] .

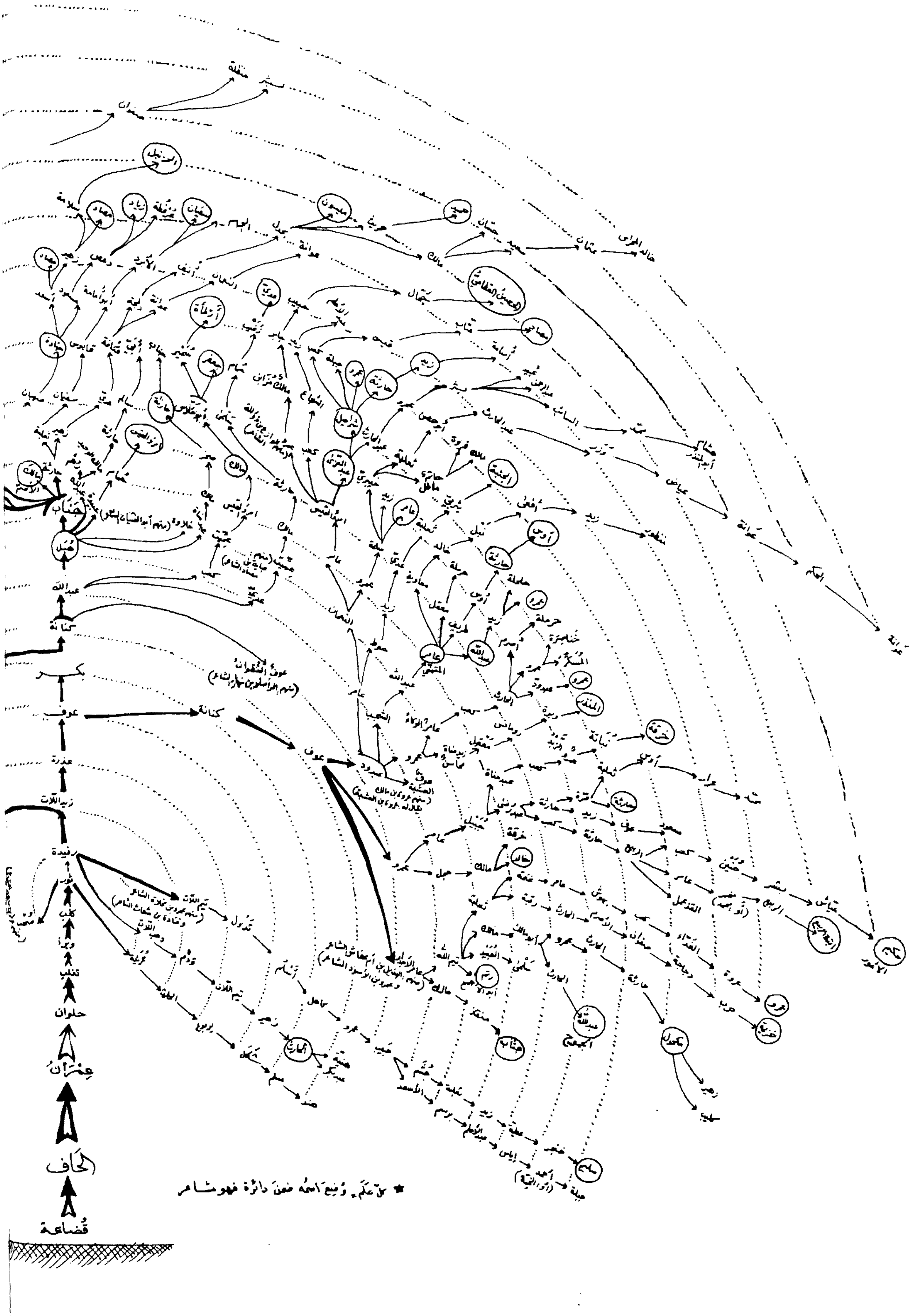
اليَمَنُ :

ذكر ابن الكلبي أنّ بني غَنْم بن الحارث بن عوف بن عامر الأكبر وبني أخيه عَصْر بن الحارث بطنان باليمن[٥] ، ولم يذكر في أيّ بلاد اليمن كانوا .

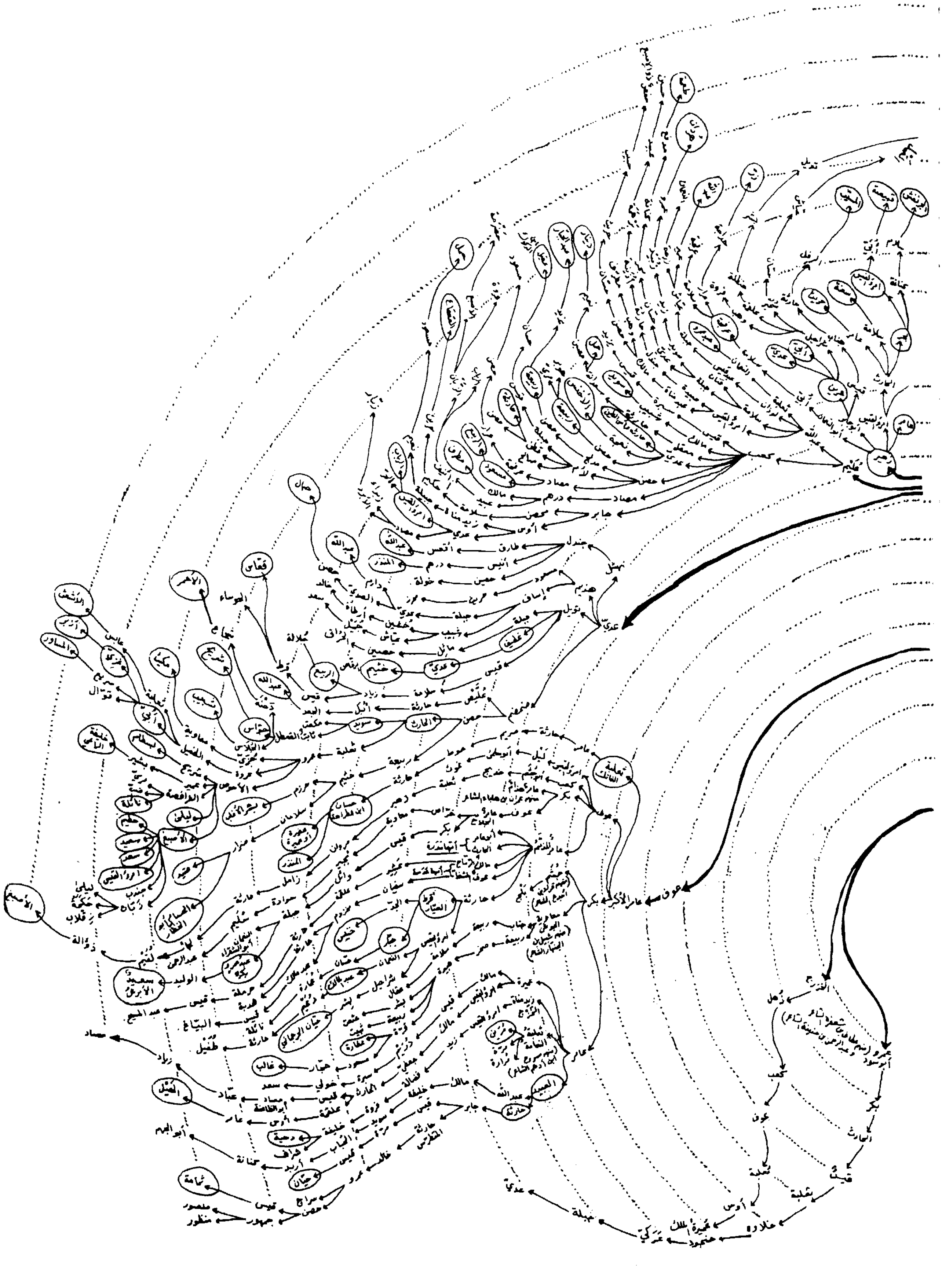
---

(١) المعجم الجغرافي : ١٣٨١ .
(٢) معجم البلدان (واحد) .
(٣) المعجم الجغرافي : ١٣٣٣ .
(٤) المعجم الجغرافي : ١٢١٦ .
(٥) النسب الكبير ٢ : ٣٦٣ .


قنسرين
حماة
حمص
تدمر
الرقة
قرقيسياء
صفين
إياد
هيت
المصيخ
عين التمر
قراقر
القطقطانة
الحيرة
الخورنق
دمشق
اليرموك
القدس
مؤتة
الكرك
عاملة
بهراء
غطفان
دومة الجندل
تبوك
تيماء
الحجر
فدك
خيبر
المدينة (يثرب)
اليمامة
بنو حنيفة
ذات عرق
عسفان
مكة
الطائف
بلاد بني كلب وما جاورها
- بالاعتماد على عدد من الخرائط في كتاب
(أطلس تاريخ الإسلام)
للدكتور حسين مؤنس



★ من علم ، وضع اسمه ضمن دائرة فهو شاعر



الفهرس التفصيليّ

البلويّ: ١٥، شعر للحارث بن قُراد البهرانيّ: ١٥، شعر للحارث بن قيس التغلبيّ ١٥، شعر لزهير بن أبي سلمى: ١٦، شعر للبيد بن ربيعة: ١٦، شعر لمالك بن نُويرة: ١٦، شعر للعبّاس بن مرداس: ١٦، شعر للنابغة: ١٧، شعر لخثيم بن عديّ الكلبيّ: ١٧، لم أجد في أخبار الجاهلية وأشعارها ما يدلّ على أنَّهم عُدُّوا مِن حِمْيَر: ١٧.

الأدلّة في صدر الإسلام على أنَّهم كانوا يُعَدُّونَ من معدّ: ١٨، حديثان يُرويان عن النبيّ ﷺ وضعفُهما: ١٨ـ١٩، عددٌ من الصحابة يَرَون أنَّ قضاعة مِن معدّ: ١٩، جُعِلَتْ قُضاعة في سُبعٍ مِن أسباعِ الكوفةِ مع بعضِ القبائل، وجُعِلَتْ حِمْيَرُ وحلفاؤُها في سُبْعٍ آخر: ٢٠.

في خلافة معاوية كانت بداية القول إنَّهم مِن حمير: ٢٠، قول عدد مِن العلماء إنَّ عمرو بن مرّة الجهنيّ كان أوّلَ مَن أَلْحَقَ قضاعة بحِمْيَر وردُّ بعض البَلَويّين عليهِ وخبره مع معاوية وما نُسِبَ إليه من الشعر: ٢٠ـ٢١، الشعرُ ليسَ له وبعضُه لأفلح بن يعبوب المشجعيّ: ٢١، أولادُ عمرو يُنكرونَ نِسبةَ ذلكَ الشعر ويُقيمونَ على نسبهم في معدّ: ٢١ـ٢٢، ما يُثير الشكّ فيما رُوِيَ عن عمرو: ٢٢، وبعضُ الشعر المنسوب إلى عمرو هو لعديّ بن الرقاع وتحقيق ذلك وسبب قول عديّ لذلك الشعر: ٢٣ـ٢٤، شعر عديّ قِيلَ في الخلاف على نَسَبِ جُذام وعاملة لا في نسب قضاعة: ٢٤ـ٢٥، التوفيق بين أقوال علماء النسب وبين إقامة أولاد عمرو بن مرّة على نسبهم في معدّ: ٢٥ـ٢٦، ترجيح كون الخبر عن عمرو غير صحيح: ٢٦.

الأسباب التي دعت بعضَ قضاعة إلى الانتساب في حِمْيَر: ٢٦، قول الشرقيّ بن القُطاميّ الكلبي إنّ قضاعة لم تزل معدّيّة حتى حالَفَتْ قبائلَ اليمن أيام الفتنة بين ابن الزبير وبني مروان، واستحكام ذلك الحلف ووقوع الخلاف بين قضاعة في نسبهم وممالأة خالد بن يزيد بن معاوية لمَنِ انتسب إلى حمير: ٢٦، قول محمّد بن حبيب في سبب ذلك الخلاف وسبب مُمالأة خالد بن يزيد: ٢٧.

قضاعة هم إخوة بني مالك بن عمرو بن مرّة بن مالك بن حمير لأمِّهم، وأقوال العلماء في ذلك: ٢٧ـ٢٨، اختلاف العلماء في نسب قضاعة: ٢٨ـ٣١،

يعقدونَ حلفاً مع كلب وسبب ذلك الحلف: ٧٧، تجديد الحلف بينهم في الإسلام: ٧٧ـ٧٨، تميم تُجيرُ كلباً يومَ فتح دومة الجندل بسبب الحلف: ٧٨، ما قيل في ذلك الحلف من الشعر: ٧٨، ابن الكلبي يؤلف كتاباً في حلف كلب وتميم: ٧٨ـ٧٩، بعض الغارات بين كلب وتميم: ٧٩، يوم المعا بين كلب وتميم: ٧٩، مِخْلَب المجاشعيّ التميميّ يذكر حرباً بينهم وبين كلب: ٧٩ـ٨٠، زرارة بن عُدُس التميمي يصيب سَبيّة من بني رفيدة بن ثور بن كلب: ٨٠، سبيّة أخرى من كلب في تميم: ٨٠، يوم عُذْر بين بني يربوع التميميين وبني عبد وَدّ الكلبيين: ٨٠، علاقات أخرى: ٨٠.

علاقتهم بقيس عيلان ـ ولاسيما غطفان، وذبيان من غطفان خاصّةً ـ يغلب عليها التنافر في الجاهلية والإسلام: ٨٠ـ٨١، غزو زهير بن جناب الكلبي غطفان حين بَنَتْ بُسّاً، وكان ذلك قبل داحس والغبراء: ٨١ـ٨٣، رجل من بني عبد الله بن غطفان يقيم في بني عُليم بن جناب ويكون سبباً لهجاء زهير بن أبي سلمى إيّاهم: ٨٣ـ٨٤، بنو ذبيان يقتلونَ مالك بن حصن الكلبي: ٨٤، بنو فزارة بن ذبيان يقتلون رجلين من كلب: ٨٤ـ٨٥، شعر للنابغة الذبياني ولابن أدهم النعامي الكلبي يُشير إلى الخلاف بينهم: ٨٥، كلب تقتل بعض بني ذبيان: ٨٥، إغارة النعمان بن جَبلة الكلبي على بني ذبيان، وكان ذلكَ مرّتين، وسبب ذلك، والنابغة يمدح النعمان لإطلاقهِ ابنتَهُ عقرب وأسرى ذبيان: ٨٥ـ٨٨، سبب كثرة الغارات بين كلب وذبيان: ٨٨، يوم عراعر ـ ويقال: قراقر ـ بين كلب وعبس من غطفان بعدَ داحس والغبراء: ٨٨ ـ ٩٠، وقعة بين بعضِ عدوان القيسيين وبين كلب: ٩٠، كلب تخفر حلفاً بينها وبين عدوان وتقاتلها: ٩٠ ـ ٩١، بني كلب يغيرون علىٰ جُشَم بن معاوية القيسيّين فيدركهم بنو جشم يوم شبكة الدوم.

نار العصبيّة تتّقد بين كلب وقيس عيلان في الإسلام بعدَ يوم مرجِ راهط: ٩١، المصادر التي ذكرت أخبار تلك العصبية: ٩١ـ٩٢، زفر بن الحارث وعمير بن الحُباب القيسيّان يُقيمان بقرقيسياء ويغيران على كلب طلباً للثأر بمَنْ قُتِلَ من قيس يوم مرج راهط: ٩٢، إغارة زُفر على تدمر من بلاد كلب: ٩٢، وإغارته على بني الجُلاح الكلبيّين في حَصْف (أو خصيف): ٩٢، وإغارته على المصيّخ لبني الجلاح وغيرهم: ٩٢؛ وكلب الحاضرة تؤمّر عليها حميد بن حريث الكلبي لمّا رأت ما أصاب كلب البادية فيخرج بهم إلى تدمر: ٩٢، خبر

قتلى بني نمير بن عامر القيسيين بناحية تدمر: ٩٢ـ٩٣، زفر بن الحارث يبسُط يَدَهُ على مَن أدركَ من كلب في وادي الجيوش بعد مقتل النميريين: ٩٣، من الأيام التي أغار فيها زفر على كلب: ٩٣، من الأيام التي أغار فيها عمير بن الحباب على كلب: ٩٣، يوم الغوير: ٩٣، يوم الإكليل: ٩٤، وأغار عليهم بالجوف والسماوة ودهمان: ٩٤، حميد بن حريث يُبيّت عسكَراً لعمير بن الحباب فيقتل منهم مقتلة عظيمة: ٩٤، عبد الله بن مسعدة الفزاري يهدّد كلباً في مجلس عبد الملك بسبب قتل عسكر عُمير فيوقعُ حميد ببني فزارة يومَ العَاه: ٩٤، بنو فزارة يطلبونَ القَّوَدَ بقتلاهم يومَ العاه فيأبى عبد الملك بن مروان لأنَّهم كانوا في أيّامِ فتنةٍ بينَهُ وبينَ ابن الزبير ولأنَّهم ليس لديهم دليل وحميد بن حريث يُنْكِرُ إغارته: ٩٤، عبد الملك يرى أن يَدِيَ القتلى مِن أُعْطياتِ قضاعة فتشتري فزارةُ بها سِلاحاً ويُغيرونَ على كلب في بناتِ قَيْن: ٩٤ـ٩٥، عبد الملك يُقيد قتلى بني كلب ويُطفىء نارَ العصبيّة: ٩٥.

علاقتهم بقبائل ربيعة بن نزار بن معدّ: ٩٥، بعض بني ضُبيعة بن ربيعة جاوروا في بني كلب دهراً: ٩٥، كلب تشارك ربيعة ومُضَر في يوم السلاّن لمحاربة مذحج: ٩٥، ويشاركون أيضاً في يوم خزازى لمحاربة مذحج: ٦، كلب تغزو بكراً وتغلب بقيادة زهير بن جناب ويأسرون كُليباً ومهلهلاً وخبر تلك الغزوة وسببها وزمنها: ٩٦ـ٩٩؛ علاقة كلب ببكر وحدَهم: ٩٩، يوم الروضة بين كلب وذُهل البكريين: ١٠٠، يوم عُنازة بين كلب وشيبان البكريين: ١٠٠، يوم فَلْج لامرىء القيس بن عديّ الكلبي على بكر: ١٠٠، يوم القطقطانة للبيّاغ ابن قيس الكلبي على شيبان: ١٠٠، وكان البيّاغ يغير على بكر: ١٠٠، آخِر إغارة له زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ١٠٠ـ١٠١، الدليل على أن يوم القطقطانة كان في الجاهلية: ١٠١، يوم مُسحلان لشيبان على كلب: ١٠١، الربيع بن زياد قائد كلب يومَ مسحلان ينافر قومَهُ ويقيم في بني شيبان فيقتله رجلٌ منهم فيحملون ديته إلى كلب في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه: ١٠١، إشارات مختلفة إلى بعض الأيام والغارات بين كلب وقبائل بكر: ١٠٢ـ١٠٤، سبب كثرة هذه الغارات بين كلب وبكر: ١٠٤؛ علاقة كلب بتغلب وحدَهم: ١٠٤، إغارة زهير بن جناب على تغلب ومعه ابن الحُمام الكلبي: ١٠٤، الأخنس بن شهاب التغلبي يغير على كلب: ١٠٤، بعض كلب يقتل

حسّان بن الهذيل التغلبي: ١٠٥، وبعض كلب يأسر عُمَيْر بن كلثوم التغلبي: ١٠٥، وبعضُهم يأسر الحارث بن قيس التغلبي: ١٠٥، تغلب تشهد يوم سيف معَ الأعاجم ضدَّ كلب، ومَنْ قُتِلَ مِنْ تغلب: ١٠٥، تغلب تقتل بُطَيْح بن الفَرافصةَ الكلبي: ١٠٥، وتقتل الربيع بن مِخْمَر (محمّد؟) يوم مُسحلان: ١٠٥، البيّاغ الكلبي يغير على تغلب: ١٠٦؛ علاقة كلب بالنمر بن قاسط مِن ربيعة: ١٠٦، يوم ظبي بين النمر وكلب، وسببه: ١٠٦.

علاقة كلب ببني إياد بن نزار بن معدّ: ١٠٧، ليس بين أيدينا إلاّ خبران: ١٠٧.

علاقة كلب ببعض القبائل التي اخْتُلِفَ في نسبتها إلى معدّ وغيره: ١٠٧، علاقتهم ببجيلة: ١٠٧، يوم الفِجار بين كلب وبجيلة وتفرّق بَجيلة: ١٠٨، المنافرة بين خالد بن أرطأة الكلبي وجرير بن عبد الله البجلي: ١٠٨ـ١٠٩، علاقتهم بخثعم: ١٠٩، يوم صوران لكلب على خثعم ومراد: ١٠٩ـ١١٠، علاقتهم بعاملة: ١١٠، قِدَم هذه العلاقة بالمصاهرة: ١١٠، بنو عاملة حلفاء بني حارثة بن جناب الكلبيين: ١١٠، علاقتهم بكندة: ١١٠، بعض كندة كانوا مع بني عامر الأجدار: ١١٠، لم يكن للحارث بن عمرو الكندي ملكٌ على كلب: ١١١، الحارث يفرّ من الحيرة بعد عودة المُلْك إلىٰ المنذر بن ماء السماء ويلحق بأرض كلب فتقتله بمُسحلان: ١١١، التوفيق بين هذه الرواية ورواية (مَلالا) و(ثيوفانس): ١١١ـ١١٢، مَن كان مِن كلبٍ مع امرىء القيس بن حجر الكندي حين طرده أبوه: ١١٢، مَن كان منهم معه حين ذهب إلى بلاد الروم: ١١٢، الكلبيّات اللواتي شبّب بهنّ امرؤ القيس: ١١٢، امرؤ القيس يهدّد أُنيس ابن جندل الكلبي في شعرٍ يُروى له ولغيره: ١١٢، أُكيدر بن عبد الملك السكوني الكندي وآل بيته كانوا مَعَ كلب في دومة الجندل والمُلْكُ بينهم وبينَهُ دُولةً: ١١٣.

ج ـ علاقتُهم مع قبائل اليمن: ١٣:

قبائل اليمن: ١١٣، علاقتهم بحِميَر: ١١٣، حمير تُغير على كلب وغيرها من قبائل قضاعة بعد حرب قضاعة وولد نزار فتلحق كلب بالشام: ١١٣ـ١١٤، يوم البيداء بين كلب وبعض قبائل معدّ وبين حمير، وهو من أقدم أيام العرب، وسبب هذا اليوم وما كان فيه، وتحقيق بعض الأمور فيه، وتحديد زمنه:

١١٤ـ١١٦، كلب تشارك في يوم السُّلان ضدَّ حمير، وعَميرة بن أوس الكلبيّ الملك كان على إحدى المجنبتين، وكان زهير بن جناب ممّن شهده، وتحقيق بعض الأمور فيه، وأنّه كان قريباً من يوم البيداء: ١١٦ـ١١٩؛ علاقة كلب بمذحج: ١١٩، شهود كلب ومذحج يومي السلّان وخزازى: ١١٩ـ١٢٠، يوم صَوران بين كلب وبعض مذحج (مراد وخثعم): ١٢٠ـ١٢١؛ علاقتهم بطيّىء وسعة هذه العلاقة وسبب ذلك: ١٢١، بنو جَديلة الطائيون يدخلون بلاد كلب ويحالفونهم بعد يوم قارات حوق بين جديلة والغوث الطائيين: ١٢١ـ١٢٢، تحديد يوم دخول جديلة في بلاد كلب ومحالفتهم: ١٢٢، كلب تقتل بعض بني جديلة: ١٢٣، كلب تغزو بني جرم الطائيين وتقتل عامر بن جُوَين الطائي وما جرّ إليه ذلك، وتحديد زمن هذه الحوادث: ١٢٣، إغارة كلب على طيّىء وأسر عديّ بن حاتم: ١٢٤، امرأة من كلب مجاورة في بعض بني الغوث وخبرها: ١٢٤، طيّىء تقتل عديّ بن جبلة الكلبي: ١٢٤، حاتم الطائيّ وبنو لأم الطائيون يجعلون الرُّهُنَ في يد امرىء القيس بن عديّ الكلبي حين تماجَدُوا: ١٢٤.

٣ ـ علاقتهم بملوك الشام: (١٢٥ـ١٢٩)

الممالك العربية في بلاد الشام: ١٢٥، الضجاعمة السليحيون القضاعيّون: ١٢٥، كلب وسائر قضاعة تشارك داود اللِثقَ السليحيّ في حروبه، ثم تشارك في اغتياله لمّا تنصَّر فضعف ملكه، وأثر زهير بن جناب وثعلبة الفاتك الكلبيّين في ذلك: ١٢٥ـ١٢٦، تحديد زمن اغتيال داود: ١٢٦، ملك الغساسنة بعد الضَّجاعمة: ١٢٧، الحارث الأكبر بن جبلة (ابن مارية) كان مكرماً لزهير بن جناب وخبره معه: ١٢٧، منادمة عبد العزى بن امرىء القيس الكلبي للحارث بن جبلة وخبره معه ومع بني الجُميم الكلبيين: ١٢٧ـ١٢٨، بشر بن هبيرة الكلبي كان مع الحارث بن جبلة يومَ عين أُباغ سنة ٥٥٤م: ١٢٨، النعمان بن جبلة الجلاحي الكلبي قائدٌ للحارث الأوسط بن الحارث الأكبر، ولولده الحارث الأصغر: ١٢٨، أُنَيْس وطارق ابنا جندل الكلبيان يفِدانِ على بعض ملوك غسان وخبرهما معه: ١٢٨ـ١٢٩، الغسانيون يولُّونَ سوقَ دومة الجندل بني قنافة الكلبيين: ١٢٩.

٤ـ علاقتهم بملوك الحيرة: (١٢٩ـ١٣٠)

مملكة الحيرة ومَن حكمها: ١٢٩، زهير بن جناب يفد على امرىء القيس

ابن النعمان: ١٢٩ ، بعض بني كلب يقيمون في الحيرة، ومنهم قراد بن أجدع: ١٣٠ ، المتجردة زوج النعمان من بني كلب: ١٣٠ ، وبرة بن رومانس الكلبي كان أخا النعمان بن المنذر لأمه: ١٣٠ ، يوم سُيَيف لبني كلب على الفرس يشهدهُ إياس بن قَبيصة الطائيّ ملك الحيرة إلى جانب الفرس: ١٣٠ ، علاقة كلب بملوك الشام أوثق من علاقتهم بملوك الحيرة: ١٣٠ .

٥ـ علاقتهم بالفرس والروم: (١٣٠ـ١٣٥)

علاقتهم بالروم أوثق منها بالفرس: ١٣٠ـ١٣١ ، يوم سُيَيف يوم عظيم لبني كلب على الفرس كان قريباً من يوم ذي قار، وكتاب لابن الكلبي فيه، وتحقيق اسم هذا اليوم، وما بقي من أخباره: ١٣١ـ١٣٣ ، رهن كلب عند كسرى: ١٣٣ـ١٣٤ ، علاقتهم بالرّوم: ١٣٤ ، إشارةٌ إلى يومٍ لكلب والروم: ١٣٤ ، تجّار كلب كانوا يُوغِلونَ في بلاد الروم ودلالة ذلك: ١٣٥ .

٦ـ علاقتهم بيهود: (١٣٨ـ١٥٣)

جماعات اليهود من بني إسرائيل ومن العرب في بلاد العرب: ١٣٥ ، كلب تفتح فَدَك في الجاهلية وتسبي نساءَهم، وذكر بعض سبيهم: ١٣٥ـ١٣٧ ، خبر عمرو بن ثعلبة الكلبي والأعشىٰ الشاعر وشريح بن حصن بن عمران بن السموءل الشاعرِ الغسّانيّ اليهودي: ١٣٧ .

٧ـ علاقتهم بدولة الإسلام في عصر النبيّ ﷺ: (١٣٨ـ١٣٩)

زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه ومكانته عند رسول الله ﷺ، وأنه كان مِن كبار قادته حتى استشهاده: ١٣٨ ، لم تنضمّ كلب إلى الروم يوم مؤتة كما انضمّت بعض القبائل المقيمة في الشام: ١٣٨ ، مشاركة بعض كلب في جيش زيد بن حارثة يوم مؤتة: ١٣٩ ، جيش أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه لحرب الروم في الشام: ١٣٩ ، النبيّ ﷺ يبعث بكتابه إلى هرقل مع دحية الكلبي: ١٣٩ ، الجيوش الإسلامية التي اتجهت إلى ديار كلب: ١٣٩ ، وفود بني كلب في السنة العاشرة ودخولهم في الإسلام، وكتاب النبي ﷺ لبعضهم، وعقده الأولوية لبعضهم: ١٣٩ ، امرؤ القيس بن الأصبغ عامل النبي ﷺ على بني كلب: ١٣٩ .

٨ـ علاقتهم أيام الخلفاء الراشدين: (١٣٩ـ١٤٥)

مدّعو النبوّة، والردّة: ١٣٩ـ١٤٠ ، الثابتون على الإسلام من كلب وعليهم

امرؤ القيس بن الأصبغ، والمرتدّون منهم ورأسُهم وديعة الكلبي: ١٤٠، أسامة ابن زيد الكلبي رضي الله عنه يستنهض المقيمين على الإسلام إلى المرتدين والمرتدّون يلجؤون إلى دومة الجندل: ١٤٠، عمرو بن العاص رضي االله عنه ينهض للمرتدّين من قضاعة: ١٤٠، شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه يُغاوِرُ كَلْباً ولَفَّها: ١٤٠، خالد بن الوليد رضي الله عنه يسير إلى دومة الجندل ويبطش بالمرتدين بقيادة وديعةَ وابنِ رومانس الكلبييَّن وغيرهما: ١٤٠، تميم تُجير أسرى كلب للحلف القديم بينَهم: ١٤٠، المثنى بن حارثة رضي الله عنه يُغير في العراق على سوق الخنافس وخفِيرَيْهِ رومانس بن وبرة الكلبيّ والسَّليلِ بن قيس الشيباني ابنِ ليلى بنت الأحوص الكلبية: ١٤١، خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه يُقيم بتيماء ويدعو إليه مَن أقام على الإسلام ليكونوا رِدْءاً للجيوش الأخرى، ويسير إلى العرب الذي جمّعهم الروم لحربه: ١٤١، عمرو بن العاص رضي الله عنه يولّي مكانه امرأ القيس بن الأصبغ الكلبي على ضاحيةِ قضاعةَ مما يلي دومة الجندل: ١٤١، خالد بن الوليد رضي الله عنه يجعل طريقه على سَماوةِ كلب للوصول إلى اليرموك، وكلب تشارك في صفوف المسلمين، وكان دحية الكلبي وامرؤ القيس بن الأصبغ على كُردوسين مِن كراديس المسلمين: ١٤١ـ١٤٢، علقمة بن زامل الكلبي كان صاحبَ المقاسِمِ يوم اليرموك، ثمّ تنصّرَ ودخل بلاد الروم: ١٤٢، دحية الكلبيّ في جيش يزيد ابن أبي سفيان رضي الله عنه لفتح دمشق، ويقود خيلاً لفتح تدمر: ١٤٢ـ١٤٣، الأشراف الذين تزوّجوا بنساء من كلب في خلافة عثمان رضي الله عنه: ١٤٣، بنو كلب يشهدون صفين وأكثرهم مع معاوية وبعضُهم مع علي، وأسماء بعض من كان مع عليّ ومعاوية رضي الله عنهما: ١٤٣ـ١٤٤، رجلان من كلب كانا ممّن شهد على وثيقة التحكيم: ١٤٤، عليّ يرسل رجلاً من كلب إلى أهل خِربتا من بلاد مصر فيقتلونه: ١٤٤، بنو امرىء القيس بن عديّ الكلبيّون أصهارُ علي أدلاّء لخيلٍ أرسلَها عليّ لقتال خيلٍ لمعاوية قرب تدمر: ١٤٤، أهل دومة الجندل مِن كلب وغيرهم يأبَوْنَ المبايعةَ لعليّ ولمعاوية حتى يجتمع الناس على إمام: ١٤٥، عليّ يرسل عروة بن العشبة والجلاس بن عمير الكلبيين لأخذ أموال الصدقة من أهل السماوة وخبرهما: ١٤٥.

٩ـ علاقتهم في أيام بني أمية: (١٤٥ـ١٨٦)

مكانة كلب عند بني أمية: ١٤٥ـ١٤٦، المقرّبون من كلب في عهد معاوية

١٦٦، مروان يوقع بأهل حمص ومن شاركهم من كلب في الانتقاض عليه: ١٦٦ـ١٦٧، استقامت الشام كلّها لمروان إلاّ تدمر وأهلها من كلب، فأراد السير إليهم لولا الأبرش الكلبي الذي دعاهم إلى الطاعة فأجابوا بعد امتناع: ١٦٧، خروج عبد الله بن معاوية الطالبيّ على مروان وأثر بني كلب في ذلك، ولا سيما منصور بن جمهور الكلبي: ١٦٧، عبد الله بن عمرو بن عبد العزيز يمتنع عن المبايعة لمروان في العراق، واغتنام الخوارج ذلك وإيقاعهم بجيش لعبد الله كان فيه منصور: ١٦٧، أثر منصور وبني كلب في قتال الخوارج حين حاصروا الكوفة: ٦٧، منصور يصير مع الخوارج! وينهزم معهم أمام مروان، ويسير إلى السند فيتغلّب عليها ومعه أخوه منظور، وما كان من شأنه حتى قُتِل: ١٦٧ـ١٦٨؛ تلخيصٌ لما سبق: ١٦٨، بقي الكلبيون على ولائهم لبني أمية في عصر بني العباس: ١٦٨.

أخبارُهم تؤكّد أنهم كانوا كغيرهم من العرب في جاهليتهم وإسلامهم: ١٦٩، عقيدة دهماء العرب وعامّتهم في الجاهلية: ١٦٩، موقف عامّة العرب من الإسلام: ١٧٠.

ما زال لكلب صنمٌ (ودّ) في دومة الجندل حتى هدمه خالد بن الوليد رضي الله عنه في الإسلام: ١٧٠، أصل هذا الصنم ومَن حمله إلى دومة الجندل: ١٧٠ـ١٧٢، التحقيق في بعض ما يتعلق بذلك: ١٧٢ـ١٧٣، وصف وَدّ منقولاً عمَّن رآه: ١٧٣؛ من الدلائل علىٰ تعظيم كلب لصنمهم وَدّ: ١٧٣، ما جاء في كلام خالد بن أرطأة الكلبي حين نافَرَ جرير بن عبد الله البجليّ: ١٧٣ـ١٧٤، التحيّة باسم وَدّ في شعر زهير بن جناب: ١٧٤، تسمية أبنائهم بِوَدّ: ١٧٤، دفاعهم عن (ودّ) حين أراد خالد بن الوليد رضي الله عنه هدمَه، وأسماء بعض مَن قُتِل منهم يومذاك: ١٧٤ـ١٧٥، تلبيتهم أيام الحجّ: ١٧٥؛ عَبَدَةُ (وَدّ) قبل بني كلب: ١٧٥؛ صنمٌ آخر لبني كلب (عمرة) أو (عِتر): ١٧٥، الأصنام الأخرى التي كانوا يعظّمونَها، والأدلّة على ذلك، ولا سيّما من أسمائهم: ١٧٦، (الدُّوار) والدليل من شعر زهير بن جناب: ١٧٦، (عبعب) لجميع

قضاعة: ١٧٦، (الأُقيصر) لقضاعة وغيرها: ١٧٦، (باجر؟): ١٧٦، (اللات) ومَنْ سُمِّي بها من كلب ١٧٦، كانوا يعظّمون اللّات قبل وَدّ، والدليل على ذلك: ١٧٦، (العزّى) ومَنْ سُمِّى بها منهم: ١٧٧، (مناة) ومَن سُمِّيَ بها منهم: ١٧٧ـ١٧٨، وهذا يخالف استثناءَ محمد بن حبيب لبني وبرة من عبادة مناة: ١٧٨، (يغوث) ومَنْ سُمِّيَ به منهم: ١٧٨ـ١٧٩، (عمرو) ومَن سُمِّيَ به منهم: ١٧٩، (شمس) ومَنْ سُمِّيَ به منهم: ١٧٩؛ ما سبق يدلّ على أنَّ لهم صنمهم الخاص، ولكنّهم كانوا يعظّمونَ غيرَه من الأصنام، وهم في ذلك مثل سائر العرب: ١٧٩ـ١٨٠؛ الأدلّة على أنَّهم كغيرهم من العرب في ملازمة ما بقي فيهم من تعاليم إبراهيم عليه السَّلام: ١٨٠، كانوا يحجّون البيت الحرام، والأدلة على ذلك: ١٨٠ـ١٨١، أُبيّ بن سالم الكلبي يشارك قريشاً في بناء البيت الحرام في الجاهلية: ١٨١ـ١٨٢، لا مسوّغَ لشكّ الدكتور جواد علي في هذا الخبر: ١٨٢، كان في بني كلب متحمّسون في دينهم: ١٨٢، التحمُّس كان خاصّاً بقريش وأهل مكة، ثم جُعِلَ لِمَنْ ولَدَتْ قريش: ١٨٢، الحُمْس من بني كلب وما يؤكّد تحمُّسَهم: ١٨٣، موقفهم من الأشهر الحُرُم: ١٨٣، التبريزي يفسّر بيتاً لأبي تمّام يذكُر فيه أنَّ كلباً لا تحرّم الأشهر الحُرُم: ١٨٣، قول أبي تمام ـ لو صَحَّ معناه ـ لا ينطبق على كلب كلِّهم، والأدلّة على ذلك: ١٨٣ـ١٨٤، تفسير قول أبي تمام: ١٨٤؛ بنو كلب يفعلونَ أموراً أُخرى من أمور الوثنيين: ١٨٤ـ١٨٥، نكاح المَقْت عندهم: ١٨٥، البَليَّة، ١٨٥، إيمانهم بالبعث كإيمان أهل الجاهلية به: ١٨٦؛ كلّ ما سبق يؤكّد أنَّ الوثنيّة كانت غالبةً عليهم: ١٨٦.

ب ـ النَّصرانية فيهم: (١٨٦ـ١٩٦)

أقوال العلماء إنَّ النصرانية دخلت في « بعض قضاعة »: ١٨٧، سبب ذلك نزول تلك القبائل بلاد الشام والجزيرة: ١٨٧، ديار بني كلب كانت قريبة من الشام وبعضها يعدّ في الشام، ولكنه بادية: ١٨٧، يغلب الضعف على الروح الدينيّ لدى الأعراب: ١٨٧، إشارات ابن الكلبي إلى مَنْ دخل النصرانية من بني كلب: ١٨٧، إشارتُه إلى أُسَرٍ بأعيانها: بني مَدَرَة «أسلمت كلب كلُّها إلاَّ

مَدَرةَ كانوا نصارى»، وبني عمار بن عبد المسيح من بني عدسةَ في الحيرة (اسم أبيهم يدلّ على ذلك)، وبني غوث بن أبي سَلْمَى «وهم عبّاد بالحيرة» وعبّاد الحيرة كانوا نصارى: ١٨٧ـ١٨٨، نصّ ابن الكلبي على خمسة رجال بأعيانهم من كلب أنهم كانوا نصارى وأسلم منهم اثنان: ١٨٨؛ الأسر التي نصّ ابن الكلبي على نصرانيتها قلّة قليلة جدّاً من بني كلب، والدليل على ذلك: ١٨٨ـ١٨٩، أُسَرُ الرجال الذي ذَكَر أنهم كانوا نصارى كانت وثنية، والدليل على ذلك: ١٧٩، نصَّ ابنُ الكلبي على نصرانية هؤلاء ليؤكّد مخالفتهم لسائر القبيلة: ١٩٠، هؤلاء الذين دخلوا في النصرانية كانوا في آخر العصر الجاهلي، وكانوا من الحواضِرِ في الحيرة ودومة الجندل: ١٩٠؛ كلام ابن سعيد المغربي على النصرانية في كلب، وما فيه من أعاجيب، ومناقشة ذلك: ١٩٠ـ١٩١، كلام لويس شيخو على تنصّر بني كلب، وكثرة الأعاجيب والأغلاط والتدليس فيه: ١٩١ـ١٩٣، زعمه أن النصرانية عريقة فيهم ومناقشته: ١٩٣، الرجال الذي زعم أنهم كانوا نصارى، ومناقشته: ١٩٣ـ١٩٥، تحريفه الكَلِمَ عن مواضعه، وطامّة لغوية، ومناقشته: ١٩٥ـ١٩٦، تدليسه، ومناقشته: ١٩٦، تقوُّله على ابن عساكر: ١٩٦، كلمةٌ جامعة في عقيدة كلب قبل الإسلام: ١٩٦.

ج ـ إسلامهم وموقفهم من الردّة: (١٩٦ـ٢٠٢)

زيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، حتى قيل إنّه أوّل من أسلم: ١٩٦، سعد بن خوليّ الكلبي من المسلمين الأوائل: ١٩٧، النبيّ ﷺ يعرض نفسه على بني عبد الله الكلبيين فلم يقبلوا منه: ١٩٧، دحية الكلبيّ وأسرته ممّن أسلم في السنوات الأولى للهجرة: ١٩٧، بعث النبيّ ﷺ سرية إلى دومة الجندل وإسلام معظمهم: ١٩٧ـ١٩٨، أسماء مَنْ وَفَدَ على النبي ﷺ من بني كلب: ١٩٨، انتشار الإسلام فيهم انتشاراً واسعاً، وتهديم صنمهم: ١٩٩، الصحابة من بني كلب غيرُ الذين سبق ذكرُ هم: ١٩٩ـ٢٠٠؛ موقفهم بعد وفات النبي ﷺ: ٢٠٠ـ٢٠١، مَنْ ثبتوا على الإسلام من كلب وغيرهم من قضاعة كانوا جموعاً كثيرة: ٢٠١ـ٢٠٢، بنو كلب يُسلمون جميعاً إلاّ بني مدرة وهم قلّة قليلة: ٢٠٢.

الفصل الثاني

وعُرِفَ صاحبُه ٢٣٨ـ٢٤٢، الشعر المضطرب الذي يمكن ترجيح نسبته: ٢٤٢ـ٢٤٦، الشعر المضطرب الذي لا دليل على صاحبه: ٢٤٦ـ٢٤٧.

ب ـ الشعر المضطرب بين شعرائهم وشعراء القبائل (٢٤٧ـ٢٦٣):

مااضطرب بين شعرائهم الجاهليين وشعراء غيرهم وعُرِف صاحبه: ٢٤٧ـ٢٥١، الشعر المضطرب الذي يمكن ترجيح نسبته: ٢٥٢ـ٢٥٤، الشعر المضطرب الذي لا مرجّحَ في نسبته: ٢٥٤ـ٢٥٦؛ لا اضطرابَ في أشعار المخضرمين وشعراء صدر الإسلام من كلب: ٢٥٦؛ ما اضطرب بين شعرائهم الأمويين وشعراء غيرهم وعُرف صاحبه: ٢٥٦ـ٢٥٩، الشعر المضطرب الذي يمكن ترجيح نسبته: ٢٥٩ـ٢٦٢، الشعر المضطرب الذي لا دليل يرجّح نسبته: ٢٦٢ـ٢٦٣.

النظر في الأشعار المضطربة يبيّن أسباب ذلك الاضطراب: ٢٦٣.

تخصيص قسم من الديوان لتراجم الشعراء الذين نسبوا إلى كلب وليسوا منهم يُغني عن دراسة أشعارهم في بحث الاضطراب: ٢٦٤ـ٢٨٣.

٢ـ النحل في شعرهم (٢٦٤ـ٢٧٣)

قلة أشعار كلب، ونصّ ابن سلاّم على أنَّ قلّة شعر بعض القبائل مِن أسباب النحل: ٢٦٤، لم أجد ما يثير شكّاً فيما وصل إلينا من شعر كلب، إلاَّ موضعاً نصّ عليه السيوطي والخضر الموصلي، ومواضع من أشعارهم قد تحمل على الشكّ ولكن يمكن ردّه: ٢٦٤، الموضع الذي نصّ عليه السيوطي والخضر: ٢٦٥، المواضع التي قد تحمل على الشكّ ووَجه ردّه: ٢٦٦ـ٢٨٣.

الفصل الثالث

موضوعات أشعار كلب: . . . . (٢٧٥ـ٤١٠)

الحكم على موضوعات شعرهم مبنيّ على ما وصل إلينا، وليس قطعيّاً: ٣٧٥، طرقوا في شعرهم موضوعات الشعر الرئيسية: ٢٧٥، طرأ شيء من الاختلاف على موضوعاتهم بين الجاهلية والإسلام: ٢٧٥، منهج دراسة الموضوعات: ٢٧٥.

١ـ **الحماسة والفخر** (٢٧٦ـ٣٢٠)

مكانة هذا الموضوع في الشعر العربي: ٢٧٦، لم يُفرد أبو تمام باباً للفخر، وإنَّما جعله في باب الحماسة: ٢٧٦، الحماسة والفخر على ضربين: ذاتي وقبلي: ٢٧٦.

الحماسة والفخر القبليّان في شعرهم الجاهلي، والمعاني التي ترد فيهما: ٢٧٦، في شعر زهير بن جناب: ٢٧٦ـ٢٨٠، المعاني التي وردت في شعر زهير وأمثالها في شعر غيره: ٢٨٠ـ٢٨٤، ما يلاحظ في حماستهم وفخرهم القبليين في الجاهلية: ٢٨٤.

الحماسة والفخر الفرديّان (الذاتيّان) في شعرهم الجاهلي: ٢٨٤، معانيهما التي وردت في شعر زهير بن جناب: ٢٨٤ـ٢٨٨، معاينهما التي وردت في شعر غيره من الجاهليين: ٢٨٨ـ٢٩٢.

ما يلاحظ على حماستهم وفخرهم الجاهليين: ٢٩٢ـ٢٩٣.

الحماسة والفخر القبليان في شعر بعد الإسلام إلى آخر العصر الأموي: ٢٩٣، معظم حماستهم وفخرهم القبليين يرجعان إلى ما كان من وقائع وفتن داخلية: ٢٩٣ـ٢٩٤، الحماسة والفخر في أشعار يوم صفين: ٢٩٤ـ٢٩٥، الحماسة والفخر في أشعار مرج راهط: ٢٩٥ـ٣٠٠، الحماسة والفخر في الأشعار المتعلقة بالعصبية بينهم وبين قيس بعد مرج راهط: ٣٠٠ـ٣٠٣، الحماسة والفخر في الأشعار المتعلقة بالوليد بن يزيد والخروج عليه وقتله: ٣٠٣ـ٣٠٦، الحماسة والفخر عند من انتسب منهم إلى اليمن: ٣٠٦ـ٣٠٨؛ معانٍ أُخرى من الفخر والحماسة: ٣٠٨ـ٣١١؛ ما يلاحظ في حماستهم وفخرهم القبليين بعد الإسلام: ٣١١.

الحماسة والفخر الفرديّان (الذاتيّان) بعد الإسلام إلى آخر العصر الأموي: ٣١١، المعاني الواردة في أشعارهم: ٣١١ـ٣١٥.

ما يلاحظ على الحماسة والفخر في شعرهم الإسلامي إلى آخر العصر الأموي: ٣١٥ـ٣١٦.

مقارنة هذين الموضوعين بما عند القبائل الأخرى، وما يميّز هذا الموضوع

عندهم وعند غيرهم: ٣١٦ـ٣١٧، مقارنة معانيهم بمعاني غيرهم، وما تميّزت به عند كل قبيلة: ٣١٧ـ٣٢٠.

٢ـ الهجاء (٣٢٠ـ٣٤٤)

الهجاء مرتبط بالحماسة والفخر، ولا سيّما في الجانب القبليّ: ٣٢٠ـ٣٢١.

هجاؤهم في الجاهلية: ٣٢١، لا نجد إلا أربع قطع من الهجاء القبليّ: ٣٢١ـ٣٢٢، والهجاء الشخصي في ست قطع لا غير: ٣٢٢ـ٣٢٤؛ ما يلاحظ في هجائهم الجاهلي: ٣٢٤ـ٣٢٥.

هجاؤهم بعد الإسلام: ٣٢٥، هجاؤهم القبليّ، ومَنْ وُجِّه إليهم: ٣٢٥، هجاؤهم لقبائل قيس عيلان: ٣٢٥ـ٣٢٧، عتابهم لبني أمية: ٣٢٧ـ٣٣١، هجاؤهم لبني أسد: ٣٣١ـ٣٣٢، ما هُجِيَتْ به بعض بطون كلب: ٣٢٢ـ٣٣٣، قِطع أخرى من الهجاء القبلي: ٣٣٣ـ٣٣٤؛ هجاؤهم الشخصي: ٣٣٤ـ٣٤٠؛ ما يلاحظ في هجاتهم بعد الإسلام: ٣٤٠ـ٣٤١.

كلمة جامعة على هجائهم: ٣٤١، مقارنة هجائهم بالهجاء عند طيِّىء: ٣٤١ـ٣٤٢، ما يختلف في هجاءِ شعراء كلب وشعراء القبائل الأخرى: ٣٤٢ـ٣٤٤.

٣ـ الرثاء (٣٤٤ـ٣٥٩)

ضروب الشعر الذي يُقال في الميت: رثاء، وندب، وتأبين، ومعنى كلّ ضرب: ٣٤٤.

الرثاء في شعرهم الجاهلي: ٣٤٥ـ٣٤٦، الندب: ٣٤٦ـ٣٥٠، التأبين: ٣٥٠ـ٣٥١؛ ما يلاحظ في رثائهم الجاهلي على اختلاف ضروبه: ٣٥١ـ٣٥٢.

الرثاء في شعرهم بعد الإسلام: ٣٥٢ـ٣٥٣، الندب ٣٥٣ـ٣٥٥، التأبين: ٣٥٥ـ٣٥٧؛ ما يلاحظ في رثائهم بعد الإسلام على اختلاف ضروبه: ٣٥٧.

مقارنة رثائهم برثاء غيرهم: ٣٥٧ـ٣٥٩.

٤ـ المدح (٣٥٩ـ٣٧٠)

ما وصل إلينا من مدحهم قليل: ٣٥٩.

يكاد شعرهم الجاهلي يخلو من المدح، وعلّة ذلك: ٣٥٩ـ٣٦٠، دوافع

الفصل الرابع

الجانب الموسيقيّ ومنهج دراسته: ٤٦٠، بحور الشعر العربي التي نظموا عليها، ومقارنتها بشعر غيرهم: ٤٦٠ـ٢٦٢؛ ظاهرتان عروضيّتان وردتا في شعرهم: الخَرْم، والوقص: ٤٦٢ـ٤٦٣؛ قوافي شعرهم: ٤٦٤ـ٤٦٥، عيوب القافية التي وردت في شعرهم: ٤٦٥، الإقواء: ٤٦٥، السِّناد: ٤٦٦، الإيطاء: ٤٦٧.

المحسّنات اللفظية، ووظيفتها في شعرهم: ٤٦٨، الجناس، وقيمته الموسيقية: ٤٦٨ـ٤٦٩، ردّ العجز على الصدر، وقيمته الموسيقية: ٤٧٠ـ٤٧١، لزوم ما لا يلزم، وقيمته الموسيقية: ٤٧٢ـ٤٧٤، التصريع، وقيمته الموسيقية: ٤٧٤ـ٤٧٥.

الجانب اللغويّ والنحويّ، والأمور التي يتناولها الحديث عنه: ٤٧٦، غرابة الألفاظ ومقارنتها بما عند غيرهم: ٤٧٦، محافظتهم على اللغة: ٤٧٧، ألفاظ وردت في شعرهم ولم توردها المعجمات الواسعة: ٤٧٧ـ٤٧٨، أثر بعض لغات القبائل في شعرهم، وعلّة ذلك: ٤٧٨ـ٤٨٠، لغتهم، وأثرها في شعرهم: ٤٨٠ـ٤٨٥، نصّ الفارابي في (كتاب الحروف) على القبائل التي نقل العلماء عنها لغة العرب: ٤٨٥ـ٤٨٦، قضاعة ـ ومنهم كلب ـ من القبائل التي ذَكَرَ أن العلماء لم يأخذوا عنهم شيئاً: ٤٨٦، واقعُ ما ألّفه العلماء يخالف ما ذكره الفارابيّ: ٤٨٦ـ٤٨٧، صيغٌ للألفاظ وردت في شعرهم ولم ترد في المعجمات الواسعة: ٤٨٩ـ٤٩٧؛ أوجُهُ تصرّفهم في أبينة الألفاظ: ٤٨٩، تسكين المتحرّك: ٤٨٩، قصر الممدود: ٤٨٩، تسهيل الهمزة: ٤٩٠، حذف الياء من صلة ضمير الغائب: ٤٩٠ـ٤٩١، التصرّف في أسماء الأعلام: ٤٩١، حذف حرف من آخر الكلمة من دون أن يكون ترخيماً: ٤٩١ـ٤٩٢، هذه الوجوه من التصرّف كانت بسبب الضرورة التي تجوز للشاعر، ولها نظائر في أشعار العرب: ٤٩٢؛ أوجه تصرّفهم في قواعد النحو: ٤٩٢، صرف ما لا ينصرف: ٤٩٢ـ٤٩٣، منع صرف المصروف: ٤٩٤، حذف علامة الإعراب أو البناء: ٤٩٤ـ٤٩٥، حذف حرف الجرّ ووصل العامل إلى المعمول بنفسه: ٤٩٥، نصب ما بعد لفظ (المئة) على التمييز، وحقُّه الإضافة: ٤٩٥، ترك إعمال العامل في معموله: ٤٩٦، الإخبار بالنكرة عن المعرفة: ٤٩٦؛ لم يكن هذا التصرف إلاّ عن ضرورة تجوز للشاعر: ٤٩٦، قلّة ذلك التصرّف في

❊ ❊ ❊